مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئ سنة ١٣٣[illegible] هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تصدر [illegible] أجزاء في السنة كل جزء في ١٦٠ صفحة

١ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ م

١٩ صفر سنة ١٣٦٧ هـ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري

الدفع مقدماً وفي جميع الاقطار ١٠٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق



تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

كتاب الشهداء الحميريين

رغب الينا الصديقان الجليلان العلامتان السيدان محمد كرد علي رئيس المجمع، وسليم الجندي أحد أعضائه، ان نكتب مقالة نصف فيها «كتاب الشهداء الحميريين السرياني» الذي نشر بقاياه بالطبع، المستشرق السويدي السيد اكسل موبرغ، فأجبنا الى رغبتهما العزيزة عندنا، وطوينا مقالتنا على سبعة فصول وهي :

الأول : في النصرانية في بلاد الحميريين

الثاني : في الشهداء الحميريين واستيلاء الحبشة على اليمن

الثالث : في مؤلف كتاب الحميريين

الرابع : في وصف الكتاب السرياني

الخامس : في خلاصة مضمونه

السادس : في اسماء الشهداء والشهيدات العربية

السابع : في فوائد هذا الكتاب

واذا يسَّر الله فاننا سننقل الكتاب الى العربية وننشره نفعاً للتاريخ

الفصل الأول

النصرانية في بلاد الحميريين

اثبت اثنان من عليَة علماء السريان الثقات أن النصرانية دخلت اليمن التي كانت تعرف ببلاد سبأ وبلاد الحِمْيَريين، وموقعها في جنوبي بلاد العرب، في فجر النصرانية، أي في العصر الرسولي نفسه، وان وزير قنداقة ملكة سبأ كان أول من تنصّر وعمّده فيلبس المبشر، ويُرجّح ان مار برثلماوس احد الرسل الحواريين أيضاً نادى ثَمَّ بالنصرانيـة، وعلى غراره سار القس بنتانوس استاذ

المدرسة الاسكندرية اللاهوتية سنة ١٨٩ للميلاد ، وأنشئ في تلك البلاد بعض ولايات اسقفية منها اسقفية في قَطَرَ تشمل نجران واليمامة عام ٢٢٥[١] .

ونحو سنة ٣٥٤ بعث القيصر البيزنطي قسطنطيوس الى بلاد سبأ ، وفداً برئاسة تيوفيلس السيلاني الهندي فأنذر في بعض بلاد اليمن ، ونصر ملكها (الهدهاد)[٢] ، وبنى ثلاث بيع احداها في مدينة ظفار[٣] ، وفي الوقت نفسه مهّد الوفد للرومان فيها طريقاً تجارية بحرية ، وقد ثبتت المعاهدة التجارية المبرمة بين الرومان والعرب ، ذلك ان القيصر تاودوسيوس الكبير سنّ قانوناً لتنظيم أمور الوفود الراحلين الى الحميريين والحبشة والاسكندرية[٤] ، وكان ملوك الفرس أيضاً يسعون في محالفة ملوك اليمن ، وكذلك يفعل هؤلاء وملوك الحبشة[٥] .

على أن التبع اسعد ابا كرب تهوّد حوالي سلخ المئة الرابعة فأصاب المسيحيين شدة . وفي تلك الأثناء قصد القسطنطينية في بعض مصالحه شيخ شريف من نجران اسمه حيّان ويعرف بالكبير ، فتنصر واتبع المذهب الارثوذكسي القويم وعاد الى وطنه ، فنصّر أهله وأتباعه ، وعني بنشر الدين المسيحي في بلاد الحميريين[٦] ، وآمنت قبيلة الحارث بن كعب اليمنية الكبيرة التي تنتسب الى مذحج الى كهلان واحتلت مدينة نجران ، فأزهر الدين المسيحي في القرن التالي في نجران التي اهتدت على بكرة أبيها[٧] وشيدت كنائس فيها وفي مدينتي

(١) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للمؤلف ، طبعة حمص سنة ١٩٢٠ ص ٣١١ و ٣١٢ و ٣٩٠ (٢) وقيل ان ذلك كان في أيام الملكة بلقيس وأخيها الهدهاد (٣) مكتبة فوتيوس البطريرك القسطنطيني الرومي نقلاً عن فيلوسترج المؤرخ الاريوسي من كتبة المئة الرابعة (٤) الدستور الثيودوسي ٤ ص ١٦٦ (٥) الشذرات السريانية التي نشرها لند ونخاها القصص ج ٢ ص ٧٩ الخ . (٦) رواية السيدة حبصة الشهيدة المتحدرة من أسرته ، عن كتاب الحميريين السرياني ص ٣١ و ٣٢ (٧) ذكر الطبري في مج ١ ص ٩١٨ ، وياقوت في معجم البلدان ٤ : ٧٥٢ ، وابن هشام في سيرة الرسول ص ٢٠ وابن خلدون في كتاب العبر ٢ : ٥٩ ان رجلاً صالحاً سموه فيميون هدى اهل نجران الى النصرانية ، والصواب انه حيان .

مأرب والهجران (هجرين)[١] ، وأخذ أهل حمير يكتبون بالقلم السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم[٢] .

وأما انتشار النصرانية في العرب فبلغ أوجه في المئتين الخامسة والسادسة ، وقد صرّح بهذا مؤرخو العرب الثقات ، وكتابهم المسلمون الاقدمون ، فقالوا : ان النصرانية كانت فاشية في العرب وعليهم غالبة[٣] .

الفصل الثاني

في الشهداء الحميريين واستيلاء الحبشة على اليمن

لما تولى اليمن الملك المسمى ذو نؤاس عند العرب ، ودومنوس أو داميانس عند الروم ، ومسروق عند السريان (٥١٥ — ٥٢٤) ، وكانت امه النصيبينية الأصل قد ربته على اليهودية فنشأ متعصباً لها وزاد ذلك في خبث طينته ، دعا أهل نجران المسيحيين اليها فأبوا اتباعه في ضلاله ، وكان يرأسهم شيخ جليل

فحاربوا الغادر الذي مات غرقاً ، وفتحوا بلاده ، وملّكوا على البلاد رجلاً من بيت الملك تنصر واعتمد وأحاطوه بجيش يحرسه هذا ما ورد في الكتاب المبحوث فيه — وأما التواريخ الشائعة بين العرب فروت ان اليمن ملكوا الحبشة أكثر من نصف قرن وملوكهم أربعة وهم ارياط ، وابرهة الأشرم ، وأبناه يكسوم ومسروق من نحو سنة (٥٢٥ — حتى ٥٧٥) ولعلهم فعلوا هذا بعد عهد الزعيم اليمني الذي ملكوه ؟

ثم ان الزعيم سيف بن ذي يزن استعان بالفرس على اخراج الحبشة من اليمن وملك مدة يسيرة ففتك الحبشة به ، وخلفه ابنه معدي كرب ، ثم تسلط الفرس على البلاد ، وأول عمالهم (وهزر) سنة ٥٩٧ وآخرهم (باذان) وفي زمنه فتح المسلمون اليمن ·

... فان الاحداث استردوا ما أصاب نجران وأهلها من الهوان

نحو سنة ٥٣٥ م[1] ؟ نقلاً عن حديث شهودٍ حميريين عاينوا شهادة مواطنيهم ، والمعروف عنه انه كان يوماً في بيعة حيرة النعمان حيث عمَّد فتىً عربياً من أشراف نجران ، اسمه عبد الله ابن الشيخ الجليل أفعو أو أفعى ، وانه رحل بعد ذلك الى بلاد اليمن ، وحادث زوجة أفعى شقيقة الشهيدة حبصة ، قال المؤلف في الفصل الأخير من كتابه «لقد أنبأنا بجهاد الشهداء رجال مؤمنون حميريون ثقات كانوا معاينين للأحداث التي اخبرونا بها ، وسمعنا أخبار قدوم الحبشة الأول من رجال صلحاء كانوا معهم ، وأخبار رحلتهم الثانية ، حينما حاربوا اليهود من رجال أخيار» اﻫ .

الفصل الرابع

في وصف الكتاب السرياني

هو كتاب بالقطع الوسط نقدر أنه كان في أصله زهاء مئة وعشر صفحات ، وصل الينا منه نحو النصف مخروماً (مبتوراً) زهاء ٥٣ صفحة في نسخة فريدة قديمة حسنة الخط مضبوطة اللغة ، أنجزها القس اسطيفان بن متى لنفسه في هيكل مار توما بالقريتين من قرى حمص يوم الثلاثاء ١٠ نيسان سنة ١٢٤٣ يونانية الموافقة لسنة ٩٣٢ م ، ورد اسمه بالاسطرنجيلية في بعض صفحاته : (كتاب الحميريين) نشره مستشرق سويدي نبيه الخاطر اسمه اكسل موبرغ Axel Moberg سنة ١٩٣٤ م مظهراً في اخراجه من ظلمة النسيان الى الوجود مهارةً وهمةً تستوجبان الشكران . ذلك ان بعض النساخ الجهلة أو أصحاب الكتب الغفّل في أواخر القرن الخامس عشر استجهل موضوعه واستهان بقيمته فاتخذ منه بإلصاق أوراقه بعضها ببعض جلداً لكتاب مخروم من اوله وآخره يحوي سبع عشرة ليتورجية[2] سريانية ، بعضها مؤرخ سنة ١٤٧٠ م ونبذة جميلة من تأليف جد لي

(١) يظن بعض المستشرقين ان مؤلف هذا الكتاب هو سرجيس اوجاروجيس اسقف الرصافة ؟

(٢) الليتورجية هي كتاب القداس .

لمار طيمثاوس الثاني بطريرك الاسكندرية (٤٧٧ +)[1] ٠

ثم حاز الكتاب رجل سويدي من ستوكسند اسمه (ا ٠ ج ٠ ويرن) وأوقعه الاتفاق الطريف بيد من فطن لما اشتمل عليه جلده ، فأرسله صاحبه في ربيع سنة ١٩٢٠ الى السيد اكسل ، واستعان هذا على تفكيك الجلد ومعالجته برجل يحذق العمل فجمع منه بقايا كتاب الحميريين ، فنشره بالطبع بنصه وفصه السريانيين بخطنا المعروف بالغربي الذي لا نزال نكتب به ، وأضاف اليه ثماني صفحات مصورة ونقله الى الانكليزية بعد أن قدّم عليه مقدمة مسهبة جاءت في تسعين صفحة ، وختم ترجمته الانكليزية بتعاليق لغوية وغيرها ، وذلك في مدينة ليبسيك سنة ١٩٢٤ م ٠

ودونك فهرس فصول هذا الكتاب الجليل لتحيط علماً بما اشتمل عليه من الفوائد ، وان ما ضاع منه كان يتضمن فوائد أخرى لو أبقى عليها الدهر لكشفت بعض النواحي الغامضة في تاريخ بلاد اليمن ٠

فهرس السير :

١ : فصل في اليهود وفساد معتقدهم

٢ : خبر في الحميريين ومن أين وقعت لهم اليهودية

٣ : بيان في بدء نشر النصرانية في بلاد الحميريين

٤ : في كيفية رحلة الاسقف توما الى الحبشة واخبارهم باضطهاد الحميريين للمسيحيين

٥ : في قدوم حيونا Hywn والحبشان لأول مرة لبلاد اليمن

٦ : قصة تروي المعجزة التي أظهرها الله للحميريين في صفوف الحبشة

٧ : في نزوح الحبشة الأول من بلاد الحميريين

٨ : في الشدة الأولى التي أثارها مسروق وفي حرق بيعة مدينة ظفار ، واهلاك الحبشة الذين فيها

---

(١) الأصل مصون في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢،١٥٦

(١) ملك هذا في الحيرة سنة ٥١٤ ومات سنة ٥٦٣

والباقي من الكتاب :

أحد عشر فصلاً كاملاً ونبذ كبيرة أو وسطى أو يسيرة من ثلاثة عشر فصلاً وهي : مقدمة الكتاب والفصول السابع والعاشر ، والثالث عشر ، والسادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر ، والثالث والعشرون ، والسابع والعشرون ، والثاني والأربعون ، والثالث والأربعون والخامس والأربعون ، والسادس والاربعون ، فيكون المفقود من أصل الكتاب خمسة وعشرين فصلاً أهمها الفصل الثاني في أصل الحميريين وتهودهم ، والثالث في دخول النصرانية الى بلادهم ، والرابع في أخبار اسقفهم توما الحبشة باضطهادهم للمسيحيين ، والخامس في قدوم الحبشة الأول الى بلادهم ، والثاني عشر في تقدم رجال الاكليروس الى مسروق الملك الغاشم . والتاسع عشر في جهاد الشريفين الحارث وعربي ، والتاسع والعشرون والثلاثون ، والحادي والثاني والثلاثون في حرق بيعة حضرموت ، وجهاد شهدائها وشهداء مدينتي مرأب وهجرين والثامن والتاسع والثلاثون والأربعون والحادي والأربعون في استنجاد الحميريين بملك الحبشة وقدوم هذا واجتياحه البلاد .

الفصل الخامس

في خلاصة مضمونه

افتتح المؤلف كتابه بثلاثة فصول في اليهود وفساد معتقدهم وفي الحميريين ومن أين جاءتهم اليهودية وكيف انشرت النصرانية فيهم ، ثم أورد في أربعة فصول خبر اضطهاد الحميريين للمسيحيين وتوجه توما أسقف نجران على الأرجح الى بلاد حمير لأول مرة وقصة آية أظهرها الله لهم ثم رحيلهم من بلاد حمير الى بلادهم — وهذه الفصول السبعة مخرومة حاشا نبذة من آخر الفصل السابع وهي :

لما رأى مسروق انه بالمحاربة لا يقوى على الحبشة الذين كانوا يناوشونه القتال في مدينة ظفار ، أوفد اليهم كهنة ويهودا من طبرية ورجلين مسيحيين اسماً من .

مدينة حيرة النعمان ، يحملون كتاباً يشتمل على أغلظ الأَيمان بادوني وتابوت العهد والتوراة ، يعدهم فيه : انهم ان سلموا اليه مدينة ظفر لن يؤذيهم بل يعيدهم الى ملكهم سالمين ، فوثق الحبشان بأيمانه وخرجوا اليه وكانوا ثلثمائة محارب برأسهم القائد (ابابوت) فقبلهم قبولاً عاديّاً ثم غدر بهم فقتلهم على أيدي اليهود ، وأرسل لحرق بيعة ظفر بمن كان فيها من الحبشان وعددهم مائتان وثمانون رجلاً ، وكتب الى بلاد الحميريين آمراً بقتل المسيحيين قاطبة ان لم يكفروا بالمسيح ويتهودوا ، وسلّت السيوف على النصارى ، وكتب الى الحارث من أشراف مدينة نجران فجمع له خلقاً من المسيحيين رجال الحرب ، زعماً منه أنه بحاجة اليهم لبعض حروبه ، ولما دنوا من ظفر ، وأُنبئوا بما فعله الغاشم الماكر باخوانهم وما ينوي لهم من الشر ، عادوا أدراجهم ، أما اليهود فمثّلوا بأحد المسيحيين بقطع يده اليمنى ، فاليسرى ، فساقيه كلما جاهر بنصرانيته .

وحوصرت مدينة نجران . ولما تعسر فتحها قدم اليها مسروق فلم يفز من حصارها بطائل ، فاستعان بمراسلة أهلها مخاتلاً مهدداً فأذعن أهلها وخرج اليه منهم مئة وخمسون رجلاً فعاتبهم يسيراً ، ثم تغير عليهم وصادرهم على ذهبهم وفضتهم ، ثم عرض على نخبة من اكليروسهم الكفر بالسيد المسيح فأبوا معتصمين بدينهم اعتصاماً شديداً ، فأحرق بيعتهم وأحرقهم وخلقاً آخرين فيهم نساء ، وكان بعض قسوسهم وشمامستهم من حيرة النعمان وبلاد الروم والفرس والحبشة .

ثم استشهدت بالنار أيضاً سيدة متحمسة لدينها اسمها ظُزبية بعد اعترافها بدينها أمام الطاغية ، فان الكفرة ألقوها فوق عظام الشهداء في البيعة المحترقة في لهيب نار أججوها ، وتبعها في طريق الشهادة فتى ايل اسمه ابرهيم وسيدة نبيلة اسمها تهنة ، وأمة لها اسمها امّة وابنة لتهنة اسمها حذية .

ثم استشهدت الشماسة اليصابات وفتاة عذراء اسمها عمي ، وجماعة من أشراف نجران يعدون مائة وسبعة وثمانين شهيداً حفظت أكثر أسمائهم ، منهم الحارث

وعربي وضبٌ ، وكان فتى اسمه عبد الله بن افعو [1] وأبوه شيخ جليل وزعيم معروف ، وعاين هذا الفتى شهادة الشهداء في نجران ونقل هو وغيره أخبارهم الى المؤلف ، ثم قدم الى حيرة النعمان وتنصّر وعمّده المؤلف في بيعتها بحفلة عظيمة ، فتقدم هذا الى الملك مسروق طالباً أن يأذن له بدفن أجساد الشهداء ففعل اكراماً لمنزلة أبيه ، فاستعان بأربعين رجلاً من أبناء عشيرته وأصحابه خرجوا ليلاً ودفنوا الأجساد في حفائر احتفروها ، وعلّم عبد الله لكلٍ من مواضع الأضرحة عُلامةً يستدل بها عليه .

ثم سرد اسماء الشهداء والشهيدات الذين بلغوا نحواً من مائتين وثمانين ، بعد أن أوفد مسروق الى نجران احد قواد جيشه المسمى دويزان ، فدعا نحواً من مئة وسبع وسبعين امرأة من شريفات نسائها المسيحيات فجئن وكثير منهن يحملن أطفالهن ، وكانت معهن سيدة عظيمة أغنى من جميع نساء بلدها اسمها رومي بنت ازمع . وكتب القائد الى ملكه بأمرهن ، فأمره ان يخلي سبيل السيدة رومي حتى يفكر في أمرها مليّاً ، وان يدعو النساء الى الكفر بالمسيح والتهود ، ومن أبت منهن عوقبت بمثل ما عوقب به أزواجهن . ففعل دويزان ذلك فأغلظن له الجواب وكفرن بملكه وباليهود قاطبة ، وكررن ذلك بمرورهن أمامه واحدة فواحدة ، فأحاطهن بحلقة من فرسان الجند اليهودي وأغلق باب المدينة القريب من موضع اجتماعهن ، وأمر الجند فرشقوهن وأطفالهن بالسهام ، وكانت أولئك العفيفات يرفعن أذرعتهن الى السماء يستنجدن عون المسيح على اتمام شهادتهن ، ووضعت الأمهات أطفالهن على الأرض وغطينهم بثيابهن حتى تمت شهادتهن ساقطات على الأرض كالأشجار التي تقطع أصولها بالأطبار ، ثم أمر أصحابه بتفقدهن فاذا أصابوا بعضاً منهن ومن اطفالهن احياء قضوا عليهم بحد السيف — ثم أمر فحملوا أجساد القتلى خارج المدينة وألقوها في خندق وطمروها بالتراب ،

(١) لعل افعو ، افعى ومنه افعى نجران (ابن دريد مج ٢ ـ ٢١٨ والطبري ١ : ١١٠٩)

وكان استشهادهن يوم الاثنين في ٢٦ تشرين الثاني . ثم أورد المؤلف من اسمائهن ثلاثاً وتسعين منهن : حيّة ، وامّة ، وسلمى ، وحمدة ، وحبيبة ، وعوصة ، ودرّة ، واسما ، وماويّة ، وحسنة ، وردّة ، ونملة ، ومحمدة ، وأُميّة ، وفاطمة ، وجديدة .

ثم روى استشهاد سيدة نبيلة اسمها حبصة من نسل حيّان بن حيّان الكبير الذي عني بنشر النصرانية في نجران وسائر بلاد اليمن ، فان هذه الفاضلة ساءها ان تحرم صحبة الشهيدات ، فضرعت الى الله ليجعلها أهلاً للسير على غرارهن ، وفي الغد خرجت الى السوق مجاهرة بنصرانيتها ومعها امرأتان عجوز وشابة اسماهما حيّة ، وبعد ان استنطقهن مسروق وجهرن بحماسة عظيمة بايمانهن بالسيد المسيح أمر فربطت سيقانهن بأفخاذهن وحُطمت بالركاس كالجمال بشدة قصوى حتى سمع صوت عظامهن التي كانت تتخلع ، ومفاصلهن التي كانت تنفصل بعضها من بعض ، ثم خُطمن في وجوههن حتى ضقن عن الكلام ، وجلدوهن على ظهورهن وكان قضاتهن يسخرون منهن قائلين : أتطعن أمر الملك أم تطيب لكن هذه الميتات ؟ فكن وقد تعذر عليهن الكلام يُشرن بأيديهن أن الموت أحب اليهن ، وقضت حيّة العجوز فوراً ثم ربطت حبصة وحيّة الفتاة بجملين من الإبل الصعاب فجراهما وراءهما حتى فاظتا .

قال المؤلف : نقل لنا هذا الخبر ، الشريف افعو عديل الشهيدة حبصه اي زوج اختها التي شاهدناها وحادثناها ، وأردف افعو قوله أنه خرج وغيره وراء الجملين فوجد جثمان حيّه ساقطاً بعد اثني عشر ميلاً ، وجثمان حبصة بعد خمسة عشر ميلاً ، وقد برك الجمل في الارض ، فأخذوا الجثمان وجزوا شعر الشهيدتين تبركاً به ودفنوهما .

ثم ذكر شهادة الشريفة رومي[1] بنت ازمع وابنتها امّة وحفيدتها رومي ، قال بعدما نكل الطاغية بالشهيدات الثلاث جلداً وضرباً بالعصي الغلاظ ، وجرآء

(١) وتسمى أيضاً روم .

جاء دور السيدة رومي نسيبة الشيخ الشهيد الحارث فأرسل اليها من يحرضها على التهود ليزوجها رجلاً من أعيان اصحابه ، فأعلنت بحماس لا مزيد عليه انها مستمسكة بدينها المبين ، وليس لها هوى في الرجال ولو كان مسروق نفسه ، ثم رسمت الصليب على وجهها ووجهي ابنتها وحفيدتها وصلّت وخرجت وقد احاط بها نساء يُبدعنَ ما أسدت اليهن من الأفضال فقالت لهن : لا تبكين علينا فاننا في سبيل ربنا نموت ، ولكن ابكين على كل من أنكر أو ينكر ربنا ، وما أحسنت اليكن من مالي لكن من مال الله ذلك انه أغدق علي الذهب والفضة وحاطني بعبيد وإماء وقدر عظيم ، فلله جلّ ثناؤه احمدْنَ وآزِرْنني بدعواتكن وعلى الدين المسيحي فاثبتن ، وبعد جدال عنيف قام بينها وبين الملك الغاشم ذبح حفيدتها وابنتها ثم حزّ رأسها .

ثم سرد المؤلف شهادة نساء نجرانيات أخريات ومئة واثنتين وعشرين امرأة مسيحية من نجران نفسها ، معظمهن تحمل أطفالهن .

ويعقب هذا نقصان كثير في النسخة يتناول ثمانية عشر فصلاً مرت بك عناوينها ، وخلاصتها ان خلقاً آخرين من نجران استشهدوا وضاعت أسماؤهم ، وان مسروق كتب الى المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة يحرضه على قتل النصارى ، واستشهدت نجرانيـة تسمى محسا ، وخلق من أهل حضرموت ومراب وهجرين وأربع نساء اسماؤهن ادعا ، وتوملكي ، وربيا ، وحيّا ، وأحرقت بيعة حضرموت ، واعتقلت سيدتان ورجلان من نجران فأخلي الأحباش سبيلهم اذ سار الشريف أمية الى الحبشة وأخبر اوبروبيوس مطرانها وكالب ملكها بمظالم مسروق فقدم الملك بجيوشه لتدويخ البلاد ، ودوّن المؤلف نص الخطاب الذي فاه به القائد الحبشي أمام الجيش وخطاب الملك لهم بعد النصر الذي أحرزوه في البلاد ، ثم يأتي الفصل الرابع والأربعون وما بعده وموضوعه قصة المعترفين الذين أطلق سبيلهم ، ولما اجتاز الجيش بقية مدن المملكة وتناولوها نهباً وقتلاً ، نجا المسيحيون

من سيوف الأحباش بعلامة صليب كانوا يَسِمون بها أيديهم وكذلك فعل اليهود ، ثم أقبل على الملك كالب قوم من المسيحيين الذين كانوا أنكروا دينهم خوفاً ، فقبلهم وسلَّم أمرهم الى الكهنة ليتوبوا على أيديهم ، وملَّك على البلاد رجلاً من زعماء الحميريين وبيت الملك تنصَّر واعتمد ، وخطب كالب في التائبين وحثهم على الثبات معلناً انه انما قبلهم بمشورة اوبروبيوس اسقف الحبشة الذي أفتى ان تكون مدة توبتهم سنة ، وبعد ان أقام الملك كالب وعساكره في البلاد زهاء سبعة أشهر وبنى فيها عدة بيع وأقام فيها كهنة ممن كان معه ، وفرض الجزية على البلاد وترك فيها خلقاً من الحبشة لحراسة ملك حمير الجديد ، واصطحب معه جالية كبرى من الحميريين الضالين منهم خمسون رجلاً من أكابر البلاد وبيت الملك ، انقلب الى بلاده .

وختم المؤلف كتابه ببيان مسهب من الكتاب العزيز مثبتاً ان الله سبحانه لم يغفل شعبه كما انه لم يهمل أمر الأنبياء والآباء الصالحين .

الفصل السادس

في اسماء الشهداء العربية

معظم اسماء الشهداء الحميريين عربية وهي : ثلاثة وستون للرجال وستة واربعون للنساء ومجموعها مئة وتسعة اسماء :

الحارث ، حُمامة ، عمر ، تميم ، ادّ ، جبر[1] ، ثعلبة ، غنم[2] ، عبد الله ، ضَبّ[3] ، طربان[4] ، ابو عفر ، ابن حُزيقة ، نعمان ، سَعد ، عَوف ، مُعاوية ، قعبان ، ذُهل ، ذيب ، سُلَيْم ، سَلَمة ، اسد ، عربي ، سمره ، كُريب ، عبد ، هُبيرة ، مَلِك ، جدْان ، هبّ ، يزيد ، جرير ، تِيم ، نَوْف ، ازفر ، ازرق ، ابرق ، قَيس ، حبيب ، عامر ، خليل ، عقد ، بِشْر ، هاني ، وائل[5] ، نمره ، آوس ، ربيعة ،

(١) جبر أو جابر أو جبار (٢) غنم أو غنّام (٣) كان هذا قاضياً مضطهداً للمسيحيين ثم تنصر واستشهد (٤) أوظربان (٥) أو وائلة

علا ، سرهب ، علاو ، كهف ، جُلدي ، ذؤاب ، كرب ، مُرثد ، مُليك ، حنَّة ، حِطّان اَسوَد [١] ، الحارثة ، علا ٠

وهذه اسماء الشهيدات :

هُمامة [٢] ، رُهْم [٣] ، تملوك [٤] ، آمَّا ، جبرة ، أمَّة ، حيّة ، حبَّة ، ودّة ، سلمى ، ابلة ، عصّة ، معنة [٥] ، طيبة ، حمدة ، عودا ، امّ يسْر ، طبّة [٦] ، حبيبة ، عوصة ، درّة ، عمّا [٧] ، حبّاب ، هِند ، اسما ، ام عمر ، ماوية ، جُديدا [٨] ، حسنة ، كبشة ، ردّة ، نملة ، مُحمَّدة ، ميّة ، ضبّة ، أم جبلة ، فاطمة ، ام سلسلة ، حبصة ، ام أقطم [٩] ، سليمة ، ارقش ، جَوشَن ، حَذْية [١٠] ، ظُربية ، دبية ٠

وأما الأسماء العبرانية واليونانية واللاتينية ، كابراهيم ، وداود ، وسالومي ، ومرجيس ، ومارية فهي قليلة جداً ٠

الفصل السابع

في فوائد هذا الكتاب

يطلع هذا الكتاب على الأبحاث التاريخية من وجهتيها الدينية والسياسية ، بأضواء حقائق لا عهد لها بها حتى اليوم ، ويظهر لك هذا اذا عارضت المصادر التاريخية التي بحثت في هذا الباب وخصوصاً في حملة الحبشة على اليمن ، وهذه المصادر ، صنفان : كنسيّة وعالميّة ، أما الكنسية فهي قصص للحارث الشهيد يونانية وحبشية وارمنية ولاتينية ، ورسالة سريانية كتبها مار شمعون اسقف بيت ارشم السرياني سنة ٥٢٥ [١١] ، وأجلها التاريخ السرياني المنسوب الى زكريا

(١) او سوار وفي الأصل ; asouar (٢) او همّة (٣) روهم ، روهيمة
(٤) تُعلكي (٥) معان وممن اسما رجل (٦) أو طيبة (٧) أو عمّي
(٨) جَديدة أو جُديدة (٩) أو أمّ اقدم (١٠) أوهديّة (١١) انظر ترجمته في كتابنا اللؤلؤ المنثور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية المطبوع في حمص سنة ١٩٤٣م ٠ ص ٢٥١

اسقف مدللي [1]، ونشيد كنسي سرياني وضعه يوحنا بساطلس (المرتل) رئيس دير قنسرين المتوفى سنة ٦٠٠ م [2] . وأما العالمية فهي كتاب الحرب الفارسية لبروكوبيوس فصل ١٩ ـ ٢٠ ، والتيبوغرافيا المسيحية للرحالة قزما سنة ٥٣٥ ، وسيرة الرسول لابن هشام ص ٢٠ ـ ٢٦ ، وتاريخ الطبري مج ١ ص ٩٠٧ ـ ٩٣٠

فانك في معارضة هذه المصادر بعضها ببعض تجد فيها تناقضاً بيّناً وترى ان بعض كتّابها رأوا في الحملة الحبشية مغالبة البيزنطيين للفرس ومنافسة بين النصرانية وبين اليهودية ، وان المصادر الاسلامية نسجت عليها شبكةً من الخيالات . ويزول التباس كثير من هذه الروايات بما أورده مؤلف هذا الكتاب المنطبق على رسالة شمعون الارشمي وكلاهما معاصر للأحداث ، وهذه أولى الفوائد .

والثانية : اشتماله على اسماء شهداء وشهيدات عربية ، يعلم منها من يتسمّى بها من مسيحيي سورية ولبنان والعراق ومصر وفلسطين ، ان شهداء قديسين تسموا بها ، فيزدادون لها اعتباراً وبها افتخاراً .

ومسك الختام انه ينطبق أيضاً على ما ورد في القرآن الكريم ، في سورة البروج من خبر الشهداء ، وهو :

« ١ والسماءِ ذاتِ البُروج ٢ واليومِ الموعود ٣ وشاهدٍ ومشهود ٤ قُتِلَ أصحابُ الأُخدود النارِ ذاتِ الوَقود ٥ إذ هم عليها قعود ٦ وهم على ما يفعلون بالمؤمنينَ شهود ٧ وما نقَموا منهم إلا أن يؤمنوا باللهِ العزيزِ الحميد ٨ الذي له مُلكُ السمواتِ والأرض واللهُ على كلِّ شيءٍ شهيد » اه .

(حمص) اغناطيوس افرام الاول برصوم



(١) انظر ترجمته في كتابنا اللؤلؤ المنثور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية المطبوع في حمص ص ٢٥٦ (٢) فيه ص ٢٧٠

كنوز الأجداد (١)

- ٧ -

بديع الزمان الهمذاني

(٣٨٠)

ابو الفضل احمد بن الحسين

نسب الى همذان وسكن غزنة زمناً وتخرج بأبي الحسين احمد بن فارس وأخذ عن غيره وخص بحافظة عجيبة «كان ينشد الشعر لم يسمعه قط وهو أكثر من خمسين بيتاً الا مرة واحدة فيحفظها كلها ويؤديها من أولها الى آخرها لا يخرم حرفاً وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهزها عن ظهر قلبه هزاً ويسردها سرداً . وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها وكان يقترح عليه عمل قصيدة وانشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة . وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخره ثم هلم جراً الى أوله ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من انشائه فيقرأ من النظم والنثر ويروي من النثر والنظم ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله اسرع من الطرف ، على ريق لم يبلعه ونفس لا يقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض البديهة ، ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد للفم ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع » .

(١) نشرنا في المجلد الثاني والعشرين تسع عشرة ترجمة من كنوز الأجداد

قال فيه مترجموه انه كان « متعصباً لأهل الحديث والسنة ما أخرجت همذان بعده مثله » وأوصى « أن يتولى الصلاة عليه أهل الحديث وأهل السنة » وهو جماعي يصرح بمذهبه « وينعى على من ينالون من الشيخين ويقول ولا كل سيرة عدل العمرين ، ومما قال في انتشار الرفض : وهذه الكوفة مما اختط امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما ظهر الرفض بها دفعة ولا وقع الالحاد فيها وقعة ، انما كان أوله النياحة على الحسين بن علي رضي الله عنهما وذلك ما لم ينكره الأنام ، ثم تناولوا معاوية فأنكر قوم وتساهل آخرون ، فتدحرجوا الى عثمان فنفرت الطباع ، ونبت الاسماع ، وكان القراع والوقاع ، حتى مضى ذلك القرن وخلف من بعدهم خلف لم يحفظوا حدود هذا الأمر فارتقى الشتم الى يفاع وتناول الشيخين رضي الله عنهما » .

كان الهمذاني عربياً مجاهراً بعربيته في أرض فارسية كما كان صريحاً في نحلته في بلاد فيها جماع الأهواء . كتب الى الشيخ الرئيس ابي عامر « نحن أطال الله بقاء الشيخ اذا تكلمنا في فضل العرب على العجم وعلى سائر الأمم أردنا بالفضل ما أحاطت به الجلود ، ولم ننكر ان تكون أمة أحسنَ من العرب ملابس ، وأنعم منها مطاعم ، وأكثر ذخائر ، وأبسط ممالك ، وأعمر مساكن ، ولكنا نقول : العرب اوفى واوفر ، وارقى واوقر ، وانكى وانكر ، وأعلى وأعلم ، واحلى وأحلم ، واقوى واقوم ، وابلى وابلغ ، واشجى واشجع ، وأسمى واسمع ، واعطى واعطف ، والطى والطف ، واحصى واحصف ، وانقى وآنق ، ولا ينكر ذلك الا وقح وَتِح ، ولا يجحده الا نَغِل نغِر . وانما قدم الله تعالى ملك العجم ليحتج عليها وانما أخر ملك العرب ليحتج بها وما ملكت العجم حتى تواصلت ، وما ملكت العرب الا حين تصاولت ، وما تواصلت العجم الا يأساً من نفوسها ، ولا تصاولت العرب الا لما في رؤوسها ... »

بَرَّزَ الهمذاني في الشعر والنثر . ونثره ذو طابع خاص يهتز اهتزاز الغصن

الوريف ، وتسمع له جميل الحفيف والأفيف ، وحفيفه منبعث من نفسه ورفيفه صادر عن قوى في حسه ، وقلّ في الكتاب من أحدث له طريقة كطريقته ، وأملى بها صورته وجسّم صوته ونعرَته ، وان كتب لك ان تتدبره تدرك في يسر وسهولة ما وصلت اليه الأخلاق في عصره وما حدث من متاعب ومعضلات في البقاع النائية من أرض الشرق وكأن ما كتب في رسائله لوحة نقشت عليها ما كان في زمنه من التزاويق والتهاويل ومن التعمية والتخليط ، فهو يعطيك ما يهمك من الأخبار مما قد تضن به عليك كتب التاريخ والسير . ويرضيك لأنه كان بعيداً عن التقية لا يهاب شيئاً عند ارادته بث شعوره وأفكاره ، صانع بعض الأمراء ، لاعتقاده ان من يخاشنهم يُضرب ويُنكب ، وبالتقرب منهم يجمع من نوالهم وجوائزهم ما يعتقد به العقد وتسجل له به صكاك الضياع ، وهكذا كانت طريقة الناس في عصره وشعراؤه وكتابه هم ألسنته الناطقة الصداحة .

يتجلى روح الشباب في رسائل ابي الفضل تجلي أغراض اهل زمنه وأغراضه هو ، وللشباب وثبات لا يساويهم فيها الشيوخ ولو تكلفوا لها وحشدوا ، ولو اصطنع الشاب وقار الشيوخ والشيخ حماسة الفتيان لظهر للناس أمرهما وانكشفت للمدقق خبيئة نفسها . وفي كتابة الشباب مطامع وآمال وفي كتابة الشيوخ حكمة وأناة . وفي الأولى ابتسامات وتفاؤل وفي الثانية انقباض وتشاؤم .

وفي المناظرة التي جرت بين الهمذاني وأبي بكر الخوارزمي بمشهد من القضاة والفقهاء والأشراف وغيرهم وما ظهر من آثار بديهة ابي الفضل ودهشة ابي بكر وسرعة خاطر الأول ورزانة الثاني ما أطمع فيه خصمه فنبذه وجعله وراءه في قرض القريض وتحبير الخطب دليل على ان سكرة الشباب احياناً أفضل من وقار الشيوخ . هذا والخوارزمي علم من أعلام الأدب عظيم في عصره ولكنه شيخ برد دمه أو كاد وصاحبه شاب كله حيوية .

ومع كثرة ماوقع بين المتناظرين ترفع الهمذاني عن الشماتة بخصمه وقت مرضه ووقت موته فقد هنأوه بمرض الخوارزمي فأجاب جواباً دلّ على عظم نفسه وقال : « فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها على نفسه ، ولا يعدمها في جنسه . والشامت ان افلت فليس يفوت ، وان لم يمت فسيموت ، وما أقبح الشماتة بمن أمن الاماتة ، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ، والدهر غرثان طعمه الخيار ، وظمآن شربه الأحرار ، فهل يشمت المرء بأنياب آكله ، أم يسرُّ العاقل بسلاح قاتله ، وهذا الفاضل شفاه الله ، وان ظاهر بالعداوة قليلاً ، فقد باطناه وداً جميلاً ، والحرُّ عند الحمية لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد ، فلا تتصور حالي الا بصورتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضته ، ووقاه الله المكروه ووقاني سماع السوء فيه بحوله ولطفه » ومعنى هذا ان الهمذاني وان ألهب للخوارزمي نار هجاء ونال منه وهو مغتاظ منه فأسقطه في بديهته وشعره ونثره لم تجد الشماتة بمرضه الى قلمه سبيلاً وأبى ان يكون من النذالة وسفساف الخلق ما قد يكون على مثله بعض المتباغضين المتلاعنين والمتنافسين المختصمين .

أملى الهمذاني اربعمائة مقامة ماعُرف الا بعضها ، فهو واضع طريقة المقامات وان قالوا انه نقلها من غيره ، وغيره لم تؤثر له ولا مقامة . ومع ان مقاماته نسق واحد في صنعتها يتحدث بها عن عيسى بن هشام وينسبها الى بطلها ابي الفتح الاسكندري فان مقاماته على طرافتها كانت دون رسائله في الابانة عن حالة العصر

وهذا الضرب من الأدب لم يُفلح كثيراً عند العرب وهو نوع من القصة المخنوقة تبتدئ وتنتهي على نسق واحد لا يقصد بها التعليم أكثر مما يقصد بها بهرجة الألفاظ والاستكثار من زخارف البديع والترصيع والتجنيس ولا يقال فيها الا انها ابنة التطبع لا الطبع . ومقاماته ورسائله تُشعرك بسمة محفوظة في المنظوم والمنثور ومعظم ما وعت حافظته من متن اللغة وآدابها .

ونثره متساوق متناسب ، موجز الفقرات بادي القسمات تكاد تحمل كل فقرة منه معنى بذاته كقوله : هذا سوس لا يقع الا في صوف الأيتام ، وجراد لا يسقط الا على الزرع الحرام ، ولص لا ينقب الا خزانة الأوقاف ، وكردي لا يغير الا على الضعاف ، وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ، ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العهود والشهود .

ولو ادعى مدع ان الكتابة ما ختمت بابن العميد كما قالوا بل بالهمذاني لكان حقاً ومذهباً . الهمذاني لا يستغني شادٍ في الأدب عن الأخذ عنه ومثل ابن العميد كثار غير قلائل ، وبعضهم أكتب منه وأشعر ، أخملهم تخلف الدنيا عنهم وللشهرة أسباب قد تخطئ أعظم مستحق لها .

* * *

بقي أن نلمع الى مكانة بديع الزمان في الجد ومكانته في الهزل ولا أحسن في الدلالة على ذلك من نقل نموذجين جميلين في هذين الموضوعين فانه في المقامة المضيرية كان من وراء الغاية في هزله كما جوّد كل التجويد في رسالته الى وزير محمود بن سبكتكين .

واليك المقامة المضيرية بنصها الرائق : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت بالبصرة ومعي ابو الفتح الاسكندري رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعه وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت الينا مَضيرة تثني على الحضارة ، وتترجرج في الغضارة ، وتؤذن بالسلامة ، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة ، في قصعة يزل عنها الطرف ، ويموج فيها الظرف ، فلما أخذت من الخُوان مكانها ، ومن القلوب أوطانها ، قام ابو الفتح الاسكندري يلعنها وصاحبها ، ويمقتها وآكلها ، ويثلبها وطابخها ، وظنناه يمزح فاذا الأمر بالضد ، واذا المزاح عين الجد ، وتنحى عن الخوان ، وترك مساعدة الاخوان ، ورفعناها فارتفعت معها القلوب ، وسافرت خلفها العيون ، وتحلبت لها الأفواه ، وتلمظت لها الشفاه ، واتقدت لها الأكباد ،

ومضى في إثرها الفؤاد ، ولكنا ساعدناه على هجرها ، وسألناه عن أمرها فقال : قصتي معها أطول من مصيبتي فيها ، ولو حدثتكم بها لم آمن المقت ، واضاعة الوقت . قلنا : هاتِ . قال : دعاني بعض التجار الى مضيرة وأنا ببغداذ ولزمني ملازمة الغريم ، والكلب لأصحاب الرقيم ، الى ان أجبته اليها وقمنا ، فجعل طول الطريق يثني على زوجته ، ويفديها بمهجته ، ويصف حذقها في صنعتها ، وتأنقها في طبخها . ويقول : يا مولاي لو رأيتها ، والخرقة في وسطها ، وهي تدور في الدور ، من التنور الى القدور ، ومن القدور الى التنور ، تنفث بفيها النار ، وتدق بيديها الأبزار ، ولو رأيت الدخان وقد غبّر في ذلك الوجه الجميل ، وأثر في ذلك الخد الصقيل ، لرأيت منظراً تحار فيه العيون ، وأنا اعشقها لأنها تعشقني ، ومن سعادة المرء ان يرزق المساعدة من حليلته ، وان يسعد بظعينته ، ولا سيما اذا كانت من طينته ، وهي ابنة عمي لحًّا ، طينتها طينتي ، ومدينتها مدينتي ، وعمومتها عمومتي ، وأرومتها ارومتي ، لكنها أوسع مني خُلقاً ، وأحسن خَلقاً . وصدعني بصفات زوجته ، حتى انتهينا الى محلته . ثم قال : يا مولاي ترى هذه المحلة هي أشرف محال بغداذ يتنافس الأخيار في نزولها ، ويتغاير الكبار في حلولها ، ثم لا يسكنها غير التجار ، وانما المرء بالجار ، وداري في السطة من قلادتها ، والنقطة من دائرتها ، كم تقدر يا مولاي أنفق على كل دار منها ، قله تخميناً ان لم تعرفه يقيناً ، قلت : الكثير ، فقال يا سبحان الله ما اكبر هذا الغلط ، تقول الكثير فقط . وتنفس الصُعَداء وقال : سبحان من يعلم الاشياء ، وانتهينا الى باب داره ، فقال : هذه داري ، كم تقدر يا مولاي انفقت على هذه الطاقة ، انفقت والله عليها فوق الطاقة ، ووراء الفاقة . كيف ترى صنعها وشكلها أرأيت بالله مثلها ، انظر الى دقائق الصنعة فيها ، وتأمل حسن تعريجها فكأنما خط بالبركار . وانظر الى حذق النجار في صنعة هذا الباب ، اتخذه من كم . قل : ومن أين اعلم . هو ساج من قطعة واحدة لا مأروضٌ ولا عفن . اذا حرّك أنّ ، واذا نقر طنّ ، من اتخذه باسيدي ؟ اتخذه ابو اسحق بن

محمد البصري ، وهو والله رجل نظيف الاثواب ، بصير بصنعة الابواب ، خفيف اليد في العمل ، لله در ذلك الرجل ، بحياتي لا استعنت الا به على مثله ، وهذه الحلقة التي تراها اشتريتها من سوق الطرائف من عمران الطرائفي بثلاثة دنانير معزّية ، وكم فيها ياسيدي من الشبه ، فيها ستة ارطال وهي تدور بلولب في الباب ، بالله دوّرها ، ثم انقرها وابصُرها ، وبحياتي عليك لا اشتريت الحلق الا منه ، فليس يبيع الا الاعلاق . ثم قرع الباب ودخلنا الدهليز وقال : عمرك الله يا دار ، ولا خرّبك يا جدار ، فما أمتن حيطانك ، وأوثق بنيانك ، واقوى أساسك ، تأمل بالله معارجها ، وتبين مداخلها وخوارجها ، وسلني كيف حصّلتها ، وكم من حيلة احتلتها ، حتى عقدتها . كان لي جار يُكنى أبا سليمان يسكن هذه المحلة وله من المال ما لا يسعه الخزن ، ومن الصامت ما لا يحصره الوزن . مات رحمه الله وخلّف خلفاً أتلفه بين الخمر والزمر ، ومزقه بين النرد والقمر ، واشفقت ان يسوقه قائد الاضطرار ، الى بيع الدار ، فيبيعها في أثناء الضجر ، او يجعلها عرضة للخطر ، ثم أراها وقد فاتني شراها ، فأتقطع عليها حسرات ، الى يوم الممات ، فعمدت الى أثواب لا تنضُّ تجارتها فحملتها اليه ، وعرضتها عليه ، وساومته على ان يشتريها نسية ، والمدبر يحسب النسية عطية ، والمتخلف يعتدها هدية ، وسألته وثيقة بأصل المال ففعل وعقدها لي ، ثم تغافلت عن اقتضائه ، حتى كادت حاشية حاله ترق ، فأتيته فاقتضيته ، واستمهلني فأنظرته ، والتمس غيرها من الثياب فأحضرته ، وسألته ان يجعل داره رهينة لديّ ، ووثيقة في يديّ ففعل ، ثم درجته بالمعاملات الى بيعها حتى حصلت لي بجَدّ صاعد ، وبخت مساعد ، وقوة ساعد ، ورب ساع لقاعد ، وانا بحمد الله مجدود ، وفي مثل هذه الأحوال محمود ، وحسبك يامولاي اني كنت منذ ليال نائماً في البيت مع من فيه إذ قُرع علينا الباب فقلت : من الطارق المنتاب ، فاذا امرأة معها عقد لآل ، في جلدة ماء ورقة آل ، تعرضه للبيع فأخذته منها إخذة خلس ،

واشتريته بثمن بخس ، وسيكون له نفع ظاهر ، وربح وافر ، بعون الله تعالى ودولتك ، وانما حدثتك بهذا الحديث لتعلم سعادة جدي في التجارة ، والسعادة تنبط الماء من الحجارة ، الله أكبر لا ينبئك أصدق من نفسك ، ولا أقرب من أمسك ، اشتريت هذا الحصير في المناداة ، وقد أُخرج من دور آل الفرات ، وقت المصادرات وزمن المخاطرات . وكنت أطلب مثله منذ الزمن الأطول فلا أجد ، والدهر حبلى ليس يُدرى ما يلد . ثم اتفق اني حضرت باب الطاق ، وهذا يعرض في الأسواق ، فوزنت به كذا وكذا ديناراً ، تأمل بالله دقته ولينه وصنعته ولونه فهو عظيم القدر ، ولا يقع مثله الا في الندر ، واذا كنت سمعت بأبي عمران الحصيري فهو عمله وله ابن يخلفه الآن في حانوته ، لا يوجد أعلاق الحصر الا عنده ، فبحياتي لا اشتريت الحصر الا من دكانه ، فالمؤمن ناصح لإخوانه ، لا سيما من تحرم بخوانه .

ونعود الى حديث المضيرة ، فقد حان وقت الظهيرة . ياغلام الطست والماء . فقلت الله أكبر ربما قرب الفرج ، وسهل المخرج ، وتقدم الغلام ، فقال : ترى هذا الغلام ، انه رومي الأصل عراقي النشء ، تقدم يا غلام واحسر عن رأسك وشمر عن ساقك ، وانض عن ذراعك ، وافتر عن اسنانك ، وأقبل وأدبر ، ففعل الغلام ذلك . وقال التاجر : بالله من اشتراه ؟ اشتراه والله ابو العباس من النخاس ، ضع الطست وهات الابريق ، فوضعه الغلام واخذه التاجر وقلبه وأدار فيه النظر ثم نقره فقال : انظر الى هذا الشبه كأنه جذوة اللهب ، او قطعة من الذهب : شبه الشام ، وصنعة العراق ، ليس من خلقان الأعلاق ، قد عرف دور الملوك ودارها . تأمل حسنه وسلني متى اشتريته ؟ اشتريته والله عام المجاعة ، وادخرته لهذه الساعة ، يا غلام الابريق ، فقدمه ، وأخذه التاجر فقلّبه . ثم قال : وانبوبه منه . لا يصلح هذا الابريق الا لهذا الطست ، ولا يصلح هذا الطست الا مع هذا الدست ، ولا يحسن هذا الدست الا في هذا البيت ، ولا يجمل

هذا البيت الا مع هذا الضيف ، ارسل الماء يا غلام ، فقد حان وقت الطعام . بالله ترى هذا الماء ما أصفاه أزرق كعين السنور ، وصاف كقضيب البلور ، استقي من الفرات ، واستعمل بعد البيات ، فجاء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة ، وليس الشأن في السقاء ، الشأن في الاناء ، لا يدلك على نظافة اسبابه ، أصدق من نظافة شرابه ، وهذا المنديل سلني عن قصته ، فهو نسيج جرجان ، وعمل أرّجان ، وقع اليّ فاشتريته فاتخذت امرأتي بعضه سراويلاً ، واتخذت بعضه منديلاً ، دخل في سراويلها عشرون ذراعاً ، وانتزعت من يدها هذا القدر انتزاعاً ، وأسلمته الى المطرّز حتى صنعه كما تراه وطرزه ، ثم رددته من السوق ، وخزنته في الصُّندُوق ، وادخرته للظراف ، من الأضياف ، لم تبتذله عرب العامة بأيديها ، ولا النساء لمآقيها ، فلكل علق يوم ، ولكل آلة قوم ، يا غلام الخوان ، فقد طال الزمان ، والقصاع فقد طال المصاع ، والطعام ، فقد كثر الكلام ، فأتى الغلام بالخوان ، وقلبه التاجر على المكان ، ونقره بالبنان ، وعجمه بالأسنان ، وقال : عمَّر الله بغداذ فما اجود متاعها ، وأظرف صُنَّاعها ، تأمل بالله هذا الخوان ، وانظر الى عرض متنه ، وخفة وزنه ، وصلابة عوده وحسن شكله ، فقلت : هذا الشكل ، فمتى الأكل ؟ فقال : الآن ، عجّل يا غلام الطعام ، لكن الخوان قوائمه منه . قال ابو الفتح : فجاشت نفسي وقلت : قد بقي الخبز وآلاته ، والخبز وصفاته ، والحنطة من أين اشتُريت اصلاً ، وكيف اكترى لها حَملاً ، وفي أي رحى طحن ، واجانة عجن ، وأيّ تنور سجر ، وخباز استأجر ، وبقي الحطب من اين احتطب ، ومتى جلب ، وكيف صفف ، ومتى جفف ، وحبس حتى يبس ، وبقي الخباز ووصفه ، والتلميذ ونعته ، والدقيق ومدحه ، والخمير وشرحه ، والملح وملاحته ، وبقيت السُّكُرُّجات من اتخذها ، وكيف انتقدها ، ومن استعملها ، ومن عملها ، والخل كيف انتقي عنبه ، او اشتُري رطبه ، وكيف صُهرجت معصرته ، واستخلص لبه ، وكيف قيّر حُبُّه ، وكم يساوي دنه ، وبقي البقل كيف

احتيل له حتى قطف ، وفي أي مبقلة رُصف ، و كيف تُوُنِّق حتى نظف ، وبقيت المضيرة كيف اشترى لحمها ، ووفِّيَ شحمها ، ونصبت قدرها ، وأججت نارها ، ودقت أبزارها ، حتى أجيد طبخها وعقِّد مرقها ، وهذا خطب يطمُّ ، وأمر لا يتم ، فقمت ، فقال : أين تريد : فقلت حاجة أقضيها . فقال : يا مولاي تريد كنيفاً يزري بربيعي الأمير وخريفي الوزير . قد جصص اعلاه ، وصُهرج أسفله ، وسُطّح سقفه وفرشت بالمرمر أرضه ، يزل عن حائطه الذرّ فلا يعلق ، ويمشي على ارضه الذباب فيزلق ، عليه باب غير انه من خليطي ساج وعاج ، مزدوجين احسن ازدواج ، يتمنى الضيف ان يأكل فيه ، فقلت : كل أنت من هذا الجراب ، لم يكن الكنيف في الحساب ، وخرجت نحو الباب ، وأسرعت في الذهاب ، وجعلت أعدو وهو يتبعني ويصيح : يا أبا الفتح المضيرة ، وظن الصبيان ان المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه ، فرميت احدهم بحجر ، من فرط الضجر ، فلقي رجل الحجر بعمامته ، فغاص في هامته ، فأُخذتُ من النعال بما قَدُم وحَدُث ، ومن الصفع بما طاب وخبث ، وحشرت الى الحبس ، فأقمت عامين في ذلك النحس . فنذرت ان لا آكل مضيرة ما عشت . فهل أنا في ذا يا آل همذان ظالم ؟ قال عيسى بن هشام : فقبلنا عذره ، ونذرنا نذره ، وقلنا قديماً جنت المضيرة على الأحرار ، وقدمت الأرذال على الأخيار . اهـ .

* * *

وهذه رسالته التي تدل على مبلغه من الجد كتب بها الى الفضل بن احمد الاسفرائيني وهو اول من استوزر لأبي القاسم محمود بن سبكتكين فاتح السند والهند :

ان الله وهو العلي العظيم المعطي ما شاء ، مَنَّ على الانسان ، بهذا اللسان ، خلق ابن آدم وأودع فكيه مضغة لحم يَصرفها في القرون الماضية ، ويُخبر بها عن الأمم الآتية . يخبر بها عما كان بعد ما خُلق وعما يكون قبل ان يخلق ، ينطق بالتواريخ عما وقع من خطب وجرى من حرب ، وكان من يابس ورطب

وينطق بالوحي عما سيكون بعد ، وصدق عن الله بالوعد ، ولم ينطق التاريخ بما كان ، ولا الوحي بما يكون بأن الله تعالى خص احداً من عباده ليس النبيين بما خص به الأمير السيد يمين الدولة وأمين الملة . ودون الجاحد ان يجحد أخبار الدولة العباسية ، والمدة المروانية ، والسنين الحربية ، والبيعة الهاشمية ، والأيام الأموية ، والامارة العَدَوية ، والخلافة التيمية ، وعهد الرسالة وزمان الفترة . ولولا الاطالة لعَدَدنا الى عاد وثمود بطناً بطناً ، والى نوح وآدم قرناً قرناً ، ثم لم يجد قائل مقالاً ان ملكاً وان علا امره ، وعظم قدره وكبر سلطانه وهبت ريحه طَرَق الهند فأسر طاغيتها بسطة مُلك ثم خلاّه ، وعرض الأرض قوةَ قلب وصبّح سجستان وهي المدينة العذراء ، والخطة العوراء ، والطيّة الغراء ، فأخذ ملكها إخذة عزٍ وعُنف ، ثم خلاه تخلية فضل ولُطف ، ثم لم يلبث ان خاض البحر الى بهاضية والسيل والليل جنودها ، والشوك والشجر سلاحها ، والضّح والريح طريقها ، والبر والبحر حصارها ، والجنّ والانس أنصارها ، فقتل رجالها وغنم أموالها وساق افيالها وكسر أصنامها وهدم اعلامها . كل ذلك في فُسحة شَتوة قبل أن يتطرقها الصيف ، توسطها السيف ، وهو الله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء . ثم حكمت علماء الأمة ، واتفق قول الأئمة ان سيوف الحق أربعة وسائرها للنار : سيف رسول الله في المشركين ، وسيف ابي بكر في المرتدين ، وسيف عليّ في الباغين ، وسيف القصاص بين المسلمين . وسيوف الأمير وفقه الله في مواقفه لاتخرج عن هذه الاقسام فسيفه بظاهر هراة فيمن عطل الحد ، واتهم بانه ارتد ، وسيفه بظاهر غزنة سد في وجه العقوق ، نوعاً من الكفر والفسوق ، وسيفه بظاهر مرو في من نقض العهد بعد تغليظه ، ونبذ اليمين بعد تأكيده ، وسيفه بظاهر سجستان في من نبه الحرب بعد رقودها ، وخلع الطاعة بعد قبولها ، وسيفه الآن في ديار الهند قُرنت به الفتوح ، واثنت عليه الملائكة والروح ، وذلت به الاصنام ، وعزّ به الاسلام ، والنبي عليه السلام ، واختص بفضله الامام ، واشترك في خيره الانام ، وأرخت

بذكره الايام ، وأحفيت بشرحه الاقلام . وسنذكر من حديث الهند وبلادها ، وغلظ اكبادها ، وشدة احقادها ، وقوة اعتقادها ، وصدق جلادها ، وكثرة اجنادها نبذاً ليعلم السامع ايّ غزوة غزاها الأمير السيد ، انها بلاد لو لم تحيها السحاب بدرها ، لأهلكتها الشمس بحرها ، فهي دولة بين الماء والنار ، ونوبة بين الشمس والأمطار ، تقدّمها صعاب الجبال ، وتحجبها رحاب القفار ، ويعصمها ملتفّ الغياض ، وتحفها طواغي الأنهار حتى اذا خرقت هذه الحجب تخلص الى عدد الرمل والحصى رجالاً ، وشبه الجبال افيالاً ، وانزاع المخاض جلاداً ، ومسناف الجمال طعاناً واركان الجبال ثباتاً ثم لا يعرفون غدراً ولا بياتاً ، ولا يخافون موتاً ولا حياة ، ولا يبالون على اي جنبيه وقع الأمر ، وينامون وتحتهم الجمر ، وربما عمد احدهم لغير ضرورة داعية ولا حمية باعثة فاتخذ لرأسه من الطين اكليلاً ، ثم قوّر قحفه فحشاه فتيلا ، ثم اضرم في الفتيل ناراً ولم يتأوه ، والنار تحطمه عضواً فعضواً ، وتأكله جزءاً فجزءاً . فأما محرق نفسه ومغرقها وآكل لحمه ومفصّل عظمه والرامي بها من شاهق فأكثر من ان يعد ، وأقلهم من يموت حتف أنفه فاذا مات هذه الميتة احدهم سُبّ بها أعقابه وعظم عندهم عقابه . بلاد هذه حالها ، وفِيَلة تلك اهوالها وجبال في السماء قلالها ، وفلاة يلمع آلها ، وغياض ضيق مجالها ، وأنهار كثيرة اوحالها ، وطريق طويل مطالها ، ثم الهند ورجالها والهنداونية واستعمالها . زحم الأمير السيد ادام الله ظله هذه الأهوال بمنكبه محتسباً نفسه معتمداً نصر الله وعونه فركض اليهم بعون من الله لا يخذل ، ومدد من التوفيق لا يفتر ، وقلب من الأهوال لا يجبن ، وحث على المطلوب لا يقصر ، وسيف على الضريبة لا ينكل . فسهل الله له الصعب ، وكشف به الخطب . ورجع ثانياً من عنانه بالأسارى تنظمهم الأغلال ، والسبايا تنقلهم الجمال ، والفيلة كأنها الجبال ، والأموال بلا الرمال ، فتح ذخره الله عن الملوك السالفة الخالية ، الكفرة الطاغية ، الجبابرة العاتية ، حتى وسمه بناره ، وجعله بعض آثاره . والحمد لله معز الدين وأهله ومذلّ الشرك وحزبه وصلى الله على محمد وآله .

الخوارزمي

(٣٨٣)

ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي

أصله من طبرستان ومولده ومنشؤه خوارزم وكان يتسم بالطبري ويعرف بالخوارزمي ويلقب بالطبرخزمي وهو ابن اخت ابن جرير الطبري ، ادعى انه معتزلي وفي الواقع انه شيعي من نوع لم نعرفه وخاله الطبري شيخ السنة وعلم أعلام الأمة ، فارق وطنه في ريعان عمره وهو قوي المعرفة قويم الأدب وكان قوياً في حفظ اللغة والشعر « وكانت قريحته تقصر عن حفظه » وكان يحاضر بأخبار العرب وأيامها وروايتها ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر وشعره في جزالته لا يقل عن نثره وطلاوة نثره آتية من كثرة ما كتب في المقاصد المختلفة . ولم يزل يتقلب في البلاد ويدخل كور العراق والشام ويأخذ عن العلماء ويقتبس من الشعراء وقد لقي سيف الدولة في حلب وخدمه وورد بخارى وصحب اباعلي البلعمي ثم هجاه واتصل بالأمير ابي نصر الميكالي واستكثر من مدحه وداخل اباالحسن القزويني وابا المنصور البغوي وابا الحسن الحكمي فارتفق بهم وارتفق من الأمير احمد ومدحه ونادم كثير بن احمد ثم قصد سجستان وتمكن من واليها طاهر بن محمد ومدحه واخذ صلته ثم هجاه واوحشه حتى اطال سجنه ثم نهض الى غرشستان وكانت حاله مع صاحبها كهي مع طاهر بن شاد ثم انه عاود نيسابور وأقام بها الى ان وفق بقصد حضرة الصاحب بن عباد ومدحه فضمه الى ندمائه ووصله بعضد الدولة بشيراز فارتاش وأيسر ولم يخل الصاحب أيضاً من هجائه ثم عاد الى نيسابور واستوطنها واقتنى بها ضياعاً وعقاراً ولما عاد الى شيراز أجري له رسم يصل اليه في كل سنة بنيسابور مع المال الذي كان يحمل من فارس الى خراسان . وكان يتعصب لآل بويه تعصباً شديداً ويغض من

سلطان خراسان فأطلق لسانه فيه حتى أخذ وحبس وقيد وصودر واخذ خطه بمائتي الف درهم ثم اطلق سراحه ورد اليه ما أخذ منه فطاب عيشه وارتفع مقداره الى ان بلي بمساجلة البديع الهمذاني فانخزل انخزالاً شديداً ونفذ قضاء الله فيه ٠

هذه خلاصة ما ترجم له الثعالبي في اليتيمة وقد عرفه عياناً ، وسيرته كما رأيت سيرة الشعراء المستجدين يمدح على الهوى ويذم على الهوى ويعلو ويسفل بحسب الحال ، وكان الى ذلك لما استقرت به الحال يدرس ويُملي من محفوظاته وينظم ويكتب في الأغراض التي تنبعث لها نفسه وشعره شعر أهل الطبقة الثانية من الشعراء ويجيد في المقطعات اذا كان الموضوع مما تأثر به ، ونثره فيه البديع ، وفيه المتكلف لالتزامه السجع ٠ جاء أكثره مصنوعاً وما أجاد الا عندما صدر عن عاطفته ٠ وقد بلغ من الغلو مبلغاً قل ان وصل الى أكثر منه معظم الشعراء والكتاب فضاعت لذلك صنعته في غمار اغراقه ودل على ان فارسيته شديدة وأن إماميته كانت مشوبة بتعصب وعصبية ٠ نقل له الثعالبي طائفة من حكمه ومنها الجيد وأكثرها ظاهر التكلف وأورد له مقطعات من شعره كانت تخرجه عن اتزانه ورويته أحياناً مع أن المفروض فيه غير ذلك ٠

وخير ما خطت أنامل الخوارزمي كتابه الى جماعة الشيعة بنيسابور وقد كتبه بعاطفته ، وهل التشيع الا عاطفة وعصبية ٠ واذا قصدت الى ان تعرف مقدار الصدق في رسائله البديعة تسقط على ترهات لا يدونها في القرطاس من يأخذ نفسه للحق ٠ معظم الكتاب كالشعراء يتعذر الركون اليهم في تقرير الصدق وخاصة اذا كانوا من الموتورين واصحاب الغايات والدعوات ٠ وكم في الكتب من اختلاق ، والنقاد هم الذين يخرجون من الحديد خبثه ومن الذهب بهرجه ٠

ان من يقول «ان بني امية الشجرة الملعونة في القرآن وأتباع الطاغوث والشيطان !» وفي بني العباس : «وما اصف من قوم هم نطف السكارى في

ارحام القيان وماذا يقال في أهل بيت منهم نبغ البغا وفيهم راح التخنث وغدا وبهم عرف اللواط ! » ان يطمس الغرض على بصره ويقول « وقل في بني العباس فانك ستجد بحمد الله تعالى مقالاً ، وجل في عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا يُجبى فيئهم فيفرق على الديلمي والتركي ، ويحمل الى المغربي والفرغاني ، ويموت امام من ائمة الهدى وسيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته ولا تجصص مقبرته ، ويموت ضراط لهم او لاعب ، او مسخرة او ضارب ، فتحضر جنازته العدول والقضاة ، ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاة ، ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً او سوفسطائياً ، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً ومانوياً ، ويقتلون من عرفوه شيعياً ، ويسفكون دم من سمى ابنه علياً ...» ويقول في بني العباس انهم « يولون انباط السواد وزارتهم ، وقلف العجم والطماطم قيادتهم ، ويمنعون آل ابي طالب ميراث امهم وفيء جدهم ، يشتهي العلوي الاكلة فيحرمها ، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها ، وخراج مصر والأهواز ، وصدقات الحرمين والحجاز تصرف الى ابن ابي مريم المديني والى ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي والى زلزل الضارب وبرصوما الزامر . واقطاع بختيشوع النصراني قوت اهل بلد . وجاري بغا التركي والأفشين الاشروسني كفاية أمة ذات عدد ، والمتوكل زعموا يتسرى باثني عشر الف سرية ، والسيد من سادات اهل البيت يتعفف بزنجية اوسندية ، وصفوة مال الخراج مقصور على ارزاق الصفاعنة ، وعلى موائد المخانثة ، وعلى طعمة الكلابين ، ورسوم القرادين وعلى مخارق وعلوية المغني ، وعلى زرزر وعمر بن بانة الملهي ، ويبخلون على الفاطمي بأكلة او شربة ويصارفونه على دانق وحبة ، ويشترون العوادة بالبدر ويجرون لها ما يفي برزق عسكر ....

ان من يقول هذا ويبالغ ويذم الأمويين والعباسيين هذا الذم المقذع ويعمى عن اعمالهم الحسنة التي توازي اضعاف اضعاف ذلك ان صحت كلها مطعون في آرائه ولا يقنع عاقلاً بصحة اقواله ولكن بني العباس عرفوا على الغالب

نفسيته فطردوه عن بلدهم وحرموه عطاياهم فجال في اطراف ملكهم ينزل على ملوك الطوائف يستجديهم ويمدحهم ويهجوهم . فرسالته الى شيعته وشتم الأمويين والعباسيين جاءت من هذا السخف والناقد يرذل من افكارها اكثر ما أورده . وخير الأدب ما صدق قائله ومن دوّن الكذب وقال إنه ادب فهو مغبون الصفقة . أما شعره في هجو من غضب عليه فقد حمل مقابح وافذاعاً لا يليق صدوره عمن يصطنع الوقار والجلال أمثاله .

وبعد فهذا مثال من أدب هذا الأديب ، وهذه صورة من أخلاقه وطعمته ، وهذا وفاؤه لمن آووه وأغنوه ، وهذه مصانعته لجماعته واغواؤه لمن يضلل عقولهم . وقد أثرت له حكم بعضها جميل وأكثر معانيها مبتذلة مأخوذة عمن سبقه . ونعذر مثل الخوارزمي اذا لم يبرز في حكمه ما دام جماع حكمته في حياته ان يغنى وينعم ويغلو ويغرق ولا يعدم صاحب السخف مهما بلغ من خطئه ان يجد مستمعين لقوله وان كان كلامه الهراء .

صوّر من ترجموا للخوارزمي هذه الصورة التي نقلناها عنهم ودلتنا بعض رسائله على منازعه ولولا هذه المخزيات الملموسة في كتابته لكان بما اتقنه من علوم الآداب آية في فنه ومع انه جرى طلقاً مع عاطفته فقد كانت رسائله مما يتعلم منه وقليل في حملة الأقلام من جودوا تجويده .

تأمل هذه الظاهرة في أخلاق الخوارزمي تره على كثرة ما جنى من مال واعتقد من ضياع ممن يصعب عليهم أداء مال السلطان فما كتب الى صاحب ديوان الحضرة أنه ورد عليه من عمال الخراج من لا أطربه بحرمة ولا أتناوله بطرف ذريعة او وسيلة ، وكأني به وقد حشرني في جملة العامة ، وادخلني في غمار سائر الرعية ، ووقفني على جسر قدّامه الخسران ، وخلفه الهوان ، وفجعني بدريهمات جمعت بتقحم المهالك واختراق المسالك والمهالك ، ودنانير قطعت القفار ، وخاضت البحار ، وناطحت الحوادث والأقدار ، فان بذلتها أبرزت وفراً طالما كان مخزونا ، وان منعتها ابتذلت عرضاً لم يزل مصونا .

وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة : وان درهماً يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان قبيح الأحدوثة في البلدان ، ولئن كان يعمر به بيت المال ، فانه يخرب بيت الجمال . ولئن كان يزيد به عدد الدراهم ، انه لينقص من عدد المكارم ، ولئن كان يسمى في العامة جباية ، انه يسمى في الخاصة خزاية ، وللبس اكفان الموتى ، وسرق أدوية المرضى ، وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام ، وزوار قبر النبي عليه السلام ، احسن في الاحدوثة وابعد من العار والنقيصة من الزام مثلي خراجا ، وسومه غرامة واستخراجا » .

وكتب في حالة اخرى الى صاحب ديوان الحضرة : « ولقد خصني من بين الأزمان زمن لئيم ، ووقع في قسمي من البخوت بخت ذميم ، حيث صرت ألزم خراجاً » الى ان قال : « فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها ، ولا يخليها من سيفها وسنانها فعل » وكتب الى بعض حكام الرساتيق « وما ظن سيدي بضيعة الزمتني الجزية بعد ان كنت ألزمها الصغير والكبير ، واستأديها الرعية والأمير ، واخرجتني من عز السلاطين الى ذل الدهاقين ، وجمعت عليّ فتون الأغنياء وغم المساكين ، وشغلني صداعها عن أشغال الدنيا والدين ، يستغل الناس الغلة ، وأنا استغل القلة والذلة . ويزرعون في الأرض حباً ، فيحصدون حبوباً ، وانا ازرع في قلبي كرباً واحصد كروبا ، وقد صرت من اجلها اخدم قوماً كنت استخدمهم ، وأسلم على اناس كنت اذا كلموني لا أكلمهم ، ويحجبني من لو حضر بابي من قبل حجبته ، ويعرض عني من لو سألني فيما مضى ما اجبته . .

ومن كتاب له الى صاحب ديوان الحضرة : ولقد خصني من بين الأزمان زمن لئيم ، ووقع في قسمي من البخوت بخت ذميم ، حيث صرت الزم خراجاً التزم بنو المدبر أضعافه للبحتري ، واضايق في ضيعة وهب أمثالها محمد بن الهيثم الغنوي لأبي تمام الطائي حيث قال البحتري :

ولم لا أغالي بالضياع وقد دنا   عليّ مداها واستقام اعوجاجها
اذا كان لي تربيعها واغتلالها   وكان عليكم عشرها وخراجها

وقال ابو تمام الطائي :

فدع ذكر الضياع فبي شماس اذا ذكرت وبي عنهــا نفار
وما لي ضيعة غير المطايا وشعر لا يبــاع ولا يعار

للخوارزمي مجازفات تعجب وان حادت عن المعقول مثل قوله لأحد الحجاب لما نكبه ابن عباد : وأنت ايدك الله تعلم انك كنت من الذل في مكان يتخطاك فيه الناظر ، ويدوسك الخف والحافر ، لا يشرفك نسب ، ولا يرفعك أدب ، ولا يرجوك صديقك ولا يخافك عدوك ، عن يمينك الخمول ، وعن يسارك الذبول ، وبينهما الفقر الذي لو قسم على الأغنياء لصاروا فقراء ، والضعف الذي لو فرق على الأقوياء لعادوا ضعفاء ، تصبح في قلّ ، وتمسي في ذل ، وتروح الى انثى وتغدو الى طفل ، فأنصفك الدهر الظالم ، وانتبه لك البخت النائم ، واراد الله تعالى ان يرفع من حكتك ، ويقوّم من قنبور حدبتك الخ . وهو كلام فاض باللؤم والشماتة .

كتب الى الصاحب يعرض نفسه فقال « فان اذن الوزير في ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة ، المكنوف بجوانب الدولة والكرة ، رأى مني بحمد الله تعالى فارساً ملء العين ، كما سمع مني عالماً ملء الأذن ، فيعلم حينئذ ان اقباله خرج له تلميذاً انتظم فيه فروسية اللسان ، وفروسية السيف والسنان ، ويكر في معركة الطعان ، كما يكر في معركة البيان ، ويثبت اسمه في جريدة العلماء والفرسان » وهذا كأكثر ما أثر عنه يفيض منه البأو وتتدفق الدعوى . ومن هذا البحر قوله : « وقد علم الأمير ان والدي رحمه الله تعالى خلف علي ما لو خلفه على اهل بلد لكفاهم ، ولو فرقه على فقراء الدنيا لأغناهم . فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاتلني جهراً ، وتخاتلني سراً ، حتى خرجت منها أعرى من حية ، بعد ما كنت أكسى من بصلة ، وافقر من الحجر ، بعد ما كنت أغنى من الكعبة وأعطل من المحرم . وفي هذا أيضاً من الكذب ما لا يقبله طفل .

في رسائل الخوارزمي صورة من أخلاقه يصانع من يتوقع نفعاً منه وينحي على من يستضعفه ولا يخاف شره ، تتمثل مصانعة الكبراء من أقواله وتحكم عليه بها انه كان لوناً عجيباً من الوان عصره . اقتدر هو وأمثاله من الكتاب والشعراء ان يصوغوا هذا النفاق السمج نثراً ونظماً على مالم يصل اليه اهل القرون الثلاثة الأولى . ورسالته الى ابي الحسن المعروف بالبديهي الشاعر زعم تنبئك بانه اراد ان يعبث بمن لا يحب ، فغالى غلواً لم يبلغه أحد قبل عصره حتى ليشمئز تاليه ويضحك مما احتفل له وكد قريحته . وفي هذه الرسالة حاول ابو بكر الخوارزمي ان ينسج على منوال الجاحظ في رسالته لمحمد بن عبد الوهاب فكبا وما أتى الا بالاقذاع ، وما خرج عن السب والشتم المبتذل .

وهو الذي يقول : والشعر ينقلب مع الجو حيث كان ، ويرتاد المعروف والاحسان ، وانما هو مال سارب ، بل سيل زاعب ، اذا سد عليه طريقه خرقه في الأرض خرقاً ، وجعله لنفسه طريقاً بل طرقاً .

قدامة بن جعفر

ابو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد

(٣٣٧)

سكن ابو جعفر البصرة ثم انتقل الى بغداد ، وكان من اهل الأدب والكتابة وله مصنفات ، وتولى بعض الدواوين ، وولد ابنه قدامة في بغداد على الأرجح ، في أول الربع الأخير من القرن الثالث ، ونشأ على النصرانية دين أبيه وتثقف ثقافة اسلامية ، فأحكم اللغة والأدب والفقه والكلام والفلسفة والرياضيات وغلب عليه الأدب واللغة . ثم أسلم على يد الخليفة المكتفي وتولى في سنة ٢٩٧ بعض الأعمال في دواوين الأموال .

وسكتت الأخبار عن أصل ابي جعفر والغالب انه فارسي نزل ابوه او جدّه العراق ، وتمازج بالمسلمين وتعلم من علومهم ما يستعين به على الكتابة والتصنيف . أما ابنه فلقف علوم الملة الاسلامية شأن كثير من أذكياء العصور ومنهم ابن المقفع وعلي بن ربّن ثم امتلوا ملة الاسلام عن علم وثقافة .

يقول المسعودي ان ابا الفرج قدامة بن جعفر الكاتب كان حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجز الألفاظ ، مقرباً للمعاني ، واذا أردت علم ذلك فانظر الى كتابه في الأخبار المعروف بكتاب زهر الربيع ، وأشرف على كتابه المترْجَم بكتاب الخراج ، فانك تشاهد بهما حقيقة ما ذكرنا ، وصدق ما وصفنا» وقال ياقوت : ان قدامة ادرك زمن ثعلب والمبرد وابي سعيد السكري وابن قتيبة وطبقتهم ، والأدب يومئذ طري ، فقرأ واجتهد وبرع في صناعتي البلاغة والحساب ، ثم قرأ صدراً صالحاً من المنطق ، وهو لائح على ديباجة تصانيفه ، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر . وذكر له اسماء كتب كثيرة ألفها . وقال الخطيب البغدادي : هو من مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وكان وافر الأدب ، حسن المعرفة ، وله مصنفات في الكتابة وغيرها . وضرب الحريري المثل في مقدمة مقاماته ببلاغة قدامة فقال : وان المتصدي بعده (اي بعد البديع الهمذاني) لانشاء مقامة ، ولو أوتي بلاغة قدامة ، لا يغترف الا من فضالته .

شهادات كلها متفقة على تفرد ابي الفرج ببلاغته ، وشفوف طبعه وغزارة علمه ، عرف بذلك بين الخواص واعترف له بمزاياه النادرة جهابذة النقد ، وأئمة البلاغة وان لم يشتهر كثيراً بين العوام ، وهؤلاء لا تستفيض شهرة احد عندهم ان لم يقرب في تآليفه ودروسه من افكارهم وتصوراتهم .

وأهمّ ما لم يفقد من كتبه كتابه « نقد الشعر » دلّ فيه على نبوغ واحاطة ، ولو لم يكن من جلال الآداب بالمقام الأعلى ما ناقشه في بعض آرائه في البديع أئمة الأدب بعده امثال المرزباني في الموشح ، والعسكري في الصناعتين وابن سنان في سر البلاغة ، والآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري .

اما الكتاب الذي سموه « نقد النثر » ونسبوه اليه فهو مما لم يكتبه ، ظاهر انهم نحلوه اياه . ومن يتأمل عباراته يجدها اشبه بعبارات اهل القرن السادس والسابع ، وبلاغته موضع نظر . فقد رأيناه في مقدمة « نقد الشعر » يدخل على موضوعه مباشرة وفي مقدمة « نقد النثر » اسجاع تنادي بأن الكتابين لكاتبين مختلفين في الطريقة والاداء .

وكذلك نشك في نسبة كتاب جواهر الألفاظ الذي عزي اليه . وفي جريدة تآليفه ذكر الكتاب الألفاظ من تأليفه ، وبضعة سطور من مقدمته تحمل الناقد على إلحاق كتاب جواهر الألفاظ بكتاب نقد النثر . قال في كتاب الجواهر وهو « كتاب يشتمل على الفاظ مختلفة تدل على معان متفقة مؤتلفة ، وابواب موضونة بحروف مسجعة مكنونة ، متقاربة الأوزان والمباني ، متناسبة الوجوه والمعاني ، تونق ابصار الناظرين ، وتروق بصائر المتوسمين ، وتتسع بها مذاهب الخطاب ، وينفسح معها بلاغة الكتاب ، لأن مؤلف الكلام البليغ الفصيح ، واللفظ المسجع الصحيح ، كناظم الجوهر المرصع ، ومركب العقد الموشع ، يَعدُّ اكثر اصنافه ، ليسهل عليه اتقان رصفه وائتلافه » .

اما كتابه « الخراج وصنعة الكتابة » وهو مما صنفه بعد نحو من عشرين سنة من اشتغاله في دواوين الاموال فهو نمط آخر من كتابته ليس فيه أثر من آثار السجع ويقل فيه الازدواج . مثال من كتابته في الخراج قوله في ذكر ثغور الاسلام والأمم والاجيال المطيفة : الامم والاجيال المخالفة للاسلام مكتنفة له من جميع أطرافه وغايات أعماله منهم المتقارب من دار مملكته ، ومنهم المتباعد عنها . وكانت ملوك الطوائف الذين يملكهم ذو القرنين يؤدون الاتاوة الى ملك الروم خمس مائة واحدى عشرة سنة الى أن جمع أردشير بن بابك المملكة بعد مشقة وطول مجاهدة فمنع حينئذ الاتاوة التي كانت الفرس تؤديها الى الروم بعد مشقة فينبغي ان لا يكون المسلمون لصنوف اعدائهم أشد حذراً منهم للروم ، وقد جاءت بذلك آيات يظهر بها حقيقة ما قلته والله الموفق للمصلحة بقدرته .

ونتجوز فننقل جملة اخرى من كلامه من هذا الكتاب أيضاً وهو قوله « ثم نتبع ذلك بوصف احد ايام الغزوات ليكون علم ذلك محصلاً محفوظاً فنقول ان اجهدها مما يعرفه اهل الخبرة من الثغريين ان تقع الغزاة التي تسمى الربيعية لعشرة ايام تخلو من ايار بعد ان يكون الناس قد اربعوا دوابهم وحسنت احوال خيولهم فيقيمون ثلاثين يوماً وهي بقية أيار وعشرة من حزيران فانهم يجدون الكلأ في بلد الروم ممكناً وكأن دوابهم ترتبع ربيعاً ثانياً ثم يقفلون فيقيمون الى خمسة وعشرين يوماً وهي بقية حزيران وخمسة من تموز حتى يقوى ويسمن الظهر ، ويجتمع الناس لغزو الصائفة ثم يغزون لعشر تخلو من تموز فيقيمون الى وقت قفولهم ستين يوماً فاما الشواتي فاني رأيتهم جميعاً يقولون : ان كان لا بد منها فليكن مما لا يبعد فيه ولا يوغل وليكن مسيره عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره وان يكون ذلك في آخر شباط فيقيم الغزاة الى ايام تمضي من آذار فانهم يجدون العدو في ذلك الوقت أضعف ما يكون نفساً ودواب ويجدون مواشيهم كثيرة ثم يرجعون ويربعون دوابهم يتسابقون » .

هذا نمط قدامة في الانشاء وليس فيه أثر من آثار التكلف غير الصناعة وجمال الأداء ولقائل ان يقول ولكن قدامة هنا يقرر حقائق وهناك يكتب أدباً فنقول ان من يدقق يدرك ادراكاً لا تعتوره ريبة أن قائل هذا الكلام لا يرضى لنفسه ذاك التكلف والتعسف .

ان ما أصاب الخزائن من النكبات قضت بان يضيع القسم الأعظم مما كتبه المؤلفون ، وطول الزمن وانتشار الجهل كانا مدعاة الى أن تنسب بعض المصنفات الى غير مصنفيها ولعل الأمة العربية اذا طبعت كل ما في الشرق والغرب من المخطوطات تصل الى كشف حقائق تتعذر اليوم الاحاطة بها .

محمد كرد علي

احياء فصيح اللغة

تشتد المنافسة في هذه الأيام بين ما يسمونه الادب القديم والادب الحديث ، ويكثر النزاع بين الفئتين من أنصار هذين الادبين .

ومن صور هذا النزاع مناقضة أحد الفريقين للآخر في جواز استعمال الفاظٍ من فصيح اللغة العربية . لم يألفها كتّابنا ، ولا محرّروا الصحف من أبنائنا ، ظانّين أنها من الغريب الحُوشي الذي يجب اطراحه . مع انها لم تصل في الغرابة إلى حدّ التشاؤم بها ، والزراية عليها .

ولم يقف التشاؤم بهذه الالفاظ الفصيحة عند حدّ عامة الكتّاب ، بل تخطاه إلى خاصتهم . حتى قال أحد هؤلاء : « إن كلمات المعاجم القديمة أصبحت جزءاً من تاريخ اللغة . فيجب أن يُعنى بها حين البحث في هذا التاريخ لا حين النظر في اختيار الفصيح وميزه من غير الفصيح . وان للكتاب والصحفيين الفاظاً وتعابير هي العمدة في الفصاحة ، وهي التي يجب أن تهتم بها مجامعنا اللغوية » اه

ونحن نحمد الله على أن كان هذا التشاؤم بفصيح اللغة مما لا يوافق عليه معظم ادبائنا المفكرين ، وإلا فان تحكيم هؤلاء الناس في نقد الكلمات واختيار الالفاظ : هذا اللفظ يوافق ذوقنا فاقبلوه ، وهذا لا يوافق ذوقنا انبذوه . يؤدي حتماً الى موت نصف اللغة او ثلاثة ارباعها ، وفي ذلك تفريط في مصدر عظيم من مصادر تنمية اللغة العربية ، وإخراجها من الدائرة الضيقة التي تعيش فيها .

والرأي المعتدل في اختيار الفاظٍ جديدة للاستعمال ، أن يُرجع منها ماتوفّرت فيه الشروط التي ذكرها علماء البلاغة لفصاحة الكلمة ، أعني عدم تنافر حروفها ، وان لا تكون حُوشيّة ولا مبتذلة . ولا من كلام السفلة . وازيد على ذلك ان

يكون معناها مما يدخل في لغة حياتنا الجديدة، وفي كل ماله علاقة بحضارتنا الحديثة .

مثال ذلك : أن العرب كانوا يحشدون الجنود للقتال ويُضطرون احياناً ان يكون جيشهم مؤلفاً من عدة قبائل ، تحالف وتلقى العدو ، ويسمون هذا الجيش «البَريم» وقد استعاروا لها هذا الاسم من لغتهم العربية نفسها : فان البريم هو الخيطُ الثخين المفتول من عدة خيوط مختلفة الالوان . ويقابل الجيش (البريم) الجيش (الجَمْرة) : وهو الذي تكون جنوده من قبيلةٍ واحدة ، لا حلفاء معها . ولا دخيل فيها . فإن المحاربين اذا كانوا من دم واحد ، توقدت حميّتهم فكانوا جَمْرة ملتهبة الايمان بعدالة قضيتهم وحماية وطنهم . وبعض حكومات هذا الزمان تسمي جيشها المؤلف من اجناس مختلفة (الجيش المختلط) فهل يحسن ان نتشاءم بكلمة (البَريم) وبأمثالها من الكلمات التي توفرت فيها شروط الفصاحة ونقول : هي من غريب اللغة فالواجب اطّراحها ؟

اذا اهملنا الكلمات الفصحى ورحّبنا بالكلمات الاجنبية ، وادخلناها مقاصير لغتنا من دون قيد ولا شرط يوشك ان لا يمضي علينا زمن حتى تختل الموازنة وَتطغَى العجمة ونبقى في معزلٍ عن لغة ثقافتنا القديمة . وفي هذا الصنيع إخلالٌ بالعروبة ، وإضاعة للقومية .

واللغاتُ تنمو بعدة وسائل ، وأهمها أمران . إحياء الفاظ من اللغة القومية القديمة . والثاني اقتباسُ كلماتٍ من اللغات الأَجنبية الحديثة . ولكلٍ من الطريقتين شروط وتحفّظات ، ليس المقام مساعداً على بسطها .

فكروا في فريق منا يتشاءم بغريب اللغة . أي غير المستعمل من كلماتها . فهو لا يريد ان يستمدّ من لغة المعاجم حياةً للغة نهضتنا الحديثة . وهذا الفريق هم معظم المثقفين ثقافة عصرية من أبنائنا — وفريق آخر يتشاءم بالكلمات الأَجنبية . فيحرّم استعمالها . وهذا الفريق هو المثقف ثقافة اسلامية قديمة — ثم أردنا مثلاً ان نرضيَ الفريقين فأهملنا الكلمات اللغوية القديمة والكلمات

الأجنبية الحديثة . فماذا تكون النتيجة سوى أن تصاب لغتنا بالانيميا ، وقلة المادة ، والاقتصار على بقية من كلمات اللغة محدودة المقدار . تسربت الينا من خلال رطانة الأعاجم الذين عاشوا بيننا أحقاباً طويلة ، بينا حياة الحضارة الجديدة . تستدعي الوفاً والوفاً من الألفاظ والتعابير للدلالة على المسميات المختلفة ، والمصطلحات الحديثة .

هذه اللغة الانكليزية ، كان معجمها من عهد غير بعيد يتضمن عشرين الف كلمة ، أما اليوم فتبلغ كلمات معجمها نيفًا واربعمائة الف كلمة . كما حققه العلامة (بيرون سميث) أحد اساتذة جامعة بيروت الأميركية ، في مقال له نشره في مجلة الجامعة . وقد تتبع هذا الأستاذ الألفاظ العربية ، التي دخلت في اللغة الانجليزية ، فوجدها تبلغ اربعمائة وخمسين كلمة . وقال غيره بل هي تبلغ اكثر من ذلك . وعزا (سميث) السببَ في نمو لغة قومه الى المصدرين اللذين ذكرناهما : إحياء الكلمات الانجليزية القديمة ، واقتباس كلمات من اللغات الاخرى . وبفضل هذين المصدرين نمت اللغة الانجليزية واتسعت دائرة استعمالها اتساعًا يكاد يُحيط بكرة الأرض . والى هذين المصدرين نفسيهما ، أشار زميلنا المستشرق الانجليزي (المستر جب) . . فقال في احدى خطبه : (ويل للغة مصادرها معجماتها دون الشعور الحيّ للناطقين بها . وويل للغةٍ ينطق ويكتب الناطقون بها طوع أهوائهم ، ويضربون بمعاجمها عُرض الحائط) وما لي حاجة في حديثي هذا ان أنصر الألفاظ المعرّبة من لغة أجنبية ، فقد نصرتها بقوة في كتابي (الاشتقاق والتعريب) ، عدا أن الثقافة الأوروبية والعلوم العصرية التي ملكت عقول أبنائنا وألسنتهم قائمة بوظيفة الدعاية الملحة إلى هذه الألفاظ الأعجمية واستعمالها بنطاق واسع فهي ليست في حاجة الى نصرة ولا دعاية ولا شأن لنا بها الآن وانما الشأن كل الشأن في الفاظ لغتنا القاموسية الفصيحة : فانها بقيت من دون دعاية ولا نصير وقد لزمت مكانها واجمةً سادمةً ، حتى كاد العنكبوت

يخيّم عليها ، وحتى كادت تمتد يد البِلى اليها . وحتى رحمها شاعر النيل حافظ ابراهيم وندبها فقال على لسانها :

أيا ويحكم أبلَى وتبلى محاسني وفيكم اذا عزّ الدواء أساتي
فلا تكِلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي
انا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل سألوا الغوّاص عن صدَفاتي

وليس في مقدوري ان أتجاهل الصعوبة التي كانت وما زالت تعترضني وتعترض غيري في إحياء الفصيح من غريب اللغة ، وتسهيل أمره ، وحمل فئة الكتّاب — ولا سيما الصحافيين — على استعماله فشدّ ما قمت استعطف جمهرةَ الكتاب على فصيح اللغة ، وأعرضها عليهم عرضاً ، وهم يرجون مني أن لا أفرض عليهم «لغة المعاجم» فرضاً ، وقد قضينا في ذلك الجدل والحوار زمناً كاد يوقعنا في اليأس من إحياء فصيح لغتنا المحبوبة . ثم بدا لي في آخر الأمر أن أسلك في نشر فصيح اللغة ، وتحبيب الجمهور بغريبها «الطريقة المقاماتية» اعني طريقة الحريري والبديع في مقامتيهما : فأعمد الى مُلَح من أقوال العرب ، يكون قد رواها رواتها بتعابير من الغريب الفصيح وأُدخل هذه المُلَح المستظرفة في المحاضرات التي نلقي على الجمهور من وقت الى آخر ، فتعلق الفاظها الفصيحة باذهانهم ، من حيث لا يتوقعون . وقد نجحت هذه الطريقة الى حدٍّ ما . وقد تنجح الى أقصى حد ، اذا ثابرتُ أنا وغيري عليها .

وها كم مثالاً واحداً مما احسب أن الإصغاء اليه مفيد في نشر فصيح اللغة .

وصف رجل رجلا فقال : «هو هلباجة ضُفبوس» . . . — (الضُّفبوس) : الضعيف ، ولكن مامعنى «الهلباجة» ؟ لم يرد في كلمات اللغة كلمة تشبه الهلباجة في استجماع صفات القُبح فيها : فترى العلماء يفسرون لك معناها بما يدلّ على أقبح أوصاف الرجال . ولا تراهم مكتفين بما قالوا ، بل يعودون فيسردون في تفسيرها المعنى بعد المعنى ، والوصف تلو الوصف . ومع ذلك يبقون في

شكٍ من وقوعهم على معناها المطابَقي · فهم يقولون ما نصه (الهلباجة) هو الأحمق الذي ما فوقه أشد حمقًا منه · (الهلباجة) هو الوخم ··· المائق ··· الثقيل ··· القليل النفع ··· ومعنى (الوخم) الكثيف الطبع الذي لا رقة فيه ومعنى (المائق) المتناهي في الحمق والغباوة ·

ويخالفهم في تفسير (الهلباجة) غيرهم فيقول : (الهلباجة) هو النؤوم الكسلان ·· الجافي ·· العطُل ·· ومعنى (العُطُل) بضمتين الخالي من المال والأدب ·

وكل هذه الأوصاف الخبيثة ، لم يشف قلب شراح اللغة ، في تفسير معنى الهلباجة حتى قام الراوية الكبيرة (خَلَف الأحمر) ، ينقّب عن معاني لها غير ما ذكره زملاؤه · فلقي اعرابيًا مشهوراً بالنطق بغريب اللغة وهو (ابن القبعثري) فقال له : هات يا فلان ، فسر لي معنى (الهلباجة) فقال : هو الأحمق ·· الضَخْم ·· الفَدْم ·· الأكول الشروب ·· (ومعنى الفدْم العيّ عن الكلام القليل الفهم والفطنة) ثم تابع (ابن القَبَعْثَري) كلامه في تعديد معاني الهلباجة فقال : هو الذي كذا هو الذي كذا ·· وذكر من قبيح النعوت والأوصاف ما شاء وشاءت مقدرته ·

قال الراوية خَلَف : ثم جعل هذا الاعرابي كلما لقيني يتذكر سؤالي له عن معنى الهلباجة ، ويزيدني معنىً جديداً من معانيها ، وبعد مدة صادفته فقال لي : أريد ان أخرج من العهدة في تفسير هذه الكلمة الملعونة : (الهلباجة) هو الجامع لكل شر ·

اقول : وهل انتهى الأمر عند هذا الحد ؟ كلا : فان خلفًا الأحمر عاد فلقي (ابن القبعثري) وفاتحه حديث (الهلباجة) فتردّد في صدره من خبث معناها ما لم يستطيع إدماجه في كلمة واحدة تكون كافية في التحديد · فعاد الى التعديد فقال : (الهلباجة) هو الضعيف · العاجز ·· الأخرق ·· الجلف ··

الكسلان .. الساقط .. الذي لا معنى له ... ولا غَناء عنده ... ولا كفاية معه .. ولا عمل لديه ..

ثم راجع (ابن القبعثري) نفسه عند قوله (لا عمَلَ لديه) : فتذكر ان الهلباجة أحياناً يمكن أن يعمل فقال : وبَلَى ! سيعمل وعملُه ضعيف . وضرسه أشد من عمله . يعني ان أهله اذا أكرهوه على العمل أتى يعمل ، ولكن يكون عمله حقيراً لا يوازي ثمن الطعام الذي أكله .

ويظهر ان راويتنا (خلفاً الأحمر) بقي ينظر في وجه القبعثري نظر المستزيد فقال له القبعثري قولاً فيه نصح . وفيه تدريب على معاشرة الهلباجة : « لا تحاضر به مجلساً للناس » (أي لا تصحبه معك الى مجالسهم) وسكت ابن القبعثري . وبقي خلف ينظر اليه كأنه يقول : إني أحياناً أُضطر الى شهود مجالس الاخوان به قال : « فليحضر ولكن لا يتكلم » وأراد الانصراف ، فأخذ خَلَف بتلابيبه قائلاً : انا لم اقنع بما قلت . وهبني قنعت فاني لا أكاد أحفظ جميع ما عددت من معاني الهلباجة . اما لديك كلمة تُغني عن كلمات ؟ قال نعم : احمل على « الهلباجة » من معاني السوء ما شئت ...

يقول القارئ : حقاً إن كلمة (الهلباجة) على ما يظهر هي أجمع كلمات اللغة لقبيح الأوصاف . فهي بؤرة عذاب وقاموس سباب ... ولكن ألا يوجد في اللغة العربية كلمة على الضد من كلمة (الهلباجة) في استجماع صفات الخير ... وأجيب على ذلك بأنني لا أذكر كلمة خاصة في استجماع كل معاني المدح سوى كلمة (كريم) فان الكريم هو الرجل الجامع لكل صفات الكمال .

المغربي



العمراني وتاريخه

١ — كلمة

أثر عظيم ، في (تاريخ الدولة العباسية) كتب قبل أكثر من ثمانمائة سنة ، يقرر (تاريخها السياسي) ، وكأنه حرره لمن لا يود التوغل إلا في هذه الناحية ، أو يريد ان يعرف المطالب المهمة الخاصة بها ، والمشاكل التاريخية لتلك العهود دون تبسط في أمرها .

وهذا التاريخ هو (تاريخ العمراني) . ألفه سنة ٥٦١ هـ — ١١١٥ م فأجمل فيه حياة الرسول ﷺ ، والخلفاء الراشدين ، فالدولة الأموية ليتوصل الى الى البحث المقصود في تاريخ دولة بني العباس ، ويتوسع في خلفائهم ، ويذكر مناقبهم السياسية ، وأعمالهم الذاتية ونفسياتهم ، ومقدار اتصال الخلفاء بالسياسة وبالأمور الشخصية الخاصة ، ودرجة هذه العلاقة ...

فمن هو العمراني ؟ وما هو تاريخه ؟ وما هي مكانته في الأسلوب ، والترتيب والموضوع ، ومقامه بين التواريخ المعاصرة له ؟ الى آخر ما هنالك .

كل هذه تحتاج الى بيان وتوضيح وإلا فلا يكفينا ان نقدم الكتاب للقراء الأفاضل ونقف عند ذلك . فربما كان غالبهم لم يسمع باسمه كما ان كاتب هذه السطور كان كذلك .

٢ — التاريخ وصِفَتُه

هذا التاريخ — كما يظهر من مطالعته — من أجلّ التواريخ في (سياسة الدولة العباسية) أيام قدرتها وضعفها ، ثم انجلاء حالتها ، وانكشاف سياستها لما طرأ على الدولة السلجوقية من انحلال ، وخذلان في السياسة ، وانحطاط قدرة وظهور

ضعف ، أوضح فيه مؤلفه أيام قدرة الدولة ، ثم أيام التدهور ، وتغلب (الدولة البويهية) ، وهكذا عهود التغلب في (الدولة السلجوقية) في أواخر أيام حكمها ، وركود همتها ، وينقضي الكتاب بانقضائها تقريباً ، وهي مشارفة على الزوال .

رأيت الكتاب غفلاً من اسم المؤلف ، وأول ما تبادر لي أنه (شذور العقود[1]) وكنت لم أره ، فكان التخمين توهماً ، فرجعت الى مظانّ عديدة ، فلم أظفر ببغية ، ولا وقعت على خبر عن مؤلفه الا أن أصل التاريخ يعين ان إنهاءه كان في سنة ٥٦١ هـ ، وان مؤلفه وقف به عند حياة الخليفة المستنجد بالله العباسي ، وان هذا المؤلف كان في الرحبة خارج العراق ، فاعتذر عن ذكر حياة المستنجد بسبب بعده عن العراق .

كتب كتابه هذا باعتماد وثقة ، لم يشتبه في حادث ، ولا تردّد في أمر ، بل قطع في كلّ ما كتب . ولعله رجع الى مؤلفات كثيرة ، فأخذ عنها المقطوع به ، ولم يهمل أمراً له اتصال بالحوادث ، متخذاً الخلفاء أصل المباحث وان لم يقف عندها وحدها ، والمؤلف لم يقصر في بيان أعمال كلّ خليفة ، وبيان أوصافه الشخصية بنظرة سريعة .

وهذا ماجاء في مقدمته :

« وبعد فاني ذاكر في كتابي هذا طرفاً من أخبار الدولة القاهرة العباسية فضلاً من مناقب الدعوة الهادية الهاشمية ، وأبتدىء بذكر سيد البشر ، والشفيع المشفّع يوم العرض الأكبر ، ثم بعده بالأئمة الأربعة ، ثم من أفضى اليه الأمر بعدهم من بني أمية الى أن عاد الحق الى أهله ورجع إلى من هو أولى به وهم آل النبي وبنو عمّه وورّاث علمه ، وأمناؤه على وحيه ، القائمون بنصرة السنة ، والمهديون أهل الرأفة والرحمة (الى أن قال) ثم أنزل على الترتيب الى

---

(١) هذا الكتاب مختصر المنتظم لابن الجوزي نفسه ، وفيه زيادات ومنه نسخ في مختلف خزائن الكتب .

أن أختم الكتاب بالأيام المستنجدية أدامها الله تعالى . » اهـ[1]

وهذه النسخة كتبت في ٤ شوال سنة ٦٨٢ هـ .

٣ — العثور على اسم الكتاب واسم مؤلفه

عثرت على (تاريخ ظهير الدين الكازروني) فوجدته لا يقل عن ذلك التاريخ فائدة . فكنت أطالعه ولم أقصد التحري عن ذلك الكتاب فقرأت عن الخليفة الناصر لدين الله :

« ... جمع الله شمل الاسلام والمسلمين ببره وجوده . ثم انه عمر المساجد ، وأثر الآثار الجليلة ثم انه جمع كتاباً في الأحاديث النبوية سماه (روح العارفين) ، ورواه عن شيوخه بالاجازة ، وقد ذكرتهم في (التذييل) على ما ألفه (الشيخ الثقة محمد بن علي بن محمد ابن العمراني) الذي ابتدأت فيه باول (ولاية المستنجد) ، وختمته بآخر امامة الإمام المستعصم بالله قدس الله روحه ، وأجاز لجماعة روايته ورواية غيره مما أجيز له روايته ، وقد ذكرتهم أيضاً في ذلك التذييل ... » اهـ

هذا النص قد فتح المغلق ، فعرّف بالكتاب ومؤلفه ، وعرفنا أمراً جديداً وهو ان الظهير الكازروني قد ذيل عليه بكتاب سماه (التذييل) . وكان قد توفي الكازروني سنة ٦٩٧ هـ — ١٢٩٧ م . وبهذا عظمت قيمة الكتاب فالكازروني الذي هو من مشاهير المؤرخين في بغداد قد كتب ذيلاً عليه .

ومن هنا علمنا اسم المؤلف وأدركنا قيمة ما ورد في الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . ووقفنا على اسم الكتاب . قال :

« وجمع الجمال محمد بن علي العمراني (الأنباء في تاريخ الخلفاء) ، وذيل عليه ولده سديد الدين يوسف بن المطهر . » اهـ[2]

فعلمنا اسم الكتاب أيضاً . ومن الغريب ان يقف السخاوي على هذا الأثر ، ويعرف اسمه واسم مؤلفه ومن ذيل عليه ولم يعرفه ابن ابي عذيبة . الا ان

(١) تاريخ العمراني ص ٣ .   (٢) الاعلان بالتوبيخ ص ٩٦ .

عبارة السنحاوي في (الاعلان) جاءت مقتضبة ، وأرى انها مبتور منها سطر ، وظاهرها أو ما يقارب ذلك :

« جمع الجمال ... والتذييل عليه لظهير الدين الكازروني الى آخر أيام المستعصم بالله ، وذيل عليه ولده سديد الدين يوسف بن الظهير . » اه

فيكون صاحب التذييل الكازروني ، وصاحب الذيل على التذييل ولده سديد الدين يوسف بن الظهير لا المطهر والا فلا يأتلف ما ذكره السخاوي لأنه يفيد انّ سديد الدين ابن المؤلف وهو المطهر وليس بصواب لما مرّ من صحيح اسمه . وقد روجعت بعض النسخ المخطوطة في دار الكتب المصرية من الاعلان ، فلم يظهر فيها مايتمّ النقص . وهناك نسخ اخرى لم نتوصل اليهـا وفي ليدن نسخة منه . ولعل التحري عن نسخة المؤلف أو ما هو منقول منها يكشف عن الصواب .

وعلى كلّ حال توضح لنا اسم الكتاب ، ومؤلفه ، وأن النسخة الموجودة منه في ليدن [1] ربما كانت نسخة السخاوي ، فبعد أن عرفنا ذلك تعينت لنا المباحث ولم يبق غموض بل أن السخاوي قد أشار إلى أمور تدعو الضرورة الى أن نتعقبها .

٤ — ترجمة المؤلف

جاء في كتاب الأنساب للسمعاني ، من نُسب للعمراني ، والأقرب من ينسب الى بيت كبير قديم بسرخس ، قال : والذي رأيته منهم أبو الحسن علي بن محمد العمراني السرخسي وبين أنه حظي عند السلطان سنجر شاه بن ملكشاه السلجوقي ، وارتفع أمره ، ثم حبس وقتل بمرو بقرية شيخ ، تغير رأي السلطان عليه في سنة ٥٤٥ هـ — ١١٥٠ م وكان رأيه في تغيير دائم ... [2]

(١) خزانة كتب جامعة ليدن ج ٣ ص ٢٨ ورقم ٨٩٣ .

(٢) الانساب للسمعاني ، ولباب الأنساب لابن الأثير . والعمرانية قرية في أنحاء الموصل ، وأخرى في اليمن ، وهذه الأخيرة نسب اليها كثيرون .

وفي الوافي بالوفيات جاءت ترجمته أوسع . قال :

« أبو الحسن العمراني : علي بن محمد بن علي بن أحمد الخوارزمي . قرأ الأدب على الزمخشري ، وصار من أكابر أصحابه ، لا يشق له غبار في حسن الخط واللفظ ، سمع من الزمخشري ، والامام عمر الترجماني ، والحسين بن سليمان الخجندي ، وعبد الواحد الباقرجي وغيرهم . وكان ولوعاً بالسماع ، وكان مع العلم الغزير الوافر فيه دين وصلاح وزهادة ، وكان يذهب مذهب الرأي والعدل . ومن تصانيفه (كتاب المواضع والبلدان) ، و (كتاب اشتقاق الاسماء) (وتفسير القرآن) . ومن شعره :

رأيتك تدعي علم العروض ... كأنك لست منها في عروض
فلم تزري بشعر مستقيم ... صحيح في موازين العروض
كأنك لم تحط مذ كنت علماً ... بمجنون الضروب ولا العروض

مات سنة ٥٦٠ هـ . » اهـ [1]

وهذا هو والده كما يظهر من المقابلة ، وهو صاحب (كتاب البلدان) وعندي أوراق منتثرة منه ، ينقل منه صاحب المعجم كثيراً ، وكان من تلامذة الزمخشري . وفي طبقات السبكي أنه توفي سنة ٥٦٠ هـ . ومثله في كشف الظنون ولعل الصواب ماذكره السمعاني فهو معاصر له ، وأقرب لمعرفة تاريخ وفاته .

ولعل المترجم ذهب الى العراق بعد قتلة والده ، ثم مال الى الرحبة ، فاختارها دار اقامته وكتب تاريخه هناك . ومن المحتمل ان يكون هو المعروف هناك بـ (ابن المتقية) كما جاء في معجم البلدان في مادة (الرحبة) ، وورد (ابن المتفنّنة) والاسم واسم الأب والجدّ متماثلة . ولا نتوغل ولعلّ الأيام تكشف عن حياته فلا تزال الذيول على تاريخ الخطيب البغدادي غير مطبوعة . وعلى كلّ حال انه عالم وابن عالم وكفى أن ينبئ عنه أثره ، ويعرّف بغزارة علمه .

(١) الوافي بالوفيات ، مخطوطة خزانة نور عثمانية .

٥ — أسلوب الكتاب ومباحثه في ترتيبها ومادتها العلمية

هذا الكتاب يختلف عن النبراس ، ولا يزال الأسلوب التاريخي في بغداد وأنحائها جارياً في الغالب على الترسل والبساطة في التعبير ، ويشاهد في تاريخ ابن الجوزي ، ومن بعده ، وأول من اختلط الأدب الفني المألوف المصطنع على أسلوب الحريري العماد الاصبهاني وقد عرف بالتكلف ، وابن شداد ، والقاضي الفاضل ، وآخرون منهم (ابن دحية) في كتابه النبراس ، وهكذا مضى على ذلك كثيرون منهم ابن حجة وابن عربشاه ومن مشى على نهجهم .

أما العمراني فانه لم يمل الى ما مال اليه أولئك ، واتخذ البساطة في التبليغ فلم يخرج عليها حتى في مقدمة كتابه . ولكل وجهة .

أما ترتيب الكتاب كما جاء في مقدمته فقد كان على توالي المباحث من أيام الرسول ﷺ الى أيام الخلفاء الراشدين ، الى الأمويين ، فالعباسيين حتى أيام المستنجد بالله . وهذا هو الترتيب المألوف وكان قد خرقه (سنان بن ثابت ابن قره الحراني) ، فانه عكس الآية فلم يأخذ بالترتيب المتوالي وانما ذهب الى الترتيب المعكوس من زمنه فصعد به الى من قبله . قال المسعودي فانه وان أحسن فيه ، ولم يخرجه عن معانيه الا أنه تكلف ، وخرج عن مركز صناعته . وفي الاعلان بالتوبيخ نسب هذا الحادث الى ابن أبي الأزهر . ولعله جاء سهواً ، والصواب ما قاله المسعودي . وهذا الأسلوب يعد تجديداً في التاريخ . وتغييراً لأسلوبه المعتاد مما يدل على قدرة . ومؤرخنا مشى على المألوف ، فلم يخرج عنه .

ومباحثه جليلة ، ومسربعة الأخذ . أذكر بعض الأمثلة منها :

١ — ان المؤلف تناول الخلفاء واحداً فواحداً ، ونقل قول (سفيان الثوري) أن الخلفاء الراشدين كانوا خمسة لا أربعة ، وعدّ (عمر بن عبد العزيز) منهم ، ويقول المؤلف أجمع الناس في أيام (المهتدي) على أن السادس هو المهتدي بالله . وتمثل فيه بعضهم بقول الأعشى :

حكّمتموه فقضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسر

ويتوسع في كلّ خليفة في سياسته ، وفي خاصية نفسه لإيجاد العلاقة بينهما دون فك الارتباط ، ويخطأ من فرق بين الحياة العامة والخاصة فمن كان لا يبالي بخاصة نفسه فهو أضيع للأمور العامة وفي هذه الفلسفة ترويج للقبائح وتساهل في الأفعال المنكرة .

٢ – الخليفة المتقي لله :

كان من أعظم أمرائه بجكم ، نفذه الخليفة الى قتال الأكراد والديلم بنواحي واسط فمضى ، وهزمهم ، وفي عوده كان يتصيد ، وعليه غلالة كتان ، فبادره كردي ، ورماه بحربة ، فوقعت في ظهره ، وخرجت من صدره ... وكان لبجكم ترجمان يعرف بمحمد بن ينال المتقي ابي عبد الله ابن البريدي عامل واسط وتزوج ابن الخليفة المتقي أبو منصور بابنة ابي عبد الله ثم استشعر منه المتقي لأنه كان قد جاء من واسط بعشرين الفاً من الديلم فنفذ المتقي وأسبهم عليه وضمهم الى عسكره ، فانحدر البريدي هارباً الى واسط ... ومنها الى الأهواز وكاتب الديلم بني بويه يهوّن في أعينهم أمر الخلافة ويحسن لهم قصد الحضرة .

استوزر المتقي أبا اسحق القراريطي حتى قال الناس قد اسحقت الخلافة في أيام المتقي ، هو ابو اسحق ، ووزيره ابو اسحق ، وذكروا جماعة من خواصه اسم كل واحد منهم إما اسحق أو ابو اسحق ... فاختار المتقي كورتكين أحد الديلم الذين أصعدوا مع (ابن البريدي) من واسط وجعله أمير امرائه وخلع المتقي على بدر الخرشني واستحجبه وذلك كله في شوال سنة ٣٢٩ هـ – ٩٤١ م .

ثم ورد الخبر بدوام ابي بكر بن رائق من الشام الى الحضرة ، فاستشعر كورتكين من أن يوليه المتقي امارة الأمراء مكانه ، لانه كان تسمى بها أيام الراضي ، فاستأذن الخليفة في الخروج اليه ، ودفعه فأذن له قولاً باللسان ،

وقلبه مع ابن رائق ، ونفذ الى ابن رائق بأمره بسرعة القفول ، فدخل ابن رائق بغداد ، وهرب منه كورتكيز .. وجرى ما جرى في بغداد بسبب ذلك من الوقيعة بالديلم .

ومن هذا يفهم أن الخليفة لم ينم لحادث . فرّق بين ابن البريدي والديلم ، ثم استشعر من الديلم ومن كورتكيز فقضى على ما أزال حذره وخوفه ...

ثم ان الخليفة خلع على ابن رائق ، وقلده امارة الأمراء ، وعقد له لواءين أحدهما على المشرق ، والآخر على المغرب ، وطوّقه وسوّره ، وأنزله دار مونس المظفر المعتضدي . وكان من نتائج المفاوضة بين ابن البريدي وبين الديلم ان أمدّوه بمائة ألف من الديلم خيّالة ورجّالة ، فنفذ ابو عبد الله ابن البريدي العسكر مع أخيه ابي الحسين ابن البريدي للتهجم على الحضرة ، فحين قربوا بغداد هرب المتقي منهم ومعه ابن رائق الى ناحية الموصل ، واستولى أبو الحسين ابن البريدي على بغداد ، ونفذ الى الخليفة يقول له إني عبدك ، ويحلف بالأيمان المغلظة اني لا أريد بك سوءاً ، وانما أريد ان أكون مكان ابن رائق ، ولم ينزل دار الخلافة بل نزل دار مونس التي كان ينزلها ابن رائق .

ولما وصل الخليفة الى الموصل خرج الأمير ناصر الدولة بن حمدان الى مراحل واستقبله وخدمه الخدمة التامة وعرف أن الخليفة محتاج الى بني حمدان ، وأنه لا يمكنه ان يغضبهم وهو على تلك الحالة . ولو فعلوا ما فعلوا ، فبادر وفتك (بابن رائق) لمعاداة كانت بينهم ، ولم يظهر من المتقي إنكار ، وقلد الخليفة ناصر الدولة امارة الأمراء مكان ابن رائق ، وجمع سائر بني حمدان ، وانحدر وهم في جملته الى بغداد ، وكان في جملة ابن البريدي الأمير ابو الوفاء توزون التركي ، فغدر بابن البريدي ، وانضم الى عسكر المتقي لله ..

ودخل المتقي بغداد ، وخلع على توزون التركي ، وطوّقه وسوره ، ولقبه بالمظفر ، فشقّ ذلك على ناصر الدولة ... واستوزر المتقي أبا الحسين ولد الوزير ابي علي

ابن مقلة ، وخرج من دار السلطان وعليه الخلع وذلك في رمضان سنة ٣٣١ هـ وقدم المتقي لله (ابا نصر محمد بن ينال الترجمان) وقوّده ، وأراد ان يوليه امارة الأمراء ، فخاف من ناصر الدولة ، وعلم ناصر الدولة بباطن الحال ، فاستشعر وطلب الإذن له في أن يخرج الى عمله ، فأذن له ، فخرج على وجه جميل .

ثم ان الخليفة قد ضمن له توزون ما يحتاج اليه في كل شهر ، وان يقوم بذلك ، فولاه (امارة الأمراء) ، وطوّقه وسوره ، فقام بما كان ضمن على نفسه الا أنه ضيق على المتقي جداً ، واستشعر المتقي منه لغلبته على الأمر ، واستبداده على الملك ، واستشعر أيضاً توزون ، وانحدر الى واسط باذن المتقي لتقرير أمر البلاد السفلى ، ومحاربة ابن البريدي والديلم ، فحين بعد توزون عن بغداد نفذ المتقي الى بني حمدان يستدعيهم فأجابوه وانحدروا الى بغداد ، وضربوا مضاربهم على باب الشماسية وخرج الخليفة ، وضرب مضاربه عندهم ، ورحل من فوره ، وترك بغداد ، ونزل الرقة ، وصيّر (محمد بن ينال الترجمان) أمير الأمراء وطوّقه وسوّره .

وحين وصل الخليفة الى الرقة ، وكان واليه على مصر أبو بكر محمد بن طغج سمع بوصوله الى الشام جاء اليه ولقيه بالرقة بالعدة الحسنة والعسكر الكثير ، وأهدى له من تحف مصر ، ولوزيره أبي الحسين ابن مقلة ما ملأ عينها . ثم أمره الخليفة بالعود الى عمله ، فعاد اليه ، وكان قد قال للمتقي :

يا مولانا قد فسدت أمور العراق باستيلاء بني حمدان على طرف ، وبني بويه على طرف ، وباستشعارك من توزون . فلو جئت الى مصر ، وأقمت بها ، كنت أكفيك ما تريده !

فقال له المتقي :

كيف أقيم في زاوية من الدنيا ، وأترك باقي الدنيا يخرب ! هذا لا يمكنني !

فعاد وتركه في الرقة .

ومن هذا كله يفهم ان الخلفاء كانت لهم آمال ، وأنهم لا يزالون في يقظة وانهم كانوا متأهبين لاستعادة المجد ، وأخذ السيطرة .

ثم ان توزون راسل المتقي لله يستلّ ما بقي في نفسه ، فما التفت الى رسالته . ونسب ذلك الى بني حمدان أي ان الخليفة لم يترك الفرصة ، ولا سلّم نفسه لواحدٍ من أمرائه .

ثم ان بني حمدان اجتمعوا عند المتقي ، واشتوروا على جمع العساكر وقصد توزون ، ولم يطب لهم ان يكون (الترجمان) مقدماً عليهم ، فدخلوا يوماً على المتقي ، وخرجوا من الدار ، فلما صاروا في بعض الدهاليز غمز ناصر الدولة أخاه سيف الدولة ، فاخترط سيفه ، وضرب به رأس الترجمان فأبانه عن بدنه ، وسمع المتقي الضجة ، فقال ما هذا ؟ قالوا سيف الدوله قتل الترجمان ، فقال كالمغضب أمس ابن رائق ، واليوم الترجمان !

ولم يطل القصة لحاجته الى بني حمدان . ثم ان بني حمدان خدموه بأموالهم وأنفسهم ، وأنسوه الترجمان .

وبعد ذلك وصل الخبر من العراق بأن أحد بني البريدي وهو ابو عبد الله قتل أخاه الآخر أبا يوسف ، وان أمر الديلم قوي بالبلاد السفلى ، وان ابا عبد الله البريدي الذي يقاومهم توفي عقيب قتلة اخيه ، وان الأمير ابا الحسين احمد بن بويه قصد بغداد وبها توزون ، وأظهر ان الخليفة المتقي كاتبني وأمرني بذلك ، وان توزون حاربه وهزمه ، ومرّ الديلمي هارباً ، وقوي أمر توزون .

ثم تواصلت رسل توزون الى الخليفة ، وأحضر الأمير توزون القضاة والعلماء والأشراف وحلف بمحضر من رسول المتقي على كل ما يريده ، ووقع الصلح وانصرف الناس مسرورين وذلك في يوم الاثنين ١١ ذي الحجة سنة ٣٣٢ هـ — ٩٤٤ م .

ولما كان في صفر سنة ٣٣٣ هـ صحّ عزم المتقي على دخول بغداد ، فركب توزون الى دار الخلافة ، وأمر بتجديد ما يحتاج الى تجديده ، وعمارة ما تشعث

فيها ، وكان يتردد بنفسه كل يوم دفعات الى الدار ، وحين قرب الخليفة من بغداد أمر توزون ان تنصب القباب كما نصبت في المرة الأولى ، ففعل ذلك ، وزينت بغداد ، وهو يتولى ذلك بنفسه ولا يكله الى أحد . وتعين دخول المتقي يوم السبت تاسع عشر صفر سنة ٣٣٣ هـ — ٩٤٤ م . وخرج كل من ببغداد من القضاة والأشراف والعامة والتجار ولم يبق في البلد الا شيخ مقعد أو زمن .ولما وصلوا الى السندية أقاموا هناك ينتظرون وصول المتقي وهو على ستة فراسخ من بغداد وركب الأمير توزون في احسن زي وعدة ، وحين توثق الخليفة من توزون صرف جميع عساكر الشام وبقي في خواصه وخدمه ، وحين أشرفت (عمارية) الخليفة عليهم قاموا كلهم ، ودعوا وكبروا . وكان في عمارية مبطنة بسمور أهداها اليه ابو بكر محمد بن طغج أمير مصر ، فلما وقعت عليه عين توزون اكب على الأرض فقبلها دفعات ، فقال المتقي لا تفعل يا ابن الوفاء ، ومشى بين يدي العمارية شوطاً بعيداً ، فقال اركب . فلما قربوا من المضارب ، وكان قد ضرب للخليفة سرادق حمر من ديباج جاء بها معه من الشام أحدق دبلم توزون بعمارية الخليفة ، وعدلوا بها الى مضارب توزون والناس لا يعلمون ما الذي يريدونه الى ان أدخل في العماريه الى سرادق توزون ، وضربت الدبادب والبوقات على باب السرادق ، واصحاب الخليفة كلهم وقوف لا يعلمون أين ذهب به . وكذلك كل من خرج لتلقيه من اهل بغداد .

وبينا هم في ذلك اذ خرج الأمير ابو القاسم عبد الله بن المكتفي من سرادق توزون ، وعليه القباء الأسود ، والمنطقة والعمامة على الرصافية وهو متقلد سيفاً بحمائل ، فركب جنيب [1] من الجنائب التي كانت تنقاد بين يدي المتقي لله . وكان قد احضره توزون وسايره ، وهو يقول للناس ادعوا لخليفتكم ، فنزل القوم كلهم ، وقبلوا الأرض ، وبايعوه . وسمى نفسه (المستكفي بالله) .

(١) كذا في الأصل . وصوابها [جنيباً] .

ثم سار في صحراء انسندية ، والأمير توزون على يمينه ، والعساكر تسايره ، ونزل في سرادق المتقي ، وجلس على سريره ، ثم رحل من فوره وركب والأمير توزون يسايره حتى دخل بغداد . والخلائق الذين خرجوا لاستقبال المتقي في صحبته ، واجتاز تحت تلك القباب التي ضربت للمتقي ، ودخل دار الخلافة .

ثم ان الناس سمعوا من بعد ذلك ان عمارية المتقي لما عدلوا بها الى مضارب توزون اعتقد المتقي ان توزون يريد بذلك ان يتشرف بنزول الخليفة عنده في ذلك اليوم ، فحين دخلت العمارية الى المضارب ، وقعت عين المتقي على ابن عمه أبي القاسم بن المكتفي ما فطن أيضاً بالقصة واعتقد انه قد خرج لتلقيه مع من خرج الى ان قال له توزون بايع امير المؤمنين ، فقال المتقي ومن أمير المؤمنين ؟ قال توزون : هذا الذي تراه !

فعلم حينئذ انه قد غدر به . وقال : ما أبايعه ! ولا أخلع نفسي !

فأمسكوه ، وسملوا عينه في الحال .

ومن هذا يفهم ان المتقي لم يكن آلة بيد المتغلبة ، وحاول القضاء على الواحد بعد الآخر ، ولكن الأوضاع لم تسعفه . ولم ينجح في مساعيه ، وكان قد التبس عليه أمر الحمدانيين ، فمال الى توزون لما وثقه به . . . الا أن توزون غدر به ، وحلف كذباً وزوراً . والأمور السياسية في تلك الأيام تنطوي على الكذب والخديعة من جهة ، والموافقة والمسايرة من جهة أخرى . وكان الخليفة في كلّ أحواله صاحب فكرة ، ويرعى الأحوال بعناية ، ولكن الآمال التي يحملها ، وما يكتمه الأمراء من تنازع السلطة قد كادت تودي بالمملكة ، بل أودت بها .

٣ — المستكفي بالله :

وهل كان المستكفي قد سلم القياد لتوزون ؟ وأذعن له في كلّ أموره ، وأودع اليه جميع شؤونه . . . ؟ ام هل كان بنجوة عما جرى او يجري ؟ وهل

كان همّ الخليفة أن ينال حظه من لقب خليفة أم كان يحمل عبئاً ثقيلاً ، ويحاول ان يقضي على المتغلبة ، وان تكون الادارة خالصة للدولة ، وبيد الخلفاء امرها ونهيها ... ؟

وعن هذا نستنطق المؤلف ، ونسمع قوله فقد بين صفحة خفية ، وسراً مكتوماً . قال :

« بويع له ساعة كحل في يوم السبت ١٩ صفر سنة ٣٣٣ هـ . وكان السفير له في الخلافة امرأة تعرف بـ « حسن الشيرازية » . وكانت زوجة بعض كتاب الأمير توزون كانت تدخل دار الأمير أبي القاسم ابن المكتفي ، وتختلط بأهله قبل خلافته ، فقالت يوماً لزوجها لو خاطبت الأمير توزون في استعطاف المتقي لله بكل ما يجد اليه سبيلاً حتى يحصل في يده ثم يقبض عليه ويبايع ابن المكتفي ... فوافق ذلك ما في نفس توزون من المتقي ، وانه دفعةً كاتب بني حمدان ، ودفعةً كاتب بني بويه يؤلبهم عليه .

وكان هذا الرجل قد ألقى الى سمع توزون وثبت في نفسه أنك إن أتممت هذا الأمر كان هذا الرجل خليفة من قبلك ، وكان طوع أمرك ونهيك ، ورأى نفسه من صنائعك .

ولما وصل الخليفة الى صحراء السندية ، ورآه توزون استحيا منه ، وأراد الرجوع عما كان عزم عليه ، أو تأخير الأمر الى ان يستقر في الدار . فقال له ذلك الرجل إن كنت تريد ان تفعل شيئاً فافعله الآن . فهذا وقته قبل أن يدخل الدار ، ويحول بيننا وبينه الحيطان ، وقبل أن ينمّ اليه شيء من أمرنا فيهلكنا ، فأقدم حينئذ توزون على ما أقدم عليه ، وصير المستكفي هذه المرأة (قهرمانة الدار) ، وغير اسمها وسماها (علماً) ، فصارت تعرف بـ (علم القهرمانه) .

وكان الأمير توزون يركب كلّ يوم مع المستكفي الى باب الشماسية على الظهر ، ثم يعود في المساء وهو معه حتى يصعد الى الدار .

ثم ان المستكفي خاف ان يجري عليه من توزون ما جرى على المتقي ، وكان قد بقي في بني البريدي ابو الحسين ، وهو الذي جاء الى بغداد ، وهتك حرمة الخلافة ، وهرب منه المتقي الى الموصل ، فأمر المستكفي الأمير توزون باستعطافه ومكاتبته وبذل الأمان له ليحصل في أيديهم ففعل توزون ذلك ، وكتب له الأمان ، ونفذ اليه الرسل حتى ورد الحضرة ، فلما دخل على المستكفي أمر باحضار النطع والسيف ، وقدم البريدي وأمر بضرب عنقه بين يديه .

واستشعر توزون من المستكفي ، فبادر المستكفي فسمّ توزون ، فمات في تلك الأيام ، واستوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد ، ولقبه (أمير الأمراء) ، وزاد في القاب نفسه (أمام الحق) ، وأمر ان يكتب على التراس والطرز والأعلام .

وفي سنة ٣٣٤ ﻫ عاد الأمير ابو الحسين احمد بن بويه الديلمي الى نواحي العراق وقصد (بغداد) طمعاً في ان يكون مكان الأمير توزون ، فأظهر المستكفي الفرح به والسرور بقدومه وخلع عليه وطوقه وسوّره ، وجعله أمير الأمراء ، ولقبه معز الدولة .

ثم نمّ الخبر الى معز الدولة بأن (علم القهرمانة) تريد ان تتخذ دعوة وتجمع فيها وجوه بغداد من القضاء والائمة وتدعو في الجملة معز الدولة ووجوه أصحابه ، فاذا حصلوا عندها في الدار دخلت اليهم العامة من باب آخر ، فعلوهم بالسيوف ، فاستشعر معز الدولة من الخليفة ، وقال مثل هذه المرأة تلعب بالدولة ، ودبر أمره بحيث لم يعلم به أحد ، ودخل في يوم الموكب مع العامة الى خدمة المستكفي ، وهو يوم الخميس ١٦ جمادى الأولى سنة ٣٣٤ ﻫ فحين وقعت عينه قبل الأرض ، ووقف بين يدي السرير ، وأمره فصعد الى درجة السرير ، وأخذ يده فقبلها ، ثم كان بعد ذلك يصعد الاثنان فيقبلان يد المستكفي وينزلان ، ويصعد آخران فانتهت النوبة الى أن صعد ديلميان لتقبيل يده أحدهما اسمه (بكران) وهو خال معز الدولة والآخر من أقاربه ، فحين مد يده اليهما

جذباه جذبة سقط منها على الأرض ، وبادر معز الدولة وترك عمامته في حلقه وسحبه على وجهه ، وأمر بضرب البوقات والدبادب على شاطئ دجلة تحت الدار ، وانتهبت الدار وكل من حضر في ذلك الموكب ، وأخذت (علم القهرمانة) .

ثم مضى معز الدولة الى دار الأمير أبي القاسم بن المقتدر بالله وأخرجه منها ، وأجلسه على السرير ، وبايعه بالخلافة وسلّم عليه المستكفي بالخلافة ، فسمل عينه وحبسه» اهـ

وهذه آخر ايام الدولة العباسية الأولى ، ومن ثم حدث التغلب من الخارج على الدولة العباسية ، فدخل البويهيون بغداد في ١٢ جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ — ٩٤٥ م ، وفي ١٦ منه خلعوه وسملوا عينه فلم يعد يتمكن من الظهور خليفة للمراقبة الشديدة . وقضي على الآمال ، وماتت النفوس ، وتحكم المتغلبة في البلاد بقسوة . ومن سيرة هذين الخليفتين علمنا ان الأمل في استعادة الادارة والسلطة قد مات وكان الخليفة المتقي قد قتل البريدي وبعده قتل توزون فلم يهدأ من الانتقام من أعداء الدولة وكان قد نجا من عدوين ألدّين ، وصرف جلّ آماله للقضاء على البويهيين ، أو معز الدولة وحده وهو بمقام الكلّ . وعدّه عدواً لدوداً ، بل أشد الأعداء ، ولكنه لم ينجح في مسعاه ، ولا في تدبير قهرمانته وربما كان المستكفي يترقب فرصة أخرى ، وان معز الدولة أوجس خيفة منه لما رأى ما جرى على ابن البريدي ، ثم على توزون ، واعلان الخليفة نفسه أنه (الامام الحق) ، فضرب ذلك على نقوده ، وانتشر ذكره ، وذاع خبره ، والأمر بيد الله ، يصرف الأمر كما يشاء ...

وأعقب ذلك قوة في هؤلاء المتغلبة ، وضعف في الخلافة ، وهكذا دام الحال أيام السلجوقيين أيضاً ، ولم يزل التغلب حتى جاء هولاكو فقضى على المتغلبة ، وعلى الخليفة معاً ، فصار القول قوله ، والحكم حكمه ...

وهذه النصوص تعين مكانة هذا الكتاب ، ومنزلته من السياسة العامة ،

ومن نفسية الخلفاء في آخر عهدهم وما أبدوه من قدرة للتخلص من التغلب ، فتمكنوا من الداخل ، وقبل ان يستقر الأمر جاءت قدرة فائقة ، وظهرت قوة خارقة ، فقضت على الآمال . ولا شك أن كتاباً مثل هذا صغير الحجم يغني عن مؤلفات كثيرة في التاريخ ، ويؤدي خدمة كبيرة في خفايا السياسة أو ادارة الدولة من جهة ، ونفسيات الخلفاء من الجهات الأخرى ...

وعلى كلّ حال نضطر في تدوين تاريخ الدولة العباسية الى معرفة تواريخ عديدة ، ونعلم اتجاهات كثيرين ، وتفسيرات للحوادث ، وتعليل أسبابها ، او مجرى الوقائع وما ولدت . ومثل هذه تعين مادة التاريخ واتجاهاته المختلفة ، ولعلّ هذا المؤرخ على اختصار في أثره قد قام بالمهمة وأدى واجباً مفروضاً ، ولنا الخيار في القبول والترك ، او التمحيص والتحقيق ...

والملحوظ أننا لا نستشعر منه ما يدعو للتنديد بالسلجوقيين . وقد عاملوا والده بأقسى المعاملة ، ورأى منهم ما رأى ، فلم يظهر حنقاً أو غيظاً كأنه بعيد عنه ، أو انه لا يمتّ اليه بصلة بل لا تفهم له شخصية تعين وضعه ، او تبين غرضه ... ولم نجد مؤرخاً بهذه الحالة الا قليلاً ، ولم نجد من يتملك نفسه الى هذا الحدّ .

٤ — العمراني وابن ابي عذيبة :

هنا تجلى لنا أن نسخة ابن أبي عذيبة التي لم يتعين له مؤلفها هي التي بين أيدينا ، ونسخة السخاوي المعروف فيها اسم المؤلف واسم الكتاب هي التي في ليدن الا أننا لا يصح لنا ان نغفل أمراً جديراً بالالتفات ، وهو ان ابن أبي عذيبة اخذ مباحثه في الخلفاء وأحوالهم في الغالب من (تاريخ العمراني) ولكنه لم يصرح باسمه .

فيتبادر للذهن أن عمل ابن ابي عذيبة كان غير مقبول وغير مرضي . وعن هذا أقول : إن تاريخ العمراني لم يستطع ابن أبي عذيبة ان يعرف اسم مؤلفه . ولعله وقعت له النسخة التي عثرنا عليها بعينها ، فلم يتمكن من تسمية الكتاب

ولا ذكر اسم مؤلفه وان مباحثه مدونة في مختلف التواريخ الا انها جاءت فيه مجموعة ، ولم يشأ ان ينسب القول الى مجهول حذراً من اللائمة ، والطعن فيه من أناس لا شأن لهم الا التنديد والوقيعة بالناس ، ولم يكن لهم من الحكمة ليزنوا القول بميزان الحق والعدل ، والا فانه صرح بمؤلفات عديدة اتخذها مراجع له ونقل منها ، فلا يهمه انــ يغفل أمر هذا الأثر ، ولكنه للأمر المذكور لم يذكر المؤرخ ، فكان هذا عذراً فالرجل ثقة فيما نقل ووثقه المؤرخ ظهير الدين ، وان نقل ابن ابي عذيبة منه لا يتوجه عليه طعن من أجله ، ولا من اجل أنه لم يصرح باسمه ... لأنه لم يقف عليه وقد سبق منه أنــ نقل من مؤلفين عديدين ، وان مراجع كتابه لا تحصى عداً ، فلم يكن من شأنه ان يغمط حق أحد ولا أدلّ على ذلك أكثر من مراجعه التي اعتمدها .

وعلى كل حال تمكنا من معرفة مؤرخ جليل للدولة العباسية في عصورها الأخيرة ، فكان أثره تحفة عزيزة . ولعله سيكون في متناول القراء الأفاضل في القريب العاجل فقد عزمنا على طبعه . فأكتفي بهذا . والله وليّ الأمر .

(بغداد) **عباس العزاوي**



ابو فراس الحمداني

توطئة

ان الأمير ابا فراس الحمداني علاوةً على منزلته السامية في الشجاعة وكرم الأرومة يعد احد اعلام الشعر العربي كما شهد له المتقدمون والمتأخرون الذين اطلعوا على اقواله وعرفوا شيئاً من سيرة حياته . وقد حصّل هذه المكانة مع قصر عمره الذي لم يبلغ الأربعين فكيف به لو بلغ السبعين او نحوها بحيث يكون أتم نضجاً ويترك للخلف اضعاف ما تركه من نفائس القول الدال على ما وراءه من كبر النفس وشرف المبدإ وحدة الذهن ورصانة الطبع . وقد قال فيه الصاحب بن عباد : « بدىء الشعر بملك وختم بملك » وكل من كان من بيت مُلك تسميه العرب ملكاً على سبيل التوسع . والملكان اللذان عناهما الصاحب بن عباد هما امرؤ القيس الكندي في الجاهلية وابوفراس الحمداني في الاسلام .

عصر ابي فراس وبيئته ودولة أُسرته

قضى ابو فراس الحمداني معظم حياته في حلب عاصمة مُلك أسرته آل حمدان . ولكنه ولد في منبج احدى المدن التابعة لها (كذا) وفيها قضى سنوات طفولته وحداثته . وعصره هو القرن الرابع للهجرة وقد توفاه الله سنة سبع وخمسين وثلاثمئة للهجرة اي بعد وفاة ابي الطيب المتنبي بثلاث سنوات . وهذا العصر هو من العصور الذهبية في الأدب العربي واستبحار المدنية والعمران عند العرب مع بقاء بقية كبيرة لهم من الحوْل والطوْل والهيبة والرهبة في النفوس . وان كانوا قد فقدوا من ذلك جانباً غير يسير في جنب ما تمتع به اسلافهم في العهد الأموي وفي اثناء المئة الأُولى من العهد العباسي .

ولكن العصبية العربية في خلافة بني العباس كانت اضعف واقل مما كانت عليه في دولة بني أمية لعوامل سياسية واحوال استثنائيه ·

وأما دولة بني حمدان في حلب والموصل - واصل حمدان من قبيلة تغلب العدنانية — فكانت دولة عربية محضة لا غبار عليها ولا يستطيع ان يزاحم العربيّ فيها فارسي ولا تركي ولا كردي ولا غير هؤلاء ·

كان سيف الدولة الحمداني عظيم الاهتمام برفع شأن العرب واكرام اهل الفضل والأدب منهم · وهو هو ممدوح احمد ابي الطيب المتنبي الذي نال من انعاماته الملكية قناطير مقنطرة · وكان لسيف الدولة حضرة يشهدها الشعراء والعلماء فيجزل لهم العطايا والهدايا حتى ضارع مجلسه من هذا القبيل مجلس الخليفة هرون الرشيد ومجلس ولده الخليفة عبد الله المأمون · وهذا الملك الحمداني كان هو نفسه بصيراً بدقائق الكلام ووجوه الفصاحة والبلاغة ·

وكان ابو فراس ابن عم الملك لحًا وأحد قادة جيوشه في معاركه العديدة ·

نشأته وسيرة حياته وأخلاقه

ظهر لنا مما تقدم ان الأمير ابا فراس نشأ نشأة امارة وعظمة فتدرب على الفروسية والغزوات كما تدرب على الفصاحة وقول الشعر · وكانت امه رومية الأصل سبية عند العرب تزوجها ابوه · وكان ابو فراس شديد الحنو على هذه الأم والعناية بها · بل كانت اخلاقه كلها على ما تعوده من قسوة الغزوات والمعارك ميّالةً الى الدماثة والسهولة مع حنو على اهل بيته وحنين إليهم لا سيما عند مفارقتهم كما سيظهر لنا حين نروي جانباً من شعره في الشكوى والعتاب والاستغاثة ومخاطبة اقاربه · وقد أسره الروم مرتين اما في المرة الأولى فلم يتجاوزوا به بلدة حرشنة في الأناضول · واما في المرة الثانية فوصلوا به الى القسطنطينية وبقي في الأسر اربع سنوات وقد فداه ابن عمه الملك بمبلغ كبير من المال في كلتا المرتين فاطلق آسروه سبيله · وله في الأسر قصائد ممتازة

حسناً وجودةً لأن ملكة الشعر تتجلى بأبهى واجمل مظاهرها عند وقوع الشاعر في حالة نفسانية تثير شعائره من رغبة او رهبة او غضب او شوق او نحو ذلك ·

ان هذا الرجل لم يخلُ من مكايد حسّاد له وخصوم يغتابونه ويقعون فيه وهم يظهرون مودة له وغيرة عليه في وجهه · ولا يزال هكذا شأن عظماء الناس مع القليلي الانصاف الصغار النفوس من عشرائهم · وقد سمى الرومَ اخواله في بعض شكاويه لأن أمه منهم كما سبقت الاشارة · فقال :

اقمتُ بأرض الروم عامين لاأرى من الناس مغموماً ولا متوجعا
اذا خفتُ من اخوالي الروم خطةً تخوفتُ من اعمامي العُرْب اربعا
وان اوجعتني من اعاديَّ شيمةٌ رأيت من الأحباب ادهى واوجعا

ومن أرق ما يروى من عتابه لسيف الدولة حين قصر في مساعدته والاسراع الى افتدائه قوله :

قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي اذا اشتد الزمانُ وساعدي
فرميتُ منك بغير ما أمّلتـه والمرء يشرق بالزلال الباردِ

وهو مع دماثة أخلاقه هذه عزيز النفس أبيُّها الى حد بعيد حتى ان سيف الدولة عرض ذات يوم جياداً كريمة على خواص رجاله وسألهم أن يختار كل منهم جواداً لنفسه ففعلوا شاكرين فرحين ماعدا أبا فراس فقد ضرب صفحاً عن هذه الغنيمة واعتذر عن ذلك شعراً قائلاً انه يستغني بما عنده من خيل قليلة العدد عظيمة الفائدة عن كل خيل سواها ·

والظاهر ان هذا الشاعر لم ينسَ قط ان له شيئاً من حق السيادة واقتسام الملك مع ابن عمه سيف الدولة لأنه تركة اجدادهما معاً · ومن ثم رأيناه بعد وفاة سيف الدولة ينتقل الى حمص ، ويحاول ان يستقل بامارتها مع ماحواليها فوقعت المعارك بينه وبين ابي المعالي بن سيف الدولة الذي ورث العرش عن أبيه · فجرح ابو الفراس في احدى تلك المعارك وتوفي على اثر جراحه · وآخر ماأنشده من الشعر وهو على فراش الموت قوله :

اذا لم يعنك الله في ما تريده فليس لمخلوق اليه سبيلُ
وان هو لم ينصرك لم تلفِ ناصراً وان عزَّ انصارٌ وجلَّ قبيلُ
وان هو لم يرشدك في كل مسلكٍ ضللتَ ولو أن السماك دليلُ

شعره وأغراضه فيه ونماذج منه

ذكر ابو منصور الثعالبي في كتابه « يتيمة الدهر » الأمير ابا فراس فقال فيه :

« هو ابو فراس بن ابي العلاء سعيد بن حمدان بن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابنيْ حمدان . كان فريد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً وبراعةً وبلاغةً وفروسيةً ، شعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هؤلاء قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وابو فراس يعد أشعر منه عند اهل الصنعة ونقدة الكلام . وكان ابو الطيب المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترئ على مجاراته . وانما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً وإجلالاً لا اخلالاً وإغفالاً . وكان سيف الدولة يعجب بمحاسنه ويميزه بالاكرام والاحترام » .

قال ابن خلكان : وكانت وفاته سنة سبع وخمسين وثلاثمئة وسنه سبع وثلاثون سنة . وقد شاب وهو في عقد العشرين من عمره فأشار الى ذلك بقوله :

وما أربت على العشرين سني فما عذر المشيب الى شبابي

ولا بد لي ان اضيف الى ما قيل فيه قولي : ان ابا فراس تناول معظم الموضوعات والأبواب التي يحتملها الشعر وظهرت له مزايا الجزالة والسهولة وحلاوة الديباجة ودقة التفكير وحسن التقسيم والتبويب . وله فوق ذلك مزية اخرى جليلة الشأن هي طول نفسه وسعة اطلاعه على كثير من وقائع التاريخ العربي يدل على ذلك ثلاث منظومات له طويلة حسنة السياق من أولها الى آخرها

فهي تصلح ان تعد من الملاحم في صناعة الشعر . المنظومة الأولى قصيدته المطبوعة في أول ديوانه ومطلعها :

لعلَّ خيال العامرية زائر فيسعَدَ مهجور ويُسعِد هاجر

والمنظومة الثانية مطلعها :

ابت عبراتهُ الا انسكابا ونارُ ضلوعه الا التهابا

وفي هذه القصيدة يذكر وقائع سيف الدولة بعشائر العرب التي شقت عليه عصا الطاعة ويعدد اطوار تلك المعارك وانتقال الجيش الظافر من غزوة الى غزوة ومن مكان الى مكان ومصير كل عشيرة بعد تأديبها بالسيف . وكل ذلك باداء مترابط الأجزاء مع صور جذّابة وتشابيه خلأبة . فجاءت ملحمته هذه من نفائس الشعر القصصي الاسلامي .

وابو فراس في ملحمته الآنفة الذكر كان شاهد عيان في ما قصه ورواه بل كان احد قواد الجيش المعوّل عليهم . وقد اشار الى ذلك في ختام قصيدته حيث قال :

ألم تعلم ومثلك قال حقاً باني كنت أنقبها شهابا

وهذه القصيدة مؤلفة من خمسة وخمسين بيتاً . وأما ملحمته الأولى الرائية التي اشرنا اليها فقد ختمها بقوله :

نطقت بفضلي وامتدحت عشيرتي فما انا مدّاح ولا انا شاعر

وهو بيت ينم على عزة الشاعر الملكية اذ خبرنا بأن كل ما جاء في قصيدته تلك من التنويه برجال عظماء وبجوادثهم انما مرجعه الى عشيرته لأن الممدوحين هم اجداده واعمامه وذوو قرابته . بحيث يثبت لنفسه شرف النسب والسلالة الطيبة فما هو مدّاح للقرباء ولا هو شاعر ينظم على منهاج معظم الشعراء في تلك العصور استجداء لهذا وتزلفاً الى ذاك ورهبةً من ذلك .

واما ملحمته الثالثة المؤلفة من خمسين بيتاً فقد نظمها في موضوع جدلي

دبني رداً على قصيدة الشاعر محمد بن سكَّرة الهاشمي التي يفتخر بها على الطالبيين .
وابو فراس من المتحيزين لهم التابعين شيعتهم . ومطلع هذه القصيدة :

الدين مخترَمٌ والحق مهتضَمُ   وفيْءُ آلِ رسولِ الله مقتسَمُ

وقال في ختام القصيدة :

وليس من قسَمٍ في الذكر نعرفه   الا وهم غير شك ذلك القسَمُ

وصلت الآن الى ايراد نماذج متوالية من شعر ابي فراس وقبل مباشرة ذلك أذكر للقراء الكرام أني اطلت النظر في شعره وبعد التأمل والاستقصاء جهدي رأيته موزعاً على الأغراض الآتية :

أولاً : الغزل والنسيب والتشبيب – ثانياً : الفخر والحماسة – ثالثاً : العتاب – رابعاً : الشكوى من قلة الوفاء – خامساً : الاستغاثة في اثناء اسره بابن عمه سيف الدولة – سادساً : تردد قلبه وهمته بين الصبابة والديانه – سابعاً : التوكل على الله – ثامناً : حنوه على اهل بيته وحنينه اليهم – تاسعاً : ايراده حوادث تاريخية – عاشراً : لهوه وشطحات صباه – حادي عشر : في حكمه وجوامع كلمه .

وهذه الأغراض الأحد عشر مصحوبة بنماذج القول فيها توضح للقراء النواحي الجوهرية من حياة هذا الرجل الكريم وعقليته وأخلاقه ومبادئه وميوله . ولم اذكر في اغراض شعره المدح لأنه لم يكن مدّاحاً الا في مواقف يسيرة حين يذكر ابن عمه الملك وبعض اخوانه . كما لم اذكر الهجو اذ كان يترفع عنه الا ما جاء في سياق مناظرة او حديث كما جرى له مع الدُّمستُق القائد الرومي ذات يوم اذ قال لأبي فراس في أثناء مناظرة وابو فراس يومئذ اسير عندهم : «ما لكم وللحرب انما انتم كتّاب» فاستفزه هذا القول وساءه ونظم في ذلك قصيدة واوائلها الأبيات التالية :

أتزعم يا ضخم اللغاديدِ اننا   ونحن اسود الحرب لانعرف الحربا

فويلك من للحرب ان لم نكن لها   ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تِرْبا

ومن ذا يكف الجيش من جنباته   ومن ذا يقود العين او يصدم القلبا
وويلك من أردى اخاك بمرعش   وحنك ضرباً وجه والدك العضبا
وويلك من خلى ابن اختك موثقاً   وخلاك باللقان تبتدر الشعبا
اتوعدنا بالحرب حتى كأننا   واياك لم يعصب بها قلبنا عصبا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه   فكنا بها أسداً وكنتَ بها كلبا

ومن شعره في التشبيب والنسيب الأبيات التالية من قصيدته الطويلة المصدَّر بها ديوانه :

وفي كلّتي ذاك الخباء خريدة   لها من طعان الدارعين ستائرُ
تقول اذا ما جئتها متدرعاً   ازائر شوق انت ام انت ثائر
تثنت فغصن ناعم ام شمائل   وولت فليلٌ فاحم ام غدائر
وما ظلّلتْ عن رائق الحسن انما   نمن على ما تحتهن المعاجرُ

ومن تشبيباته المشهورة قصيدته العامرة التي يتغنى بها المغنون حتى في أيامنا الحاضرة . ومنها قوله :

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبرُ   أما للهوى نهي عليك ولا امرُ

وقال في قصيدة أخرى على هذا الوزن وهذه القافية :

عذيري من اللاتي يلمن على الهوى   اما في الهوى لو ذقن طعمَ الهوى عذرُ

ومن غزلياته الممتازة حسناً قوله :

اساء فزادته الاساءة حظوةً   حبيب على ما كان منه حبيبُ
يعدُّ عليّ الواشيان ذنوبه   ومن أين للوجه الجميل ذنوبُ
فيا أيها الجاني ونسأل عفوه   ويا أيها الخاطي ونحن نتوبُ
لحى الله من يرعاك في القرب وحده   ومن لا يصون الغيب حين يغيبُ

واما باب الفخر والحماسة وهو اليق ابواب الشعر به فمن نفثاته فيه قوله من قصيدته التي مطلعها « اراك عصيّ الدمع » وقد مرت منها أبيات :

ونحن اناس لا توسط بيننا — لنا الصدر دون العالمين او القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا — ومن يخطب الحسناء لم يغلُهُ المهر

وقوله في ملحمته المصدَّر بها ديوانه :

نفى الهمَّ عني همة علويةٌ — وقلب على ماشئت منه مؤازرُ
واسمر مما ينبت الخطُّ ذابلٌ — وابيض مما يطبع الهند باترُ
ونفس لها في كل ارض لبانة — وفي كل حي اسرة ومعاشر
اذا لم اجد في كل فج عشيرةً — فكل كرام للكرام عشائر
تبوأت من قرميْ معد كليهما — مكاناً اراني كيف تبنى المفاخر
لنا اول في المكرمات وآخر — وباطن مجد تغلبيٍّ وظاهرُ
فجدي الذي لمَّ العشيرة جوده — وقد طار فيها للتفرق طائرُ
وعمي الذي اردى الكماة مجاهراً — وما الفارس القتّال الا المجاهرُ
تناصرت الاحياء من كل وجهةٍ — وليس له الا من الله ناصرُ

وقوله :

تفضلنا الأنام ولا نحاشي — ونوصَفُ بالجميل ولا نحابي
وقد علمت ربيعة بل نزارٌ — بأنا الرأس والناس الذنابى
ولما ان طغت سفهاء كعبٍ — فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنّا — اذا جارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا — كما هيجتَ آساداً غضابا
وكنا كالسهام اذا أصابت — مراميها فراميها اصابا

ومن افتخار ابي فراس بعزة نفسه وقوة ادراكه ونجدته ونبل سيرته قوله :

اذا لم اجد في بلدة ما اريده — فعندي لاخرى عزمة وركابُ
فليس فراق ما استطعت فان يكن — فراق على حال فليس ايابُ
صبور ولو لم تبق مني بقيةٌ — قؤول ولو ان السيوف جوابُ

وقور وانياب الزمان تنوشني   وللموت حولي جيئة وذهابُ
وألحظ احوال الزمان بمقلةٍ   بها الصدق صدق والكذاب كذاب
ورُبَّ كلامٍ مرَّ فوق مسامعي   كما طن في لوح الهجير ذباب
الى الله اشكو اننا بمنازلٍ   تحكم في آسادهن كلابُ
تمر الليالي ليس للنفع موطن   لديَّ ولا للمعتفين جنابُ
ستذكر ايامي نمير بن عامر   وكعب على علاتها وكلابُ
انا الجار لا زادي بطيءٌ عليهم   ولا دون بابي في الحوادث بابُ
ولا اطلب العوراء منهم اصيبها   ولا عورتي للطالبين تصابُ

وفي هذه القصيدة ما يدل انها من روميات الشاعر اي من الشعر الذي قاله وهو أسير في بلاد الروم ٠

ومن عتابه البارع لسيف الدولة قوله :

فليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خرابُ
اذا صح منك الود يا غاية المنى   فكل الذي فوق التراب ترابُ

وقال في الشكوى من قلة الوفاء :

ولكنَّ دهراً دافعتني صروفه   كما دافع الدَّين الغريمُ المماطلُ
ولو نيلت الدنيا بفضلٍ منحتها   فضائل تحويها وتبقى فضائل
ولكنها الأيام تجري كما جرت   فيسفل اعلاها وتعلو الأسافل
لقد قل ان تلقى من الناس مجملاً   واخشى قريباً ان يقل المجامل

وقال في تردد قلبه بين الصبابة والصيانة وهي أيضاً من ملحمته الكبرى المصدَّر بها ديوانه ٠

فيانفس مالاقيت من لاعج الهوى   ويا قلب ما جرَّت عليك النواظرُ
ويا عفتي مالي ومالك كلما   هممتُ بأمرٍ همَّ لي منك زاجرُ

كأن الحجى والصون والفضل والتقى لديّ وربّات الحجال ضرائرُ

وقال في التوكل على الله عز وجل :

وهل يدفع الانسان ما هو واقع وهل يعلم الانسان ما هو كاسبُ
وهل لقضاء الله في الناس غالب وهل من قضاء الله في الناس هارب
اذا الله لم يحرزك مما تخافه فلا الدرع منّاع ولا السيف قاضبُ
ولا سابق مما تجنبت سابق ولا صاحب ممن تخيّرت صاحبُ

وصلنا الى شعر ابي فراس الذي يشف عن حنوه على اهله وحنينه اليهم ووفائه لهم وهي صفات يتطلبها شرف الخُلُق وكرم الفطرة من كل انسان نحو أهله ما لم يحرجوه بقلة انصافهم وتعمد الاساءة اليه .

قال ابو فراس من قصيدة طويلة كتبها الى اخيه ابي الهيجاء حرب بن سعيد الحمداني يتشوق اليه ويذكر ما لحق اخاه من الجزع عندما أُسر هو :

بنفسي وان لم أرضَ نفسي راكبٌ يسائل عني كلما لاحَ راكبُ
قريح مجاري الدمع مستكبر الكرى يقلقله هم من الشوق ناصبُ
اخٌ لا يذقني اللهُ فقدانَ مثلهِ وأين له مثل وأين المقاربُ
تجاوزت القربى المودةُ بيننا فأصبح ادنى ما نعدُّ المناسبُ
ألا ليتني حُملت همي وهمه وأن اخي ناء عن الهم عازبُ
فمن لم يجُد بالنفس دون حبيبهِ فما هو الا ماذق الحب كاذبُ
واني لجذاع ولكن همتي تدافع عني حسرةً وتغالبُ
تكاثر لوّامي على ما اصابني كأنْ لم تنبْ الا بأسري النوائبُ

وقال في أواخر قصيدة أخرى على أثر فراقه لزوجه وكان قد شيعها عند سفرها الى الحج في يوم ثلج :

ويوم كأن الأرض شابت لهوله قطعت بخيل حشو فرسانها صبر
نسير على مثل الملاء منشراً وآثارنا طُرْزٌ لأطرافها حُمرُ

اشيعه والدمع من شدة الأسى على خده نظم وفي نحره نثرُ
رجعت وقلبي في سجاف عبيطه ولي لفتات نحو هودجه كثر
وفي من حوى ذاك الحجيج خريدة لها دون عطف الستر من صونها ستر
وفي الكم كف لا يراها عديلها وفي الخدر وجه ليس يعرفه الخدر

ثم استفزه الشوق فحلّق في شعره وقال :

فهل عرفاتٌ عارفات بزَوْرها وهل شعرت تلك المشاعر والحُجْرُ
أما اخضرّ من ريحان مكة ماذوى اما أعشبَ الوادي اما نبت الصخرُ
سقى الله قوماً حلّ رحلكِ بينهم سحائب لا قُلٌّ جداها ولا نزرُ

وكان في أثناء امره تضيمه حالة امه بعده اكثر مما تضيمه حاله فقال في ذلك :

لولا العجوز بمنبجٍ ما خفتُ اسبابَ المنيّه
ولكانَ لي مما سألـ ـتُ من الفدى نفس أبيّه
لكن اردت مرادَها ولو انجذبتُ الى الدنيّه
وأرى محاماتي عليـ ـها أن تضامَ من الحميّه
يا أمتا لا تيأسي لله ألطافٌ خفيّه
كم حادثٍ عنا جلاَ هُ وكم كفانا من بليّه
اوصيك بالصبر الجميـ ـلِ فانه خير الوصيّه

واما اشارات شاعرنا الأمير الى حوادث تاريخية في شعره فمنها قوله :

فان متُّ بعد اليوم عابك مهلكي معابَ الزرابيين مهلكُ معبدِ
همُ عضلوا عنه الفداء واصبحوا يهزون اطراف القريض المقصّدِ
ولم يك بدعاً هلكه غيرَ انهم يعابون اذ سيمَ الفداءَ وما فُدِي

وأما شطحاته في لهوه ومجونه فمنها قوله :

تواعدنا بآذارٍ لمسعى غير مختار
وقمنا نسحب الريط الى حانة خمّار

فلم ندر وقد فاحت لنا من جانب الدار
بخمار من القوم نزلنا أم بعطّار
وقلنا أوقد النارَ لصُرّافٍ وزوّار
وما في طلب اللهو على الفتيان من عار

وقد حان لنا الآن ان نختم كلامنا بأمثلة من حكم شاعرنا الأمير وجوامع كلمه . قال في هذا الباب :

دع الوطن المألوف رابك اهله وعدِّ عن الأهل الذين تكاشروا
فأهلك من اصفى وحيك من صفا وان نزحت دار وشطت عشائر
لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها اذا لم يكن للمبصرين بصائر
فهل ينفع الخطيُّ غيرَ مثقفٍ وتظهر الا بالصقال الجواهرُ

وقال :

اين الخليل الذي يرضيك باطنه من الخليل الذي يرضيك ظاهره
وما اخوك الذي يدنو به نسبٌ لكن اخوك الذي تصفو ضمائره

وقال :

اذا المرء لم يهجرك الا ملالةً فليس له الا الفراقَ عتابُ
لقد صار هذا الناسُ الاّ اقلّهم ذئاباً على أجسادهنّ ثيابُ

وقال :

ان الغنيّ هو الغنيُّ بنفسهِ ولو انه عاري المناكب حافِ
ما كل ما فوق البسيطة كافياً فاذا قنعت فكل شيءٍ كافِ

وقال :

في الناس ان فتشتهم من لا يسوؤك ان تذلّهْ
اترك مجالسة اللئيم فان فيها العجزَ كلّهْ

وقال :

هل ترى النعمة دامت لصغير او كبيرِ
او ترى امرين جاءا أولاً مثل أخيرِ
انما تجري التصاريفُ بتقليب الدهورِ
ففقيرٌ من غنيٍّ وغنيٌّ من فقيرِ

فرغت مما أردت ايراده عن الشاعر المقدم الأمير ابي فراس الحمداني ولعل ما أوردته يحسب صورة معنوية كافيةً له او قريبة من حد الكفاية . والذي نستنتجه من آراء أئمة الأدب العربي انهم يجعلون منزلته مثل منزلة ابي تمام والبحتري والمتنبي أشهر شعراء العهد العباسي رحمهم الله جميعاً ومكننا من الانتفاع بشيء من آثارهم ومآثرهم المتوهج نورها الساطع عبيرها .

(اللاذقية) ادوار مرقص

المعجمات الحديثة

ان المؤلفين القدماء من أئمة اللغة العربية لقمناء ان يذكر بلسان الصدق والاطراء وينقش بمداد الشكر والامهاء [1] ويسجل بآيات التقدير والاعجاب ما لهم من الأيادي الجزيلة على اللغة والفضل العميم علينا لما قاموا به من الأعمال الجليلة بجمعهم الحان العرب [2] وأساليبهم في الكلام وآدابهم وأشعارهم وأمثالهم مدونين كل ذلك في كتب ورسائل لا تحصى ، لولا بقاء بعضها الى يومنا هذا لماتت اللغة مع أصحابها تلك اللغة التي فاقت جميع الألسن في قوة بيانها وغزارة مادتها وعظمة ثروتها وبهاء حلتها ولدُفنت كما دفن غيرها من اللغات التي لم يُتح لها من يدونها ويصونها ولكانت بعد اندثارها أثراً بعد عين .

غير ان قصر الوقت أهاب بأولئك الفضلاء الى التزام العجلة في التأليف والتدوين ليتمكنوا من اتمام عظيم اعمالهم وبلوغ أقصى اهدافهم ولولا لجوؤهم الى السرعة في العمل لما استطاعوا انجاز ما أنجزوا ولما وصل الينا عنهم ما وصل ولذا جاءت معجماتهم عارية من الترتيب الذي يحتاج اليه المراجع في سرعة وجود ضالته فلأجل العثور على معنى لفظة واحدة ربما اضطر الى تصفح عدة صفحات وكثيراً ما لا يفوز ببغيته بعد ان يتعبه الجهد ويساوره الملل فيعود بخفي حنين ويغلق الكتاب آسفاً على ما أضاعه من الوقت .

ولكن ليس من العدل ان ننحي باللائمة على أولئك الأفاضل لأن تأليف اللغة لا يكون كاملاً ومنتهياً الى التنسيق المطلوب الا باجتياز مرحلتين الأولى الجمع والتدوين والثانية الصف والتنظيم ولربما كان عمر المؤلف غير كاف لاجتياز المرحلتين كلتيهما ما لم يتصف كتابه بالايجاز المخلّ فانظر الى لسان العرب

(١) الامهاء المبالغة في الثناء والاستقصاء (٢) اي لغاتهم جمع لحن بالسكون او الفتح

لابن منظور رحمه الله فقد جاء كتابه في عشرين مجلداً ضخماً تجمع قرابة عشرة آلاف صفحة من القطع الكبير والحرف الصغير يحتاج نسخها وحده الى عدة سنوات فما بالك في جمعه وتصنيفه وما يقال في لسان العرب يقال في تاج العروس وغيره من المعجمات المطولة فما أتى به المتقدمون الفضلاء من الأعمال الجليلة هو أعظم خدمة يستطيعون تأديتها في هذا السبيل فغمرهم الله بغوادق رحمته ورضوانه ٠

وقد كان على المتأخرين ان يقوموا بانجاز المرحلة الثانية إتماماً لما شرع فيه المتقدمون فقد أشار الى ذلك احمد فارس الشدياق في كتابه الجاسوس على القاموس وتصور خطة لترتيب المعجمات على نمط يسهل على المراجع سرعة الوصول الى بغيته وودّ لو ان يتاح للغة من يحقق فكرته من بعده فكان اوّل من لبى نداءه صاحب محيط المحيط غير أن هذا المؤلف ان كان أحسن بتحقيق ما ارتآه صاحب الجاسوس فانه قد أساء بما أتى به من التصرف في عبارات أئمة اللغة تغييراً وتحويلاً ، ومسخاً وتحريفاً [1] ، وتزييداً وتنقيصاً غير مراع أمانة النقل التي هي المستند الوحيد في تأليف اللغة ٠ ثم اقتفى أثره سعيد الشرتوني باخراج كتاب أقرب الموارد فجاء « نسخة طبق الأصل » من محيط المحيط في جميع أغلاطه ومساوئه ٠ ثم تبعه صاحب المعجم المسمى « بالبستان » محاولاً تخليص كتابه من أخطاء الأقرب وشوائبه الا ان كثرتها طغت على تلك المحاولة فلم يكن خلو البستان أيضاً من بعض هشيم تلك الأغلاط ودُرانتها [2] وهكذا ما زالت سلسلة المعجمات الحديثة تتوارث معايب حلقتها الأولى « محيط المحيط » وتتناقلها حتى انتهت تلك المعايب او بعضها الى الحلقات الأخيرة وهي المعجمات الصغيرة المدرسية ٠

ولما كنت آخذاً منذ بضع سنوات في تصنيف لغة العرب وتبويبها تمهيداً لما أود اخراجه من معجم في العلوم العصرية الحديثة من طبية وطبيعية وغيرها فقد

(١) يقال مسخ الكاتب اذا صحف او حرف فأحال المعنى في كتابته

(٢) الدُرانة بالضم كل حطام من شجر او حمض او بقل اذا قدم وفسد

سردت فيما سردت كتاب أقرب الموارد لكثرة تداوله بين الناس فاطلعت على حقيقته وعرفت غثه من سمينه وميزت بين صحيحه وسقيمه فألفيته مشحوناً بالغلط مفعماً بالتحريف حاوياً عبارات مخترعة لم يذكرها احد من ائمة اللغة مقحماً فيه الفاظ لا تمتُّ الى العربية بصلة حتى ان هذه المساوئ قد طغت كثيراً على ما للكتاب من محاسن ومنافع لا تنكر تعود الى جودة تبويبه وحسن تنسيقه وترتيبه . ونقسم اخطاء اقرب الموارد الى ثمانية صنوف :

(الأول) : مطبعي في الظاهر نحو ماجاء من ان المَكْر بالفتح هو الصغير بالغين المعجمة والصواب الصفير وآجَدَهُ بفتح الألف أي قوّاه والصواب آجده بالمد وتأبّد الرجل طالت عزبته « بعين مهملة بعدها زاي » والصواب غربته « بغين معجمة يليها راء » .

(والثاني) : ما هو خطأ في الاعجام وضبط القلم وهو كثير كقوله أُغْدِف الخاتن اي استأصل العزلة فضبطها بضم الألف وكسر الدال على صيغة المجهول خطأ والصواب أغْدَفَ بفتح الألف والدال على صيغة المعلوم .

(والثالث) : ما كان عن تسرع او غفلة في النقل فقد جاء في تفسير الخِلْب « بكسر فسكون » انه (حجاب الكبد وقيل غلاف البطن و — الحبل منه) اه . فظاهر العبارة ان ضمير منه راجع الى غلاف البطن لأنه اقرب مذكور وعلى تقدير ان المراد ارجاعه الى حجاب الكبد او الظفر المذكور قبل حجاب الكبد بين معاني الخِلْب فانه ليس لحجاب الكبد ولا للظفر ولا لغلاف البطن حبل والذي في القاموس الخُلْب بالضم وبضمتين الليف والحبل منه اه . اي من الليف فأدخل المؤلف عبارة « والحبل منه » ضمن معاني الخِلْب « بالكسر » التي لا يصح ارجاع الضمير الى اي منها مع ان محلّها ضمن معاني الخُلْب بالضم بعد كلمة الليف كما جاء في القاموس .

(والرابع) : شروح مخترعة مخطئة لم يذكرها أئمة اللغة فمن ذلك عبارة غريبة أتى بها في تفسير الخريطة وذلك انه بعد ان نقل عن القاموس قوله «الخريطة وعاء من أَدَم[1] وغيره يشرج على ما فيه الخ» زاد «ومنه الخريطة لما ترسم عليه هيئة الأرض او هيئة اقليم منها» فهذه الزيادة من عندياته لم ترد في أي معجم من الأصول ولا دليل عليها لأن كلمة «خريطة» التي استعملها للصور الجغرافية ليست مستعارة من الخريطة للوعاء من ادم كما توهم وانما هي مأخوذة من قَرْط الافرنجية (Carte) حتى ان بعض الناس لا يزال يلفظها خارطة بالألف كما كانت في بدء تعريبها واصل كلمة قَرْط لاتيني من قَرْطا وهو ورق الكتابة وهنا نتساءل هل كلمة قرطا اللاتينية عربية الأصل مأخوذة من خَرَطَ الورق اذا قشره عن الشجر اجتذاباً بكفه او خَرَطَ الشجرة انتزع الورق واللحاء عنها اجتذاباً ، باعتبار ان ورق الكتابة كان يُتَّخذ من ورق الشجر ، فيكون الورق او اللحاء مخروطاً ثم قيل له خَرْطة تسمية بالمصدر بمعنى مقدار ما يخرط كما تقول قبضة لمقدار ما يقبض عليه ؟ فمن هذا السؤال نجيب انه من الصعب البرهنة عليه والأرجح ان تكون قَرْطا لاتينية الأصل لا علاقة لها بخَرَطَ العربية ولو تشابه اللفظان بل ربما كانت كلمه قرطاس المستعملة في العربية معربة قَرْطا اللاتينية والقرطاس في الأصل الكاغد يُتَّخذ من نبات يقال له البردي يكون بمصر تعمل منه الحصر ويستأنس لكون كلمة قرطاس معربة باجتماع امور ثلاثة فيها الأول الحيرة والاضطراب الباديان في لفظها فانها مثلثة القاف اي تلفظ بفتح القاف وضمها وكسرها وان يكن الأشهر الكسر وتلفظ بلا الف أيضاً على وزن جعفر ودرهم فصار للفظها خمسة أوجه قِرْطاس وقَرْطاس وقُرْطاس وقَرْطَس وقِرْطَس . والأمر الثاني ندرة مجيء اسماء عربية على فَعْلال (بالفتح) في غير التضعيف كصَلْصال حتى قيل انه لم يجيء منها سوى

(١) الأَدَم بفتحتين الجلد المدبوغ

خزعال وهو الظلع اي العرج والثالث قلة اجتماع حروف ثقيلة كحروف قرطاس في كلمة عربية واحدة مع انتهائها بسين فلفظة قرطاس شبيهة بكثير من المعربات كالقسطاس بالضم والكسر وهو الميزان قيل انه رومي معرب والفسطاس بالضم والكسر أيضاً وهو بيت من شعر والقسطار كذلك بالضم والكسر للميزان أيضاً ولرئيس القرية والقنطار معروف ومعرب عند بعضهم وقصارى القول انه لا وجه لادعاء صاحب الأقرب من ان كلمة خريطة التي نستعملها لما رسمت عليه الصورة الجغرافية مستعارة من الخريطة التي هي وعاء من ادم .

(والخامس) : ذكر الفاظ عامية غير عربية متسربة في هذا الزمان من اللغات الأعجمية وخاصة التركية فمنه قوله الفَرَمان قال انه عهد السلطان للولاة فارسية والجمع فَرَامين اه . قلنا ان أصل هذه الكلمة بالفارسية بسكون الراء ومعناها الأمر مطلقاً ثم خصها الترك بأمر السلطان فلم يعلمها العرب حتى ولا المولّدون والغريب ان المؤلف اشتق لها فعل فَرْمَنَ وأدخلها في صفوف المواد العربية ثم اخترع لها جمعاً عربياً على فَرَامين . ومنه الوُجاق والأُوجاق فقد أقحمها بين المواد العربية وفسرها بأنها موضع النار مع انها تركية الأصل تسربت الى لغتنا العامية في هذا العهد . ومنه الغاز (Gaz) قال انه جوهر هوائي قابل الانضغاط وسيال يعرف بزيت الغاز افرنجية معناها روح والجمع غازات اه .

فهذه الكلمة أيضاً مما انتقل الينا من الأعاجم ولم يرد لها ذكر في كتب العربية ثم ان الغاز ليس من جواهر الهواء كما قال بل هو أعم منها وليس هو المعروف بزيت الغاز بل المعروف به هو النفط المعروف بالبترول أيضاً . ومن هذا الصنف الملبّس قال انه نقل للمولدين وهو لوز ونحوه يلبس سكراً اه . ولم يذكر هذه العبارة احد في المعجمات الموثوقة . وكذا مما لم يرد له ذكر في المعجمات الأصول كلمة مار قال انها لفظة سريانية معناها سيّد وقد تستعمل بمعنى قديس ومؤنثه مُرت الخ . ومنه أيضاً الكليرُس والإكليرُس قال هم خدمة

الله في البيعة كالشمامسة والقسوس والأساقفة ويقابلهم العالميون يونانيتها كليرس ومعناها قرعة الى ان قال الواحد إكْلِيرِيكيّ والجمع إكْلِيرِيكيُّون . ومنه القرش والغرش والمجيدي للنقود التركية المعروفة . ومنه أيضاً الكُوفتة التركية لطعام معروف . ومنه القاووق لضرب من لباس الرأس وهي تركية عربيتها قلنسوة الى غير ذلك من الألفاظ التي لا صلة لها بالعربية والتي وجودها في أقرب الموارد يناقض اسمه «فصح العربية والشوارد» .

فان كان المراد بيان ما دخل في لغتنا العامية في هذا العهد من الألفاظ الأعجمية وجب ان تجمع نظائر هذه الألفاظ كلها وهي تقدر بالمئات في فصل خاص او كتاب خاص لا ان يقحم بعضها بين المواد العربية فيؤدي الى الاضطراب والتشويش وعدم التمييز بين العربي والدخيل وبين العامي والفصيح .

وقد أشار مؤلفو المعجمات الحديثة الى هذه الألفاظ بانها معرّبة او مولدة مع ان المعرّب هو ما عرّبه العرب اصحاب اللغة اي اخذوه من الأعاجم وصاغوه في بوتقة اوزانهم وألحقوه بكلامهم لا كل ما تسرّب من الأعجمية الى العامية بكل زمان ومكان والمولد ما كان لفظه عربيّ الأصل ولكن لم تستعمله العرب ولا يخفى ان المراد بالعرب عند اللغويين هم سكان الجزيرة الذين نقل الأئمة اللغة عنهم ومن سبقهم . قال في المزهر «في امالي ثعلب سئل عن التغيير فقال هو كل شيء مولد وهذا ضابط حسن يقتضي ان كل لفظ كان عربيّ الأصل ثم غيّرته العامة بهمز او تركه او تسكين او تحريك او نحو ذلك مولد وهذا يجتمع منه شيء كثير وقد مشى على ذلك الفارابي في ديوان الأدب فانه قال في الشمع والشمعة بالسكون انه مولد وان العربي بالفتح وكذا فعل في كثير من الألفاظ» اهـ . وقوله او نحو ذلك اي تشديد المخفف وتخفيف المشدد وتغيير حركة بأخرى وتبديل حرف بآخر . وعلى هذا فقول عامتنا آم بدلاً من قام مولد وتوضّيت بدلاً من توضّأت مولد وكذا لا تواخذني بدلاً من لا تؤاخذني

والمواساة بدلاً من المآساة واحكى لي بدلا من حكى لي والكراهيَّة بالتشديد بدلاً من التخفيف والدخّان مشدّداً بدلاً من التخفيف والقدُّوم بدلاً من القدُوم والخبز بالتحريك بدلاً من التسكين والاسبات بدلاً من الاثبات والكِتّان بدلاً من الكَتّان والدَهليز بدلاً من الدِهليز .. الى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى كله مولد بل ان جميع لغتنا العامية تكاد تكون مولدة فلماذا لم تدمج كلها في المعجمات الحديثة ؟ هذا فضلاً عن ان لكل قطر عربي لغة عامية خاصة أفلا يداخل أهليها شيء من الغبطة لعدم ادخال لغاتهم في المعجمات فلماذا لم يذكر ما لا يزال يستعمل في مصر حتى في جرائدهم ومؤلفاتهم ودواوينهم من الألفاظ التركية كالشاويش للعريف والكُبْري للجسر ويجمعونه على كباري والبينباشي لقائد الألف او قائد الكتيبة والياوَر للحرافق ويجمعونه على ياوَران على القاعدة الفارسية وغير ذلك ؟

واغلاط هذا الصنف كثيرة .

(والسادس) : تصرّف مخلّ في عبارات ائمة اللغة افسد المعنى الصحيح وأخرجه عن أصله مثال ذلك ما جاء في القاموس إمْلاَجٌ الصبيُّ وامْلاَّجٌ طلع باطلاق الطلوع دون بيان مكانه ولم يتعرض شارح القاموس لايضاحه بل اقتصر على ضبط الفعلين واهملها اصحاب اللسان والمصباح والصحاح والأساس واذ بصاحب الأقرب يخترع قيداً للطلوع بقوله « اي من بطن امه » ولا قائل به ولا دليل عليه والأقرب الى الصواب ان طلع محرف من رضع لأن معظم معاني مَلَج وجميع مشتقاتها تدور حول الرضاع وليس فيها ما يدنو من معنى الطلوع فقوله من بطن أمه زيادة شوهت المعنى الأصلي وقلبته رأساً على عقب مع ان امانة النقل تقضي بان يكون بلا زيادة ولا نقص .

ومن هذا الصنف قوله غُمِي على المريض غَمْياً عرض له ما وقف به حسّه اه . فهذا التعريف ليس في جميع مآخذ الأقرب من الأمهات بل ان ما جاء في

اللسان غُمي على المريض وأُغمي عليه غُشي عليه ثم أفاق وفي التهذيب أُغمي على فلان اذا ظُنّ انه مات ثم يرجع حياً ومثله في التاج ومآل عبارة المصباح الاغماء تعطل القوى المحركة والأوردة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد الخ فعبارة الأقرب اختراع محض وهي مخالفة لتعريف الاغماء حتى عند الأطباء فهو عندهم تعطل في جميع القوى الحركية والحسية مع توقف القلب والنَفَس (بالفتح) او يكادان فهو موت جزئي فأقرب ما ذكره اللغويون الى هذا التعريف تفسير التهذيب من ان الاغماء ان يُظن الانسان مات ثم يرجع حياً وأما تعريف الأقرب فهو باطل من أساسه .

ومن هذا الصنف أيضاً قوله بَظِر الرجل بَظَراً لم يُختَن وهذا التفسير العجيب ليس في جميع المعجمات فقد عزاه الى اللسان مع ان قول اللسان بَظِر الرجلُ جاء في سياق كلامه في الأبظر وهو الذي في شفته العليا طول مع نتوء ونص عبارة اللسان « رجل أبظر في شفته العليا طول مع نتوء في وسطها وهي الخِنْزِمة ما لم تطل فاذا طالت قليلاً فالرجل حينئذ أبظر الى ان قال وقد بَظِر الرجل بَظَراً » اهـ . فمؤداه انه يقال بَظِر الرجلُ اذا كان في شفته العليا طول مع نتوء لا اذا لم يُختَن كما تسرّع الى فهمه الشرتوني وهذا من أغرب أغلاطه لأن ما يتعلق بالختان من هذه المادة خاص بالنساء فقد اشرك صاحب الأقرب الرجل مع المرأة فيما لم تشركها فيه الخلقة . سامحه الله .

ومن أغلاط هذا الصنف أيضاً قوله الجَما والجُما (مفتوحاً ومضموماً) ورم كالثدي في البدن اهـ . ولم يرد هذا التفسير في أي معجم من الأُمهات وانما الذي ذكره صاحب القاموس الجَما والجُما « نتوء وورم في الثدي » وقال في موضع آخر « نتوء وورم في البدن » فاختلف القولان وأرى الأخير هو الصحيح وان الثدي في القول الأول مصحف عن البدن في القول الثاني وذلك لعدم مجيء التفسير الأول في اللسان من جهة ولامتناع صحة تفسيرين متغايرين من

جهة أخرى . ولما نقل صاحب التاج العبارة الأولى صحف كلمة نتوء بقلب همزتها هاءً فصارت نتوه فظن الهاء ضميراً فارجعه الى كلمة الشيء المذكورة قبلاً وملخص عبارته «الجَماء والجماءة بالفتح ويُضمان الشخص من الشيء وحجمه وبالقصر ويضم نتوه واجتماعه وورم في الثدي» اهـ . فالهاء في نتوه ليست ضميراً بل مقلوبة من الهمزة تحريفاً وقوله واجتماعه مقحم ينبغي ان يكون بعد قوله وحجمه فتكون العبارة «الجَماء .. الشخص من الشيء وحجمه واجتماعه وبالقصر ويُضم نتوء وورم في الثدي» . وقصارى القول ان عبارة الأقرب « ورم كالثدي في البدن» لا أصل لها .

ومما يعتبر من هذا الصنف تصرفه في استعمال «وقيل» بدلاً من «او» وهذا كثير في كتابه وغير جائز لأن المؤلفين يجعلون «او» بين الأقوال المختلفة في تفسير الكلمة دون تمييز في قوة الصحة بين تلك الأقوال واما «قيل» فيشيرون بها الى ضعف القول الذي يليها مثال ذلك قوله «العُسَيْلة النطفة وقيل ماء الرجل» والذي في الأصول «او ماء الرجل» فقوله وقيل يفهم منه ضعف القول الثاني على ان عبارة اللغويين تدل على عدم الحكم على أصح القولين ولا يخفى ان القول الأول أعم من الثاني لأنه يفيد ماء الزوجين وكذا قوله «الحَرَض من لا خير عنده وقيل من لا يرجى خيره ولا يخاف شرّه» والذي في الأصول او من لا يرجى خيره ومثل ذلك قوله «الخبَّة طريقة من رمل وقيل من سحاب وقيل خرقة كالعصابة» وعبارة القاموس بأو بدل وقيل في الموضعين وهكذا فكل او واردة في القاموس قد استبدل بها كلمة وقيل ولا ندري لماذا ؟

(والسابع) : عدم مراعاته ارجاع ما بعد كاف التشبيه التي ترد في القاموس بعد المعاني المشتركة فان مقتضى قاعدة القاموس رجوع التشبيه الى المعنى الأخير فقط منها كقوله كما كالعبنّى فان التشبيه عائد الى العَبَنّ الذي بمعنى العظيم

من النسور والجمال فقط لا الى جميع معاني العَبَنّ وأما المفهوم من عبارة الأقرب فهو رجوعه الى جميع معانيه وهذا خطأ ·

(والثامن) : اخذه مفردات كثيرة من كتب ليست من معجمات اللغة ولا من دواوينها كمفردات ابن البيطار والألفاظ الكتابية والعقد الفريد والأغاني وغيرها من كتب الأدب التي لا يصح الاستشهاد بها على عربية وفصاحة ما جاء فيها من الألفاظ ما لم تكن معزوّة او مسندة بشواهد وأدلة او منقولة عن كتب اخرى قد اسندتها او اتت بشواهدها وذلك كنقله عن كتاب تاريخ الدول كلمة «الحشائشي» قال المراد بها العالم بالحشائش وعن تقويم البلدان كلمة الحمضة قال هي موضع الحمض وعن مفردات ابن البيطار «الشجّار» قال انه العالم المشتغل بالبحث عن أحوال الشجر والجمع شجارون وعن الأغاني جمع شونيز اي الحبة السوداء على شوانيز وعن الألفاظ الكتابية اضطرم نارَ الحرب قال معناها أوقدها ونظائر ذلك كثيرة في ذيل كتابه كما أنه أقحم في الذيل ألفاظاً كثيرة عثر عليها في المعجمات ليس بين مواد اللغة بل في سياق تفسير بعض المواد مع ان مؤلفي اللغة هم حجة في العربية فيما نقلوا لا فيما تكلموا به فمن أمثلة ذلك نقله من لسان العرب كلمة السَّبُور قال انها جاءت في ترجمة ف ر ه وان معناها الكثير السير ومن اللسان أيضاً في مادة ص ق ر «الدّباس» قال هو صانع الدبس وبائعه ومن التاج في مادة ن ج ز تسافكوا دماءهم اي سفك بعضهم دم بعض وفي مادة ج ص ص «ززّزته اززّه ززّاً» اي صفعته وفي مادة ب ر ر «استصعد البرير» اي جناه وفي مادة ن ع ي التمهّر تفعّل من المهارة ولا حاجة لنا الى سياقة جميع ما جاء من هذا القبيل لأنه ظاهر في ذيل كتابه باشارة «س» فأما ما كان مقيساً من هذه الألفاظ فلا فائدة من ذكره في المعجم ·

الطبيب محمد جميل الخاني



العدد في اللغة العربية

-٣-

حالات المميز مع العدد

سبق أن ذكرت أن الواحد والاثنين لا يذكر معهما المميز لأنه يستغني عنهما باعتباره يدل في نفسه على الوحدة وعلى التثنية بطبيعة اللفظ والدلالة .

أما المعدود الذي هو مميز العدد الذي يسبقه مع بقية الأعداد غير الواحد والاثنين فله أحوال عدة ألخصها فيما يلي :

المعدود مع ثلاثة الى عشرة يكون مخصوصاً بالاضافة ويكون جمعاً مكسراً يدل على القلة لا على الكثرة فان استعمل جمع الكثرة فاضطراراً بالنيابة عن جمع القلة وتخالف هذه القاعدة في ثلاثة أمكنة : الأول ان يكون اسم جمع وذلك قليل نحو : تسعة رهط ، الثاني : لفظ مائة فتقول ثلاثمائة لا ثلاث مئات ويعلل بأن مائة لفظ يدل على جمع أي عشر عشرات ، الثالث أن يميز بجمع التصحيح في الكلمات التي أهملت جموع تكسيرها مثل « سبع سموات » وفي الكلمات التي لها جموع قلة مكسرة ولكنها جاورت هذه الكلمات مثل : « إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر » جاورت « سنبلات » ، وجمعها المكسر سنابل ، بقرات ٍ وليس لهذه جمع تكسير بل لها اسم جمع فقط ؛ وفي الكلمات التي ليس لها جموع تكسير مثل ثلاث سُعادات ج سعاد . وينوب جمع الكثرة عن جمع القلة حين لا يوجد هذا أو يكون شاذاً قياساً أو سماعاً او قليل الاستعمال .

وجموع القلة لها أربعة أوزان : أفعال وأفعُل وأفعِلة وفِعلة مثل : أجمال وأفرُخ وأرغفة وغِلمة .

وتجوز الإضافة في مثل ثلاثة أثواب قياساً على قولك «كل القوم» فالمقصود بلفظة أثواب هنا واحد منها لا الجمع «أثواب» مكرراً ثلاث مرات .

وإذا استعمل جمع الكثرة بدل جمع القلة مع وجوده ينزل منزلة اسم الجنس فثلاثة كلاب معناها ثلاثة من الكلاب كما تقول ثوب خز أي من خز .

وبمناسبة الكلام على المعدود يجب الانتباه الى انه لا يجوز فصل العدد عن تمييزه فلا تقول : (ثلاثة رأيتهم رجال «او من الرجال») ؛ وأما قول الشاعر :

«على أنني بعد ما قد مضى   ثلاثون للهجر حولا كميلا»

فضرورة .

أما جر المعدود مع ثلاثة وأخواتها فقد علله الصبان «في حاشيته ج ٤ ص ٤٦» بأنه لما كثر استعماله آثروا جر المميز بالإضافة للتخفيف لأنها تسقط التنوين وعلل كونه جمعاً بإيجاد المطابقة بين العدد والمعدود وعلل كونه جمعاً للقلة بالمطابقة أيضاً .

وذكر الصبان أنه يجوز في معدود ثلاثة وأخواتها إذا كان لفظه مذكراً ومعناه مؤنثاً أو بالعكس وجهان مراعاة اللفظ أو مراعاة المعنى .

واختلف النحاة في قول «رأيت ثلاث بنات عرس» فبعضهم يرى إدخال التاء لأن مفردها ابن عرس وبعضهم يرى حذف التاء لأن لفظ بنات مؤنث أما القاعدة العامة فهي أنه يرجع لمفرد الجمع فينظر فيه من حيث التذكير والتأنيث فيذكر العدد إن كان هو مؤنثاً وبالعكس .

وإذا اشترك مذكر ومؤنث معدودان معاً في عدد فيعتبر المعدود كله مذكراً فتقول : أعطيتك ثمانية ما بين عبد وجارية لأن القاعدة العامة أنه اذا اجتمع مذكر ومؤنث فالغلبة تكون للمذكر وهنا ليس المقصود ثمانية من كل نوع وإنما بعض الثمانية عبيد وبعضهم جوار ولذلك يغلب المذكر المؤنث في هذه الحالة .

ولكن الفرّاء لا يجيز عطف المؤنث على المذكر في مثل قولك جاءت ستة

رجال ونساء لأن ذلك معناه ستة رجال وست نسوة لا ستة ما بين رجال ونساء
ومما جاء مخالفاً لقاعدة المعدود مع ثلاثة هذا البيت :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاث وأكثر

وكان الواجب أن يقول ثلاثاً لأن القبائل جمع قبيلة وهي مؤنثة ويذكر معها العدد ؛ وخرّجه صاحب المخصص (ج ١٧ ، ص ١٧٢) بأن الشاعر أراد بثلاثة ثلاثة أبطن فأنث العدد وأظن أن هذا خطأ فلم يقصد الشاعر ذلك وإنما اضطره الشعر الى تأنيثها أو أن العرب لم يكونوا كلهم يسيرون على هذه القواعد العددية بصورة دقيقة ولذلك نجد أبياتاً كثيرة من أمثال هذا البيت يسعى النحاة الى أن يصطنعوا لها تأويلات يظهر فيها التمحُّك والتنطع .

والمعدود مع خمسة عشر وأخواتها يكون تمييزاً مفرداً منصوباً فأما نصبه فكما يقول ابن يعيش (ج ٦ ص ٢٠ من شرح المفصل) فلأنه عدد فيه نية التنوين إلا أنه مبني فبناؤه كان مانعاً من ظهور التنوين كمنع ما لا ينصرف نحو قولك : هؤلاء حواجُّ بيتَ الله وضوارب زيداً فلما كان في نية مُنوّن امتنعت لذلك إضافته ووجب نصب مميزه وأما إفراده مع أحد عشر وأخواتها فلأن العدة معلومة من العدد ولم يبق إلا بيان الجنس فأغنى فيه الواحد عن الجمع .

والتمييز مع عشرين يكون كذلك مفرداً منصوباً ونُصب لأن عشرين لعدم تمكنه لم يَجُز حذف نونه وإضافته إلى الجنس المميز فلم يقولوا « عشرو » درهم لأن العشرين وأخواتها لم تقو قوة اسم الفاعل ولا الصفة فألزمت طريقة واحدة وتحذف إذا اضيفت إلى المالك نحو عشرو زيدٍ فلذلك لم يكن التفسير إلا واحداً لأن الواحد دال على نوعه فإن قلت عندي عشرون رجالاً كنت قد أخبرت أن عندك عشرين كل واحد منهم جماعة رجال كما قالوا جملان وإبلان فاعرفه (المفصل لابن يعيش ج ٦ ص ٢١) .

والمعدود مع مائة يكون مفرداً مجروراً بالإضافة وعلله صاحب التصريح

(ص ٢٧٤ ج ٤) بأن المائة اشتملت على عشرة وعشرين فأخذت من مميز عشرين الإفراد وأخذت من مميز عشرة الإضافة .

والمعدود مع ألف يكون كالمعدود مع مائة لأن الألف ليس إلا عشر مئات ووجه النحاة القراءة الشاذة في « ثلاثمائة سنين » بإضافة العدد إلى المعدود بأنها شبهت هنا بالعشرة إذ كانت تعشيراً للعشرات وقيل إنه من وضع الجمع موضع المفرد ووجهوا قراءة من قرأ « ثلاثمائة » بالتنوين بأن المعدود إنما وقع عطف بيان أو بدلاً من ثلاثمائة ونقض هذا بعضهم بأن هذا ليس بدلاً لأنه لا يصح الاستغناء عن الأول وأجيب عنه بأن نية الطرح غالبة لا لازمة .

وقد ورد تمييز المائة في الشعر بمفرد منصوب كقول الربيع بن ضبيع الفزاري :

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب المسرة والفتاء

وأجاز ابن كيسان نصب تمييز مائة وألف (والحقيقة أن البيت ضرورة والرواية شاذة) « التصريح على التوضيح ص ٢٧٦ ج ٤ » .

والمعدود مع المليون وما بعده من العقود يكون كالمعدود مع الألف استعمالاً وقياساً لأن المليون ليس إلا ألف ألف .

ملاحظة تتعلق بمعدود أحد عشر وأخواتها

الذي قلنا أنه يجب ان يكون مفرداً منصوباً :

جاء في القرآن الكريم : (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً) والأسباط مفردها سبط مذكر وخرج على أن أسباطاً ليس تمييزاً وإنما هو بدل مما قبله بدل كل من كل والتمييز محذوف تقديره فرقة . وزعم ابن مالك (الناظم) في شرح الكافية ان أسباطاً تمييز وإنما لم يذكّر معه العددان لأنه ذكر بعده أمماً فرجح لذلك التأنيث لأن أسباطاً وصف بأمما كما وقع نفس الأمر في بيت عمر : « ثلاث شخوص كاعبان ومعصر » وهذا مخالف لقول الناظم (ابن مالك) في التسهيل أن أسباطاً بدل لا تمييز وقولهم أنه بدل مشكل لا يصح وقولهم أنه

تمييز مخالف للقاعدة لأن تمييزه يجب ان يكون مفرداً وُخرّج يكون أسباطاً وصف لتمييز محذوف تقديره فرقة وذهب الفراء الى جواز جمع التمييز وظاهر الآية يشهد له ويشهد له أيضاً ما روي من قول ابن مسعود: « قضى في دية الخطأ عشرين بنت مخاض وعشرين بني مخاض » وتخريج أبي حيان على أن بني مخاض حال من عشرين أو نعت لها والتمييز محذوف خلاف الأصل ·

وكل هذه التخريجات تخريجات مرتبكة لسنا في حاجة اليها ويكفي أن نشير في مثل هذه الآية التي لم ترد وفق الأمثلة الغالبة أن نقول قد ورد فيها التمييز جمعاً خلافاً للمألوف في القاعدة العامة المستمدة من النصوص الشائعة الغالبة بالكثرة فهي من قبيل النادر في اللغة أو الشاذ أو أنه لم يكن عند العرب مانع في بعض الأحايين من جعل التمييز جمعاً في مثل هذه الحالة ·

مميز الثلاثة وأخواتها

حينما يكون اسم جنس أو اسم جمع أو جمعاً

مميز الثلاثة والعشرة وما بينها إن كان اسم جنس خفض بمن: « فخذ أربعة من الطير » وعلل الأخفش امتناع الاضافة اليه بأنه قد يقع على الواحد ولا يضاف هذا الجمع الى الواحد وقد يخفض تمييز اسمي الجنس والجمع باضافة العدد اليه فاسم الجمع نحو: « وكان في المدينة تسعة رهط » واسم الجنس كقول جندل بن المثنى:

« كأن خصييه من التدلدل ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل »

واختلف في هذه الاضافة على ثلاثة أقوال: الجواز على قلة كما مر والاقتصار على ما سمع وهو مذهب الأكثرين والرأي الثالث التفصيل في اسم الجمع فان كان مما يستعمل للقليل كرهط ونفر جاز وان كان يستعمل للقليل والكثير لم يجز وعلله المبرد بأن العدد لا يضاف الى الواحد ولا لما يدل على الكثرة ويعتبر التذكير والتأنيث مع اسمي الجمع والجنس بحسب حالها باعتبار عود الضمير عليهما

تذكيراً وتأنيثاً وقد يكونان مما يجوز فيه التذكير والتأنيث على السواء مثل «البقر» فتقول ثلاثة من البقر وثلاث من البقر .

وفصل ابن عصفور في اسم الجمع فقال ان كان لمن يعقل فحكمه حكم المذكر كالقوم والرهط والنفر وان كان لمن لا يعقل فحكمه حكم المؤنث كالجامل والباقر .

والجمع يعتبر به حال مفرده فتقول ثلاثة حمامات وثلاثة اصطبلات لأن حمام وإصطبل مذكران وأجاز البغداديون ذلك والكسائي ونقل سيبويه والفراء أن كلام العرب على خلاف ذلك .

ولا يعتبر من حال الواحد حال لفظه فتقول ثلاثة طلحات لا ثلاث طلحات وينظر في مرافقة العدد الى ما يستحقه المفرد باعتبار ضميره فيعكس حكمه في العدد واختلفوا في تخريج :

« فكان مجنى دون ما كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر »

فقال بعضهم ضرورة خلاف القياس وسهلها مدلولها ثلاث نسوة ورأى ابن مالك أنه اذا اقترن باللفظ ما يرجح جانب المعنى ترجح (ص ٢٧١ من التصريح على التوضيح ج ٤) .

العدد الذي حذف تمييزه

وناب عنه الصفة والذي أضمر بدون أن تنوب صفة عنه

الصفة المحذوف موصوفها إذا رافقت العدد روعي حال الموصوف المحذوف في التذكير والتأنيث مثاله : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» التقدير عشر حسنات امثالها فمفرد حسنات حسنة وهي لفظة مؤنثة يذكر معها العدد .

واعتبار توهم الموصوف كاعتبار نيته «أي حذفه» ولهذا ترى العرب يقولون ثلاثة دواب بالتاء اذا قصدوا ذكوراً لأن الدابة وهي لغةً كل ما يدب على الأرض صفة في الأصل غلبت عليها الاسمية وقد يجرونها مجرى الاسم الجامد ويراعون لفظها . «التصريح على التوضيح ج ٤ ص ٢٧١» واذا أضمر المعدود

مع الأعداد بين الثلاثة والعشرة عدّ كأنه مذكور ويجوز ان تحذف التاء في المذكر كالحديث : «ثم أتبعه بست من شوال» .

وعلل الصبان (في حاشيته ص ٤٤ ج ٤) جواز حذف التاء في المذكر المحذوف مع العدد بقوله : «يمكن أن يوجه بأن في حذف المعدود إبهاماً فناسب مراعاة الإبهام في لفظ العدد أيضاً وفي المؤنث المحذوف مع العدد نقل الأسقاطي عن بعضهم المنع ومقتضى ما مرّ عن الصفوي الجواز» .

العدد الموصوف

ولا يجوز إضافة العدد الى الصفات وإنما يوصف بها العدد فتقول ثلاثة قرشيون وما جاء باضافة الصفة يؤول بموصوف محذوف وذلك لأن الأصل أن تميز الأعداد بالأنواع لا بالصفات وعليه تخرج الآية : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» بأن المقصود عشر حسنات أمثالها واستعمال ثلاثة نسابات أي ثلاثة رجال نسّابات وانما تقوم الصفة مقام الموصوف حين تشتهر (ص ١٢٧ ج ١٧ المخصص لابن سيده) .

العدد الذي يكون وصفا

يقول الصبان : «إذا قدم المعدود وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها كما لو حذف تقول مسائل تسع ورجال تسعة وبالعكس — نقله النووي عن النحاة - (حاشية الصبان ج ٤ ص ٤٤) وقال ابن سيده (في المخصص ج ١٧ ص ١٢٥) : «إذا نعت المذكر والمؤنث بالعدد تساوى المنعوت وشبه بالمصدر ولو لم يكن له فعل من لفظه وذلك الى العشرة تقول : رأيت الرجال ثلاثتهم ورأيت النساء ثلاثتهن وقال أبو حاتم فيما زاد عن العشرة تقول : رأيتهم أحد عشرهم وثلاثة عشرهم ورأيتهنّ إحدى عشرتهن وثلاث عشرتهن وتجري البقية حتى تسعة عشر على ذلك» .

ونلاحظ هنا الفرق بين رأي الصبان القائل بأنه يجوز إجراء القاعدة وتركها وبين رأي ابن سيده في أن لفظ العدد في أصله ينعت به الجنسان وضرب له أمثلة .

صفة تمييز العدد المفرد

يجوز في نعت هذا التمييز مراعاة اللفظ نحو عندي أحد عشر درهماً ظاهرياً وعشرون ديناراً ناصرياً ومراعاة المعنى فتقول ظاهرية وناصرية ومنه قوله :

« فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم »

العدد المردف بمعدودين مذكر ومؤنث

سبق أن تكلمت في شيء من هذا في ص ٣٣ من بحثي ولكني لم أوفه حقه هناك حين كنت أتكلم على حالات المعدود فقد قلت أن حكم العدد المميز بشيئين لمذكرهما ولكن الأشموني (ص ٥١ ج ٤ من شرحه) يفصل في ذلك فيقول : « حكم العدد المميز بشيئين في التركيب لمذكرهما مطلقاً إن وجد العقل نحو : عندي خمسة عشر عبداً وجارية وخمسة عشر جاريةً وعبدا فإن فقد فللسابق بشرط الاتصال نحو : عندي خمسة عشر جملاً وناقة وخمس عشرة ناقة وجملاً وللمؤنث إن فصلا نحو : ست عشرة ما بين ناقة وجمل او ما بين جمل وناقة وفي الاضافة لسابقها مطلقاً نحو عندي ثمانية أعبد وآم وثمان آم وأعبد ولا يضاف عدد أقل من ستة الى مميز مذكر ومؤنث لأن كلاً من المميزين جمع وأقل الجمع ثلاثة » .

واختلف حكم المعدود من الجنسين مع العدد في كلام العرب إذا كان المعدودان بعد العدد المشترك أياماً وليالي فان التأنيث يغلب على التذكير حينئذ بخلاف القاعدة العامة وذلك لأن الليلة ابتداء اليوم (ابو علي الفارسي) قال الشاعر :

« فطافت ثلاثاً بين يوم وليلة وكان النكير أن تضيف وتجأرا »

وقال تعالى : « يتربصن بأنفسهن ثلاثة أشهر وعشرا » أي عشرة أيام غلب الليالي على الأيام لأنه أبهم ولم يعين المعدود وكذلك الأمر كلما عدد المدة بدون

ذكر اليوم أو الليلة ؟ وسواء أذكر اليوم أم الليلة فالأيام مع لياليها والليالي مع أيامها وقد استعمل العرب الأيام مع الأعداد فأنثوا الأعداد معها قال تعالى : « قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزاً » (المخصص ص ١١٥ ج) .

تعريف العدد والمعدود

(دخول الألف واللام عليهما)

ذكر صاحب المفصل ان الألف واللام تدخل على معدود الثلاثة والعشرة وما بينهما فتقول تسعة الأثواب ومع أحد عشر تدخل الألف واللام على النيّف فتقول الأحد عشر رجلاً وفيما فوق العشرين تقول الأحد والعشرون وفي المائة تقول مائة الدرهم وثلاثمائة الدرهم وألف الرجل وقال ان الكسائي روى الخمسة الأثواب وعن ابي زيد أن قوماً يقولونه غير فصحاء ففي حالة الثلاثة وأخواتها يرجع الى قاعدة ان المضاف يكتسب التعريف من المضاف اليه وفي الأحد عشر وأخواتها يجوز ثلاثة وجوه : ١ً) أن تدخل الألف واللام على الأول لأن المركب قد اكتسب قوة الكلمة الواحدة فدخل التعريف على الأول وهو رأي البصريين . ٢ً) أن تدخل التعريف عليهما معاً أي على النيّف والعقد وهو مذهب الكوفيين والأخفش وذلك لأنهما اسمان العطف مَنوِيٌّ فيهما ولو صرح بالعطف لوجب دخول التعريف عليهما معاً . ٣ً) مذهب قوم من الكتاب يدخلون التعريف على الكلمات الثلاثة وهو فاسد لأن التمييز لا يكون الا مبهماً فلا يجوز تعريفه ولا يجوز « العشرون الدرهم » إلا على المذهب الضعيف وذلك لأن درهما تمييز فيجب ان يكون نكرة كما قدمنا ولأن النون من عشرين تفصل بين العدد وبين المعدود لأنها في حكم التنوين فلا إضافة تفيد تعريف المضاف بتعريف المضاف إليه . (المفصل ج ٦ ص ٣٤) .

وذكر ابن سيده (المخصص ج ١٧، ص ١٢٥) « أن الكوفيين أجازوا : الثلاثة الأثواب والخمسة الدراهم والثلاث المائة الألف الدرهم ويعرفون العشرين

وتمييزها فيقولون : العشرون الدرهم والأحد عشر الدرهم ومنهم من يقول الأحد العشر الدرهم ويقولون النصف الدرهم شبهوه « بالحسن الوجه » وقال البصريون : إذا جعلت جميع أجزاء العدد نفساً للمقدار جاز إدخال التعريف عليها جميعها وروى ابو زيد أن استعمال النصف الدرهم والخمسة الدراهم غير مطّرد » .

ونرى من هذين النصين الاختلاف الكبير بين رأي البصريين ورأي الكوفيين ونرى من جهة ثانية ان قضية وضع القواعد لم تكن قضية سماع عن العرب وكيف يستعملون التعريف في مثل هذه الحالة كما كان يجب أن يكون الامر وإنما أصبح قضية تحكيم الهوى تارة والمنطق أخرى .

ويلاحظ أن المركب العددي كأحد عشر وثلاثة عشر يبقى مبنياً على فتح الجزأين مع الألف واللام ويذهب جل النحويين أيضاً الى أنه يبقى كذلك حين يضاف لمستحق المعدود فتقول احدَ عشرَ زيدٍ وأحدَ عشرَك ببقاء الجزأين مبنيين على الفتح .

وذكر الصبان أنه لا يجوز دخول الألف واللام على الألف في قولك الف رجل فلا تقول الألف رجل بل الف الرجل وذكر ابن الفارضي قال : « وأما دخول ال على المضاف في قول ابي هريرة (رضي) : (فلما قدم جاء بالألف دينار) فقيل زائدة وقيل تقديره بالألف الف دينار فحذف الف وهو بدل من الألف .

اضافة العدد الى مستحقه

قال ابن عقيل في شرح الألفية أن الأعداد المركبة تضاف الى غير مميزها ما عدا اثنى عشر فلا يضاف فلا يقال اثنى عشرك وإذا أضيف العدد المركب فمذهب البصريين بقاء الجزأين على بنائهما وقد يعرب العجز بحسب العوامل مع بقاء الصدر على بنائه .

وقال في التصريح : « إنما منعوا إضافة اثنى عشر لمستحق المعدود من بين

الأعداد المركبة لأن ما بعد اثنين واثنتين واقع موقع النون فكما ان الاضافة تمتنع مع النون فكذلك تمتنع مع ما وقع موقعها ولا كذلك الباقي» .

وقال ابن يعيش في شرح المفصل (ص ٢٠ ج ٦) : «ولا يجوز حذف عشر فيقال اثناك لأنه يلتبس باضافة الاثنين» .

وقال في التصريح : «قال سيبويه في اللغة التي حكاها في إضافة العدد المركب الى مستحق المعدود — وهي بقاء الصدر مبنياً واعراب العجز بحسب العوامل — إنها رديئة وقال الأخفش حسنة واختارها ابن عصفور ووجه ذلك بأن الاضافة ترد الأسماء الى أصلها من الاعراب وردّه ابن مالك في شرح التسهيل بأن المبني قد يضاف نحو كم رجلٍ عندك . وقد يفرق بين ما بناؤه أصلي فلا يرد الى الاعراب وما بناؤه عارض بسبب التركيب فيردّ اليه بأدنى ملابسة . وحكى الكوفيون وجهاً ثالثاً وهو ان يضاف الجزء الأول الى الثاني فيعرب الجزء الأول بحسب العوامل ويجر الجزء الثاني بالإضافة كما في عبد الله نحو ما حكى الأخفش أنه سمع ممن سمع من أبي فقعس الأسدي وابن الهيثم العقيلي : «ما فعلت خمسة عشرك» .

النسبة الى العدد

قال ابن سيده (ص ١١٩ ج ١٧ من المخصص) : «إذا أردت ان تقول رجل من بني ثلاثة تنسبه الى العدد بلفظ ثَلاثِيٌّ واذا اردت ان تنسب ثوباً الى ثلاثة باعتبار طوله ثلاثة أذرع قلت ثُلاثي بضم التاء والقاعدة تشمل الأعداد من الثلاثة الى العشرة؛ واذا نسبت الى عشرين وثلاثين قلت عِشْرِي وثَلاثِيٌّ واذا نسبت الى خمسة عشر قلت خَمْسِي بعكس النسبة الى الخمسة فتقول خُماسيٌّ والنسبة الى اثني عشر ثنويٌّ واثنيٌّ واختلف في أحد عشر فقال الأحمر لا ينسب اليها وانما يقال طوله أحد عشر وقال غيره يقال أحد عشريٌّ . وقال السجستاني لا ينسب اللفظ المركب فلا ينسب الى الصدر وحده ولا الى العجز وحده وانما

ينسب الاثنان معاً كما ذكر في الشعر النسبة الى رام هرمز راميّة هرمزية (في نسبة امرأة) فتقول أحديّ عشريّ وإحدويّ عشرويّ في المؤنث» .

ونلاحظ نحن في لغات الحديث السائدة الآن في الأقطار العربية ان قولهم احد عشري واثنا عشري هو الجاري على الألسنة فيقولون في سوريا مثلاً عن المسمار الذي طوله أحد عشر سانتيمتراً «إدَعشريّ» ويقولون «اطنعشريّ» ويقول المصريون «احدعشري واطنعشري» . والموسيقى والسهولة تدعوان لهذا التخفيف في الاستعمال ولا تدعوان الى استعمال أحديّ عشريّ في النسبة لأنه ثقيل غير مستملح لا في النطق ولا في الأسماع .

الصفات العددية الترتيبية

على وزن فاعل والاشتقاق من ألفاظ العدد

أقصد بالصفات العددية الترتيبية ما يقصد به في اللغات الغربية الصفات المشتقة من ألفاظ العدد للدلالة على درجة المعدود ورتبته النسبية بالنسبة لغيره من الأشياء لا عدده فعند ما نقول طلاب السنة الثالثة فانما نقصد السنة التي تأتي في الترتيب بعد السنتين الأولى والثانية لا معنى العدد وهي في هذه الحالة صفة صريحة .

واللغة العربية كاللغات الغربية تشتق الصفات الترتيبية العددية من أسماء العدد أنفسها وهي تشتقها على وزن فاعل فيقال «ثاني وثالث ورابع» وهكذا ومؤنثاتها على وزن فاعلة . وجاءت لفظة واحد بطبيعتها على وزن فاعل وهي مشتقة من وحَد يحد ومؤنثه واحدة ولكن لفظه لا يستعمل للدلالة على الرتبة إلا مع العقود كعشر وعشرين وذلك على قلة في لغات بعض القبائل فيقال جاء الرجل الواحد والعشرون ويقصد به الرجل الحادي والعشرون واللفظة المفردة التي تدل على المعنى الترتيبي للواحد بدون مرافقة العقود هي أوّل للمذكر على وزن أفعل وأولى للمؤنث على وزن فُعلى وهمزة أول زائدة لأنه كما قلنا على وزن أفعل من فَعَل أما همزة أولى فغير زائدة وهي بدل من واو وإنما أبدلت لاجتماع الواوين على حد

واقية وأواق واذا كانت كلمة أول صفة منعت من الصرف وذلك للوصفية ووزن الفعل تقول هذا رجل أول اي اول من غيره حذف الجار والمجرور والألف واللام ليست بلازمة له ويفهم حذفهما لأنهما مرادان في المعنى فهما في حكم المنطوق واذا كانت لفظة اول اسماً صرفت فتقول ما تركت له أولاً ولا آخراً أي لا قديماً ولا حديثاً . واشتق من الواحد لفظة لترافق العقود على وزن فاعل وهي «حادي» وحادية مقلوب واحدة جعلت فاء الكلمة فيهما بعد لامها ولا يستعملان منفردين أبداً بل مع العقود تقول الحادي والتسعون والحادية والتسعون .

واذا أردت الترتيب العددي في العقود فانك تعطف العقد على لفظ الحادي والحادية كما أسلفت .

والصفة الترتيبية العددية المأخوذة من العددين اثنين وعشرة وما بينهما تشتق من هذه الأعداد على وزن فاعل كثان وثالث ورابع حتى عاشر بدون شذوذ وتدخل على هذه الصفات الألف واللام كما تنون أيضاً وتعرب بالحركات الثلاث التي تظهر على آخرها .

وتكون الصفات العددية من الأعداد أحد عشر وتسعة عشر وما بينهما بإضافة الصفات العددية المشتقة من الآحاد البسيطة الى لفظة عشر في صفة المذكر وعشرة في صفة المؤنث وتدخل الألف واللام على صدر المركب فقط فتقول قرأت الجزء الحادي عشر واخذت الصحيفة الرابعة عشرة ولم اجد النحاة قد نصوا على تجرده من الألف واللام او جواز تنوينه (اي صدر المركب) كما لم ينصوا على كيفية اعرابه في اي حالة من هذه الحالات الثلاث ولكن قياساً على حالة المركب العددي الذي اشتق هو منه استطيع ان اقول انه يبقى مبنياً على فتح الجزءين ولو دخلته الألف واللام كما لا ينون لأن العجز نزل منزلة التنوين من الصدر في هذا المركب وانه يجوز تجرد الصدر من الألف واللام في بعض التعابير الكلامية فيقال رأيت رابعة عشرة فصلها وخامس عشر كتيبته .

ولم يشتقوا من لفظ العشرين صفة على وزن فاعل لأنه يأتي على وزن عاشر المشتق من عشرة ويلتبس به لذلك تستعمل لفظة العشرين نفسها كصفة عددية ترتيبية فيقال قرأت المجلد العشرين من معجم ياقوت مثلاً وكذلك في بقية بابه من اسماء العقود وفي المائة والالف وما فوقها من العقود فتقول اخذت الجنيه المائة مما كان معي من النقود وهكذا .

قال صاحب التصريح (ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ج ٤) : « وقال في التسهيل فيما يتعلق باشتقاق الأعداد على وزن فاعل ان قولهم مصوغ من العدد تقريب على المتكلم وفي الحقيقة انه مصوغ من الثَّلث الى العَشْر وهي مصادر ثلثتُ الاثنين الى عشرْتُ التسعة وفي الصحاح عشرت القوم أعشرهم عشرا إذا صرت عاشرهم وما دون الاثنين من هذه الأعداد على وزن فاعل وضع على ذلك الحكم من اول الأمر فقيل في المذكر واحد وفي المؤنث واحدة وهما من وَحَدَ يَحِد » .

والاشتقاق من اسماء الأعداد سماعي لأنه من قبيل الاشتقاق من اسماء الأجناس كتربتْ يداك من التراب .

وقال الصبان في شرحه (ص ٥٤ ج ٤) ان الأفعال من لفظ العدد يكون مضارعها على وزن يضرب إلا ما كان لامه عينًا وهو ربع وسبع وتسع فإنه على وزن شفع يشفع وقال (في ص ٥٦ من نفس الجزء) : « لم يذكروا في العشرين وبابه فعلا مشتقا وقال بعض أهل اللغة عشرن وثلثن اذا صار له عشرون او ثلاثون وكذلك الى التسعين واسم الفاعل من هذا معشرن ومتسعن » .

والصفات العددية الترتيبية التي ذكرتها هي الصفات المفردة وذلك احد استعمالات صيغة فاعل المشتقة من العدد ولها استعمالان آخران للدلالة على ترتيب المعدود وفيهما لا تكون هذه الصفات مفردة بل تستعمل في احدهما مع ما اشتقت منه فيجب حينئذ إضافة فاعل الى ما بعده فتقول ثاني اثنين وثانية اثنتين الى عاشر عشرة والمعنى احدُ اثنين واحد عشرةٍ وتستعمل في الثاني مع ما قبل ما اشتقت

منه مثل ثالث اثنين وفي هذه الحالة يجوز اضافتها الى ما بعدها ويجوز نصب ما بعدها على المفعولية فتقول ثالث اثنين وثالثٌ اثنين وهكذا الى عاشر تسعة وعاشرٍ تسعةً وكذلك في التأنيث مع مراعاة تأنيث الأول مع المؤنث. والمعنى جاعل الاثنين ثلاثة والثلاثة اربعة . هذا حين بناء فاعل من الآحاد البسيطة في هذين الاستعمالين ؛ واذا أريد بناء فاعل من العدد المركب للدلالة على المعنى الأول الذي هو كثاني اثنين يجوز فيه ثلاثة أوجه :

١ً — ان تجيء بتركيبين صدر أولها فاعل في التذكير وفاعلة في التأنيث وعجزهما عشر في التذكير وعشرة في التأنيث وصدر الثاني منهما في التذكير أحد واثنان وثلاثة بالتاء الى تسعة وفي التأنيث احدى واثنتان وثلاث بلا تاء الى تسع مثل : ثالث عشر ثلاثة عشر ، وثالثة عشرة ثلاث عشرة وتكون الكلمات الأربع مبنية على الفتح .

٢ً — الثاني ان يقتصر على صدر المركب الأول فيعرب ويضاف الى المركب الثاني باقياً على بناء جزءيه نحو: « هذا ثالث ثلاثة عشر وهذه ثالثة ثلاث عشرة » .

٣ً — ان يقتصر على المركب الأول باقياً على بناء صدره وعجزه نحو : « هذا ثالثَ عشرَ وثالثةَ عشرةَ واليه اشار ابن مالك بقوله : وشاع الاستغنا بحادي عشرا ونحوه .. »

وقال ابن عقيل في شرح الألفية :

« ولا يستعمل « فاعل » من العدد المركب للدلالة على الاستعمال الثاني فلا يقال : « رابع عشر ثلاثة عشرة » وكذلك الجميع ولهذا لم يذكره المصنف واقتصر على ذكر الأول » .

وقال في التصريح (ص ٢٧٨ ج ٤) ان تركيب رابع عشر ثلاثة عشر قد منعه بعضهم لعدم ورود السماع به وأجازه بعضهم قياساً منهم سيبويه وعلى الجواز فيتعين بالإجماع ان يكون التركيب الثاني من التركيبين في موضع خفض

باضافة التركيب الأول اليه ويمتنع النصب وان كان الوصف فيه بمعنى جاعل لأن عمل الوصف إنما يتأتى مع تنوينه أو اقترانه بأل وهما منتفيان مع التركيب ومن ثم أجاز بعض النحويين هذا ثان احد عشر وثالث اثني عشر بتنوين الوصف ونصب ما بعده لعدم تركيب الوصف مع العشرة .

وقال الصبان في شرحه (ج ٤ ص ٥٤ — ٥٦) إن كلام الأشموني يفهم منه جواز صوغ الوصف المذكور من العدد المعطوف عليه عقد — للمعنيين المذكورين — فيقال هذا ثالث ثلاثة وعشرين بالاضافة وهذا رابع ثلاثا وثلاثين بالإعمال ورابعة ثلاث وثلاثين بالإضافة .

وقال في التصريح (ص ٢٧٧ ٢٧٨ ج ٤) : « قال ابن مالك في اصطلاح ثان اثنين بنصب اثنين أن هذا لا يجوز الا في ثانٍ وذلك لأن له فعلاً من لفظه وهو ثنيت الرجلين أي صرت ثانيهما ولا يجوز « ثالثٌ ثلاثةً » لأنه ليس له فعل من لفظه وقد ردّ قوله هذا بعض النحاة غير معتمدين على السماع وإنما على القواعد المنطقية » .

ولا يجوز إعمال ثالث في اثنين في اصطلاح « ثالث اثنين » أي جاعل الاثنين ثلاثة الذي اجازوا إضافته وإعماله الا اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال واعتمد على نفي او استفهام أو ذي خبر او حال او موصوف كما يجوز الوجهان اي الإضافة والإعمال في جاعل ومصير .

وقال في شرح المفصّل (ص ٣٤ ج ٦) : انه اذا أريد بتركيب رابع ثلاثة الدلالة على الزمن الماضي لا يجوز الا فك التنوين والاضافة كقولك : هذا ضاربُ زيدٍ أمسِ وقال في التصريح (ص ٢٧٨ ج ٤) : « ولا يستعمل بهذا الاستعمال ثانٍ فلا يقال ثاني واحد ولا ثانٍ واحداً نص على ذلك سيبويه وأجازه الكسائي وحكاه عن العرب فقال : تقول ثاني واحد وحكى الجوهري « ثانٍ واحداً » وانما ساغ عمل فاعل من العدد لأن له فعلاً . يقال كانوا

تسعة وعشرين فثلثتهم اي صيرتهم ثلاثين وكانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم اي صيرتهم مائة . وورد في شرح ابن السراج لأبي الحسن بن الأهوازي : « كان القوم عشرة فحدعشتهم الى تسعشتهم وهم محدعشون وأنا محدعِش ومتسعِش وكذلك في العقود يقال معشرن ومثلثن ومن المائة والألف ممئ ومؤلف الا ان فعلها أمأى وآلف » .

قلت أن الصيغة الثالثة لاستعمال ثالث عشر ثلاثة عشر تكون بان يحذف التركيب الثاني « ثلاثة عشر » وقال صاحب التصريح بصددها أن هذا الاختصار جرى بحذف العقد من التركيب الأول وحذف النيف من التركيب الثاني وبهذا توصل الى صيغة التركيب الأول وبناء على هذه الطريقة في الوصول الى هذه الصيغة قال أن في إعرابه وجهين الأول ان تعربها لزوال داعي البناء وهو التركيب فالأول بحسب العوامل والثاني مضاف اليه وقال ابو حيان وينبغي ان لا يقدم على هذا الا بسماع لما فيه من الاجحاف؛ الثاني أن يعرب الجزء الأول وهو الوصف بحسب العوامل وان يبنى الجزء الثاني على الفتح ووجهه ان الجزء الأول أعرب لزوال التركيب .وأبقى الجزء الثاني مبنياً لنية المقدّر . وزعم بعضهم وهو ابو محمد ابن السيد أنه يجوز بناؤهما على الفتح لحلول كل منهما محل المحذوف من صاحبه وردّ بأنه لا يعلم حينئذ أنهما اصل تركيبين بل يظن أنهما تركيب واحد . (نتبين في هذا الى اي درجة دخل المنطق والتمحلك في وضع علم النحو) .

الألفاظ المشتقة من أسماء العدد

والدالة عليه والفاظ تدل على العدد غير الأعداد المعروفة

مرّ في البحث السابق ذكر كثير من هذه الأفعال والمشتقات فلا حاجة لإعادتها الا ما يكون فيه فائدة منها فما ذكره صاحب المخصص (ص ١٢٨ —

١٢٩ ج ١٧) : [من الأفعال الدالة على العدد قولهم : كان القوم وتراً فشفعتهم وكانوا شفعاً فوترتهم وتراً ، الوَتر والوِتر وقد أوترت ووترت من الوتر ، والخسا الفرد والزكا الزوج وتخاسى الرجلان تلاعبا بالزوج والفرد وثلثت القوم أثلثهم اذا كنت لهم ثالثاً وربعتُهم فخمستهم الى عشرتهم اذا كنتُ عاشرهم وثَلَثتُهم اذا أخذت ثُلثَ اموالهم أيضاً وكذا ربعتهم الى العشر مثله الا ان المضارع في العدد مكسور العين وفي القسمة (اي الكسر) مفتوح العين الا يربع ويسبع ويتسع فهي مفتوحة العين في الحدين .

ويقال كانوا ثلاثة فأربعوا اي صاروا اربعة الى اعشروا اي صاروا عشرة ولم يقولوا اربعتُهم وأربعهَم فلانٌ — ابن السكيت — .

ويقال عندي عشرة فأحِدْهن وآحِدهن اي صيرهن احد عشر وحكى بعضهم فأحدُهُن .

وقال في (ص ١٣٠ المخصص ج ٧) : « الأستار اربعة من كل عددقال جرير :

« ان الفرزدق والبعيث وأمه وابا البعيث لشر ماأستار »

والنواة خمسة والأوقية أربعون والنَّشُّ عشرون والفَرَق ستة عشر والشيْع مقدار من العدد تقول أقمت شهرا او شيْع شهر ومعه مائة رجل او شيْع ذلك وآتيك غداً او شيعه — اي بعده — ولا يستعمل الا في الواحد (اي المفرد)] .

يتبع : نعيم الحمصي

العامي والفصيح[1]

— ٨ —

رأس — ويقولون وُلد فلانٌ على رأس اخيه اي بعده دون فاصل بين ولادتيهما بولد آخر والأولاد جاؤوا «أرْوِسَةً» اي يتلو بعضهم بعضاً في الولادة

وفي اللغة كما في مستدرك التاج عن ابن الأعرابي «يقال ولدت ولدها على رأس واحد اي بعضهم اثر بعض وكذلك ولد ثلاثة اولاد رأساً على رأس اي واحداً اثر واحد» وكأنه افاد التعاقب وعدم تخلل فاصل ثم استعيرت منه الى المجيء تواً بلا فاصل يقال جاء من البلد الفلاني رأساً الى هنا اي من غير ان يعوج · ويقولون لا اقبله اصلاً ورأساً اي دون ان يتخلل عدم القبول تردد ويقولون لمثل القثاء والبطيخ اذا جاء في أخريات موسمه ولم يتم نضجه هو رأس قُرط وهو في الفصيح «القُحُّ» قال في اللسان عن الليث القحُّ البطيخ آخر ما يكون وقد قحَّ يقُحُّ قحُوحةً ولكن الأزهري خطَّأه في تفسيره فقال ان صوابه الفِجُّ بالفاء والجيم يقال ذلك لكل ثمر لم ينضج وأما القح فهو اصل الشيء وخالصه ·

ر ب خ — ويقولون رَبَخَ اذا استرخى وقعد الى الأرض من اعياء · وربخت الدجاجة على بيضها اي حضنته وبركت عليه وهو يفيد معنى الاسترخاء وفي اللغة اربخ الماشي في الرمل اذا استرخى وقال ابو الهيثم في علّة تسميتهم جبلاً بزرود «مُرْبِخاً» لأنه يُربخ المشيُ فيه من التعب والمشقة وجاء في كتب الأئمة رَبخت رَبخاً وربوخاً ورَباخاً اذا استرخت وفترت من الكلال ·

---

(١) تأخر ورودها

ر ب ص — ويقولون ربّص الأرض اذا روّاها بالسقي قبل الحرث وقالت العرب في هذا المعنى بَرْص الأرضَ المطر وقد نقل الصاغاني عن ابن عباد ان التبريص ان يصيب المطرُ الأرضَ قبل ان تحرث وقالوا بَرْبصَ الأرض اذا أرسل فيها الماء لتجود وقالوا بغرها يبغَرُها بغراً وسقاها غبّاً روّياً وفي التاج بُغِرت الأرض اصابها المطر فليّنها قبل ان تحرث وقالوا للمعنى نفسه مَخرَها فربّص الأرض العامية جاءت من بَرّصها على القلب او من بربصها بشيء من التجوز

ر ب ط — وتسمي العامة الحجارة الضخام التي توضع في سافات البناء لترّبط بعضها ببعض وتوضع في مآخير الطي لتربطه بالساف وتسمى « المرابط » وهو تسمية باعتبار الوصف وفي اللغة تسمى الحوامي واحدتها حامية لأنها تحمي البناء من السقوط قال ابن شميل الحوامي عظام الحجارة وثقالها وأيضاً صخور عظام تجعل في مآخير الطيّ فاستعمال العامة للمرابط لا يخرج عن حدّ الفصاحة .

ر ب و — والرُبوبية عند العامة ورم في المفصل وتعقّد يكون من ألم وجيع فيما يتصل بذلك المفصل واكثر ما يكون من الم الرجل في اصل الفخذ وهي من ربا يربو اذا زاد ونما ويقال ربا السويق اذا صبّ عليه الماء فانتفخ . وهو في هذه الربوبية انتفاخ ووجع في غير مكان الوجع يكون من تأثيره .

او هي الأُربيّة قال في الأساس « ونقصت اربيتاه وهما لحمتان في اصل الفخذ يتعقّدان من اَلم الرجل » وانما الاربية أُصل الفخذ فسمي به هذا التعقد او هذا الورم من تسمية الشيء باسم محله .

ر ت ء — ويقولون رتأ فلان بالمكان اي استقرّ وأقام وبعضهم يقول فيها « رتق » بالقاف ظنّاً انها من بنات القاف او تقصراً في الكلام وسبيلها في ذلك سبيل « حمىء » اذا غضب فيبدلونها قافاً والفصيح فيها الهمزة وفي القاموس والتاج ورَتأ في المكان أقام .

ر ج د — رَجَد . الرّجيدة

ويقولون رجدنا الحصيد اي نقلناه من الحقل الى البيدر والاسم الرجيدة وهو استعمال فصيح صحيح ولكن الاسم في الفصيح الرِجادة ٠

ر ج ع — الرَجْعي والمرتجع ٠ الراجعة

ويسمون الثمر الذي يخرجه الشجر بعد ثمره الأوّل «الرجعي» وهو في اللغة الفصحى الخِلْفَة وفسروها بانها ثمر يخرج بعد ثمر وهو ايضاً «اللَّحَق» محركة وتسكَّن وهو كل شيء لحق شيئًا وكل ثمرة تجيء بعد ثمرة ٠

ويسمون دابة المكاري اذا انقضى سفرها واريد رجوعها الى مكانها بكراء جديد «مرتجعة» واسمها في الفصيح الرجيعة والرجيع ج رجائع ويسمون ما يخرج به البنّاء من الحائط من وسطه الى داخل البِناء كالدعامة له ليقيه من السقوط «الراجعة» لأنها رجعت في امتداد البناء عن سطره وكانت تسمى زمن الدولة العباسية «الدستاهيجات» وهذه دخيلة ويراد بها الدعائم التي تبنى بجوار الأسوار لتقوّيهـا، وأرجح انهـا المعروفة اليوم باسم البغلة ثم اطلقوا الاستاهيجات على ما يخرج من الحائط في وسط البناء ليقيه من السقوط وهذه هي الراجعة عند العامة (راجع ب غ ل) ٠

ر ج ل — المَرْجَلة والمراجل

وقالوا أظهر فلان مَرْجلةً وهو ابو المراجل اي صاحب رجولة وقوة والمرأة مرجلانية اذا كانت تتشبه بالرجال في القوة والشدة وفعلها عندهم تمرجل وذلك على حدّ قول الفصحاء تمسكن وتمندل على طريقة توهم الاصالة ٠

وجاء في مستدرك التاج وامرأة مرجلانية تتشبّه بالرجال في الهيئة والكلام ٠ والظاهر أنها مولّدة ٠ وتسمى عند العرب الرَجُلَة قال الراغب ويقال للمرأة الرَجُلَة اذا كانت متشبهة بالرجل في بعض احوالها قال صاحب التاج ويؤيده الحديث ان عائشة (ام المؤمنين) كانت رَجُلة الرأي اي كان رأيها رأي الرجال

ر خ خ الرخّة من المطر — وقالوا رخّة مطر او رخة من المطر وهي عند

العامليين الطش من المطر الخفيف القصير الأمد وفصيحها النخَّة بالنون مكان الراء قال في القاموس النخَّة المطر الخفيف والحرفان يتعاقبان في الفصيح كما في قولهم تنخش وترخَّش بمعنى تحرك وقالوا تفكر وتفكَّن بمعنى واحد وطنفس الرجل وطرفس بمعنى لبس الثياب الكثيرة ورمى المال ونما اذا زاد

وربما كانت من الرخخ وهو السهولة واللين فقد قالوا عيش رخاخ اي ليّن وأرض رخاخ ورخاء اي واسعة لينة والمطرة الخفيفة لا شدة فيها فهي لينة وهي رخة

ر خ ف الرَخْف — وقالوا رخّف العجين اذا ارخاه والعجينُ : رَخْف ورَخِف وهو في اللغة كذلك قال العرب رخف يَرْخُف رَخْفاً العجين استرخى وارخفه اذا اكثر ماءه فهي على هذا فصيحة صحيحة .

ر د ح رَدَح الجمل — سمعت جمّالة الشام في الركب الشامي بطريق الحج يقولون رَدَح الجمل وذلك انه كان اذا مشى نفض قوائمه وضرب بها الأرض وذلك من داء فيه وهذا الداء يسمى في اللغة الحَرَد قال في اللسان الحَرَدُ داء في القوائم اذا مشى البعير نفض قوائمه فضرب بهن الأرض كثيراً وبعير أحرد يخبط بيديه اذا مشى خلقةً وقال الجوهري بعير احرد وناقة حرداء والظاهر ان اصل المعنى عدم الانبساط ومنه كان الغضب حَرَداً

والعامة قالت رَدَح الجمل على القلب وهو معروف في الفصيح .

ر ش م الرشمة — قال صاحب التاج الرشمة ما يوضع على فم الفرس عامي ولم يذكر الزبيدي مأخذها العامي ولا تزال معروفة عند العامة الى اليوم ولكنها لا تسمى رشمة حتى تكون ذات زنجير من حديد فان لم تكن كذلك فهي ليست برشمة وانما توضع فوق انف الفرس ويحيط زنجيرها بلحييه وأرى انها مأخوذة من الرُشمة في وجه الضبع لسواد فيه قال في اللسان « والرُشمة سواد في وجه الضبع » لأنها انما تكون فوق الأنف ولون الحديد اسود فهي بوضعها هذا تشبه رُشمة الضبع

او تكون من الرُثمة بالثاء المثلثة قال في اللسان الرُثمة بياض في طرف أنف الفرس وقيل هي في جحفلة الفرس العليا وقيل هو كل بياض قلّ أو كثر اذا أصاب الجحفلة العليا الى ان يبلغ المرسن وقيل هو البياض في الأنف

وزنجير الرشمة يؤثر غالباً في جلدة الأنف فيسحجها باحتكاكه فيها وينبت اثر هذا الاحتكاك شعر أبيض فعلى الوجه الأول سميت لسواد الزنجير وعلى الثاني بأثره وتبدل الثاء شيناً في الفصيح مثل ثلغه وشلغه اذا شدخ رأسه والحرفان يتعاقبان أيضاً مثل لطثه ولطشه اذا ضربه بعرض اليد ·

ر غ ث الرِغاثة — الرُغاثة وتكسر عند العامة هي الرَّغوث في الفصيح ومعناها المرضعة من الشاء أو كل مرضعة قال الشاعر:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تدور

ر ف ش الرَفش — الرفش هو مذراة مصمتة (بلا أصابع) يرفع بها التراب على الأعضاد والفلجان (راجع ذ ر و) ويجرف بها القمح وهو في الفصيح «الجِنَبُ» قال في اللسان والجِنْب شبحة مثل المشط الا انها بلا أسنان وطرفها الأسفل مرهف يرفع بها التراب على الأعضاد والفلجان وقد جَنبَ الأرض بالجنب وهو المنساخ أيضاً وفي اللسان والمنساخ شيء يرفع به التراب ويذرّى به · أقول والرفش أيضاً له وجه صحيح في اللغة قال صاحب اللسان رفش البُرّ يرفشه جرفه والرفش ما رفش به ويقال لِلمجرَف الرفش ولجراف السفينة الرفش قال الليث الرَفش والرُفش لغة سوادية وهي الجرفة يُرفش بها البُر رفشاً وقال شمر الأرفش العريض الأذن من الناس شبه بالرفش وهي الجرفة من الخشب التي يجرف بها الطعام قلت وسمت العامة لوح الكتف بالرفش لأنه يشبه هذه الجرفة فأنت ترى من كلام الأئمة ان الرفش صحيح وان كان سوادياً ·

ر ف ع ثوب رفيع — تقول العامة ثوب رفيع ونسيج رفيع وخيط رفيع والجمع عندهم رِفاع ويراد به الدقيق (ضد الغليظ) وقد استعملها صاحب

القاموس في مادة ب ن د ق لهذا المعنى فقال نقلاً عن الصاغاني والبندقي ثوب رفيع · واستعملها صاحب ادب الكاتب والحريري وقال في شفاء الغليل ولعله مجاز وفي مجاز الأساس ثوب رفيع ومرتفع ولم يفسر والظاهر انه يريد هذا المعنى وفي المصباح ورفُعَ الثوب فهو رفيع خلاف غلظ ·

ر ق د الترقيد · التدريخ — الترقيد في عامية مصر وجبل عامل هو التدريخ في دمشق وما اليها وهو أن تأخذ غصناً في شجرة وتطمره في الأرض وهو متصل بأمّه ليضرب عروقاً في الأرض ويصبح غراساً مستقلاً بنفسه واني ارى ان عامية مصر اقرب الى الصحيح وكأنهم أخذوها من الرقاد وهو النوم والمرقد المضجع وفي التنزيل «من بعثنا من مرقدنا» واطلاق النوم او الرقاد على غير الحيوان يكون من المجاز وقد جاء في كلامهم رقدت السوق اي نامت كما في مستدرك التاج ودفنُ الغصنِ ارقادٌ له واضجاع واما التدريخ فان صح انها عربية فتكون من التدريق وهو التليين والغصن ُيلانُ اذا اريد عكسه ودفنه لكي ينثني ويطاوع

والفصيح الوارد في اللغة لهذا المعنى هو العَكيس قال في اللسان «والعكيس القضيب من الَحبلة يعكس تحت الأرض الى موضع آخر» والعكيس فعيل بمعنى مفعول وهو من العكس وهو القلب والرد وعكس الشيء جذبه الى الأرض كما في اللسان وفاعله يأخذ الغصن ويثنيه تحت الأرض ·

ر ق د رقَّد الزرع — وقالت العامة رقَّد الزرع اذا انثنى بعضه على بعض والتبد قصبه بالأرض وهو مستعار من الرقاد أيضاً

وفي اللغة كَدَأ وكَدِيَ يكْدَأ كدْأً وكُدُوءاً النبت : اصابه البرد فلبدَه في الأرض اي جعل بعضه فوق بعض ·

ر ق ع رَقَعَه بالكف او بالعصا — وقالوا رَقَعَه بالعصا او بالكف اذا ضربه وجاء في اللغة رقَعَه بسوطه او بكفه اذا ضربه فالعامي صحيح فصيح وتجوزت العامة فقالت رقَعَه جواباً اذا اصاب منه ما يشفي بهذا الجواب غليله ·

ر ك س الرَكْس – الرَكْسُ عند العامليين قضبان دقيقة تُصفّ متلاصقة متضامة فوق خشب السقف معارضة لامتداد الخشب لتمنع من سقوط التراب الذي يترّب به ويلقى عليه

وفي اللغة الرِكْس الجسد . وبناء رَكْس رُمّ بعد الهدم . والرَكس ردُّ الشيء مقلوباً . وجاءت ترتكس بمعنى تزدحم وفي الحديث الفتن ترتكس بين جراثيم العرب اي تزدحم وأرى انها ان لم تكن دخيلة فهي من ترتكس بمعنى تزدحم لأنها تُضَمّ متلاصقة شديداً او من الركس وهو رَدُّ الشيء مقلوباً لوضعها معارضة

ر ك ك ركّ عليه الرَكّة – ويقولون ركّ عليه اذا أثقله او ألحّ عليه بأكثر مما يُطيق او باكثر ما يصح ان يكون وهو يتركّ عليه اي يحمله شيئاً من اثقاله وفي اللغة ركّ يركّ ركاً عليه الحمل : ضاعفه وأثقله به وركّاه عليه بمعناه وهو من تحويل التضعيف فالاستعمال العامي صحيح

واما يترَكّى عليه ويتدكّى وهما بمعنى واحد عندهم غالباً فهي من هذا او من يتوكأ والركّة عند عامتنا ما يضعه البنّاء وراء الساف من طين وحجارة يسدّ به الفروج في الساف ووراءه ليمسك به الساف ويتساوى سطحه فانما سموه بالركة لأنه يُرَكّ ويلبَّد بالدقّ ليتمكن في موضعه وهذه الركة تسمى في اللغة الجُماش

ر م ش الرَمْش – الرَمْش عند العامة تحريك أجفان العين وهو في اللغة ادارة عين المرأة بغمز الرجل كما جاء في لسان العرب (مادة ه ج ل) وقال في مستدرك التاج رَمْشُ العين جفنها وقال ابن الاعرابي المرماش الذي يحرك عينيه عند النظر تحريكاً كثيراً وجمعه في التاج على مرامش (وانما أتت الكثرة من الصيغة) فالرمش عند العامة للأجفان وفي الفصيح للعين والمعنيان يتلاقيان فيحلّ احدهما محل الآخر فيكون استعمال العامة لا يخرج عن حدّ الفصاحة .

ر ن خ رنَّخ الثوب وترنّخ الجسم – والعامة تقول رنَّخ الثوب ورنَّخ الحبّ اذا نقعها بالماء لكي يلينا وفي اللغة رنَّخه اذا ذلَّله والترنيخ يطلق على

التذليل في الفصيح وقد قالوا رنَّخ المهر اذا ذلَّله ومن هنا صلح استعمال العامة على سبيل المجاز . وقالوا تَرْنَخ البَدن اذا اعتراه تراخٍ وفتور وفي الفصيح كما في القاموس رَنَخ رنوخًا اذا فتر فتوراً .

ر ه ف الرَّهَف — الرَهَف (محركة) عند العامة ضرب من عدو الخيل وفصيحه الخَبَب والعامي مأخوذ من الرَهْو وهو السير اللين مع دوامه وهو أيضاً السريع الخفيف والعامة أبدلت ، والواو والفاء يتعاقبان في الفصيح كالحرافة والحراوة في الطعم

او مأخوذ من الهرَف (على القلب) وهو العجلة وفي الرَهَف امراع في لين

ر ه ق ارتهق — ويقولون ارتهق فلان وهو مرهوق اذا فوجئ وعوجل بشيء لم يكن يترقبه فدهش ولم يدر كيف يصنع

وفي اللغة رَهِقه (كفرح) اذا غشيه ولحقه او دنا منه سواء أخذه او لم يأخذه كما في القاموس . وفي النهاية رَهِقَه بالكسر يَرْهَقُه بالفتح رهقًا اي غشيه والرهَق الجهل والحمق والمرهوق عند العامة الذي غشيه الشيء فدهش وحار في ما يصنع

ر ه ن الرَهْوَنة — الرَهْوَنة عندهم ضرب من عدو الخيل والبغال وهو سير ليّن مع امراع فيه وهو في الفصيح الرَهْوجة وفسروها بانها ضرب من السير لين معرب رهوار وانما جاء الجيم لمكان التعريب كما في فيروز وفيروزج أو هي مولَّدة من الرهوان وهو اللين الظهر في السير من البراذين

والرهوان فاعل من رها يرهو رَهْواً اذا مشى مشيًا خفيفًا برفق قال القطامي :

يمشين رهْواً فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل

وقال في اللسان عن الأزهري قال العكلي المُرهي من الخيل الذي تراه كأنه لا يسرع فاذا طلب لم يدرك . قلت وهذا هو المعنى المراد بالرهونة عند العامة والفصيح في الرهونة الهملجة والرهوان الهملاج .

روج ترويج العجين طحين الترويج — وقالوا روّج العجين اذا قدّره وقطعه أرغفةً متساوية المقدار وأرى انه من روّز الشيء بالزاي اذا قدّره وفي مستدرك التاج الرَوْزُ التقدير كالترويز قال الشاعر :

« فروّزا الأمر الذي تروزان »

وطحين الترويج هو الدقيق الذي يفرش تحت العجين عند تقطيعه وخبزه ويسمى الترويجة ويسمى في الفصيح التُوَيْنى قالوا وهي الدقيق الذي يفرش تحت قطعة العجين اذا سويت رغيفاً ويسمى أيضاً الأوافة وفسروها بأنها الدقيق يبسط على الخوان لئلا يلتصق العجين .

رول الريْلَة والمَرْبول — وعندهم الرَيْلَة لعاب الطفل والمربول ثوب يوضع على صدره ليقي ثوبه من الرَيْلَة وهو اسم مفعول من رال الصبي ريالاً اذا سال لعابه جاؤوا به من غير اعلال كما هي عادتهم في أمثاله وكأنهم قالوا مربول عليه فحذف الجار والمجرور لكثرة الاستعمال كما حذفوهما في المحذور وأصلها المحذور منه وربما سموه المملوك لأن مثله عادة يتخذ في ملابس الخَدَمة الذي كانوا فيما مضى من المماليك في الأغلب والريْلة العامية هي الرُوال في الفصيح

وجاء في كلام العرب العِلْقة لهذا المربول او لما يشبهه قال في القاموس وشرحه والعلقة بهاء ثوب صغير وهو اول ثوب يتخذ للصبي نقله الصاغاني او قميص بلا كمين او ثوب يجاب اي يقطع ولا يخاط جانباه تلبسه الجارية مثل الصدرة تتبذل به وهو الى الحجزة وقال ابن بري العِلْقَة الشوْذَر وفسر الشوذَر اهل اللغة بانه برد يشق ثم تلقيه المرأة في عنقها بلا كمين ولا جيب اي انه مقور في وسطه بحيث تدخل المرأة رأسها فيه وتسدل سائره على جسدها والشوذر في الأصل معرب چادر .

النبطية : (جبل عاملة) احمد رضا

مخطوطات ومطبوعات

المعجم المدرسي

« تأليف الأستاذ زين العابدين التونسي طبع بالزنكوغراف (كليشيات) »

« في المطبعة الهاشمية بدمشق في (٨٠٠) صفحة بالقطع الصغير »

« سنة ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م »

اسم هذا المعجم يدل على موضوعه كما يدل على غرض مؤلفه منه وهو غرض شريف شدّما تطالّ مديرو المدارس واساتذتها اليه حتى وفق مؤلفه الفاضل الأستاذ زين العابدين التونسي الى تأليفه فأبرزه بهذا الشكل الأنيق والوضع المعجب .

والمعاجم الصغيرة على لطافة حجمها . وقلة مادتها . وكون موضوعها مما يحتاج اليه صغار الطلاب نرى الإقدام على تأليفها موضع تثاقل وتردد طويل في نفوس اساتذة الأدب وجهابذة اللغة . يدلك على هذا قول المؤلف في مقدمة معجمه : انه منذ ثلاثين عاماً اشتغل في تدريس اللغة العربية وكان في خلالها يشعر بحاجة الطلاب الى هذا المعجم حتى عقد النية اخيراً على القيام بتأليفه ففعل .

وقد اصاب لعمري في ما قال من امر طول تردده وتهيبه للعمل لأن الموضوع على قلته ويسر أمره وسهولة معالجته في بادئ الرأي كما قلنا هو من الصعوبة بمكان : إذ أن المقدم على وضعه مضطر الى التفكير في أمور : أهمها بل أجدرها بالحيرة قضية اختيار الألفاظ اللغوية التي ينبغي ان يودعها معجمه ويكون شداة الطلاب في امسّ الحاجة اليها . وعندي ان من يتصدى لوضع المعاجم الضخمة ذوات المجلدات العدة يسهل عليه امرها بأشد ممن يتصدى لوضع معجم صغير جيبي (نسبة الى الجيب كما وصفه المؤلف) لأن المؤلف الأول

لا يحتـاج الى فضل تفكير وفرط تأمل في الانتقاء والاختيار بخلاف الثاني المضطر اليها . واني لأرحمه وأرثي له من نقد الناقدين اكثر مما ارثي الاول . عدا الصعوبة الجلىّ التي يعانيها مؤلف «معجم الجيب» في تحديد معنى اللفظة اللغوية وضبط قيودها ومواضع استعمالها فان عبارات اصحاب المعاجم تختلف جد الاختلاف في ذلك واحياناً تكون متضاربة متناقضة واحياناً مبهمة غامضة تحتاج الى ايضاح وتأويل وتوجيه وتحليل .

ونرجو ان يكون مؤلف معجمنا الجديد قد وفق الى حسن الانتقاء والاختيار والى الدقة في تحديد معاني الكلمات طبقاً لمقدرة الطلاب وعلى قدر حاجتهم . على انه لا يعلم هذا تماماً الا بعد بضع سنوات يكون الأساتذة ومهرة المعلمين فيها قد تداولوا معجمه وتصفحوه مع تلامذتهم مراجعين مستفيدين واذ ذاك يسمع قولهم ويقبل حكمهم فيما اذا كان (المعجم المدرسي) استوفى حاجتهم وأنالهم طلبتهم أو لا ؟

ومهما يكن فإن المؤلف قد بذل جهد الطاقة وقام بما وجب عليه وسد فراغاً يرقبه الفضلاء منذ أزمان فله على ذلك مزيد الشكر — كما ان هفواته ينبغي ان تقابل بجميل العذر .

وقـد اعتنى المؤلف أعظم عناية بجعل معجمه لطيف الحجم حسن الشكل متقن الطبع جميل التجليد متين الورق على رقته حتى بلغ من ذلك الغاية المتمناة واصبح معجمه يتلاءم مع رغبة الطلاب وحاجة التلاميذ . واهم من ذلك كله انه لم يطبع معجمه على الطريقة المعتادة في جمع الكلمات بالحروف المعدنية وانما هو اتخذ لمعجمه وتمثيل صفحاته الكليشهات الزنكوغرافية ـ وقد سماها بعضهم الرواشم ـ وزاد المعجم جمالاً وطرافة تلك المقدمة التي دبجتها يراعة زميلنا الاستاذ خليل بك مردم بك فإنها على وجازة عبارتها قد جلّت في فائدتها وروعة بلاغتها .

المغربي

معجم الألفاظ العامية

في اللهجة اللبنانية

(تأليف الدكتور انيس فريحه طبع في جونيه (لبنان) في ١٩٥ صفحة)

هذا الموضوع موضوع البحث في الألفاظ العامية عالجه كثيرون من أدباء العرب في مصر والشام منذ حين فألفوا فيه الرسائل . وكتبوا المقالات : كلٌّ فيما يخص قومه ويرجع الى لهجة أهل بلده . ومن البديهي ان تكون فائدة ما كُتب وأُلف في هذا الشأن مقصورة في الغالب على اهل البلد الذي كتب الكتاب بلهجتهم .

ويظهر أن الدكتور فريحه احتفل بمعجمه أشد مما احتفلوا . وجمع من شوارد الفاظ العامة أكثر مما جمعوا . وفسر وحلل هذه الألفاظ وعمل على إرجاع بعضها الى اللغات السامية (وهو استاذها في الجامعة الأميركية) بأشد مما فسروا وحلّلو وأرجعوا ولكنه هل وفق الى الاكتفاء بمقدار الحاجة في هذا الموضوع كما وُفقوا ؟

كأن المؤلف شعر بخطورة هذا الاستفهام ولذا سمعناه يقول في مقدمة معجمه (ونحن لا يخامرنا أدنى شك في أن كثيراً من آرائنا وتعليلاتنا في ردّ الألفاظ الى أصلها خاطئة ؟) ثم عاد الى هذا الاعتراف المتواضع في آخر المقدمة فقال : (ونحن متأكدون أننا أخطأنا في كثير من التعابير والملاحظات اللغوية) .

اعترافه هذا خفّف عني عبء مناقشته في آرائه وتفاسيره في كثير من المواطن . وهو بعد هذا كله يقول انه مزمع ان يؤلف قاموساً عربياً يودعه هذه الألفاظ العامية التي عللها وفسرها وارتاب فيها فقد قال (وغايتنا من هذه المجموعة أن نضع أمام الناس نموذجاً لدراسات اللهجات العامية علّ في هذا حافزاً لهم (!!) وعندما تكون لدينا مجموعات عدة نستطيع ان نجعل منها قاموساً علمياً (!!) يجمع شتات اللغة العربية الحيّة (!!)) .

فالغاية اذن من جمع الألفاظ اللبنانية ومن هذا القاموس وما وضع على غراره إحياء اللهجة العامية اللبنانية وتسهيل أمرها وتوسيع نطاق التكلم بها بين اللبنانيين : فتصبح لغتهم الحية العتيدة . وهذا بالطبع يؤدي على تمادي الأيام وتعاقب الأجيال الى جعل اللبنانيين لا يفهمون اللغة التي يتكلم بها اخوانهم العرب في سائر الأقطار . ونحن على شك في أن يتمّ للمؤلف ما أراد . او يصل الى الغاية التي يرمي اليها ما دام في لبنان نفسه وفي سائر الأقطار العربية المحيطة به الوف الألوف من المصنفات والمجلات والصحف والنشريات المختلفة المكتوبة باللغة الفصحى تترامى على أيدي اللبنانيين وتحت مواقع ابصارهم فيقرأونها بلهف وشوق . ولا جرم ان هذا ضمانة وثيقة على ان اللغة العربية الفصحى التي كُتبت بها تلك المصنفات والمجلات والصحف ستكون هي اللغة المشتركة بين اللبنانيين وسائر اخوانهم العرب في سائر الأقطار كما تكون الآصرة المتينة تجمع بينهم وتؤلف بين عقولهم وتفاكيرهم وسائر مقوّمات اجتماعهم .

وقد لاحظت (وانا لبناني من طرابلس) أن في المئة نحو اربعين من الألفاظ التي جمعها المؤلف في معجمه انما يعرفها أهل قريته (رأس المتن) وحدهم خذ مثلاً لذلك ما جاء في حرف الزاي ص ٧٣ .

(زَفّ) الرجل صاحبه وبَّخه

(الزفّة) التوبيخ

(زَقَرَه) نظره بغضب وتهديد

(تزاقر) الرجلان نظر أحدهما الآخر بغضب وتهديد

(الزقرة) تقطيب الحاجبين

(زَقْزَقَ) الأمتعة نقلها من مكان الى آخر

(زقّ) الأمتعة كذلك

(زقّت) الرجل زلقت

(الزِقّ) الوقوع الى الأرض بسبب الانزلاق
(زَقَل) الأمتعة نقلها من مكان الى آخر
(زَقَم) الطائر فرخه أطعمه
(زقّم) كذلك
(لقمة الزقوم) خبزة يُرقَى عليها ويُطعمها المتهم فاذا غصّ بها ثبت إجرامه والا كان بريئًا
(زَفْوَرَ) نظر بغضب وهي أبلغ من زقر
(زِكِتّ) كلمة شتم
(زِكْوة) جلد شاة الخ [الزق ٠ الظَرْف]
(زكوة الرجل) مُسرّته

هذا عمود من صفحات المعجم اشتمل على ١٧ لفظة ينطق بها لبنانيو (المتن) ولا يعرف منها لبنانيو طرابلس الا أربع او خمس كلمات ٠

ففائدة الكتاب مقصورة اذن على مقاطعة المتن وما حواليها ٠ وقال المؤلف انه كما التقط الفاظه من أهل بلده التقطها أيضاً من محيط المحيط ومعجم (دوزي) ومصنفات (الفغالي) ٠ وقدّم الى قراء معجمه (الفغالي) هذا فقال ما نصه :

(هو المونسنيور ميشال الفغالي أستاذ اللغة العربية في معهد بوردو للمستعمرات الذي له في لهجة شمال لبنان المارونية دروس قيمه أكسبته شهرة بين المستشرقين ٠ ومن كتبه (أي في موضوع اللهجة اللبنانية) ثلاث كتب هي كذا وكذا) ٠

فمن هنا يتضح أن سيكون نصيب كبير من فائدة هذا الكتاب لرجال الاستعمار المشتغلين في السياسة الشرقية من حيث أنه يؤدي الى العمل على تكوين أمم جديدة في الشرق العربي ولغات جديدة منبعثة من اللغة العربية الأم كما انبعثت لغات الأمم اللاتينية من اللغة اللاتينية الأم فتولد من جراء ذلك بضع أمم اوروبية ٠

وإن أبى القراء الا ان نمثل لهم بشيء من التفاسير والتعاليل التي اعترف صاحب المعجم بأنه أخطأ فيها فلنقتصر على ما يلي :

لا يخفى ان اللغة العربية الدارجة هي في أصلها اللغة العربية الفصحى وقد تناول العامة الفاظاً كثيرةً منها بالتحريف والتغيير والتبديل فقالوا مثلاً في (جاء) (إجا) وفي (بودّي) (بَدّي) الخ هذه هي ألفاظهم الجديرة بنسبتها اليهم أما ما جاء من الفاظهم على أصله وصيغته الفصيحة فلا معنى لتتبعه وحشره في الفاظهم كما فعل مؤلف المعجم مثاله قوله في حرف الزاي (زكرة : جلد شاة أو عنزة يدبغ ويوضع فيه اللبن أو الزيت او السمن) اه وكلمة (زكرة) عربية فصيحة فلا معنى لعدها في الفاظ العامة ولو صح ان نعدها لصح لنا ان نعدّ من الفاظهم أيضاً (الأرض) و (السماء) و (الخبز) و (الماء) . وجاء في الشعر القديم :

(ليت شعري متى تخبّ بي النـ ـاقة بين العُذيب فالصيّون)
(مُحقباً ذكرة وخبز رقاق وحباقاً بقطعةٍ من نونِ)

وأخطأ في تفسير (الزكرة) مذ قال جلد (عنزة) بالتأنيث اذ أن (العنز) هي الانثى من المعز وهي التي يتخذ من جلدها (الزكرة) فلا معنى لتأنيثها بالتاء أما (العنزة) بالتاء فاسم لحيوانات اخرى . ومن هنا سبق الوهم لصاحب أقرب الموارد فقال (والعنزة العنز) . وكلمة (زق) أو (ظرف) مشهورة المعنى وهي كلمة واحدة تغني عن قوله (جلد شاة او عنزة يُدبغ ويوضع فيه اللبن) وقوله (أو الزيت او السمن) كان يستغني عنها لو قال (كاللبن ونحوه) .

على ان أهل طرابلس يقولون (زكرة قريشة أو زكرة جبن) خلافاً لأهل المتن فلو قال المؤلف (اللبن ونحوه) لكان أقوم . وإنما أطلنا الكلام في هذا تصديقاً لقول المؤلف الفاضل إنه أخطأ في كثير من تفاسيره وآرائه وملاحظاته اللغوية التي تضخم معجمه بها .

ومن أمثلة عدم الدقة في التفسير قول المؤلف (التمّ الناس) أي اجتمعوا وتجمهروا . وهو حسن لكنه علق على هذا قائلاً (ويجب ان تكون التأم من لاءم لا من لَمَّ اه) يريد ان يقول ان التمّ محرّفة من فعل التأم لا من فعل لمّ وهذا بعيد عن الصواب إذ ان (التمّ) مطاوع لفعل (لمّ) بمعنى جمع يقال لمّهم فالتموا اي جمعهم فاجتمعوا . وهو من الفصيح الذي قلنا انه ما كان ينبغي ذكره في موضوع (ألفاظ العامة) وانما يذكر في موضوع عنوانه (الكلمات الفصيحة في ألفاظ العامة) وفعل (التأم) القوم قليل الاستعمال في معنى اجتمعوا بخلاف فعل (التمّ) ومن أمثلة التسامح وعدم الدقة قوله في تفسير (حَلَش الحشيس) (انه بمعنى قطعه وجمعه وحلشَ الشعر أمسك به وجره اه) ولعمري ان المؤلف لم يصب في تفسير المعنيين لا المعنى الحقيقي ولا المعنى المجازي . أما تفسير حلشَ بالمعنى الحقيقي فهو انتزاع الحشيش من منبته بعنف ويكون هذا الحلش باليد بدليل ان دوزي في معجمه ترجمه بقوله Arracher ومعناه القلع والنتش باليد اما القطع (Couper) فيكون بنحو منجل ويسمى الحصاد . ولا أظن ان الحلش يكون بمعنى جمعَ الحشيش فلعل هذا الاستعمال خاص بمقاطعة المتن . هذا تفسير الحلش بمعناه الحقيقي أما الحلش بالمعنى المجازي فيكون بنتف شعر اللحية غالباً لا نتف مطلق شعر وقد أحسن العلامة (دوزي) مذ مثّل للمعنى المجازي بقوله (بطرس حلشَ دقن حنا) وكل لبناني يفهم من هذا القول أن بطرس نَتَفَ خصلاً من دقن حنا لا أنه أمسك بها وجرّه منها فقط .

المغربي



عشائر الشام

للأستاذ وصفي زكريا

الجزء الأول

هذا كتاب من أحفل الكتب في موضوعها وأمتعها . « يبحث في جغرافية بادية الشام وتاريخها وعمرانها والأخلاق والعادات والشرائع في المجتمع البدوي . وأنساب العشائر المتبدية والمتحضرة . وأوصافها وأخبارها في كل محافظة وقضاء » .

ذكر المؤلف السبب الذي من اجله وضع كتابه فقال : « ... قام بعض الفضلاء في العراق ومصر وجنوبي الشام « فلسطين وشرقي الأردن » ممن سنذكر اسماءهم بقسط محمود في هذا الموضوع ، الا ان بحث كل منهم ظل منحصراً في بلاده . أما شمالي الشام وأخص بالذكر المدن المجاورة للبادية والمتعاملة مع البدو كدمشق وحمص وحماه وحلب ودير الزور ، فقد اعرض ادباؤها وكتابها عن هذه الأبحاث اعراضاً طويلاً ، فظلت مجهولة كأن البدو من غير ملة ولغة وسابقة عنهم .. »

وقال : ان البدو عندنا ثلاث مئة الف « وهم جديرون بكل دراسة وعناية لأن لهم خطراً وشأناً كبيرين في مجتمعنا ومعاشنا من قبل ومن بعد . فكل السمون وأكثر اللحوم التي نأكلها ، والأصواف التي ننسجها ، والمطايا التي نركبها منهم . وقسم كبير من سكان المدن الشامية التي عددناها يعتمد في تجارته ومرتزقه من الماشية ومنتوجاتها على شركائه وعشرائه من هؤلاء البدو . كما ان مقداراً غير يسير من وارد بيت المال يتألف مما يدفعه البدو من ضرائب الأغنام والإبل . هذا الى ان لهم ممثلين معتبرين في مجلسنا النيابي الشامي ورؤساء اجلاء يتقاضون منحاً سنوية من خزانة الدولة نراهم في سياراتهم ذاهبين آيبين لا ينقطعون عن غشيان العواصم والحواضر ومراجعة الدوائر لحل مسائلهم ومشاكلهم العشائرية التي لا يعرف اكثرنا شيئاً عنها ... »

وفي الكتاب تنويه بما كان للعرب الأولين من عناية بالبدو : حياتهم ، وتاريخهم ، وأشعارهم ، ونوادرهم وغير ذلك . وفيه اشارة الى من كتب عن البدو من المتأخرين من كتاب العرب . ثم فيه تنويه خاص بعمل الغربيين والمستشرقين في هذا الموضوع كيف عالجوه وعنوا به ، وكيف أقام بينهم فريق منهم : « تعود عاداتهم وتخلق اخلاقهم حتى جاءت دراسته عنهم بعد تمحيص وتدبر بحيث اصبحنا نحن العرب — اذا كتبنا عن الأعراب وهم اخواننا في العرق والدم ، وروابط اللغة والدين عالة على هؤلاء الغربيين نأخذ عنهم ، ونستعين بهم حتى في أخص شؤوننا . »

وفصل الأستاذ في كتابه جميع هذه الأبحاث التي اشار اليها — تفصيلاً كاملاً ، ووفاها حقها من كل الوجوه ، بعبارة صحيحة فصيحة . فأصبح كتابه يعد في المراجع المعتمدة في دراسة احوال البدو والبداوة وفي تعرف مواطنهم وشؤونهم وختم ختامه ببحث ممتع في « تحضير العشائر » فنشكر للمؤلف جهده في اخراج هذا الكتاب ، الذي نحن في حاجة ماسة اليه .

عارف النكدي

القضايا الاقتصادية الكبرى

في سورية ولبنان

وضعه الأستاذ منير الشريف

للأستاذ المؤلف همة لا تعرف الكلل في تأليف الكتب المفيدة واخراجها . فقد بلغت مؤلفاته اثنين وعشرين مؤلفاً طبع منها ستة ، وباقيها تحت الطبع . وأكثرها يتناول الاقتصاد ، أو ما يتصل به ؛ وهو الموضوع الذي انصرف اليه المؤلف فبرع فيه .

وهذا الكتاب يبحث في : « جغرافية البلاد : ـ سورية ولبنان ـ وثروة الأمة ودخلها ، والزراعة والخراج ، والماشية ، وعرب البادية ، والانتاج الصناعي ،

والتجارة ، ووسائط النقل ، والصحة ، والمصايف ، والعلاقات بين سورية ولبنان »

وكلها من الأبحاث الحيوية التي تفتقر البلاد الى معرفتها ودراستها ليكون لها مستقبل زاهر يدفع عن أبنائها الفقر والبؤس .

والأبحاث التي عالجها المؤلف عززها بالجداول والأرقام مما يدل على سعة اطلاع المؤلف ، وطول باعه في هذه الأمور ، وصبره وجلده على جمعها والاحاطة بها يقول الأستاذ في مقدمة كتابه :

« الامة الضعيفة باقتصادياتها ؛ هي المنكودة في حياتها ، الشقية في عيشتها ، المعرضة لأخطار الاستعمار ، وقيود الاستثمار ، تتوجه اليها المهلكات من كثب ، فلا تستطيع التخلص من بوائقها ؛ وتهاجمها الحتوف في كل آن فتصرعها بسرعة ؛ لأنها هزيلة ، قد اضناها الفقر ، فلم تعد تتحمل تعاسة الدهر ، وهذا ما يقطع بين أبنائها أسباب الاخاء ، ويكون حائلاً بينها وبين الطمأنينة وقرار الأمن والراحة .

والأمة القوية باقتصادياتها ؛ هي القوية بارادتها وتفكيرها ، النشيطة في اعمالها ، التي جمعت كلمتها ، ونظمت أمورها ، واستثمرت منابع ثروتها ، و كثر مالها ، فتعلمت وعلمت ، وأصدرت واستوردت ، وصادقت الأمم القوية ، صداقة الند للند ، وتضامنت واياها على حسن الجوار ، وتوطيد المحبة ، والدفاع عن السيادة والحرية (كذا) .

والأمة التي لاتنهض بنفسها ، وتحسن اقتصادياتها : بجدها ، واجتهادها وأموالها ، ورجالها ، لا تفوز في معترك هذه الحياة لأن الغمرات المضنيات لا تنجلي لها ، الا بالعمل المجدي ، وبالعزائم القوية القومية . »

ويخلص من هذا الى الكلام عن الأمة (كذا) السورية اللبنانية وحالتها الاقتصادية ، وعن النظريات الاقتصادية عند الأمم الغربية ، والنظام الاقتصادي عند العرب . ثم ما كان بعد زوال ملكهم . ويرجع بعد هذا الى الأبحاث التي جعلها موضوع كتابه ، فيوفيها حقها : بحثاً وتنقيباً وتعليلاً .

فالشكر للمؤلف الفاضل على كتابه القيم .

ع . ن

كتاب الاشتقاق والتعريب

تأليف الأستاذ عبد القادر المغربي

عضو المجمع العلمي العربي

الطبعة الثانية : ١٣٦٦ — ١٩٤٧ في القاهرة

اللغة مرآة الأمة . تتجلى فيها جميع وجوهها في كل دور من أدوار حياتها التاريخية . فيحكم على أي أمة بانها كانت في أي عصر من العصور عالمة بالعلم الفلاني أو جاهلة به ، حضرية أو بدوية ، متمدنة أو متوحشة ، وعلى درجة رقيها وانحطاطها بما في لغتها الكلامية والكتابية من أسماء وأفعال تدل على الجواهر والأعيان والمعاني والأحداث . وخلوُّ اللغة العربية في العصور المتأخرة من المؤلفات في كثير من الموضوعات العلمية والفنية المعروفة عند الأمم الراقية المعاصرة لنا دليل على التأخر والانحطاط الذي نحن عليه والذي للاختلاف والجدل حول جواز استعمال الدخيل وتعريبه او عدمه نصيب كبير في استمراره مما أدى الى الاحجام عن نقل كثير من العلوم الحديثة الى اللغة العربية وبالتالي الى جعل تدريس هذه العلوم في جل الجامعات في البلاد العربية باللغات الأجنبية .

وقد جاء كتاب الاشتقاق والتعريب لمؤلفه الأستاذ السيد عبد القادر المغربي الذي كان وضعه سنة ١٩٠٨ وأعيد طبعه ثانية سنة ١٩٤٧ لما لقيه من رواج من قبل لجنة التأليف في القاهرة ، ملماً بما أضيف اليه من ملاحق ، بتاريخ هذه الحرب الجدلية التي كانت ولا تزال قائمة ما بين أنصار صيانة اللغة العربية من كل ما ليس منها وفيها وبين القائلين بصحة المعرب وإباحة استعماله . فكان فصل الخطاب في هذا الموضوع الحيوي .

وقد جاء في مقدمة الطبعة الثانية انه كان لزعيم مصر العظيم المغفور له سعد باشا زغلول فضل كبير في تنشيط المؤلف في المضي في كتاباته في موضوع التعريب والمعربات وان رأيه كان في جانبه كما كان لصاحب المؤيد المرحوم

الشيخ علي يوسف يد طولى في حمل المؤلف على وضع هذا المصنف في موضوع حيوي نحن اليوم احوج ما نكون اليه في نهضتنا الحديثة ·

بحث المؤلف في كتابه هذا في الطرق التي تؤدي الى نمو اللغة وتكاثر كلماتها · وأهمها الاشتقاق والقلب · والابدال · والنحت · ثم التعريب · وأتى بالأدلة المستقاة من تاريخ نشوء اللغة وتكونها ونموها على ان استعمال المعرَّب لا يحطّ من قدر فصاحة الكلام واستشهد على ذلك بما في القرآن الكريم والسنة الشريفة وما دخل في اللغة العربية من الكلمات المقتبسة في الجاهلية والاسلام · وهي كثيرة العدد مشترطاً في التعريب ردّ الكلمة المعربة الى مناهج اللغة وأوزانها تحت رقابة مجمع لغوي كيلا تخرج اللغة عن صورتها وشكلها · مثبتاً ان التعريب قياسي وان المعرب عربي أو بمنزلته وانه فصيح لتوفر شروط البلاغة فيه · وقد تحققت أمنية المؤلف هذه اذ لم تأت سنه ١٩١٨ حتى أنشئ المجمع العلمي العربي بدمشق وسنة ١٩٣٤ حتى أنشئ مجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر وعين عضواً عاملاً في كليهما ·

وقد بحث باسهاب في الكلمات التي أدخلت الى العربية من لغات الأمم الأخرى محصياً جلها ومرجعاً كلاً منها الى أصلها كاستبرق (فارسية) وقسطاس · وصراط (رومية) وارائك (حبشية) وسرادق (سريانية) وحصب (زنجية) وفوم (عبرية) ومشكاة (هندية) وكورد · والماس · ومسك · واستاذ · وتلميذ · وفلسفة · وبرنامج · وقانون · وصنم · وباذنجان · وتوت · وكعك الخ وهي تعد بالمئات ·

ثم تطرق الى تعريب الأساليب فأيد القول بصحتها شريطة ان لا تكون مخالفة في تراكيبها لقواعد اللغة العربية وانها أمر طبيعي يتعذر تجنبه والاحتراز منه · مستشهداً بالأساليب الأعجمية التي دخلت في اللغة العربية بالعهد الجاهلي والأموي والعباسي ثم في العهد الحاضر ·

وقد اختتم كتابه بأقوال المتقدمين والمعاصرين في المعرّب والتعريب وهي تجيزه وتقول بصحته ·

وفي الكتاب أخطاء جاءت سهواً منها قوله في ص ٦ اسماعيل بن اسحق · والصواب ابن ابراهيم · وقوله في ص ١٩ الفينيقيون من العبرانيين · والذي ذهب اليه المؤرخون في هذا العصر ان الفينيقيين من سكان البحرين ظعنوا من هناك الى ساحل الشام في القرن ٢٤ ق · م · وانهم عرب بأصولهم ·

والكتاب عظيم الفائدة يفتح أفقاً واسعاً امام المشتغلين بالترجمة والتأليف في العلوم الحديثة التي في نقلها رقي الأمة ونمو اللغة ·

اسعد الحكيم

الوجيز في أمراض العين

الجزء الأول لمؤلفه الدكتور ممدوح الصباغ

استاذ امراض العين وسريرياتها في المعهد الطبي بدمشق

طبع في مطبعة الجامعة السورية ١٣٦٥ – ١٩٤٦

عدد صفحاته ٤٠١

هو احدى الحلقات المتممة لتلك السلسلة الذهبية من المؤلفات الطبية التي يتحلى بها جيد اللغة العربية والتي للمعهد الطبي العربي الفضل الأكبر في صوغها ·

بحث فيه المؤلف في أمراض الأجفان والملتحمة والقرنية والصلبة والقزحية والجسم الهدبي والبلوري بحثاً ليس بالمطول الممل ولا بالمقتضب المخل بلغةٍ فصحى سهلة الفهم يشوبها شيء من الركاكة في التركيب تُعد طبيعية في مثل هذه المؤلفات العلمية لحداثة عهد كثير من مؤلفيها باللغة وحداثة عهد اللغة بهـا · وقد زين الكتاب برسوم وصور كثيرة العدد للآلات المستعملة في جراحة العين وفحصها وللحالة المرضية لكلٍ من أقسامها وطرقِ معالجتها الدوائية والجراحية ·

وعلى الرغم من ان هذه الصور غير ملونة وغير صقيلة الطبع فهي واضحة تفي بالغرض المقصود .

وفي الكتاب معجم باللغة العربية والفرنسية للمصطلحات والكلمات العلمية الخاصة بهذا الفن . وهي لا تخلو من عدد قليل يحتاج الى اعادة النظر فيه ابتغاء وجود ما هو أصلح منه لأداء المعنى المقصود .

وعلى الجملة فان هذا الكتاب من خيرة ما وضع في امراض العين للطالب وللطبيب الممارس سد به المؤلف ثغرة في هيكل بناء اللغة العربي العلمي الحديث فاستحق الشكر والثناء .

أ . ح .

موجز الأمراض الجراحية لمؤلفيه

الدكتور مرشد خاطر أستاذ الأمراض والسريريات الجراحية في معهد الطب وعضو المجمع العلمي العربي

والدكتور منير شورى رئيس السريريات الجراحية في معهد الطب بدمشق

الجزء الثاني عدد صفحاته ٩٨٦ في مطبعة الجامعة السورية ١٩٤٦

ان للموسوعات العلمية أهمية عظمى في كيان اللغة والعلم فهي الدعامة الاولى التي من الواجب ان يباشر بوضعها عندما يراد التأليف لأول مرة في أي علم من العلوم لتكون البحر المحيط لكل مرتاد من عالم ومتعلم . ثم يصار الى الاختصار والايجاز تسهيلاً لسرعة الأخذ وللمراجعة والمطالعة والحفظ . وقد نحا زميلنا الأستاذ الدكتور مرشد خاطر هذا النحو في تأليفه فوضع أولاً كتابه الجامع في الأمراض الجراحية ليكون مرجعاً لكل من اراد الاحاطة بهذا العلم ثم وضع له مع زميله الدكتور منير شوري موجزاً في جزئين كبيرين ليكون منهلاً عذباً للطالب ومرجعاً سهلاً للممارس .

وقد اطلعت على الجزء الثاني من هذا الموجز فألفيته ملماً باختصار غير مخل بكل ما يرجى من الطالب والممارس معرفته بالأمراض الجراحية للرأس والعمود

الفقاري والصدر والثديين والبطن والبول وجهاز التناسل في الرجل . وذلك بلغة رصينة يشوبها كثير من المعرّبات والمصطلحات الفنية التي يتعذّر على غير متخرجي المعهد الطبي الدمشقي فهمها مما يحد من نطاق الاستفادة منه لا سيما وهو لا يحوي معجماً لهذه المصطلحات والكلمات الفنية اسوة بما سبقه من مؤلفات الأستاذين الزميلين ولعل عذرهما في ذلك ان لا بد لمن أراد الساقية من ان يركب البحر .

وفي الكتاب صور ورسوم كثيرة العدد متقنة الطبع . حسنة الوضوح . هذا وقد أسدى هذا الموجز الى التدريس الطبي خدمة جلى تقابل بالمنة والثناء .

أ . ع



التقرير السنوي عن سير المعارف في العراق

لسنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦

طبع في مطبعة الحكومة ببغداد عام ١٩٤٧ ، عدد صفحاته ١٥١ من القطع الوسط

في هذا الكتاب مقدمة تبحث في تشكيلات وزارة المعارف العراقية لسنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦ وفصول مختلفة في المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية والمدارس المهنية والمدارس العالية . وفيه أيضاً فصل في المدارس الأهلية والأجنبية وكلمة عن الامتحانات العامة وعدد المتخرجين من المدارس مع بيان مصيرهم . وفيه أخيراً عدة تقارير عن الآثار القديمة ، وصحة المدارس ، والبعثات العلمية ، والحركة الرياضية ، ولجنة الترجمة والتأليف ، وجدول باسماء الكتب المدرسية ، وخلاصة عن القوانين والأنظمة التي صدرت في عام ١٩٤٥ — ١٩٤٦ . والى جانب ذلك كله احصاءات عامة تتضمن عدد المدارس الرسمية والأهلية والأجنبية وعدد تلاميذها ومعلميها في مختلف السنين مع مقارنة بين ميزانية وزارة المعارف والميزانية العامة من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٤٦ .

ومن تصفح هذه الاحصاءات أدرك قيمة الجهد الذي تبذله وزارة المعارف العراقية في نشر التعليم . وفيما يلي مقارنة بين العراق وسورية خلال العام الدراسي ١٩٤٥-١٩٤٦ .

مقارنة بين العراق وسورية في نفقات التعليم وعدد الطلاب ونسبتهم الى مجموع السكان
خلال العام الدراسي ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦

١ — نفقات التعليم

	العراق	سورية
الميزانية العامة	١٧٥٦٣٢٣٠ ديناراً	١٢٩٧٠٤٠٠٠ ليرة سورية
ميزانية المعارف	١٦١١٨٤٣ 〃	١٤١٢٧٣٨٨ 〃 〃
النسبة المئوية	٩ ٪	١٠٫٨٩ ٪

٢ — عدد الطلاب

المدارس الابتدائية

	العراق	سورية
الرسمية	١١٨٤٨٧	٩٩٧٠٣
الاهلية والاجنبية	٢١٦٧٠	٥٠٤٣١
المجموع	١٤٠١٥٧	١٥٠١٣٤

المدارس الثانوية

	العراق	سورية
الرسمية	١٢١٧٣	٨٢٧٦
الاهلية والاجنبية	٧٧٥٦	٤٣٨٥
المجموع	١٩٩٢٩	١٢٦٦١

المدارس المهنية

	العراق	سورية
الرسمية	٢٠٣٧	١٢٦٩
الاهلية والاجنبية	—	٣٥
المجموع	٢٠٣٧	١٣٠٤

	العراق	سورية
الجامعة (١)	١٥١٧	١٠٥٨
المجموع العام	١٦٣٦٤٠	١٦٥١٥٧

٣ — نسبة عدد الطلاب الى عدد السكان

ما يصيب كل الف من السكان من طلاب المدارس الابتدائية

٣٥	٥٠

جميل صليبا



تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة

صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول

تأليف حسن عبد الوهاب مفتش الآثار العربية . من مطبوعات دار الكتب المصرية في عام ١٩٤٦ . يقع في جزئين . يتضمن الأول البحث التاريخي وهو في ٤٣١ صفحة وجمع الثاني الصور وعددها (٢٧٥) صورة .

هذا السفر هو من جملة الكتب المختارة التي تكرم بها صاحب الجلالة مليك مصر وأهداها الى مكتبة المجمع العلمي العربي ، وهذا التأليف هو أحد نفائس الكتب العديدة التي خصها جلالته برعايته وعنايته الساميتين وهيأ لمؤلفيها أسباب نشرها تشجيعاً للعلم وطلابه . فأحيا – رعاه الله — بعمله هذا سنة السلف الصالح في نشر العلوم والفنون والعطف على العلماء والأدباء . وهذا الكتاب هو خير كتاب ظهر من نوعه حتى اليوم باللغة العربية ، تناول فيه المؤلف دراسة

(١) لم ندخل في هذا العدد طلاب مدرسة الطب والصيدلة وكلية الهندسة وغيرها من المدارس العالية المرتبطة بوزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة المواصلات ووزارة الداخلية .

المساجد الأثرية التي قضى فيها جلالة ملك مصر فريضة الجمعة . وبحث فيه «تاريخ منشئ المسجد وتحقيق تاريخ انشائه ووصفه والادوار التي مرت به من زيادات وتعمير ، مع شرح المميزات الفنية لكل منها والتعريف بمواطن الجمال فيها» ، وزود هذا البحث بطائفة من الصور والرسوم الجميلة التي تساعد على اجتلاء محاسنها وتتبع رقيها وتطورها .

حفظ الله مليك مصر وأعز به العلم ومعاهده . ونشكر المؤلف على هذا الجهد الموفق في ناحية علمية تعتبر دخيلة على الأقطار العربية وحسبه شرفاً هذا العطف الملكي السامي الذي شمله مما يبرهن على قيمة هذا الكتاب العلمية وفوائده التاريخية والفنية .



جعفر الحسني

قصة الحضارة

تأليف : ب . ا . م . جود وتعريب : محمد بدران ، وهي الحلقة (١٣) من سلسلة الفكر الحديث التي تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر . تقع في (٩٠) صفحة من القطع المتوسط .

قصة ممتعة في موضوعها ، طريفة في بحثها ، عالج فيها المؤلف بايجاز ووضوح تاريخ الحضارة القائمة في هذه الأيام وأشار الى أهم معالمها وشرح عيوبها وفضائلها وردّها الى مصادرها . وقد وزن الحضارات القديمة بميزان جديد لا صلة له بعظمة السلطان واتساع الفتوحات وتشييد الأبنية واقامة الصروح بل فضلها على بعضها بالخير الذي أسدته للبشرية في سبيل تقدمها وازدهارها ، وبمساهمتها في نشر المعرفة ومكافحة الرذيلة والتحلي بالفضيلة ، وبمدى احترامها لحرية الفكر والعقيدة ، وأثرها في تحرير العقل البشري من قيود الأوهام ونشر ألوية العدل والسلام بين مختلف الشعوب والطبقات . وقد أنصف المؤلف الحضارات التي بحثها فوفاها حقها ولكنه أهمل بعض الحضارات ولا سيما الحضارة العربية وتجاهلها .

فجاءت دراسته ناقصة لأن للعرب فضلاً كبيراً على الحضارة الحديثة لا ينكرها عالم . وقد أدرك المعرب هذا النقص ، فتلافى بعضه وأضاف من عنده صفحات وبيّن فيها أثر الحضارة العربية والمصرية القديمة في حضارة العالم .

نشكر الأستاذ بدران مأثرته هذه لانتقائه موضوعاً جمع بين الفائدة والمتعة والمادة الجديدة .

ج . ج

الملاح العربي — احمد بن ماجد

تأليف الأستاذ محمد ياسين الحموي ، (٣٩) صفحة بقطع متوسط .

طبع بدمشق عام ١٩٤٧

يحدثنا الأستاذ المؤلف عن ربان عربي عاش في النصف الأخير من القرن التاسع (هـ) ، خبر البحار وقهرها ، ورافق أمير البحر البرتغالي (واسكودوغاما) في رحلته الى بلاد الشرق ، فكان له خير دليل ، هداه الى مسالك البحر الهندي المجهول من نوتية الغرب وجنّبه ما يلاقيه البحارة فيه من أهوال وأخطار ، وبلّغه بسلام نهاية المطاف ، وهكذا كتب لهذه الرحلة النجاح ، واقترن اسم هذا الربان العربي باسم أكبر أمير بحر غربي ، ولذلك اهتم في سيرته المستشرقون فلم يغمطوه حقه ، فخلدوا اسمه بما كتبوه عنه وعملوا على احياء آثاره العلمية في الشؤون البحرية . ورسالتنا هذه هي من مقتطفات أبحاث أحد هؤلاء المستشرقين (غبريال فرّان) عن ابن ماجد ورسائله في علم الملاحة .

ويظهر ان الأستاذ واضع هذه الرسالة غير واقف على ما سبق وكتبه المرحوم سعيد الكرمي في المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي العربي في عام ١٩٢١ ، تحت عنوان (نفائس الآثار) وصف فيها رسائل ابن ماجد المحفوظة في دار الكتب الظاهرية وما علق عليه الأستاذ بولس الخولي في نفس المجلة ، والا لما أهمل الأستاذ الاشارة اليها واقتصر على وصف ما هو عند غيرنا وبعيد عنا . ان النسخة الموجودة في المكتبة الظاهرية هي انفس مجموعة معروفة لمؤلفات ابن ماجد وهي جديرة

بكل عناية وأرجو ان تتاح للأستاذ الحموي دراسته هذه المخطوطة ونشرها فيكون قد أضاف الى جهوده المشكورة مأثرة جليلة تسجل له بالعرفان ٠

ج ٠ ح

فى موكب الشمس
الجزء الأول

تأليف : الدكتور احمد بدوي ، ومن نشريات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهو في (٢٥٤) صفحة من القطع المتوسط تتخلله صور كثيرة ٠ طبع في القاهرة عام ١٩٤٦ ٠

يبحث هذا الجزء تاريخ مصر الفرعونية من فجره الصادق الى آخر الضحى ، وهو كما وصفه الأستاذ محمد شفيق غربال في مقدمته : « يتجلى للقاريء حب مصر في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب وبفضل هذا الحب تحول تاريخ مصر في يد الدكتور احمد بدوي من ذلك الكلام الممل الذي قرأناه في كتب كثيرة الى قصة حية » ٠ وهذا القول هو أقل ما يوصف به هذا الكتاب الذي قص علينا حقائق تاريخية بأسلوب عذب تطيب النفس لمطالعتها وتحبب الينا قراءتها بلذة وشغف ٠ وقصة هذا الكتاب ورحلة صاحبه الى عالم الأموات هي تحفة أدبية مشحونة بالعبر والمواعظ الوطنية التي تثير الروعة فى النفس وتدل على ما ينطوي عليه قلب المؤلف من حب مصر والوفاء لها والبر بها ، فجعلت من هذا السفر كتاب علم وأدب وسلوى ٠

ج ٠ ح

بين الآثار الاسلامية

لحسن عبد الوهاب مفتش الآثار العربية في مصر ٠ عدد صفحاته (٣٠) يتخللها ألواح مصورة

رسالة صغيرة بحجمها كبيرة بفوائدها ٠ وصف فيها مؤلفها بعض ما احتفظت

به مصر الاسلامية من مساجد ومدارس وخانقهات وترب ودور أثرية ، غنيةً بهندستها وفنونها ، متخيراً من كل عصر أحسنه . وهذه الرسالة هي خير دليل لرواد هذه الآثار ترشدهم الى محاسن العمارة الاسلامية وتطورها وتساعدهم على ادراك خفايا الفن الاسلامي وتذوق جماله .

فشكراً للمؤلف على عنايته بالآثار الاسلامية ووفقه الله للاكثار من هذه الدراسات .

ج . ح

بولونيا بين الماضي والحاضر

نقله الى العربية يوسف اسعد داغر باشراف اللجنة العالمية للاتحاد البولوني . يقع في (٢٢٥) صفحة من القطع المتوسط مع (٤) خرائط و(٩٤) صورة . طبع في بيروت عام ١٩٤٧

أراد المعهد البولوني الذي أقام طويلاً في هذه الربوع العربية أن يتحف أبناءها بهذا الكتاب ليُعرّف العرب الى الأمور البولونية ويطلعهم على دخيلة قضيتها ، وما حققته بولونيا في سبيل سيادتها واستقلالها السياسي والاقتصادي ، فعهد الى نخبة من رجال الاختصاص البولونيين لاعداد هذا الكتاب الذي عالجوا فيه بايجاز قضية وطنهم وما لابسها من حدثان منذ فجر نضال الأمة البولونية حتى يومنا هذا ، فصوروا لنا نضالها لاستعادة حريتها وبينوا لنا بالأرقام نهضتها الاقتصادية والاجتماعية التي جعلتها في مصاف الدول الناهضة .

وهذا الكتاب هو من خير ما يُهدى الى أبناء الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها لما فيه من حوافز تثير فيهم روح النضال وتعزز فيهم الايمان بفوز الحق على الطغيان .

ج . ح

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م

١	السيد محمد كردعلي (رئيس المجمع)	دمشق
٢	الدكتور اسعد الحكيم	〃
٣	الأمير جعفر الحسني	〃
٤	الدكتور جميل الخاني	〃
٥	〃 جميل صليبا	〃
٦	〃 حسني سبح	〃
٧	السيد خليل مردم بك (أمين السر العام)	〃
٨	〃 سليم الجندي	〃
٩	〃 شفيق جبري	〃
١٠	〃 عارف النكدي	〃
١١	الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	〃
١٢	السيد عز الدين التنوخي	〃
١٣	〃 فارس الخوري	〃
١٤	〃 محسن الأمين	〃
١٥	〃 محمد البزم	〃
١٦	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
١٧	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٨	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٩	السيد معروف الأرناؤوط	〃
٢٠	السيد هنري لاوست	دمشق
٢١	الشيخ راغب الطباخ	حلب
٢٢	الشيخ عبد الحميد الجابري	〃
٢٣	〃 عبد الحميد الكيالي	〃
٢٤	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	〃
٢٥	الشيخ محمد زين العابدين	〃
٢٦	البطريرك مار اغناطيوس افرام	حمص
٢٧	الشيخ سعيد العرفي	دير الزور
٢٨	〃 ابراهيم منذر	بيروت
٢٩	السيد أنيس المقدسي	〃
٣٠	〃 بشارة الخوري	〃
٣١	〃 بولس الخولي	〃
٣٢	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٣٣	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٣٤	الدكتور اقولا فياض	〃
٣٥	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٦	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة
٣٧	〃 سليمان ظاهر	〃 〃
٣٨	السيد ادوار مرقص	اللاذقية

٣٩	السيد محمد سليمان الاحمد (بدوي الجبل)	اللاذقية
٤٠	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	القدس
٤١	محمد الشريقي باشا	عمان
٤٢	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٤٣	طه باشا الهاشمي	〃
٤٤	السيد عباس العزاوي	〃
٤٥	الشيخ كاظم الدجيلي	〃
٤٦	〃 محمد بهجة الاثري	〃
٤٧	الدكتور داود الجلبي	الموصل
٤٨	السيد ابراهيم عبد القادر المازني	القاهرة
٤٩	احمد أمين بك	〃
٥٠	السيد احمد حسن الزيات	〃
٥١	أحمد لطفي السيد باشا	〃
٥٢	انطون الجميل باشا	〃
٥٣	السيد خليل ثابت	〃
٥٤	خليل مطران بك	〃
٥٥	السيد خير الدين الزركلي	〃
٥٦	الدكتور طه حسين بك	〃
٥٧	السيد عباس محمود العقاد	〃
٥٨	الدكتور عبد الوهاب عزام	〃
٥٩	الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٦٠	السيد محمد لطفي جمعة	〃
٦١	الأمير يوسف كمال	〃
٦٢	السيد عبد الحميد العبادي	الاسكندرية
٦٣	حسن حسني عبد الوهاب باشا	تونس
٦٤	السيد مارسه	تونس
٦٥	〃 عبد الحي الكتاني	فاس
٦٦	〃 عبد العزيز الميمني الراجكوتي	الهند
٦٧	〃 عباس إقبال	طهران
٦٨	〃 محمد الحجوي	مراكش
٦٩	〃 كي	بوليفيا
٧٠	〃 ماسه	باريس
٧١	〃 دوسو	〃
٧٢	〃 كولان	〃
٧٣	〃 ماسينيون	〃
٧٤	〃 هيس	سويسرا
٧٥	〃 كرينكو	انكلترا
٧٦	〃 جيب (هـ.ا.ر)	〃
٧٧	〃 بروكلمان	المانية
٧٨	〃 هارتمان (ريشار)	〃
٧٩	〃 سترستين	السويد
٨٠	〃 استروب	الدانيمارك
٨١	〃 موجيك	فينا
٨٢	〃 ماهلر	بودابست
٨٣	〃 كوفالسكي	بولونية
٨٤	〃 كراتشكوفسكي	لينغراد
٨٥	〃 كرسيكو	فنلاندة
٨٦	〃 فيليب حتي	اميركة
٨٧	〃 هرزفلد	〃
٨٨	〃 سعيد ابو جمرة	البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٢٣	السيد جرجي بني	طرابلس الشام
٢	〃 سليم البخاري	〃	٢٤	الشيخ سليمان أحمد	اللاذقية
٣	السيد مسعود الكواكبي	〃	٢٥	الدكتور صالح قنباز	حماة
٤	〃 الياس قدسي	〃	٢٦	الأب جرجس شلحت	حلب
٥	〃 أنيس سلوم	〃	٢٧	〃 جرجس منش	〃
٦	〃 جميل العظم	〃	٢٨	السيد قسطاكي الحمصي	〃
٧	〃 مالنجو	〃	٢٩	الشيخ كامل الغزي	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃	٣٠	السيد ميخائيل الصقال	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃	٣١	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃	٣٢	السيد نخلة زريق	القدس
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	〃	٣٣	الشيخ خليل الخالدي	〃
١٢	السيد أديب التقي	〃	٣٤	السيد عبد الله مخلص	〃
١٣	〃 حسن بيهم	بيروت	٣٥	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
١٤	الأب لويس شيخو	〃	٣٦	السيد محمود شكري الآلوسي	بغداد
١٥	الشيخ عبد الله البستاني	〃	٣٧	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
١٦	السيد جبر ضومط	〃	٣٨	〃 معروف الرصافي	〃
١٧	〃 عبد الباسط فتح الله	〃	٣٩	〃 طه الراوي	〃
١٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃	٤٠	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
١٩	〃 مصطفى الغلاييني	〃	٤١	الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة
٢٠	السيد عمر الفاخوري	〃	٤٢	احمد زكي باشا	〃
٢١	〃 أمين الريحاني	لبنان	٤٣	احمد شوقي بك	〃
٢٢	الأمير شكيب ارسلان	〃	٤٤	السيد اسعد خليل داغر	〃

٤٥	حافظ ابراهيم بك	القاهرة
٤٦	السيد محمد رشيد رضا	〃
٤٧	〃 مصطفى صادق الرافعي	〃
٤٨	احمد كمال باشا	〃
٤٩	احمد تيمور باشا	〃
٥٠	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٥١	الدكتور يعقوب صروف	〃
٥٢	السيد اوجينيو غريفيني	〃
٥٣	〃 رفيق العظم	〃
٥٤	〃 داود بركات	〃
٥٥	الدكتور أمين المعلوف	〃
٥٦	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٥٧	الدكتور احمد عيسى بك	〃
٥٨	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٥٩	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٦٠	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
٦١	السيد رينه باسه	〃
٦٢	〃 ميشو بللير	طنجة
٦٣	〃 زكي مغامز	الاستانة
٦٤	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٦٥	السيد فران	باريس
٦٦	〃 كليمان هوار	〃
٦٧	〃 بوفا	〃
٦٨	السيد جويدي	إيطاليا
٦٩	〃 نللينو	〃
٧٠	〃 هومل	المانيا
٧١	〃 ساخاو	〃
٧٢	〃 هوروفيتز	〃
٧٣	〃 مارتين هارتمان	〃
٧٤	〃 ميتفوخ	〃
٧٥	〃 مونته	سويسرا
٧٦	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٧٧	〃 اراندونك	〃
٧٨	〃 هوتسما	〃
٧٩	〃 مرجليوث	انكلترا
٨٠	〃 بفن	〃
٨١	〃 براون	〃
٨٢	〃 بوهل	الدانيمارك
٨٣	〃 بدرسن	〃
٨٤	〃 اغناطيوس غولدصهير	بودابست
٨٥	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان
٨٦	السيد ماكدونالد	اميركا
٨٧	〃 آسين بلاسيوس (مجريط)	اسبانيا
٨٨	〃 لويس (لشبونة)	البرتغال
٨٩	〃 موزل	تشكوسلوفاكية

المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية

بيت مري — لبنان

مجموعة القرارات التي اتخذتها اللجان الفنية ، الفرعية والعامة
ووافق عليها المؤتمر في جلسة يوم الثلاثاء (١٩٤٧/٩/٩)

— ٣ —

مقررات لجنة اللغة والقواعد

١ — يرى المؤتمر ان قواعد اللغة العربية ، من نحو وصرف واملاء ، تحتاج الى تيسير وتبسيط ، يقربانها من مدارك الطلاب ، على ألا يمس ذلك بحال من الأحوال جوهر اللغة .

٢ — ويرى ان القصد من تعليم اللغة العربية في مختلف المراحل الأهداف الآتية :

ا — ان تجعل الطلاب قادرين على القراءة الصحيحة في سهولة ويسر ، وان يفهموا ما اشتملت عليه الكتب من أفكار ومعان .

ب — تمكين الطلاب من التعبير عما يجول في نفوسهم ويقع تحت حواسهم بعبارة صحيحة مع الدقة وطلاقة اللسان وقوة البيان .

ج — أن تكون دراسة العربية وسيلة للثقافة ، وتوسيع المدارك وتنمية الذوق السليم وتزويد الطلاب بكثير من المعلومات القيمة . لا ان تكون محض دراسة لألفاظ وتراكيب ومقررات ، عمادها الزينة والزخرف الشكلي ، وهي في الحقيقة فارغة لا روح فيها ولا حياة .

د — وان يتصل الطلاب اتصالاً وثيقاً بالحياة الأدبية والعملية المحيطة بهم ، وان يسايروا النهوض الأدبي الحديث ، لا أن يكونوا بمعزل عما حولهم ، فتكون المدرسة في ناحية ، والحياة الأدبية الواقعية ، في ناحية أخرى .

هـ — وان تكون المدرسة مثيرة روح الشوق الى القراءة والاستزادة من الثقافة ، والوقوف على ما جاء به الكتاب والمفكرون في العصور المختلفة .

٣ — ويرى المؤتمر انه لا بد من تدريس قدر من قواعد اللغة (صرفها ونحوها) في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، لتحقيق الأهداف السابقة ، على ان يراعى في تدريسه التبسط والتعبير . وان توجه العناية الى تقويم اللسان على أساس المحاكاة والتدريب والتكرار .

٤ — ويرى المؤتمر قدراً ملائماً من قواعد النحو والصرف والاملاء لكل من مرحلتي التعليم الابتدائية والثانوية ليكون حداً مشتركاً في جميع البلاد العربية . واتفق على وضع منهج مفصل موزع على الصفوف توزيعاً روعي فيه استعداد الطالب وحاجته في كل فرقة من الفرق الدراسية . (وهذه الجلسة لا تتسع لتفصيله) .

٥ — ويرى المؤتمر توجيه العناية الى تجويد النطق وحسن الاداء منذ مرحلة رياض الأطفال الى نهاية مرحلة التعليم الثانوية ، رغبة في ان تتقارب لهجة الناطقين بالعربية في مختلف أقطارها وان تكون أدنى الى النطق الصحيح .

٦ — ويرى المؤتمر ان القدر المشترك انما يصلح منهجاً لطلاب الثقافة العامة أما الطلاب الذين يرغبون في التخصص او يعدون لتدريس اللغة العربية فيكون لهم منهاج أوسع وأعمق .

٧ — ويرى ان من الوسائل العملية لتطبيق المنهج تأليف كتب تعالج موضوعاته ليستفيد منها المعلمون والطلاب .

٨ — ويرى ان الاتفاق على منهج واحد لا يكفي لتقريب الثقافة والنهوض باللغة العربية اذا لم يعد لتعليم هذا المنهج معلمون على حد كبير من العلم وسعة الأفق والقدرة على التدريس . ولذا قرر انه لا بد من انشاء معاهد علمية موحدة النظام في الأقطار العربية لتخريج ذلك النوع من المعلمين .

٩ — ويرى عقد مؤتمرات دورية لمعلمي اللغة العربية تشخص اليها وفودهم من مختلف البلاد للبحث وتبادل الرأي في أساليب التعليم كي يستفيد بعضهم من تجارب بعض وكي يتحدوا في الوسائل والغايات وينهضوا باللغة العربية وادابها ٠

الملحق رقم (١)

منهاج الصرف والنحو والاملاء

للصفوف الابتدائية والثانوية ، الذي اقرته اللجنة الفرعية

أولاً — الاملاء

الغرض من الكتابة ان تكون صورة واضحة لما ننطق به ، واداة صالحة للابانة والاستفادة عن طريق الرموز ، ويتحقق ذلك اذا تم التطابق بين الكتابة والنطق بطريقة مطردة خالية من الخلاف ٠

دروس الاملاء

يجب ان يكون الاملاء درساً تعليمياً لا اختبارياً ، وان يكون الهجاء متصلاً بفروع اللغة وبالأعمال التحريرية في المواد الأخرى ، ويراعى ان تكون موضوعات الهجاء والقطع التي تستخدم في التدريب عليه مما يشوق الأطفال ويتصل بحياتهم وما يحتاجون الى استعماله من الكلمات في الحديث الشفهي ٠

وينبغي اجتناب هذا النوع الصناعي الذي تملأ فيه القطعة بهمزات او كلمات للتدريب على قاعدة هجائية خاصة ، بل يراعى في القطعة الحرص على المعنى وانسجام النص قبل كل شيء

وقد ناقشت اللجنة منهاج الاملاء على هذا الأساس ، ووافقت على اتباع ما يأتي في رسم الكلمات

أولاً — كل ما ينطق به يرسم في الاملاء ، وكل ما لا ينطق به لا يرسم الا الادغام والتنوين والا همزات الوصل مع حذف همزة ال المسبوقة باللام واثبات (ال) الشمسية ٠

ثانياً — الهمزة :

(ا) في اول الكلمة ترسم على الف مطلقاً ودائماً ، وتعتبر الهمزة في اول الكلمة اذا سبقت بال او بكلمة على حرف واحد ٠

(ب) الهمزة المتوسطة — اذا كانت متحركة صورت بصورة حركتها ، واذا كانت ساكنة صورت بحركة ما قبلها ٠

(ج) الهمزة المتطرفة — تكتب على صورة مناسبة لحركة ما قبلها ، فان كان الحرف السابق لها ساكناً كتبت مفردة ٠

ثالثاً — فصل الكلمات ووصلها :

الأصل والقياس في كلمتين اجتمعتا ان تكتب كل منها منفصلة عن الأخرى فيراعى هذا الأصل في الخط الا في ما يأتي :

(ا) اذا كانت الكلمة الأولى ال

(ب) اذا كانت كلتا الكلمتين أو احداهما على حرف واحد ، او كانت الثانية ضميراً ٠

رابعاً — الألف اللينة في الأسماء والأفعال والحروف تصور الفاً ثالثة أوغير ثالثة ٠

خامساً — يرسم التنوين الفاً في حالة النصب الا في تاء التأنيث المربوطة — ونون اذن في جميع أحوالها ترسم نوناً وكذلك نون التوكيد الخفيفة ٠

ثانياً — القواعد النحوية والصرفية

توجيهات :

١ — يجب ان يكون تعليم القواعد النحوية في عبارات وموضوعات حيوية تهم التلاميذ وتشوقهم لا في امثلة صناعية تؤلف لهذا الغرض ، وذلك بأن يعرض المعلم على انظار تلاميذه قطعة في موضوع ملائم ، ويناقشهم فيها مناقشة اجمالية ، يتفهمون بها المعنى كما يعمل في درس المطالعة ، ثم يقتطع من هذا الموضوع العبارة التي يقصد تدريب التلاميذ عليها ، ويعالجها معهم علاجاً أساسه المعنى ٠ فاذا أدركوا أركانها ووظيفة كل كلمة فيها انتقل بهم الى بيان الخصائص الاعرابية ٠ ثم ينمي هذه الجملة تدريجاً بما يزيد عليها من مكملات ٠

٢ — لا يتعرض للاشارة الى الاعراب التقديري ولا للاعراب المحلي في المفردات والجمل . وغاية ما يعرف التلاميذ من هذا الباب : ان من الكلمات ما يتغير آخره وان منها ما لا يتغير آخره .

ولا يتعرض كذلك لذكر ان العلامات الفرعية نائبة عن العلامات الأصلية .

٣ — ويسكت أيضاً عن تقدير الضمائر في الأفعال كما سكت النحاة عن تقديرها في الأسماء المشتقة . ولا تقدر المتعلقات المحذوفة للظرف او الجار والمجرور .

٤ — يقتصر في اعراب المضاف اليه على قولنا (مجرور بالاضافة) ولا نذكر كلمة مضاف اليه .

٥ — يقال في اعراب اسم كان مبتدأ مرفوع ، وفي خبرها خبر منصوب ، ويقال في اعراب اسم ان اسم منصوب بأن وفي خبرها خبر مرفوع .

٦ — لا يعطي تعاريف ويكتفي في المصطلحات بما أشير اليه في منهج كل فرقة .

٧ — يقتصر في الاعراب على وظيفة الكلمة في الجملة وحكمها الاعرابي من غير تأويل .

منهج النحو للسنة الثانية

تنبيه : الغرض من المنهج الآتي طبع التلاميذ على الأساليب الصحيحة وتدريبهم على طرق استعمالها تدريباً عملياً ، أساسه المحاكاة والتكرار من غير ان يعطى في ذلك تعريف او قواعد او مصطلحات .

ويعنى المدرس بتوضيح مدلول الكلمات الآتية بالأمثلة فقط ، من غير ان تخصص لها دروس خاصة وتعرف تعريفاً اصطلاحياً .

١ — (ا) عرض جمل مكونة من جزءين ، مع تنويع هذه الجمل ، بحيث تبدأ باسم تارة ، وبفعل تارة أخرى .

(ب) تدريب التلاميذ على الاتيان بمثل هذه الجمل .

٢ — (ا) عرض جمل بها مكملات ، بالمفعول ، والظرف ، والوصف ، والاضافة ، والجار والمجرور .

(ب) تدريب التلاميذ على تنمية الجملة بالمكملات السابقة ·

٣ — (ا) عرض جمل تشتمل على حالات الافراد ، والتثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث ·

(ب) تدريب التلاميذ على الاتيان بمثل هذه الجمل ·

٤ — التدريب على الاستفهام والنفي بالأدوات الشائعة ، وعلى النهي والأمر ·

المصطلحات هي : اسم · فعل · حرف · جملة فعلية · جملة اسمية ·

السنة الثالثة

١ — بيان ان كل جملة تتكون من ركنين أساسيين ، تارة الفعل والفاعل ، وتارة المبتدأ والخبر ·

٢ — تنمية الجملة بالمكملات الآتية مع بيان اغراضها ·

(ا) المفعول به — السبب — الزمان — المكان — الحال ·

(ب) الوصف — التوكيد — العطف بالواو والفاء وثم — الاضافة — المجرور بحرف الجر ·

٣ — توجيه التلاميذ الى أحوال التطابق في الافراد والتثنية والجمع وفي التذكير والتأنيث — وذلك فيما يأتي :

(ا) في ركني الجملة ·

(ب) في الصفة والموصوف ·

(ج) في الحال ·

(د) في التوكيد ·

٤ — تقسيم الفعل الى ماض ومضارع وأمر ·

٥ — التدريب على استعمال اسماء الاشارة ، والاسماء الموصولة ، والضمائر ، وعلى أحوال التطابق فيها ·

كل ذلك من غير التعرض للقواعد او للعلامات ·

الاصطلاحات التي تستخدم هي :

فاعل — مبتدأ — خبر — تكملة لبيان المفعول او الزمان أو المكان الخ ٠

السنة الرابعة

١ — الاعراب والبناء

٢ — اعراب المبتدأ والخبر والفعل والفاعل بالعلامات الأصلية ٠

٣ — الاعراب بالعلامات الفرعية في المثنى والجمع بنوعيه، والاسماء الخمسة، والأفعال الخمسة ٠

٤ — نائب الفاعل مع تدريب التلاميذ على ضبط الفعل معه من غير تعرض لقاعدة٠

٥ — اعراب المكملات السابقة في السنة الثالثة بالعلامات الأصلية والفرعية ٠

٦ — الأدوات الآتية وبيان معانيها وأثرها الاعرابي ٠

من النواسخ — كان— صار — ليس— ما زال — أن— إن — كأن — لكن ٠

نواصب المضارع : ان— لن — لام التعليل ٠

جوازم المضارع : لم — لا الناهية ٠

حروف الجر : من — الى — عن — على — في — الباء — الكاف — اللام ٠

٧ — تدريب التلاميذ على أساليب الشرط بالأدوات الآتية مع بيان أثرها الاعرابي — ان — من ٠

٨ — يستمر تدريب التلاميذ في خلال الدروس السابقة على اسناد الأفعال الصحيحة الى الضمائر واستعمال اسماء الاشارة والاسماء الموصولة من غير تعرض لقواعد٠

٩ — اساليب التميز والاستثناء والنداء والتعجب ٠

* * *

المصطلحات :

نائب فاعل — مرفوع — منصوب — مجرور — مجزوم — التمييز — المستثنى — المنادى ٠

منهج النحو والصرف

السنة الاولى :

١ — تمرينات على ما درس بالمدارس الابتدائية من الفعل والفاعل ، ونائب الفاعل مع توضيح ما يأتي :

(ا) تأنيث الفعل مع الفاعل ونائب الفاعل .

(ب) افراد الفعل مع الفاعل ونائب الفاعل الظاهرين في حالتي التثنية والجمع .

٢ — تمرين على ما سبقت دراسته عن المبتدأ والخبر مع زيادة ما يأتي :

(ا) انواع الخبر (ظرف وجار ومجرور وجملة) .

(ب) تقديم الخبر على المبتدأ .

٣ — تمرين على ما درس من «كان واخواتها» ودراسة ما يأتي :

(ا) بقية افعال هذا الباب .

(ب) معانيها .

(ج) انواع خبرها .

(د) تقديم خبرها على اسمها .

٤ — تمرين على ما سبقت دراسته من أن واخواتها مع زيادة ما يأتي :

(ا) تكملة أدوات هذا الباب .

(ب) معاني هذه الأدوات .

(ج) كسر همزة ان وفتحها .

(د) اتصال «ما» بهذه الأدوات .

(ه) تنويع خبرها .

(و) تقديم خبرها على اسمها .

٥ — المتعدي واللازم .

تمرين عليها .

٦ — دراسة باب ظنّ :

(ا) تدرس منه الأفعال الآتية : ظن — حسب — خال — علم — رأى — وجد ·

(ب) معاني هذه الأفعال ·

(ج) انواع المفعول الثاني ·

٧ — تمرين على ما سبقت دراسته في المدارس الابتدائية من مكملات الجملة مع توضيح ما يأتي :

(ا) الحال : انواعه (مفرد — ظرف — جار ومجرور — جملة) ·

(ب) التمييز : أمثلة مختلفة لأنواعه وحكمه الاعرابي ·

(ج) العدد : احكام تذكيره وتأنيثه وتمييزه ·

(د) اساليب الاستثناء بإلا وغير وعدا وحكم المستثنى ·

(ه) المنادى : المفرد — المضاف وحكمه ·

٨ — تمرينات على ما سبقت دراسته في التعليم الابتدائي من العطف والنعت والتوكيد مع توضيح ما يأتي :

(ا) تكملة ادوات العطف ·

(ب) النعت حينما يكون ظرفاً وجاراً ومجروراً وجملة ·

(ج) استعمال كلا وكلتا وجميع ·

(د) البدل ·

٩ — الممنوع من الصرف بدون تعرض لأسباب المنع ·

السنة الثانية :

١ — تمرينات على اسناد الأفعال الصحيحة والمعتلة والمضعفة الى الضمائر بأمثلة تحاكي من غير تعرض لشرح قواعد ·

٢ — اعراب المضارع :

(ا) تمرين على استعمال الأدوات التي ينصب بعدها المضارع مما سبق في الابتدائي مع زيادة ما يأتي :

حتى — كي — لام الجحود — فاء السببية — واو المعية .

(ب) ادوات الشرط التي يجزم المضارع بعدها وبيان معانيها .

(ج) ادوات الشرط الآتية : لو — لولا — اذا — جوابها .

(د) اقتران جواب الشرط بالفاء .

٣ — التدريب على استعمال الأساليب الآتية :

(ا) القسم والتوكيد .

(ب) الاغراء والتحذير .

(ج) الاستغاثة .

(د) الاختصاص .

(ه) الاستفهام واشهر ادواته .

(و) كم : استفهامية وخبرية .

٤ — التدريب على تثنية المقصور والمنقوص والممدود وجمعها بدون اعطاء قواعد السنة الثالثة .

١ — يمرن الطلاب على ما سبقت دراسته من القواعد .

٢ — التصريف :

ويراد به توجيه التلميذ الى وسائل تنمية اللغة بتفريع المادة اللغوية الواحدة الى الفاظ متعددة لتأدية المعاني المختلفة .

ويلاحظ هنا ان يمرن التلاميذ تمرينًا عمليًا على الرجوع الى المعاجم اللغوية وكيفية استعمالها .

١ — المجرد والمزيد وصيغها في أمثلة .

٢ — المصدر : صور من مصدر الثلاثي — صيغ مصدر غير الثلاثي بامثلة تحاكي استعمال المصدر .

٣ — اسم الفاعل : صوغه — استعماله — أمثلة من صيغ المبالغة ·

٤ — اسم المفعول : صوغه — استعماله ·

٥ — أمثلة من الصفة المشبهة وصور من استعمالها ·

٦ — صوغ اسماء الزمان والمكان والآلة ·

٧ — اسم التفضيل واستعماله ·

٨ — أساليب التعجب ، والمدح ، والذم ، ونعم ، وبئس ، وحبذا ·

٩ — أمثلة للنسب والتصغير من غير اعطاء قواعد ·

(تصحيح كراسات التطبيق) ···

رأت اللجنة ان يصحح التطبيق على السبورة تخفيفاً عن المدرسين ، ويصحح كل تلميذ لنفسه كراسته حسب ما صحح الأستاذ ، ثم يختار المدرس بعض الكراسات لمراجعتها ومعرفة مدى فهم التلاميذ للقواعد واستفادتهم منها ، على ان يكون اختيار الكراسات دورياً ، بحيث يشرف الأستاذ اثناء السنة على نماذج من كل تلميذ ·

ملحق رقم (٢)

محضر اجتماع اللجنة الفرعية التي الفت للنظر
في وسائل تجويد النطق

اجتمعت اللجنة في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح يوم الأحد (٤٧/٩/٧) وحددت الغرض المقصود من تجويد النطق ورجعت الى ملخص التقارير المقدمة في موضوعات المؤتمر الثقافي ، والى تقرير اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ·

وقد جعلت اللجنة رائدها في ما عالجته من مباحث محاولة اختيار الوسائل التي تعين الطفل العربي على تجويد الحروف وتصحيح مخارجها وتحديد اصواتها ، والتقريب — بقدر المستطاع — بين لهجات الناطقين بالعربية من حيث طريقة الاداء ونبر الصوت وصفاء جوهر الكلام ·

وقد انتهت اللجنة من مباحثها الى تقرير ما يأتي :

١ – يبدأ في مرحلة رياض الأطفال بتعويد الصغار ان يلفظوا الحروف من مخارجها الصحيحة ، يرد مثل كلمة « كثير » الى « كثير » والفعل « آل » الى « قال » وكلمة « الزي » الى « الذي » و « نحجي » الى « نحكي » وهلم جرا ، وذلك عن طريق المحاكاة والتمرين مع ملاحظة التدرج الطبيعي ، ويستمر ذلك في جميع مراحل التعليم . ومما يدخل في هذا الباب تربية ملاحظة التلاميذ – بالمحاكاة او بالتلقين – التفريق بين ال الشمسية وال القمرية .

٢ – وفي مرحلة التعليم الابتدائي تتسع دائرة التمرين حتى تشمل جميع حروف الهجاء ، فيعود التلاميذ اخراج كل حرف من مخرجه الصحيح مع مراعاة الترقيق والتفخيم واخلاص الحركات فلا تشاب حركة باخرى ولا يمال بها امالة توجب اللبس .

٣ – يستمر تدريب التلاميذ في بقية مرحلة التعليم الابتدائي على الوجه المتقدم ، مع العناية فوق ذلك بتعليمهم مجموعات الحروف وفق مخارجها الصوتية ورد كل حرف من كل مجموعة الى مخرجه مع ترويض الألسنة على صفات حروف الاستعلاء ، وحروف الاستفحال ، والتفخيم والترقيق والحروف اللغوية ، ليكون ذلك سبيلاً الى تحديد أصوات ونبر الحروف في الكلمة ، وتحديد أصوات ونبر الكلمة في العبارة ، فتتقارب بذلك اللهجات ويبين الكلام على اختلاف مواطن المتكلمين .

٤ – يعنى بما تقدم في تدريس القرآن الكريم ، كما يعنى به في دروس المطالعة والأناشيد والمحفوظات والمحادثة .

٥ – فاذا بلغ التلميذ هذه المرحلة وصحت حروفه واستقامت لهجته وابانت ، اخذ بالتمرين على حسن الاداء في الحديث والقراءة ، بتلوين الصوت وفق المعنى ومقتضى الحال ، ليكون تعبيره بالصوت معيناً للتعبير اللغوي على ابلاغ المعنى .

لجنة الأدب

اقتراحات المؤتمر وتوصياته

قسم المؤتمر بحوثه في الأدب الى مرحلتين : مرحلة التعليم الابتدائي ، وهي التي ينتهي منها التلميذ عادة حوالي سن الثانية عشرة ، ومرحلة التعليم الثانوي ، وهي التي تليها الى سن السابعة عشرة تقريباً .

واعتبر مواد التثقيف الأدبي في المرحلة الأولى خمساً : المطالعه والقصص والأناشيد ، والمحفوظات والتعبير ، وفي المرحلة الثانية الأدب نصوصه وتاريخه ، والنقد والبلاغة ، والقراءة والمطالعة والتعبير .

مرحلة التعليم الابتدائي :

أ — الغاية من التثقيف الأدبي في هذه المرحلة تنشئة الطالب على الأخلاق السامية والروح الوطنية والشعور العربي ، مع تربية ذوقه الفني ، وتنمية ملكة التعبير فيه ، وتزويده بطائفة من المعلومات تزيد في ثقافته العامة .

وتحقيقاً لهذا يقترح المؤتمر ما يلي :

(١) ان تكون المواد التي تقدم له ذات صلة وثيقة بتلك الأهداف .

(٢) ان تشتمل على طائفة من الأناشيد والمحفوظات والقصص وقطع المطالعة ، التي تمتاز بسهولة التعبير وصحته وجماله .

(٣) ان يراعى في اختيارها مقدرة الطالب الذهنية وبيئته وتربيته .

(٤) ان تشتمل بوجه خاص على موضوعات تتصل بالفضائل العربية وبالتراث العربي .

ب — ولكي تنمى ملكة التعبير عند طفل المرحلة الابتدائية يجب أن تهيأ له الفرص للتعبير عن تجاربه ومشاهداته بالكلام وبالكتابة . ويراعى في ذلك ان تكون الحرية أساساً للتعبير ، والا يتقيد بحصة أو حصص معينة يقتصر

عليها ، فالتعبير باوسع معانيه يتحقق في كل درس وفي كل وقت ، واذا أخذناه بهذا المعنى بعدنا به عن جو الشكلية الضيق ومزجناه بالحياة . ويحسن أن يتخذ المعلم اللغة العربية السهلة وسيلة في تعليمه ، وان يشجع التلاميذ على التعبير بها ، وان يتدرج بهم في ذلك الى ان يستطيعوا في نهاية المرحلة التعبير السليم .

وتستخدم التربية الحديثة وسائل كثيرة لتشجيع التعبير بنوعيه الشفهي والكتابي تنبغي الافادة منها ، مثل قص الأخبار في الفصل ، أو كتابتها لمجلة المدرسة ، ومثل مناقشة ما في كتب المطالعة من صور ، وتكميل القصص القصيرة الناقصة ، وسرد القصص المسموعة او المقروءة وتمثيلها ، ومثل تحويل القصص الى حوار تمثيلي ، وكتابة الرسائل ، ووصف الوقائع التاريخية وغير ذلك .

ج — الهدف الذي ترمي اليه دراسة القدر المشترك هو اثارة شعور المشاركة بين سكان الأقطار العربية في الحضارة والتاريخ ، وفي منزلتهم من النشاط الدولي الحديث .

وهذا القدر ينبغي ان يكون في المرحلة الابتدائية يسيراً ملائماً لمدارك التلاميذ ، وممهداً لقدر أرقى منه في المرحلة الثانوية .

ويمكن توفير هذا القدر في المرحلة الابتدائية عن طريق :

(١) الأناشيد : فيختار منها مجموعة تكون موضوعاتها مناسبة لفكرة التعاون العربي والمشاركة في الشعور ، توقع توقيعاً موسيقياً ، ويحفظها بتوقيعها تلاميذ جميع الأقطار العربية .

(٢) المحفوظات : فتختار قطع سهلة ، يلاحظ فيها ان تكون مما يشيد بالأخلاق العربية من نجدة وبطولة وما اليها ، وان يكون بعضها لأدباء من الأقطار العربية المختلفة ، مع تعريف بسيط بهم ، وهذه يحفظها جميع التلاميذ .

(٣) القصص : فيختار منهـا عدد يحقق الفكرة السابقة ، من تصوير

الكرم والاباء وعزة النفس وغيرها ، مما يبعث في نفوس التلاميذ الاعجاب بتاريخ العرب وأبطالهم قدامى ومحدثين .

(٤) المطالعة : فتتناول بعض كتبها في كل قطر موضوعات تعين على تقوية الروابط العربية ، كوصف بعض المشاهد والآثار القائمة في مختلف الأقطار العربية ، وكالحديث عن فضائل العرب وفتوحاتهم ودولهم ، وثقافاتهم وفنونهم .

ويلاحظ ان يدرس هذا في مرحلة التعليم الابتدائي مؤيداً بالصور والرسوم ، او مصاحباً للموسيقى ، أو قائماً على التمثيل والحوار ، مما هو مقرر في اساليب التربية .

مرحلة التعليم الثانوي

أ — الأدب نصوصه وتاريخه :

١) يجب ان ينظر الى الأدب نظرة واسعة ، بحيث لا يكون مقصوراً على الشعر والنثر الفنيين ، بل يتناول أيضاً الموضوعات الفكرية والعقلية المصوغة صياغة أدبية مثل مقدمة ابن خلدون ورحلات ابن جبير وابن بطوطة ، ورسالة حي بن يقظان ، وبعض كتابات الغزالي ، وبعض قطع تاريخية من الطبري والفخري ونحو ذلك .

٢) في المرحلة الأولى من دراسة الأدب يكون الاعتماد على نصوص أكثرها من الادب الحديث ، وأقلها مما يقرب من هذه النصوص في السهولة من الأدب القديم ، على ان تتدرج هذه النصوص في الصعوبة مع تقدم الدراسة ، ويكتفى من تاريخ الأدب في هذه المرحلة بما كان تعريفاً موجزاً بقائل القطعة وما كان لازماً لفهمها .

٣) وفي المرحلة الثانية تختار نصوص ادبية مرتبة حسب العصور من الجاهلي الى الحديث ، يراعى في اختيارها دلالتها على روح عصرها وتصويرها لخصائصه الفنية ، مع مناسبتها لاستعداد الطالب وفهمه ، وتكون دراسة تاريخ الأدب مستمدة من هذه النصوص .

ب — النقد والبلاغة :

١) يرى المؤتمر انه يجب الا نتقيد في التعليم الثانوي بالبلاغة الشكلية النظرية ، وان نعود بالنقد الى وظيفته الأساسية : وهي تذوق الأدب : وفهم نصوصه ، وادراك صوره ومعانيه ، والقدرة على محاكاته . والطريق الطبيعي الى ذلك هو العناية بالنصوص نفسها ، وفهم المراد منها ، ومناقشة أفكارها ، وتبين ما فيها من جمال او نقص ، تعرّف ما بينها وبين شخصيات منشئيها من صلات . ويكون هذا النقد العملي جزءاً أصيلاً في درس نصوص الأدب في جميع سني الدراسة .

٢) تحقيقاً لهذا المبدأ يجب ان تستمر في المرحلة الثانية الطريقة التي اتبعت في المرحلة الأولى من دراسة نصوص أدبية مختارة غير مقيدة بترتيب زمني ، لتكون محوراً لدرس النقد الأدبي ، ووسيلة لتنمية ملكات النقد الأدبي والبلاغة عند التلميذ ، مع مراعاة ما تتطلبه سن التلميذ ونمو استعداده في اختيار هذه النصوص ومنهج دراستها .

وهذه تسير الى جانب النصوص الأخرى المرتبة ترتيباً زمنياً ، والتي تختار عماداً لدرس تاريخ الأدب في هذه المرحلة .

٣) يخصص من دروس النقد العملي بالسنتين الأخيرتين من التعليم الثانوي درس يعنى فيه المدرس بتعريف التلاميذ اجمالاً بالعناصر الهامة من البلاغة ، كالايجاز والاطناب ، والحقيقة والمجاز ، والتشبيه والاستعارة ، والكناية وبعض المحسنات البديعية ، وبالعناصر الهامة من النقد : كالأساليب واختلافها ، وفنون الكلام من شعر ونثر وما بينها من فروق . على ان يكون هدف هذه الدراسة لا معرفة العناصر البلاغية والنقدية لذاتها ، ولكن لتعين الطالب على ادراك أسرار الجودة والجمال في الأدب .

٤) يقترح المؤتمر ان تكون هناك في كل سنة من سني المرحلة الثانية من التعليم الثانوي دراسة تحليلية لأديب من أدباء العصر أو العصور التي يدرس تاريخ أدبها في هذه السنة ، تكون غايتها خدمة الدراستين التاريخية والنقدية .

٥) يراعى في اختيار النصوص النقدية في السنة النهائية من التعليم الثانوي ان تكون عرضاً لنماذج من العصور المختلفة لفن من الفنون الأدبية ، تبنى عليها دراسة موجزة سهلة لتطور هذا الفن ، وتجدد وزارات المعارف تحديد هذا الفن في برامجها من حين الى آخر .

٦) عند الكلام على ما بين الشعر والنثر من فروق يعنى المدرس ببيان نظام القصيدة العربية في اوزانها الموسيقية وفي قافيتها : فيحاول من طريق عرض قصائد كثيرة من أوزان مختلفة أن يطبع في اذهان التلاميذ صوراً لموسيقى الشعر العربي ، مبيناً لهم ان كل وزن منها له اسم خاص ، ممثلاً ببعض الأوزان واسمائها من غير استقصاء ، لافتاً نظر التلميذ الى طابع القصيدة العربية في قافيتها . والغاية الرئيسية من هذه الدراسة ان يتبين التلميذ عنصر الموسيقى في الشعر العربي ، ويتعود قراءته بصورة صحيحة ، ويتمكن من تقويم شعرهم الذي قد يحاولون نظمه .

ج — القراءة والمطالعة :

يرى المؤتمر :

١) ان تنوع القراءة والمطالعة الى صامتة وجهرية ، والى داخلية (في الفصل) وخارجية ، ليكون ذلك عوناً على تحقيق الأغراض المختلفة من هذه المادة .

٢) ان ينبه الى الاستكثار من القراءة الجهرية في المرحلة الأولى من التعليم الثانوي ، وتخصص لها كتب ، ويعنى في المرحلة الثانية بالقراءة المستقلة والخارجية ، وفي كتب ذات وحدة موضوعية ، بجانب كتب النصوص .

٣) ان تتخذ الوسائل المختلفة لترغيب التلاميذ في القراءة الخارجية .

د — التعبير :

لاحظ المؤتمر ان تسمية الانشاء باسم « التعبير » أفضل ، لما في هذا من توسيع لمدلوله ، وخروج به عن دائرة الشكليه والتكلف ، وتنبيه الى نواح من النشاط تساعد على نمو الملكة المعبرة المبتكرة عند التلميذ .

والمؤتمر يقترح في شأنه ويوصي بما يلي :

١) ان الأساس الأول في تنمية قوى التعبير عند التلاميذ في جميع سني الدراسة الثانوية هو استغلال كل الفرص الطبيعية الممكنة : مثل حل النصوص الأدبية وشرحها ونقدها ، ومثل تلخيص القصص والكتب ، والتعليق على الحوادث الجارية ، وكتابة التقارير عن الرحلات والمشروعات وأشرطة الخيالة ، واعداد المقاولات والأخبار بمجلة المدرسة ، وكالخطابة والمناقشة والمناظرة وغيرها مما يدخل في نشاط الجمعيات الأدبية في المدرسة ·

٢) غير ان النشاط التعبيري لا ينبغي ان يقتصر على مجرد استغلال الفرص ، بل يجب ان يخصص له وقت في جدول الدراسة في جميع السنوات · وان يشمل — بجانب ما تقدم — القصد الى التدريب الفني والابتكار ، من طريق اقتراح موضوعات على التلاميذ يكتبون فيها ، بعد اعداد او من دون اعداد ، مع الحرص على استقلالهم في التفكير والتعبير · وهذه الموضوعات قد تأخذ شكل مقالات أو رسائل أو قصص ، او بحوث في موضوعات الدراسة الأدبية المقررة ·

٣) ينبغي ان يكثر النوع الأول في سنوات المرحلة الأولى من التعليم الثانوي : على حين يبدأ الثاني قليلاً ، ثم يأخذ في الكثرة تدريجاً حتى يغلب في المرحلة الثانية ·

٤) ينبغي ان يوجه مدرسو التعبير الى العناية بتقدير الأفكار وبطريقة بناء الموضوع ، الى جانب عنايتهم بأسلوب التعبير ·

٥) يوصي المؤتمر ان يعمم — في الدول العربية التي لم تأخذ به — نظام تخصيص ورقة لامتحان التعبير ، تحتوي موضوعات متنوعة — بين أدبية واجتماعية واقتصادية وغير ذلك — يختار الطالب منها واحداً للكتابة فيه ·

هـ — توصيات عامة :

١) يوصي المؤتمر ان يسار في دراسة القدر المشترك في المرحلة الثانوية على

النهج الذي قرر في مرحلة التعليم الابتدائي مع التوسع في هذا بما يقتضيه ترقي الدراسة واتساع مدارك التلاميذ وآفاقهم .

٢) في البلاد العربية التي تفرق — في عدد دروس اللغة العربية وأهميتها في دراستها وامتحانها — بين القسم الأدبي والقسم العلمي ، وبين مدارس البنين ومدارس البنات يوصي المؤتمر أن يؤخذ بنظام المساواة في هذه الأقسام والمدارس .

٣) يوصي المؤتمر بان يعطى للغة العربية — وهي عماد الثقافة القومية — اكبر مقدار ممكن من زمن الدراسة في مناهج التعليم .



تصويبات في كتاب الأشربة

تفضل صديقنا العلامة الأستاذ سالم الكرنكوي بالتصحيحات الآتية :

قرأت في مقدمة كتاب الأشربة لابن قتيبة سرقات ابن قتيبة أما انا فوجدت أنه قد أغار ايضاً على الجاحظ في كتاب المعاني الكبير كثيراً ولم يذكر من أين أخذ الشواهد ولا سيما في الأبواب التي أورد فيها أشعاراً في الحيوان ووجدت أكثرها في كتاب الحيوان للجاحظ مع اختصار أو اسقاط أبيات وهذا يدل على ان للجاحظ فضل التقدم ولكن ابن قتيبة أحسن الترتيب .

أثناء القراءة رأيت هفوات طفيفة وهي :

ص ٢١ سطر ٣ والصواب تقطّر بالقاف اي سقط وقيذاً أي مصروعاً . كنت أعرف هذا البيت ولكن لا أذكر الآن أين قرأته ولم أجده في كتاب المعاني لابن قتيبة ولا في كتاب الحيوان للجاحظ .

ص ٣٧ سطر ٧ الظروف المزفّتة

ص ٤٦ سطر ٥ والمسكر من كل شراب . الحديث مكرر في كتب الحديث

ص ٥٢ سطر ٧ أبو العالية الرياحي بالعين محدث مشهور

ص ٥٦ سطر ٤ شبابة محدث مشهور روى عن غسان

ص ٥٨ سطر (١) اغترس

ص ٦٤ حاشية ٤ كانوا يمزجون الخمر بالزنجبيل في الجاهلية لتزيد حدتها وهذا يذكّر كثيراً بما ورد في ديوان المعاني للعسكري ج ٢ ص ١٣٨

ص ٨٣ سطر ١٣ صعب عليَّ تصحيح الكلمة المهملة ثم بعد البحث وجدتها في حلية الأولياء لأبي نعيم في ترجمة ايوب السختياني (طبعة الخانجي ٢/٢٧٤) وعندي نسخ مخطوطة أصح من المطبوعة وجدت في ظهر الورقة ٢٠ من هذه النسخة القديمة المحفوظة في الخزانة الفيضية بالأستانة (رقم ١٤٣٧) ٠٠٠ حدثنا حماد بن زيد قال : قدم أيوب من مكة فخرج الى الجمعة وعليه كُمَّة افواف فقيل له فيها فقال قدمتُ ولم يكن عندي غيرها ولم أر بها بأساً وكرهت أن ادعها لأعيُن الناس هـ ٠ كُتب تحت كُمَّة (مضبوطة في الأصل) قلنسوة ٠ وفوق افواف مخلط تخليط بيض (كذا) ٠ فهذا الصواب بلا شك

ص ٨٤ سطر ١١ حفص بن غياث محدث مشهور

ص ٨٤ آخر هو البَخْتَرى بن عبد الله بالخاء المعجمة وفتح الباء والتاء المثناة

ص ١٠٨ سطر ٦ رَوْبَى بفتح الراء كما في بيت بشر من قصيدة مفضلية

ص ١١٠ سطر ٦ حديث عائشة موجود في مسند احمد بن حنبل ولكن بلفظ آخر وظني ان الكلمة جرتي فقط ٠

(كمبردج) سالم الكرنكوي

ابن خلدون وتيمورلنك

نقل محمد بن احمد الزملكاني الأنصاري من خط أستاذه ابن خلدون في تاريخه الذي كان موضوعاً في خزانة الكتب بالمؤيدية داخل باب زويلة بالقاهرة ، وذلك في مستهل سنة ثلاث وثلثين وثمانمائة ، صورة رحلة ابن خلدون من الديار المصرية الى دمشق لما غزا تيمورلنك عام ٨٠٢ هـ الشرق القريب وذكر اجتماعه به مراراً ومحاورتها . وقد ترجم تيمور ترجمة مطولة .

قال ابن خلدون : « قال لي أين بلدك ? قلت بالمغرب الجواني ، كانت للملك الأعظم هناك . فقال : وما معنى الجواني في وصف المغرب ? فقلت : هو في عرف خطابهم معناه الداخلي أي الأبعد ، لأن المغرب كله على ساحل البحر الشامي من جنوبه ، فالأقرب الى هنا برقة وافريقية (تونس) ، والمغرب الأوسط تلمسان وبلاد زناتة ، والأقصى فاس ومراكش وهو معنى الجواني . فقال لي : وأين مكان طنجة من ملك المغرب ? فقلت : في الزاوية التي بين البحر المحيط والخليج المسمى بالزقاق ومنها التعدية الى الأندلس لقرب مسافته لأن هناك نحو العشرين ميلاً فقال : وسجلماسة ? فقلت : في الحدّ ما بين الأرياف والرمال من جهة الجنوب . فقال : لا يقنعني هذا وأحب ان تكتب لي بلاد المغرب كله أقاصيه وأدانيه ، وجباله وأنهاره وقراه وأمصاره . فقلت : يحصل ذلك بسعادتك ، وكتبت له بعد انصرافي من المجلس ما طلب من ذلك ، وأوعيت الغرض فيه في مختصر وجيز يكون في قدر ثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع . الى ان قال : وأقمت في كسر البيت واشتغلت بما طلب مني في وصف بلاد المغرب فكتبته في ايام قليلة ودفعته اليه فأخذه من يدي وأمر موقعه بترجمته الى اللسان المغلي » .

محمد كرد علي

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والعشرين

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٤٨ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

بعد حمد الله جلّ ثناؤه نقول : إن الذي دعانا الى تأليف هذه الرسالة مشتملة على ما أُدخل في اللغة العربية من الألفاظ السريانية ، اننا في اثناء مطالعتنا لمعاجم هذه اللغة وكتبها اللغوية ، وقفنا على الفاظ سريانية الأصل معرّبة وهي على أربعة أضرب : ضرب افصحت المعاجم باصله ولكنها قصَّرت في تحديده واشتقاقه ، وضرب آذنت بكونه معرّباً غير انها لم تشر الى اللغة التي نُقل منها ، وضرب مرّت به مراعاً ولم تقم بحق بيانه مع بروز عجمته ، او انها وسمته بالمعرّب او المولّد او الدخيل ، على سبيل الحدس والظنّ ، وضرب أخطأت في نسبته الى لغة دون لغة ، تقصيراً من مؤلفيها في تحقيق اصله بالاستقصاء من اهل اللغة السريانية وغيرها .

فرأينا ان نجمع في رسالتنا ما وقفنا عليه من هذه الألفاظ وصحّ عندنا بعد تنقيب وتمحيص مما فات الأئمة ونبّهنا على اشياء نكّب بعضهم فيها عن جادّة الصواب غير طاعنين في فضلهم المتقدّم وبسطة علمهم ، واستدركنا على بعض

المعجمات في صحة تعريف الفاظ واشتقاقها ، وضممنا اليها عدة كلمات دخلت العربية ولم يصرّح مؤلف بسريانيتها ، وذلك بطريقة مفيدة وجيزة بعيدة عن دواعي الملل ، خلافاً لما يراه بعض الباحثين المعاصرين الذين يكتبون الصفحة بل الصفحات تنقيباً عن لفظة لا طائل تحتها أو قلّ محصولها ، لأن التطويل كان منه الهمم لا سيما في زماننا هذا كما قال صاحب تاج العروس . وذلك وفاء لحق اللغة العربية الجليلة التي هبت همم لغويي عصرنا الى البحث فيها ، وخصوصاً اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد آنسنا رغبة في الوقوف على هذه الألفاظ من احدهم اللغوي الثقة الأستاذ سليم الجندي ، نفع الله بهم جميعاً .

وما أقدمنا على هذا التأليف الا بعد ان قطعنا اثنتين واربعين سنة في تحصيل لغتنا السريانية وممارستها ، واستقصينا دراسة معاجمها وكتبها اللغوية الخطّية والمطبوعة وجلّ ما أبقاه الدهر من مخطوطاتها العديدة ، ولم نذخر جهداً في النظر في أمهات الأسفار العربية البليغة وقواميسها فازهرت لنا المطالعة المديدة سراج التبصر ، ومهد لنا الكدح والجلد الخروج من وعورة الأبحاث الى سهولة النتائج .

ولما كنا من دعاة الفصيح والأنيق والعذب والمأنوس من الألفاظ ، فمن البديهي اننا لا نقصد من معرفة الدخيل السرياني ان يتداوله العالم والمتعلم اذا كان وحشياً لفظه مهجوراً استعماله بحيث أمسى من عداد الألفاظ التاريخية ، وله من الفصيح والمأنوس ما يرادفه ، ولكنها فوائد تفتقر اليها الأسفار اللغوية الكبرى في استدراك ما فات الأولين وتصحيح ما وقعوا فيه من الغلط كما قلنا [1] .

(١) قال الأديب النابغة السيد محمد اسعاف النشاشيبي فى خطبته البليغة التي القاها فى القاهرة ، وعنوانها « كلمة فى اللغة العربية ص ٤٧ – ٤٨ « ان المحققين لا يعدّون الكلمات المشتقة او المولدة او المعربة من الانتخاب الطبيعي بل من الانتخاب الصنعي . وهذا الانتخاب فى اللغة ضروري أي ضروري ، وقد عوّل عليه العلماء الحكماء من السلف الصالح فى القرنين الثالث والرابع وغيرهما . وهذه كتبهم الخالدة فى العلم والحكمة شاهدة » ثم اشترط التمييز بين الحسن والقبيح .

وتمهيداً للبحث نقول : ان العرب في الجاهلية والقرون الأُولى للاسلام، خالطوا المسيحيين من عرب وسريان، في بلاد اليمن ونجد والحجاز ثم في بلاد الشام الفسيحة التي كانت تمتد من حد عريش مصر حتى جبال طوروس ونهر الفرات، ثم في بلاد الجزيرة اي ديار بني ربيعة والعراقين العربي والعجمي ثم بلاد فارس وخراسان، وعنهم اخذوا في عنفوان الأمر الألفاظ الخاصة بدين النصرانية وضموها الى لغتهم، ومنها سريانية بحتة ومنها يونانية، غير انهم بوساطة السريان وبحسب لفظهم نقلوا اكثر ما نقلوه منها، ثم ادخلوها في كتب اللغة والمعاجم عند تدوينها كما ادخلوا بعض الألفاظ اليونانية ونزراً من الحبشية والعبرية . ثم استعاروا الكلمات التي لا عهد لهم بها مما يتعلق بالزراعة والصناعة والملاحة والتجارة والعلوم وما اليها . وحينما عاشروا الفرس اخذوا عنهم ما اخذوا مما هو معروف . ولكن ظهور أئمة لغويين من الفرس الذين دانوا بالاسلام، وحذقوا لسان العرب واسدوا اليه بمصنفاتهم ايادي بيضاً مشكورة خالدة على الدهر، دعا الى العناية بجمع كثير من الكلمات الفارسية التي عربوها، وتجد فصلاً منها في كتاب فقه اللغة للثعالبي[1] ولم يعمد احد من قدماء الأئمة الى جمع الكلمات السريانية ولا اليونانية التي عربها العرب الا نزراً يسيراً تعرض له الامام ابو عبد الله محمد الخطيب الاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) في كتابه مبادئ اللغة، وابو منصور موهوب الجواليقي البغدادي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤م) صاحب كتاب المعرَّب .

وانك لتستغرب هذا اذا علمت ان السريانيين والكلدانيين نقلوا معظم العلوم اليونانية الى لغة الضاد، وشاركهم في هذا العمل رهط من علماء الروم اليونانيين، ولا تجد فارسياً واحداً نهض بمثل هذه الخدم الجليلة للعربية . وكان من حق السريانيين على لغويي العرب ان يصرفوا الى هذه الناحية طرفاً من همتهم فلم

(١) صفحة ١٦٣

يفعلوا · بل انك تجد ان كثيراً منهم لا يتحملون كشف لفظة يرتاب في عروبتها بالاستقصاء من اولئك الذين كانوا نازلين بين ظهرانيهم ولطبقة صالحة منهم قدم راسخة في العلم وضرب بالسهام الفائزة في ادب اللغتين ، وعنهم اخذ جماعة من علماء العرب علوم المنطق والفلسفة والطب حتى المئة السادسة للهجرة ·

هبطت العربيـة بلاد الشام والعراقين العربي والعجمي مع الفاتحين والقبائل العربية التي استوطنت هذه البلاد ، فوجدت لغتها الوطنية الآرامية السريانية بها يتكلم جمهور الناس وهم مسيحيون ما خلا الجالية اليونانية وبها يؤلف الكتّاب مصنفاتهم وبها يسبحون ربهم · فنزلت فيهم غريبة · واستعذب قوم منهم سحر بيانها وتثاقل عنها قوم استمساكاً بلسان لهم قديم عمّ فضله وشملهم أدبه فلم يهووا استبداله · حتى فُرضت عليهم العربية فرضاً · فدرسها المسيحيون وألموا بها الماماً ولم يُحكموا آدابهـا الا في صدر المئة التاسعة للميلاد فصاعداً — ما عدا القبائل العربية المسيحية بني طيء وتغلب وكندة وشيبان وتميم — وظلت لغتهم السريانية تصدح بها بلابل بيعهم وبها يحبّرون تصانيفهم الدينية ، وعاشت في الأرياف والجبال قروناً متطاولة ، ثم تقلبت بها الأحوال بما لا يتسع بحثنا هذا لبيانه ، ولما تنبه الخلفاء العباسيون في صدر دولتهم الى ضرورة نقل العلوم الى لسانهم ، لم يجدوا الا هؤلاء المسيحيين للاضطلاع بهذه المهامّ الخطيرة التي اصبحت من اشدّ حاجات العمران · فكان لهم من حققوا آمالهم ولبوا مبتغاهم وشفوا صدورهم بنقول في شتى العلوم حتى طوّقوا جيد اوطانهم منها بكل علقٍ نفيس · وكانوا خير الهداة للأمة العربية لدخول قصور العلوم ، فأجزل لهم الخلفاء والامراء الأجواد الهبات وأفاضوا عليهم الصلات ·

وهذه الأمة السريانية التي كان صدور علمائها يضطلعون باللغة اليونانية والعلوم الفلسفية والطبيعية على اصنافها ، لم تلقَ عند تلاميذها العروب ما كان يوجبه عليهم حق العلم ، فبدلاً من التصريح باسمها اذا بهم ينحلونها على الغالب اسم النبط والنبطية ·

والأنباط جيل من الناس غلبوا الآدوميين في بلادهم الواقعة في الجنوب الشرقي من فلسطين، وأنشأوا لهم فيها دولة عربية عزيزة الشأن عاصمتها مدينة بطراء (الحجر) المسماة بالعبرية (سلع) ذكرهم ديودورس الصقلي سنة ٣١٢ ق.م[١] واستولى ملكهم الحارث الثالث على دمشق سنة ٨٥ ق.م ثم دخلت دولتهم في حوزة الرومان سنة ١٠٦ او ١١٥ م فتفرق فريق منهم في البلاد، وكان لهم بعض الأثر في مملكة الرُّها المعروفة بدولة الأباجرة وغيرها من الامارات الشرقية التي أنشئت في شرقي الفرات. ونزل خلق منهم رستاقاً عظيماً عُرف بسواد العراق، واشتغلوا بالفلاحة، ثم اختلطوا باهل البلاد وطمس اسمهم ورسمهم بعد زهاء اربعة قرون من الاسلام حوالي سنة ١٠٠٠ م

واختلف المؤرخون في اصلهم، فأثبت اكثرهم انهم عرب كانوا بالعربية يتكلمون ولكنهم كتبوا بالآرامية باعتبارها لغة ادب، وهذه اللغة الآرامية كتب بها قبائل واجناس غير النبط كاليهود والتدمريين، واستعمل خطها الفرس في عهد الدولة الساسانية والمغول[٢] — وهؤلاء المؤرخون المعاصرون لهم كانوا يونانيين ورومانيين وهم ديودورس الصقلي[٣] وسترابون[٤] وتاسيت[٥] وپلين[٦]، وواطأهم يوسيفوس الكاتب العبري المعروف[٧]. ومالأهم على رأيهم بعض المحدثين واخصهم الالمان المعروفون بالتحقيق والتمحيص، والاستاذ جرجي زيدان[٨]

وزعم روبنس دوفال الفرنسي وغيره انهم آراميون اختلطوا بالعرب على تراخي الأيام[٩] ؟

---

(١) كتاب العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ٦٨ - ٨٣ واللغات الآرامية وآدابها للقس شابو الفرنسي ص ٢٩ (٢) اللغات الآرامية ص ٥١ (٣) كتاب ثالث : ٤٣
(٤) ٧٧٦ : ١٨ و ٧٦٠ : ٣٤ (٥) ١٢ - ١٢ و ١٤ (٦) التاريخ الطبيعي ٥ : ١١ و ٦ : ٢٨ و ١٢ : ١٧ (٧) العتائق اليهودية ١٣،٥ : ١٠
(٨) اللغات الآرامية ص ٢٩ (٩) فيها وفي تاريخ الرها لدوفال ص ٢٤ - ٢٧

أما اللغة التي كتبوا بها فكانت امسج اللهجات الآرامية في ما قال العلامة المتبحر ابن العبري الذي سماها الكلدانية النبطية [١]

ومن يطالع الكتابة النبطية التي وجدت مزبورةً على انقاض مدائن صالح وقد زبرت في السنة الأولى قبل الميلاد واوردها الأستاذ جرجي زيدان بنصها وترجمتها [٢] يحكم انها مزيج من لغتين غليظتين عربية وآرامية وان القلم النبطي الذي كتبت به ونحله علماء البحث المعاصرون اسم القلم الآرامي لا يشبه القلم السرياني أصلاً [٣]

ولما التقط بعض لغويي العرب من انباط السواد الفاظاً وسموها في تصانيفهم بيسم النبطية خبطاً منهم واعتباطاً [٤] ويندر تسميتهم اياها بالسريانية غير مبالين بالتمييز بينها وبين السريانية الفصحى

ان هذه اللغة كان موطنها ولاية الرها وحرّان والشام الخارجة اي سورية الفراتية • وكانت دمشق وجبل لبنان وسورية الداخلة اي المجوّفة موطن اللغة السريانية التي يقال لها الفلسطينية [٥] ، فلا شك انها بعد تغلب العربية عليها ابقت الفاظاً شتى جرت على يراع الكتاب الثقات ودخلت المعاجم العربية • ولا نقول هذا عصبيةً للغتنا السريانية ولكن بياناً للحقيقة الراهنة •

وقد يشق على بعض الأدباء خزنة فرائد العربية وحفظة مجدها اللغوي ان يروا في لفظة انتسابها الى غير لغتهم ، ولا غضاضة في هذا على هذه اللغة الجليلة ،

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٨ ـ وذكر اكلمنضس هوار في كتابه الآداب العربية ص ٧ ان رحالة الأنباط نقلوا الى بلاد العرب من سورية ، القلم السرياني الاسطرنجيلي فتداولته اللغة العربية وذلك في القرن السادس للميلاد (٢) ص ٨١ (٣) ومن شاء الاستزادة من هذا البحث فلينعم النظر في الرسوم الآرامية الثلاثة التي نقلها المسيو هنري بونيون بشكلها وترجمها في كتابه الرسوم السامية رقم ٦٠ و ٦١ و ٨٦ ص ١٠٨ و ١١٣ و ١٥٦ وفي الصفحتين رقم ٢٧ و ٣٥ (٤) مروج الذهب للمسعودي مج ١ ص ١٢٩ و ١٣٦ و ٢٦٦ و ٢٦٧ ومعجم البلدان لياقوت مج ٥ ص ٤٠٧ ومج ٦ ص ١٦٩ (٥) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٨

ذلك ان الناس تعير وتستعير ، والأمم تأخذ وتعطي في كل زمان كما قال الاستاذ الألمعي النشاشيبي (١) واية غضاضة تلحق العربية التي احرزت من الغنى اللغوي السهم الأعلى وفازت من السعة والبسطة بالنصيب الأوفى ، فضلاً عن كونها ابدع لغات الدنيا سحراً واروعها بياناً ، اذا وجد فيها بضع مئات من السريانية وغيرها تسربت اليها بحكم الطبع والوضع واستعيرت لها بدوافع الحاجة ؟

وقد انصف الأستاذ البارع السيد عارف النكدي بقوله في بحث له ونصه : « ليست هذه اللفظة بمنطوية على معنى جليل نحرص عليه ، وما هي متضمنة تعبيراً دقيقاً نحتاج اليه فنطيل فيها الكلام لندعي نجرها ونحتكر فخرها ، غير أن الذي يدعو الى معالجة هذه الموضوعات ليست قيمة الكلمة نفسها ، ولكنه هذا الحرص الملح يظهره كثير من الكتاب في كثير من الأحيان ليجدوا للفظة العربية البحتة مخرجاً يخرجونها به من لغتنا ليدخلوها في لغة أجنبية . وما أدري لهذا سبباً الا ان يكون من قبيل رد الفعل لما كان عليه قومنا من قبل ، من ادعاء الألفاظ واستلحاقها ، بحيث كادوا لا يتركون لفظة اتصلت بهم ، ولو كانت في بعض الأحيان علماً على بلد او شخص ، وقد زعموها عربية فحاكوا لها صيغة واصطنعوا لها اشتقاقاً ، منتحلين في ذلك اسخف السبب متكلفين اضعف النسب ، يفعلون ذلك في الأكثر تعصباً للغتهم واعتزازاً بها » اهـ (٢) .

---

(١) احاديث في اللغة في مجلة المجمع العلمي بدمشق مج ١٩ ص ١٧

(٢) في بحثه لفظة « الفندي » في مجلة المجمع العلمي مج ١٩ ص ٤٧٣ - ٤٧٦ ثم انه ذكر من مضحكات هذه التأويلات ما ورد في شرح تاج العروس ٢ : ٤٥٥ في مادة فند واشتقاق لفظة الأفندي منها ! - ومثله قال الأستاذ النشاشيبي مخاطباً بعض مؤلفي المعاجم : « البرهان يا أبا القاسم ليس من البرهرهة (وهي البيضاء من الجواري) وانما هي لفظة استعرناها في الجاهلية من الجيران » وقال في « السلطان » ما معناه « انه ليس من اللسان السليط الحديد من السلاطة ولا هو من السطوة والحدة ، ومن يتل أقوال اللغويين في اشتقاق « السلطان » وتذكيره وتأنيثه وفي كونه مفرداً او جمعاً تطل بلبلته » اهـ وسيمر بك في ما يأتي ادلة صريحة على التمحل والتمحل الذي صار اليه اكبر أئمة اللغة في انكار أعجمية معظم الألفاظ الدخيلة —

فمن كان بعلم أصول اللغات عارفاً وآنس في بيّناتنا مقنعاً ، وافقنا على رأينا راضياً ، ومن آثر حواراً ونقاشاً فلسنا نفرغ له وليبقَ على مذهبه . ذلك اننا لم نقصد الا بيان الحقيقة اللغوية وتخفيف بعض العناء عن جماعة اللغويين الذين قد تشغلهم اللفظة المرتاب في أصلها أياماً وليالي ، وتستدعي من يراعهم تحبير عشرات الصفحات امعاناً في التنقيب عنها ، وبعد كل هذا قد لا يفوزون بطائل . وكل نقّاب في العربية عليم ، قد اتاه نبأ اختلاف أئمة اللغة العربية في تعليل الاسماء المعجمة حتى الظاهرة العجمة اختلافاً شديداً [١] .

وأما الاختلاف في المعاني والألفاظ فقد صرّح به فخر الدين الرازي في كتاب المحصول فقال « انا نجد الناس مختلفين في معاني الألفاظ التي هي اكثر الألفاظ تداولاً اختلافاً شديداً لا يمكن القطع بما هو الحق . كلفظة الله فان بعضهم زعم انها عبرية وقال قوم سريانية ، والذين جعلوها عبرية اختلفوا هل هي مشتقة أو لا ، والقائلون بالاشتقاق اختلفوا اختلافاً شديداً . وكذلك اختلفوا في لفظ الايمان والكفر والصلاة والزكاة ، فاذا كان هذا الحال في هذه الألفاظ التي هي اشهر الألفاظ والحاجة ماسة اليها جداً ، فما ظنك بسائر الألفاظ » ؟ [٢] .

— وتكلفهم لاستنباط أصل لها عربي — راجع أيضاً معجم الأدباء لياقوت جزء ١ ص ١٤٤–١٤٧ ترَ كيف كان الامام اللغوي ابرهيم بن السري المعروف بالزجاج المتوفى سنة ٣١١ ﻫ ٩٢٤ م يزعم ان كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ، وان نقص حروف احداهما عن حروف الأخرى ، فان احداهما مشتقة من الأخرى فيقول : الرَّجل (بفتح الراء) مشتقة من الرِجل (بكسر الراء) والثور انما يسمى ثوراً لأنه يثير الأرض الخ !! وانت اذا طالعت تخريج بعضهم لحروف الابجدية السريانية المجموعة في ابجد هوّز ، تجد سخافة ظاهرة . (انظر المزهر للسيوطي ٢ : ص ٢١٥ و ٢١٨ و ٢١٩)

(١) راجع مثلاً شرح درّة الغواص للخفاجي ص ١٧٤ في لفظة « شطرنج » والذي عندنا في لفظة السلطان بالسريانية وهي ܫܘܠܛܢܐ Shoultono انها مصدر من فعل ܫܠܛ Sblat تسلط وتفيد معنى الملك والولاية والحكم ومنها أيضاً ܫܠܝܛܢܐ Shalitono بمعنى السلطان فاعلاً ومصدراً وهو باب وسيع

(٢) المزهر لجلال الدين السيوطي ١ : ٦٩ – ٧٠

وأما في تصرف العرب في الاسماء الأعجمية فقد قال الجواليقي في المعرّب « إن العرب كثيراً ما يجترئون على الاسماء الاعجمية فيغيرونها بالابدال . قالوا اسماعيل واصله اشمائيل [١] فابدلوا لقرب المخرج وقد يبدلون مع البعد عن المخرج ، وقد ينقلونها الى ابنيتهم ويزيدون وينقصون » [٢]

ولما كان لألفاظ الديانات اسمان لغوي وشرعي ، ولسائر العلوم اسمان لغوي وصناعي كما قال ابن فارس في فقه اللغة [٣] تحتم على مؤلفي المعاجم الاحاطة بها ، على ان اوسعها لم تتقيد بهذا الشرط في جميع الألفاظ . فعسى ان ينصرف اللغويون الى سدّ هذا الخلل في المعجم الذي ينوي المجمعان العلميان الجليلان المصري والدمشقي وضعه قياماً بحق اللغة .

ودونك الألفاظ السريانية التي عرّبها العرب واقتبسوها من السريان وأثبتها كتاب ثقات [٤]

* * *

حرف الألف

الأبّ : ܐܒܐ ébo الثمرة الفاكهة ، والفعل في الكلدانية القديمة ܐܒܒ abèbe أي أغلّت الأرض واثمرت ، وفي حديث انس بن مالك ان عمر بن الخطاب قرأ « وفاكهةً وأبّاً » وقيل الأبّ من المرعى للدواب كالفاكهة للانسان ، ومنه حديث الاسقف قُسّ بن ساعدة « يرتع ابّاً وأصيدُ ضبّاً » ورد في النهاية لمجد الدين ابن الأثير ص ٩ ، وفي اساس البلاغة للزمخشري مج ١ ص ١ : وتقول فلان راع له الحبّ وطاع له الأبّ اي زكا زرعُه واتسع مرعاه .

---

(١) هو بالسريانية ܐܫܡܥܝܠ Ichmaïle اشماعيل فمنها اخذه العرب كما ورد في القرآن ولم يغيروه بالابدال (راجع مقالة الفنس منغانه في « اثر اللغة السريانية في القرآن » ص٨)

(٢) المزهر ١ - ١٦٢ (٣) فيه ص ١٧٢ (٤) وقد تركنا جانباً الفاظاً شتى سريانية الأصل استعملها السريانيون والكلدانيون والروم والأقباط في تآليفهم الدينية

ودونك ما قاله احمد بن فارس الرازي في كتابه «مقاييس اللغة» ص ٧٠ في بحث هذا الحرف: «اعلم ان للهمزة والباء في المضاعف اصلين، احدهما المرعى والآخر القصد والتهيؤ. فأما الأول فقول القرآن: «وفاكهةً وأَبّاً» قال ابو زيد الأنصاري: لم اسمع للأَبّ ذكراً الا في القرآن. قال الخليل وابن زيد او ابن دُرَيد: الأَبّ المرعى وأنشد ابن دُريد شعراً:

جِذْمُنا قيسٌ ونَجْدٌ دارُنا ولنا الأبُّ به والمَكْرَعُ

وانشد شُبيل بن عزرة لأبي داود:

يرعى بروض الحزن من أَبِّه قربانه في عانة تصحب

اي تحفظ. قال ابو اسحق الزجّاج (الأَبُّ) جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية (كذا) روي عن ابن عباس. فهذا اصل.

واما الثاني فقال الخليل وابن دُريد: الأَبُّ مصدر أَبَّ فلان الى سيفه اذا ردَّ يده اليه ليستله. وقال احمد فارس الشدياق في (سرّ الليال):

(والأَبُّ) للكلأ من معنى القصد. ولك ان تقول انه من معنى الحركة المقرونة بالاشتياق، اذ هو عند العرب من اعظم ما يُتشوق اليه، ولهذا قال «ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباً... وفاكهةً وأَبّاً»[١] وعدَّ السيوطي (الأبّ) من الألفاظ الاعجمية التي وقعت في القرآن (الاتقان ص ١٣٨)

اِبّار: ܐܒܪܐ aboro الأُسرب: لفظة سريانية. جاء في تاج العروس ٤: ٤٠٠ الرصاص ضربان اسود وهو الأُسرب والآبار، وابيض وهو القلعي والقصدير. وقال الحسن ابن بهلول الطيرهاني الكلداني في معجمه مج ١ ص ٢٠ الآبار به يُكسر الماس.

أَبْزَن: ܐܘܙܢܐ و ܘܙܢܐ wazno, ouzno لفظة سريانية معناها: مغسل أَبْزَن جرن، حوض وتستعمل عند السريان لجرن المعمودية كما ورد في

(١) ابّ اي اشتاق مما اشتركت فيه اللغتان السريانية والعربية: ܝܐܒ Yièbe

كتاب « صلاة العباد » وقال فيها ابن بهلول عن حُنين وابن سروشويه « الحوض الذي يعمد فيه الأطفال ، ابزن » وخلت منها المعاجم العربية ولكنها وردت في معجم البلدان لياقوت مج ٦ ص ٤٠٧ « قال حمزة الاصبهاني في كتاب التنبيه : كان كلام الفرس قديماً يجري على خمسة السنة ... واما الخوزية فهي لغة اهل خوزستان وبها كان يتكلم الملوك والأشراف في الخلاء وموضع الاستفراغ وعند التعري للحمام والآبزن والمغتسل » اه وذكرها الخفاجي في شفاء الغليل عن البخاري ص ١٤ « قال انس ان لي ابزنا اتقحم فيه وأنا صائم » .

أبَل : ܐܒܠ ébal سريانية : زهد تنسك حزن اغتمّ . يقال أبَل الرجل أبالةً تنسك وترهب اورده اللسان والتاج وذيل اقرب الموارد . ومثله ܐܬܐܒܠ éthébel تأبّل : وفي الحديث : تأبّل آدم على ابنه المقتول كذا وكذا عاماً : حزن – وجاء في النهاية لابن الاثير ١ : ١١ « وتأبّل عن النساء توحش عنهن وترك غشيانهنّ ، ومثله في التاج ٧ : ١٩٩ وقال صاحب أساس البلاغة ١ : ٢ « تأبّل فلان اذا ترك النكاح ولم يقرب النساء ، من ابلت الابل وتأبلت اذا اجتزأت بالرُّطب عن الماء » ومنه :

الآبيل : ܐܒܝܠܐ abilo الحزين وارادوا به المغموم على ما اسلف من ذنوب ، والزاهد والناسك ومنه قيل للراهب ابيل ، وقد أبُل أبالةً فهو ابيل كما تقول فقُه فقاهةً فهو فقيه . وفي لسان العرب ١٣ : ١٦ وكانوا يعظمون الابيل فيحلفون به كما يحلفون بالله . وسمى بعضهم السيد المسيح ابيل الابيلين ، قال عمرو بن عبد الحق ويُروى للأعشى :

وما سبّح الرهبان في كلّ بيعةٍ ابيلَ الابيلين المسيحَ بن مريما

ياقوت (٤ : ٧٨١) ومثل الابيل : الايبَلي والايبُلي والهيبلي

واما قول ابن دُريد صاحب الجمهرة ص ٣٣٩ ان الابيل الذي يضرب بالناقوس مستشهداً بقول الأعشى :

فاني وربِّ الساجدين عشيةً وما صكَّ ناقوس النصارى ابيلُها

فليس بصواب وانما هو الناسك المترهب وكان بعض هؤلاء يقيم في البيعة فيتولى الضرب بالناقوس ·

أُترّج وتُرُنج : ܐܬܪܘܓܐ étrougo فاكهة معروفة وقال فيه الأمير مصطفى الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية : ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب · وفي كتاب ملتقى اللغتين ص ٣٥٦ الاترج والترنج اصلها اتروغ كلة آرامية · وعدّه السيوطي من الأسماء المعربة [1] ·

اتون : ܐܬܘܢܐ atouno سريانية مخففة التاء : اخدود الجيّار والجصّاص ونحوه : وفي سفر التكوين « يصعد كدخان الاتون » ١٩ ـ ٢٨ وفي نبوة دانيال « في وسط اتون نار متقدة » ٣ : ٦ وجاء في كتاب المُغرب في ترتيب المُعرب لبرهان الدين المطرّزي المتوفى سنة ١٢١٣ م « الأَتُون مقصور مخفف على فَعول موقد النار ويقال له بالفارسية كُلخن وهو للحمام ويستعار لما يُطبخ فيه الآجر ويقال له بالفارسية توتق وداشوزن · والجمع أُتاتين بتائين باجماع العرب عن الفراء ـ وعلق الاب انستاس الكرملي عليه بقوله : « المشهور ان أَتُون المخفف يُجمع على أُتُن كعُنُق ، واما أَتّون المشدد كسفّود فيجمع على اتاتين » (مجلة المجمع مج ١٧ ص ١٠١) وقال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٥ اتّون بالتشديد مولّد وتردد فيه الجوهري ·

أُثفيّة : ܬܦܝܐ tfoié احجار ثلاثة تُنصب عليها القِدر ، وفيها لغات ܬܦܐ و ܬܦܝܐ tafio tfaio والفعل tfo ثفّى

إجّار : ܐܓܪܐ égoro سريانية : السطح الذي لاسترة عليه : وفي المخصص لابن سيدة : ٥ : ١٢٦ السطح لا حاجز عليه : وفي قاموس الفيروزابادي ١ : ٣٦٢ السطح كالانجار ج أجاجير واجاجرة واناجير

(١) المزهر ١ : ١٦٦ واعتبره بعضهم فارسي الأصل (شرح الفصيح للمرزوقي) فيه ص ١٦٤

إجّاص : ܐܓܘܨܐ agoço شجر وثمر معروفان ، دخيل معرب لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة «القاموس ٢ ـ ٢٩٤ » والمصباح ١ ـ ١٢ سريانية . وفي المزهر ١ : ١٦٠ ليس الجص ولا الاجاص بعربي

إجّانة : ܐܓܢܐ agono و ܐܓܢܬܐ agonto سريانية جاء في الدليل للقس يعقوب منّا اجّانة ، حبّ ، دنّ . وقال فيها المطران توما اودو الكلداني في معجمه « كنز اللغة السريانية » اناء كبير من حجر او خزف او خشب او نحاس يوضع فيه الخمر والماء والعجين والطبيخ وما اليه . وقال الاسكافي في مبادئ اللغة ص ٥٦ ويقال اجّانة خزف وقد تكون من صفر . وقال البيروني في الآثار الباقية من القرون الخالية ص ٢٩٣ في صفة العماد « فان اساقفتهم وقسوسهم يملأون اجّانة ماء ويقرأون عليه . وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٩٧ وقيل ان الاجّانة التي في المسجد حُملت على فيل وأُدخلت في هذا الباب . وفي طبقات الأطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٤١ تقدم بان تُجعل اجاجين السيلان في سطوح الدار ، واراد بالسيلان الدبس السيلاني . وفي انجيل مار يوحنا ٢ : ٦ وكان هناك ست اجاجين من حجر موضوعة لتطهير اليهود . فمن هذه الأدلة ترى ان تعريف المصباح واقرب الموارد ، انه اناء تُغسل فيه الثياب . ثم استعير ذلك وأُطلق على ما حول الغراس ، فقيل في المساقاة : على العامل اصلاح الاجاجين ، والمراد ما يحوّط على الأشجار شبه الاحواض ، هو تعريف ناقص . ويقال فيها الايجانة والانجانة (القاموس ٤ : ١٩٥) واللغة الأخيرة دارجة عند اهل العراق للاناء تغسل فيه الثياب ولا يكون الاّ من حجر ، وقال صاحب المصباح والانجانة لغة تمتنع الفصحاء من استعمالها .

أجَم : ܐܓܡܐ ogmo حوض ، غدير ، سريانية وفي نبوة اشعيا ٤٤ : ٢ « وأُحدثُ في البدو آجامًا في الأرض العطشى ماءً معينًا » (كتاب الدين والدولة ص ٨٩ وقد اورد مؤلفه علي بن ربّن الطبري ترجمة قديمة طبعت على

ِغرار الفصاحة ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٠١ سمي ما استأجم من شق طريق البريد آجام البريد ، ومثله نقل صاحب معجم البلدان ١ : ٥٤ وزاد : جمع أَجَمَة وهو منبت القصب الملتف · وقال الفيومي الشجر الملتف ·

اِرَان : ܐܪܘܢܐ orouno سريانية من اصل عبري معناها : تابوت نريد به خاصة التابوت اي الصندوق الذي كان فيه عهد بني اسرائيل وهو في العبرية الاِيرُون · وقال فيه التبريزي في شرح المعلقات ص ٣٣ الاِران تابوت كانوا يحملون فيه ساداتهم وكبراءهم دون غيرهم وقال الشارح : الاران سرير موتى النصارى وقال الشرتوني في معجمه : تابوت خشب كانوا يحملون فيه موتاهم وقال صاحب التاج عن ابي عمرو ٦ ـ ١٣١ تابوت يدفن فيه النصارى · وجاء في ذيل اقرب الموارد : والتبَوت كصَبور لغـة فيه وتابوت الميت للصندوق الذي يُجعل فيه جثته [1] ·

أرُزٌ ، رُزٌ : ܪܘܙܐ ، ܪܙܐ rozo , rouzo هكذا ضبطه ابن شملي واورد ابن بهلول لغة فيه ܐܘܪܙܐ orouzo جاء في معجم الألفاظ الزراعية : جنس نباتات عشبية مائية من فصيلة النجيليات تزرع لحبها المشهور · قال ياقوت في معجم البلدان ٢ : ١٩٤ في وصف مدينة البصرة عن نافع بن الحارث « فدخلنا الاجمة فاذا زنبيلان في احدهما تمر وفي الآخر ارزٌ بقشره فجذبناهما حتى ادنيناهما من القصر ، واخرجنا ما فيها · فقال عُتبة يعني الأرزَ هذا سمٌ اعده لكم العدوٌ فلا تقربنَّه · فأخرجنا التمر وجعلنا نأكل منه · فاننا لكذلك فاذا بفرس قد قطع قياده واتى ذلك الأرز يأكل منه · فلقد رأيتنا نسعى بشفارنا نريد ذبحه قبل ان يموت · فقال صاحبه امسكوا عنه احرسه الليلة فان احسست بموته ذبحته · فلما اصبحنا اذا الفرس يروث لا بأس عليه · فقالت اختي يا أخي

(١) مما يُستدرك على صاحب التاج قوله في ارجان ٢ : ٥٠ بلد بين فارس والاهواز بها قبر ارجيان حواريٌ عيسى عليه السلام اه فلا حواريٌ بهذا الاسم ولم يرد في تاريخ النصرانية بلوغ الدعوة المسيحية الى ارجان في ايام الحواريين ·

اني سمعت ابي يقول ان السمّ لا يضرّ اذا نضج فاخذت من الأرز توقد تحته ، ثم نادت الا انه (يتفصّى) من حبيبة حمراء ، ثم قالت قد جعلت تكون بيضاء فما زالت تطبخه حتى انماط قشره فالقيناه في الجفنة . فقال عتبة اذكروا اسم الله عليه وكلوه فأكلوا منه فاذا هو طيب قال فجعلنا بعد نميط عنه قشره ونطبخه . فلقد رأيتني بعد ذلك اعدّه لولدي » اه . فمن هنا تعلم ان العرب لم تكن تعرف للارزّ طعماً ولا اسماً فاخذت اسمه من السريانية . وقال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٤ انه معرب وذكره ابو منصور [١]

إِرْزَبَّة : ܐܪܙܦܬܐ arzafto مطرقة ، عصية من حديد وقال ابن بهلول تعني المطرقة من خشب من آلات النجار .

أَرْفِيّ : ܐܪܦܐ arfo سريانية معناها : من يمسح الأراضي ويعين حدودها (عن قاموس الدليل) واللُّباب للقس جبرائيل قرداحي مج ١ ص ٧٢ وفي القاموس : الأُرفة بالضم الحدّ بين الأرضين ، والأُرفيّ كقُمْريّ الماسح ، وأرّف على الأرض تأريفاً جُعلت لها حدود وقُسمت . وفي أقرب الموارد : أرّف الدار والأرض قسمها وحدّدها . وهو مؤارفي : حدّه الى حدّي في السكنى والمكان ، وفي حديث جابر : اذا أُرّفت الحدود فلا شفعة . والارف : المعالم [٢]

إِزْدَهِر : جاء في التاج : الازدهار بالشيء الاحتفاظ به ، وفي الحديث ازْدَهِر بهذا فان له شأناً وقيل الازدهار بالشيء الفرح به وليس هذا بصواب ، وقيل ان تأمر صاحبك ان يجدّ في ما امرته . قال ابو عبيد ازدهر : كلمة ليست

(۞) الاَدَمة : قال في القاموس ٤ : ٧٣ الاَدَمة : محركة باطن الأرض وقال الشرتوني : اَدَمة الأرض وجهها . ومما يستدرك عليها التصريح باصلها العبري ومنه أخذت السريانية ܐܕܡܬܐ ademtho ومعناها : تراب احمر حرّ ويرادفها ܥܦܪܐ ، ܡܕܪܐ medro , âfro مَدَر ، عفر .

(١) في شرح الفصيح للمرزوقي الاترج فارسي معرب قال وقيل ان الارز كذلك [المزهر ١ : ١٦٤] ولكن الثعالبي لم يذكرهما في فقه اللغة

(٢) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٨

بعربية كأنها نبطية او سريانية · وقال ابو سعيد هي كلمة عربية · وقال ثعلب ازدهر بها اي احتملها قال وهي كلمة سريانية ، وورد في اساس البلاغة ٢ : ٤١٣ ازدهر به احتفظ به واجعله من بالك قال جرير :

فانك قَيْن وابن قَيْنين فازدهر بكيرك ان الكيرَ للقَيْن نافعُ

يريد انك حدّاد وابن حدادين فاحتفظ بزَقِّك فانه ينفعك · ومثله قال ابن عبيد · وصوابه ان اللفظة سريانية وهي صيغة امر من فعل ܐܙܕܗܪ ezdhar ومعناه تحفّظ تحذّر ، حرص ، اعتنى وامتنع فتفسيرها : حذارِ · واذا كانت من فعل ܙܗܪ zahar تحذّر وتحرّز واحتفظ واعتنى فتفيد ايضاً معنى : الاحتفاظ والاعتناء ·

آس : ܐܣܐ oço نبات معروف برّي وُيزرَع وثمره يسمى حب الآس وهو يؤكل وفيه عفوصة · قال صاحب الجمهرة ١ : ١٧ احسبه دخيلاً[1] ، قلنا هو سرياني ، وفي نبوة اشعيا ٤٠ : ٢ « وأنبت في القفار البلاقع الصنوبر والآس والزيتون » في كتاب الدين والدولة ص ٨٩

أسا : ܐܣܐ âci داوى عالج أبرأ والفاعل :

آسٍ وآسي ܐܣܝܐ ocio طبيب وصناعته ܐܣܝܘܬܐ ocioutho وفي مقاييس اللغة : أسوت الجُرْحَ اذا داويتُه ولذلك يسمى الطبيب الآسي : قال الحُطيئة :

هم الآسونَ امَّ الرأس لما تواكلها الأطبَّــة والإساء

اي المعالجون ، كذا قال الأموي · سريانية ومثلها عبرية

أُسكُفّة : ܐܣܟܘܦܬܐ escoufto عتبة الباب التي يوطأ عليها : وفي مبادئ اللغة للاسكافي ص ٣٨ الاسكفة الخشبة التي تضم العضادتين من اسفل ، والعتبة التي تضمها من فوق · قال ثعلب هي من قولهم استكفَّ به القوم احدقوا ·

(١) في المزهر للسيوطي ١ : ١٦٧ قال في الجمهرة [الآس المشموم] احسبه دخيلاً على ان العرب قد تكلمت به وجاء في الشعر الفصيح ·

وقال علي بن سيدة في المخصص ٥ ـ ١٣١ هذا من اقبح الغلط وافحش الخطأ لأن استكفّ ثنائية من ك . ف واسكفة ثلاثي من س . ك . ف وليس في الكلام اسفُعلة فتكون السين زائدة اهـ وقال السيوطي في المزهر ٢ : ٢٣١ وذهب ثعلب في قوله اسكفّة الباب الى انها من قولهم استكفّ اي اجتمع ، وهذا امر ظاهر الشناعة ، لان اسكفة افعلة والسين فيهـا فاء وتركيبها من سكف . واما استكف فسينه زائدة لأنه استفعل وتركيبه من كفف ، فاين هذان الاصلان حتى يجتمعا اهـ

وحسبك بهذا التمحّل من الشارح والناقدين من الشطط لأن اللفظة العجمية سريانية لا شأن لها مع استكف وسكفَ . وصاغ العرب منها فعلاً قالوا : وما تسكفت بابه ولا اتسكّف له بيتاً (اساس البلاغة ١ : ٤٥١) وجمعها اسكفّات (المصباح)

أسَل : ܐܣܠܐ ouçlo جنس نباتات عشبية تنبت في المنافع وتستعمل اوراقها الاسطوانية الطوال المنتصبة لصنع السلال وغيرها (معجم الألفاظ الزراعية عن المفردات) ورد في سفر اشعيا ٩ : ١٤ النخل والاسَل ، وذكرها حُنين في تحرير مسائله : وفي مقاييس اللغة لابن فارس : قال الخليل الأسل الرماح قال وسُميت بذلك تشبيهاً لها باسَل النبات ، وكل نبت له شوك طويل فشوكه أسَل (مجلة المجمع ١١ ـ ٣٥٢) هي سريانية

إشتيام : ܐܫܬܝܡܐ ، ܐܫܬܝܡܐ échathïamo , échtimo لفظـة مركبة من لفظتين سريانيتين معناهما اللفظي : قعر البحر ارادوا بها : مدبّر السفينة بعد الرُبان ، والغوّاص في قعر البحر في سبيل نجاتها اذا اقتضت الحاجة . قال الحسن بن بهلول في معجمه مج ١ ص ٣٠٢ «وجدت هذه اللفظة في امثال الآراميين» والاشتيام هو صاحب المتاع المحمول في السفينة ، وفي الهامش : الاستيام ، بالمهملة : وهو خليفة تاجر الصحراء على الثمرة وهو الذي يحمل الفواكه

الى دُور البِطّيخ ويقبض الحواصل بمبلغ الوزن والثمر من البندار اي الحائط » .
وترجمه المطران ايليا ابن السني المتوفى سنة ١٠٤٩ م في ترجمانه بلفظة ܩܘܒܪܢܝܛܐ coubarnito اي الملاّح النوتي رُبان السفينة ، وفسره صاحب اللباب ٢ : ٥٩٩ بصاحب وسق السفينة وقال فيه مؤلف الدليل ص ٤٤ صاحب وسْق السفينة ، خليفة تاجر الصحراء ، ووكيله يحمل له الاثمار الى الاهراء لوقت الغلاء باجرة معلومة ـ وخلا منه معجم كنز اللغة السريانية للمطران توما اودو ـ وقال فيه اللسان « والاشتيام رئيس الركاب . ولم اعرف اصل هذا الحرف أعربي ام معرّب ، ولم ينصوا على شيء منه ـ ولعله ان كان خاصاً برئيس الملاحين ، ان يكون مشتقاً من الشتم الكثرته في هذه الطائفة ورؤسائها » اه!
فعلق الجهبذ الدكتور مصطفى جواد عليه بما نصه « وفي القول فكاهة لا علم ، وصورة « الشتم » اعني الشين والفاء والميم ابعد عن « الاشتيام » منها عن « الاستيام » التي تصلح لعبارات البحارة والتجارة ـ وقد خفَتَ صوت « الاشتيام » لشيوع « الرُبان » و « الناخذة » بين « البحارة » اه [1]

وصرح بحقيقة معنـاه صاحب كتاب « العين » الليث بن سيار المتوفى سنة ١٧٠ هـ ٧٨٦ م في باب الجيم والسين مع الياء قال « السيبجي والجمع السيابجة قوم جُلداء في السند يكونون مع اشتيام السفينة البحرية ، والاشتيام رأس ملاّحي السفينة وهو بالنبطية (!) (اشتياما) اه وعنه نقل الجواليقي في المعرّب ص ١٨٣ .

ووردت هذه اللفظة في تاريخ الطبري ست مرات : قال في حوادث سنة ٢٥١ هـ ٨٦٥ م « ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة (الى بغداد) عشر سفائن بحرية تسمى البوارج في كل سفينة اشتيام وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلاثين رجلاً من الجذافين والمقاتلة » مج ١١ ص ١١٢ طبعة مصر . وفي حوادث سنة ٢٦٥ (٨٧٨) واستخلف (الجبائي) على الشذوذات الاشتيام الذي يقال له

(١) مج ١٩ ص ٢٦٤ من المجلة في بحث له عنوانه اقول في [المقول]

الزنجي بن مهربان » ص ٢٥٢ ـ وفي صفحة ٢٦١ « قال محمد بن حماد فحدثني اخي اسحق بن حماد ومحمد بن شعيب الاشتيام في جماعة كثيرة من صحب ابا العباس في سفره ... » وركب ابو العباس سميريته ومعه محمد بن شعيب الاشتيام .. وص ٢٦٣ قال محمد بن شعيب الاشتيام وكنت فيمن تقدم يومئذ اهـ وص ٢٦٢ في حوادث سنة ٢٦٧ (٨٨٠) « خرج الجبائي وسليمان في الشذوات والسميريات ، وقد كان ابو العباس احسن تعبئة اصحابه ... وامر اشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذّافين لهذه الشذاة » اهـ

وجمع اشتيام اشاتمة قال شمس الدين المقدسي المعروف بالبشاري في كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » طبعة ليدن ص ١٠ « وصاحبت مشائخ فيه وُلدوا ونشئوا من رُبانين واشاتمة ورياضيين ووكلاء وتجار »

ووقعت اللفظة في قصيدة للبحتري مدح بها احمد بن دينار بن عبد الله قال:

يغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر

اي بين يدي الاشتيام . ديوانه طبعة بيروت مج ١ ص ٣٣٩ وفي سبيل تحقيق هذه اللفظة خاض الأساتذة المغربي والجندي والكرملي اعضاء المجمع العلمي في بحوث مسهبة وقعت في ٢٩ صفحة نشرتها مجلة المجمع في الاجزاء ٥ و ٦ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ ص ٢٤٥ و ٤١٩ و ٥٠٥ من المجلد ١٧ سنة ١٩٤٣ وكان الكرملي قد كشف معناها . ومن اجل هذا تبسطنا في البحث عن هذه اللفظة السريانية القديمة من العصر الآرامي واستعارها العرب واستعملوها حتى المئة الثالثة عشرة للميلاد ثم أُهملت وتنوسيت فغمض معناها على المعاصرين .

وكانت تعني : رُبان السفينة ورأس الملاّحين ، ورئيس المراكب البحرية والحربية ، وان شئت فقل امير الماء ـ بحسب تعبير الكرملي ـ وصاحب وسق السفينة وخليفة تاجر الصحراء على الثمار .

أُشنَة : ܚܢܛܐ chintho : عطر ابيض كأنه مقشور عن عِرق : سريانية

أُشْوُل : ܐܫܠܐ achlo قَلْس : حبل السفينة ، الحبال كان يُذرَع بها ، سريانية وقال القاموس انها نبطية

اصحاح : ܨܚܚܐ shoho لفظة معربة عن السريانية بمعنى فصل من الكتاب ولم ترد الاّ في الاسفار المقدسة ج اصحاحات

أُصيص : ܐܨܘܨܬܐ oçoutho جُفنة قصعة (الدليل) مِجن (اللباب) اواني من خشب او من خزف (ابن بهلول) وفي معجم الألفاظ الزراعية ص ٥١٣ مِرْكن وهو وعاء من خزف غالباً يُزرع فيه نباتات الزهر ، وسماه ابن العوّام القِدر والاجانة والقصرية (المجلة ١٧ — ٣٢٠)

إصّ : ܝܨܐ yaço ، اصل ، قوم ، عشيرة قبيلة ، اظن اصل اللفظة سريانياً ولا أقطع به .

أكّار : ܐܟܪܐ acoro الحرّاث والفعل اَكَر acar والاسم ܐܟܪܘܬܐ acoroutho

إكارة : الإكارة ، قال ابو حنيفة : الإكارة كالفلاحة والاكّار كالفلاّح مأخوذ من الأكرة وهي الحُفْرة (ابن سيدة ١٠ ـ ١٥٠) واللفظة ومشتقاتها سريانية ، ورد في نبوة ارميا ٥١ : ٢٣ «وابدّد بك الاكار وفدّانه» كتاب الدين والدولة ص ١٠٩ ـ وفي كتاب فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥١ فدعا قوماً من مزارعيها واكرتها ، وفي طبقات الأطباء ١ : ١٦٢ هذا كان اكاراً لي .

أكاف : ووِكاف ، برذعة الحمار والجمع أُكُف ، وفي الأساس ١ : ٦١ كأنهم حُمُر مؤكّفة ، ܐܘܟܦܐ oukfo ، سريانية

إمّر : ܐܡܪܐ émro ، حَمَل : سريانية ، الصغير من ولد الضان (المخصص ١٣ : ٢٥١)

آمَنَ : آمَنَ به صدَّقه ووثق به ، والايمان التصديق مطلقاً والمؤمن المصدِّق . وقد افصح عنه ابن الأنباري والزمخشري والسيوطي انه فعل سرياني محض . اي بمعنــاه الشرعي ܗܰܝܡܶܢ haïmen والمصدر ܗܰܝܡܳܢܽܘܬܳܐ baimonoutho ايمان [1] والفاعل : ܡܗܰܝܡܢܳܐ mhaimno المؤمن

أُنبُوب : قناة الماء ، ناي ؛ ما بين الكعبين من القصب والرمح ، ومن النبات ما بين عقدتيه (الليث والصحاح وتاج العروس ١ : ٤ ـ ١ ومنه انبوب الحوض لمسيل مائه او على التشبيه بانبوب القصب ܐܰܒܽܘܒܳܐ بحذف نونها aboubo [1]

أَنْدَر : بيدر ، (شاميّة) الارض التي تُدرس عليهــا الحبوب بالنورج

---

(١) مرّ بك قول فخر الدين الرازي اختلافهم في لفظ الايمان [ص ١٦٨] وقال السيوطي ان العرب انما عرفت المؤمن من الامان والايمان وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمناً [المزهر ١ — ١٧٢] وقالوا في المصدر أيضاً « امانة » ارادوا بها ما فرض على العباد من الفرائض ومنه « وانما عرضنا الامانة على السموات والأرض » وقاموس الفيروزابادي ٤ : ١٩٧ واقرب الموارد ١ : ٢٠ وتجد كلمة الامانة بمعنى الايمان تداولها كتاب مسيحيون ، قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ١٣٦ « فاجتمع ثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً . . . ورتبوا الامانة المشهورة » يريد « دستور الايمان » وقال ايليا ابن السني مطران نصيبين في كتابه « المجالس السبعة » [وفي المجلس الأول قال الوزير ابو القاسم الحسن بن علي المغربي : اليس تقولون الامانة التي قررها ودوّنها الثلثمائة والثمانية عشر] وذكر ابرهيم بن يوحنا الانطاكي المذكي في الميمر الذي مدح به مار غريغوريوس النوسي مار افرام السرياني « الامانة والرجاء والمحبة » [ميامر مار افرام ، مخطوط في خزانتنا] وقال الاسقف سويرا ابن المقفع القبطي في كتاب سير البطاركة ص ٦١ « والأمانة المحيية » وابو شاكر ابن الراهب القبطي في تاريخه ص ١١٠ « وقد تعمدا بامانتك »

(٢) نستدرك على الجواليقي صاحب المعرّب ص ٢٣ ـ ٢٤ وعلى الخفاجي الذي نقل عنه في شفاء الغليل ص ١١ زعمه ان « الانجيل » اعجمي معرب وقال بعضهم انه كان عربياً فاشتقاقه من النجل وهو ظهور الماء على وجه الأرض واتساعه ، أو من النجل وهو الاصل فهو مستخرج به علوم وحِكَم او أصل لعلوم وحِكَم ! على ان الكلمة يونانية الاصل اصلها « اونجيليون » مركبة من كلمتين معناها البشرى الحسنة كما علق شارح الكتاب .

او بالدقّ او بارجل الدواب . (معجم الالفاظ الزراعية ص ٢١) وردت في ترجمات الانجيل [1] : «وينقّي أندَرَهُ» انجيل متى ٣ : ١٢ ولوقا ٣ : ١٧ وفي كتاب العنوان للمطران اغابيوس المنبجي الرومي ص ٧٨ «ان الله أوحى الى داود ان يشتري ذلك الأندر «ܐܕܪܐ : édro بحذف النون .

الآنُك : ܐܢܟܐ onco الرصاص القلعي ، رصاص ابيض خالص او اسود (المخصص ١ : ٢٥) وفي مبادي اللغة للاسكافي ص ٥٨ الآنُك والصِّرفان : الأُسرب . وصيغ منه الفعل : طلى ما بيَّض بالآنُك (الدليل) [2]

إِبَّل ، أَيَّل : ܐܝܠܐ ج ايايل ، حيوان مجترّ من فصيلة الايّليات (المعجم ٢١٤) ورد في سفر التثنية «الظبي والإِيَّل» ١٢ : ١٥

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم
بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس



(١) القديمة والشدياقية والموصلية .

(٢) يُستدرك على المصباح قوله ص ٤١ - ٤٢ في آمين : معناه اللهم استجب وقال ابو حاتم معناه : كذلك يكون ، وعن الحسن البصري انه اسم من اسماء الله تعالى . ووهم ابي العباس احمد بن يحيى في قوله « وآمين مثل عاصين » لغةً وردّ ابن جني عليه . فان الكلمة عبرية معناها : كذلك يكون . وينقض قول الشرتوني ص ٢٠ والخفاجي ص ١٣ انه اسم فعل .

ويستدرك ايضاً على قول ابن حاتم في « اهيا اشراهيا » اظن اصله بالسريانية [المعرّب للجواليقي ص ٣٥٨] فانه ܐܗܝܐ ܐܫܪܗܝܐ ahiah echrahiah ومعناه : الموجود الكائن أو الأزلي الدائم ، وهو مركب من كلمتين عبريتين وردتا في التوراة ، ومن العبرية اخذتها السريانية بلفظيها .

كنوز الأجداد

– ٨ –

ابن الداية

احمد بن يوسف الكاتب

(٣٣٠)

كان يوسف بن ابراهيم والد احمد بن يوسف المعروف بابن الداية ولَد داية ابن المهدي العباسي وكاتب ابراهيم بن المهدي ورضيعه ومدبّر امواله وضياعه ، يُعَدُّ من كتاب الدرجة الأولى ، له كتاب الطبيخ وكتاب اخبار ابراهيم بن المهدي . وانتقل من بغداد الى مصر ولم يعرف سبب انتقاله ولا سنة هجرته وغاية ما عُلِم انه جاء دمشق سنة ٢٢٥ ولعلّ في هذا العام كانت هجرته من بغداد

كان يوسف من اهل المروآت التامة والعصبيات العظيمة ، وكان متمولاً ابتاع الضياع وتقبّل المزارع فنمت امواله وافضل منها على عُفاته ، فكان يجري على عشرات من أهل الستر من الأشراف وغيرهم في مدينة الفسطاط . حبسه ابن طولون مرة في بعض داره ، وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه فجاء جماعة الى احمد بن طولون وبكوا وطلبوا اليه ان يقتلهم ان كان معتزماً على قتله . وقالوا ان لهم ثلاثين سنة ما فكروا في ابتياع شيء مما احتاجوا له ولا وقفوا بباب غيره . وكل هذا يزيد في خوف ابن طولون من يوسف بن ابراهيم فيقوم في نفسه انه عَيْن عليه يتسقط أخباره وينهي بها الى بغداد وهو من صنائع خلفائها وربيب نعمتهم .

ولما هلك يوسف بن ابراهيم اخذ ابن طولون صندوقين من كتبه ، وبين يديه رجل من اشراف الطالبيين ، فوقع على دفتر جراياته على الأشراف وغيرهم فوجد اسم الطالبي في الجراية فقال له : وكانت عليك جراية يوسف بن ابراهيم ؟ فقال له : نعم أيها الأمير ، دخلت هذه المدينة وأنا مملق ، فأجرى عليّ في كل سنة مائتي دينار ، أسوة بابن الأرقط والعقيقي وغيرهما ، ثم امتلأت يداي بطَول الأمير فاستعفيت منها .

في هذه البيئة الرَّويَّة بمكارم الأخلاق ، العريقة في الآداب والفضل ، نشأ احمد بن يوسف في نعمة سابغة ، وسراوة ظاهرة ، تخرج في الآداب ، وتفنن في اخذ العلوم ، فجاء كاتباً سرياً ، وشاعراً مجيداً ، وطبيباً نطاسياً ، يحكم الرياضيات ، ويحذق الطبيعيات ، ويعلم النجوم . وصفه بعض واصفيه بانه مجسطي أوقليدمي ، وكان يعرف في العراق بالمهندس . ذكروا انه عرف بالشعر ولم يذكروا أن انشاءه فوق كل هذا . ولم يصلنا من شعره سوى بضعة ابيات قالها على البديهة لما خرج عليه الأعراب في بعض أرجاء مصر وأنقذه المُخَفِّرون من شرهم فقال فيهم :

جزى الله خيراً معشراً حقنوا دمي وقد شُرعت نحوي المثقفة السُّمرُ
دراهمهم مبذولة لضيفهم وأعراضهم من دونها الغَفْر والستر
اذا ما اغاروا واستباحوا غنيمة اغار عليهم في رحالهم الشكر
وان نزلوا قطراً من الأرض شاسعاً فما ضرّه الا يكون به قَطْر

وكان كتب الى صديقه ابي الفياض سوّار بن شُراعة الشاعر لما اعتزم الرجوع الى بغداد مقدار خمسين ورقة من شعره ، وكان يستحسنه ويعجب به ولم يؤثر منه الا بيت واحد :

ظَلِلنا بها نستنزل الدنّ صفوها فينزل اقباساً بغير لهيب

كتب احمد بن يوسف سيرة احمد بن طولون وسيرة ابنه ابي الجيش خمارويه

وسيرة هارون بن ابي الجيش ، واخبار غلمان بني طولون اي رجالهم والقائمين بأمرهم ، وفسّر كتاب الثمرة وأصله لبطلميوس ، ولعله كان في علم الفلك . ومن تآليفه أخبار الأطباء وأخبار المنجمين ومختصر المنطق ألفه للوزير علي بن عيسى وغير ذلك والكتاب الصغير الذي عرّفنا في الحقيقة الى احمد بن يوسف كتاب « المكافأة » روى فيه قصصاً سمعها أو رآها هو أو رواها له من شاهدها في مصر والعراق ومنهم والده ورجال ابن طولون ، ساق احدى وثلاثين قصة في المكافأة على الحسن واحدى وعشرين قصة على القبيح وتسع عشرة قصة في حسن العقبى . رجاء « ان يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير وتطلب العارفة في الحسن وزجر النفس عن متابعة الشر ، وابعادها عن سورة الانتقام في القبيح » قال في المدخل الى القسم الثالث : « رأيت ان أصل ذلك (حفظك الله) بطُرَف من أخبار من ابتُلي فصبر . فكان ثمرة صبره حسنَ العقبى ، لأن النفس اذا لم تُعن عند الشدائد بما يجدد قواها تولى عليها اليأس فأهلكها . وقد علم الانسان ان سُفور الحالة عن ضدها حتمٌ لا بد منه ، كما علم ان انجلاء الليل يُسفر عن النهار ، ولكن خَوَر الطبيعة اشد ما يلازم النفس عند نزول الكوارث ، فاذا لم تعالج بالدواء اشتدت العلة وازدادت المحنة ، والتفكر في اخبار هذا الباب مما يشجع النفس ويبعثها على ملازمة الصبر وحسن الأدب مع الرب (عز وجل) بحسن الظن في مواتاة الاحسان عند نهاية الامتحان . »

كل ذلك كتبه باسلوب رشيق وبألفاظ مختارة عذبة لا ترى أدنى أثر للتكلف في نسجها أصاغ كلامه صياغة صناع اليد فأبدع جديداً وأتى بغرائب من أخبار الناس ، ومن اتاهم بمثل هذا الضرب الطريف من الأدب تعاظموه وأكبروا بيانه . ولعل احمد بن يوسف لم يكن دون ابن المقفع ببلاغته وقد سلكَ معه في سلك واحد وينقل عنه ويقول ان هذا مما نقله ابن المقفع عن الفرس وتعالمه العرب وربما زاد على ابن المقفع انه كان أقرب الى الحياة لامتزاجه بالسوقة من

فلاحين وتجار ورجال الدولة وعلمائها ومهندسيها وقوادها وكان يعيش وابوه من قبله من الزراعة فعرف طرق الكسب الحلال وطرق تثمير المال وعرف طبقات الناس بكل ما انطووا عليه من خير وشر ٠

ولو قد أبقت الأيام على بعض ما كتبه هذا المؤلف العظيم لكان منه مادة في البلاغة والتاريخ والسياسة والعلم توفي على الغاية ولا سيما ما كان منه خاصاً بوصف عصره ورجاله ٠ ومن عجائب الدهر ان تفقد كتب من جودوا التآليف وتبقى مؤلفات من لم يحسنوا الاحسان المطلوب يتناقل الخلف تآليفهم ٠

وربما كان لنكبة الطولونيين (٢٩٢) وقضاء العباسيين على دولتهم صلة كبيرة بضياع كتب ابن الداية وفيها ولا شك الشيء الكثير من محاسن الطولونيين ، ومحاسنهم مما يشق على بني العباس نشره في الأمة ، وتخليده في الصحف لئلا يكون من بثها دعاية لهم ، وأبغض ما يكون الى المنافس الاشادة بفضائل منافسه ، لا سيما وقد كان المؤرخون يجمعون على ان احمد بن طولون بعلمه وسياسته وعدله أرقى من كثير من الخلفاء ٠

وعلى كثرة فضائل ابن الداية واتساعه في أدبه ونضجه في علمه ، لم يشتهر الشهرة التي هو قمين بهـا ٠ ولو لم يعثر له على هذا الجزء من كتاب المكافأة لغطت الأيام على اسمه خصوصاً وهو لم يذكر الا في بعض تضاعيف الكتب ذكراً يكاد يكون مبتوراً ، ومعظم كتب الأدب حتى ما ألفه المصريون منها لا تذكره بكلمة الا نادراً ، ومن العجائب أيضاً ألا يعده جهابذة الأدب في جملة أعلامه وألا يضعوه في الصف الأول بين رعيل قدماء البلغاء وقديماً سدل الدهر قناع النسيان على كثير من العظماء بعد قليل من رحيلهم عن الأرض لفقد ما كتبوا بعامل من عوامل الفناء او لقلة أنصارهم ومن اهمه امرهم ٠ ومنهم من تضاعفت شهرتهم عند موتهم لسكوت حسادهم عنهم ومغالاة أحبابهم في تقريظهم ٠

ولعل انتقال والد ابن الداية من بغداد الى الفسطاط ونشأته في مصر في زمن

غضب فيه خلفاء بني العباس على مصر وعلى اميرها احمد بن طولون لاستقلاله بحكمها كان من جملة الدواعي في ضؤولة شهرته . على ان مصر الطولونية ومصر الفاطمية بعد حينٍ ما ساوت العراق بمنزلتها ، ولا يتأتى أن يشتهر ابناؤها اشتهار البغداديين . والى الحضرة أو مدينة السلام كان يحمل كل جميل ، وينعت الناس اهلها بالنعوت الحسنة وتتأفق شهرة أدبائها وعلمائها لكثرة ما تردد اسماؤهم في كل مكان وكيف تتأتى الشهرة لاحمد بن يوسف في دولة ضعيفة لم تعترف بها دولة الخلافة وتعدها خارجة عليها .

لم يتصل احمد بن يوسف باحمد بن طولون اتصالاً وثيقاً في صباه وابن طولون مات سنة سبعين ومائتين وابن الداية مات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة في اصح الأقوال والدولة الطولونية انقرضت سنة ثنتين وتسعين ومئتين فيكون ابن الداية على هذا كتب كتبه في بني طولون قبيل انقراض دولتهم .

نعم هذا هو الكتيّب الذي به ظهر احمد بن يوسف في أندية الآداب يحمل ابداعاً في موضوعه وابداعاً في وضعه ، موضوع قلما عاناه احد قبله يقصد به تربية النفوس على الخير ويحبب اليها فعله ويشيد بمن كان هذا مبلغهم من الأخلاق اشادة يقدسون بها تقديساً . ولم يصدر المؤلف في ما كتب به عن خيالٍ بل أخذ مادته من قلبه وخُلقه ، تغنّي بما سبق له ولأبيه ان اقتنياه وعدّا من الطبيعة القيام بمثله وأراد المؤلف ان يلقن أبناء المستقبل هذه المكرمات حتى لا تستغرق المادية الناس ويرتفع من بينهم التعاطف والايثار . فكتب فيها ورقات قليلة الجرم عظيمة النفع افادتنا لا تفيده المجلدات لأن المؤلف كتب وأخلص في تأليفه وأراد به الدعوة الى المروآت لا التبجح ولا التنفج . بضعة كتب خطتها أنامله الفنانة فقضى الله بذهابها وبقي له هذا الكتاب الصغير احيا به ذكره بعد ألف سنة على وفاته .

وهنا نكتفي بايراد قصص من قصصه رأيناها خير ما يترجم له ويقفنا على طريقته .

قال ابن الداية : « حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال : أنكر المهدي على هَرْثمة ابن أَعْيَن (من أكبر قواد المهدي) تحككه بمعن بن زائدة وأمر بنفيه الى المغرب الأقصى ، فكلمه الرشيد فيه واستلّ سخيمته عليه . ومات معن ، وزادت حال هرثمة ، وشكر للرشيد ما كان منه . وأفضت الخلافة الى موسى الهادي فتمكن منه هرثمة . وحدثت الهادي نفسه بخلع الرشيد ، وجمع الناس على تقليد ابنه العهد بعده ، وعلم بهذا هرثمة ، وتذكر عارفة الرشيد فتمارض ، وجمع الهادي الناس ودعاهم الى خلع الرشيد ونصب ابنه مكانه فأجابوه وحلفوا له ، وأحضر هرثمة فقالوا له : تبايع يا هرثمة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين يميني مشغولة ببيعتك ، ويساري مشغولة ببيعة أخيك فبأي يد أبايع ؟ والله يا أمير المؤمنين لا أكدت في الرقاب من بيعة ابنك أكثر مما أكده أبوك لأخيك في بيعته . ومن حنث في الأولى حنث في الأخرى . ولولا تأول هذه الجماعة بأنها مكرهة ، وإسرارها فيك خلافَ ما أظهرت ، لأمسكت عن هذا . فقال لجماعة من حضر : شاهت وجوهكم ، والله لقد صدقني وكذبتموني ، ونصحني وغششتموني . وسلم إليّ الرشيد ما قدره الهادي فيه » .

قصة ثانية : « حدثني هرون بن مَلُّول قال حدثني ياسين بن زُراة قال : كان ببعض أرياف مصر نصراني من أهلها كثير المال فاشي النعمة سمح النفس ، وكانت له دار ضيافة ، وجرايات واسعة على ذوي السّتر بالفسطاط . فهرب من المتوكل رجل كَنَى عن اسمه لخطير منزلته ، لميل كان من المنتصر اليه ، فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، فخاف ان يعرف فنزع الى أريافها ، فانتهى به المسير الى ضياع النصراني فرأى منه رجلاً جميل الأمر ، وسأله النصراني عن حاله ، فذكر أن الاختلال انتهى به الى ما ظهر عليه . فغير هيئته ، وفوض اليه شيئاً من أمره ، فأحكم ما أسند اليه واضطلع به . ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره ، وقام به أحسن قيام ، فكان محل الرجل الهارب من النصراني بفضل كلّ ما ذهب له .

« وورد على النصراني مستحث يحمل مال وجب عليه . (وسأله) النصراني عن خبر الفسطاط فقال : ورد خبر قتل المتوكل وتقلد المنتصر . ووافى رسول من المنتصر في طلب رجل هرب في أيام المتوكل يعرف بفلان بن فلان ويوعز الى عمّال مصر والشام بأن يتلقوه بالتكرمة والتوسعة فيلحق أمير المؤمنين في حال تشبه محله عنده . فعدل النصراني بالمستحث الى بعض من أنزله عليه ، وخلا الهارب بالنصراني فقال : أحسن الله جزاءك ، فقد أوليت غاية الجميل وأحتاج الى أن تأذن لي في دخول الفسطاط فقال : يا هذا إن كنت استقصرتني فاحتكم في مالي ، فاني لا أرد أمرك ولا أزول عن حكمك ، ولا تنأ عني ، فقال له : أنا الرجل المطلوب بالفسطاط وقد خلّفت شملا جمّاً ، ونعمة واسعة . إنما عدل بي الخوف على نفسي . فقال له : ياسيدي فالمال في يدك وما عندك من الدواب فأنت أعرف به مني فاحتكم فيه ، فأخذ بغالاً وما صلح لمثله ، وخرج النصراني معه . وقدم كتاباً الى عامل المعونة من مستقرّه ، فتلقاه عامل المعونة في بعض طريقه ، ووصاه وجميع العمال بالنصراني ، وصار الى الحضرة فأصدر اليهم الكتب في الوصاة به الى أن قدم بعض العمال المتجرة فتتبع النصراني ورام الزيادة عليه فخرج الى بغداد .

« قال لي هرون إن ياسين قال له : إن النصراني حدثه أنه دخل الى بغداد فلم ير بها أرقى محلاً ، وأكثر قاصداً منه ، ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير فخرج أكثر غلمانه حتى استقبلوني فلما رآني قام على رجليه ثم قال : مرحباً بأستاذي وكافلي والقائم بي حين قعد الناس عني . وأجلسني معه وانكب على ولده وشمله ، وأنا أتأمل مواقع الاحسان من الأحرار ، وسألني عن حالي في ضياعي فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه في مجلسه فنظر اليه من كُنّا عنده ، وقال له : كنت السبب في تقليد أخيك فصار أكبر سبب في مساءتي ، فكتب من مجلسه كتاباً اليه بجلية الخبر وأنفذه . وأقمت عنده حولاً في أرغد عيشة وأعظم ترفه . وورد عليّ كتب أصحابي فخبروني بانصراف العامل عن جميع ما كان اعترض عليه

في أمري . وأخرج أمر السلطان في إسقاط أكثر خراج ضياعي والاقتصار بي على يسير من مالها . قال ياسين فكتب النصراني ببغداد حجة أشهد فيها على نفسي أن أسهمه في جميع الضياع التي في يده (رسمانها وحددها) لهذا الرجل الذي كان هرب ، وصار بها اليه ، فقال له : قد سوغك الله هذه الضياع ، فاني أراك أحق بها من سائر الناس ، فامتنع الرجل من ذلك وقال له : عليك فيها عادات تحسن ذكرك ، وترد الأضغان عنك ، ولست أقطعها بقبض هذه الضياع عنك ، ورجع النصراني الى الفسطاط لجدد الشهادة له فيها . فلما توفي النصراني أقرها في يد أقاربه ، ولم يزالوا معه بأفضل حال » .

قصة ثالثة : وحدثتني أم آسية قابلة أولاد خمارويه بن طولون (وكان لها دين ومذهب جميل ومحل لطيف من خمارويه) وقد تذاكرنا لطف الله (عز وجل) في أرزاق عباده ، وحسن الدفاع عنهم ، انه تزوجها وأختها أخوان . فأقبلت حال زوج أختها وأدبرت حال زوجها . قالت وتوفي زوجها بأسوإ حالة ، وخلّف لها بنات ، وتعذر عليها تجهيزه من اختلاله . وتوفي زوج اختها وقد خلّف من العَيْن والمساكن والأواني لولد اختها .

قالت : فكنت أجاهد في مؤونة ولدي ، واذا وقف أمري صرت الى أختي فقلت : أقرضيني كذا وكذا استحياءً من ان أقول لها : هَبي لي . ودخل شهر رمضان فلما مضى نصفه اشتهوا عليّ صبياني حلواءَ في العيد ، فصرت الى أختي فقلت لها : أقرضيني ديناراً أعمل به للصبيان حلواء في العيد . فقالت : يا أختي تغيظيني بقولك : «أقرضيني» واذا أقرضتك من أين تعطيني ؟ أمن غلة دورك أو بستانك ؟! لو قلت هَبي لي كان أحسن . فقلت لها : أقضيك من لطف الله تعالى الذي لا يُحتسب ، وجوده الذي يأتي من حيث لا يُرتقب . فتضاحكت وقالت : يا أختي ! هذا والله من المُنى ، والمُنى بضائع النَّوكى ، فانصرفت عنها أجرُّ رجليَّ الى منزلي .

وكان في جوارنا خادم أسود لبنت اليتيم امرأة خمارويه . فلما بلغتُ جارتنا قال لي : في جوارنا امرأة تطلق قد أوجعت قلبي . ادخلي اليها فليس لها قابلة . قالت ام آسية : والله ما عاينت ممخوضةً قط . فدخلت اليها فمسحت جوفها واجلستها كما كان القوابل يُجلسنني في طلقي فولدت من ساعتها ، فلما امسك صياحها ، جاء الخادم يسأل عنها فقلت قد ولدت . فعجب من سرعة أمرها ، وظن ان هذا شيء قد اعتمدته بحذق صناعة ، ولُطف في مهنة ، فمضى الى ستة بنت اليتيم وكانت مُقرباً بأول ولد حمل لأبي الجيش ، وقد عُرض عليها قوابل استثقلتهن ، فقال : في جوارنا قابلة أحضرناها لمرأة في حارتنا تطلق فوضعت يدها على جوفها فسقط ولدها . ووصفني بما لا يوجد في قدرة أحد الا بالله عز وجل . فقالت للخادم : اذا كان غدٌ فجئني بها . فأتى الغلام ودعاني الى مولاته فأجبت بانشراح صدر وثقة بالله تعالى . فاستخفّت روحي وقالت : الى التمام تقدير الله تبارك وتعالى . ثم شكت مَغْساً تجده المُقْرِب ، فأدخلت يدي في ثيابها ومسحت جوفها ، وعججتُ الى الله تعالى في سرّي بتوفيقي ، وكنت أدعو ، ومن حضر من أهلها يتوهم اني أرقي ، فسكن ما وجدته وتبركت بي ، ودخل اليها خمارويه ، وقال : ما وجدت ؟ فقالت : مغساً في جوفي ، فوضعت قابلة اردتها يدها عليه فزال ما أجده . وأخرجتني اليه (وكان قريباً من حرمه) فقال لي : أرجو أن يخلصها الله (عز وجل) ببركتك .

قالت ام آسية : ودخلنا في العشر الأواخر من شهر رمضان ، وقد تمسكت من الاخلاص لله (عز وجل) بما لا يصل اليه من ساح في الجبال ، خوفاً من شماتة أختي بي ، فلم تمض الا ثلاثة أيام حتى مَخِضَت فأجلستها الى كرسي الولادة (وكان مقدار طلقها ساعتين) فولدت ابناً أسهل ولادة ، وابو الجيش يقوم ويقعد ويذهب ويجيء ، فلما ولدت وكانت تتوقع من الولادة امراً عظيماً ، فلما ألقته ، قالت لي : هذا الطلق ؟ قلت : نعم . فقبّلت — يعلم الله — عيني من الفرح ،

وصاح خمارويه : أخبريني يا مباركة بخبرها فقلت : وحياة الأمير انها في عافية ، وقد ولدت غلاماً سويّ الخلق بحمد الله ، فوجّه اليّ بألف دينار ، وألحّ ابو الجيش في النظر اليها لفرط اشفاقه عليها . فاستوقفته الى ان نقلت حوائج الولادة ، وقلت لها يا سيدتي : اضحكي في وجهه لما تريْنه . فلما دخل اليها ضحكت في وجهه ، فتقدم بصدقة مال كثير عنها وعن ولده .

وقالت لي ام آسية : لما كان يوم الأسبوع « ووقع قبل العيد بيوم واحد » امرت لي بخمسمائة دينار ، وحصل من أتباعها الف دينار . فحصل لي ألفان وخمسمائة دينار . وخلعت عليّ وسائر حشمها اكثر من ثلاثين خلعة . وحُمل اليّ مما أُعد للعيد ثلاث موائد خاصة . وانصرفت الى منزلي فأرسلت الى أختي مائدة ، ووافتني مهنئة ، وقد تقاصر طولها ، فأريتها ما حصل لي من المال والخلع والطيب ، وقلت لها : يا أختي ، أنكرت عليّ قولي : « أقرضيني » ومن هذا كنت أقضيك ، فلا تستصغري مَنْ كان الله مادته ، وعليه مدار ثقته وتعويضه .

واكتسبت هذه المرأة بمحلها من ابي الجيش مالاً كثيراً ، وقضت لجماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة اهـ .

وفي المكافأة فوائد طريفة وحقائق قد لا تجدها مكتوبة منها : وكنا لا نفضي من بلدان خراسان الى بلد الا وجدناه أغلظ طبعاً من البلد الذي فارقناه حتى بلغنا بخارى فرأينا قوماً في نهاية من غلظ الطباع . فقال لي مذ رآني أتعجب منهم : كيف لو رأيت الترك وبلدانهم ؟ يقتلون المستجير بهم ويغير بعضهم على بعض فيهلك النازع اليهم بينهم .

هذا في المعاني وفي الألفاظ تفرد المؤلف بالفاظ عذبة لا عهد لنا بمثلها قبله حاشا كبار البلغاء من الكتاب ومنها ما لم يعثر له على أثر في المعاجم العربية ومنها ما لا نزال نستعمله ولكن في معانٍ غير المعاني التي عبر بها عنها . أما التراكيب فهناك الاعجاز . كتاب المكافأة معجز بالفاظه وتراكيبه تقف فيه

على ما ليس له اليوم ما يشبهه وتقرأ فيه صوراً من الظلم كان يقع من عمال السلطان بل على ما ليس لهم علاقة به وجمعوا ثروتهم من تجاراتهم ووصف ما يعمله زبانية الملك أو الأمير أو الخليفة لاستخراج الأموال بالتعذيب على صفة قلّ ان جرى مثلها في ادوار الانسانية ٠

الحافظ الذهبي

(٧٤٨)

محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز

شمس الدين ابو عبد الله التركماني الفارقي

مؤرخ ولا كالمؤرخين ومحدث ولا كالمحدثين ٠ هو رجل ساير العقل فتفرد في تآليفه ونظر في ما حواه صدره من أصناف العلم نظرة بليغة فأتى بجديد ضمه الى القديم فسد ثلمة كانت لولاه فارغة ، وقام بغرض كان بعضهم بعده نافلة ، هو امام تعب بعلمه حتى يستريح من بعده ٠

كتب التخليد والتأييد لتآليفه وجاءت على توخيه فيها الاختصار زبداً من علم الاسلام وتكملة لتاريخ رجاله تلمح في صفحاتها بعد النظر وسداد الرأي ، وانصاف الحكم ، وتقف أمامها تكبر صنع واضعها ومدونها وتقول ان دمشق يحق لها اذا عدت في حسنها الحافظ ابن عساكر في القرن السابع ان تفخر بأنها كانت مطلع شمس الحافظ الذهبي في القرن الثامن وكلاهما لم تقف شهرته والانتفاع بما كتب عند حد دمشق او الديار الشامية بل تعدتها الى الشرق والغرب فعدا من أعظم المؤرخين في المسلمين ٠

ترجم الصفدي للذهبي في نكت الهميان وعده في العميان لأنه أضر قبل موته باربع سنين أو أكثر فقال : حافظ لا يجارى ولافظ لا يبارى ، أتقن

الحديث ورجاله ونظر علله وأحواله وعرف تراجم الناس وأزال الابهام في تواريخهم والالباس مع ذهن يتوقد ذكاؤه ، ويصح الى الذهب نسبته وانتماؤه ، جمع الكثير ، ونفع الجم الغفير ، وأكثر من التصنيف ، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف ، وقف الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني على تاريخه الكبير المسمى تاريخ الاسلام جزءاً بعد جزء الى ان أنهاه مطالعة وقال : هذا كتاب علم .

قال الصفدي : اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ، ولم أجد عنده جمود المحدثين ، ولا كودنة النقلة ، بل هو فقيه النظر ، له دربة بأقوال الناس ، ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات . واعجبني ما يعانيه في تصانيفه من انه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن ، أو ظلام اسناد أو طعن في رواة » والكودنة من الكودن هو البرذون يوكف ويشبه به البليد يقال ما أبين الكدانة فيه أي الهجنة . وقالوا فيه هو « رجل الرجال في كل سبيل كأنما جمعت آلاته في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها » « ما زال يخدم هذا الفن — فن الحديث — حتى رسخت فيه قدمه وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه وضربت باسمه الأمثال » « ورغب الناس في تواليفه ورحلوا اليه بسببها وتداولوها قراءة ونسخاً وسماعاً » .

وهذه الجمل القليلة تنبئ بما حملت نفس الذهبي العظيمة وما صرف فيه أيام عمره التي بورك له فيها فصنف التصانيف الكثيرة الجليلة منها تاريخ الاسلام الكبير في احدى وعشرين مجلداً ومختصره سير النبلاء في عدة مجلدات ومختصر العبر وطبقات الحفاظ وطبقات مشاهير القراء والتاريخ الممتع في ستة أسفار وكل ذلك لم يطبع والمطبوع من تآليفه « دول الاسلام » ومشتبه النسبة وتذهيب التهذيب وميزان الاعتدال في نقد الرجال وغيره . ومن ألقى نظرة على المشتبه عرف تفرد الذهبي بمعارف وأدرك احاطته . وقد اختصر عدة تواريخ وكتب في الطبقات وله تصانيف أخرى لم تشتهر .

سمع الذهبي الحديث ببلاد كثيرة من خلائق يزيدون على ألف ومائتين والغالب أنه لم تتعدَّ رحلاته الشام ومصر . قال في الدرر الكامنة إنه تخرج على علماء عصره في دمشق والقاهرة ومهر في فن الحديث وجمع فيه الجاميع المفيدة الكثيرة حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً وجمع تاريخ الاسلام فأربى فيه على من تقدمه بتحرير أخبار المحدثين خصوصاً وقطعه من سنة سبعمائة واختصر منه مختصرات كثيرة منها العبر وسير النبلاء وملخص التاريخ قدر نصفه وطبقات الحفاظ وطبقات القراء والاشارة وغير ذلك ، واختصر السنن الكبيرة للبيهقي فهذبه وأجاد فيه وله الميزان في نقد الرجال أجاد فيه أيضاً واختصر تهذيب الكمال لشيخه المزي وخرج لنفسه المعجم الكبير والصغير والمختص بالمحدثين فذكر فيه غالب الطبقة من أهل ذلك العصر وعاشر الكثير منهم بعده الى نحو الأربعين سنة اخرج لغيره من شيوخه ومن أقرانه ومن تلامذته .

وطعن عليه ابن الوردي في ذيل تاريخ ابي الفداء وقال انه منقطع القرين في معرفة اسماء الرجال محدث كبير مؤرخ وقال انه استعجل قبل موته فترجم في تواريخه الأحياء المشهورين بدمشق وغيرها واعتمد في ذكر سير الناس على احداث يجتمعون به وكان في أنفسهم من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته اعراض خلق من المشهورين .

وكلام ابن الوردي موضع نظر فان الذهبي يتعذر عليه ان يقف على تراجم المئات ممن ترجم لهم بدون ان يستعين بتلاميذه وأصحابه وهو ليس له تارات على أحد حتى يعلي منهم ويخفض على هواه ولكن الناس لا يرضيهم اذا اعطوا حقهم من الترجمة ولو بزيادة قليلة ويغتبطون اذا زادهم المؤلف ما يربو على حقهم فان غلطة واحدة غلطها ابن الوردي في المبالغة بابي الفداء أكبر من كل غلطة للذهبي اذا صح أنه غلط في ترجمة بعضهم وما راق ابن الوردي الا الطعن بالذهبي واي غلطة ان يقول ابن الوردي انه ليس في الملوك بعد المأمون أفضل

من ابي الفداء وما كان هذا في حقيقته أكثر من وال عند المماليك يقبل الأرض بين أيديهم لتصفو له عمالة حماة وهذه كل مملكته واذا رجعنا الى تآليفه فنجد تاريخه خلاصة ما كتبه ابن الاثير وغيره وكتابه تقويم البلدان منقول من كتاب آخر وليس هو بأكثر من فهرس معجم جغرافي فكيف يكون من هذه سياسته وهذا علمه ثاني المأمون العباسي !

وبالطبع كان المخالفون للذهبي في مذهبه يطعنون عليه بأنه يتحيز لجماعته ويحط من أقدار مخالفيه . شنشنة قديمة للنيل من المؤلفين بل لنيل المغمورين من المشهورين . قارن حافظ الشام ابن ناصر الدين بين الذهبي والبرزالي والمزي فحكم للمزي بالتفوق في معرفة رجال طبقات الصدر الأول وللبرزالي في العصرين ومن قبلهم من الطبقات القريبة منهم وللذهبي في الطبقات المتوسطة بينهما تأييداً لقول بعض مشايخه على ان الأهواء قلما تتغلب المزي والبرزالي في تراجم الناس بخلاف الذهبي .

وقالوا ان الذهبي شديد الميل الى آراء الحنابلة لا ينصف الأشاعرة في التراجم وقال فيه السبكي في طبقاته ، وبنو السبكي من غلاة الشافعية : صنف التاريخ الكبير وما أحسنه لولا تعصب فيه . وعداوة الشافعية للحنابلة مشهورة . ومثل الذهبي بعلمه يود كل شافعي وكل حنبلي ان ينطق باسم اهل مذهبه ويرعاهم وينحي على خصومهم وهذا يستحيل على من تشبع بروح التاريخ كالحافظ الذهبي ، وميله الى الحنابلة أمر طبيعي فهو امام الحديث والحنابلة لا يقيمون وزناً قبل كل شيء لغير الحديث .

تولى الذهبي مشيخة الظاهرية قديماً ومشيخة النفيسية والفاضلية والتنكزية وأم الملك الصالح وقيل انه كان له درس في قرية كفر بطنا من الغوطة وقيل انه ولد فيها والأرجح أنه ولد في دمشق وهو من أصل تركماني وفي اجداده من اسمه قايماز أما الفارقي فلم يعرف من أين أتت ومن شعره :

تولى شبابي كأن لم يكن   واقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنى والنقى   فما بعد هذين الا المصلى

ومنه : اذا قرأ الحديث عليَّ شخص   وأخلى موضعاً لوفاة مثلي
فما جازى باحسان لأني   أريد حياته ويريد قتلي

عاش الحافظ خمساً وسبعين سنة وأنتج هذا الانتاج العجيب فهو من أفراد الدهر ٠

ابو عبيد البكري

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد

(٤٨٧)

كان جده قاضياً في لَبْلَةَ وأبوه من الأمراء وقائداً في شلطيش وأوْنُبة من قواد الخليفة الأموي هشام المؤيد ٠ ولما سقطت دولته لم يستطع ابنه عبد العزيز بعده أن يعصي أمير إشبيلية المعتضد وكان هذا يرمي الى توحيد امارات الأندلس بأسرها فرَّ من شلطيش بذخائره سراً ومعه ابنه عبد الله هذا ثم اعتصم بقرطبة ٠ وفي هذه المدينة نشأ ابو عبيد وأتم ثقافته على أعاظم علماء تلك الحاضرة ٠ ثم اتصل بأمير المَرِيَّة وتصرَّف له ، وفيها أخذ عن ابن حيان مؤرخ الأندلس وسفر عن صاحب المريَّة ٠ ولما استولى المرابطون على الأندلس اعتزل العمل في قرطبة وانصرف الى العلم والتأليف ٠

اشتهر البكري بالشعر ومعظم شهرته بابحاثه اللغوية والجغرافيـة والأدبية والتاريخية ٠ قال ابن مكتوم انه من أهل شلطيش سكن قرطبة يكنى اباعبيد روى عن ابي مروان بن حيان وابي بكر المصحفي وابي العباس العذري سمع منه بالمريّة وأجاز له ابو عمر بن عبد البر الحافظ وغيرهم وكان من أهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بمعاني الشعر والغريب والأنساب والأخبار متقناً لما

قيده ضابطاً لما كتبه جميل الكتب مهتماً بما يمسكها في ثياب الشَّرْب (أي الرقيق من الكتان) وغيرها اكراماً لها وصيانة رواه ابن بشكوال .

وترجمه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان بما صورته: عالم الأوان ومصنفه ، ومقرط البيان ومشنفه ، بتواليف كأنها الخرائد ، وتصانيف أبهى من القلائد ، حلى بها من الزمان عاطلاً ، وأرسل بها غمام الاحسان هاطلاً ، وضعها في فنون مختلفة وأنواع ، وأقطعها ما شاء من اتقان وابداع . وأما الأدب فهو كان منتهاه ، ومحل سُهاه ، وقطب مداره ، وفلك تمامه وابداره . وكان كل ملك من ملوك الأندلس يتهاداه تهادي المقل للكرى ، والآذان للبشرى ، على هنات كانت فيه فانه رحمه الله مباكر للراح ولا يصحو من خمارها ، ولا يمحو رسم ادمانه من مضمارها ، ولا يُريح الا على تعاطيها ، ولا يستريح الا الى معاطيها ، قد اتخذ ادمانها هجّيرة ، ونبذ من الاقلاع عنها نبذ عاجم بن الأيمن مجيره ، فاذا حان انقراض شعبان وانصرامه كانت فيه مستبشعة الذكر ، مستشنعة النُّكر ، تمجها الأوهام والخواطر ، ويثبتها السماع المتواتر .

وقد اثبت ما يشهد لك بتقدمه ، ويريك منتهى قدمه . رأيته وأنا غلام ما أقمر هلالي ، ولا نَبَع في الذكاء كوثري ولا زلالي ، في مجلس ابن منظور ، وهو في هيئة كأنما كسيت بالبهاء والنور ، وله سَبَلة يروق العيون ايماضهـا ، ويغرق السوادَ بياضُها ، وقد بلغ سن ابن محلم ، وهو يتكلم فيفوق كل متكلم . فجرى ذكر ابن مقلة وخطه ، وأفيض في رفعه وحطه فقال :

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته ودّت جوارحه لو أصبحت مقلا

فالدر يصفرُ لاستحسانه حسداً والورد يحمر من ابداعه خجلا

وله فصل من كتاب راجع به الفقيه الأستاذ أبا الحسن بن دريد رحمهما الله :

وتالله اني لأطعم جنى محاورتك فيقف في اللهاة ، وأجد لتخيل مجالستك ما يجده الغريق للنجاة ، وأعتقد في مجاورتك ما يعتقده الجبان في الحياة

متى تخطئ الأيام فيّ بأن أرى بغيضاً يناني أو حبيباً يقرّب

ورأيت رغبتك في الكتاب الذي لم يتحرر ولم يتهذب ، وكيف التفرغ لقضاء أرب ، والنشاط قد ولى وذهب ، فما أجده الا كما قيل :

نزراً كما استكرهت عائر نفحة من فارة المسك التي لم تفتق

وبعد فقد رأيت مما ترجم له صاحب القلائد كيف طعن عليه لادمانه ابنة العنقود وكيف شهد ضمناً بانه يمتنع عن تعاطيها في شهر رمضان اي أنه مؤمن معترف بخطيئته . والغالب ان طول عشرته للملوك والأمراء جنت عليه من هذه الناحية فزادته غراماً بالخمر ، وحسناته الكثيرة تغفر له هذه الزلة ولو لم يكن من كبار العلماء ما كانت تعد شيئاً يذكر والسكارى اكثر من الصحاة .

وأهم ما وضع ابو عبيد من التآليف معجم ما استعجم ذكر فيه جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأسفار من المنازل والديار والقرى والأمصار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات والحرار منسوبة محدودة . وأفاض في المقدمة في الكلام على جزيرة العرب وحدودها وقبائلها وما الى ذلك من الفوائد الجغرافية واللغوية والنحوية وعده السيوطي في النحاة وترجم له في طبقاتهم .

ورتب ابو عبيد معجمه على حروف ابي جاد وهي طريقة المغاربة في المعاجم وغيرها وذلك لتسهيل عليه المبالغة في التنقيح في كل صفحة من صفحاته ولكتابه من اسمه نصيب (معجم ما استعجم) وكان ، كما قال احد علماء المشرقيات ، ضرورياً يرجع اليه في دراسة التاريخ القديم وعلم تقويم البلدان وشعراء الأقدمين والحديث . وعلق أستاذنا طاهر الجزائري على نسختنا ان عدد الاسماء التي هذا المعجم نحو ٤١٠٠ وأما الأبيات فهي اكثر من ذلك بكثير .

ورزق ابو عبيد حظاً كبيراً من النقد يشهد له معجمه الذي طبقت الآفاق شهرته وكان آية تدقيقه وضبطه وكذلك كان كتابه « التنبيه على أوهام ابي علي في أماليه » نقد فيه أمالي ابي علي القالي وفيه أيضاً مثال من أدبه الجم قال في

مقدمته : « هذا كتاب نبهت فيه على أوهام ابي علي في أماليه تنبيه المنصف لا المتعسف ولا المعاند محتجاً على جميع ذلك بالشاهد والدليل . فاني رأيت من تولى مثل هذا من الرد على العلماء والاصلاح لأغلاطهم والتنبيه على أوهامهم ، لم يعدل في كثير مما رده عليهم ، ولا أنصف في جمل مما نسب اليهم ، وابو علي رحمه الله من الحفظ ، وسعة العلم والنبل ، ومن الثقة في الضبط والنقل ، بالمحل الذي لا يجهل ، وبحيث يقصر عنه من الثناء الأحفل ، ولكن البشر غير معصومين من الزلل ، ولا مبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته ، وأحصيت سقطاته . وكفى المرء نبلاً ان تعد معايبه » . وبهذا الأدب نقد ذاك الراوية العظيم المشهود له في كل نادٍ فدلّ أيضاً على صفاء نفسه وعالي خلقه .

هذا غاية ما عرف من سيرة فريد قطره ووحيد فنه ، ابن الأندلس العظيم في عهد ترديها السياسي وقد وقاه الله شر السياسة فلم ينغمس فيها كما انغمس أجداده فأحبه ملوكهم وأخذوا يتهادونه ووسيلته اليهم بل وسيلتهم اليه أدبه وعلمه ألفته نفوسهم واغتبطوا بمنادمته فأعطى لكل عمل وقته حقق وأجاد في تحقيقه وأبدع فأحسن في ابداعه لا تقول وأنت تنظر في موضوعاته وهي مما لا تقبله كل الأذواق الا أنك في صحابة رجل جذّاب الحديث يأخذ كلامه بمجامع القلوب وانه تمثل ما حمل عن أولئك العظماء ولا سيما ابن حيان مؤرخ الأندلس وكاتبه الأكتب . واذا لم تكتب له الشهرة من طريق السياسة وفيها ما فيها من اضاعة العمر على الأكثر فقد كتب له الشهرة بتآليفه وكانت بيئته صالحة كل الصلاح لمن كان في مثل حاله من المؤلفين ، عرف ما عند المشايخ وما عند الخاصة والعامة وما عند الملوك والعظماء ووقف على ما يجري في مجالسهم وما تجول فيه أفكارهم .

محمد كرد علي

نظرية المعرفة

عند ابن حزم

تمهيد

لا تزال ذخائر الفلسفة الاسلامية بحاجة الى استخراج ٍ لجلاء فاستعراض ، فان في ثنايا الكتب آراءً صائبة ونظريات على جانب عظيم من الأهمية . ولكن طريقة التأليف القديم تتطلب من الدارسين اليوم جَلَداً وأناةً ، وإلاّ ظلت تلك الذخائر مفقودة أو كالمفقودة .

ولعل من أغرب ما يعثر به المنقِّب في ثنايا التراث الاسلامي — بالاضافة الى ما نتخيل نحن اليوم من الفرق بين أساليب التفكير العَرَبية وأساليب التفكير الغَرْبية — كلاماً مفصلاً في « نظرية المعرفة » ، وعند مؤلف شُهِر في تاريخ التأليف بالأدب والفقه خاصة : ذلك هو ابن حزم الأندلسي .

موجز ترجمته وزبدة تآليفه

يهمنا هنا من ترجمة ابن حزم أنه نشأ نشأة مُترفة في بيت علم وأدب ، وفي أسرة تمرّس أهلها بالسياسة وتقلبوا في مِحَنها . على ان محن السياسة لم تكف في أول الأمر لأن تخرجه من قرطبة فبقي فيها الى أن مزقتها الحروب الأهلية وتغلب البربر على آل حزم وأجلوْهم عن دورهم وسكنوها هم ، فخرج ابن حزم عن قرطبة اول المحرم سنة اربع واربعمائة وغادرها الى المَرِيّة ، ولكن النكبات لم تفارقه .

وعاد ابن حزم الى قرطبة في شوال سنة تسع واربعمائة ونازعته نفسه الى الدنيا التي أصابها أهله من قبله فتولى الوزارة لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام

ابن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر . الا ان ابن حزم لم يستمتع طويلاً بالدنيا الجديدة ، فان عبد الرحمن قتل بعد توليته بسبعة اسابيع في ذي القعدة ٤١٤ (كانون الثاني ١٠٢٤) ، ورأى ابن حزم نفسه من جديد بين جدران السجن . وهكذا أدرك ان الدنيا لا يمكن أن تُقبل عليه بوجهها فولى وجهه نحو ما هو به أليق من قراءة العلوم والتأليف .

ولما نجا ابن حزم من السجن كانت قرطبة قد خربت من جديد وكانت جميع دورهم فيها قد امّحت آثارها فانتقل الى المرية ثانية ، ولكن دسائس الفقهاء عليه لم تَفْتُر حتى اعتكف بتربة منت ليشم[1] (ويروون ان اجداده كانوا منها) ، وهنالك تُوفيَ في الثامن والعشرين من شعبان سنة ٤٥٦ (١٥ آب عام ١٠٦٤) ، وعمره اثنتان وسبعون سنة .

* * *

لابن حزم كتب كثيرة في المنطق والأدب والفقه والتاريخ والأخلاق ، لعلها تزيد على ثلاثين . على انه شُهرَ باثنين منها شهرةً واسعة : بكتاب « طوق الحمامة في الألفة والأُلّاف » ، كتبه في شاطبة بين سنة ٤١٨ وسنة ٤٢٠ للهجرة ؛ وبكتاب الملَل والنِحل ويسميه ابن حزم نفسه « الديوان » او « ديواننا » (١ : ١٠٧ ، ٤ : ١٧٨ ، ٢٠٧ ، ٥ : ٦١ ، ٧٠) . و « الملل والنحل » في الأصل ثلاثة اجزاء (٥ : ١٤٢) ولكن الناشر جعله خمسة أجزاء (المطبعة الأدبية ، بسوق الخضار القديم — كذا — بمصر ١٣١٧ هـ) ، وجميع شواهد هذا المقال ترجع الى صفحات هذه الطبعة .

ولا ريب في ان اعظم كتب ابن حزم انما هو كتاب الملل والنحل ، ويسمى أيضاً كتاب « الفِصَل في الملل والأهواء والنِحَل » ، فهو مستقر فلسفته وجامع آرائه .

---

(١) منتليجم في معجم ياقوت ، ومَنْت لِيَشَم في ارشاد الأريب له أيضاً .

مذهب ابن حزم، توطئة الى نظرية المعرفة عنده

قال القفطي عند الكلام على مذهب ابن حزم: وصنّف فيه مصنّفات كثيرة العدد شريفة المقصد معظمها في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذي ينتحله؛ وهو مذهب داود بن علي بن خلف الاصفهاني ومن قال بقوله من أهل الظاهر (أخبار العلماء ١٥٦).

أما مقام المذهب الظاهري في الفقه الاسلامي فقد دل عليه ابن خلدون في المقدمة (ص ٤٤٦) حيث يقول: «وانقسم الفقه .... الى طريقتين: طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق؛ وطريقة أهل الحديث، وهم اهل الحجاز. وكان الحديث قليلاً في أهل العراق .... فاستكثروا من القياس ومهروا فيه، ولذلك قيل [فيهم إنهم] أهل الرأي. ومُقدَّم جماعتهم الذي استقر [هذا] المذهب فيه وفي أصحابه ابو حنيفه. و[أما] إمام أهل الحجاز [فهو] مالك بن انس، والشافعيّ من بعده».

ويتابع ابن خلدون القول فيقول: «ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به، وهم الظاهرية، وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع، وردوا القياس الجليّ والعلة المنصوصة، لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالّها. وكان امامَ هذا المذهب داودُ بن علي وابنه واصحابها .... ثم درس مذهب أهل الظاهر .... بدروس أئمته وانكار الجمهور على منتحليه ولم يبق الا في الكتب المجلدة. وربما يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب .... وقد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس على علو رتبته في علم الحديث وصار الى مذهب أهل الظاهر ومهر فيه .... (ص ٤٤٦ — ٤٤٧)».

وابن خلدون يحمل على ابن حزم لإغراقه في المذهب الظاهري ولتعرضه

لأئمة المسلمين الذين خالفوه في رأيه . على أن فان ارندنك يقول [1] : « والناحية المبتكرة عند ابن حزم هي تطبيقه لأصول الظاهرية على العقائد ؛ وفي هذه المسألة أيضاً لم يأخذ الا بالمعنى الظاهري للقرآن وللأحاديث الموثوق بها » .

وحقيقة مذهب ابن حزم انه يقبل كل ما نص عليه القرآن الكريم او ورد في الأحاديث الموثوقة على ظاهر معناه فقط ، الا ان يكون هنالك ضرورة من عقل أو حسٍّ تدعو الى صرف المعنى والى الأخذ بالتأويل . ولذلك قال ابن حزم نفسه : « بل الآيات كلها حق على ظاهرها لا يَحِلّ صرفُها عنه (٣ : ١٥٢) ، وإنما نتبّع ما جاءت به النصوص (٣ : ١٦٢) . والنص لا يَحِلُّ خلافُه (٤ : ٨٥ س) ، لأن الله تعالى ينص أحياناً نصاً لا يحتمل تأويلاً (٣ : ١٤٤) فاذ جاءت النصوص كما ذكرنا متظاهرة لا تحتمل تأويلاً .... فقد علمنا (اذن) ضرورةً ان كلام الله تعالى لا يتعارض ولا يختلف ولا يتناقض (٣ : ١٥١ ، ٤ : ٤٩ س) . وكذلك الأحاديث الموثوقة ٥ : ١١٣) .

وَصرْفُ الايات الكريمة والأحاديث عن ظاهرها لا يجوز الا ببرهان (٣ : ٢٠٧ ، ٥ : ٧٧) ، أو ما لم يأتِ نص في احدهما (الآية او الحديث) أو إجماعٌ متيقَّنٌ أو ضرورةُ حِسٍّ على خلاف ظاهره فيوقَفُ عند ذلك ؛ ويكون مَنْ حمله على ظاهره حينئذ ناسباً الكذبَ الى الله عزّ وجل ، أو كاذباً عليه وعلى نبيه عليه السلام [2] . وابن حزم ينكر ان يكون الله قد أنزل في القرآن آياتٍ لا نفهمها ، فانه قد خاطبنا بقوله : « افلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالُها » .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ١ : ١٣٩

(٢) ١ : ٨٢ ، ٣ : ٣ ، راجع أيضاً ١ : ٧٨ وما بعدها ، وخصوصاً ٨٤ - ٨٧ ، أما الأمثلة المضروبة على ذلك فتجدها في ٣ : ٣٤ - ٣٦ : وما بعدها ، ثم في ١٤٤ - ١٤٨ ، وكلها في الجزء الثالث .

واذا كان ابن حزم قد أجاز صرف الآيات والأحاديث أحياناً عن ظاهر معناها اللغوي فإنه لم يقبل أن يتأولها كلُّ مَنْ شاء على هواه (٣ : ٢٥١) .

فينتج معنا من كل ما تقدم ان ابن حزم لا يقبل «القياس» (الحكم ، في الأمور التي لم تجر في أيام رسول الله ، بما حكم رسول الله في أشباه تلك الأمور او قريباً منه) ، ولا يؤمن به (٤ : ٨٥ ن) ، بل هو يقول : «والقياس كله باطل» (٥ : ٤٨ ن) .

نظرية المعرفة

«نظرية المعرفة» تبحث «في السُّبُلِ التي يُدرك بها الانسانُ حقيقةَ الوجود ، وحقيقة الموجودات» . اما اذا أحببنا ان نضع التعريف في شكل أبسط فوجب ان نقول : هي الطرق المنطقية الى توصلنا الى إدراك ماهية الأمور المعقولة والمحسوسة ، (والمعقولة هنا تعني الأمور التي تقوم عليها البراهين العقلية المطلقة من الرياضيات والطبيعيات) . فنظرية المعرفة اذن قسم من المنطق ، أو هي ثمرة المنطق على الأصح .

ويحسن ان نقول هنا ان «نظرية المعرفة المطلقة» لا تتناول البحث في الله ولا في القضاء والقدر (الجبر والاختيار) ولا في الخلود (بعد الموت) ، كما قال بذلك كبار الفلاسفة . ولم يشذ ابن حزم عنهم ، بل هو الذي تقدم مُعظمَهم في التصريح بذلك وجعل معرفة هذه الأمور الماورائية لا تتأتّى الا من ظاهر نص الآيات الكريمة والأحاديث الموثوقة .

* * *

ولا أرى ان أستعرض هنا نظرية المعرفة «قبل ابن حزم او بعده» بل أكتفي بهذه المقدمة الطويلة إذ كانت ضرورية لما نحن بسبيله .

ابن حزم ونظرية المعرفة

سبل المعرفة عند ابن حزم أربعة ، ولكنها في الحقيقة ثلاثة فقط :

١ — النصوص الدينية كما هي مثبتة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الموثوقة .

٢ — ما أوجبته اللغة من المعاني التي تحملها الكلمات ، وما اتفق عليه العرب من الفهم لدى سماعهم هذه الكلمات .

٣ — الحس السليم وبديهة العقل .

٤ — الاكتساب ونقل التواتر .

أما النصوص الدينية وأما اللغة فلا تدخل في نظرية المعرفة المطلقة ، وانما هي من « طرق المعرفة » المقبولة بلا برهان . فالقرآن الكريم والأحاديث الموثوقة صادقة الأخبار لا شك في ذلك ؛ ونحن نقبل ما فيها قبولاً مقروناً بالتصديق من غير تعرض للتساؤل عن اسباب ذلك (راجع مقدمة ابن خلدون ٤٥٨ ـ ٤٥٩، الخ).

وأما اللغة فطريق من طرق المعرفة أيضاً ، لأن الكلمات حوامل للمعاني ... . فاللغة من هذه الناحية ذات أهمية في نظرية المعرفة ، ولكنها ليست نظرية المعرفة نفسها .

بقي لدينا « الحس السليم وبديهة العقل » ثم « الاكتساب ونقل التواتر » . فهذه عناصر نظرية المعرفة على الحصر . وان الحق ليحملنا على القول بان ابن حزم قد تقوم بآرائه في ذلك كثيراً مما انتجته العبقرية الغربية (بالغين المعجمة) .

وفي ما يلي عرض لهذه الطرق كلها كما يراها ابن حزم :

أولاً : النصوص الدينية

هذه النقطة راجعة في حقيقتها عند ابن حزم الى مذهبه الظاهري ، وآرائه الفقهية ، وهاك مجمل صلتها بنظرية المعرفة عنده :

يقول ابن حزم : فانما نتّبع ما جاءت به النصوص فقط (٣ : ١٦٢) .

فعلينا ان نصدّق بكل ما ورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث الموثوقة من غير طلب استدلال ، لأنه لما صحّ لنا أنّ هذا الكتاب من عند الله وأن نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم حق وجب ان نؤمن بكل ما جاء منهما ، ونحن مضطرون الى التصديق به (٥ : ١٠٩ وما بعدها) .

ثم إن الله تعالى هو الذي يسمّي الأشياء ويكسبها حقيقتها ، وكلّ ما سماه البشر من عندهم فليس بشيء (٣ : ٨٦ س ، ٧٢ ، ١٥٢ س ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٥ : ١١٠) ؛ والتسمية ليست لنا وإنما هي لله تعالى (٣ ، ٢٠٨) ، فمن سماهم الله كفاراً فهم كفار ، وما سماه الله تعالى إيماناً فهو ايمان (٣ : ٢١٣ و ٢٢٦ ، ١٩١ ـ ١٩٣) بصرف النظر عن خصائص ذلك او ميزاته (عندنا) ، إذْ « صحّ بالضرورة التي لا محيدَ عنها انه ليس في العالم شيء محمود ممدوح لعينه ولا مذموم لعينه ولا كفر لعينه ولا ظلم لعينه ... فإنْ وُجِد له تعالى أمرٌ بمدح شيء أو ذمه وجب الوقوف عند امره تعالى ، كأمره تعالى بمدح الكعبة والمدينة والحجر الأسود ... والصلاة وغير ذلك ، وكأمره تعالى بذم الخمر والخنزير ... والكفر والكذب ... وليس لأحد ان يسمي شيئاً الا بما أباحه الله تعالى في الشريعة او في اللغة التي أمرنا بالتخاطب بهـا (٣ : ٧٢ ـ ٧٣) .

ثانياً : اللغة وما أوجبته

يرى ابن حزم أيضاً أن الله أنزل القرآن الكريم باللغة العربية ليفهمه العرب (٣ : ١٥٢ ، ١٨٩) ، ثم يستنتج من ذلك ان اللغة مهمة في فهم ما تدل عليه . وكذلك الاسماء موضوعة للتفاهم ولتمييز بعض المسميات من بعض (٥ : ٤٥) ، فيجب ألاّ تُصْرَفَ الكلمات عن ظاهر ما وُضِعت له (٥ : ١١) ، إلاّ اذا جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضوعه فى اللغة (٣ : ١٩٠ ـ ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢١١) .

ثم ان للغة مسموعاً يوجب فهم المراد منها (راجع ٤ : ٢١٤) ، وذو العلم باللغة لا يشك في المقصود من الفاظها (راجع ٥ : ١١) . وما يصدق على اللغة العربية يصدق على كل لغة أخرى (٣ : ٨٠) .

وابن حزم يرى ان اللغة « توقيفيّة » ، يعني بذلك ان الله « خلق اللغة وأهلها » ، ولذلك كان الله ، املك بتصريفها وإيقاع اسمائها على ما يشاء (٣ : ١٩٢) » . فلا عجب اذن اذا رأينا ابن حزم يعجبُ من الذين يحتجون في صواب التسميات بقول امرئ القيس والحطيئة وجرير ، ثم اذا هو رأى قولاً لله أو لرسوله « تحيّل في احالته عما أوقعه الله عليه » (٣ : ١٩٢) . فكلام الله وكلام رسول الله مُقدّمٌ إذن في صواب التسمية والمُراد منها على كلام سائر العرب .

ثالثاً : الحس والعقل

هنا نأتي الى « نظرية المعرفة » الصحيحة في فلسفة ابن حزم : يرى ابن حزم ان كل ما عُرف بأول العقل أو ببديهة العقل أو بالحس أو بالحس السليم أو بالقلب فانما يُعرَف بالضرورة من غير اختيار ولا حاجة الى برهان .

حد المعرفة « العلم والمعرفة اسمانِ واقعان على معنىً واحدٍ ، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقّنه به وارتفاع الشكوك عنه ؛ ويكون (العلم) :

أ — إما بشهادة الحواسّ وأوّل العقل ؛

ب — وإما ببرهانٍ راجعٍ من قرب أو من بعدٍ الى شهادة الحواس واوّل العقل ؛

حـ — وإما باتفاقٍ وقع له (للانسان) في مصادفة اعتقاد الحق خاصة ، بتصديق ما افترض الله عز وجل عليه اتّباعَه خاصة دون استدلال (٥ : ١٠٩) (*)

أما (ج) فقد مر الكلام عليها في الكلام على النصوص الدينية . وسيتناول الكلام الآن (أ — ب) :

(*) هذا الحد للمعرفة لا يتناول علم الله عند ابن حزم (راجع ٥ : ١٠٩ ن) .

تحليل أ يجعل ابن حزم العلم بأول العقل وبالحس شيئاً واحداً معروفاً بالضرورة ، فهو يقول مثلاً :

— فبضرورة العقل ندري (٣ : ١٧٧ س) .

— وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته (٤ : ٨٧) .

— وهو معروف بأول العقل ؛ لكن علمنا بضرورة العقل (٥ : ١٢) .

أو هو يقول :

— ندري بضرورة الحس (٣ : ١٧٠ ن) .

— فبيقين يدري كل ذي حس سليم (٣ : ٢٠٢ ن) .

— لا يشك احد ذو حس سليم (٣ : ٢٥١) .

— فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم (٣ : ٥٩) .

وقد يجمع ابن حزم بين العقل والحس في مرتبة واحدة فيقول : هذا أمر يُعرَف بضرورة العقل وضرورة الحس (٥ : ٤٧ ع) ؛ أو تراه يقول عن البراهين انها « ضرورية منتَجة من بديهة العقل والحس لا يغيب عنها الا جاهل » (٣ : ٥٥) ، أو « مما شهدت به الحواس والعقول » (٣ : ١٥٢) .

وأحياناً : يتكلم ابن حزم عن العلم الضروري فقط من غير ان يضيفه الى العقل أو إلى الحس (١ : ٧ ، ٣ : ١٩٧ ، ٥ : ٥٤ ، ٥١) . أما ذِكرُه « الخواس » (٣ : ١٥٢) فأعتقدُ أنها تعني هنا ما يعني ابن حزم بالحس تماماً ، وان كانت قد وردت مجموعة .

ويرى ابن حزم صراحةً أنّ للانسان ستّ حواس . ان النفس تدرك المحسوسات (المادية) بالحواس الخمس كعلمها (أي : كعلم النفس) ان الرائحة الطيبة مقبولة من طبعها وان الرائحة الرديئة مُنافِرَة لطبعها ، وكعلمها أن الأحمر مخالف للأخضر والأصفر والأبيض والأسود ، وكعلمها الفرقَ بين الخشن والأملس .... والحارّ والبارد .... والحلو والحامض والصوت الحادّ

والغليظ والرقيق والمُطرب والمُفزع (١ : ٥ راجع ٣ : ١٠٧ س ٤ ١٠٨ ع) .

والحواسُّ الخمس هذه لا تدرك أحوال المحسوسات الا بالمقابلة والتفاضل ؛ أو أن يعظُمَ الفرقُ بسرعةٍ ، أو يجتمع منه جملةٌ ما يمكن أن تدركها الحواسُّ . فالانسان لا يدرك تبدُّلَ الظل على الأرض الا بعد ان ينتقل ذلك الظل انتقالاً يستطيع البصر ان يقدّرَه ، وكذلك لا ترى الانسان يدرك ببصره نموَّ الشجرة الا بعد أن تكون قد نمت قدراً تسهل ملاحظته . وكذلك الشبعُ والريُّ وكثير من أغراض العالم (٥ : ١٠٨) .

* * *

أما الحاسة السادسة فهي علم النفس بالبديهيات : يقصد ابن حزم بذلك ان ثمت أموراً يدركها الانسان [ذو العقل] بداهةً من غير ان يعرف دليلاً عليها . « فمن ذلك علمها (أي علم النفس) بان الجزء أقلُّ من الكلّ ؛ فان الصبي الصغير في أول تمييزه إذا أعطيتَهُ تمرتين [وبكى ثم](*) زدته ثالثةً سُرَّ . وهذا علم منه بان الكل اكثر من الجزء ، وان كان لا ينتبه لتحديد ما يعرف .... ومن ذلك علمه بانه لا يكون الجسمان في مكان واحد ، فانك تراه ينازع على المكان الذي يريد ان يقعد فيه علماً منه بانه لا يسعه ذلك المكان مع شخص آخر ؛ وما دام ذلك الشخص يشغل المكان ، فان المكان لا يتسع له أيضاً .... ومنها علمه انه لا يكون فعل الا لفاعل ، فاذا رأى شيئاً قال : مَنْ عمِل هذا ؟ ولا يقنع البتّة بانه انعمَل دون عامل ؛ الى آخر ما هنالك (١ : ٥ ـ ٦) .

فهذه أوائل العقل التي لا يختلف فيهـا إلاّ مَنْ دخلت عليه آفة في عقله كالجنون أو عاهة في بدنه أو عجز في أعضائه كالأمراض المختلفة والاضطرابات العصبية . وتلك « الاوائل » أمورٌ هي مقدماتٌ صحيحة لا شك فيها ولا سبيلَ الى أن يطلُبَ عليها دليلاً الا مجنونٌ ، او جاهلٌ لنقصٍ في إدراكه او مكابرٌ

(*) في الأصل : بكى واذا

مُغالط . ودليل ابن حزم على ان هذه الأمور لا تحتاج الى الاستدلال قوله : « لأن الاستدلال على الشيء لا يكون الا في زمان (يعني : يقتضي زمانا) ، ولا بدّ ضرورة (من أن) يُعلم ذلك بأوّل العقل ؛ لأنه عُلم بضرورة العقل أنه لا يكون شيء مما في العالم الا في وقت . وليس بين اول اوقات تمييز النفس وبين ادراكها لكل ما ذكرنا مُهلةٌ البتة ، لا دقيقةٌ ولا جليلة ، ولا سبيل الى ذلك (١ : ٦ ـ ٧) .

في بعض ما تقدم غموض ، ولكن فكرة ابن حزم مفهومة ، هي ان الانسان اذا أُلقِيَ اليه أمر عرفه حالاً ، ولو ان معرفة كل شيء تقتضي استدلالاً على حقيقته لوجب ان يُلقي الأمر الى الانسان ثم يمضي على ذلك الأمر (امام الانسان أو في عقله) وقت كثير أو قليل قبل ان يدرك ماهيته . وهذا مناقض للواقع كما يرى ابن حزم .

على ان البشر ليسوا ـ في رأي ابن حزم أيضاً ـ متساوين في سرعة الادراك وصحة الفهم . ثم إن المقدماتِ نفسَها قد تكون قريبة فيسهل معها الفهم عموماً ، أو قد تكون بعيدةً فيعسر معها الفهم أحياناً ؛ ان هذا لا يقدح في البشر ولا في المقدمات : اننا نعلم مثلاً انه كلما زادت أرقام الأعداد صعب العمل بها وجاز وقوع الخطأ الا على الحاسب الجُيد ، حتى ان الحاسب الجُيد قد يجد صعوبة في العمل بها .

* * *

والآن ، ماذا يعرف الانسان ؟

حينما يتكلم ابن حزم على الشياطين والجن يأتي بحكم خاصٍّ بهم وصائب في وقت واحد . من أجل ذلك سنجرد نحن هذا الحكم ونجعله عاماً .

قال ابن حزم عن الشياطين (٥ : ١٢) : « لم ندركْ بالحواسّ ولا علمنا وجوبَ كونهم ولا امتناع كونهم في العالم أيضاً بضرورة العقل ؛ لكن علمنا بضرورة العقل امكانَ كونهم » .

هذا الحكم ينطبق على جميع المبادئ العامة وعلى جميع الأحوال أيضاً : إننا لا نعرف ببديهة العقل وجوب كون الشيء أو امتناع كونه ، ولكننا نعلم امكان كونه . انني لا أعلم من طريق العقل (كما يقول ابن حزم) ان الجن موجودون ، ولا أعلم من طريق العقل انهم غير موجودين ، ولكنني اعلم من طريق العقل ان الجن يمكن ان يكونوا موجودين « لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها ، وهو عز وجل يخلق ما يشاء ، ولا فرق بين ان يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء .... وبين ان يخلق خلقاً عنصرهم النار والهواء .... بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته » (٥ : ١٢) . ان هذا المنطق الشكلي محبوك عند ابن حزم مقنع .

وكذلك يمكن تطبيق هذا المبدأ على الأحوال : انني لا أعلم اذا كان صاحبي الآن مريضاً او معافىً ، او يقظانَ او نائماً ، ولكنني اعلم بضرورة العقل انه يمكن ان يكون معافىً او مريضاً او يقظان او نائماً ، كما اننا ، نعلم بالبداهة أن الانسان يمكن ان يمرض او ينام او يستيقظ الخ . فنحن اذن « نعلم » الكليات (او المبادئ الكلية والأحوال الشاملة) ببديهة العقل ولو لم نطّلع على اعيانها ؛ على ان الجزئيات (اي الحوادث الفردية التي تقع في مكان خاص وزمان محصور) فنحن « نعرفها » بالحواسّ الخمس الظاهرة ثم اننا لا نعرفها الا اذا وقعت تحت حواسنا هذه .

ونخطو الآن خطوةً اخرى .

ان العلم بالبداهة (ببديهة العقل) علم ضروري اضطراري ، اي لا خِيَرَةَ لنا في تصديقه او ردّه ، بل يجب ان نقبله حتماً لأنه صحيح . اننا نعرف بالبداهة ان نصف الشيء أصغر من الشيء نفسه ، وان غصن الشجرة اقل من الشجرة نفسها ، وان التفاحتين اكثر من احداهما ، وان النور غير الظلمة . والمعارف — يعني ابن حزم الأمورَ التي تُدرك بأوائل العقل — كلها باضطرار ، بل « هذا هو الاضطرار بعينه ، وليست الضرورة في العلم شيئاً غير هذا ، انما هو معرفة

لا يشوبها شك ولا يمكن اختلاف ما عُرف بها ؛ فهذا هو علم الضرورة نفسه .
وهذا النوع من المعرفة يكون باليقين (راجع ٣ : ١٨٠ ، ٥ : ١٠٩) . والدليل على ذلك أنك لو اردت ان تنزع من النفس ما تعرفه (النفس) لما قدرت (٥ : ١٠٩) » .

فمن كل ما تقدم يتبين ان المعارف ، سواء من ذلك ما أدرك العقل او وقعت عليه الحواس ، نوع واحد هو ما عقد عليه المرء قلبه وتيقنه . غير ان هذا النوع الواحد ينقسم من حيث النتيجة قسمين : احدهما حق في ذاته قد قام البرهان على صحته ، وهذا وحده يسمى علماً . وأما ثاني القسمين فلم يقم على صحته برهان . وكل ما لم يتيقّن الانسان صحته في ذاته فليس عالماً به ولا له به علم ، وانما هو ظانٌّ له .... اذ ما لم يُعرف بيقين فانما عُرف بظن ؛ وما عُرف بظن فليس علماً ولا معرفة (راجع ٥ : ١٠٩ و ١١٣) .

فالمعلومات والمعارف التي يدركها الانسان باوائل العقل فانه يعرفها بالاضطرار ولا يحتاج الى ان يطلب عليها برهاناً . وهذا النوع عامٌّ في البشر بما هم بشرٌ يتساوَوْن فيه جميعهم ما لم يكن في احدهم آفة عقلية او عاهة بدنية تمنعه ذلك . ولكن قد يتفق لرجل أن يطلب برهاناً على امر ندركه بالبداهة . ان هذا الطلب يسمى استدلالاً . مثال ذلك : ان كل انسان بلغ من التمييز مرتبةً ما يعلم ان واحداً وواحداً يساويان اثنين ، نعلم ذلك بالاضطرار وضرورة العقل ، ويتساوى في معرفته كل البشر . فاذا أحب أحد ان يستدل على صحة ذلك جاز له ان يتتبّع برهان ما أراد في معادلة جبرية طويلة فيستدل حينئذ ويقنع شخصياً ان واحداً وواحداً يساويان اثنين ، الا ان هذا الاستدلال اكتسابي يكتسبه شخص دون شخص ، ولا يقدر عليه الا من بلغ من العقل والتمرّس مبلغاً رفيعاً (راجع ٥ : ١٠٩) .

ولكن علامَ بنى ابن حزم نظريته في العلم الاضطراري ؟ ان متابعة أقواله تدل على أن نظرية العلم الاضطراري مخالفة لنظريته العامة في المعرفة .

قد يسبق الى الوهم ان ابن حزم متأثر بنظرية المعرفة عند أفلاطون ، او عند افلوطين ومن تبعه من الاسكندرانيين [1] من ان النفس كانت في اول الامر (قبل اتصالها بالجسد) في الملأ الأعلى ، في عالم الصور المطلقة أو عالم الألوهية ، ترى الصور المثلى لجميع المحسوسات وتعرفها معرفة صحيحة . ثم ان هذه النفس غفلت عن التأمل في بهاء الألوهية فهبَطت او أُهبِطت الى الأرض لتتصل بجسدٍ ما . فلما اتصلت بالجسد نسيت ما كانت قد عرفته من قبل في عالم الصور المطلقة . ولكنّ النفس أخذت بعد ذلك في التمييز شيئاً فشيئاً فكانت كلما رأت موجوداً في هذه الأرض تذكرت أنها كانت قد رأت صورته المطلقة في الملأ الأعلى فتذكرته بها وعرفته . وهكذا تعرف النفس الموجودات . لقد كانت هذه النظرية شائعة في العصور الوسطى ولكن العرب لم يأخذوا بها كثيراً حتى ان ابن سينا تهكم عليها في قصيدته العينية المشهورة :

هبطت اليك من المحل الأرفعِ ورقاءُ ذات تعزُّز وتمنُّعِ [2]

وقد فعل ابن حزم ما فعله ابن سينا فقال : « ان الانسان يخرج الى هذا العالم ونفسه قد ذهب ذكرُها جملةً في قول من يقول إنها كانت قبلَ ذلك ذاكرةً .... فاذا أخذت يعاودها ذِكرُها وتمييزها .... كالمفيق من مرض فأوّل ما يحدث لها من التمييز الذي ينفرد به الناطق من الحيوان فهمُ ما أدركت بحواسّها الخمس (١ : ٤ ـ ٥) .

إلا ان ابن حزم يقص ذلك على الحكاية ولا يؤمن به فانه يخالف مذهبه الظاهري : وعلى هذا يقول (٥ : ١٠٨) : « والصحيح في هذا الباب ان الانسان

---

(١) قد يسمى المذهب الاسكندراني الفلسفة الافلاطونية الحديثة أو الجديدة ، ولكن هذا خطأ في التسمية وان كان قد اشتهر بين الباحثين في العربية (راجع : الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب للكاتب ، ص ٧٦) .

(٢) راجع الفارابيان للكاتب ص ٣٠ – ٣١ ، وعبقرية العرب في العلم والفلسفة ص ١٠٢ – ١٠٤ .

يخرج الى الدنيا ليس عاقلاً ولا معرفةَ له بشيء كما قال عزّ وجل : واللهُ أخرَجكُمْ مِنْ بطونِ أمّهاتكُمْ لاَ تعلمونَ شيئاً «(١)» .

واذا كانت الأنفس تخرج الى الدنيا لا تعرف شيئاً ، فكيف تعرف بعدئذ الموجودات ؟ ثم كيف تعرفها بالضرورة والاضطرار ؟

لا يعدَمُ ابن حزم وسيلةً يوفق بها بين المعرفة بالاضطرار وبين خروج النفس لا تعلم شيئاً ، فهو يقول عن الانسان :

« إذا كبرَ وعقَل وتقوّت نفسه الناطقة وأَنِست بما صارت فيه وسكنتْ اليه وبدأتْ رطوباتها تجف بدأتْ نفسه بتمييز الأمور في الدار التي صارتْ فيها . فيُحدث الله تعالى [حينئذٍ] لها قوة التفكير واستعمال الحواسّ في الاستدلال ، وأحدث الله تعالى لها الفهم بما تشاهده وما تخبر به » (٥ : ١٠٨) .

وهكذا أخذ ابن حزم النصف الأول من رأيه عن المذهب الاسكندراني (٢) وأخذ النصف الثاني من مذهبه الظاهري ومن الرأي التوقيفي الوارد في القرآن الكريم من ان الله تعالى « عَلَّم الإنسانَ ما لَمْ يعلَمْ » (٣) وانه « علَّم آدَمَ الأسماءَ كلَّها » (٤) . . . حتى النصفُ الأوَّلُ ، إنه وإن كان في ألفاظه مأخوذاً من المذهب الاسكندراني ، فإنه في أساسه من القرآن الكريم ، وقد أشار ابن حزم الى ذلك صراحة حتى استشهد بقوله تعالى : « والله أخرجكم من بطونِ أمهاتكمْ لا تعلمونَ شيئاً » .

ويمس ابن حزم نقطة مهمة جداً ، هي « الشَّكُّ الممَهِّدُ لليقين » . يذكر ابن حزم طائفة من المتكلمين تعتقد ان المعرفة اليقينية لا تتأتى الا بالاستدلال

---

(١) القرآن الكريم ١٦ (سورة النحل) : ٧٨ .

(٢) راجع القصيدة العينية لابن سينا :

أنفت وما أنست ، فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب البلقع

(٣) راجع القرآن الكريم ٩٦ (سورة العلق) ٥

(٤) (سورة البقرة) : ٣١ الخ الخ ،

وإقامة البراهين ، وبعد ان يكون الانسان شاكاً بما علم من بعدُ . ولقد قال بذلك جماعة من المتقدمين ومن المتكلمين كالنظّام مثلاً . وكذلك رأينا الشك عمدة في نظرية المعرفة عند القديس اغسطينوس قبل ابن حزم وعند الامام الغزالي وديكارت بعد ابن حزم . على ان ابن حزم نفسه ينكر ان الشك يجب ان يسبق اليقين او ان يكون الاستدلال ضرورياً للمعرفة الصحيحة ، ويرمي من يقول ذلك بالحمق (٥ : ١١١ الخ) .

ولكن هل هنالك علم ضروري واضطراري ببديهة العقل عند ابن حزم نفسه ؟ يبدو بجلاء أن ابن حزم يقول بعلم ضروري اضطراري ببديهة العقل لأن ذلك يتفق مع مذهبه الديني ، ولأن قوله هذا هو المخرج الوحيد له من مأزِق العالم المادي ، ومن جعل المحسوسات المادية وحدَها مصادرَ المعرفة مباشرةً . ولكن ابن حزم ليس صاحب مذهبٍ ديني فحسبُ ، انه مفكر كبير أيضاً ، فلقد انجلى له أن المعارف كلها ترجع في حقيقتها الى الحواس الظاهرة :

حينما يجعل ابن حزم الحواسّ الخمس (الظاهرة) سبيلاً للتمييز بين المحسوسات (١ : ٥) فإنما يضع أساساً ثابتاً للمعرفة بالاكتساب لا ببداهة العقل . حتى الأمثلةُ التي يقدمها ابن حزم على المعرفة بالحاسة السادسة فانه يبنيها أيضاً على أمور محسوسة في عالم المادة لا يمكن ان تعرف الا بالحواسّ الخمس الظاهرة (١ : ٥ ، ٥ : ٩ ، ٨٠ ـ ٨١ ، ١٠٨) .

ثم يعود ابن حزم فيؤكدُ ما ذهب اليه حينما يصرّ على وجوب صحة الحواسّ حتى نتمكن من القيام بتمييز المحسوسات تمييزاً صحيحاً (٣ : ١٠٧ س — ١٠٨) . وابن حزم يعترف بأن قوى الحواس غير متكافئة في البشر جميعاً ، ولذلك كانوا مختلفين في ما يحسونه أو يَرَوْنه (أي يعرفونه) ، فهو يقول : « فدليل برهاننا على هذا ما وجدناه من اختلاف الناس ؛ واختلافُهم دليل على كثرة الخطأ منهم . وقد وضّحنا أنّ وجود الخطأ يقتضي ضرورةً وجودَ الصواب منهم ، ولا بدّ .

و (لكن) ليس اختلافهم دليلاً على أنْ لا حقيقةَ في شيء من أقوالهم ، ولا على امتناع وجود السبيل الى معرفة الحق (٥ : ١٣٣) » .

ويرجع ابن حزم مرة أخرى فيعلن انه لا يميل الى الافتراض ، بل يعالج العالم الواقع فقط ، فهو يقول : «ولا فُضولَ أعظمُ من فضول من اشتغل بشيء قد أيقن انه لا يكون أبداً ؛ ولكنّ الذي كان ووقع فاننا نتكلم فيه (٣ : ٢٥٦)» .

وأخيراً يعبّر ابن حزم عن هذه الحقيقة العظمى تعبيراً واضحاً ، حيث يقول (٥ : ١٠٩ ع) : «وهو (أي الانسان في أول أمره) ان لم يحسن العبارة عن ذلك فان أحواله كلها تقتضي تيقُّنَه كلّ ما ذكرنا ، و (قد) عرَف أولاً صحة ما أدرك بحواسّه ؛ ثم أنتجتْ له سائر المعارف بمقدمات راجعةٍ الى ما ذكرنا من قُرْب أو بُعْد . . . . والمعرفة تكون إما بشهادة الحواس واوّل العقل واما ببرهان راجع من قرب أو بعد الى شهادة الحواس أو أوّل العقل . . . .» .

فمن كل ما تقدم يبدو لنا أن مَرَدّ المعرفة الحقيقي انما هو الى الحواس ، حتى العقلُ فانه لا يستطيع أن يميز الأمور تمييزاً صحيحاً الا اذا كان الحواس في جسم صاحبه سليمة . وهكذا يكون ابن حزم قد حلّ أعظم مشكلة في تاريخ نظرية المعرفة ، تلك المشكلة التي زعم مؤرخو الفلسفة الأوروبية أن حلها كان نتاج عبقرية الفيلسوف الألماني كانْتْ Kant (توفي ١٨٠٤ م) . لقد كان هم هذا الفيلسوف محاولة الجواب على هذه المشكلة الكبرى : « كيف تكون الأحكام المبنية على الاختبار الحسي ممكنة بالبديهة ؟ » ولقد حل ذلك بأن جعل المعرفة التي نعتقد أننا قد عرفناها ببديهة العقل A priori راجعة الى الحواس في زمن متقدم وسمى ذلك a posteriori A priori ، مما لا مجال لمدّ القول فيه هنا . على ان ابن حزم جاء قبل كانْت Kant بسبعة

قرون ووقف أمام المشكلة نفسها ثم حلها حلاً ينقصه بسط القول وشكل المنطق اللذين امتاز بهما كانت ، ولكن لا تنقصه العبقرية المبدعة البصيرة الناقدة .

* * *

وأرى أن أقطع الكلام هنا بعد أن عرضت صفحة من تاريخ الفلسفة الاسلامية عظيمةً براقةً ، كانت من قبل مغمورة بل مجهولة . انني لم أنقد ولم أحلل ولم أعارض ولم أوازن ، لأنني لا أزال أعتقد ان واجبنا الأول ان نجلوَ تراثنا القديم ونرتب موادّه ونفسق بحوثه ، أما النقد فيأتي بعد حين .

الدكتور عمر فروخ



ملاحظات على معجم

عندما طبعتُ معجم الألفاظ الزراعية في أواخر سنة ١٩٤٣ أهديت منه نسخة الى العلامة الفقيد الأب أنستاس ماري الكرملي، ورغبت اليه ان يدلني على ما يرى في ذلك المعجم من هفوات لكي أتلافاها في الطبعة الثانية . وقد بعث إليّ من بغداد برسالة طويلة مؤرخة في ١٩٤٤/١٠/٢٩ أطرى فيها المعجم كثيراً ، وذكر رأيه في بعض الاصطلاحات الواردة فيه . وأجبته في ١٩٤٤/١٢/١٨ عن رأيي في الألفاظ التي انتقدها، فقد كان على ما أرى مصيباً في بعضها ومخطئاً في بعض .

ولما كانت هذه الموضوعات مفيدة لقرّاء مجلة المجمع ولمن يؤلفون في المواليد أو يصنفون المعجمات الفرنجية العربية كتبت فيها هذه العجالة :

(١) وضعتُ في المعجم أمام كلمة Abricotier مشمش ، وأمام كلمة Poisson سمك . فقال الأب رحمه الله منتقداً :

(Abricotier مشمشة أي شجرة المشمش ، أما المشمش فشبه جمع أي Abricotiers) .

فأجبته بما يلي :

عندما يذكر الفرنسيون كلمة Abricotier مثلاً في المعجمات وفي كتب الزراعة والنبات فهم يشيرون الى الجنس النباتي لهذا الشجر لا الى شجرة واحدة من هذا الجنس . وهذا معروف عندهم لا يستلزم وضع ال التعريف الفرنسية أمام كلمة Abricotier ، ولا إضافة علامة الجمع اليها .

وهكذا نحن عندما نضع أمام الكلمة الفرنسية المذكورة لفظ «مشمش» فاننا نعني جنس المشمش لا مشمشة واحدة ولا عدداً مجموعاً من المشمش .

واذا راجعنا تحلية النبات في الأمهات من المعاجم العربية كالمخصص ، أو راجعنا أبحاث زراعة النبات في كتب الزراعة القديمة ، نجدهم يذكرون كل نبات باسم جنسه لا باسم واحده المنتهي بالتاء . فيقولون مشمش لا مشمشة وغار لا غارة ورمان لا رمانة وزيتون لا زيتونة الخ .

أما أسماء الثمار فسيان عندنا أأريد بها نوع الثمر أم ثمرة واحدة منه (اي L'abricot أو Un abricot) فأنا رجحت الإفراد فقلت مشمشة (ثمرة المشمش) وتفاحة (ثمرة التفاح) ومعناه ثمرة واحدة من المشمش وثمرة واحدة من التفاح . ولو أردت النوع لقلت مشمش وتفاح ولفسرتها بقولي ثمر المشمش وثمر التفاح بلا تاء .

وأما في تسمية الحيوان فكل حيوان له اسم جنس جمعي يُفرَّق بينه وبين مفرده بالتاء فقد سميته على الأكثر باسم الجنس لأنه هو المقصود في مثل معجمي ، فوضعت أمام Pigeon حمام لا حمامة . وهكذا قلت يمام وحجل وفأر الخ . ومع هذا لم أتقيد دائماً بما ذكرت ، فوضعت كلمة دجاجة لا دجاج (اسم الجنس) أمام كلمة Poule ، ونحلة لا نحل أمام Abeille مشيراً الى الواحد لا الى الجنس .

(٢) قلت في المعجم مثلاً « صف من الدود الخيطيات » و « شائكات الزعانف » أي انني نعتُّ جموع الكثرة كالدود والزعانف بالمؤنث السالم وهو للقلة . فانتقد رحمه الله ذلك وأوجب ان أقول « دود خيطية ، وشائكة الزعانف الخ . » فأجبته بقولي :

لا يتقيد العلماء بجموع الكثرة أو القلة في أبحاثهم العلمية . ولا لزوم لهذا القيد في مثل معجمي العلمي . ففي المخصص مثلاً (ج ١١ ص ١٥٠) : « والاوف نبات له ورقات خضر رواء طوال الخ . » فقد نعت الورقات بطوال لا بطويلات مع انها ليست جد طويلة . وأمثال ذلك كثير في الأمهات .

(٣) انتقد الفقيد قولي عنكبوتيات وطلحيات وقمليات وزيتونيات ونجيليات ووورديات وأمثالها ورأى جعلها جميعاً بالتاء أي عنكبوتية ونجلية الخ . فكان

جوابي اليه اني رجحت منذ عدة سنين كتابة الأسماء الدالة على الفصائل النباتية والحيوانية بصيغة جمع المؤنث السالم . وكذا الأسماء الدالة على حلقات التصنيف التي هي فوق الفصائل . وقد اتبع مجمع مصر للغة العربية من بعدي هذه الطريقة . أما اسماء القبائل فقد كتبتها بالتاء تمييزاً لها . ففصيلة Oléacées مثلاً سميتها زيتونيات . أما القبائل الثلاث في تلك الفصيلة أي Olées ، Jasminées و Fraxinées فقد سميتها زيتونية وياسمينية ومرّانية وهكذا . وهذه الطريقة أصلح من غيرها ، وذلك لأسباب يطول شرحها . وعلى المؤلفين في المواليد أن يتبعوها تمييزاً لأسماء الفصائل وما فوقها عن أسماء ما هو دون الفصائل .

(٤) انتقد تعريب Azote بلفظ آزوت على وزن فاعول . وطلب ان تُعرب بلفظ أُزوت على وزن فعُول . وهكذا طلب ان نقول أُشورية لا آشورية .

والجواب ان العرب عربت كثيراً من الألفاظ على وزن فاعول كناقوس وتابوت وكابوس . وليست الألفاظ التي على هذا الوزن بقليلة كجاموس وساعور وراقود وغيرها . وعندما تكون الكلمة المعربة أقرب الى الكلمة الأصلية يكون استعمالها أصلح . ولا حاجة بنا الى التشدد في مثل هذا الموضوع ، أي لا لزوم الى الابتعاد عن الكلمة الأصلية لأن فَعُول في العربية أشهر من فاعول .

(٥) وضعت في معجمي أمام Acacia arabica كلمات سنط عربي . سنط . قَرَظ . شوكة مصرية . شوكة قبطية . وقلت في الشرح : « نوع من السنط يكثر في جزيرة العرب وفي الحبشة ، ويُستخرج من صمغ مشهور » .

فاعترض الفقيد قائلاً بالحرف « قَطْكَ ان تقول سنط . ولا يُزاد عربي » . فأجبته بما يلي : « لم أكتف بكلمة سنط لأن معجمي معجم علمي لا بد فيه من ذكر الألفاظ الدالة على الأنواع النباتية Espèces . فلو أخذنا مثلاً نبتة من الحنطة القاسية أي Blé dur أو قل Triticum durum ونبتة من الحنطة اللينة أي Blé tendre وباللسان العلمي Tr. sativum وكلاهما مبذول في

بلادنا ، لوجب على رأيكم ان نسمي النبتتين باسم واحد معروف وهو حنطة ، على حين أنه من الضروري ان نفرق بينهما في التسمية بذكر اللفظ الدال على النوع . ولهذا سميت الأولى حنطة قاسية والثانية حنطة لينة . وهكذا في مئات من الأسماء كأنواع البلوط وانواع الورد وغيرها كثير ، وكقولي سنط صمغي وسنط مفتول لأن كلمة طلح تطلق عليها جميعاً . فعندما يكون النبات مشهوراً باسم واحد يذكر هذا الاسم . لكنه لا بد أيضاً في المعاجم العلمية من ذكر الاسم العلمي لمعظم النبات والحيوان كاملاً ، أي ينبغي ذكر اللفظ الدال على الجنس واللفظ الدال على النوع منعاً للالتباس . فمن المفيد ان تنتبهوا الى ذلك في معجمكم المساعد الذي نرقب طبعه ونشره على العالم العربي .

(٦) وضعت كلمة مَلساوات أمام Anacanthiniens وهي رتبة من الأسماك المظلميات . فاعترض قائلاً : يقال مُلْس ولا يقال ملساوات . فأجبته بأنني أنزلت الملساوات هنا منزلة الاسم وهو جائز كقولهم الخضروات والعجاوات .

(٧) قال يجب أن نضع امام Poissons سَمَك لا أسماك ، وأمام Oiseaux طير لا أطيار ، لأن الافرنسية جمع كثرة وأسماك وأطيار جمع قلة .

فأجبته بأن من الأفصح ذكر اسماء الأجناس أمام بعض الأسماء الفرنسية الدالة على الجمع كقولنا نبات وحيوان وطير وسمك ترجيحاً على نباتات وحيوانات وطيور واسماك ، لكن في اللغة شواذ كثيرة . فقد قالوا مثلاً حشرات ولم يقولوا حَشَرة (والحشرة في اللغة اسم للجميع) ولا حَشَر . وقالوا حَيّات ولم يقولوا حَيّ (الحي والحية كالبَطّ والبطة) . وعذرهم واضح . فهذه الأمور ترد اليوم الى الذوق ودفع الالتباس والمقتضيات العلمية .

(٨) استعمل في جوابه كلمة مُسَنَّن ترجمة لكلمة Denté فأجبته بأنني لم أجد المسنن في اللغة . وقد ترجمتها بكلمة مُحَزَّز . وهكذا ترجمها من قبلي الدكتور امين المعلوف صاحب معجم الحيوان في مقال نشره في مجلتنا هذه .

(٩) اعترض على قولي «عملية جراحية» وقال هو البَطّ او البَضْع او العمل الجراحي . فأجبته بأنني من القائلين بفائدة إقرار العملية والنظرية ترجيحًا على العمل والنظر . وأرجح كون مجمع مصر قد أقرهما . هذا والعملية الجراحية تتناول أكثر من البط والبضع .

(١٠) قلت الحوامض ثلاثة أشكال أولاً كذا وثانيًا كذا الخ . فلم يرق له ذلك وجاء في رسالته : لا يقال أولاً وثانيًا وثالثاً ، بل يقال الحوامض ثلاثة الأولى كذا وكذا والثانية كذا الخ .

ولم أجبه عن انتقاده هذا . والذي احفظه من كتب اللغة ان «أول» تُصرف في مثل هذا المكان اذا ما أجريت مجرى الاسم . وتقدير الجملة الحوامض ثلاثه أشكال أذكرِ منها كذا اولاً . أما الثاني والثالث حتى العاشر فالمعروف انها صفات تعرب بالحركات وتنوّن .

(١١) بعث اليّ رحمه الله في ٢٨/١٢/١٩٤٤ بطاقة بريدية يذكر فيها ارتياحه للملاحظات التي تضمنها هذا المقال ، ويعدني بأنة عندما يعود من مصر الى بغداد سيكتب اليّ ايضًا بما يعنُّ له أثناء مطالعة معجمي . ثم أنهى كلامه بقوله : « والآن أجلب نظركم الى ما أدرجتُه في مجلة دمشق من الفاظ بعض الحيوان وكذلك في المقتطف في جزء نوفنبر وديسنبر . فقد أوضحت ان العرب عنوا بوضع كثير من الفاظ علم المواليد لما دخلوا اميركة وافريقية واسترالية . وقد جهل لغويو الغرب اصول تلك المصطلحات . وعلى العرب ان يتمسكوا بما وضعه اسلافهم لا أن يأخذوا عن الافرنج تلك الكلم ويسخوها مسخًا شنيعًا » .

وقد كنت هيأت له جواباً انكر فيه هذا الرأي واوضح ان مجرد تقارب لفظين من الألفاظ لا يستلزم ان يكون احدهما من الثاني . فالفقيد كان عنده في السنين الأخيرة من حياته فكرة لا يريد ان يقلع عنها وهي ان كل لفظ اعجمي يختلف اصحاب المعاجم الأعجمية في اصله او لا يهتدون الى اصله ،

وكان مقارباً للفظ عربي ، فهو إذن من اصل عربي . وهكذا جعل Acheter من اشترى العربية و Agréer من أَغْرَى يُغري و Aigle من العقّال الى آخر ما كنت دحضته في مقال سابق في مجلتنا هذه . وكنت في مقال آخر بينتُ الأدلة العلمية التي يجب ان يستند الباحث اليها في ردّ الكلم الى اصولها .

(١٢) كتبت العرب اسماء المدن والنباتات المعربة بالتاء ترجيحاً على كتابتها بالألف فقالوا غرناطة واشبيلة ودومة وداتورة الخ . لكن هذا لم يكن عندهم قاعدة ملزِمة . فقد قالوا ايضاً دارّيا وبيت لهيا ودير بُوَنّا وماميثا وأفاقيا وسقمونيا وغيرها كثير وكلها بالألف .

فالأب اعترف بأن معظم اسماء النبات التي عربتُها عن الاسماء العلمية قد كتبتها بالتاء . لكنه اعترض على كتابة بعضها بالألف مثل لاتانيا ودوربنيا ، إذ كان عليّ ان اجعلها بالتاء . قلت كتابتها بالتاء للترجيح . ولا يغلط من يكتبها بالألف . لكن اتباع الأفصح أصلح .

(١٣) من جنس التَّنُّوب Sapin نوع اسمه تنوب كيليكية . ويسمى في الشام الشوح . وقد ذكرت في معجمي انني لم أجد كلمة الشوح في المعاجم الأصلية ولا في المفردات . فجاء في رسالة الأب انستاس : « الشوح معروفة في جزائر بني مَزْغِنّان . واتفاق هؤلاء الناس مع اهل جبل لبنان ، وكلا القومين عرب ، يدل على صحة استعمالها . وعدم ذكر المعاجم لها لا عبرة له » .

قلت لقد اتفق جميع الذين يتدارسون مفردات العربية على ان معجماتنا خلت من كثير من الألفاظ التي استعملها الثقات من قدماء العلماء والأدباء . لكنني لم اجد كلمة الشوح في كتاب زراعي او أدبي قديم . وهذا لا يمنع اضافتها واضافة أمثالها الى الفصيح من كلم اللغة العربية ، فيكون حظها حظ الألوف من اسماء المواليد المعربة على الأقل . وذكر الأب في رسالته أن بعض الأسماء العامية للنبات كالعنبر والفتنة والدفران والشوح وغيرها مما أوردتها في معجمي يجب

ان نقرها وان نرجحها على الأسماء المعربة لتلك النباتات . قلت انني اشاطره هذا الرأي .

(١٤) قال الأب : « قلتم Abornage تأريث . وصوابها تأريف من الأُرفة لئلا تختلط بمعان أخرى استعملت لها » .

فأجبته بأن التأريث والتأريف في اللغة بمعنى ، وهو وضع الحدود بين الأرضين . والحد يسمى أُرْثة وأُرْفة ومَنار . فأنا استعملت التأريث في معجمي لهذه الكلمة الفرنسية . ووضعت التأريف والمساحة تقابل Cadastre . ففي القاموس : « أرَّف على الأرض تأريفاً جعلت لها حدود وقسمت » .

(١٥) وقال « Abornement وَضْع الأُرَف » . قلت الكلمات الفرنسية الآتية Abornage و Abornement و Bornage كلها بمعنى وهو التأريث ومعناه وَضْع الأُرَث والمناور Bornes . يقال أرَّث الأرضين اي جعل بينهما أُرْثة جمعها أُرَث . وفي الحديث عن المنار : لعن الله من غيَّر منار الأرض اي اعلامها ، وقيل اراد من غيَّر تخوم الأرضين .

(١٦) في معجمي : Abreuvage سَقْي . ترويِة . إرواء . فاعترض الأب قائلاً هو السقي . أما الترويَة فهو إشباع الأرض ماءً .

قلت : في الأساس : « أرْوى إبله وروّاها » . وفي المعاجم يستعمل الإرواء للإنسان والحيوان والنبات والارض . وليست الترويَة مقصورة على إشباع الارض ماء .

(١٧) استعملت العرب في القديم والحديث كلمة « مقياس » مضافةً الى الأشياء التي تقاس ، فقالوا مثلاً مقياس الحرارة ومقياس الرطوبه ومقياس الماء ومقياس الحموضة الخ . فنبهني الأب انستاس الى كون مجمع مصر قد رجح وضع كلمة واحدة لأمثال هذه الآلات ، فقال مِحَرّ بدلاً من مقياس الحرارة ، ومِرْطَب بدلاً من مقياس الرطوبة وهلم جرا .

قلت لقد ذكرت في معجمي معظم الأسماء التي وضعها مجمع مصر للأدوات

المذكورة . لكنني سهوت عن ذكر بعض تلك الأسماء كالمحماض لمقياس الحموضة والمشعاع لمقياس الأشعة والمكحال لمقياس الكحول .

ويظهر ان المجمع المشار اليه أوجد مصدراً صناعياً لعمل تلك الادوات فقال محماضيّة لقياس الحموضة ، ومشعاعية لقياس الأشعة ومكحالية لقياس الكحول .

(١٨) وضعتُ أمام Alcool كُحول . غَوْل . وقلت في الشرح : لم يجز بعض اللغويين الكلمة الثانية . ومن المعروف ان من معاني الغول في اللغة الصداع والسكر وما زال به العقل . فقال الأب : « الغول غلط . وقد بين الدكتور شوشه في مؤتمر المحنى (ويعني به مجمع مصر) سنة ١٩٤٤ ان الصواب هو الكُحْل ، وأن الغول خطأ ، وبرهن على ذلك بأدلة لا تقبل النقض البتة » .

قلت لم أطلع على بيان الدكتور شوشة . ومن الثابت في معاجم أصول الكلم الفرنسية ان الاسم الفرنسي Alcool مستعار من كحل العربية بمعنى الإثمد المشهور ، وان الفرنسيين أطلقوه قديمًا على الإثمد وأضرابه مما تكحل او تداوى به العيون . ثم حرفوا معناه في اوائل القرن السادس عشر ، وجعلوا له معنى جديداً ، أي اطلقوه على السائل المعروف المسمى سبيرتو بعامية معظم البلاد العربية . اما الإثمد فسموه Kohl وهي كحل العربية . لكننا نحن العرب لم نطلق الكحل في القديم ولا الحديث على هذا السائل اي السبيرتو . ولست أرى لزومًا لتضمين كلمة كحل هذا المعنى الجديد . وأرجح ترجمة Alcool بالكحول او الغول وكلاهما سرى على الألسنة ، وشاع في الجرائد والكتب العلمية . ولو عدنا الى أصل الكلمة الفرنسية وأطلقنا كلمة كحل على السبيرتو لحصل التباس شنيع فشتان ما بين الكحل الذي تسوّد او تداوى به العيون وبين السبيرتو .

(١٩) اعترض الأب على تعريب Physique بفيزياء ، وقال انها كلمة قبيحة لم يقبلها المحنى اللغوي . ورأيه هذا قديم اي منذ وضع أحد أعضاء مجمعنا هذه الكلمة . ولست أرى رأيه فيها لأنها ليست قبيحة . وهي أصلح من الطبيعة

والطبيعي القديمتين لتضمنهما معاني أخرى . وقد شاعت الفيزياء في مدارس الشام والعراق .

(٢٠) من الألفاظ التي ذهب الأب الى كونهـا من أصول عربية لفظ Albizzia الدالّ على جنس من النبات . قال انه من العربية البُوصيّة من البُوص وهو الدمقس والحرير في لغتنا الفصيحة .

ومنها لفظ Alburnus الذي يطلق على جنس من السمك . قال هو البُرنسي نسبةً الى البرنس .

قلت لم أهتد الى أصل هاتين الكلمتين الأعجميتين في ما لديّ من المراجع ، ولم يذكر الأب لي كيف حكم بأنها عربيتا النجار ، لأن تقارب اللفظين لا يكفي على ماذكرته سابقاً .

(٢١) ذكرت ان كلمة القيقب تطلق اليوم على الشجر المسمى Erable . وقلت في الشرح ان دوزي سماه أيضاً الجَرْمَشَق نقلاً عن اين في كتاب عن مصر ظن فيه ان هذه الكلمة الأعجمية تطلق على الشجر المذكور .

ففي رسالة الأب : « يجب نبذ جرمشق لأنها مصرية عامية . وهي من التركية كَرْمشيك ويقابلها بالفرنسية Cornouiller sauvage وليس Erable كما وهم دوزي » . قلت لقد اصاب الأب في اعتراضه .

(٢٢) من انواع القيقب نوع ينسب الى صقع ايران يسمى بالفرنسية Hyrcanie . قال الأب اسم هذا الصقع في إيران مازَندران . وهذا الشجر يجب تسميته القيقب المازندراني . وقد أصاب .

(٢٣) جاءت كلمة آبنوس في معجمي مفتوحة الباء . فقال الأب : « ضبطت في اللسان بكسر الباء . راجع فيه مادة فرفار وسامم » . قلت راجعت سامم في اللسان فألفيت آبنوس مفتوحة الباء خلافاً لما ذكره الأب . ولم اجدها في مادة فرفار . وجاءت بباء مكسورة في القاموس مادة سامم

وجاء أمام Affinité إلفة بكسر الألف . « فقال « ألفة بالضم لأن الإلفة بالكسر معناها المرأة تألفها وتألفك على ما في المعاجم » .

وجاء أمام Aigremoine غافث بفاء مفتوحة . فقال هي بفاء مكسورة .

(٢٤) Acanthus mollis أقنثا رهلة . فقال : الأصلح رخصة بدلاً من رهلة . وقد أصاب لأن رخصة معروفة وشائعة .

(٢٥) Actaea خمانيّة بلسانية . فاعترض قائلاً : هي أقتى ، هكذا عرّبها الأقدمون . فأجبته بما يلي :

عرب القدماء Akté اليونانية فقالوا أقطى . وهي تدل باليونانية والعربية على الشجر المسمى خمان وباصطلاح اليوم البَلَسان والبيلسان وهو بالفرنسية Sureau وباللسان العلمي Sambucus من فصيلة الخمانيات . لكن علماء النبات في أيامنا هذه استعاروا الكلمة اليونانية المذكورة اي Akté وأطلقوها على نبات آخر من فصيلة اخرى وهي فصيلة الحوذانيات لأن ثمار هذا النبات تشبه ثمار الخمان . وهكذا أصبحت كلمة Actaea تدل اليوم على نبات بعيد جداً عن الخمان . ويتضح من ذلك انه لا يجوز تبديل معنى أقطى الدالة على الخمان اي Sureau وإطلاقها على النبات الآخر الذي سموه Actaea وان كان اللفظ العلمي واللفظ العربي من أصل يوناني واحد .

ولما كانت منابت Actaea في غير بلادنا العربية لم أجد له اسماً عربياً ، ولهذا سميته خمانية وبلسانية إلماعاً الى كون ثماره تشبه ثمار الأقطى اي الخمان . ويمكن أيضاً تسميته أقطية إشارة الى كون الاسم العلمي Actaea من Akté اليونانية .

ويجب الانتباه الى كل اسم نبات من هذا القبيل مما غير علماء النبات مدلوله .

(٢٧) أطرى قولي إنبق وانفة بالنون ، وخطأ من يكتبها بالميم .

(٢٧) عثر على كلمة دسقوريدس فاعترض قائلاً اشتهر عند العرب باسم ديوسقوريدس . قلت اذا راجعنا المفردات والقانون وطبقات الأطباء نجد اسم هذا العالم اليوناني مرسوماً عشرات من المرات على خلاف ما ذكره الأب اي ديسقوريدوس وديسقوريدس . وثمة كتابات أخرى في بعض الكتب القديمة . وعلى كل يجب الرجوع في مثل هذا الموضوع الى القواعد الواجب اتباعها في نقل اسماء الأعلام اليونانية الى العربية . ولكل من زميلينا المأسوف عليهما الدكتور أمين المعلوف والدكتور احمد عيسى بحث ممتع في هذا الموضوع .

وبعدُ يتضح من هذه الملاحظات ومن رأيي فيها ان العلامة الأب أنستاس رحمه الله قد أصاب في بعضها وأخطأ في بعض . ولو بقي حياً لداوم على قراءة معجم الألفاظ الزراعية بما عرف فيه من جلد ، ولأبدى لي ملاحظات فيها فائدة للمطالعين . ومن المؤسف ان يفارق الحياة قبل ان يطبع معجمه « المساعد » الذي ذكره لي مراراً وألمع اليه كثيراً في مقالاته اللغوية الممتعة .

مصطفى الشهابي



طريقة الخفاجي في التهذيب اللغوي

ظهر منذ اوائل العصر العباسي طبقة من اللغويين كان جلّ همّهم ضبط معاني الألفاظ واصلاح اخطاء الأدباء والعامة . ومصنفاتهم نوعان : نوع تقريريّ يقرّرون فيه الكلمات المناسبة للمعاني ويشمل ما صنف في الفصيح والنوادر والأضداد والمشتركات والمترادفات وما الى ذلك . ونوع نقدي يتناولون فيه ماجرى على الأقلام والألسن من أخطاء فيشرحونها ويشيرون الى وجه الصواب منها .

ومن أمثلة النوع الأول ما يلي :

كتاب الأضداد	لقُطرب محمد بن المستنير	المتوفى	سنة	٢٠٦ هـ
〃 المثلثات	〃 〃	〃	〃	〃
〃 النوادر	لأبي زيد الأنصاري	〃	〃	٣١٥
〃 الألفاظ الكتابية	لعبد الرحمن الهمذاني	〃	〃	٣٢٠
〃 ليس	لابن خالويه	〃	〃	٣٧٠
〃 فقه اللغة	لأبي منصور الثعالبي	〃	〃	٤٢٩

ومن أمثلة النوع الثاني :

لحن العامة	لأبي بكر الزبيدي	〃	〃	٣٧٩
التصحيف والتحريف	لأبي احمد العسكري	〃	〃	٣٨٢
التكملة	للجواليقي	〃	〃	٤٦٥
درّة الغوّاص	للحريري	〃	〃	٥١٦
تنبيه الانام	لخسروزاده	〃	〃	٩٩٨

ومن هذه المصنفات اللغوية ما يجمع النوعين كأدب الكاتب لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ والمزهر للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ٠

ولم تنقطع هذه الحركة اللغوية في عصر من العصور على انها على ما يظهر لم تكن بعد عهد شهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ نشيطة او ذات نتائج تسترعي الانتباه ٠

فلما بزغت تباشير النهضة الحديثة عقب اتصال الأقطار العربية بمدنية الغرب كانت اللغة العربية هي الاداة التي استخدمت اولاً لنشر المعارف كما تبيّن من المناهج الأولى للمعاهد الأجنبية العالية في بيروت والقاهرة وسواهما ٠ وقد دفع ذلك اولي الأمر الى الاهتمام بتوسيع اللغة ورفع مستواها فنتج عن جهودهم في هذا السبيل أن الانشاء العربي اخذ يتقدم نافضاً عنه ما لحقه في القرنين السابقين من شوائب الركاكة والابتذال ٠ وكان لا بدّ من الاقبال على العلوم الحديثة ونقلها عن اللغات الافرنجية فظهر في اللغة العربية جملة من المؤلفات العلمية والفنية التي زادت ثروة اللغة بما أحيت من الفاظ قديمة وأحدثت من اوضاع جديدة ٠

وصحب ذلك نشوء الصحافة وهي تقوم على نشر الأخبار والمعلومات ومهما حافظت على المقاييس اللغوية العُرفية فانه لا يسعها الاّ مراعاة الجمهور بالاعتماد على السهولة والسرعة وعدم التكلّف ٠

كل ذلك أدّى بالكتبة والعلماء الى التساهل باقتباس اوضاع والفاظ اعجمية واعتماد كثير من المصطلحات المولّدة التي لا ذكر لها في كتب اللغة ٠ مما أثار الخواطر وأنشأ في بعض البيئات العلمية حركة جديدة لتهذيب اللغة الانشائية والرجوع بها الى الأصول القديمة وكان ذلك من أهم الأسباب التي دعت الى انشاء المجامع العربية المختلفة ولعلي اتناول في بحث آخر هذه المجامع وما قامت به ٠ أما الآن فأكتفي بذكر من صنّف في نقد الأخطاء اللغوية لكي أعود الى الخفاجي واقابل طريقته بطريقتهم ٠

ومن أشهر المحدّثين في هذا الباب ابرهيم اليازجي فقد نشر في السنة الأولى من مجلته الضياء (سنة ١٨٩٩) سلسلة مقالات في لغة الجرائد ثم نشر في السنة الثامنة منها سلسلة اخرى في اغلاط المولّدين تناول على طريقة الحريري في درّة الغوّاص وابن قتيبة في ادب الكاتب الألفاظ والأوضاع الشائعة مثبتاً خطأها وأوجه الصواب فيها . وكان دقيقاً جداً الى درجة التحرّج الزائد .

وتبع اليازجي في آجال مختلفة عدد من الأدباء فنسجوا على منواله ونشروا على صفحات المجلاّت أو في مجموعات خاصة ما رأوه او توهموه من مغالط الكتاب ومن ذلك :

تذكرة الكاتب لأسعد داغر

الدليل في مرادف العاميّ والدخيل لرشيد عطيه

رسالة لابرهيم المنذر قدّمها الى المجمع العلمي العربي

اصلاح الفاسد من لغة الجرائد لسليم الجندي

مغالط الكتاب للأب جرجي جنن البولسي

اخطاؤنا في الصحف والدواوين لصلاح الدين الزعبلاوي

عثرات الأقلام — مجلة المجمع العلمي العربي ١ و ٢ و ٣

وأشباه هذه المصنفات مما تجد فيه الغثّ كما تجد السمين . وطبيعيّ ان يكون للتحرّج اللغوي بعض الأثر الصالح في المحافظة على أصول اللغة والعناية بقواعدها ولكنه قد أدّى الى حركة عكسية قام بها جماعة من العلماء والأدباء ممن يرون في التحرّج أو التقيّد بما ورد في المعاجم وكتب اللغة القديمة خنقاً لروح اللغة وعثرة في سبيل تقدّمها ومُستنَدهم في ذلك المبادئ التالية :

١ — ان اللغة كائن حيّ يرتقي ويتطوّر مع الزمان

٢ — ان المعاجم العربية ناقصة لا تستوعب كل الكلام الفصيح وأنها مشوّشة فلا تصلح ان تكون المقياس النهائي

٣ — ان ابواب القياس والاشتقاق والنحت والمجاز يجب ان تظلّ مفتوحة لمن يرغب في ولوجها

٤ — ان للألفاظ دلائل معنوية لا يحصرها نصّ أو رواية وانما يستعملها اهل الفطنة مع قراءتها المناسبة

٥ - ان شيوع لفظة صحيحة التركيب على ألسن الكتّاب كافٍ لرفعها الى مصاف الألفاظ الفصيحة ·

وقد اتخذت هذه الحركة العكسية في مقاومتها للمحافظين المتحرّجين طريقين — طريق التهكّم الأدبي والاقناع الخطابي وذلك ما لسنا بصدده الآن — وطريق النظر العلمي اي محاولة تجديد اللغة عن طريق البحث · والذين جروا في هذه الطريق كثيرون اذكر منهم هنا ثلاثة فقط : جرجي زيدان ـ وجبر ضومط ـ وعبد القادر المغربي ـ ولكلٍ منهم مباحث واسعة في هذا الباب · وتظهر نزعة الأول في كتابه « تاريخ اللغة العربية » حيث يتناول المفردات والتراكيب وما طرأ عليها خلال العصور المختلفة من تطوّر وتبدّل ويضرب لذلك كثيراً من الأمثلة ثم ينتهي الى قوله : « يتبين للقارئ ان اللغة سارت سير الكائنات الحية بالدثور والتجدّد المعبر عنه بالنموّ الحيوي · فتولّد في العصر الاسلامي الفاظ وتراكيب لم تكن في العصر الجاهلي · وتولّد في العصور التالية ما لم يكن في ما قبلها · وأخيراً تولّد في نهضتنا الأخيرة ما لم يكن معهوداً من قبل · فالوقوف في سبيل هذا النموّ مخالف لناموس الارتقاء فضلاً عن انه لا يجدي نفعاً »

وبينا نرى زيدان يشدّد على مسألة « النمو الحيوي » في اللغة نرى جبر ضومط يدعو الى التحرّر من التقليد الأعمى ومن قوله في ذلك[1] : « ان التقيّد بالألفاظ والتراكيب القديمة مخالف أحياناً للبلاغة ولناموس الترقي وليس الخروج عنه بمفسد للغة بل ان بقاءنا على تحدّي بلاغة الجاهلية وتوخّيها في كتاباتنا لا يجوز لنا »

(١) اقتبس هذه الفقرات من رسالته « اللغة العربية ما أخذت وما أعطت » المقتطف ٤٢ ج ٢ و ٣ ·

واللغة عنده «لا تمتاز بمفردات ورثناها من القدماء بل بأمرين جوهريين هما الاشتقاق والقياس فهما عماد اللغة وعليهما يتوقف ارتقاؤها وانحطاطها» .

ولو أردنا ان نلخص اجتهاده اللغوي في كلمتين لقلنا : هو اعتماده القياس وتفصيحه للاستعمال العام .

أما الأستاذ المغربي فقد جرى شوطا بعيداً في مضمار المباحث اللغوية والأدبية على انني اكتفي منها بالاشارة الى اقتراحاته بشأن الكلمات غير القاموسية[1] . فهو يطلب الاهتمام بها وتصنيفها ثم التمييز بين الجائز وغير الجائز منها . ويدلك على نزعته التجددية أنه يجعلها سبعة أصناف ويجوّزها جميعاً الا اثنين هما العامي والثقيل من المقتبسات الأعجمية .

* * *

ولعلك تقول وما علاقة كل ذلك بشهاب الدين الخفاجي وطريقته فأقول : ذكرنا في صدر بحثنا ان جماعة من الأوائل عُنوا بضبط المفردات واصلاح الأخطاء الشائعة بين الكتّاب . ومن هؤلاء الحريري صاحب المقامات الذي وضع كتاب « درّة الغوّاص في اوهام الخواص » متابعاً فيه ادب الكاتب لابن قتيبة وسواه من كتب اللغة . وقد ضمنه اكثر من ٢٢٠ خطأً من الاخطاء الجارية على اقلام الكتّاب في زمانه وانتقدها مُورداً أوجه الصواب في استعمالها . على ان نقده على ما يظهر لم يشبع نفساً علمية كنفس الخفاجي فتناوله هذا الأخير شرحاً وتجريحاً . وقد راجعتُ هذا الشرح فأعجبتني طريقته ورأيتها ملائمة لروح عصرنا الحاضر وقلت في نفسي هو ذا رجل وجد في عصر مظلم من عصورنا الأدبية ومع ذلك تبرز فيه روح البحث الحقيقي التي أراها تبرز في أحرار هذا العصر . فلا يخشى ان يناقش علاّمة كالحريري سبقه باكثر من خمسة قرون وعُرف بين الخاص والعام بتضلّعه من اللغه ومعرفته الواسعة بشواردها واوابدها .

---

(١) راجعها في مجلة المجمع العلمي العربي ٨ ص ٢٩

والذي يظهر لنا من مطالعة شرح الخفاجي لدرّة الغوّاص انه يأخذ على الحريري المآخذ التالية :

١ — تحجير الواسع : فالحريري عنده مُسرف في التضييق على نفسه وعلى سواه . ومن أمثلة تضييقه انه لا يستهلّ في المجاز فلا يسمي الخوان مائدة الاّ اذا وضع عليها الطعام ولا القدَح كأساً الاّ اذا كان فيها ماء ولا المجلس نادياً الا اذا كان فيه أهله وينكر قولهم تشوّش الأمر وتشويش الأمور ويقول هو التهويش أما الخفاجي فيجوّز ذلك ويثبت ان بعض الفصحاء المشهود لهم لا يرون حرجاً في استعماله [١] . ويميل دائماً الى استعمال الأشهر أو المعروف .

ويمنع الحريري تعريف « كافّة » بأل او اضافتها ويزعم انها لا تأتي الاّ نكرة منصوبة مثل « جاء القوم كافةً » . ويرى الخفاجي انها لما كانت بمعنى الجميع فهي تساوقها في الاستعمال وقد استعملها الزمخشري والحريري نفسه [١] .

ومن جميل قوله « لو اقتصرنا في الألفاظ على ما استعملته العرب العاربة والمستعربة فقط حجّرنا الواسع وعسر التكلّم بالعربية على من بعدهم » [٢] . وما أشبه هذا القول باقوال المجدّدين في هذا العصر .

وقد يؤدي اسراف الحريري في التضييق الى الخطأ وهو عين ما وقع فيه بعض نقّادنا المحدثين .

٢ — سوء الرواية والدراية : ويقصد الخفاجي بذلك ان الحريري على سعة اطلاعه اللغوي كان أحياناً يتسرّع في الحكم إما دون تدقيق في الرواية كما في منعه جمع « حاجة » على « حوائج » وهذا الجمع ورد في الحديث وشعر الفرزدق والأعشى وأقرّه الخليل وابن دريد وابو عمرو بن العلاء وسيبويه [٣] . وكذلك منعه

(١) شرح الدرّة ٦١ (٢) شرح درّة الغواص (الجوائب) ص ٧٠

(٣) شرح درّة الغواص ص ٨٥ — ٨٦

دخول « لعل » على الماضي مع انه يجوز فيها الشك في ما كان كما يجوز في ما يتوقع حدوثه ويستشهد على ذلك بابن برّي وابن هشام والفرزدق والحديث [١] . وعلى هذا النحو منعه لفظة « قرابتي » وهي فصيحة مشهورة وقد وردت في أقوال الأئمة .

وأما لقلة الدراية كإنكاره تمغّر لمن تغيّر وجهه من الغضب وجعلها تمعّر . يقول الخفاجي ان تمغّر استعملت تشبيهاً للوجه المحمرّ غضباً بالمغرة كما يقال تحمّم وجهه اذا اسودّ كالحميم ويستشهد على ذلك باقوال الثقات [٢] .

ومثل ذلك انكار الحريري قولهم تتابعت النوائب بدل تتايعت (بالياء المثناة) وقولهم أبدأ به أولاً بدل اوّلُ وحكّني رأسي بدل أحكّني وغير ذلك مما يشرحه الخفاجي ويبين فيه خطأ الحريري وهو كثير .

٣ – عرجه بين السماع والقياس : فهو تارة ينكر السماع ويأخذ بالقياس وطوراً ينكر هذا ويأخذ بذاك . فمن انكاره للسماع منعه قولهم الفاكهاني والباقلاني . وجمعهم ارض على اراضي لأن القياس ان يقال فاكهي وباقليّ وان لا يجمع الثلاثي على افاعل . وكل ذلك مسموع ومقبول عند الفصحاء

ومن انكاره للقياس منعه اجتمع فلان مع فلان والصواب عنده اجتمع فلان وفلان . على ان ذلك عند الخفاجي لا يمتنع في قياس العربية بدليل انه يمكن استعمال الواو للمعية . واذا كانت للمعية جاز استعمال مع بدلها [٣] . ومثل ذلك انكاره قولهم ما عتب ان فعل كذا بدل ما عتم . وقياسيته تعاقب الباء والميم وابدال احداهما من الأخرى [٤] . وفي تهذيب الأزهري ضرب فلاناً فما عتم ولا عتب ولا كذب .

---

(١) شرح درّة الغواص ص ٥٣
(٢) المصدر نفسه ص ٥٠
(٣) الشرح ص ٥١
(٤) الشرح ص ١٥٦

وعلى هذا النحو تخطئته لمن يقول جاءوا واحدا واحدا واثنين اثنين الخ بدل أُحاد وثُناء الخ . مع ان ذلك مقيس كثير في كلام العرب [١] .

٤ — اعتماده مذهباً دون مذهب : فالبصريون والكوفيون مثلاً مختلفون في لفظتي احمرّ واحمارّ والتسوية بينهما . وكذلك في النسبة الى الجمع مثل شعوبي وحرائري وفرائضي . وهو يتبع البصريين وليس المذهب الآخر بخطأ . وعلى هذا النحو تخطئته لفظة مَغَص بفتح العين للداء المعترض في البطن فيحتم اسكانها وذلك مذهب ابن السكّيت ويخالفه غيره من أهل اللغة . ويقول الخفاجي فهي اذن فصيحة فلا يغرنّك ما قاله المصنّف [٢] .

٥ — تشبّثه بالحرف دون التأويل المعقول : فهو يمنع استعمال القافلة الاّ للرفقة الراجعة من السفر (اذ هي مشتقة من قفل بمعنى رجع) اما الخفاجي فيقول بل هي للمبتدئة بالسفر وسميت كذلك تفاؤلاً برجوعها سالمة كما سمي اللديغ سليماً [٣] .

ويمنع قولهم أقطعه من حيث رقّ لأن السماع من حيث رَكّ اي خفف . ويقول الخفاجي ان باب المجاز واسع [٤] فرقّة الثوب يلزم منها عدم قوّته فلا مانع من ارادة لازمة .

ويخطّئ الحريري من يقول رَكض الفرسُ والصواب عنده رُكض على المجهول . اما الخفاجي فيجوّز الأمرين وتأويل ذلك عنده انه اذا كانت للمعلوم كان معناها ضربت الفرس بحوافرها الأرض فأسرعت وللمجهول ضربت برجل الراكب حثّاً على الاسراع .

---

(١) الشرح ص ١٩١ (٢) الشرح ص ١٤٩ (٣) الشرح ص ١٥٧
(٤) الشرح ص ١٥٣

وينكر الخفاجي تشبث الحريري باستعمال على بعد الفعل « بنى » في قولهم بنى الرجل بأهله اي تزوّج ويقول ان معنى بنى بها دخل بها وعلى ذلك قول ابي تمام :

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على بانٍ باهلٍ ولم تغرب على عَزَبِ

ويرى جواز الحرفين وان يكن الأصل ان يبني الرجل قبّة على عرسه اذا أراد الاعراس . وكثيراً ما تجيء الباء للاستعلاء [1] كقولهم مررت بفلان وعلى فلان .

٦ — انه لا يطبّق أحكامه على نفسه : ففي مقاماته يرخّص لنفسه باستعمال ما ينهى عنه في درة الغوّاص . فقد خطّأ من يستعمل افعلّ في غير المستقرّ الثابت من الألوان [2] . ومع ذلك فقد جاء له في مقامته الكوفية « حتى انثنى محقوقفا مصفرّا » وفي الحرامية « واحمرت وجنتاه » [3] .

وخطّأ استعمال اذ بعد بينا كقولهم بينا زيد قائم اذ جاء عمرو يقول الخفاجي « والعجب من المصنّف انه قال في مقاماته [4] « فبينا انا أطوف اذ رأيت الخ » وقال : « فبينا أنا عند حاكم الاسكندرية اذ دخل شيخ » .

* * *

ولستُ أزعم ان الخفاجي مُصيب في كل ما ذهب اليه على اني لا أجاري جمال الدين القاسمي بقوله « ان له ولعًا بالمناقشة غريبًا وان لم يحظَ الواقف عليه بطائل » .

فالخفاجي واسع الاطلاع وطريقته في شرح درّة الغوّاص تدلّ على نظر واسع في الأمور وهو حريّ ان يكون قدوةً لبعض كتّابنا الذين يعالجون مثل هذه المباحث .

أنيس المقدسي

استاذ الأدب العربي في جامعة بيروت الاميركية
وعضو المجمع العلمي العربي

---

(١) الشرح ص ٢٢٠ (٢) الدرّة ص ١٥ (٣) الشرح ص ٥١
(٤) الشرح ص ٩٧

العامي والفصيح

– ٩ –

زَأط زأطه — وتقول العامة زأط الشيء اذا ملأ يده منه بالقبض عليه فلا يفلت · وفي اللغة كما في اللسان ذأط الإناء يذأطه ذأطاً ملأه · والذأط الامتلاء · وذأطه وذأته : خنقه أشدّ الخنق حتى دلع لسانه (وهو من القبض بشدّة أيضاً) ·

زأم — ويقولون زَأَمَه اذا اطعمه الطعام بيده لقمة فلقمة وهذه الهمزة اما ان تكون أصلية فيكون المأخذ العامي من الزأم قال في اللسان وهو ان يملأ بطنه · وقد أخذ زأمته أي حاجته من الشبع والريّ · وفي الصحاح الزَأمة شدّة الأكل والشرب او تكون الهمزة بدلاً من القاف (كما جرت عادة الأكثرين منهم) فتكون من الازدقام وهو الابتلاع قال ابن سيدة ازدقم الشيء وتزقمه ابتلعه · وقال ابوعمرو الزَقم واللقم واحد زقِم يزقُم ولَقِم يلقَم وهو يزقمُ اللقم زقْماً أي يلقَمها وعلى هذا فزَقَم وزقَّم : كلمة فصيحة صحيحة

ز ب ر — ويقولون زَبَر الكَرْم اذا قطع رؤوس أغصانه الجافة لكي يجود ويقولون قلّمه أيضاً وهذا يكون للكرم ولغيره ويقولون جَمَّه ·

أما قولهم زَبَرَه فهو من قول اهل اللغه كما جاء في مستدرك التاج جزَّ شعره فزَبَره : لم يسوِّه وكان بعضه أطول من بعض ·

وأما قلَّمه فهي اما من أنه براه كبريِ القلم او من قلّم أظافره اذا قطع أطرافها أو محرفة من قنَّبَه · يقول في اللسان وقنَّب العنب قطع عنه ما يفسد حملَه وقنب الكرم قطع بعض قضبانه للتخفيف عنه واستيفاء بعض قوته عن ابي حنيفة ·

وأما جمّه ففي اللسان عن ابي حنيفة أيضاً أجمّ العنب قطع كل ما فوق الأرض من أغصانه · فهو اذاً بالمعنى اللغوي أعم منه بالمعنى العامي ·

واكثر ما تقول العرب في معنى زَبْر الكرم · حَطَبه والاسم الحطاب قال في التاج (والحِطاب ككِتاب) هو (ان يقطع الكرم حتى ينتهي الى حدّ ما جرى فيه الماء) من المجاز (استحطب العنب : احتاج ان يقطع) شيء من (اعاليه) ·

ز ب ق الزّبِق — وقالت العامة فلان زَبِق لبِق وزَلِق لبِق وذلك اذا كان صاحب روغان وحيل فلا يقع في شَرَكٍ ·

وكأن الزَبِق مأخوذ من الزئبق لأنه لا يُمسك باليد ولا يمكن القبض عليه فكأن هذا الزَبِق مطليّ بالزئبق وفي اللسان : درهم مزأبق مطليّ بالزئبق والعامة تقول مُزَبّق · وفي التاج مُزَبّق كمحدث · ونسبه ثعلب الى العامة · اهـ · وفي كتب الأئمة زَبَقت المرأة بولدها رمت به ·

وأما الزّلِق فهو الزَلَق (محركة) وهو الأملس وفي التنزيل : صعيداً زَلَقاً أي املس لا يثبت عليه قدم ·

ز ب ن الزبون — ويسمون المُعامِل (الحَريف) الزّبُون وهو كما في اللسان مولّد والظاهر ان استعمال العامة له قديم وأصل معناه من الدفع ، زَبَن الشيء وزَبَن به اذا دفعه · وبيع المزابنة هو من زابنه اذا دافعه ويراد به بيع كل ثمر على شجره بتمر كيلاً أو هو كل جزاف لا يعرف كيله ولا عدده ولا وزنه او هو بيع كل معلوم بمجهول من جنسه او مجهول بمجهول من جنسه · وقد قيل ان الزبون إرَميّة بمعنى الصديق والمشتري ويقول في المصباح وقيل للمشتري زبون لأنه يدفع غيره عن أخذ البيع · يريد بذلك أفضليته عند البائع · ولكني أرى ان هذا التعليل لا يروي الغليل وانما ساق صاحب المصباح اليه ان الأصل في الزبن الدفع والزَبون فعول منه ولو قال ان الزبون هو الذي يأخذ زِبْنَه منك اي ما يحتاجه لأصاب · قال في القاموس وشرحه (و) الزِبن (بالكسر

الحاجة وقد أخذ زبنَتَه من المال) والطعام اي (حاجته) أو من الزَّبْن بالفتح وهو الناحية وكأنه لزم زَبْنَك اي ناحيتك . والزبون عند عامة العراق وأهل البادية يراد به الثوب المعروف في الشام بالقنباز (وهو القباء) ويقال له في اللغة الزَّبَن وفسره الأئمة بأنه ثوب على تقطيع البيت كالحجَلة [1] ويقول صاحب التاج ومنه الزبون للثوب الذي يقطع على قدر الجسد ويلبس .

ز خ خ زخّ المطر — ويقولون زخَّ المطر وزخّت السماء بالمطر اذا دفعت به دفعاً شديداً . والزَّخّة الدفعة الشديدة منه فهو على هذا استعمال صحيح فصيح . وفي اللغة زخّه اذا دفعه وهو أصل المعنى وزخَّ ببوله اذا رمى به .

ز خ م الزَّخْم — الزَّخْم القوة والشدة عند العامة وهو في اللغة الدفع . زخمه يزخَمه زخماً دفعه شديداً . والدفع الشديد تلزمه القوة فهو من اطلاق اللفظ على لازمه فيكون من المجاز .

والزَّخمة عند العامة السَّيْر الذي يعلق به الركاب في سروج الخيل اذا كان من جلد وربما كانت هذه دخيلة وهي في الفصحى الاسَاقة كما في لسان العرب .

ز ر ب الزاروب انزرب — الزاروب في اصطلاح الساحل الشامي المدخل وهو الطريق الضيق لا منفذ له ثم عمُّوا به كل طريق ضيق نفذَ أو لم ينفذ وهو فاعول من الزَّرْب وهو في اللغة المدخل قال في اللسان زربت الغنم أَزْرُبها زَرْباً وهو من الزرْب الذي هو المدخل وانزرب في الزَّرْب انزراباً اذا دخل فيه اهـ .

ويقولون زرَبه المطر في البيت فانزرب أي منعه من الخروج وهو من قولهم انزرب الصائد في قترته والغنم في الزريبة أي دخل واكتنّ .

ز ر ب زرب الابريق الزَّرْزُوبَة — زرب الابريق اذا سال من شقٍّ فيه أو ثقب خفي وهو فصيح وقول أهل اللغة زرب زرْبا الماء سال والزِّرْبُ مسيل الماء والمزراب : الميزاب وقد أنكره بعض الأئمة (والمنكر انما هو المرزاب

(١) الحجَلة مثل القبة أو موضع يتخذ للعروس يزين بالستور والأسرة ولها أزرار كبار ج حجل وحِجال .

بتقديم الراء) . ومن الزرب سمَّت العامة بلبلة الابريق زَرْزُوبَة لأنَّ ماءه يُصَبُّ من ثقبها الضيّق .

زرب ل الزَّربول — الزربول في لبنان اسم للمداس الذي يلبس في الرِجل وقال في شفاء الغليل هي عاميَّة مبتذلة والعامة تزيد في التحريف فتبدل لامه نوناً قال ابن الحجاج :

مُرْني بصفع الاعدا اذا اضطربوا   من حسد اليوم بالزرابيل

قلت الابدال الذي أشار اليه بالنون غير معروف عند عامتنا اليوم .

زردم الزردمان — الزَرْدُمان عند العامة البلعوم وهو موضع الابتلاع ويقولون زَرْدَمَه اذا عصر زردمانه أي خنقه وهذا الفعل صحيح ذكره الجوهري في صحاحه وفي اللسان أيضاً زردمه بمعنى ابتلعه والزردمة والازدرام الابتلاع

وقال صاحب التاج الزردمة الغلصمة وقيل هي فارسية ثم قال قلت فان كان مركباً من (زر . ودمَه) فان دمه هو النفس وزر هو الذهب وان كان مركباً من (زرد . ومه) فان زرد هو الأصفر ومه هو القمر فليتأمل ذلك اه .

وأقول ان تحليله اللفظ الفارسي بما ذكره لا يلائم المعنى المراد من الزردمة ويمكن لنا ان نقول انها عربية من زرِد اللقمة زَرَداً وزرَدها يزرُدها زرْدا وزرداناً كما جاء في افعال ابن القطاع وازدردها وتزرَّدها وكل ذلك بمعنى ابتلعها وجاء في كتب الأئمة زردمه بمعنى ابتلعه بزيادة الميم وقد جاء مثل هذه الزيادة في بلع فقيل بلعم اللقمة بمعنى ابتلعها والبلعوم هو مَزْرَد الطعام كما لا يخفى وقد قال الأئمة ان الزردمة الغلصمة فالزردمة والبلعوم والمَزْرِد بمعنى واحد فلماذا والحال هذه الذهاب الى أنها فارسية . وجاء في شفاء الغليل انها معرب زيردم فتأمل .

زرزر الزَرْزَرة الزَرْزور — الزَرْزَرَة هي التحريش عند العامة ومعنى زرزره وزرزر له حرّك غضبه وهيَّجه .

وفي اللغة من معنى الزَرير التوقد يقال زرّت عيناه تزرّان زريراً اي توقدان كما في اللسان وفلان كيّس زُرازر أي وقاد تبرق عيناه وقال الفراء عيناه تزرّان في رأسه اذا توقدتا وفي القاموس وتزرزر تحرك والعامة انما تريد بالزرزرة التحريك وهيج الطبع وايقاد الغضب فهو اذاً من هذا المعنى .

زرق تزْرق العنب والتزاريق — ويقولون تزرق العنب وهذا أوانُ التزاريق وذلك اذا لانَ الثمر وصفا لونه وبدأ فيه النضج . وهو للعنب كالارطاب للتمر وأرى انه من زرق زرقاً الشيء اذا اكتسب لونه الزُرقة . والزُرقة في الماء صفاؤه ومنه قول زهير :

فلما وردن الماء زُرقاً جمامه وضعنَ عصيَّ الحاجر المتخيّم

وفي مجاز الأساس ماء أزرق وأسنة زُرْق ونطفة زرقاء وكل ذلك يراد به الصفاء والعنب حين يأخذ في النضج يصفو لونه وماؤه .

أما في الفصيح فيقال ألمَص الكرمُ قال في مستدرك التاج ألمصَ الكرم لانَ عنبه واللامص حافظ الكرم ، وكأن معنى ألمص احتاج الى اللامص اي الذي يحفظه بعد بدوّ صلاحه بهذه التزاريق .

زرك زرّك عليه زَرَكه وفي هذا المحلّ زَرْكة — وقالوا زرّك عليه اذا ضيّق بمثل طلب دين أو قضاء حاجة وزرّك له اذا ضيّق عليه حتى يزرك أي يسوء خلقه ويثور غضبه ثم استعمل لمطلق الحشك والجمع فيقال زركني في المجلس اذا ضيّق علي مكان الجلوس بجلوسه الى جانبي والمكان مزروك اذا كان فيه جمع يضيق بعضهم ببعض . وزَرَك الوعاء اذا حشاه بأكثر من ملئه والزَرْكة الضيق ويسمونها الحشرة . وفي اللغة زَرِك الرجل زَرَكاً ساء خلقه عن الصاغاني . وهذا ربما يفسر زَرَك له وزَرّك عليه .

وربما كانت زَرَكه من زَكَره على القلب فقد جاء في اللغة زكر الاناء زكْراً اذا ملأه كزكّره تزكيراً . أو من زكّه على البدل وقد جاء عن

الصاغاني زكّ القربة زكّاً اذا ملأها وزدكّ الزرع امتلأ والتف . وفي النوادر رجل مِزَكّ غضبان وهو زاكّ عليه بمعناه وزكه بالماء أرواه وفيه معنى الامتلاء والله أعلم . وجاء في معنى زرك الاناء . وزأه ووزّأه اذا شدّ كنزه ووزأ القربة ملأها .

زرم زرّم عينه — وقالوا زرّم عينه . وعينه زارمة اذا كانت لا تدمع ولا ترف ويكنى به عن ضيقها بخلاً ولؤماً وجفاء وفي اللغة زَرِم الدمع انقطع وزرمه قطعه . وكأن زرّمها جعلها لا تدمع ولا ترف أي ينقطع دمعها جفاء ولؤماً أو زرّمها بمعنى ضيّقها وجاء في اللغة أيضاً الزرِم البخيل والمضيق عليه وزرّمه الدهر تزريماً قطع عنه الخير كذا في مستدرك التاج .

على أنني أجد فيما أتيت به من تقريب المأخذ العامي من الفصيح شيئاً من البعد لذلك أعود فأقول انه ربما كانت زرّم عينه العامية مأخوذة ومحرفة من قولهم زرّد عينه على صاحبه اذا غضب عليه وتجهمه ومعناه ضيّقها عليه لا يفتحها حتى لا يملأها منه كذا جاء في مجاز الأساس والميم والدال يتعاقبان في الفصيح مثل رضد المتاع ورضمه اذا نضده وكوّم التراب وكوّده اذا جمعه وماق الرجلُ وداق بمعنى حمق وزأمه وزأده بمعنى ذعره وخمشه وخدشه وكثير أمثال ذلك .

زرنق الزرنقة — الزَرنَقة عند العامة في الشرب ان يصب الشاربُ الماء في فمه من بلبلة الابريق بحيث ترتفع عن شفتيه ولا تمسها وكأنه من يستقي بالزرنوق حيث ينحدر الماء منه الى الساقية انصباباً والزرنوق واحد الزرنوقين وهما منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر تعرض عليهما خشبة تسمى النعامة وتعلق بها البكرة فيستقى بها . والسقي بها يسمى الزرنقة والزرنوق أيضاً الساقية التي يجري فيها الماء المستقى به لأنها من سببه كذا جاء في التاج وربما يقال الزرنوق غير عربي النجار . ويشبه معنى الزرنقة العامي الدغرقة في الفصيح يقول صاحب لسان العرب في مادة ع ب ب « والعبُّ ان يشرب الماء دَغرَقة

بلا غَنَث · الدغرَفة ان يصب الماء مرة واحدة والغَنَث ان يقطع الجرع »
والفصيح في الزرنقة العَبُّ وهو شرب الماء من غير مصّ كما في لسان العرب ·

ز ط م زَطَمَ الاناءَ وزطَمه فانزطم — ويقولون زطم الوعاء اذا امتلأ وزَطَمه فانزطم وفي اللغة زَكَم القربة ملأها وفي اللسان الزَكْم الملء وزُكِم ومُلِئ بمعنى واحد · فالعامة أبدلت والحرفان يتعاقبان مثل لكمه ولطمه وارتطم وارتكم ·

ز ع ب الزَعْب — ويقولون زعبه يزعبُه زعْبًا اذا طرده · وأصل الزعب في اللغة الدفع كما في اللسان يقال سيل زاعب وزعوب يزعب بعضه بعضًا اي يدفع ·
وفي التاج وزعبته عني زَعْبًا دفعته وفي اللسان اصل الزعب الدفع والقسم والطرد دَفع بالمعنى الأعم فهو اذاً منه ·

ز ع ر الأزعر والزُعران — والعامة تقول لمن يطلق لنفسه عنانها في الشهوات بلا مبالاة هو ازعر وجمعه الزُعران والاسم الزَعْرَنة · وقد تزعرنَ اذا تشبه بالزعران ·

وأما في اللغة فقد جاء في لسان العرب · في خلقه زعارّة وزَعارَة عن اللحياني أي شراسة وسوء خلق لا يتصرف منه فعل · وربما قالوا زَعِر · والزعرور السيء الخلق والعامة تقول زَعِر ١٠ ه · وعامتنا تقول ازعر كما كانت العامة زمن صاحب اللسان تقول زَعِر والجمع فيهما زعران ·

والمراد في أصل المادة الشراسة وسوء الخلق · وقد صاغت العامة تزعرن والزعرنة من الزعران من باب توهم الاصالة كما جاؤا بالشيطنة من الشيطان على القول بانه شاط والنون زائدة وكما قالوا تسلطن من السلطان ·

وقالت العامة لمن لم يكن ذا مال يحرص عليه ويدافع عنه هو أزعر والاصل فيه من زَعِر الشعر والريش والوبر اذا قلّ وتفرَّق ·

وعند العامة الأزعر المحذوف الذنب المقطوعه فكما ان هذا الأزعر الأبتر

اذا هرب امامك لم يكن له ذنب تمسكه وتقف به عن فراره فكذلك ليس لذلك المعدم شيء يقف للدفاع عنه ·

وقد صح في اللغة اطلاق الزعران على الاحدث لأنه لا شعر في وجوههم كما في لسان العرب · وفي القاموس رجل زَبِر قليل المال على التشبيه · وعليه يحمل المعنى العامي للأزعر · ويجوز ان يكون الأزعر العامي من دَعِر الرجل قال ابن شميل دَعِر الرجل دَعَراً اذا كان يسرق ويزني ويؤذي الناس وهو الداعر والدال والزاي يتعاقبان كما في دحل وزحل اذا تباعد والمستوفز والمستوفد في قعدته وتوكد وتوكز بالأمر اذا قام واستعد والعرب تسمي العيّارين (وهم الزعران عند العامة) النُغّاش ·

ز ع ط زَعَط · الزعطوط · زَعْوَط — وقالوا زَعَط اذا لغَط بصوت عالٍ وزَعوط اذا اكثر من ذلك وهو في اللغة زأط يزأط زئاطاً اذا اكثر اللغط واعلاه

وقالت العامة زعط عليه اذا صاح به فذعره وأفزعه وأرى ان هذه من زَعَق به · وأما الابدال بين الهمزة والعين في زَأط وزعط فهو اوضح من ان يمثل له · وأما بين الطاء والقاف في زعط وزعق فكذلك هما يأتيان على التعاقب في الفصيح كما في المِزلطة والمزلقة للمكان الزلق واحاط به العذاب وأحاق · والحِبطّة والحبقّة للقصير والشطة والشقة لبعد المسافة ·

وأما الزعطوط فهو عندهم للصبي الجاهل وقد قال بعضهم انها ارميّة ويمكن ان تكون عربية محرّفة من الزعكوك وهو الولد القصير اللئيم قال الجوهري وزاد غيره المجتمع الخلق جمعه زعاكيك وزعاكك وأنشد الجوهري للقنانيّ :

تستّنّ أولاد لها زعاكك [1]

والعين والكاف يتعاقبان في باع المتاع وباكه ·

ز غ ت زغته الزاغوتة — زغته وكزه بالزاغوتة وهي عند العامليين عصا في رأسها حديدة ينخس بها ثور الحرّاث لينشط ·

(١) تستن تعدو في مرح ونشاط ·

وقال عامة جبل عاملة زغت فلاناً اذا جرى في اثره مطارداً له وأحسب ان الزاغوتة اسم الآلة من الزغت والعامة تصوغ اسم الآلة على فاعول والزغت هذا محرف من الدعت وهو الغمز الشديد كما في التاج وأما زغَتَه في المطاردة فأرى أنها من قولهم نهر زَغّاد زخّار كثير الماء اي متدفق وجاء في كلام العرب المزغئد (والهمزة زائدة) الغضبان كأنه نهر يتدفق . وكأن المطارد بشدته واندفاعه واندفاع المطارَد أمامه كالماء المتدفق يدفع بعضه بعضاً .

والفصيح في الزاغوتة المهمَز والمهماز وفسّره بالعصا عامة أو بالتي في رأسها حديدة ينخس بها الحمار قاله شمر وجمعه المهاميز .

ز غ غ زغزغ نيّته — ويقولون زغزغ فلان نيته اذا تردد بعد عزم في المضي فيها يريد نقضها أو مال عما كان ينتويه .

وفي اللغة زغزغ اذا احجم وقد نقل عن الكسائي لقيته فما زغزغ أي فما أحجم وشك في ذلك الأزهري وجاء في اللغة زغزغ الشيء اذا أخفاه وخبأه وقالوا لا تزغزغ الكلام وبيّن الحق . وكأن المزغزغ في ميله عما ينتويه وتردده قد احجم عنه ولم يستقرّ عليه عزمه وربما كانت دخيلة او تكون من تزعزع الشيء اذا لم يستقر (على البدل) كما أبدلوا عين لعلّ فقالوا فيها لغلّ وكما تعاقب الحرفان في العسر والغُسر للأمر الملتاث .

والزغزغة في مصر والزكزكة في الشام كلاهما بمعنى الدغدغة .

ز غ ل الزغل — الزَغَل الغش والخديعة قال صاحب اللسان هكذا تقول العامة والخاصة . ولا تزال العامة تقوله وهو مزغول اي مغشوش وهو خال من الزَغَل أي بريء من العيب والعرب تقول هو زغلي على النسبة .

ز ف ر الزِفر — الزِفر في العامية هو ما يخرج من البناء ناتئاً في وجه الحائط ليبنى عليه ويحمل ما فوقه وهو مستعار من الزُفَر وزان صُرَد . قال شمر الزُفَر الرجل القوي على الحمالات . والزِفر بالكسر لغةً الحمل على الظهر . وقالت العرب على رأسه زِفر أي حمل يزفر منه .

ز ق ر زَقَره — وقالت العامة في جبل عاملة زَقَره اي رماه ببصر حاد نظرة مغيظ هكذا تقولها العامة بالراء المهملة ولكن صاحب التاج أوردها عن العامة باللام مكان الراء فقال زقله زقلاً . أما في اللغة فقد جاء صقر صاقر أي حديد البصر . وقاعدة الخليل بن احمد ان كل صاد قبل قاف تبدل زاياً او سيناً فجاءت العامة بها على هذه القاعدة فقالوا زقره بمعنى صقره أي أحدّ بصره فيه وهو زاقر حديد البصر على حدّ قولهم صقر صاقر .

وفي بعض جبال لبنان يقولون زنقر اذا احدّ النظر وهي اما من زقر بزيادة النون او من زنهر بالهاء مكان القاف . قالت العرب زنهر اليّ بعينه اي اشتد نظره وأخرج عينه والهاء والقاف يتعاقبان كما في الهشيم والقشيم ليابس البقل

ومن المحتمل أيضاً ان يكون العامليون أخذوا من جيرانهم زنقر وحذفوا النون وأخذ منهم جيرانهم زقر وزادوا فيها النون وزقر العاملية أقرب مأخذاً من الفصيح .

ز ق ط زَقَطَه — ويقولون زقط الشيء اذا تلقفه بسرعة وهي في الأصل بالذال المعجمة فهي فصيحة صحيحة وهذا الابدال من دأب العامة في بلاد مصر والشام

ز ق ق زَقَّه الزَقّ — من أمثال العامة «فرخ زَقّ عتيق» يضرب للصغير الضعيف يخدع الرجل عن رأيه ويُغرّر به . وقالوا زقَّه بمعنى ازلقه وأوقعه في الشرك . وقالوا زَقَّه بمعنى رماه في صراع ونحوه . وقالوا زَقّ المتاع على كتفه أو على ظهره بمعنى نقله شيئاً فشيئاً فهي من زَقَ الطائر فرخه اذا أطعمه شيئاً اثر شيء .

أو تكون زق المتاع من زقن الحمل اذا حمله وازقنه اعانه على حمله .

ز ك ر زوكر — وقالوا زوكره اذا خدعه وغشه ولبَّس عليه .

والزواكرة في اللغة من يتلبس فيظهر النسك والعبادة ويبطن الفسق والفساد كذا في مستدرك التاج ونسبه الى المقري في نفح الطيب . وقالوا شبع وزنكر أي امتلأ شبعاً وهي من زكر الاناء اذا ملأه زيدت فيها النون .

ز ك ن الزَّكْنَنَة — الزَّكْنَنَة عند العامة هي صوت الطائر وتغريده يقولون زكنن العصفور اذا ترنم وغرّد وأرى انها محرفة عن الزقزقة وزقزقة الطائر صوته عند الصباح عن الليث ٠

ز ك ك الزَّكْزَكَة — الزِّكْزكة : طائر وهو أصغر العصافير وهو في اللغة السُّكْسُكَة بالسين المهملة ويُسمى الصعوة والوصع وتسميه العامة « السوأنة » وأرى أنها محرفة من الصعوة ٠

ويقولون زَكْزَكَه اذا جسّه في مواضع الاحساس الشديد في جسمه كأسفل خاصرتيه او اخمص قدميه وفصيحها الدغدغة قالت العامة فيها دغدغة ثم قالت زكزكة ٠

ز ل ط الزَّلَط — الزَّلَط عند العامة حصيات تكون ما بين حجم حبّة اللوز الى ما يملأ الكف قد املاسّت جوانبها بجريان الماء عليها فذهبت حروفها وتدملكت ويقولون زلط الطعام اذا ابتلعه من غير مضغ ومن أمثالهم لكثرة الأكل وسرعته « يا زَلْط سلّم على البَلْع » ٠

وجاء في مستدرك التاج « ومما يستدرك عليه (اي على صاحب القاموس) الزَّلَط محركة الحصى الصغار مثل حصى الجمرات ويشبّه بها الفول الذي لم يدش وهي عامية وكذا قولهم زلط اللقمة زلطاً اذا ابتلعها من غير مضغ ٠ اه ٠ ثم نسب الى شيخه ابي عبد الله الطيّب الفاسي ان زلط عربية الاشتقاق ولم تسمع من العرب فهي مولّدة ٠

وأنا أرى ان الزَّلَط للحصى مأخوذ من الزَّلَق بمعنى الأملس والتعاقب بين الطاء والقاف معروف في الفصيح مثل احاط به العذاب وحاق وحاق رأسه وحاطه

وأما زلط بمعنى بلع فهي من سرط الطعام والتعاقب بين حروفيها معروف وقد تقدم له شواهد ٠

وقالت العامة زلّطه وتركه مزلّطاً وتركه بالزُلط اي عارياً وتزلطت الغاسلة بثياب العِزي وهو مأخوذ من الزَلَط أي المملاس.

أو من الصَلْت أي الخفيف اللباس كما في كتب الأئمة أو من سلت الشيء اذا أماطه . والسُلت ضرب من الشعير مجرد من القشر .

ز ل غ ط الزلغوطة — وقالوا زَلْغَطت المرأة وسمعتُ زلاغيط النساء وأصلها الزغردة وفسرها اهل اللغة بانها هدير للابل تردده في حلوقها كما في اللسان قال في التاج ومنه زغردة النساء عند الافراح . واصل المادة الزغد وهو في أصل معناه العصر وزغد البعير يزْغَد زغداً هدر هديراً كأنه يعصره أو يقلعه وزغد سقاءه عصره حتى يخرج الزبد من فمه ويقال زغد البعير وزغرد وزغدب بمعنى واحد وهو الهدير يتقلع من صدره او حلقه وكذلك زغردة النساء هي اصوات تعصرها في حناجرها وتخرجها مضغوطاً عليها والظاهر ان العامة قالت في زغرد زرغد ثم أبدلت اللام مكان الراء والطاء مكان الدال .

ز ل ق الزَلِق — وقالوا فلان زَلِق لبِق اي خفيف الحركة سريع الانفلات لا يعلق في شرك وهو من الزَلَق اي المملاس وفي اللغة يقال للغلام النزّ الخفيف زملوق وزمالِق لا يكاد يقبض عليه من طلبَه لخفته في عدوه وروغانه كذا قال الأزهري وسمعه من بعض العرب وهو الزُمَلِق والزُمَّلِق أيضاً .

والزمّلِق الخفيف الطائش وأنشد الليث :

ان الزبير زالِق زملّق

وكأن الميم زائدة وهو قول الجوهري .

النبطية :　　　(جبل عاملة)　　　احمد رضا

بغية الطلب في تاريخ حلب

لابن العديم

كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد المعروف بابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ من بيت عريق في العلم والأدب بحلب ، وهو واسطة عقدهم وأجلّهم . وتاريخه المعروف ببغية الطلب في تاريخ حلب يضارع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر ، ترجم فيه لكل من نزل حلب او أقام بها مدة او مرَّ بها ، وروى أخباره بالسند على طريقة المحدثين . قال ابن كثير : انه يقرب من اربعين مجلداً .

والكتاب لا يزال مخطوطاً في أجزاء مبعثرة في دور الكتب بالشرق والغرب ، وفي ما يلي أمكنة وجوده .

في الآستانة

يوجد منه فيها ثمانية أجزاء في مكتبة السلطان احمد الثالث في سراي طوب قبو تحت عنوان تاريخ حلب لابن العديم بخطه رقمها ٢٩٢٥ اطلع على هذه المكتبة صديقنا العلامة الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي فكان في جملة ما رآه فيها هذه الأجزاء الثمانية ونقل عنده من كل جزء اسم أول وآخر من ترجم فيه مع عدد أوراق كل جزء وقد كتب لنا ذلك بخطه حين مروره بحلب عائداً من الآستانة سنة ١٣٥٥ هـ واليك ذلك .

الجزء	المترجمون	عدد الأوراق
١	احمد بن جعفر — احمد بن عبد الوارث	٢٥٢
٢	احمد بن محمد — اسحق بن منصور	٣٠٠

الجزء	المترجمون	عدد الأوراق
٣	اسحق المذكور — امية بن عبد الله	٣١٣ [1]
٤	الحسين بن عبد الله — خالد بن برمك	٣٤٠
٥	خالد بن الحرث — دعبل	٣٤٤
٦	راجح بن اسماعيل — زنكي	٢٢٠
٧	زهدم بن الحرث — سعيد سلام	٣٠٤ [2]
٨	ابو ابراهيم الى آخر الكنى الى ثلثي الألقاب	٢٧٠ [3] يعوزه الأخير ومن الوسط ١٢ جزءاً

في باريس

كان السيد وجيه الكيلاني أحد أدباء دمشق كتب لي بتاريخ ١١ ذي القعدة سنة ١٣٢٩ أنه يوجد في مكتبة الأمة في باريس مجلدان من بغية الطلب في تاريخ حلب رقمها ٢١٣٨ ثم كتب اليّ الصديق السيد عبد الغفور المسوتي الحلبي المحامي أثناء وجوده في باريس جواباً على كتاب أرسلته اليه وكتابه مؤرخ في ٨ تشرين الأول سنة ١٩٣١ ما نصه :

لا يوجد في مكتبة الأمة تحت رقم ٢١٣٨ الا مجلد واحد يبتدئ بترجمة اسحق بن منصور وينتهي بترجمة امية بن عبد الله الأموي .

عدد أوراق الجلد ٢٠٨ طول الورقة ٢٧ سنتمتراً وعرضها ١٨ وفي كل صفحة ٢٥ سطراً نقل هذا المخطوط في القاهرة عام ٨١٤ وفقاً لمخطوط المؤلف .

الصفحة الأولى من المجلد (بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي . ثم يوجد كلمة لم تقرأ به [4] أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي قال أخبرنا ابو زربق قال اخبرنا

(١) سيأتيك ان هذا الجزء يوجد أيضاً في مكتبة الأمة بباريس .
(٢) « « « « « « « في احدى مكاتب الموصل .
(٣) « « « « « « « في مكتبة لوندرة .
(٤) ربما كانت هذه الكلمة: حدثنا أو أخبرنا لأن أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي هو شيخ المؤلف .

احمد بن علي قال اخبرنا محمد بن احمد بن يعقوب قال اخبرنا محمد بن نعيم العبسي قال اخبرني عبد الله بن جعفر عن ابي حاتم السلمي أنه سأل مسلم بن الحجاج عن إسحق بن منصور الخ .

الصفحة الأخيرة ٢٠٧ لأن ورقة ٢٠٨ فارغة لم يكتب عليها شيء وبهـا ينتهي المجلد وقتل يومئذ يعني يوم قديد سنة ثلاثين ومائة امية بن عبد الله بن عمر ابن عثمان . تم الجزء المبارك (الكلمة هذه غير مفهومة تماماً) من نسخة المصنف المكتتبة بخطه رحمه الله في رابع عشر رمضان المعظم قدره وشأنه تمام اربع عشرة وثمانمائة بالقاهرة المحروسة حرسها الله وحماها الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفي أول ورقة على اليمين يوجد ملاحظات لاتينية من بد (١)

وتاريخها ١٧٢٦ على الشمال . من كتب مسعود بن ابراهيم

وتحت الختم يقرأ ملكه أضعف العبادراجي عفو ربه المنجي الحاج شمس الدين ابن الحاج احمد بن صبحي الحلبي غفر الله له والى والديه وذلك بمدينة قسطنطينية لا زالت بالخيرات ملية في شهر شوال المبارك سنة الف وخمس وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام .

ويوجد في احدى مكاتب باريس (لا أدري في مكتبة الامة ام في غيرها) مجلد منه ترجمه الى الافرنسية ابلوش وطبع سنة ١٩٠٠ في مطبعة (ليرو) في (٢٥٥) صفحة استحضر منه نسخة الوجيه اندره ماركوبلي احد وجهاء الايطاليين المتوطنين بحلب وقد اطلعني عليه وترجم لي عبارات منه وحوى هذا المجلد من سنة ٥٤٠ الى سنة ٦٤٠ اعني الى قبل وفاة المؤلف بعشرين عاماً . وفي اول هذا المجلد ترجمة نور الدين الشهيد وذكر ماله من الآثار . وفي آخره ترجمة جمال الدولة اقبال الخاتوني حينما اتى الى حلب

(١) هنا كلمات تعسر قراءتها .

ومما يجدر ذكره هنا أن الافرنسيين قد عنوا بجمع ما كتبه مؤرخو الاسلام عن الحروب الصليبية في عشرة مجلدات ضخمة مع ترجمة ذلك الى اللغة الافرنسية رأيتها في المكتبة اليسوعية في بيروت ورأيت منها سبعة عند الخواجة هانري ماركوبلي قريب المتقدم الذكر ذكرت تحت عنوان (منتخبات من تاريخ حلب لكمال الدين) حوادث حلب من سنة ٤٩٠ الى سنة ٥٤١ وهي السنة التي توفي فيها زنكي والد نور الدين الشهيد وهي في ٥٧ ورقة ثم ذكروا بعدها تحت عنوان منتخبات من بغية الطلب ترجمة اسماعيل بن بوري المتوفى سنة ٥٢٩ وترجمة اسماعيل بن نور الدين الشهيد المتوفى سنة ٥٧٧ وترجمة آق سنقر بن عبد الله سنة ٤٨٧ وترجمة آق سنقر البرسقي المتوفى سنة ٥٢٠ وترجمة آلب ارسلان بن رضوان المتوفى سنة ٥٠٨ وهي في ١٩ ورقة وقد أثبت على ما في القطعتين في محالها مما له علاقة بحلب وقد وجدت فيهما من التفضيل ما لم أجده في غيرهما .

وكتب لي المستشرق العلامة سالم الكرنكوي ان في المكتبة العمومية في باريس نسخة من مختصر البغية في مجلد واحد قديم العهد فاتني الآن تاريخها ولكنه قبل السبعمائة ١ هـ . ولعل هذا المختصر هو (زبدة الحلب في تاريخ حلب) للمصنف ابن العديم او هو المجلد المتقدم الذكر .

في لوندرة

وفي المتحف البريطاني في لوندرة الجزء الذي قبل الجزء الأخير رقمه ٢٣٣٤ وهو يشتمل على الكنى والألقاب كتب الي بذلك العلامة الكرنكوي وليس فيه تاريخ كتابته وهو في ١٧٠ ورقة بالقطع الوسط .

في الآستانة أيضاً ومصر وبطرسبرج

ويوجد ثلاثة مجلدات منه فيها أربعة عشر جزءاً متتابعة بخط المؤلف في مكتبة أياصوفيا في الآستانة رقمها ٣٠٣٦

وقد نقلت دار الكتب المصرية هذه المجلدات الثلاثة بالتصوير الشمسي ·

واليك ما قالته في فهرستها في حرف الباء (صفحة ٥٨) من الجزء الخامس :

بغية الطلب في تاريخ حلب تأليف العلامة المؤرخ كمال الدين ابي حفص عمر ابن عبد العزيز[1] بن احمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي الحنفي المعروف بابن العديم الحلبي المولود سنة ٥٨٦ المتوفى سنة ٦٦٠ وهو كتاب جامع لتاريخ حلب يتضمن تخطيط مدنها وذكر أنهارها وبحيراتها وبحارها وخلجانها وجزرها وجبالها وذكر أعيانها وفضلائها وأخبارها وحوادثها وما ورد فيها من الأشعار · ويؤخذ مما كتبه صاحب كشف الظنون على ذيل هذا الكتاب المسمى الزبد والضرب انه انتهى فيه الى آخر سنة ٦٥٠ ه الموجود منه اربعة عشر جزءاً متتابعة في ثلاثة مجلدات · وهي المجلد الأول وينتهي الى أثناء الجزء السادس ويتضمن الكلام على انطاكية وثغور الشام في صدر الاسلام وفيما كانت العرب تؤرخ به قبل الاسلام وفي ذكر بحر الروم واتجاهاته والبلاد الواقعة عليه · وفي ذكر البحر الهندي والشرقي والبحيرات الموجودة في أعمال حلب وذكر منتزهاتها وجبالها وآثارها القديمة ومزاراتها وقبور الأولياء والصالحين والمواطن الشريفة والطلسمات والغرائب وبيان حالتها الدولية وما وصلت اليه في زمنه

ثم الكلام على قنسرين وانطاكية وأول من بناها وما جاء من الآثار في ذمها ثم تكلم على المدن التالية لحلب وما بقي منها عامراً الى زمنه وما عفت عليه الآثار كمدينة بالس ورصافة هشام ومعرة النعمان · وفي اللوحة الثانية منه ترجمة الشريف الادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ونبذة من سفره واخرى من شعر ابي الخطاب محمد بن محمد بن احمد البطائحي وفي اللوحة الثالثة فصل في فوائد التاريخ وفي اللوحة الرابعة ترجمة المؤلف وفي اللوحة الخامسة بعد اسم

---

(١) ذكر عبد العزيز بعد عمر سهو من واضع الفهرس فان ابا عمر اسمه احمد .

الكتاب ما نصه : يقول كاتب هذه الأحرف فقير عفو ربه تعالى محمد بن محمد ابن محمد الحمدي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي . انه يروي تاريخ حلب للصاحب كمال الدين عمر بن احمد المعروف بابن ابي جرادة وبابن العديم عن الشيخ تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر المقريزي مؤرخ الديار المصرية عن ناصر الدين محمد الحدادي عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن ابن خلف الدمياطي عن مصنفه الصاحب كمال الدين بن العديم .

والمجلد الثاني يبتدئ من حيث انتهى السابق وينتهي الى اثناء الجزء العاشر في فضايل الشام ويتضمن الكلام على معرة مصرين وكفر طاب وحماة والمصيصة وآذنة وطرسوس وبزاعة والباب ونهر الذهب وصفين وما بين هذه المدن من الأميال مع ذكر فضائلها وما حدث فيها .

والمجلد الثالث يبتدئ من حيث انتهى السابق وينتهي الى آخر الجزء الرابع عشر ويتضمن ذكر فتح الصحابة رضي الله عنهم مدينة حلب وحمص وبعلبك وغيرها . مأخوذة بالتصوير الشمسي عن نسخة مخطوطة بخط المؤلف محفوظة بمكتبة (آياصوفية) بالآستانة اه .

وجاء في كتاب تذكرة النوادر من المخطوطات العربية الذي رتبته ادارة مطبعة المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن (الهند) المطبوع عام ١٣٥٠ هـ في صفحة ٨٦ .

ان هذه المجلدات الثلاثة تحت رقم ٣٠٣٦ (كما قدمته) وفيه بعد ذلك ما نصه : ونسخة أخرى منقولة عن نسخة المؤلف في متحف بطرسبرج . وفي الذيل ان ذلك نقل عن مجلة المعارف ج ٢٤ ص ١٤١ [1]

---

(١) الناشر لذلك في مجلة المعارف هو صديقنا العلامة الميمني الراجكوتي أخبرني بذلك حين مروره بحلب قادماً من الآستانة .

في الموصل ثم في حلب

في كتاب مخطوطات الموصل تأليف الطبيب الفاضل داود الچلبي الموصلي ص ١٢١ تحت رقم ١٥ في ذكر المخطوطات التي في المدرسة الحسنية ويقال لها مدرسة حسن باشا . تاريخ ابن العديم الحلبي قطعة منه تبدأ بقوله زهدم بن الحارث كان بدابق حين ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وسمع خطبته ورواها عنه محمد بن عثمان . وينتهي بقوله سعيد بن سلام وقيل سعيد بن سالم ابو عثمان ابن سعيد المغربي الصوفي .

طول المجلد ٢٧ وعرضه ١٧ سنتمتراً عدد أوراقه ٢٠١ في كل صفحة ٢٥ سطراً وقد كتبتُ للطبيب الموما اليه في استنساخ هذا المجلد فتفضل بذلك جزاه الله خيراً وهو الآن عندي . وهو في ٣٧٩ صفحة كبيرة كل صفحة ٢٢ سطراً وقد قرأته من اوله الى آخره في أثناء سنة ١٣٥٠ ﻫ وصححت فيه كلمات كثيرة حرفها الناسخ ولم يزل فيه بقية من الأغلاط وقد تقدم ان هذا الجزء في سراي طوب قبو بخط المؤلف ومجموع ما فيه من التراجم ١٥٣ ترجمة وفيه من التراجم ما لا يوجد في غيره من معرة النعمان وحدها نحو العشرين ما بين عالم وشاعر لم نجد لهم ترجمة في غير هذا الكتاب ومن جملة رجال هذا الجزء ترجمة تاج الدين ابي اليمن زيد بن الحسن الكندي الذي نشر ترجمته في المجلد الحادي والعشرين في الجزء الخامس ص٢٤٨ من مجلة المجمع صديقنا الأستاذ الفاضل الشيخ محمد احمد دهمان الا ان في ترجمته هنا زيادات كثيرة وقد أطال فيها وهو شيخه وقد أكثر من الأخذ عنه فهو يعرفه حق المعرفة وترجمته في ١١ صفحة وذكر له من جملة شعره قصيدة طويلة في ٤٩ بيتاً مطلعها :

هل أنت راحم عبرة وتولهِ ومجير صب عند مأمنه دُهي
هيهات يرحم قاتلٌ مقتوله وسنانه في القلب غير مُنهنه
من بلّ من داء الغرام فانني مذ حل بي مرض الهوى لم انقه

وفيها ما يزيل اشكال الصديق حيث يقول ولا نعلم في اي سنة من سني حياته تحول من المذهب الحنبلي الى المذهب الحنفي • فقد قال ابن العديم ولما مات شيخه ابو محمد المقري سبط ابي منصور قام مقامه في مسجده وأم الناس اياماً وله نيف وعشرون سنة ثم انه سافر عن بغداد في سنة ثلاث واربعين (وخمسمائة) ودخل همدان وأقام بها سنتين يتفقه على مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه على سعد الرازي بمدرسة السلطان طغرل اه وليس في ترجمته هنا ما يفيد انه تفقه على المذهب الحنبلي على شيخه ابي محمد المقري ولعل الأستاذ رأى ذلك في بعض المصادر التي نقل عنها •

ونرى الكمال ابن العديم كثيراً ما يروي في هذا الجزء عن شيخه التاج الكندي بسنده هذا ما وقفت عليه من اجزاء هذا التاريخ العظيم وأنا متابع البحث عنه من اكثر من اربعين سنة الى الآن •

وأرجو ممن يقف على شيء منه غير الأجزاء التي ذكرتها ان يتحفنا به على صفحات مجلة المجمع خدمة للعلم والأدب ونحن له من الشاكرين والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً •

(حلب) محمد راغب الطباخ



العدد في اللغة العربية

— ٤ —

المعدول عن جهته من العدد مذكراً ومؤنثاً

وسبب منعه من الصرف

أقدم في هذا الموضوع خلاصة ما أورده ابن سيده في المخصص (ص ١١٩ ج ١٧) فأقول :

« المعدول عن جهته من العدد يمنع التصريف (الاجراء في لغة ابن سيده) ويكون المذكر والمؤنث بلفظ واحد تقول أدخلوا أُحاد أُحاد وأنت تعني واحداً واحداً أو واحدة واحدة وثُناء ثُناء وثُلاث ثُلاث ورُباع رُباع وقال الخليل أنه بمنزلة أُخَر وكان حقهم أن يقولوا واحداً واحداً فغُيِّرت الصيغة فترك صرفه وقال أنه لا يصرف في النكرة لأنه نكرة توصف به نكرة ولا يقصد بصيغة المعدول عدد المعدود وإنما الهيئة التي كان عليها من حيث المرافقة والعدّة تقول : جاء القوم مثنى مثنى أي اثنين اثنين ولو كانوا ألوفاً .

وذكر في سبب منعه من الصرف أربعة أقاويل : (القول الأول) أن المانع له من الصرف الوصفية والعدل ؛ (الثاني) أنه عدل في اللفظ وفي المعنى فصار كأن فيه عدلين : عدل اللفظ من واحد الى أُحاد وعدل المعنى من العدة الى وصف الهيئة العددية مع عدم التحديد في عدة العدد المشتق منه ؛ (الثالث) أنه عدل وأن عدله وقع من غير جهة الفعل لأن باب العدل حقه أن يكون للمعارف وهذا للنكرات ؛ (الرابع) أنه معدول وأنه جمع لأنه بالعدل قد صار أكثر من العدة الأولى .

وفي المعدول لغتان (أي له صيغتان) فُعال ومَفْعَل كقولك أُحاد ومَوْحد وقال قوم منهم الزجّاج أن القياس لا يمنع من اشتقاق هذه الصيغة من الآحاد البسيطة حتى العشرة فتقول عُشار ومَعْشر .

وقال بعض النحويين أن هذه الألفاظ معرفة وخالفهم آخرون واستدلوا على تنكيرها بقوله تعالى: « أولي أجنحة مثنى وثُلاث ورُباع » .

وذكر ابو اسحاق أن المانع لهذه الألفاظ من الصرف هو العدل عن الفاظ الاثنين والثلاثة والأربعة من جهة والتأنيث من جهة أخرى وقال اصحاب ابن سيده ان المانع له من الصرف علتان انه عدل عن تأنيث وأنه نكرة والنكرة أصل الأشياء وخالفهم ابن سيده وقال كونه نكرة كان ينبغي أن يخففه لأن النكرة تخفف ولا تعد فرعاً ومن الغريب أن قوماً ادعوا أن هذه الألفاظ معرفة مع أنها وصف للنكرات وعلل أبو علي منع الصرف في العدل بأن العدل يكون نوعاً من الثقل لأنه يخالف سائر المشتقات من أنك تلفظ بالكلمة وتريد بها معنى كلمة في لفظ آخر وقال أنه ليس هناك من عدل في المعنى بل العدل في اللفظ فقط لأنك تريد بلفظة مثنى نفس المعنى المعدول عن لفظة « اثنين اثنين » ولو وجد الثقل بسبب العدل عن المعنى لما كان سبباً في المنع من الصرف وذلك ملاحظ في بقية المشتقات . وقال إنه لا يجوز اجتماع عدلين فالقول بأن المانع من الصرف في هذه الأعداد عدل عن اللفظ وعدل عن التأنيث خطأ لأن اللفظ لا يعدل الا مرة واحدة والعدل لم يحفظ عن اللفظتين معاً اثنين اثنين وما شابهها وإنما حصل عن واحدة منها وإنما تفيد اللفظة بعد عدلها معنى اللفظتين معاً وذكر أنها معدولة عنها من قبيل التمثيل وجميع المعدولات ألفاظ مفردة كما أن المعدول عنها كذلك والقول بأنه معدول ومعدول عن مؤنث في هذا الباب خطأ لأن الألفاظ المعدولة تطلق على المذكر والمؤنث على السواء والعدل عن النكرة يستوي مع العدل عن المعرفة في المنع من الصرف اذا انضم اليه سبب

اخر والمانع الحقيقي في رأي ابن سيده لهذه الألفاظ من الصرف هو الوصفية والعدل.

وقال الفرّاء إن العرب لا تجاوز رباع غير أن الكميت قد قال :

« فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عُشارا »

وقال ابن سيده إن الفرّاء جعل عشار مخرج ثُلاث وهذا مما لا يقاس عليه وقال الفرّاء في مثلث ومثنى ومربع : « إن أردت به مذهب المصدر لا مذهب الصرف جرى قولك ثنيتهم مثنى وثلثتهم مثلثا وربعتهم مربعا » .

هذه خلاصة ما ورد في العدل عن ابن سيده في مخصصه والذي يعنينا منها في الدراسة هو أن هذه الألفاظ المعدولة وردت عن العرب من أُحاد الى رُباع ومن مَوْحد الى مرَبع وأن النحويين أجازوا قياساً أن يشتق من ألفاظ الأعداد حتى العشرة عن أوزانها وأن هذه الألفاظ المعدولة تكون ممنوعة من الصرف وأنه يستوي فيها المذكر والمؤنث وما سوى ذلك منطق وفلسفة لا حاجة لنا به وإنما قد قدمته كمثال على دراسة النحويين المنطقية لأبحاث النحو .

الابعاض والكسور وألفاظها ومشتقات هذه الألفاظ

سبق أن ذكرت في مقدمة بحث العدد هذا ان العرب استعملوا ألفاظ النصف والثلث والربع والخمس وهكذا حتى العشر منذ الجاهلية وأن كثيراً من الفاظ هذه الكسور قد وردت في القرآن ولا سيما في آيات الميراث وذكر ابن سيده (المخصص ج ١٧ ص ١٢٩) أنه وردت في نصف لغة رديئة قال بعضهم أنها عامية هي نَصْف واشتق من النصف نصَّفتُ الشيء أي جعلته نصفين والشطر النصف والجمع شطور والتشطير التنصيف .

ويقال في الثلث ثليث وهكذا في البقية إلى عُشَيْر بمعنى عشر والجمع أثلاث الى أعشار . وقال أبو زيد لم يعرفوا الخميس ولا الربيع ولا الثليث وقال غيره : السبيع السابع والنصيف النصف وقال ابن دُرَيْد أنه مكيال في قول الشاعر :

« لم يغذُها مدٌّ ولا نصيف »

وقد أوردت في باب الصفات العددية الترتيبية أفعالاً تدل على القسمة لكل كسر من الكسور البسيطة فتقول خَمَسْتُ الغلال إذا أخذتُ خمسها وهكذا وذكرت الفرق بين مضارع هذه الأفعال حينما تدل على الكسور ومضارعها حينما تدل على رتبة العدد فيما يخص الأفعال التي لامها حرف العين فليرجع اليه هناك ·

كلمات نيّف وبضع وبضعة واستعمالاتها في اللغة العربية

ذكر في التصريح على التوضيح (ص ٢٧٤ ج ٤) أن كلمة النيِّف من ناف ينوف بمعنى « زاد يزيد » قال أبو زيد هو التسعة فما دونها وقال ابو جعفر النحاس في شرح المعلقات : النيِّف من العدد ما جاوز العقد الى الثلاثة هذا قول أهل اللغة وفي الصحاح والقاموس كل ما زاد على العقد فهو نيِّف حتى يبلغ العقد الثاني والعقد ما كان من مرتبة العشرات أو المئات أو الألوف » ·

وقال الصبان (ص ٥٢ ج ٤ من شرحه على الأشموني) : « قال في شرح الكافية : لبضعة وبضع حكم تسعة وتسع في الإفراد والتركيب وعطف عشرين وأخواته عليه نحو : لبثت بضعة أعوام وبضع سنين وعندي بضعة عشر غلاماً وبضع عشرة أمة وبضعة وعشرون كتاباً وبضع وعشرون صحيفة ويراد ببضعة من ثلاثة الى تسعة وببضع من ثلاث الى تسع وقال إن الفرق ما بين النيِّف وبضع أن نيِّف لا يختلف لفظها في المذكر عن المؤنث وأنها لا تستعمل الا مع العقود ·

التأريخ بالليالي والأيام

ذكر في شرح الصبان (ص ٥٦ ج ٤) أنه يؤرخ بالليالي لسبقها فحق المؤرخ أن يقول في أول الشهر كتب لأول ليلة منه أو لغرّته أو مهلّه أو مستهلّه ثم يقول كتب لليلةٍ خلت ثم لليلتين خلتا ثم لثلاث خَلَوْن الى عشر الى النصف من كذا أو انتصافه ثم لأربع عشرة بقيت ثم لآخر ليلة منه وهكذا ما بينهما

ويقال لخمس عشرة خلت أو بقيت وبخصوص آخر ليلة لآخر ليلة منه او سراره او سرره ثم لآخر يوم منه او سلخه او انسلاخه وقد تخلف النون التاء (أي نون النسوة وتاء التأنيث) وبالعكس» [فيقال لسبع عشرة ليلة مضين أو خلون أو مضت وخلت وهكذا» . وذكر غير الأشموني أن الأولى أن يقال لليلة كذا خلت او ليوم كذا خلا من أول الشهر حتى آخره وذلك لأنه لا يعلم عدة الشهر القمري بالضبط فعندما تقول لثلاث ليالٍ بقين فأنت غير واثق من ذلك لأن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوماً وقد يكون ثلاثين .

كنايات العدد : كَمْ وكأيِّن وكذا والتمييز معها

قال ابن عقيل : يُستفهم عن العدد بـ «كم» ويكون تمييزها بعدها منصوباً وقد يكون مستتراً مفهوماً من الكلام ككم صمت أي كم يوماً وقد يكون مجروراً بمن محذوفة اذا كانت كم نفسها مجرورة مثل بكم درهم اشتريته فإن لم يدخل عليها حرف جر وجب نصبه ، ودخول حرف الجر على كم دليل اسميتها وهي اسم لعدد مبهم ولذلك احتاجت الى تمييز يفسرها .

واذا كانت كم خبرية أي للتكثير تُميّز بجمع مجرور كتمييز عشرة أو بمفرد مجرور كتمييز مائة مثل : «كم غلمانٍ ملكت وكم درهم أنفقت» .

وكم لها صدر الكلام استفهامية كانت أو خبرية وذلك لأن فيهـا معنى الاستفهام او التعجب وهما يطلبان الصدارة وقال صاحب التصريح إن كم الاستفهامية وكم الخبرية تشتركان في كونهما كنايتين عن عدد مجهول الجنس والمقدار والحقيقة والكمية وكونهما مبنيّتين لمشابهتهما الحرف في المعنى وفي الوضع وكون البناء فيهما على السكون وفي لزوم التصدير وفي الاحتياج الى التمييز وهي خمسة أمور .

وقال إنهما تفترقان في خمسة أمور : ١ً) تمييز كم الاستفهامية منصوب مفرد والكوفيون يجيزون جمعه والأصح مذهب البصريين ويؤول الجمع بأنه حال والتمييز محذوف وقال الأخفش يجوز جمعه إن كان السؤال عن الجماعات تقول :

كم غلاماً لك إذا أردت أصنافاً من الغلمان ، وأما نصبه ففيه ثلاثة أقوال : أنه لازم وأنة يجوز جره حملاً على كم الخبرية وانه يجوز جره بتقدير من محذوفة إن جرت كم بحرف جر ويكون حرف الجر في رأي سيبويه عوضاً عن من المحذوفة وذهب الزجّاج الى أن جرّ مميزها إنما هو بإضافة كم اليه وردّ مذهبه هذا ابن خروف لأن كم بمنزلة عدد مركب فلا تضاف] بينما تمييز الخبرية مجرور [قال بعضهم بإضافتها اليه وقال الفراء بتقدير من محذوفة لكثرة دخول من على المميز فإذا حذفت فلكثرة تداولها ويكون مميزها مفرداً ويكون جمعا والإفراد أكثر في الاستعمال وأبلغ في المعنى من الجمع حتى إن بعضهم ادعى أن الجمع على نية معنى الواحد والمفرد في الحقيقة إنما يدل على الجمع « كم قوم جاؤوني أو كم رجل جاءني »] .

(الثاني) : ان الخبرية تختص بالزمان الماضي لأن معنى التكثير والتقليل يكون فيما عرف حده والمستقبل مجهول ويجوز في الاستفهامية كم عبداً ستشتريه لأن الاستفهام لتعيين المجهول .

(الثالث) : الاستفهامية تتطلب جواباً بعكس الخبرية

(الرابع) : المتكلم بالخبرية يحتمل الصدق والكذب بعكس الاستفهامية

(الخامس) : المبدل من الخبرية لا يقترن بهمزة الاستفهام لأنه خبر بخلاف المبدل من الاستفهامية يقال : « كم مالك أعشرون أم ثلاثون » .

ويروى أن تميماً تجيز نصب مميز الخبرية مفرداً ولذلك قرئت عمة بالنصب والجر مع التنوين في بيت الفرزدق :

كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري

وقيل كم هنا استفهام تهكم .

ونرى هنا أثر المنطق واضحاً في بيان الاتفاق والافتراق بين اللفظتين وعدم الاقتصار على الناحية العملية المفيدة في استعمال كم في حالتيها : الاستفهامية والخبرية .

وزاد الأشموني (ص ٥٩ ج ٤) في أمور اشترا كها أنهما تشتركان في كون مميز كلٍّ منهما يجوز حذفه إذا فهم من السياق خلافاً — لمن زعم منع حذف تمييز كم الخبرية — وأنهما لا يعمل فيهما ما قبلهما إلا المضاف وحرف الجر وأنهما على حد واحد في وجوه الاعراب ثم ذكر وجوه اعرابهما فقال أن كم بقسميها إن تقدم عليها حرف جر أو مضاف فهي مجرورة وإلا فإن كانت كناية عن مصدر أو ظرف فهي منصوبة على المصدر أو على الظرف وإلا فإن لم يلها فعل أو وليها وهو لازم أو رافع ضميرها او سببيها فهي مبتدأ ووليها فعل متعد ولم يأخذ مفعوله فهي مفعوله وإن أخذه فهي مبتدأ إلا ان يكون ضميراً يعود عليها ففيها الابتداء والنصب على الاشتغال (ص ٦١ ج ٤)

وقال (ص ٥٩ ج ٤) فيما يختص بكم الخبرية : « شرط جر تمييز كم الخبرية الاتصال فإن فصل نصب حملاً على الاستفهامية فإن ذلك جائز فيها في السعة وقد جاء مجروراً مع الفصل بظرف او مجرور كقوله :

« كم دون مية موماة يهال لها إذا تيممها الخريت ذو الجلد »

وقوله : « كم بجود مقرف نال العلا وكريم بخله قد وضعه »

والصحيح اختصاصه بالشعر ومثله فصل تمييز العدد المركب وشبهه وقد مر وذهب الكوفيون إلى جوازه في الاختيار وقيل ان كان الفصل بناقص نحو كم اليوم جائع أتاني وكم بك مأخوذ جاءني جاز وإن كان بتام لا يجوز وهو مذهب يونس فإن كان الفصل بجملة كقوله « كم نالني منهم فضلاً على عدم » أو بظرف وجار ومجرور معاً كقوله :

« تؤم سناناً وكم دونه من الأرض محدوداً بأغارها »

تعين النصب قال المصنف : وهو مذهب سيبويه » .

وقال ابن عقيل أن (كأي) مثل كم في الدلالة على التكثير ومميزها منصوب أو مجرور بمن وهو الأكثر : « وكأيٍّ من نبي قاتل معه » وأن لها صدر الكلام لأنها تستعمل للاستفهام أو التعجب .

وجاء في حاشية يس أن كأين فيها خمس لغات وأن ابن مالك قال في الكافية الشافية:

«وفي كأين قيل كائن وكئن وهكذا كأين وكيئن فاستبن»

وقال إن نونها تنوين في الأصل فمنعت من الاضافة نظراً للأصل (الدنوشري) وقال في الأشموني (ج ٤ ص ٦٩) أن تمييز كأين منصوب بخلاف كم الخبرية فتقول كأيّن رجلاً رأيت ومنه قوله :

« وكائن لنا فضلاً عليكم ومنة قديماً ولا تدرون مأمن منعم »

وقوله :

« اطرد اليأس بالرجاء فكائن آلماً حمّ عسره بعد يسر »

وتقول كأين من رجل وقد جاءت في القرآن الكريم مصحوبة بمن وقال الصبان إن الأشموني يقول بأن كأين تشارك كم في معنى الاستفهام وهو نادر ولم يثبته إلا ابن قتيبة وابن عصفور والمصنف واستدل له بقول أبي بن كعب لابن مسعود «كأين تقرأ سورة الاحزاب آية فقال ثلاثاً وسبعين» .

وقال في التصريح على التوضيح أن « كأين » بمنزلة كم الخبرية في خمسة أمور : التكثير والإبهام ولزوم التصدير والبناء وانجرار التمييز إلا أن جرّها بمن ظاهرة لا بالاضافة بخلاف كم قال تعالى : « وكأين من دابة لا تحمل رزقها » وقد ينصب تمييزها تقول : « اطرد اليأس بالرجاء الخ : سبق البيت » وأنها تخالف كأيّن كم في أمورٍ منها : أنها مركبة من كاف التشبيه وأي المنونة وكم بسيطة على الأصح وقيل مركبة من الكاف وما الاستفهامية ثم حذفت الفها لدخول الجار وسكنت ميمها للتخفيف لثقل الكلمة بالتركيب ومنها أنها لا تقع استفهامية عند الجمهور خلافاً لابن قتيبة وابن عصفور وابن مالك ومنها أنها لا تقع مجرورة خلافاً لابن قتيبة وابن عصفور فانهما أجازا بكأيّن تبيع هذا الثوب ومنها ان خبرها لا يقع مفرداً (لا يكون الا جملة) .

وقال ابن عقيل أن كذا مثل كم في الدلالة على التكثير وأن مميزها يكون منصوباً كملكت كذا درهماً وأنها قد تستعمل مركبة ايضاً زيادة عن استعمالها مفردة مثل ملكت كذا كذا درهماً ومعطوفاً عليها مثل ملكت كذا وكذا درهماً ولا يكون لكذا صدر الكلام بل تكون متوسطه مثل ملكت كذا درهماً وعلة ذلك أنها لا تستعمل إلا في التقرير فلا تكون استفهامية ولا تعجبية وذكر في شرح الأشموني (ص ٦٢ ج ٤) ان ابن خروف زعم أنهم لم يقولوا كذا درهماً ولا كذا كذا درهماً بدون عطف وذكر الناظم «أي ابن مالك» ان ذلك مسموع ولكنه قليل وعبارة التسهيل : «وقل ورود كذا مفرداً ومكرراً بلا واو» . وقال ان الكوفيين أجازوا ان يقال كذا ثوب وكذا أثواب بغير تكرار ولا عطف قياساً على العدد الصحيح ولذلك قال فقهاؤهم أنه يلزمه في كذا درهم مائة (لأن مميزها مفرد مجرور مثل مميز المائة) وبقوله كذا دراهم (ثلاثة) وبقوله كذا كذا درهماً أحد عشر وبقوله كذا درهماً عشرون وبقوله كذا كذا درهماً احد وعشرون حملاً على المحقق من نظائرهن من العدد الصريح ووافقهم على هذه التفاصيل جماعة من البصريين منهم المبرّد وجماعة من المتأخرين (ذكرهم الأشموني) وقال في التصريح على التوضيح ان كذا توافق كأين في أربعة أمور : التركيب فإنها مركبة من كاف التشبيه وذا الاشارية والبناء والإبهام والافتقار الى التمييز بمفرد وتخالفها في ثلاثة أمور أحدها أنه يجب في تمييزها النصب فلا يجوز جرها بمن اتفاقاً ولا بالإضافة لأن عجزها اسم لم يكن له قبل التركيب نصيب من الاضافة فأبقي على ما كان عليه خلافاً للكوفيين : أجازوا في غير تكرار ولا عطف أن يقال كذا ثوب وكذا أثواب بالجر قياساً على العدد الصريح وقال الزجّاج يجوز الجر على ضرب من الحكاية وقال الحوفي على البدل من ذا والثاني أنها ليس لها الصدر والثالث أنها لا تستعمل غالباً إلا معطوفاً عليها كقوله :

«عد النفس نعمي بعد بؤساك ذاكراً كذا وكذا لطفانه نسي الجهد»

وقال الزرقاني في كذا: «وقد تكون لغير العدد نحو قال فلان كذا» .

* * *

تذييل وتعليق على بحث العدد

بهذا أكون قد انتهيت من كتابة ما وددت كتابته في بحث العدد وبينت الصفة البارزة التي يتصف بها علماء النحو في كتابة علم العدد وغيره من أبحاث النحو وهي عدم دارامتهم الموضوع دراسة كما ينبغي من حيث إحصاء التراكيب التي وردت عن العرب واستنتاج القواعد منها وضم ما تنتجه الحاجة والتطور في لغات الحديث العربية إذا احتاج الأمر لتكون اللغة حية سائرة مع الزمن ولتبقى كذلك بل جمدوا علم النحو بشكل قواعد عربية أخضعوها للمنطق والفلسفة حيناً وللهوى والرأي الذي لا يستند إلى موجهات معقولة حيناً آخر وتعنتوا وتعمقوا حيث لا يحتاج الأمر الى تعنت وتعمق كما أنهم لم يولوا وجههم حين تدريسها شطر الطريق المجدي في إفادة الطلاب بان يمرنوهم عملياً على استعمال الأساليب العربية وكان ذلك منهم لحاجة في نفس يعقوب قضاها وإنهم لذوو علم وقد ذكرتها في ثنايا البحث قبل الآن وهي تتلخص في الطمع المادي وروح التنافس العلمي القائم على غير بصيرة والذي لا يتوخى الحقيقة المجردة والإخلاص للعلم في أثناء البحث ويتجلى هذا بصورة خاصة في الخلاف الذي قام بين علماء البصرة وعلماء الكوفة في علم النحو خاصة بله غيره من العلوم فكان هم كل من الفريقين ان يخالف القواعد التي أوجدها الآخر بقواعد جديدة أو إضعافها بإيراد شذوذات لا يقبلها الذوق بل كثيراً ما كانوا يخترعون الأبيات ليستشهدوا بها على قاعدة خاطئة علم الله وأولو العلم أنهم لفقوها واحتنكوها لتضليل طلابهم ولا بد لنا نحن الآن إذا أردنا ان ننهج السبيل القويم في دراسة وتدريس

القواعد والكلام بصحة ودقة ان ننفض غبار الفلسفة والمنطق والهوى والتمحك عن أبحاث علم النحو وهذا يتطلب جهوداً قد لا ينهض بها جماعة أو جيل وخير من هذا عندي أن نستقريْ النصوص التي نعتقد بصحتها كالقرآن وما نسلم بصحته من الحديث والآثار وأشعار العرب [على أنه ليس من رأيي الاستشهاد بالشعر في وضع القواعد لكثرة الاحتياج الى الضرورات فيه] وأخبارهم فنستنبط من اللغات الغالبة فيها قواعد نبعد الطلاب عن أن يحفظوها عن ظهر قلب بل يراعونها بكثرة الاستعمال ونرجو أن يصل علماء العربية إلى هذا قريباً والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ٠

مراجع بحث « العدد في علم النحو »

دائرة المعارف الاسلامية « باللغة الفرنسية » بحث عدد ADAD

شرح الصبان على الأشموني « الجزء الرابع »

التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري مع حاشية « يس » } الجزء الرابع

شرح المفصل للزمخشرى : الجزء السادس

المخصص لابن سيده : الجزء السابع عشر

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٠

فهرس الأبحاث

نعيم الحمصي



مخطوطات ومطبوعات

يقظة العرب

ألفه جورج انطونيوس ونقله الى العربية علي حيدر الركابي

يقع الكتاب في خمسٍ وخمسين صفحة واربعمائة . وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورقٍ صقيل مزين بصورات جغرافية ، توضح كثيراً من الأبحاث .

ويقظة العرب كتاب يدل اسمه عليه ، يستهدف على ما قال مؤلفه في مقدمته : (سرد حكاية وتوضيح مغزاها ، وهو لا يرمي الى تدوين التاريخ النهائي والمفصل للحركة العربية ، بل الى رسم الخطوط الكبرى لأصول تلك الحركة ونموها ، والمشاكل الرئيسية التي جابهتها وذلك بعرض متصل للوقائع يتخلله شيء من التحليل ..)

قال : (ولم تسرد هذه الحكاية سرداً كاملاً قبل الآن ، فقد نشر وصف لبعض مراحل القضية العربية هنا وهناك إلا انني لم أعثر في جميع اللغات التي أعرفها على بحث يتناول تلك القضية من أولها ؛ اي منذ ان حركت العرب عوامل اليقظة قبل مئة سنة حتى يومنا هذا . كما انني لا اعلم بوجود كتاب يعتمد في سرد وقائعه المصادر العربية والأجنبية على سواء .... ولهذا رأيت أن المجال واسع لتأليف كتاب يستند الى المصدرين معاً . وان مزيجاً مركباً يجمع بين المصادر والتفاسير العربية وبين الاسناد الغربية لا بد من ان يؤدي الى اظهار الحركة العربية وما رافقها من مسائل في بحث جلي وقوي) .

وبعد المقدمة ، تأتي كلمة المعرب : يعرف بها المؤلف والكتاب تعريفاً صحيحاً . ويقول : (قد يجد القارئ في بعض استنتاجات المؤلف وآرائه ، ما يختلف كثيراً أو قليلاً عن افكاره هو ، ولا سيما عند بحثه لمقدمات الحركة العربية . ولكن

القارىء يغفر هذا ايضاً بالنظر لما يحويه الكتاب من تحليل قيم وآراء محكمة في المواضيع الرئيسية التي تهم العرب ولا سيما في موضوع فلسطين) ٠

(لقد اعترض البعض على تعريب الكتاب بحجة ان العرب عالمون بقضيتهم وليسوا بحاجة الى من يشرحها لهم ، وانه ان نفع قراء الانكليزية فهو لن ينفع قراء العربية ٠ على انني لم التفت الى هذا الاعتراض ليقيني بأن العرب غير عالمين بقضيتهم فهم إذاً محتاجون الى من يشرحها لهم ولا سيما على يد استاذ كجورج انطونيوس ٠ الذي لا يكتفي بأن يضع امامهم صورة كاملة عن حركة لم يروها قبلاً بل انه يعلمهم كذلك الفرق بين أسلوب الخطابة في الدفاع عن قضيتهم وبين الأسلوب العلمي المادي ٠ فلئن نجح الأول في تهييج الجماهير في حالات خاصة ولمدة محدودة فان الثاني ذو أثر نافذ وباقٍ على الدهر) ٠

وبعد ذلك يجيء الباب الأول وعنوانه (البذور الأولى) وقد جعل المؤلف فجر حركة العرب القومية في ديار الشام سنة ١٨٤٧ يوم أسست (جمعية أدبية متواضعة في بيروت يرعاها الأميركان) ٠

ولا يرى المؤلف في الثورات والاضطرابات التي قام بها فخر الدين بالشام ، والوهابيون في جزيرة العرب ـ والحروب التي شنَّها محمد علي على السلطان التركي ـ جزءاً من قصة اليقظة التي يرويها ـ لأنها في رأيه : (حركات متفرقة ناشئة عن دوافع خاصة ولم تكن خطوات منتظمة في سير القومية العربية المتوثبة الى الأمام ـ ولهذا وجب وضعها في المقام الثاني من الأهمية) ٠

وفي هذا الباب يصف المؤلف كيف : (رافق الدعوة الى الاسلام طريقة في التوسع كتب لها ان تؤدي الى فتحٍ كان من أروع المشاهد في تاريخ الفتوحات العالمية ٠ فان قوى الإسلام التي خرجت من قلب الجزيرة اثر وفاة النبي محمد دفعت في كل جهة تستطيع الوصول اليها بطريق البر ٠ ففي الشمال اكتسحت الشام وتقدمت الى الأناضول حيث هددت القسطنطينية ، و الشرق فتحت

العراق وفارس والقسم الأكبر من بلاد الأفغان ـ وعبرت نهر جيحون فدخلت البلاد المعروفة بأسم تركستان ، وفي الغرب استولت على مصر وسواحل شمالي افريقية بكاملها حتى وصلت الى شاطئ الاطلانطي ، ثم انطلقت شمالاً عند جبل طارق فاكتسحت اسبانية ثم اجتازت البرنس ودخلت فرنسة فاستولت على افينيون وكركزون وناربون وبوردو . وفي برهة من الزمن لم تعد المئة سنة بعد وفاة محمد قامت امبراطورية عربية تمتد دون انقطاع من شبه جزيرة ايبريه في الغرب الى سواحل البحر المتوسط الجنوبية فشواطئ نهر السند وبحر الخزر في الشرق . وفي القرون التي عقبت ذلك كان الطرفان الشرقي والغربي لهذه الامبراطورية يتراوحان بين مدّ وجزر . ولكن الزمن الذي سلخه العرب ضمن هذه الحدود المترامية كان كافياً لطبع هذه البلاد بطابع عربي دائم . لقد سطر العرب في حكمهم صفحة باهرة في تاريخ البشرية ، ولم تكن عظمتهم قائمة على انهم فتحوا تلك الأجزاء الواسعة من العالم المعروف ، بل على انهم وهبوها حضارة جديدة) .

ويقرر المؤلف — استناداً على مقال نشره الأستاذ ماسينيون في مجلة العالم الاسلامي : ان ما يقرب من ثلثي سكان فلسطين الحضر المسلمين هم من دم عربي صاف والنسبة اكثر من ذلك في شرق الأردن .

ويقول المؤلف : (ان العرب هم الأكثرية الساحقة من سكان البلاد العربية ، من تحدر منهم من اصل عربي صاف ، ومن لم يتحدر ؛ غمرتهم الموجة العربية جميعاً فاستعربوا تماماً وباتت عاداتهم وتقاليدهم مسكوبة في قالب عربي .... وتضم كلمة العرب النصارى والمسلمين .))

ويتناول المؤلف في كتابه حركة محمد علي وابنه ابراهيم باسهاب ، ويشير الى حركة الوهابيين ، والى أثر الارساليات الأجنبية ؛ وينوه بأثر رجالات العرب كاليازجي والبستاني . والمستعربين أمثال فانديك واسمث والى ما أنشئ من جمعيات علمية وأدبية .

وألمّ المؤلف بالاضطرابات التي وقعت عام ١٨٦٠ فذكر أسبابها ونتائجها بتفصيل قد يحتاج الى تمحيص أعمق مما ذكره المؤلف . نضرب على ذلك مثلاً مازعمه من ان هذه الاضطرابات (عملت على الحد من سلطة الكهنة السياسية فكانت لذلك وبالاً عليهم كما انها ساهمت الى حد بعيد في القضاء على النظام الاقطاعي) أما انها ساهمت في القضاء على النظام الاقطاعي ، فنعم . واما انها حدت من سلطة الكهنة السياسية ، فلا[1] . اذ هي التي خلقت سلطة للاكليروس لم تكن له قبل . وأخطأ في اسباب الفتن وفي معرفة موقديها ، كما أخطأ في اعتقاده ان التعليم في المعاهد التركية كان باللغة العربية ، على خلاف ما كان في المدارس الأجنبية . والحقيقة ان اللغة العربية كانت أكثر إهمالاً في المدارس التركية منها في المدارس الأجنبية .

وفي الباب الرابع تناول المؤلف الاستبداد الحميدي : (١٨٧٦ — ١٩٠٨) فأشار الى الأحداث التي وقعت في أيام عبد الحميد من داخلية وخارجية ، ووصف رجاله والمشروعات التي كانت في أيامه .

وعاد في الباب الخامس الى الحركة العربية من سنة (١٨٦٨ الى ١٩٠٨) وكيف نشأت الجمعيات السرية التي كانت تدعو الى الاستقلال العربي ، وما رافقها من نهضة علمية وأدبية والرجال الذين عملوا لها .

وفي الباب السادس تحدث عن الجمعيتين : العربية الفتاة ، وتركيا الفتاة : (١٩٠٨ و ١٩١٣) والحروب والثورات التي قامت في ذلك العهد ، والرجال الذين عرفوا فيه

وجعل عنوان الباب السابع : (الحرب والجهاد سنة ١٩١٤) فوصف الثورة العربية ـ التي قام بها الحسين بن علي وهي الثورة التي افتتحت بحق عهد الاستقلال العربي ـ وصفاً مسهباً .

---

(١) كان البطريرك الماروني نفسه الى ما قبل سنة ١٨٦٠ يلجأ الى مشايخ بني معروف ليتوسطوا له — حتى في أموره وقضاياه الخاصة — لدى الباشا . راجع تاريخ بكفيا للشيخ ادمون بليبل ، ووثائق دير الأحمر ، ومحاضرتنا عن بني معروف .

وفي الباب الثامن : بيان للمؤامرة التي دبرها رجال العرب على الحكم التركي .

وفي الباب التاسع : ضمان بريطانية لهذا الاستقلال ، وما كان من مفاوضات بينها وبين الشريف ، ثم ما كان من مراوغتها واحتيالها في تفسير هذا الضمان .

وفي الباب العاشر وما بعده الى السادس عشر : حديث الثورة العربية ، ونتائجها ؛ والعهود المتناقضة التي قطعت للعرب ، والتسوية التي عقبت الحرب ، والأقطار العربية ، والانتداب عليها .

والكتاب على ما تدل فصوله والمقاطع التي استشهدنا بها ، جزيل الفائدة ، لا يستغني عنه عربي يعنى بوطنه وتاريخه ، وحبذا لو ان المعرب كان اكثر عناية بلغة هذا الكتاب المفيد .

غير ان ذلك لا يقلل كثيراً من شكر المعرب على ما أسداه من خير لأمته ، ونستمطر الرحمات على جدث المؤلف ، فقد خلَّد التاريخ العربي له اسمه في صفحة المحسنين .

عارف النكدي

رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة

تأليف ابي علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء

يقع الكتاب مع فهارسه وجداول مصادره في مئتي صفحة . حققه الأستاذ صلاح الدين المنجد وجعله جزءاً أول لرسالة ألفها « في (الدبلوماسية) : الرسل والسفراء في بلاد الغرب وبلاد العرب » .

أما كتاب ابن الفراء : (رسل الملوك) فموضوعه كما يدل عليه اسمه : (من يصلح للسفارة والرسالة ، ومن أمر بارسال رسول ومن ينهى عن ذلك . وكيف ينبغي لمن ارسل الى ملك ان يعمل من الاحتياط لنفسه ولمن ارسله . ومن ذُم من الرسل ومن حُمد) .

استهل المؤلف كتابه بما جاء في كتاب الله من ذكر الرسل ؛ ثم اسماء رسل الرسول ، ثم ما قيل في الرسول وفي الكتاب : (الكتاب يد والرسول لسان) .

وفي الكتاب ذكر لكثير من آداب الرسول وما يجب ان يتحلى به : (اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ، ومهاتك ومناظرتك والنيابة عنك ، رجلاً حصيفاً بليغاً ، حولاً قلباً قليل الغفلة منتهز الفرصة ذا رأي جزل ، وقول فصل ، ولسان سليط ، وقلب حديد ، فطناً لطائف التدبير ، ومستقلاً لما ترجو او تحاول بالحزامة واصابة الرأي ... حاضر الفصاحة ، مبتدر العبارة ، ظاهر الطلاقة ، وثاباً على الحجج ، مبرماً لما نقض خصمك ، ناقضاً لما ابرم يجعل الباطل في شخص الحق ، والحق في شخص الباطل ، .... محتالاً في محاورته ومكائده ، جامعاً مع هذا العلم الفرائض والسنن ، والأحكام والسير ، ليحتذي مثال من سلف فيما يورده ويصدره ، عالماً بأحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال ، ليناظر كلاً بحسب ما يراه من صوابه وخطائه . وليكن من اهل الشرف والبيوتات ، ذا همة عالية ، فانه لا بد مقتفٍ آثار اوليته ، محب لمناقبها ، مساوٍ لأهله فيها ...)

الى غير ذلك من الصفات التي رأوا ان تجتمع للرسول . وفيه : قالوا رسول الرجل مكان رأيه ، وكتابه مكان عقله .

وقال الشاعر :

تخيّر رسولك ان الرسول يدل على عقل من ارسله
تراه اذا كان ذا حكمة يبلّغ احسن ما حمله
فيبرم منتقضات الأمور ويفتح أبوابها المقفله
ويرجع ان كان ذا غرةٍ عليه الأمور التي هنّ له

وقيل لعبد الله بن العباس : «ما منع علياً رضي الله عنه ان يرسلك يوم الحكمين ؟ فقال : منعه والله حاجز القدر ، ومحنة الابتلاء . ووالله لو وجّهني لجلست في مدارج أنفاسه ، ناقضاً لما ابرم ، ومبرماً لما نقض ، اسفّ اذا طار ، واطير اذا اسفّ . ولكن مضى قدر ، وبقي أسف . والآخرة خير لأمير المؤمنين .»

وفصول الكتاب عامرة بالنصائح ، جامعة لبليغ القول ، وبالغ الحكمة .

أما الجزء الثاني فيحتوي على فصول وأبواب ، فيها تعريف للسفير ، وبحث في السفارة والسفراء عند القدامى من الفرس والمصريين والعبرانيين واليونان . وفي القرون الوسطى وما بعدها . وتصنيف للرسل والسفراء . وذكر للأعمال التي يقومون بها ، ولما لهم من حقوق وعليهم من واجبات . والصفات التي يتحلون بها . وكلام عن السفراء وعن رفضهم ، وعن أوراق اعتمادهم ، ومراسم استقبالهم ، وحصانتهم ، ومميزاتهم ، والرسل والسفراء عند العرب ، وتحديد لغوي للرسول والسفير ، وانتقاء السفراء من حيث الخُلق والخَلق ، الى غير ذلك من الأبحاث القيمة التي عاناها الأستاذ المنجد بعلم وفهم ، وتدقيق وتمحيص .

فالشكر له على ما حقق ، وعلى ما ألف .

ع . ن



الخلافة

تأليف : السير توماس آرنولد

أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن

ترجمة : جميل معلّى

يبذل كثير من المستشرقين جهدهم فيما يكتبونه عن الإسلام وأهله ، وفيما يستنبطونه ويعلقونه على الأطوار التاريخية التي مرت به ، وكتاب السير توماس آرنولد من هذا النوع ، فقد وصف الخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وفي زمن الأمويين والعباسيين ، وعرض الى تأسيسها في القاهرة ، والى علاقات الخلفاء العباسيين بالأمراء الآخرين في العالم الاسلامي ثم وصف المؤلف الخلافة أيام أسس السلاطين من آل عثمان الملك ، وقد أعادوا للخلافة قوتها وفتوتها ، ومدوا ظلالها في الشرق والغرب ، ثم طرأ عليها الضعف والانحلال فأفل نجمها وزال .

لكن كثيراً من المستشرقين حتى المنصفين منهم تقع لهم أغلاط فيما يكتبون عن

العرب والمسلمين لضعفهم في لغة القرآن ، ولبعدهم عن روح الاسلام ومقاصده ، وستأتي شواهد ذلك من هذا الكتاب .

أما ما يشكر عليه السير توماس فهو تفريقه بين منصب الخليفة في الاسلام ومنصب البابا في النصرانية ، وأن مهمة الأول الدينية لا تحتاج الى الحصول على صفة روحية معينة كما يقرن ذلك في عقيدة الكهنوت المسيحي ، وقد ضل الباحثون ضلالاً كبيراً لعدم إدراكهم فقدان الكهنوت في الاسلام ، فالعقيدة الإسلامية تضمن علاقة بين المرء وخالقه مختلفة كل الاختلاف عما يعلمه نظام ديني يحوي عقيدة التجسد .

قال : « وبناء عليه فليس ثمة انفصال بين الشريعة والدولة في العالم الاسلامي ، هذا الأمر الذي كان مصدر نزاع عظيم في المسيحية » (راجع ص ١ — ٦ وهو الفصل الأول من كتابه) .

وقد أصاب السير توماس ببيان هذا الفرق بين الخليفة الروحي غير المسلم الذي يشرع ويحلل ويحرم وبين الخليفة المسلم الذي لا يدعي أنه ينفرد بتلقي الشريعة عن الله ، أو أن له حق الأثرة بالتشريع ، ولا يدعي أنه مؤيد بالعصمة ، بل لا نعرف في الاسلام أقل حق يمتاز به أكبر خليفة عن أصغر واحد من الرعية ، وليس الإمام إلا حافظاً ومنفذاً للأحكام العادلة ، المأخوذة أو المستنبطة من النصوص الشرعية العامة ، تحت مراقبة أولي الأمر وهم أهل الحل والعقد والشورى في الاسلام ، ويبقى له هذا الأمر ، وتجب طاعته فيه ، وإعانته عليه مدة استقامته كما أمر ، فاذا اعوج وجب تقويمه بالكلام أو بحد الحسام ، يؤيد ذلك قول عمر (رض) « إن رأيتم في اعوجاجاً فقوموني بألسنتكم » قالوا : بل نقومك بسيوفنا ، فاإذا لم يرجع الى الحق وجب خلعه ، ما لم تترتب على ذلك مفسدة ، أكبر من مفسدة بقائه .

وأما أغلاطه (غير المطبعية) في القرآن فكثيرة منها قوله في ص ١٦

« بقوله تعالى : وثأرنا عليهم وأصبحا كلاهما إماماً جلياً » كذا ! فهل في الدنيا مسلم يقول إن هذه آية قرآنية ؟ وما أدري كيف غفل المترجم ، وصاحب المقدمة — وكلاهما مسلم — عن هذه الجملة ، وما المراد منها يا ترى ؟

وفي ص ١٦ ايضاً : في سورة البقرة الآية ١١٨ : قال إني جاعلك إماماً » وهي « للناس إماماً » الآية ١٢٤

وفي ص ٢١ : ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم » وهي « ليستخلفنهم (بنون التوكيد) في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم »

وفي ص ٦٤ « تعطي الملك لمن تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وترفع من تشاء ، وتذل من تشاء ، إنك على كل شيء قدير » آل عمران الآية ٢٥ . والآية الكريمة هي : « تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير » الآية ٢٦

وفي ص ٥٣ (واتقوا الله) : « فاتقو الله » . (« وانفعوا خيراً لأنفسهم » : « وأنفقوا خيراً لأنفسكم ») وهي الآية ١٦ من سورة التغابن . وفي ص ٥٣ (جاشوا خلال الديار) : « جاسوا » .

وفي ص ٧٥ (وهو الذي جعلكم خلائف على الأرض) « خلائف الأرض » الأنعام ١٦٥ (وفي ص ٨٠ و ٩٣ و ٩٤ « وجعلناكم خلائف على الأرض » والصواب « ثم جعلناكم خلائف في الأرض » وقد قال عن هذه الآية في ص ٩٤ من كتابه : (الأنعام الآية ١٦٥) وإنما هي في (يونس الآية ١٤) وآية الأنعام : « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض » كما تقدم .

والمؤلف غير ملوم في هذه الأغلاط لأنه أعجمي ، وإنما الملوم المترجم لأنه عربي ، وهو يشير أحياناً الى السورة والآية ، لكنه لا يرجع اليهما ، ولو فتح كتاب « المرشد الى آيات القرآن الكريم » ، لوجد الآية التي يفتش عنها بأيسر ما يمكن من الوقت ، ولكن هذا البلاء عم ، فانا قلّ أن نقرأ في هذه الصحف

المنشرة آية صحيحة، وما ينبغي ان يكون ذلك، بل يجب على الكتاب والمترجمين أن يكونوا من أشد الناس ضبطاً وعناية بهذا الوحي الكريم، الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد».

واليك شواهد غلطه في الحديث وتحريفه للكلم: قال في ص ٤ فعبد(١) او بدوي او شاب أحاس ابن زنا يمكنه ان يؤم الناس) وكتب في ذيل الصفحة ما يأتي: (١) البخاري المجلد الأول الصفحة - ١٨١ - السطر ٤ - ٥ وكنز العلماء المجلد الرابع رقم - ٢٧٠ - ١ه (وفي جدول الخطأ والصواب ٢٧٠٠)

وقد عدنا الى البخاري فوجدنا الحديث في كتاب الأحكام من المجلد الرابع ج (٧) طبعة استانبول ونصه: اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» فحرف الحديث ونقل عن موضعه وبدل لفظة زبيبة بابن زنا!!.. فيا للعجب، وأين هذا من ذاك.

وأما كتاب كنز العلماء الذي يشير اليه وينقل عنه كثيراً، فلا نعرفه، وإنما المشهور: كنز العمال، ومنتخبه المسمى بمنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، وهو المطبوع على هامش مسند الإمام احمد والمشتمل على اثنين وثلاثين ألف حديث خالية عن التكرار، والحديث فيه بلفظ زبيبة (لا ابن زنا) وعزاه الى البخاري، واحمد وابن ماجه (ج ٣ ص ١٤٦).

هذا وان في ص ٢٤ و ٢٥ احاديث أخرى في الخلافة والإمارة، منقولة من الكتاب المسمى (كنز العمال) معدودة بأرقامه المسلسلة.

وهنا نذكّر الأستاذ المترجم بأنه إذا كانت أمانة الترجمة تقضي بالمحافظة على الأصل ولو كان محرفاً، فإن أمانة العلم والاسلام توجب تصحيح الآيات والأحاديث المترجمة: على القرآن الكريم وكتب السنة المعتمدة، كما فعل الأستاذ المدقق الأمين محمد فؤاد عبد الباقي في كتاب: مفتاح كنوز السنة الذي وضعه بالانكليزية الدكتور: ا. ي. فنسنك، بل يجب الرجوع إلى الأصول والمصادر العربية في كل ما ينقله الأجانب عنها اتقاء لهذا التحريف العجيب.

ولننتقل الآن إلى الأغلاط التاريخية : قال ص ٣ : ولكنه (أي الحديث) دوّن في الكتب الدينية في القرن الثالث الهجري .

أقول «بل المعروف أن الخلافة لما أفضت إلى الإمام العادل عمر بن عبد العزيز كتب — على رأس المائة — إلى عامله وقاضيه في المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله (ﷺ) فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء ، وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية التي توفيت سنة ٩٨ وكذلك كتب الى عماله في أمهات المدن الاسلامية بجمع الحديث وهذا مبدأ تدوين السنة .

وقال ص ١٠ إن أثر المصالح الدينية كان ضئيلاً في وعي الجيوش العربية الفاتحة التي اكتسحت سوريا وفلسطين والعراق وفارس ، إذ لم يكن هذا التوسع للعرق العربي سوى هجرة شعب نشيط قوي ساقه الجوع والحاجة إلى مغادرة صحاريه القاحلة الخ .

وهذا خطأ تاريخي أيضاً : فقد كانت المهمة الأولى والهدف الأسمى للعرب نشر الدعوة الدينية ، وبث الأمن في البلاد ، ورفع لواء العدل بين الجميع ، أرأيت ذلك الصحابي الجليل ، والقائد العظيم خالد بن الوليد ، رضي الله عنه ألم يردّ على أهل حمص أموالهم ، إذ اضطر أن يعود بجيشه الى اليرموك ؟ وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم ، فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد ؛ فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، فلما هزمت الروم وظهر المسلمون عليهم ، فتحوا مدنهم واستقبلوهم بمظاهر الفرح وأدوا لهم الخراج . أو لم يقل الامام العادل عمر بن عبد العزيز : إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً . وقال يحيى بن سعيد : بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها ولم نجد من يأخذها . فهل

في هذه الأمم الغنية والدول القوية وهي شعوب الحضارة والمدنية في هذا العصر أمثال من ذكرنا ؟ أولئك آبائي فجئني بمثلهم .

وما ذكره السير توماس في ص ٧٦ ـ ٨٣ من ألقاب الخليفة ومنها خليفة الخالق المختار ، وظل الله على الأرض ، وخليفة الله في طول الأرض وعرضها الخ . فالمؤلف يستعرض الخلافة في كتابه هذا في جميع أطوارها التاريخية ، وهذا الدور من أدوار التقهقر والخذلان ، أيام تغلغل نفوذ الأعاجم — الذين لم يرسخوا في الاسلام رسوخ أهله العرب فيه — فتعطلت احكام الخلافة ، وعادت اسماً بلا مسمى ، ولفظاً بلا معنى ، وطفق المتملقون والمستجدون من الشعراء يكيلون المدح لمن سموهم خلفاء المسلمين جزافاً ، وانتهى الأمر باجتياح التتار بلاد المسلمين والقضاء على الخلافة الاسلامية العربية ، أما الخلافة ايام ازدهارها واعتزاز العرب والمسلمين بها فكان الخلفاء في ذلك العهد الميمون يأبى عليهم ورعهم أن يسمعوا هذا الغلو ويقروه ، ولما قال رجل للخليفة الصالح الأموي عمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله في الأرض . قال له عمر : مه ، فلست كذلك . وفي كتاب الخلافة مواضع كثيرة للبحث ، ومواقف ومجالات للنظر والنقد ، لو أردنا تقييدها وتفنيدها لاستغرق ذلك حجم نصف (الخلافة) على الأقل ، كإيراد ما جاء به المؤلف من ذكر الإمامة والخلافة ، وتحقيق معناهما والمراد منهما في آيات من القرآن الحكيم ، وكدعواه أن علماء المسلمين أنفسهم اعترفوا اعترافاً صريحاً بأن بعض الأحاديث التي تزعم أنها من نفس مأثور كلام النبي كانت تزويراً واضحاً ، ولكن عندما نسقت معالم مجموعاتها نهائياً في القرن الثالث الهجري ثبتت دون ما سؤال ، واعتبرت مما لا يقبل اي مناقشة او جدل (ص ٣ و ٤) وما ندري من أين جاءه العلم بهذا الزعم حتى بنى عليه هذا الحكم الجائر ، فان الأحاديث وأسانيدها منسقة أتم تنسيق ، وواضح فيها الصحيح والضعيف والمكذوب ، وعذر المؤلف وأمثاله ، عجمتهم وغربتهم عن الاسلام وأهله ، ويا رحمتا لشباننا الذين يحملون

إلينا هذه المعلومات الطريفة ، ويحاولون فينا الاصلاح بالتغيير والتبديل ، وينصبون أنفسهم موازين للجرح والتعديل ! !

وقول المؤلف في أواخر كتابه ص ١١٢ قبل ملاحقه الخمسة : « ويبدو أنه لا أمل مباشر لجماعة سياسية أن تؤسس في العالم الاسلامي تحت زعامة الخليفة في الظروف الراهنة كما تطلب العقيدة الاسلامية » فالجواب أن الأمل كان ضعيفاً أيام ظهر كتاب الخلافة سنة ١٩٢٤ بعد ان مزقت الدول القوية بلاد العرب والمسلمين شر ممزق ، أما الآن فان الله تعالى قيض للاسلام حماة ودعاة في الشرق والغرب ، وأنشئت جامعة الدول العربية ، ودولة الباكستان الهندية ، وبدأ ينقشع عن محيا العروبة والاسلام ما علق به من تضليلات الشعوبية والشيوعية الهدامتين ولله الحمد .

وقال متعجباً : ولم تزل نظرية الخلافة تجد انصاراً لها بين علماء الدين الذين يتغاضون عن ظروف العالم المتبدلة ، ويشرحون عقيدة الخلافة كما لو أنهم لا يزالون يعيشون في القرن التاسع الميلادي » .

لقد اخرت نقل هذه الكلمة عنه ، وإن وردت في طلائع كتابه ، لنستدل بها على مقصوده منه ، وهو ان هذه الخلافة التي انشئت لحراسة الدين وسياسة الدنيا ، لن تعود الينا من بعد ان قضي عليها مرة اخرى ، وانك تجد هذا المعنى واضحاً في كثير من فصول هذا الكتاب .

ونحن نكتفي بايراد كلمة مجملة في وصف الخلافة يتبين منها أنها تفضل غيرها من الحكومات المدنية في القرن العشرين : إن الخلافة في الاسلام هي روح الديموقراطية الحرة ، لأنها تستمد قوانينها من كتاب الله الحكيم ، وسنة النبي الكريم ، ومن مميزات هذه الحكومة الاسلامية على سائر الحكومات النيابية المدنية ، ان قوانينها مبنيّة على الفضيلة والعدل « لا ضرر ، ولا ضرار » بخلاف هذه القوانين التي تبيح كثيراً من الضرر بالنفس والعقل والعرض والمال ، ومن مميزاتها الرجوع

عند تنازع اولي الحل والعقد ، الى كتاب الله تعالى وسنة النبي (ﷺ) وهما الأصلان اللذان تسلم الأمة لحكمها تسليماً ، والقول في كل مصلحة لما كان اهدى سبيلاً ، وادنى الى المصلحة العامة ، بخلاف المجالس القانونية التي كثيراً ما تحكم الاكثرية فيها بما يملي عليها الهوى والظلم ، او المصلحة الخاصة ، وتخالف الحق الصريح مخالفة ظاهرة ، فلا هي معتقدة بصحة حكمها ، ولا الاقلية المنصفة مقتنعة بفساد رأيها ، ولكنها تكون مغلوبة للاكثرية (كقرار الاكثرية المزعومة في منظمة الأمم المتحدة ، القاضي بتقسيم فلسطين بين اهلها والمعتدين عليهم !!)

هذا وقد طبع الكتاب في دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق ، وليس في الترجمة غموض ولا التباس ، وانما نرجو من المترجم ان يعود الى مصادر الكتاب العربية في الطبعة الثانية إن شاء الله لتطمئن النفس بصحة النقل .



محمد بهجة البيطار

علم الأمراض الباطنة (الجزء السادس)

تأليف الدكتور حسني سبح

ان مؤلّف هذا الكتاب أشهر من أن يُعرّف فهو رئيس الجامعة السورية واستاذ الأمراض الباطنة وسريرياتها في كلية الطب بدمشق وعَلَم من أعلام الطب في سورية وقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً له تقديراً لعلمه ومنزلته الثقافية الرفيعة .

والمؤلَّف الذي نحن في صدده هو الحلقة السادسة من موسوعة طبية باشر المؤلّف طبعها فأنجز منها خمسة مجلدات ضخمة وهو اليوم يتحفنا بالمجلد السادس منها وموضوعه « امراض جهاز البول والدم » فلا يبقى لاكتمال هذه الموسوعة الا المجلد السابع الذي يبحث في التغذية والغدد الصم ولا نغالي اذا قلنا ان هذه المؤلفات تحفة ثمينة بل قلادة نفيسة في جيد لغة الضاد .

ان من يلقي نظرة عجلى على ما يقوم به الأستاذ سبح من الأعمال الكثيرة يعجب اشدّ العجب لعظمة هذه الأعمال وقصر الوقت الذي تُنجزُ فيه ولكنه متى درس حياة هذا الرجل العالم العامل ووقف على سير اعماله قلّ عجبه فان الأستاذ سبح لا يُضيع دقيقة واحدة من يومه الا ويستخدمها في العمل النافع المجدي ، فهو ينظم ساعات عمله تنظيماً دقيقاً فيقوم برئاسة الجامعة السورية وما تتطلبه ادارتها الواسعة من الوقت بعد ان افتتحت فيها كليات اربع جديدة ، ويرأس الدروس السريرية الباطنة في كلية الطب ، ويلبي طلبات مرضاه الكثيرين الذين يتهافتون على عيادته للاستفادة من علمه الوافر ، ويصرف ساعات ليله وصباحه الباكر في التأليف والمطالعة . يقوم الأستاذ سبح بهذه الأعمال المرهقة مثابراً عليها منذ عدة سنوات بدون ملل او كلل فلا عجب اذا ما اتحفنا في كل مدة بثمرة يانعة من ثمار جدّه .

وهذا المؤلف الذي نتصفحه هو احدى هذه الثمار الأخيرة فهو يقع في زهاء ستمائة صفحة وقد طبع في مطبعة الجامعة السورية طبعاً متقناً على ورق صقيل رغماً من غلاء الورق وزين بسبعة واربعين رسماً وأردف بمعجم للمصطلحات الطبية التي وردت فيه . ويشتمل هذا الكتاب على الأبحاث التالية :

١ً — كليّات في امراض جهاز البول مشتملة على لمحة تشريحية وفيزيولوجية لهذا الجهاز ، وعلى استقصاء الكليتين والطرق البولية سريرياً وشعاعياً ، وعلى التناذرات الكلوية البولية من وذمة وبيلات آحينية ودموية وخضابية وقيحية وبُوَال وبوالة وإبالة (اي انقطاع البول) وأسر (اي انحباس البول) واوريميا وفرط التوتر الشرياني الكلوي وغير ذلك .

٢ً — امراض الكليتين وتشتمل على احتقان الكليتين والتهاباتهما الحادة والمزمنة وتنكساتها وسلها وأورامها الخبيثة والسليمة ثم على امراض الحويضة والكؤوس والرمال البولية وعلل المثانة والاحليل اجمالاً .

٣ — امراض الدم والأعضاء المولدة له التي تشتمل على ابحاث عديدة جزيلة الفائدة ·

وقد دوّنت في هذا الكتاب احدث النظريات وطرائق المعالجات فجاء بما فيه من ابحاث ومستحدثات مماثلاً لأرقى المؤلفات الأعجمية في يومنا · وقد أردف الكتاب بفهرس مرتب على حروف المعجم فسهل به الوصول الى البحث الذي يريده المطالع بدون ايّ عناء ·

فالله نسأل ان يطيل حياة زميلنا العلامة النشيط ليتحف خزانة الكتب العربية آونة بعد اخرى بهذه الدرر الغالية ·

الدكتور مرشد خاطر

موجز علم الأمراض الباطنة (الجزء الأول)

لمؤلفيه الدكتورين حسني سبح وبشير العظمة

لم نكد نكتب كلمتنا في تقريظ الجزء السادس من كتاب الأمراض الباطنة حتى بعث الينا المجمع العلمي العربي بمؤلف ضخم هو الجزء الأول من موجز علم الأمراض الباطنة لنقول كلمتنا فيه · وكأني بالأستاذ سبح لم يكتف بوقف نفسه على اعلاء شأن الطب وتزيين خزانة الكتب العربية بمؤلفاته النفيسة بل اراد ان ينفخ روح الجدّ والعمل والتأليف في زملائه ومساعديه فوقع اختياره على شابّ من أحدّ الشبان ذكاءً وأشدّهم جَلَداً وأوسعهم علماً هو الدكتور بشير العظمة الأستاذ المرشح للأمراض الباطنة في كلية الطب وبدءُ الأستاذ اليمنى في هذه الشعبة فأدخله هذا المعترك وشجّعه على المضي في شقّ هذا الطريق الوعر الذي تكتنفه الأشواك فكان موفقاً في اختياره · وبرهاننا هذا الكتاب النفيس الضخم الذي نتصفحه معجبين بما فيه من اتقان وغزارة مادة وايجاز حتى كأن الأبحاث فيه قد استخلصت خلاصاتها او كدّست ذراتها فقلّ كلامها وكبر مدلولها · وقد كان عجبنا كبيراً بعد ان وقع نظرنا على تاريخ طبع هذا المجلد وطبع الجزء السادس من الأمراض الباطنة ورأينا أنهما أنجزا في سنة

واحدة . اننا نكبر همة الأستاذ سبح التي لا تعرف الكلل ونثني الثناء العاطر على همة زميلنا الشاب الأستاذ عظمة التي نتمنى لها الازدياد المطرد لتكون مماثلة لهمة أستاذه وشريكه في التأليف .

ان وفاء هذا الكتاب حقه من التقريظ يتطلب تسويد عدد عديد من الصفحات لا يتسع لها صدر هذه المجلة ويكفينا ان نقول فيه انه تحفة نادرة قلّ ان وقعت العين على ما يماثلها في لغة الضاد سواء أبإتقان اللغة التي صيغ بها أم بجمال الأبحاث التي تضمنها ام بجودة الطباعة والرسوم والورق الصقيل الذي نُسجت منه بردته واننا نكتفي بالقول ان هذا الكتاب يضمّ بين دفتيه خلاصة مجلدات ثلاثة من موسوعة الأمراض الباطنة التي ألفها الأستاذ سبح وكثيراً من الأبحاث الجديدة التي لم تنشر في الكتب السابقة . فهو يشتمل على الأمراض الانتانية والطفيلية والأمراض الناجمة عن العوامل الحكمية والكيماوية وامراض التغذية وامراض جهاز الهضم ويقع في ١١٠٧ صفحات من قطع الثمن على الرغم من دقة الأحرف المطبعية ومن الاقتضاب في الكتابة . وقد زيّن بثمانين رسماً وصدّر بفهرس عام للمواد .

اننا نرجو الاّ يطول الوقت فنرى الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس تتداوله أيدي الطلبة ويتصفحه الزملاء المتعطشون الى أبحاثه الماتعة .

الدكتور م . خ

علم الأمراض الباطنة (الجزء الخامس)

امراض جهاز الدوران تأليف الدكتور حسني سبح

مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٦٣ — ١٩٤٤

عدد صفحاته ٧٧٢

هو الحلقة الخامسة من ذلك العقد الفريد في الأمراض الباطنة الذي بدأ صوغه الزميل الفاضل الدكتور حسني سبح عميد الجامعة السورية واستاذ الأمراض الباطنة

وسريرياتها ورئيس المعهد الطبي العربي منذ سنة ١٩٣٥ وتترقب العربية اتمامه لتضيفه الى تلك الحلي الطريفة التي يتحلى بها جيد لغتها العلمية في هذا العهد الانشائي الذهبي من نهضتها الحديثة ٠

بحث فيه المؤلف في كليات امراض جهاز الدوران من حيث التشريح والفزلوجيا واسباب علل القلب والاعراض الوظيفية لعلل جهاز الدوران وفحص القلب سريرياً وشعاعياً والتخطيط القلبي الكهربائي والأسس العامة لمداواة علل الدوران ثم بحث في امراض القلب وامراض الشغاف وآفات المصاريع واضطراب نظم القلب وامراض العروق الشريانية والوريدية والشعرية وذلك بلغة سهلة فصيحة ٠ وفي الكتاب رسوم حسنة الوضوح وهو حسن الطبع جيد الورق على الرغم من ظرف الحرب العصيب الذي ظهر فيه ٠ وقد اعتذر المؤلف لعدم اضافة معجم لغوي الى الكتاب شأنه في الأجزاء السابقة واعداً تلافي هذا النقص في الجزئين التاليين ٠

الدكتور أسعد الحكيم

من عمر ابو ريشة (شعر)

نشرته دار مجلة الأديب ، طبع في مطبعة الكشاف ببيروت عام ١٩٤٧
وضع رسومه الأستاذ الفريد بخاش ، يقع في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير

هو مجموعة أشعار للأستاذ عمر ابو ريشه مفعمة بدقة الحس ، وقوة الخيال وروعة الفن ٠ فقد أوتي صاحبها من قوة الخيال وبراعة التصوير ما جعله يبدل المرئيات ويقلبها الى صور رمزية يفوح منها شذا الحب والحنين ٠ فكأن الطبيعة عنده مسرح صور متحركة او رمز سحري لرؤى أحلامه العذبة ٠ فهو لا يرى في الأشياء الا نفسه ، ولا يجد في حياة الأكوان الا ما يجده في نفسه من الفرح ، والحزن ، والرغبة ، والأمل ، والقلق ، والشك ، واليأس ٠ لقد عرف نضارة الحياة وذاق حلاوتها ومرارتها ، ولكن بشفتيه لا بشفتي غيره ، وأدرك

مصير البشرية ، وعرف بؤسها وشقاءها ، ولكن بشعوره وعاطفته ، لا بعقله . الطبيعة بأسرها رمز لما يشعر به ، أو هي صورة محسوسة للتعبير عما في نفسه من الآمال والأحلام .

وهو في ذلك يقول :

لمن الأرض ان سلاها بنوها وتناسوا سخاءهـا الهتانا
وهبتنا من قلبها خفقة القلـ ـب وشدت بساعديها قوانا
فهي مرآتنا ومرآة مسرا نا ومرآة سخطنا ورضانا

* * *

عالم الوهم نحن صغنا رؤاه واردناه ان يكون فكانا
لست تستطيع ان تكون الهاً فان اسطعت فلتكن انسانا

فنحن نخلق عالم الوهم ونصوغ رؤاه ، ونعصر أرواحنا ونغسل بهـا الطبيعة فتصبح الأرض مرآة لنفوسنا كما نصبح نحن مرآة لها وتغدو الأشكال والحركات والظلال والنسمات رمزاً حسياً لأفكارنا وعواطفنا وشكوكنا وآلامنا .

ان في هذا الشعر ظاهرة من الألم والقلق وتشاؤم ، وموجة من الأنفة والكبرياء والعنفوان ، وفيه موسيقى لفظية والحان تذكرنا بالشعر المحض او الشعر المطلق الذي يثير العواطف بقوالبه والفاظه ، ويوحي الى النفس بالصور والأحلام . وفيه سخط على الحاضر ، والتفات الى الماضي ، وتطلع الى المستقبل ، وشباب غض ، ووطنية صادقة ، وايمان بالحب ، واخلاص للمثل الأعلى .

جميل صليبا



الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة

تأليف سليم حسن ، وهو في جزئين ، الأول في (٤١٢) صفحة ، والثاني في (٢٣٨) صفحة من القطع المتوسط ، طبع في القاهرة .

جمع المؤلف في الجزء الأول القصص والحكم والتأملات والرسائل في الأدب الفرعوني ، وخص الجزء الثاني بالدراما والشعر المصري القديم وفنونه .

لقد سبق المؤلف كثيرون من علماء الغرب الى معالجة هذا الموضوع والتوسع في دراسته ، غير ان دراساتهم كانت مشتتة في مصادر مبعثرة ولغات أجنبية متعددة ، جعلت الاحاطة بها عسيراً بل متعذراً على غير من لا يحسن هذه اللغات او بعضها ، ولذلك نجد العرب ـ ما خلا نفر قليل منهم ـ غرباء عن هذا الموضوع لا يعرفون عن دقائق تاريخ الشعب المصري القديم الا النذر اليسير ، مع انهم أقرب الناس صلة بتاريخ هذا الشعب وأحوجهم الى معرفة دخائله والوقوف على فجر نهضته الأدبية . فقد جاء هذا الكتاب خير منجد لمن امتنعت عنهم الأصول ، فوفر على الباحث العربي عناء البحث والطواف ، إذ اودع فيه الأستاذ المؤلف أهم ما وعته المصادر الأجنبية معززة بدراساته الخاصة وابحاثه ، فهو في مجموعة من أمتع الكتب التي من نوعه وأوفرها مادة وأدقها تحقيقاً ، سدّ به ثلمة في مصادرنا العربية طالما شكونا فراغها وتطلعنا الى أسرارها . جمع لنا الأستاذ في كتابه هذا مادة غزيرة صورت لنا احسن تصوير ناحية شيقة من الأدب الشرقي القديم الذي ازدهر في مصر قبل خمس آلاف سنة ومنها أشرق على العالم القديم بنوره حاملاً له أساليب فنونه .

نشر الأثريون هذا الأدب منذ عشرات السنين بعد ان استخرجوه من جوف الأرض حيث كان يرقد في اطلال المعابد وظلمات القبور . فنشكر للأستاذ المؤلف عنايته وجهده .



جعفر الحسني

ارشاد الأعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب

بقلم الفيكنت فيليب دي طرازي

عدد صفحاته ٣٧٨ ، بقطع متوسط

طبع بمطبعة جوزف صيقلي في بيروت سنة ١٩٤٧

يبحث هذا الكتاب في تنسيق دور الكتب ويشتمل على ثلاثة أبواب :

يبحث الباب الأول في أبحاث عامة في تنسيق العلوم والكتب ، ويحتوي على المباحث الآتية : نشأة المعارف البشرية ، تنسيق العلوم ، تنسيق الكتب ، فهارس الكتاب والكتب عند العرب ، وتنسيق العلوم وتطبيقه على الكتب العربية .

ويبحث الباب الثاني في التنسيق العربي ، ويحتوي على المباحث الآتية : استنباط التنسيق العشري [1] ، تنسيق مواضيع العلوم ، مواد اقسام المعارف البشرية ، نظام التنسيق العشري ، تشعب المعارف البشرية وتسلسل ارقام التنسيق ، مباني العلوم وقابليتها للزيادة والتوسع ، اغراض جداول التنسيق العشري وانواعها ، انواع الفهارس الكتابية ، اصول استعمال التنسيق العشري ، وتعديل التنسيق العشري .

ويبحث الباب الثالث في جداول التنسيق العشري فالقسم المرقم بصفر يحتوي على الكليات (التآليف العامة) ويشتمل على المباحث الآتيه : علم الكتب ، دور الكتب ، الموسوعات العامة ، المعاجم العامة ، مجموعات الأبحاث العامة ، النشريات

---

(١) يراد بالتنسيق العشري ترتيب الكتب طبقاً لموادها بواسطة ارقام محدودة ومعينة وضعت للدلالة عليها دون النظر الى شكل الكتاب أو مؤلفه أو اللغة التي كتب فيها ، ويرتكز ترتيب الكتب على أساس الاتجاه بطريقة تسلسل مواضيع العلوم من العام الى الخاص ومن الكل الى الجزء ومن الجنس الى النوع ، وغاية التنسيق العشري هو التخصص بكل موضوع من مواضيع المعارف البشرية والتقريب بين المواضيع المتشابهة وقد حصرها التنسيق العشري في عشرة أقسام مرقمة من الصفر الى التسعة ولهذه الأقسام أبواب وفصول وأجزاء يمثل كل مادة من موادها رقم خاص وضع للدلالة عليه ويستقل به عن سواه ، وتسير هذه الأرقام بطريقة تسلسل الأعداد من الأقل الى الأكثر بعكس المواضيع التي تتسلسل من الأكبر الى الأصغر فكل رقم من أرقام التنسيق مدون ازاء مادته ابتداء من الآحاد فالعشرات فالمئات فالألوف .

الدورية العامة ، الجمعيات العلمية العامة ، المتاحف ، الصحافة ، الصحف ، مجاميع التآليف العامة ، مجموعات مواضيع متنوعة ، والكتب النادرة والنفيسة .

ويحتوي القسم المرقم بـ (١) على الفلسفة ، ويشتمل على المباحث الآتية : الفلسفة العامة ، علم المعقولات العام ، علم المعقولات الخاص ، علائق العقل والجسم ، المذاهب الفلسفية ، علم النفس ، المنطق ، علم الآداب أو الأخلاق ، الفلاسفة القدماء ، والفلاسفة الحديثين .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٢) على الدين ، ويشتمل على المباحث الآتية : الدين عامة ، دراسة الأديان والمقارنة بينها ، الدين الطبيعي ، الدين المسيحي ، الدين الاسلامي ، الدين الاسرائيلي ، البوذية ، المجوسية ، الصائبة ، والأديان الأخرى .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٣) على العلوم الاجتماعية ، ويشتمل على المباحث الآتية : العلوم الاجتماعية عامة ، الاحصاء ، السياسة ، الاقتصاد السياسي والاجتماعي ، الشرائع ، الادارة العامة ، الجمعيات والمعاهد الاجتماعيـة ، التربية والتعليم ، التجارة ، والأزياء .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٤) على اللغات ، ويشتمل على المباحث الآتية : اللغات عامة ، دراسة اللغات والمقارنة بينها ، اللغة العربية ، اللغة الفرنسية ، اللغة الايطالية ، اللغة الاسبانية ، اللغة الانكليزية ، اللغة اللاتينية ، واللغة اليونانية ، واللغات الأخرى .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٥) على العلوم الطبيعية ، ويشتمل على المباحث الآتية : العلوم الطبيعية عامة ، الرياضيات ، علم الفلك ، الطبيعيات ، الكيمياء ، علم طبقات الأرض ، علم الأحافير ، علم الحياة ، علم النبات ، وعلم الحيوان .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٦) على العلوم العملية ، ويشتمل على العلوم العملية عامة ، الطب ، الهندسة ، الزراعة ، التدبير المنزلي ، الكيمياء الصناعية ، الصناعات العملية ، المهن والحرف الصناعية ، والبناء .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٧) على الفنون الجميلة ويشتمل على المباحث الآتية : الفنون الجميلة عامة ، فن تنظيم البلدان ، هندسة البناء ، النحت ، الرسم والزخرفة ، التصوير اليدوي ، النقش ، التصوير الشمسي ، الموسيقى ، والملاهي .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٨) على آداب اللغات ويشتمل على المباحث الآتية : الآداب عامة ، الفنون الأدبية ، الأدب العربي ، الأدب الفرنسي ، الأدب الايطالي ، الأدب الاسباني ، الأدب الانكليزي ، الأدب اللاتيني ، الأدب اليوناني ، والآداب الأخرى .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٩) على التاريخ ، ويشتمل على المباحث الآتية : التاريخ عامة ، الجغرافيا ، التراجم ، التاريخ القديم ، التاريخ الحديث ، اوربا ، آسيا ، افريقية ، اميركا الشمالية ، اميركا الجنوبية ، واوقيانوسيا والأقطار القطبية .

وبالختام فقد أحسن الفيكنت دي طرازي باخراجه هذا السفر النفيس الذي كانت اللغة العربية تفتقر اليه ، فأضاف بذلك الى آثاره القيمة ، هذا الأثر الذي سيعود بالنفع العميم على الخزائن العربية ومنسقيها ، فيلهجون بالشكر الجزيل والثناء العاطر على واضعه الكريم .

عمر رضا كحالة



آراء وأنباء

أعضاء مراسلون جدد

انتخب المجمع العلمي العربي في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ ثمانية أعضاء مراسلين هم الأساتذة :

الأب ا . س . مرمرجي الدومنكي	(القدس)
الدكتور احمد زكي بك	(القاهرة)
« صبحي المحمصاني	(بيروت)
« عمر فروخ	«
الأستاذ عمر ابو ريشة	(حلب)
الدكتور مصطفى جواد	(بغداد)
الأستاذ احمد حامد الصراف	«
« كوركيس عواد	«

وقد صدرت مراسيم تعيينهم في ١٠ شباط سنة ١٩٤٨



أديب العربية الأجلّ محمد اسعاف النشاشيبي

لا نعرف السنة التي ولد فيها أديب العربية الأجلّ محمد اسعاف النشاشيبي . والمذكور في أوراق الحكومة سنة ١٨٩٠ م ، وهي دون ما يرويه معاصروه . وذكر أحدهم سنة ١٣٠٠ هـ = ١٨٨٢ م .

ووالده عثمان بن سليمان النشاشيبي من أبرز رجالات عصره ذكاءً وعلماً وبسطة مال . وقد تقلّب في مناصب الدولة حتى أصبح عضواً في مجلس المبعوثان في

الآستانة . ووالدته ابنة الحاج مصطفى أبو غوش الملقب بملك البر ، وابنة عمة أبيه عثمان .



ورث الأجلّ عن أبيه مزاجه العصبي الناري ، وميله الى الأدب ، وجلّ ثروته . ونشأ في عصر كان فيه المتعلمون قليلين ، غاية مطالبهم الفقه واللغة والخط والحساب . وعرفت بيت المقدس في ذلك العهد حلقة من الشيوخ ينتظم فيها السادة : محمد جار الله ، وعارف الحسيني ، وموسى عقل ، وأسعد الإمام ، وراغب الخالدي ، وكامل الحسيني المفتي ، وعثمان النشاشيبي ، ورشيد النشاشيبي ، وعبد السلام الحسيني وغيرهم . وكان هؤلاء الشيوخ يتقارضون الشعر ويتذاكرون الأدب ومسائل الفقه في دواوينهم . ولعلّ الأجلّ ارتاد الحلقة مراراً وسمع نوادر اللغة والأدب ورأى الكتب النفيسة في خزانة والده وخزائن الشيوخ ، وإن لم يع من هذه وتلك إلّا «الانطباعات» .

وبعد أن أتمّ دروسه في المكاتب المعروف حالها في ذلك العهد اقترح الشيخ راغب الخالدي على أبيه أن يرسله الى المدرسة البطريركية في بيروت ففعل . ولبث زهاء أربع سنوات يتلقى العلم على الشيخ عبد الله البستاني والشيخ محي الدين الخياط والشيخ مصطفى الغلاييني وغيرهم من أساتذة المعهد ، فتذوق الأدب على نحو لم يكن مألوفاً في بلده ، وشغفته العربية بأسرارها الدقيقة وألفاظها الأنيقة وأساليبها المحكمة . وكأن البستاني أورثه حبّه الأدب القديم وبغضه أساليب المحدثين وكلفه بالبحث عن أصول المفردات . وألمّ بالفرنسية إلماماً حسناً أعانه

على قراءة بعض الكتب العلمية والصحف كالطان والعالمين . ورأى العربية على نور لغة أعجمية مهما دقّت ورقّت لا تبلغ شأو لغته ، وهي التي « أتقنها الإتقان وأبدعها الإبداع . قد جمعت الحسن كلّه في نظام . وبذّت جميع لغات الأنام . فالتجوّد فيها مخاصرها حيثما سارت ، والتنوق فيها معانقها أنّى دارت . وإذا تنافرت اللغات يوماً وتساجلت جاءت فتاة الجزيرة سيدة عقيلة وجئن إماء .. وهي لغة (الكتاب) ولغة الإعراب ، ولغة الإيجاز اذا ابتغيت الإيجاز ، ولغة الإطناب إن ترد الاطناب فهيهات هيهات أن تماشيها في الفصاحة والبلاغة لغة أو يجاريها في البيان لسان» (من كلمة له عنوانها سبيكة العسجد في لغة محمد) .

وعاد الأجلّ الى بلده شاباً يافعاً لم يتجاوز العقد الثاني ، مزهوّاً بعلمه معجباً بأدبه متكبراً على أقرانه ، عاد وبيده قصيدة مطبوعة بماء الذهب في وداع مدرسته . وما كان القوم يبغون أدباً . ومع ما تحلى به والده من أدب وذكاء فقد أراد ابنه على أن يكون عوناً له على إدارة أملاكه الواسعة وأمواله الطائلة . فارتطم رأس الأجل بصخرة صماء وعانى آلاماً مبرّحة . وزاده شقاء بؤس أمته واستخذاؤها ، فنظم قصيدة في أربعة وعشرين بيتاً استهلّها بقوله :

العربُ مات شعورهم فاندبه دهرك باكيا
ولّى فولّى بعده أنسي وساء مآليا

قد كنت أطمع أن أرى وطني بهيجاً زاهيا
فوجدته من كل علم (م) أو علاء خاليا
فرثيته وندبته وسكبت دمعي غاليا

فسعادتي يا ابن الكرا م وبغيتي ومراميا
أن تصبح العربُ الأذلّة سادة ومواليا

وجاء الدستور سنة ١٩٠٨ وارتفع الكابوس وانطلقت الألسنة من عقالها واستقبله الأجلّ بقصيدة طويلة استهلّها بقوله :

أخطري اليوم في الربوع اختيالا لا تخافي مِن العدوّ اغتيالا

وظهرت عدة مجلات ، وصال الأجلّ بقلمه ينظم حيناً وينثر حيناً آخر . وأصدر المرحوم حنا العيسى - شقيق الكاتب السيد يوسف العيسى صاحب الفباء الدمشقية - مجلة الأصمعي في بيت المقدس ، فالتقى ثلاثة أصدقاء ، الأجل والعيسى والاستاذ خليل السكاكيني في ندوة صغيرة . ولقّبوا الأجل بأبي الفضل لولعه بمقامات البديع ، والسكاكيني بأبي الطيب لكلفه بالمتنبي ، والعيسى بابي سعيد لإصدار الأصمعي . وتولى الأجل رئاسة تحريرها نيابة عن صاحبها مدة وجيزة . وأصدر الأستاذ خليل بيدس سنة ١٩٠٨ — ١٩٠٩ مجلة النفائس ، وعمرت زهاء تسع سنوات ، ولم يخل مجلد منها من شعر الأجل أو نثره . وصدرت سنة ١٩١٢ مجلة المنهل في بيت المقدس فكان من كتابها . وكتب في عدد من الصحف العربية في مصر وسوريا .

وأعظم أثر للأجل في هذه المرحلة كتاب صغير الحجم نشره سنة ١٩١٢ في مجلة النفائس بعنوان (أمثال أبي تمام) جمع فيه أمثاله كما جمع من قبلُ الصاحب بن عباد أمثال المتنبي ، وقرأ من أجله اربعمائة كتاب من كتب الأدب وغيره من الفنون . وعدّه طائفة من الأساتذة المحققين « خير كتاب بدا في الأدب العربيّ في هذا العصر » . وأثّر هذا الكتاب في توجيه الأجلّ نحو الأدب القديم والعناية بمصادره النادرة في ذلك الحين والبحث والتنقيب في أمهات المعاجم ، كما أثّر في أسلوبه . فقد كان يرجو أن يصنع في النثر ما صنع ابو تمام في الشعر . وهذا سرّ تفرده بأسلوبه العجيب .

وأعجب ما رأيت من شعره في هذا الدور قصيدة في سبعة وعشرين بيتاً عنوانها (فلسطين والاستعمار الأجنبي) جاء فيها :

يا فتاة الحيّ جودي بالدماء بدل الدمع اذا رمت البكاء
فلقد وأت فلسطين ولم يبق يا أخت العلى غير ذماء
إنها أوطانكم فاستيقظوا لا تبيعوها لقوم دخلاء
كيف ترجون حياة بعدها ونعيماً وهناءً وصفاء

وفي غمرة الحرب عكف الأجلّ على القراءة بجلد عجيب ، وكان لا يبرح بيته أياماً وليالي مكرهاً . ومن آثاره قصيدة قبّح فيها سيرة الترك الجائرة مطلعها :

لئن ساس أبناءُ المغول قبيلةً نأى الخير عنها والبلاء أقاما

وقبيل نهاية الحرب انضمّ الى أساتذة الكلية الصلاحية التي أنشأها جمال باشا في بيت المقدس بادارة المرحوم رستم بك حيدر ، وألقى أولى محاضراته بعنوان (كلمة في سير العلم وسيرتنا معه) حثّ فيها على طلب العلم في الغرب . وفي هذه المحاضرة نضج أسلوب الأجل ونضج . ومن قرأها ووازنها بسائر آثاره بعدُ رأى وحدة الأسلوب ووحدة الفكر والرسالة .

وبعد الحرب الكبرى — الأولى — انصرف الأجلّ الى التعليم ونشر رسالته في حب العرب والعربية بصوت عربيّ فصيح وجرأة كانت على خصوم العربية كحدّ السكين . وانتقل من التعليم الى التفتيش الى أن أضحى مفتشاً للغة العربية حتى سنة ١٩٢٩ . ومن آثاره في هذه المرحلة (مجموعة النشاشيبي) و (البستان) وفيهما يتجلّى ذوقه الرفيع وتوجيهه القوميّ . و (قلب عربيّ وعقل أوربيّ) ، وهي محاضرة ألقاها في جامعة بيروت الأمريكية سنة ١٩٢٤ ينبئ اسمُها عن موضوعها ، و (كلمة في اللغة العربية) وهي دفاع عن العربية لا يدانيه دفاع في الأدب العربي الحديث ، مما أذاع صيته في البلاد العربية عامة والقطر المصري خاصة ، إذ جهر به في جمعية الرابطة الشرقية في القاهرة سنة ١٩٢٤ ، فتهافت الأدباء على لقائه وتعظيمه . ورسالة عنوانها (العربية وشاعرها الأكبر احمد شوقي) وهي خطبة في المهرجان الشوقيّ ، و (العربية والأستاذ الريحاني) .

وبعد ترك إدارة المعارف انقطع الأجل الى القراءة والكتابة والرحلات في مصر والشام . وصدرت عنه رسائل قصيرة في أصلها خطب اقتضتها المناسبات ، (كمقام ابراهيم) و (بيروت والغلاييني) ، ومقالات في موضوعات متنوعة يذيلها حيناً باسمه وأحياناً باسماء مستعارة . ومن ذلك سلسلة في الردّ على المبشرين ، ونقل الأديب ، خصّ بها مجلة الرسالة الغراء . على أن أعظم أثر تركه في هذه المرحلة هو كتاب (الاسلام الصحيح) . وهو ـ في رأيه ـ أعظم أثر في جهاده الطويل . وكان يقول مداعباً : سيذهب كلّ أثر في هذا الوجود إلاّ الإسلام الصحيح . وقد قرأ في سبيله نحو تسعمائة كتاب في مباحث متشعبة عويصة . وكل من عرف الأجلّ كان يعجب لكتابه هذا . ولكنه في الواقع كتاب في صلب موضوعه ، إذ هو قائم على غربلة النصوص ونقدها وتحقيقها . وقد رأينا كيف بدأ تأليفه بقراء اربعمائة كتاب ليشرح أمثال أبي تمام . أما موضوع الكتاب فثورة منبعثة من أعماق روحه ، يسندها علم واسع وتفكير أصيل .

وحين توفي شوقي بكاه الأجل بكلمة بلغ أسلوبه فيها الذروة ، وجاء معه النثر الموزون والشعر المنثور بلا تكلف . وكانت آلامه النفسية في هذه الفترة تملي عليه كلاماً أشبه بالنواح منه بالكلام المألوف ، كما ترى في كلمته (بيروت والغلاييني) و (البطل الخالد صلاح الدين) والقسم الأخير من (الشاعر الأكبر أحمد شوقي) . وخير ما يعبر عن هذه الحالة بيته الذي ارتجله في جلسة مع أمير الشعراء :

لا تلمني بانحراف كان غيري يتكلم

وظل الأجلّ في هذه الفترة يقرأ ويكتب ليلاً ونهاراً . يختفي حيناً ويظهر حيناً آخر ، حتى كان أصدقاؤه لا يعرفون أعائد هو من سفر أم معتكف في البيت .

وترك آثاراً مخطوطة حمل منها ثلاثة الى القاهرة في رحلته الأخيرة ليطبعها . وهي (نقل الأديب) و (أمالي النشاشيبي) و (التفاؤل عند أبي العلاء) . أما

سائر آثاره التي لم تر فهي كتاب الأمة العربية ، وحماسة القشاشيبي وجنة عدن . ولم ينظم الشعر بعد الحرب الكبرى ، ولم يشأ أن يشيع شعره الذي نظمه قبلها على كثرته . لقد أراد أن يكون أديباً من الطراز الأول ، ولم يحلّه شعره هذه المرتبة فزهد فيه غير آسف . وحقق له النثر ما أراد فأجمع الناس على وصفه « بأديب العربية » .

كان الأجلّ أديباً فذاً لا نظير له بين أدباء عصره . وفي رأيي أنه جاهد ليبدع في النثر إبداع صاحبه أبي تمام في الشعر ، فغاص في كثير من أقواله غوصه ، وتأنّق تأنقه ، وحلّى تحليته ، ورمى بتلك القرون الطوال وراء ظهره ليظهر في ثوب القرن الثاني الهجري . ومهما قيل في أدبه فإنه عاد بالإسلام الى القرن الثاني بل الى القرن الأول ، وكان ما أراد دون أن يقصد ما كان . فقد بدأ شاعراً وأديباً منشئاً وناقداً وراوية وانتهى فقيهاً مجتهداً قوي الحجة ناصع البيان . ولكأنه من فقهاء المسلمين في صدر الإسلام يتخذون اللغة وسيلة للتفقه في الدين وفهم أسرار القرآن الكريم . على أن شيئاً في الأجلّ لم يتغير ولم يتبدل ، هو حبّه للغته حباً منقطع النظير ، وغيرته على وطنه العربيّ الكبير غيرة عديمة المثيل ، في بيئة لا يثبت فيها على حبّه هذا إلاّ من راض نفسه على عذاب كعذاب السعير .

وسافر الأجلّ الى القاهرة شتاء هذا العام ليشرف على طبع مخطوطاته الثلاثة وليتطبب ، وظلّ مع سمّاره يشنّف آذانهم بأدبه العذب ونوادره المطربة الى أن عاجلته المنية فجأة في الساعات الأولى من صباح الخميس الواقع في ٢٢ كانون الثاني . وهكذا انطفأت شعلة كان لها سنى البرق وأريج المسك .

(القدس) اسحق موسى الحسيني

عجائب اللهجات (١)

كان اختلاط العرب في الجاهلية بالأمم المجاورة لجزيرتهم قليلاً اذا قيس باختلاطهم بهم في الاسلام، وفيه فتحت عليهم الأقطار وشاهدوا فيها ما لم يعرفوه من أسباب الغنى والترف وهذا يستلزم للتعبير عنه الفاظاً جديدة ما كان لهم ولا لأجدادهم عهد بمثلها ٠ وإذ كانوا في هذا الدور مأخوذين بدهشة الفتوح لم ينظروا ان كانت تلك الألفاظ عربية صرفاً أو جاءت من احدى اللغات السريانية والنبطية والقبطية والحبشية والسندية والبربرية والفارسية ٠ وربما ظنها بعضهم من لهجة عربية غير لغة قريش وليس لهم مانع من قبولها ما دام الاسلام وحد اللهجات العربية وبلغة قريش أفصح اللهجات نزل القرآن ٠

وما لبث الداخلون في الاسلام ان أدخلوا ما كان متأصلاً في ألسنتهم من الكلمات فأصبح لكل صقع لهجة اتسعت مع الزمن أي كان لكل قطر بل لكل اقليم لهجة على حيالها ومعظم المولد لا يمت الى الفصحى بسبب والغالب ان الألفاظ الأعجمية التي صاغوها على أساليبهم تكاد تزيد عن الألفاظ التي ابقوها بحالها ٠ وبديهي ان يكون لكل صقع نغمته واصطلاحه وألفاظه واللهجات ابنة السموت والميول على الأغلب وما تحسه من النغمة العذبة في اللهجة المصرية اليوم لا تذوقه في لهجات جبال الشام ٠ نعم ما نشدد العرب او خاصتهم في قبول بعض الألفاظ الأعجمية بادئ بدء تشددهم في اللحن والزراية على من يرتكبه لان الجمهور لا ينتظر في شؤونه اليومية الحافزة صدور ارادة الخاصة في اختيار اللفظ الفلاني دون غيره بل يسارع الى تلقف ما يعرض له بادئ الرأي مؤثراً الطريقة العملية السهلة ويتشرب الألفاظ التي تكاد تكون مرتجلة ترسخ فيه بكثرة التكرار ويغدو من المتعذر نزعها والاستعاضة عنها بمصطلح آخر أتى

(١) كلمة السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي يوم افتتاح الدورة الرابعة عشرة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية في غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٧ هـ و١٢ من كانون الثاني ١٩٤٨

على أصول الوضع الصحيح . تساهل أرباب اللغة بادخال بعض المفردات طوعاً أو كرهاً كأنهم رأوا ان لا مندوحة لهم عنها وان خرجت أحياناً عن صيغة لغتهم . ثم تطورت اللهجات بتطور الزمن ، وللزمان سلطانه يثبت وينفي على ما يشاء ، والتحول يجري على مقياس واسع في الشارع وعلى مقياس ضيق في أندية الخاصة وقصور الملوك والأمراء ومعسكرات الجيوش .

أخذت العرب من الأعاجم مئات الألفاظ مما له علاقة بالحياة اليومية أو المصطلحات العلمية ، وكان لكل دولة تولت امر هذه الأمة ان اورثتها الفاظاً منها ما دخل في المعاجم ومنها ما مات بموت الدولة التي وضع في عصرها وسمت الى بثه في الناس ، او سقط من الاستعمال لعدم الحاجة اليه .

فكانت الألفاظ الأعجمية من عهد الأمويين اقل مما جاء مع العباسيين لقرب عهد بني امية بالعربية الفصحى وأخذ بنو العباس من الدخيل بالكبير والصغير أعداهم الفرس للجوار وللاختلاط الوشيج بالشعوب غير العربية حتى خيف على اللغة ان يصبح جزء عظيم منها من غير الأصول العربية . ثم قامت دول الطوائف فكانت الألفاظ الحديثة في مصطلحات الدولة على الأكثر تركية وفارسية ومغولية . وهكذا كان شأن دولتي نور الدين وصلاح الدين ودولتي المماليك البرجية والبحرية ثم دولة العثمانيين . وما يقال في هذه الدول والألفاظ الطارئة عليها يقال في دول صقلية والأندلس والغرب الأقصى والأوسط والأدنى . ولعل الدخيل كان نادراً في أرض الأندلس . وقد توخى الأمويون واضعو اساس دولتها التوحيد في كل شيء حتى ان الرحالة ابن جبير لما رأى كثرة الفرق والمذاهب في هذا الشرق القريب في القرن السادس قال : لا اسلام الا ببلاد الغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيّات لها وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشِيَع ، الا من عصم الله من أهلها . وكان في تفنن الأندلسيين بتعريب اسماء بلاد الأندلس مثالٌ ظاهرٌ من العناية بصيانة اللغة

مما يعبث بها وكانت اللهجة الأندلسية من أجل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مرَّاكش والجزائر وتونس ومصر والشام ولعلها كانت لقربها من الفصحى اشبه بلهجات اليمن والحجاز . والأندلس استعملت الفاظاً فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام فكان الأندلسيون مثلاً يقولون «القابض» لمن نطلق عليه الجابي او المحصل ويطلقون «المتقبِّل» لمن نقول له الملتزم او الضامن ويقولون «اهل الأموال» لأرباب الأملاك او الملاك ، ويطلقون «الطومار» على البطاقة .

وهكذا أبقى كل قرن في تضاعيف هذا اللسان قدراً من الألفاظ الدخيلة ولوَّن كل لهجة بلون بعض اللهجات المجاورة وغيرها ، ولكل جيل ولكل اقليم لهجة تختلف واحدتها عن الأخرى . وكان العارفون باللغة في كل زمن يردون ما دخل على الفصحى من المولد واذا غلبتهم قوة الدخيل يتساهلون بقبوله ومن جهة اخرى يكتبون الرسائل والكتب في تزييفه . وحاول الغُيُر على اللغة في كل قرن من قرون الاسلام ان يحيوا الفصحى ويبقوا عليها في الخطاب كما حفظت في الكتاب فكان الجهلة يهزأون بهم ويتغامزون منكرين صنيعهم وأقل ما يقولون في المتكلم بالفصيح ان ينبزوه بأنه يتكلم بالنحوي .

وبعد ان كان مثل الحجاج بن يوسف يحتال على بعض من خرج عليه فيفسد لغته أصبح الخاصة والعامة في القرون التالية يتفاهمون بلغة العوام ولهجتهم بدون نكير ، وسواد العامة اكثر من سواد الخاصة في كل عصر ومصر . وبعد ان كان ينظر الى من فسدت لغته كما ينظر الى من أصيب بمروءته وشرفه أصبح هذا مما لا يؤبه له كثيراً وبعد ان كان الحجاج نفسه ينفي من بلده أحد الفصحاء لأنه صارحه بأنه يلحن ، ونفاه لئلا يسري في الملإ رأيه فيسقط من الأنظار .

وقد عرف الحجاج ان رسول الله سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال «أرشدوا أخاكم فإنه ضل» وان عمر كتب له احد عماله كتاباً لحن فيه فكتب

اليه قنّع كاتبك سوطاً ، وكان عبد الملك يقول: اللحن في الكلام اقبح من الجُدَري ·

عربوا اسماء العلوم في القرن الماضي فكانوا يحرصون على التعبير عن المعنى بأي لفظ عرض لهم ، يهمهم التعبير عن المسمى لا الفصاحة ، ولعل أجدادهم كانوا في مثل هذه الحال يوم نقلوا عن الفرس اسماء الأطعمة فلم يكن لهم متسع من الوقت ليضعوا لها اسماء عربية واغتبطوا ان اهتدوا الى تحضير تلك المآكل اللذيذة فقالوا الفالوذج واللوزينج والجوزنيق واللوزنيق وما بالوا بثقلها وعجمتها · وكان في مكنتهم ان يقولوا اللوزية والجوزية الخ · ولكن كان همهم ان يصيبوا أولاً من هذه الحلواء الشهية · ولو كان واضعو الألفاظ العلمية في بدء النهضة العربية الأخيرة على جانب من معرفة اللغة الفصحى لأطلقوا بادئ بدء الفاظاً فصيحة على المسميات وحالوا دون عناء المجامع اللغوية الحديثة بعض الشيء ·

ولعل من اضطروا الى وضع الفاظ عربية مولدة عمدوا الى استعمالها في الأحايين ليؤثر الكلام في العربي القح والعربي الدخيل على السواء ما دام المقصود من الكلام افهام الخواص والعوام ولا نقول ان اللغة كانت تخون الفصحاء فلم يوفقوا الى ايجاد ألفاظ عربية خالصة تقوم مقام الألفاظ الأعجمية بل نقول انهم غلبهم حب السرعة على جميع الاعتبارات وأتوا بما حضرهم واكتفوا بما كان في متناولهم وهم الى ذلك كانوا يعلمون أن مئات من الالفاظ المولدة لا تضر بلغة تحوي مئات الالوف من المفردات الفصيحة ويزيد التسامح في قبول الغريب المولد اذا صيغت اللفظة صياغة عربية لا ينبو عنها ذوق أبناء هذه اللغة ·

كتب معاوية رضي الله عنه ايام فتنة صفّين الى قيصر الروم لما بلغه انه ينوي غزو الشام : لئن اتممت على ما بلغني من عزمك لأُصالحن صاحبي ولأكونن مقدمته اليك ولأجعلن القسطنطينية البَخْراء حُمَمة سوداء ولانتزعنك من الملك انتزاع الاصطفلينة ولأردنك أريساً من الأرارسة ترعى الدوبل · وفي هذا

الكتاب الموجز على ما نفهم نحن اليوم ثلاثة الفاظ لا نسمعها وهي الدوبل ومعناه الخنزير والاريس وهو الفلاّح والأكّار من أرس فلح والاصطفلينة وهي لغة شامية قديمة لا تستعمل اليوم ومعناها الجزرة التي تؤكل . آثر الخليفة استعمالها على الخروج عن مألوف الأرض التي صدر منها الكتاب .

وكذلك كان من الحجاج بن يوسف لما استحث احد عماله على المسارعة باداء الخراج فقال له من كتاب : فايم الله لتبعثن اليّ بخراج اصفهان كلها او لأجعلنك طوابيق على باب مدينتها والطابق بكسر الباء وفتحها الآجر الكبير فارسي معرب وكذلك الآجر . خاطبه بما شاع ولو قال له لأجعلنك لبنة لما كان لها تلك الرنة ولو كان الكاتب في مصر لاستعاض عن آجر وطابق بلبنة او طوبة .

ومن اللهجات ما راج في قرن وكسد في آخر كانوا يقولون في القديم فندق ، خان ، فأنشأوا يقولون في الزمن الحديث لوكندة هوتيل او اوتيل . وقالوا بيمارستان او مارستان او دار المرضى فشاعت على الألسن اليوم هوسبتاليا او اسبتاليا وقالوا صيدنائي وصيدلاني وصيدلي وفرمشاني واجزاجي لصاحب هذه العقاقير والمركبات والمعاجين كما اصطلحوا في كل قطر على اطلاق اسم يغاير ما اصطلح عليه القطر الآخر فللإبانة عن لفظة المشاهرة قالوا الجامكية والمعاش والمعلوم والمقرر والراتب والمرتب وقديمًا كانوا يقولون الادرارات والأعطيات . ويقولون في مصر اليوم الجوراب للجوربين وفي لبنان الكلسات وفي مصر كوانتي وفي الشام كفوف اما من يقولون قفاز ج قفافيز فهؤلاء من الذين أنعم الله عليهم وحفظوا من متن الفصحى عشرة آلاف كلمة على الأقل حتى وصلوا الى قفاز . وفي الشام يقولون شلح اواعيه وفي لبنان قلع ثيابه وفي مصر قلع هدومه وتقول الأم لابنتها روحي انبدلي اي غيري ثيابك .

وقد يعمدون الى استعمال ما كان له اصل في اللغة كالخناشير والطراطير والخنشور الذي لا يعجبك يقابله بالشامية الشرشوح ، سمعت سيدة مصرية تقول

« كلهم خناشير يحزنوا القلب » والطرطور الضعيف الذي لا عمل له وهكذا في المصرية متعنطز متحنشص متنرفز الى مئات غيرها ومنها ماله أصل عربي مثل اطلاقهم لفظ نغنوغة على السيدة ذات الدل والخفر وهي السيدة السمينة جاءت من لغلغ الطعام والفطير زاد في سمنه من لغلغ الطعام ادمه بالسمن والودك . وفي مصر يقولون بص اي انظر وفي لبنان اقشع وفي الشام شوف .

وقد يختلف كل قطر عن جاره في مدلول اللفظ الواحد وفي صيغة الجموع وغيرها ففي مصر يقولون طقطوقة لذلك الوعاء الصغير الذي يطرحون فيه رماد اللفائف وأعقابها ويطلقون الطقطوقة على الأغنية البلدية والقرينة هي التي تفرق بينهما كما هو الحال في كثير من الألفاظ ولو قلت الطقطوقة لذاك الاناء لضحك الشامي ونظر باهتاً فلا يعرفها تطلق الا على الأغنية وفي الشام يجمعون سيكارة على سيكارات وفي لبنان على سواكير وفي مصر على سكاير ويقولون في الشام وفي مصر طنش بالشين غض الطرف وما بالى وفي مصر لبش تحير وارتبك وفي الشام لبش جمع متاعه وارتحل وفي مصر مخنتف متزين لطيف ومعناها في الشام بخيل مقتصد .

وكما اختلف مدلول بعض الألفاظ في الأقطار المجاورة تنوسي كثير من الفصيح جملة فكانوا يطلقون على الأرض الكثيرة الخضرة (اليخضور) وعلى الرجل الكثير الكلام (اليهمور) وعلى الرجل الأحمق (اليأفوف) وعلى المثقل بالدين (المفرّح) وعلى كثير الطرب (المطرابة) وعلى من يتكلف الألحان من غير صواب اللماعة وعلى الخبيث الشرير العارم وكانوا يقولون اخذ ماله كَملاً واليوم يقولون كاملاً وفلان لا يؤاكل رغيباً ولا زهيداً والرغيب الكثير الأكل والزهيد القليل الأكل الى مئات غيرها مما لو عادت اليه الحياة وجرت به الألسن لحيي جانب عظيم من الفصيح ومات جانب من المولد مع الزمن وضعفت اللهجات وقويت الفصحى او جانب عظيم منها .

من الصعب تعيين زمان دخول كل لفظة بعينها لأن اللهجات لا ضابط لها ولا هي مدونة بأسرها فمن الواجب وضع معجمات لها كما نراهم في الغرب وضعوا معاجم للألفاظ العامية وأخرى للألفاظ المحرفة ومعاجم للغة أرباب الدعارة واللصوص يعبرون عنها بالفرنسية بكلمات Jargon , Baragouin , Patois , Argot

وفي بعض كتب الجاحظ الفاظ كثيرة من هذا القبيل لا تعترف بها الفصحى وكان تدوين ابي عثمان لها من مزايا لغتنا واتساع صدرها لكل جديد ما سبقت لها معرفته والحمد لله على ان المجمعيين لم يعترضوا على بعض ما وضع مثل ثلاثة الفاظ افرنجية وهي فيلم وترام وسينما فأقروها راضين ومثل مخيم ومصح ومعزل وهي مشتقة من اصل عربي وربما تفننوا واطلقوا أكثر من اسم على مسمى واحد كما وقع للمقدسي البشاري صاحب كتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم مع أمتع كتب الجغرافية عند العرب فقد اسماه الناس خلال رحلته بستة وثلاثين اسماً دعي بها المسكين وخوطب فأطلقوا عليه المقدسي والفلسطيني والمصري والمغربي والخراساني والسلمي والمقرئ والفقيه والصوفي والولي والعابد والزاهد والسياح والوراق والمجلد والتاجر والمذكر والامام والمؤذن والخطيب والغريب والعراقي والبغدادي والشامي والحنفي والمؤدب والبكري والمتفقه والمعلم والفرائضي والأستاذ والدانشمند والشيخ والنشاسيّة والراكب والرسول ٠

لما ورد مصر ابن جرير الطبري صاحب التاريخ في سنة ٢٥٦ قادماً من العراق نزل على الربيع بن سليمان فأمر من يأخذ له داراً قريبة منه قال وجاءني اصحابه فقالوا : تحتاج الى قصرية وزير وحمارين وسدّة فقلت أما القصرية فأنا لا ولد لي وما حللت سراويلي على حرام ولا على حلال قط (يا خسارة) واما الزير فمن الملاهي وليس هذا من شأني واما الحماران فان ابي وهب لي بضاعة أنا استعين بها في طلب العلم فان صرفتها في ثمن حمارين فبأي شيء أطلب ٠ قال : فتبسموا فقلت الى كم يحتاج هذا ؟ فقالوا يحتاج الى درهمين وثلثين فأخذوا ذلك مني

وعلمت انها اشياء متفقة . وجاءوني باجانة وجب للماء واربع خشبات قد شدوا وسطها بشريط وقالوا الزير للماء والقصرية للخبز والحماران والسدة تنام عليها من البراغيث فنفعني ذلك وكثرت البراغيث فكنت اذا جئت نزعت ثيابي وعلقتها على حبل قد شددته واتزرت وصعدت الى السدة اه والحماران هنا نطلق عليهما في الشام الجحشان كانا عندنا صغيرين فكبرا وترعرعا هنا على ما يظهر .

يقول أناطول فرانس الألفاظ هي الأفكار واعتقد ان الشعب الأول في العالم هو الذي كان كتاب قواعده اجود من كتاب غيره وقد يهلك الناس بعضهم بعضاً بالفاظ لا يفهمونها فاذا تفاهموا يتعانقون ويتعاطفون .

محمد كرد علي



(مجامعنا اللغوية وأوضاعها [١])

مهما تنوعت الغايات . وتعددت الأهداف في سبيل إنشاء المجامع اللغوية واجتناء ثمراتها فلن يعدو أن يكون الهدفُ الأصلي التوسلَ بها الى سلامة لغة البلاد التي أنشئ المجمع في ربوعها .

وسلامةُ كلّ لغةٍ تكون بتوفر أمرين :

(الأمر الأول) المحافظة على ارثها المميز لها عن غيرها : كنوع تأليف الكلام ، وطرائق ايراده ، وخصوصيات أساليبه ، وروعة بيانه ، مع غرابة ايجازه .

و (الأمر الثاني) لسلامة اللغة زحزحتها عن الجمود ، والأخذُ بها نحو التطور [٢] مع تطور أهلها المتكلمين بها : فيجدون فيها المرونة المواتية لهم في التعبير عن أفكارهم ، ومستحدثات حضارتهم ، وبدائع تطورهم .

ويجب التوفيق بين هذين الأمرين جهدَ الطاقة : فلا ندعُ الاستمساك باهداب

---

(١) كلمة الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي التي ألقاها في حفلة افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي المصري لعام سنة ١٩٤٨ م

(٢) قال ابن خلدون : (وتطوّروا بطوْر الحضارة والترف الخ) فهو استعمال جائز .

لغتنا الموروثة يقف في سبيل تطوّرها . ولا نساير التطوّر . وتدخل اللهجات العامية الى حدٍ أن يطغيا على لغتنا الفصحى، ويعملا على تحطيمها، فتموت وتميتنا معها .

* * *

أدرك هذا عصبة من كبار أدباء مصر ومترجميها منذ أواسط القرن الماضي . وقد لمسوا الخطر في تغلب التطور على اللغة الفصحى ، وخشوا أن يزعزع هذا التطور أركانها . ويسلبها بيانها . ولا سيا بعد ان غزتنا الأمم الأوربية بلغاتها . وارتضخنا من كلماتها ولهجاتها . فلجأوا الى التفكير في الوسائل المؤدية الى وقاية اللغة من هذا الخطر . ودفع شره . وأبرزُ تلك الوسائل التي فكروا فيها . وأبينُها أثراً في سلامة اللغة تأليف مجمع لغوي على شكل المجامع التي يُطلَق عليها اسم (أكاديمي) ، فقد لاحظوا من أمر تلك المجامع ، وما كان لها من السلطان في انتشار لغات أهلها ، ما جعلهم يعتقدون أن تأسيس مجمع على نمطها يصون لغتهم . ويكون له من الثمر الطيب ما كان لتلك المجامع :

فكان لهم في أول الأمر . وفي محاولاتهم الأولى مجمعان وملحق بالمجمعين . وقد أنتجت هذه المجامع نتاجاً . لكنه كان خُداجاً : غيرَ كامل التكوين : فهو لم يكد يولد حتى مات . ولم تكد تتلمظ الشفاه باسمه حتى أعقبه الصُمات .

* * *

فالمجمع الأول أُنشئ في سنة ١٨٩٢ م وهو المجمع الذي ينسب الى السيد توفيق البكري : إذ كان رئيساً له أو مقرراً كما نقول اليوم .

فوَضعَ هذا المجمعُ طائفةً من الألفاظ العربية رأى أنها أجدر بالاستعمال مما بمعناها من الألفاظ الدخيلة ، غير أن هذه الألفاظَ التي وضعها لم يعش منها الا بعضها ، وهذا البعض نازعته الحياة كلماتٌ عربية أخرى هُدي اليها الكتاب بسائقٍ من سلائقهم ، وكانت كلمة (أفوكاتو) أكثرَ هذه الكلمات الأعجمية شيوعاً : فرأى المجمع البكري ان يستبدل بها كلمة (مِدره) والمدره هو زعيم

القوم المتكلم باسمهم ، والمنافح عن حقوقهم · غير ان (المدره) ماتت وأماتت معها (الأفوكاتو) وعاشت بعدهما كلة (المحامي) التي لم تخطر على بال ذلك المجمع · ومثل كلتي (افوكاتو) و (مدره) اللتين قتلت احداهما صاحبتها ثم قُتلت بعدها كلة (مرحى) مكان (براڤو) فان الكلمتين ماتتا وخلفهما (بخٍ بخٍ) · ولم تقويا هاتان على الحياة أيضاً · وخلف الجميعَ التصفيقُ بالأيدي وقولُ (الله اكبر) في بعض المواطن · وكذلك (نمرة) بالهاء في آخرها مكان (نومرو) (numéro) الأعجمية ماتتا وخلفهما كلتا (رقم وعدد) على ان كلة (نمرة) بالهاء ما زال فيها رمق حياة يتردد الى اليوم ·

ووضع المجمع المذكور (عم صباحاً وعم مساءً) مكان قولهم (بونجور وبونسوار) لكنهما (أي الجملتين العربية والافرنسية) ماتتا ورجع الناس الى ما ألفوه من كلات التحية المتبادلة بينهم عند اللقاء ·

ووضع المجمع المذكور (الوشاح) مكان (الكوردون) ولا أعلم ما شأنهما في مصر ؟ أميتتان هما ام حيتان ؟ و (المَرْبَضُ) مكان (الكاوب) ماتتا واستُغني عنهما بالنادي · واحسب ان في (الكاوب) رمقاً من حياة · و (مشجب) مكان (بورت مانتو) ماتتا وخلفهما قول العامة (تعليقة) و (شمّاعة) في بعض البلاد

وهناك كلات عربية وضعها المجمع البكري فحييتْ وبقي مقابلُها الأعجمي حيّاً معها : مثل (بطاقة) مكان (كارت فيزيت) و (شُرطي) مكان (بوليس) و (بهو) مكان (صالون) و (معطف) مكان (بالطو) و (قُفّاز) مكان (جوانتي) · هذه الكلمات العربيات الخمس من أوضاع المجمع المذكور ، عاشت في الاستعمال من دون أن تقدر على إماتة الأعجميات ، ولم تقدر الأعجميات على إماتتها ، فعشن جميعاً بسلام ووئام ·

أما الأعجميات اللواتي قدرن على إماتة مقابلاتها من أوضاع ذلك المجمع فهي : (الموضة) أماتت (الجَدِيلة) ومعنى الجديلة الشاكلة والطريقة : (كلٌ يعمل على

شاكلته) وكذا كلمات « شهادة الدراسة » كالبكالوريا فانها أماتت (الحذاقة) و (البالكون) أماتت (الطنف) .

هذه هي كل الكلمات أو جلها التي اراد مجمع البكري إحياءها ، لكنه لم يتخذ الوسائل الكافلة بحياتها وترويج استعمالها بين الجمهور . فماتت أو أوشكت

* * *

ثم أسدل الستار على مجمع سنة ١٨٩٢ م حتى كانت سنة ١٩١٧ م اي بعد خمس وعشرين سنة من المجمع الأول ، فتجددت الرغبة ، واشتدت الحاجة ، الى مجمع لغوي يحمي اللغة ، ويكفل سلامتها ، فألف في تلك السنة مجمع اشتهر بنسبته الى لطفي السيد (معالي احمد لطفي باشا رئيس مجمع فؤاد الأول اليوم) فقد كان مقرّاً له . أما رئيسه فكان الشيخ سليم البشري . ومن اعضائه الأحياء اليوم محمد حلمي عيسى باشا وفارس نمر باشا . وارسل اللغوي الكبير الشيخ حمزة فتح الله برسالة الى رئاسة المجمع قال فيها (اعتذر من الانخراط في سلك مجمعكم بسبب قديح نزل ضيفاً ثقيلاً على عيني) والقديح ايها السادة لفظة عربيه فصيحة وضعها الشيخ الوقور مكان (الكاتراكتا) الأعجمية ، وهي العلة التي تسميها العامة (المية الزرقا) .

فكان من أوضاع مجمع لطفي السيد طائفةٌ من الألفاظ اللغوية معظمها شديد الغرابة ، فلم تحي ولم تطل حياة المجمع بعدها .

فمن تلك الألفاظ (الوَنّ) مكان (الساجات) او (الصاجات) وهي الصنوج . ومنها (الوثَل) الحبل الغليظ من الليف مكان (السَلَب) و (الهرمول) مكان (الشوشة) وهي شعر أعلى الرأس . والبطيخ (المُعَزقِل) والبيض (المُعَزقِل) مكان ما يقوله العامة للدلالة على فسادهما . و (الماصر) مكان (الجمرك) و (البَيْزارة) مكان (النبّوت) و (المَليل) مكان الفول (المدمَّس) الى غير ذلك مما حامت حوله الشكوك ، وتولّته الألسنة بالنقد ، قال الناقدون : جعل المجمعُ (الوثَل)

مكان (السَلَب) مع ان السلب من فصيح اللغة كالوثل . (والونّ) اي الصنج مكان (الساجات) في لغة العامة مع ان (الونّ) دخيل ليس بعربي و (الصنج) اجدر منه بالاستعمال . و (البَيْزارة) مكان النبوت مع ان النبّوت في اللغة معناه الفرع من الشجرة ، ومنه تتخذ النبابيت في العادة . و (المَليل) مكان (المدمَّس) مع ان المدمّس ليست قبطية كما زعموا وانما هي عربية : من فعل دمّسه اذا دفنه ، وكذلك الحال في جرار الفولَ المدمس .

ومهما يكن من امر فان الفاظ مجمع (١٩١٧ م) والفاظ المجمع السابق لم تكتب لها الحياة لأسباب منها ما يرجع الى طبيعة اللفظ . ومنها ما يرجع الى التغافل عن الطرق المؤدية الى استعمال تلك الألفاظ واستمالة انظار الجمهور اليها .

* * *

هذان هما المجمعان ، أما الملحق بهما فهو ما كان مني ومن المرحوم احمد تيمور باشا : تحادثنا يوماً في موضوع إحياء الألفاظ الفصيحة ، وإدالتها من الألفاظ العامية والدخيلة ، وتواصفنا مبلغ الخطر على لغة القرآن من جرائها . وقلنا ان فئة أهل الأدب التي تعمل على إحياء الفصيح انما تنتقي الألفاظ الفصيحة ، وتعرضها على الجمهور عرْضاً : لا فرق بين عرضها على طريقتهم وبين عرضها مسرودةً في معاجم اللغة : اي انها ما كانت تتوسل بوسيلةٍ ما إلى ترديدها في لغة الصحافة والخطابة والكتابة والدواوين . واتفقنا على انه لا بد من استعمالها وتداولها على الألسنة وأسنة الأقلام ، حتى تحيي وتؤتي أُكُلها .

وهذا ما جعله رحمه الله ينتقي عشرين كلمة من فصيح اللغة وينشرها في المؤيد (سنة ١٩٠٨ م) وينصح باستعمالها : فمن تلك الكلمات كلمة (الوهين) عوض ناظر العمارة و (الجوسق) عوض (الكشك) و (اللفام) مكان (اليشمق) و (السَكْبة) للطاقية و (الفرّوج) للقفطان . و (السواد) للباس التشريفة أو اللباس الرسمي ،

و (الصير) للسردين و (اليرندج) لبوية الجزم ، و (طاقة) الورد مكان (صحبة الورد) ، و (المعبر) مكان المعدية الخ ٠

وأشار عليّ رحمه الله أن أكتب مقالاً في المؤيد بعنوان (تمرين على الكلمات العشرين) فكتبته وجعلته بشكل كتاب الى صديق ، وصفت له فيه شيئاً من أحوال الناس في القاهرة لذاك العهد ٠ واستعملت فيه تلك الكلمات العشرين. وها كم أيها السادة فقرات من ذلك الكتاب :

« كيفما تجولتَ في انحاء القاهرة رأيتَ عمارةً تُشيد وبجانبها جوسقٌ يقيم فيه الوهين للإشراف على ذلك البناء ٠ والنساء يستعملن البرقع اللهم الا نساء الخاصة فيستعملن اللفام ٠ والعامة يضعون على رؤوسهم السكبة ، والطبقة التي هي فوق العامة يلبسون الفرّوج ويسمونه القفطان ٠ والموظفون يلبسون السواد في التشريفات الخ ٠

ولكن هل (أفاد التمرين على الكلمات العشرين) شيئاً ؟ لا لعمري ! ولماذا ؟ لأنه لم يشاركني احد من الكتاب ولا الصحفيين في استعمال تلك الألفاظ والاحتيال لها ، فلم يعش منها شيء ٠ لكن قال لي بعضهم ان كلمة النقل إحدى الكلمات العشرين التي وُضعت مكان كلمة (المازة) — مستعملة اليوم بين أدباء أهل الكيف ٠

* * *

هذه هي المجامع الأولى أو المحاولات الأولى في وضع الفصيح واحيائه ٠ وقد أشبهت كلمات تلك المحاولات أطفالاً وُلدوا لغير تمام ٠ أو في بيئةٍ وَخِمة ٠ فلم يوافقهم هواؤها ولا ماؤها ٠ فجعلوا يموتون الواحد بعد الآخر ، ولم يفلت منهم سوى بضعة أطفال بقُوا احياءً لخاصةٍ في اجسامهم لا في بيئاتهم ٠

وربما كان معظم السبب في عدم نُجح المجامع الأولى أنها قامت بنفسها من دون أن تعضُدَها الحكومات حتى اذا عضَدَتها ٠ وأمدتها بالمال والنظُم والقوانين ٠

ومهدت بين يديها اسباب الحياة نهض المجمعان: المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩١٨ م ومجمع فؤاد الأول في مصر سنة ١٩٣٤ م وقضى مجمع دمشق زهاء ثلاثين سنة يعمل على سلامة اللغة العربية ووَضعَ طائفةً من المصطلحات حَيي بعضها ومات معظمها . ومالِيَ لا أقول ان معظم السبب في ذلك الموت انصراف المسؤولين عن الأوضاع الجديدة وعن الزام رجال معاهدهم ودواوينهم وسائر مصالحهم باستعمالها ، ولو فعلوا لحييت تلك الأوضاع . ولازداد نشاط المجمع في الجمْع . والتتبّع والوضع . ولكان نصيب الجمهور من الغبطة به ما كان من نصيبي ونصيب صديقٍ لي من موظفي الحكومة السورية :

كان هذا الموظفُ رئيسَ مهندسي وزارة النافعة أو الأشغال العامة كما تقول اليوم: قصدني يومًا وأعرب لي عن حاجته الملحّة الى ألفاظ عربية تقوم مقام الفاظ افرنسية يستعملها المهندسون والمقاولون في فتح الشوارع وتسويتها ورصفها . فأجبته الى طلبه . وشرعنا في العمل غير أني كنت أحياناً أظهر اليأس من نجاح هذه المحاولة الجديدة في وضع الألفاظ المطلوبة ، وانها ستموت كما ماتت اخواتها ، فقال لا تيأس وسترى ما يكون مني ومنها ، حتى اذا وضعتُ الكلمات وراقتْ لدى المهندس تناولها وأدخلها في مخابراته الرسمية . ومعاملاته الورقية . والزم المطيفين به ، من كتاب ومهندسين وعمال باستعمالها . وهي اليوم تدور على أفواههم . وأسنة أقلامهم ، كما تحققته منهم .

وهاكم ايها السادة أمثلةً من تلك الأوضاع الهندسية المذكورة :

صندوق الطريق وقالَب الطريق يريدون حفرته المستطيلة ، وبالافرنسية (Ouverture de la forme de la route) وضعتُ له كلمة (قرار الطريق) .

وهذا القرار يلقى فيه (الدبش) والدبش كلمة عامية وبالافرنسية (Blocage) وضعت لها كلمة (الرَصَف) ، وما يدق به الرصف يسمى (المرصافة) ، ثم يصب من فوق (الرَصَف) الجص ، والجص كلمة عامية وهي بالافرنسية (Pierre cassé)

وقد وضعتُ لها كلمة (الحَصَب) ، وبعد ذلك يدحلون الرَصَف والحصَب بالمِدحلة ، وهي كلمة عامية ، وبالافرنسية (cylindre) ويسمى العمل بها دحلاً (cylindrage) فوضعت مكان (الدَحْل) كلمة (الدَحْو) وآلته (مدحاة) وجمعها (مداحي) . وهكذا الى آخر الاصطلاحات الافرنسية التي اقترح المهندس استبدال غيرها بها .

* * *

ومحصّل ما انتهى اليه بحثي هذا أيها السادة أن الألفاظ الفصيحة التي حاول المحاولون الأولون إحياءها منذ أكثر من نصف قرن بلغت زهاء مئة لفظة : منها ما عاش بالأمل ، المجرد عن العمل ، وهو الأكثر ، فكان كأنه لم يعش ، ومنها ما عاش بالأمل ، المقرون بالعمل ، وهي الأوضاع القليلة التي أُدخلت في المعاملات وتناولها الجمهور بالاستعمال .

* * *

أما مجمعنا هذا ، أعني مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فقد جرى الى أبعد شوط في وضع المصطلحات . وبذّ كل مجمع سواه في هذا المسعى الحميد . حتى أصبحت اوضاعه تعدّ بالألوف . وحتى نَثَرَ بذورها في مهبّ كل ريح . وفرّقها في كل ناحية من نواحي حياتنا العلمية والفنية والثقافية ، غير ان الجمهور المثقَّف ما زال يتساءل هنا وهناك . في مصر وخارجها ، عن مصير تلك الأوضاع والمصطلحات ، وعما اذا كانت بذورُها صادفت التربةَ الصالحة . ولَبِناتُها سدّت الثُلمة الواضحة ؟ وانها هل شقّت طريقها يا ترى الى قاعات الدروس ، ومجالات العمل ؟ أو انها ما زالت مشروعاً : يكتنفه السكوت وينتظره الأمل !! .

المغربي

ترتيب السعادات

من الكتب ما تكون طباعته عاملاً على انتشاره ، ومنها ما تكون طباعته سبباً لضياعه فلا هو من المخطوطات المحفوظة نسخه ، ولا من المطبوعات المعروضة للمطالعة والاستفادة منه . ومن هذه كتاب (ترتيب السعادات) الذي نقدم هذه المطالعة عنه .

ومؤلف هذا الكتاب — كما تقول عنه مقدمة الناشر — هو ابو علي احمد ابن محمد بن مسكويه صاحب كتاب « طهارة الاعراق » وقد طبع في طهران بتاريخ صفر ١٣١٤ على هامش كتاب « مكارم الأخلاق » للامام الحسن بن الفضل الطبري . ولم أطلع على طبعة ثانية لهذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه .

واول الكتاب بعد البسملة « الحمد لله الذي عمّ خلقه بنعمه ، وخص اولياءه بخصائص قيمه » وموضوع الكتاب البحث عن اصناف السعادة كما يقول المؤلف : « وانا مبتدئ بذلك بعون الله تعالى واذكر السعادة الموضوعة للانسان ما هي وكيف هي ؟ واما السعادة التي يشترك فيها الناس من حيث هم ناس . وما الذي يصير اليه منها المجتهدون منهم بضروب الاجتهادات ، وهل هي متفقة ام مختلفة ، وهل بعضها تحت بعض حتى يرتقي الى ما هو أسناها مرتبة . وان كانت مرتقية الى واحد فما هو ، وهل وراءه سعادة أخرى غير منتظرة للانسان ولا مطموع فيها ، ام تتناهى السعادات كلها حتى تقف عنده ؟ » .

ثم يبحث المؤلف عن الطريق الموصل الى السعادة وعن امكانه وهل يتفاوت الناس فيه قرباً وبعداً وما مقدار الزمن اللازم للوصول الى السعادة . ويضع توطئة لذلك مقدمة يشبه بها الصناعة بالطبيعة وان كل جزء من اجزاء العمل مهيأ لنوع عمل خاص له . وان للانسان كمالين قريب وبعيد وشبهه بالمطرقة فكمالها القريب بسط الأجسام الصلبة وكمالها البعيد ان يتم بها صناعة الخاتم مثلاً . وكذلك المعدة فكمالها القريب ان تحوي الطعام وتعده للاغتذاء ، وكمالها

البعيد ان ترد الى الجسم العوض عما يتحلل منه ليتم له البقاء . اما الانسان فكماله القريب صدور الأفعال عنه عن روية وتمييز مرتبة حسب ما يوجبه العقل . وكماله البعيد الكمال الأقصى الذي ضمنه كتابه هذا عنه .

ثم قسم السعادة الى ما هو سعادة مجازاً ، وما هو مظنون سعادة . وما هو سعادة حقيقية . ثم ما هو عام للانسان وغيره وما هو خاص بالانسان مشترك بين كافة افراده ، او مختص بفرد دون غيره . وجعل من القسم العام « المأكل والمشرب وضروب الراحات التي ينال منها الانسان مثل ما يناله الحيوانات منها بل ان شهواتها في المطاعم والمشارب والازدواج اكثر دواماً من الانسان وهي أقوى عليها ، وجهال الناس اقوى في هذه الأسباب من فضلائهم » .

أما القسم الخاص بالانسان المشترك فيه كافة الأفراد (وهو ما ذكر من صدور الأفعال بروية ووفقاً لما يوجبه العقل) فهو موجود لكل انسان ينال منه بقدر رتبته من الانسانية وبدرجة شعوره بالقبح والحسن . وفيه يقال ان فلاناً أكثر انسانيةً من فلان . اما ما يختص به انسان دون آخر من أنواع السعادة فهو الاختصاص العلمي والفني الذي يختص به جماعة من الناس ويتفاوت فيه فرد عن آخر .

ثم ضرب المؤلف المثال لهذا القسم من السعادة بالفقر والغنى وقال « فان سعادة الموسر والفقير وان اختلفتا بحسب الأحوال فهما متفقتان في ترتيب الأفعال . وذلك ان سعادة الموسر تظهر في النفقة وتفريق المال في وجهه ، اعني ان يستعمله حيث يجب وكما يجب وعند من يجب . وسعادة الفقير تظهر في الصبر والتحمل كما ينبغي وعلى الحال التي ينبغي وعند من ينبغي . وكذلك سعادات اصحاب العلوم والصناعات فان سعادة الطبيب الماهر ليست سعادة الكاتب الحاذق ، وسعادة العالم بفنون كثيرة ليست سعادة العالم بفن واحد . اعني انهم وان رتبوا افعالهم فانها مختلفة بحسب موضوعاتهم التي ينظرون فيها » .

وبعد ذلك بيّن المؤلف أن السعادة الخاصة لا تحصل لصاحبها ما لم تحصل السعادة العامة فقال في ذلك «ثم ان لكل واحد من هؤلاء افعالاً تخصه من حيث هو صاحب علم ما او صناعة ما، وافعالا تعمه من حيث هو انسان . وليس تحصل له السعادة الخاصة به الا بعد ان تحصل له السعادة العامة له ولغيره» .

ثم ذكر السعادة القصوى وقال انها ليس منها شيء هو الكمال ولا الغاية . وقسمها الى نوعين : نوع موضوع عُرضاً . ونوع موضوع عُمقاً . ومثل الأول بالصناعات الموضوعة في بسيط واحد والتي تحصل بمبادئ مختلفة كالنجارة والصياغة . ومثل للثاني بالصناعة المتسلسلة كصناعة السروج فانها تحت صناعة الفروسية وهذه تحت صناعة الحرب، وهي تحت صناعة الملك وهذه تحت الشرع الذي ينظم السنن ويحفظها لسوق الناس الى السعادة . وعرف السعيد بانه من يوجد ابداً نشيطاً فسيح الأمل قوي الرجاء ساكن الجأش غير مكترث لأمور الدنيا الا بمقدار يسير . وهو جذل مسرور بنفسه لا بغيرها .

وبين ان الطريق للسعادة الابتداء بالدرجة الأولى بان تكون افعالنا جميلة وعوارضنا على ما ينبغي وتمييزنا جيداً صحيحاً . ثم ذكر كيفية تحصيل هذه الوسائل او حصولها وذكر تصانيف ارسطاليس التي رتب فيها المعرفة والتدرج بها والتي هي الطريق الى السعادة وختم بهذا البحث كتابه ذاكراً الزمن الذي يلزم لمن اراد المعرفة فقال «فأما مقدار الزمن الذي يفرض لمن أراد ان يعلم الحكمة على ما رتبه هذا الحكيم المحسن الينا — يعني ارسطاليس — المنعم علينا فعلى مقدار عنايته واهتمامه، ومعونة الاتفاقات اياه . اعني ان يكون ذكياً حافظاً واجداً للكتب والأستاذ والكفاية في المعيشة ..... ومدة ذلك على التقريب من عشر سنين الى عشرين سنة» .

هذا عرض موجز لكتاب أظهرته المطبعة وأخفته، أظهرته ولكنها لم تحسن ظهوره فهو مطبوع على هامش كتاب آخر ولكنه عندما ينتهي الكتاب الأصل

تجد الهامش ينزل الى الصفحات الأصلية فيحتل مكان الأصل ويصعد في نفس الوقت الى الهامش فتلاحقه العين في صعوده ونزوله . ومع هذه الإساءة يجد القارئ فيه من اغلاط الطبع وتحريف الكاتب ما يجعله يمل قراءة هامش واحد منه .

وبعد ذلك فاننا نأمل ان يعنى المؤتمر الثقافي العربي ولجان الثقافة العربية الأخرى في تتبع هذه الكتب والتعريف بها وطبعها وأخص منها ما هو موجود في البلاد الاسلامية مما طبع فيها أو خط ، وان يهتم القائمون بأمر الثقافة العربية بجمع هذا الشتات المتفرق واعادته الى موطنه الأول عن طريق النقل بالتصوير او الاستنساخ ، وان تكون مؤسساتنا الخارجية معنية برفع التقارير عن هذه الناحية الهامة .

بعقوبة ـ العراق

احمد جمال الدين



تصويبات لأغلاط مطبعية

جاءت في هذا العدد من المجلة

صفحة	سطر	غلط	صواب
٢٢٠	٢٣	نجلية	نجيلية
٢٢١	١٨	ويستخرج من صمغ	ويستخرج منه صمغ
٢٢٢	١٣	الخضروات	الخضراوات
٢٢٤	١٠	دوربنيا	دروبنيا
٢٢٥	٧	تقابل	مقابل
٢٢٧	١٧	صقع إيران	صقع في إيران
٢٢٨	٢٣	إنبق	إنبيق



الصفحة

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والعشرين

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٤٨ ٢٤ شعبان سنة ١٣٦٧

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

– ٢ –

حرف الباء

البابُوس : ܒܘܒܘܨܐ bobouço ، طفل ، صبي صغير . قال ابن خالويه هو الصبي ولم يذكره الا ابن احمر في شعره ، وفي التهذيب : البابوس الصبي الرضيع في مهده ، وفي حديث جريج الراهب ، مسح رأس الصبي وقال له : يا بابوس من أبوك ؟ وقيل هو الولد عامة من أي نوع كان ، واختُلف في عربيته فقيل رومية استعملها العرب كما في المجيد ، وقيل عربية كما في التوشيح اه (التاج ٤ : ١٠٥) وصوابه ، لفظة سريانية .

الباحور والباحوراء : ܒܚܘܪܐ bohouro ، غيم صيفي يستدل به على المطر في الشتاء المقبل ، وفي التاج : الباحور والباحوراء كعاشور وعاشوراء شدة الحر في تموز وهو مولّد . وجاء في كلام بعض رجّاز العرب[1] . صوابه معرّب من السريانية .

(١) الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية للدكتور داود الجلبي ص ١٥

الباشَق : ܒܘܙܝܩܐ bouziqo قال صاحب الجمهرة ص: ٢٩٣ هذا هو الطائر المعروف احسبه نبطيًا معرّبًا . وقال في القاموس انه معرّب (باشه) كذا . وقال الجواليقي في المعرّب ص ٦٣ انه اعجمي معرّب (١) ـ معرب من السريانية وذكر في سفر اللاويين ١١ : ١٤ « والباشَق بأجناسه » .

باطية : ܒܛܝܬܐ ܒܛܘܬܐ botitho botoutho وعاء للخمر ـ جاء في التاج : الباطية اناء قيل هو معرّب وهو الناجود ، وقال الأزهري الباطية من الزجاج عظيمة تملأ من الشراب وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون . وورد في الجمهرة ص ٣١١ البِطّة اناء كالقارورة عربية صحيحة احسبها لغة شامية .

الباعوث : ܒܥܘܬܐ boöutho كلمة سريانية معناها الطِلبة ، الابتهال ، التضرّع ، وهو في عُرف السريان بضعة أبيات لبعض أئمتهم منظومة على اوزان ثلاثة تُتلى يوميًا في أثناء الصلاة . عرّفها أصحاب اللسان والتاج والقاموس وأقرب الموارد بصلاة الاستسقاء او الاستمطار وهو تعريف ناقص ، لأن الباعوث يكون في صلاة الاستسقاء وفي كشف الغمة عند نزول الآفات ، وفي الأعياد الحافلة كعيد السعانين وكانت العادة أن يُطاف فيه . وفي حديث عُمر لما صالح نصارى الشام كتبوا له ان لا نحدث كنيسة ولا قليّة (كذا) ولا نخرج سعانينًا ولا باعوثًا . وجاء في كتاب عياض بن غنم لأهل الرقة « ولا يظهروا ناقوسًا ولا باعوثًا ولا صليبًا » البلاذري ص ١٨١ ـ وقال ماري بن سليمان الكلداني في كتاب المجدل ص ١١٨ واجتمع الناس ثلاثة ايام على الباعوث والطلبة بحسن الاختيار . وروى عمرو الطيرهاني في كتابه المجدل ص ٩٨ وعُمل الباعوث ثلاثة أيام . وورد في معجم الأدباء مج ١٧ ص ٢٢ ولأبي الهيذام الحراني اللغوي :

في يوم باعوثهم وقد نشروا الصلبانَ والمسلمون نظّارُ

وصرّح صاحبا اللسان والتاج بسريانيته قالا : وقيل هو بالغين المعجمة والتاء

(١) ومثله الاسكافي في مبادي اللغة ص ١٦٢

فوقها نقطتان . (٢ : ٤٢٢ ـ و ٤ ـ ١٢٩) وقد غلطا كما غلط ابن دريد في قوله « الباغوث » والجواليقي ص ٥٧ وصاحب المخصص ١٣ : ١٠٢ في تعريفها انه عيد النصارى على وجه الاطلاق . وكذلك شرح القاموس في مادتي (ب ع ت ، ب ع ث) فانه بالعين المهملة .

وخلاصة هذا الشرح : ان الباعوث كان قديماً يعني اولاً صلاة الاستسقاء وكشف الغمة في اثناء نزول الأوبئة وما اليها ، وثانياً دعاء في أثناء الطواف في الأعياد الحافلة

أما في وقتنا هذا فيعني أولاً : أبياتاً منظومة مختارة يترنم بها السريان في صلاتهم وثانياً : صوماً خاصاً بهم يسميه نصارى العراق باعوث نينوى وهو ثلاثة ايام تتقدم الصوم الأربعيني بثلاثة أسابيع ، وثالثاً حفلة دينية ثاني عيد الفصح عند الروم في بلاد الشام [1] .

باكورة : ܒܟܘܪܐ ܒܟܘܪܬܐ bacoro , bacortho أول الثمر خاصة والاسم ܒܩܝܪܘܬܐ bqiroutho وفي سفر اللاويين ٢٣ : ٢٠ « مع خبز البواكير »

البُحران : ܒܘܚܪܢܐ Bouhrono البحران عند الأطباء هو التغيير الذي يحدث للعليل دفعةً في الأمراض الحادّة ، مولدة (عن المطرّزي وأقرب الموارد والقاموس) انها لفظة سريانية وجمعها بحرانات ، وللطبيب الفيلسوف قسطا بن لوقا الرومي البعلبكي المتوفى عام ٩٠٨ م كتاب في النبض ومعرفة الحمّيات وضروب البحرانات ، وكتاب أيام البحران ، (طبقات ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٤٥) ولأبي الفرج ابن الطيّب تفسير كتاب البحران لجالينوس (فيه ١ : ٢٤٢) ورد هذا الاسم مراراً عديدة .

برّا : ܒܪܐ Baro خارج ، وبرّاني ܒܪܝܐ : خارجي Baroio : وقال

(١) انظر كتاب اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ٤٩٧

صاحب التاج : أصله من قولهم خرج فلان برّاً اذا خرج الى البرّ والصحراء وليس من قديم الكلام وفصيحه [1] .

البَرْخ : جاء في الجمهرة ص ٢٣٢ ويوافقه ابن سيدة ١٣ : ٦٥ البرْخ : الكثير الرخيص ، لغة يمانية ، وأحسب أصلها عبرانياً أو سريانياً وهو من البركة والنماء ، قال العجّاج :

ولو رآني الشعراء دُيّخوا ولو تقول بَرِّخوا ابَرَّخوا

لمارِ سرجيسَ وقد تدخدخوا

وفيه نظر ، فان قول الشاعر : بَرِّخوا وبَرَّخوا انما أراد به (ابرِكوا فبَرَكوا) من فعل ܒܪܶܟ Bréq السرياني بركَ : اي اركموا بالركوع ذكرى مار سرجيس الشهيد الجليل المنزلة عند العرب ، وتدخدخوا اي انقبضوا . وليس هو من البرْخ وهو الكثير الرخيص ، ولا من البركة . وليس في السريانية سوى لفظة ܒܽܘܪܟܬܳܐ Bourktho وتعني الغزارة والوفور ، فيظهر أنها اشتقت منها ، وحقها أن تكون البرْك لا البرْخ .

بارك : جاء في أقرب الموارد : برّك على الطعام وبرّك فيه : دعا له بالبركة ، وبارك الله لك وفيك وعليك وباركك : جعل فيك البركة وطهّرك . وتبارك الله تعالى : تقدس وتنزه .

ولكن لم يرد في المعاجم : باركَ الرجلُ اللهَ الاّ في ترجمات التوراة العربية من ذلك « باركوا الربّ يا جميع عبيد الرب » مزامير ١٣٣ : ١ وقد تكرر كثيراً . فهو بهذا المعنى حمد وسبّح مأخوذ من السريانية ܒܰܪܶܟ Barech .

وأضف الى برّك استعمالها للأشخاص عندنا من فعل ܒܰܪܶܟ نفسه ومنه في القانون السابع لايبفانيوس كما ورد في كتاب الناموس وهو المجموع الشرعي للروم

(١) برّا ، قال الزبيدي الصواب من برّ وهو ضد البحر والبرّية منسوبة اليه والجمع براري . وكذلك قال الأزهري هو كلام المولدين . قال في الدرّ المصون وفيه نظر لقول سلمان الفارسي « لكل امرىء جوّاني وبرّاني » أي باطن وظاهر ، وهو مجاز .

« يضع يده عليه ويبرّكه » وفي التاريخ الموسوم بتاريخ سعرت مج ٢ ص ٢٦٤ تبرك منه ، وبرّكه .

بُرشانة : ܦܘܪܫܢܐ Fuorchono خبزة التقدمة والقربان . سريانية نصرانية أخذاً من الاسم المذكور .

بَرشعثا : ܒܪܫܥܬܗ Barchoôthé اسم علاج معناه اللفظي : ابن ساعته وقالوا فيه : بُرء الساعة : ولأبي بكر الرازي كتاب بهذا الاسم . قال البديع الاصطرلابي يمدح (البرشعثا) لما الفه أو جدده أو حد الزمان ابو البركات الطبيب :

تجرّعت برشعثا وحاليَ أشعثٌ فما نزلت بي بعده علةٌ شعثا

ولو بعد عيسى جاز احياء ميّت لأصبح يحيا كلّ ميْتٍ ببرشعثا

بِركة : ܒܪܟܬܐ Brectho بِركة ماء : لفظة آرامية قديمة .

البَرْنَساء : ܒܪܢܫܐ Barnocho انسان ، رجل والاسم ܒܪܢܫܘܬܐ Barnochoutho إنسانية ، طبيعة بشرية . قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ٢ آدم أول البرنساء أي الناس . وفي كتاب المزهر ٢ : ٣٢٣ قال اعرابي : يا أيها البرنساء ، كَلِبَ الأزْلم ، اخذاً من الاسم : وحكى ابن سيدة ١٤ : ٩٩ برنساء على فعلالاء وقال صاحب المزهر ١ : ١٦٦ عن الأندلسي بمعنى الخلق وقال تفسيره بالسريانية ، ابن الانسان . وقال صاحب التاج ٤ : ١١٠ أي الناس ... والولد بالنبطية (كذا) برة نساء وقال الدينوري في أدب الكاتب ص ٢١٢ البرنساء الخلق وأصله بالنبطية ابن الانسان يقال في المثل ما أدري أيّ البرنساء هو . قلنا ان قول التاج برة نساء تعني امرأة ܒܪܬ ܐܢܫܐ Bathnocho بادغام الراء فهذا الحرف سرياني ولم تصرح المعاجم بسريانيته [1]

---

(١) قال صاحب الجمهرة في لفظة « البرنس » ص ٢٥٥ ان كانت النون زائدة فهو من البِرس أي القطن وان كانت أصلية فهو من قولهم ما أدري أي برنساء هو ، يعني أي الناس هو ـ اهـ ـ فانظر هذا التكلف البارد في التخريج الفارغ المغلوط فيه ، والا فأية نسبة للبُرنُس وهو الكساء الذي يغطّى به الرأس ، القلنسوة الطويلة ، أو الثوب الذي رأسه ملتزق به ، وللفظة (برنساء) السريانية ؟

الباري والبارياء والبورية والبارية : الحصير المنسوج من القصب وجمعه البواري قال فيه التاج : فارسي معرّب • وذكر القاموس انه معرب وهو بالسريانية ܒܘܪܝܐ Bourio والجمع ܒܘܪܘܬܐ Bourootho و ܒܘܪܝܬܐ Bouriotho قال ماري بن سليمان في كتاب المجدل ص ١١١ فعلق النار ببواري كانت ملفوفة في جانب الهيكل • وجاء في معجم الأدباء ٢ : ٢٥٨ ليس في داري سوى البواري • قلنا اننا نرجح سريانية هذا الحرف على فارسيته ، ذلك انّ حضارة الآراميين وانتشار لغتهم سبقتا حضارة الفرس بدهر مديد[1] • وما ارتأيناه في هذا الحرف ينطبق على الحرف الآتي وهو :

بَريد : رسول ، ناقل الرسائل وغيرها • جاء في التاج : قال الزمخشري في الفائق : البريد كلمة فارسية يراد بها في الأصل البرد • وأصلها برده دم أي محذوف الذَنَب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها فأعربت وخففت ، ثم سمي الرسول الذي يركبه بريداً اهـ • وفي السريانية ܒܪܝܕܐ Baridho بريد • رسول[1] •

بِزّ : بالكسر ثدي الانسان حَلَمة ܒܙܐ Bezo ، ܒܙܬܐ Bezto الحَلَمة رأس الثدي • قال احمد رضا في العامي والفصيح « مجلة المجمع العلمي العربي مج ١٩ ص ١٤٩ » « البَزّ » قال صاحب التاج والبَزّ والعامة تكسره ثدي المرأة ولا أدري كيف ذلك هذا كلامه • والذي أراه ان العامة اختزلت البَزّ من

— والبُرْنُس لفظ فارسي — وقيل ان « البَيْرُون » اشتق منه — قالوا في تعريفه ، هو ثوب يُطرح على الرأس وينزل على الكتفين ܒܝܪܘܢܐ Birouno وهو قبع كان جاثليق المدائن ينفرد بلبسه .

(١) الآثار الآرامية : للدكتور داود الجلبي الموصلي ص ١٩ و ٢٣

ومن توافق الألفاظ في اللغتين السريانية والعربية : حرف : بَزّ يبزّ بَزّاً وبِزّيزَى . سلب ، نهب ܒܙ ، ܒܙܘܙܝܐ Bzouzio , Baze وهذا المصدر النادر (بِزّيزَى) وقع في اللغتين يُقال رجعت الخلافة بِزّيزَى أي تُبَزّ بَزّاً ولا تؤخذ بالاستحقاق . (أساس البلاغة ١ : ٤٥) .

البَزْباز أي بزباز الكير استعير لحلمته التي يمتصها الرضيع ثم عم عندهم للثدي كله، أما بزباز الكير فقد جاء عن أبي عمرو كما في التاج «البزباز قصبة من حديد على فم الكير الذي تنفخ منه الكير» اه • فالكلمة سريانية ليست لا من البزباز ولا من الإبزاء وهو ارضاع المرأة الصبي الرضيع كما وهم رشيد عطية في كتابه: «الدليل الى مرادف العامي والدخيل» •

بَسأ به : ܒܣܐ Bço تهاون واحتقر، رذل نبذ، وردت في التاج ١ : ٤٩

البساق : جاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٩٩ «قالوا وكان النهر المعروف بالبزاق قديمًا وكان يدعى بالنبطية (البساق) أي الذي يقطع الماء عن ما يليه ويجرّه اليه» هذه كلمة سريانية ܦܣܘܩܐ Fsoqo بالقاف بعد السين وهي : القطع والصدّ والمنع أو ܦܣܩܐ، ܦܣܘܩܐ Fosqo، Fosouqo القاطع والمانع •

البَسط والبساطة : قال السيد احمد رضا (مج ١٩ ص ١٤٩) «من المولّد البساطة في الطبع وهي السذاجة وأصل البسط في اللغة النشر، وفي البصائر : استعار قوم البسط لكل شيء لا يتصوّر فيه تركيب وتأليف ونظم» اه وقال السيد مصطفى جواد (مج ١٩ : ٢٦٤) استعمال بسيط بمعنى هيّن وسهل ليس بفصيح، ثم أورد خمسة أدلة استشهد بها ان معنى بسيط هو واسع، قال الفرّاء «اني مملٍ كتاب معانٍ أتمّ شرحًا وأبسط قولاً من الذي أمليت» (تاريخ الخطيب البغدادي مج ١٤ ص ١٥٠) • وراجع الجمهرة ص ٢٨٤ ترَ ان اللغة تخلو من لفظة بسيط بمعنى : ساذج • فالحرف سرياني : ܦܫܝܛܐ Fchito، بسيط غير مركب، ساذج، بسيط اعتيادي، سهل هيّن • والمصدر ܦܫܛܐ Fchoto والاسم ܦܫܝܛܘܬܐ Fchitoutho بساطة سذاجة • سهولة ومما يجب اضافته الى هذه المادّة : الترجمة البسيطة المشهورة في العالم المسيحي وهي ترجمة للكتاب المقدس بالسريانية عُملت في القرن الأول وصدر القرن الثاني للميلاد ܦܫܝܛܬܐ Fchitto فشيطتا

البِطاقة : قال الجوهري رُقَيعة توضع في الثوب فيها رقم الثمن بلغة أهل مصر سميت بذلك لأنها تُشدُّ بهُدبٍ من الثوب ، والرسالة ج بطائق : ܦܛܩܐ ܦܛܩܐ Fetqo سريانية [1]

البَطَّة : قال صاحب الجمهرة ص ٣١١ هذا الطائر ليس بعربي محض : اللفظة سريانية ܒܛܐ Bato « كنز اللغة السريانية لتوما اودو ص ٧٠ »

البُطم : شجر وثمر ، وفي قاموس الألفاظ الزراعية للشهابي ص ٥١١ لفظة سامية لها أشباه بالآرامية والعبرانية والآثورية . وورد في سفر التكوين ٤٣ : ١١ « وخذوا في أوعيتكم من خيرات الأرض وأطايبها ... وبُطماً » ܒܛܡܐ ، ܒܛܡܐ والواحدة ܒܛܡܬܐ Betmo ، Betmé ، Betmtho .

بِطّيخ : ܦܛܝܚܐ Fatihé ضرب من اليقطين لا يعلو ولكنه يذهب حبالاً على وجه الأرض . والمِبطخة موضعه ومَنبِتُه وتبطّخ أكل البِطّيخ (الأساس ١ : ٥١) .

بَعير : دابّة ، بهيمة ، جمل ، بَعير . عد السيوطي هذه الكلمة من الألفاظ المعجمة قال في كتاب الاتقان ص ١٣٩ « أخرج الفريابي عن مجاهد في قول القرآن ، كيل بعير أي كيل حمار ، وعن مقاتل ان البعير كل ما يُحمَل عليه وهو بالعبرانية . هو بالسريانية ܒܥܝܪܐ باسكان أوّله : Biiro

البُستوقة : قُلّة مدهّنة ، ܒܙܕܘܩܬܐ Bezdouqto : قال الاسكافي في باب الأواني : « من الخزف البُستوقة وهي مضمومة الباء » وجاء في طبقات الأطباء ١ : ١١ اخرجت اليهم بستوقة خضراء فيها خمر مطيّنة الرأس لم تُفتح . وهذه اللفظة معروفة في عاميّة بلاد الشام والجزيرة وهي سريانية [2] .

---

(١) وذكرها الثعالبي في فقه اللغة ص ٣١٨ في ما نسبه بعض الأئمة الى اللغة الرومية . راجع في هامش القاموس ٣ : ٢١٤ اعتراض ابن سيدة على تعريف الجوهري .

(٢) البشنقة : قال في مستدرك التاج « البشنقة هي البخنقة » وفي ذيل أقرب الموارد عن التاج « تبخنقت الجارية تقنّعت بالبخنق » وفي أقرب الموارد والقاموس : البخنق بضم الأول وضمّ الثالث وفتحه ، خِرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن —

بَلَخِيّة : ܒܠܘܝܛܐ Bhaloito شجرة ذات رائحة طيّبة . وقال الشرتوني : شجر عظيم أشبه بالرمان له زهر حسن .

بَلُّور : ܒܠܘܪܐ Bélouro والنسبة اليه ܒܠܘܪܝܐ Bélouroio قال أيوب الصديق : في صفة الحكمة « لا يُذكر المرجان او البلور بازائها ٢٨ : ١٨ » وفي أقرب الموارد : البلاّري : المصنوع من البلور والمرصَّع به ، ولم اره في الأمهات الصحيحة ولكن نقله فريتغ ولم يسنده ، لحرره .

بَلُّوط : شجر وثمر معروف ، لفظة آرامية ܒܠܘܛܐ Baluto « معجم الألفاظ الزراعية » والواحدة ܒܠܘܛܬܐ Balouttho وفي سفر اشعيا ٦ : ١٣ ويعود فيؤكل كالبطمة وكالبلوطة .

البَليخ : اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون وأعظم تلك العيون عين يقال لها الذهبانية في أرض حرّان فيجري نحو خمسة أميال ثم يسير الى موضع قد بنى عليه مَسلمة بن عبد الملك حصناً يكون اسفله قدر جريب وارتفاعه في الهواء اكثر من خمسين ذراعاً ، وأجرى ماء تلك العيون تحته ، فاذا خرج من تحت الحصن يُسمى بَليخاً . (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٨٢ و ٢٨٣) قال ابن دريد : لا احسب البليخ عربياً (فيه) ... وقد جمعها الأخطل وسماها بُلخاً ، قال : أقفرَتِ البُلْخ من غَيلان فالرُّحَبُ

وقال في الجمهرة ص ٢٣٨ موضع لا أحسبه عربياً صحيحاً . قلنا هو سرياني ܒܠܝܗܐ Bliho ابلَه ، حيران .

البُنْك : في القاموس : البُنْك أصل الشيء او خالصه ، وعلّق عليه في الهامش قوله البُنك بالضم معرّب كما قال الأزهري . والبِنْج بالكسر : الأصل .

--- والدهن من الغبار . وورد في الدليل ܦܫܡܘܓܐ ، ܦܫܡܘܓܐ Fachmougho Fachmogho : خَلَق ، خرقة . واللفظة مستعملة في لغة الموصل العامية فارتأى الدكتور داود الجلبي أنها معربة عن السريانية (الآثار الآرامية ص ٢٠) .

وهو حرف سرياني ܒܘܢܩܐ Bounqo ومعناه قاعدة، أصل المنارة خاصةً .
ومنه فعل تبنَّك أقام في المكان ، تأصل . وفي أقرب الموارد . يقال هؤلاء قوم من بُنْك الأرض . أما صاحب الجمهرة فقال فيه ص ٣٢٧ بُنْك الشيء خالصه كلام عربي صحيح !

البِنّي : صنف من السمك وخلا منه القاموس وهو بالسريانية ܒܢܘܢܝܬܐ ، ܒܢܘܝܬܐ Binoito ، Binoiotho .

بُوْر : جاء في الجمهرة ١ : ٥ بُوْر ليس من كلام العرب . وورد في القرآن : (وكنتم قوماً بُوراً) أي لا خير فيكم أو هالكين . انها لفظة سريانية ܒܘܪܐ Bouro اي ما بار من الأرض فلم يُعمَر ، خاوٍ غير مفلوح . ولا تزال عامة أهل بلاد الشام تتداولها بهذا المعنى .

بوص : ܒܘܨܐ كتّان وفي سفر الخروج ٢٥ : ٤ «واسمانجوني وارجوان وقرمز وبُوص» Bouço .

بَيْزار : حامل البازي ܒܙܝܩܪܐ Boziqoro .

البِيعة : قال ابن سيدة ١٣ : ١٠٢ موضع المترهب وقيل هي كنيسة اليهود ، وكلا قوليه غلط فان البيعة متعبَّد المسيحيين والكنيس متعبَّد اليهود ، والدير موضع المترهب . وقال الجواليقي ص ٨١ البيعة والكنيسة جعلها بعض العلماء فارسيين معرّبين ! . قلنا أجمع علماء السريانيين ان «البيعة» عبرية الأصل اشتقت من حرف ܥܐܕܐ أي العيد ، وهو عبراني آرامي كأنهم قالوا فيها ܒܝܬ ܥܐܕܐ وأدغمت فيها الثاء والدال Béïto وسريَنها السريان بتحويلها عن لفظ العبرانيين الى لفظهم فقالوا فيها ܒܝܥܬܐ Iᵉto ومعناها المجمع الحافل أو المحفَل البهج ، الذي يكون في العيد . وجمعها بِيَع وبِيْعات وبِيَعات . قال الزبرقان بن بدر التميمي :

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنا منا الملوكُ وفينا تُنصب البِيَعُ (١)

(١) سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥

حرف التاء

تاج : ܬܓܐ Togho (توغو) اكليل وتوّجه به فتتوّج البسه اياه : وفي سفر ايوب الصديق : « ونزع تاج رأسي » ١٩ : ٩ · وفي مزامير داود النبي « ووضعتَ على رأسه تاجًا من ذهب ابريز » ٢١ : ٣ · سريانية وأما التاج بالعبرية فهو كِتِر [1] ·

التّامُور : قال ابن سيدة ١٤ : ٤٣ التّامور صبغ احمر وربما جعلوه موضع السرّ ، سريانية · وقال ابن دريد (المزهر ١ : ١٦٦) ومما اخذوه من السريانية التامور وهو موضع السر اه · وزاد الفارابي : وما بالدار تامور اي احد ، وما في الركّية تامور اي شيء من ماء · قلنا ليس في السريانية شيء من هذا الحرف وهذا المعنى · وليست التّامور لفظاً يونانياً كما ورد في الطبقات ١ : ٨٧ ولكنها حبشية [2] · وجاء في التاج ١ : ٢٠ التامور صومعة الراهب وناموسه ، وقالوا أيضاً : التامورة صومعة الراهب وعرّيسة الأسد · وانما هي النامور والنامورة بالنون لا بالتاء : و ܢܡܘܪܬܐ Nomarto تعني عندنا قفص السباع ، وبالعربية : مصيدة الذئب فاستعملوها بطريقة الاستعارة ·

تُبّان : ܬܘܒܢܐ Toubono سراويل ، سريانية وقال بعضهم انها فارسية

تبّرهُ اللهُ : أهلكه ܬܒܪܗ من فعل ܬܒܪ و ܬܒܪ Tabré , Tbar Tabar سحق وحطّم والمصدر ܬܘܒܪܐ touboro ، وفي سفر أيوب « وتبّرني من كل جهة » ١٩ : ١٠ وفي نبوّة ارميا « فقد سلّطتك اليوم على الأمم والممالكات لتنسف وتهدم وتتبر » ١ : ١٠ كتاب الدين والدولة ص ١٠٦ واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله : وليتبروا ما علوا تتبيراً ، قال تبّره بالنبطية (الاتقان

---

(١) من الألفاظ العامية : التاقول وهو وزّان البناء ، والساعة ܬܩܘܠܐ Tocoulo حرف سرياني ·

(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للأب شيخو ١ : ٢١٢

للسيوطي ص ١٣٦ ـ ١٤١) وفي الجمهرة ١٩٤ تبّره الله تتبيراً اذا اهلكه ومحقه . قال ابن اسحق ، ومنه قيل لمكسّر الزجاج تبر ܬܒܪܐ tebro كسرة قطعة ٦ : ١٢٩

تُخم : ܬܚܘܡܐ Thoumo حدّ ، آخر ، نهاية والفعل ܬܚܡ Tahème تخم ، حدّد ، عيّن وفي سفر التكوين « فكانت تخوم الكنعاني من صيدون » ١٠ : ١٩ وفي سفر العدد « فيكون البحر الكبير لكم تخماً » ٣٤ : ٦ جاء في التاج : من اللغويين من قال التخوم مفرد جمعه تخوم ايضاً . ومنهم من جعلها جمعاً واحده تخم ومنهم من قرأها بالفتح وآخرون بالضم . وغلط صاحب شفاء الغليل : بقوله : تخم عربي صحيح لأنه معرّب عن السريانية .

ترجم : ܬܪܓܡ Targhème ترجَم ومشتقاتها الترجمة والترجُمان ܬܘܪܓܡܐ ، ܬܪܓܡܢܐ و ܬܘܪܓܡܢܐ Tourgmono , Targmono حروف سريانية لا اصل لها في العربية . ومنها ܬܘܪܓܡܐ Tourgomo Tourgomo بمعنى الخطبة وجمعها تراجيم ، تداولها السريان المسيحيون في القرون الأولى والوسطى لتفسير القس او الأسقف بها فصل الانجيل الذي يقرأه ، وورد في كتاب المجدل لماري بن سليمان ص ١٥٣ « وترجم وقدّس » اي خطب بعد قراءة الانجيل مفسراً اياه . وفي المجدل لعمرو الطيرهاني ص ١١١ وعمل كتباً كثيرة من جملتها كتاب تراجيم الأعياد المارانية ، ويعني الخطب الدينية التي حبّرها الخطيب البليغ ابو حليم ايليا الحديثي جاثليق الكلدان المتوفى عام ١١٨٩ م وقد طُبعت في الموصل .

ترَص الشيء : قوّم وأحكم فهو تريص . وفي التاج ٤ : ٣٧٩ ترَص الشيء فهو تريص محكَم شديداً ميزان تَريص : مستوٍ عدل ـ ١ هـ ـ وترّصه احكمه فهو مترّص وتَريص . وبالسريانية ܛܪܨ ، ܬܪܨ ، ܡܬܪܨܐ ، ܛܪܝܨܐ Trace , Tarèce , mtarço , Triço قال امية بن ابي عائذ في ديوان الهذليين ص ١٧٧ :

او دُمية المحرابِ قد لعبت بها ايدي البُناة بزُخرُفِ الإِتراصِ [1]

تُرعة : ܬܘܪܥܬܐ Tour°etho : تُرعة ، ثلمة ، فوهة ، جدول ماء . قال في شفاء الغليل ص ٥٢ « ترعة بالضم هي الباب بالسريانية » قلنا وصوابه ما أوردناه اما الباب فهو ܬܪܥܐ Tarôô » والترّاع البوّاب عرّبت وجعلت بمعنى مفتتح الماء ومجراه لأنه يشبه الباب » اه ثم اورد حديثاً وردت فيه العبارة : « تُرعة من تُرَع الجنّة » وفي التاج ٥ : ٢٨٤ « والترعة الباب نقله الجوهري والصاغاني يقال فتح تُرعة الدار اي بابها . وقال ثعلب :

الترّاع : البوّاب : وفي الأساس ١ : ٦٩ جاء القرّاع فردّه الترّاع . هو ܬܪܘܥܐ Taro°au [2] ومما أُلحق بهذا الحرف دير للسريان كان بالقرب من حلب يسمى (ترعيل) [3] من لفظي ترع وإيل اي باب الله ويُعرف اليوم باسم قرية بابلي . وذكر ابن المستوفي ايضاً في تاريخ اربل (عُمر اتراعيل) المشرف على بلد حزّة وبينه وبين كفر عزّى أقل من ميل (في بلاد العراق) [4]

ومنه ايضاً (ترعوز) اسم قرية كانت مشهورة عظيمة بالقرب من مدينة حرّان (من ترع : باب وعوز) اي العزّى الصنم المعروف أو عزوز احد آلهة الصابئة (الفهرست لابن النديم ص ٤٤٦ و ٤٥١) وذكر البيروني في القول على اعياد المجوس الأقدمين وصيام الصابئين وأعيادهم قال « وفيه اي في العشرين من ايار ، عيد ترعوز » [5]

ترمال : ܬܪܡܠܐ Tarmolo مزود ، مخلاة ، وزاد ابن بهلول : خريطة ، ترمال . لم يرد هذا الحرف المعرّب عن السريانية في المعاجم العربية . لكن في ترجمة الانجيل القديمة الفصيحة التي منها نقل علي بن ربن الطبري في كتابه

---

(١) النصرانية وآدابها ١ : ٣٥٤

(٢) وجاء في المجدل لماري بن سليمان ص ٩٢ وجعل عليه الرصد ترّاع بيعته .

(٣) اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ٥٠٩ (٤) مسالك الأبصار للعمري ص ٢٨٨

(٥) الآثار الباقية ص ٣٢١

« الدين والدولة » الذي وضعه نحو سنة ٨٦٠ م « وليس معكم كيس ولا تِرمال (يعني به المِزوَد) ... فليشترِ ... ومَن لم يكن له ترمال مزوداً » انجيل لوقا ٢٢ : ٣٦ [1] .

تِكّة : رباط السراويل ج تِكَك : ܬܟܬܐ Tecto قال ابن دريد أحسبها دخيلاً . وجاء في المزهر ١ : ١٦٧ قال في الجمهرة : التكة لا أحسبها الا دخيلاً وان كانوا قد تكلموا بها قديماً . وصاغ العرب منها فعل استك . وآلتها : المتك (التاج) .

تلاشى : هذه كلمة خاض فيها بعض الكتاب واختلفوا فيها : قال الأستاذ النشاشيبي في (احاديثه في اللغة المجلة مج ١٩ ص ١١٨ ـ ١٢١) بنت العربية (الملاشاة والتلاشي) من (لا شيء) في القرن الثالث ، فقالوا : لاشى يلاشي وتلاشى . وجاء في النهج (وما تلاشت عنه بروق الغمام) وعلق ابن ابي الحديد في الحاشية مج ٢ ص ٥٣٢ قوله : هذه الكلمة اهمل بناءها كثير من أئمة اللغة وهي صحيحة وقد جاءت ووردت . قال ابن الاعرابي : لشا الرجل اذا اتضع وخس بعد رفعة ، واذا صح أصلها صح استعمال الناس تلاشى الشيء بمعنى اضمحل . وقال القطب الراوندي : تلاشى مركب من لا شيء . ولم يقف على اصل الكلمة . (قلت) مقالة ابن ابي الحديد متلاشية والحق مع الراوندي (صاحب شرح نهج البلاغة ومعتقد الشيعة) وقال البديع الهمذاني في احدى رسائله « الوحشة تقدح في الصدر اقتداح النار في الزند . فان أُطفئت بارت (وتلاشت) وان عاشت طارت وطاشت » وقال في مقامته الصيمرية « وتلاشت صحتي » وفي العمدة لابن رشيق ١ : ٨٠ ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى . ووردت في المثل السائر وفي كلام ابن خلدون والأمير شكيب وغير ذلك .

---

(١) ان تعيس التي يلحن فيها بعض المعاصرين بدلاً من تعِس : نراها مأخوذة من السريانية التي ورد فيها ܬܥܝܣܐ و ܬܥܝܣܘܬܐ Tiicho

وطلع علينا الخفاجي في آخر الزمان يقول في شفاء الغليل ص ٥٢ : « التلاشي بمعنى الاضمحلال عامية لا اصلَ لها في اللغة اهـ ودونك بقية سند الخفاجي : واعترض التاج الكندي على قول ابن نُباتة الخطيب : وبقايا جسوم متلاشية ، بان تلاشى الشيء بمعنى اضمحلّ وبطل الاعتداد به ولم يرد عن العرب ، قيل كأنها مشتقة من لا شيء كبسمل وحمدل في باب النحت (كذا) قاله ابن الجوزي في غلطاته ، لكنه ورد في قول الصنوبري :

وتلاشى نضح الدموع فما تملك عيني الاّ دماً نضاحاً

وورد في حديث رواه السخاوي في كتاب مناقب العباس بهذا المعنى وصححه بخطه ان معاوية سأله عن أبيه فقال : تلاشت الأحداث عند فضيلته وتباعدت الأنساب عند ذكر عشيرته اهـ .

وأردف النشاشيبي قوله « عاميّة يا شيخ ؟ قل مولّدة قل محدثة . قد نشأت في العراق . جاء في (جامع البيان) تفسير الطبري ج ١ ص ١٠ لما خرج عبد الله ابن مسعود من الكوفة اجتمع اليه اصحابه فودعهم ثم قال : « لا تنازعوا في القرآن فانه لا يختلف ولا يتلاشى ولا ينفذ لكثرة الردّ اهـ (قلت) وان صح شيء من معاني هذا الحديث فقد رواه راويه في القرن الثالث بلغة وقته اهـ .

وقال الأستاذ سليم الجندي في رسالته في علي بن ابي طالب ص ١٢١ « تلاشى كلمة مولّدة لم ترد في كلام صحيح للمتقدمين » اهـ .

قلنا : هي كلمة معربة من السريانية اما من فعل ܐܬܠܐܝܬܝ Ethlaiti : تلاشى ، أعدم ، وهو مجهول فعل ܠܐܝܬܝ Laiti واما من فعل ܐܬܬܠܫ Ettlèche : قُلع نُزِع استؤصل ، مجهول فعل ܬܠܫ Tlache وأدلة النشاشيبي تؤذن بصحة استعمالها من القرن الثالث فما بعده ولا تمعن في أصلها ، ولا يصح اشتقاقها من (لا شيء) كما لم يصح زعم بعض الأئمة اشتقاق كلمة (ازلي) من (لم يزل) [1]

(١) انظر أساس البلاغة ١ : ١١ وشفاء الغليل ٣٢

التلميذ : ܬܠܡܝܕܐ Talmidho : المتعلم والطالب يقال تتلمذ له وتلمذ صار تلميذاً له ، والمصدر التلمذة ܬܘܠܡܕܐ Toulmodho ولا أصل لهذا الحرف في العبرية وانما هو سرياني أصله من فعل ܠܡܕ Lmadhe اي جمع أضاف ، وفي انجيل متى : « تلمذوا جميع الأمم » ٢٨ : ١٩ وورد في سفر أخبار الأيام الاول « المعلم مع التلميذ » ٢٥ : ٨ وخص باسم التلاميذ الرسل الحواريون أنصار السيد المسيح واتباعه السبعون (قاموس ابن بهلول مج ٢ ص ٢٠٦٨) وخلا من هذا الحرف اساس البلاغة والمصباح والقاموس[1] .

تِلّيس ، تِلّيسة : ܬܠܝܣܐ Taliço : كيس ، خُرج ، عِدل ، وفي قاموس ابن بهلول : اصغر من الجوالق . جاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٢٦ « وكان اذا غزا اخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع ... ومخلاة وتلّيسة . وفي شرح درة الغوّاص ص ١٤٦ التليس الكيس الذي يوضع فيه الدفاتر والعامة تستعمله بمعنى الغرارة . وفي درّة الغواص ص ٦٢ ذكر ثعلب في بعض أماليه ، ان قول الكتّاب لكيس الحساب تَلّيسة بفتح التاء مما وهموا فيه واما الصواب كسرها . وفي محيط المحيط ، التلّيس الهنة تسوّى من الخوص فتوضع فيها الزجاجة ، وكيس الحساب أيضاً . وورد في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٣ : ٩٢٩ في ذكر دابة ظهرت في النيل ورقبتها مثل ثخن التلّيس المحشوّ تبناً : تعليق في الهامش وهو : معنى التليس هنا الكيس الذي يستعمل لتعبئة الغلال والأتبان . وهو مطابق لمعنى التلّيس بالسريانية ويغلب نسجه من القنّب لا من الخوص .

تنّور : ܬܢܘܪܐ Tanouro ، وبالعربية مشدّدة النون : جاء في التاج ٣ : ٧١ « التنّور الكانون الذي يخبَز فيه (أراد بالكانون ما يشبه الخابية الواسعة) يقال

---

(١) قال صاحب المزهر عن أبي الطيب اللغوي « واما لأنه لم يخرج من تلامذته أحد يحي ذكره » ٢ : ٢٥٩ ونقلها من خطه تلميذه ابو حامد محمد بن الضياء الحنفي ١ : ٥٩ .

هو في جميع اللغات كذلك ، وقال الليث التنّور عمت بكل لسان ، قال ابو منصور هذا يدل على ان الاسم في الأصل اعجمي فعربته العرب فصار عربياً على وزن فعّول ، والدليل على ذلك ان أصل بنائه تنر . قال ولا نعرفه في كلام العرب لأنه مهمل ، وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والسندس ، والاستبرق وما أشبهها ولما تكلمت بها العرب صارت عربية » وقال السيوطي في المزهر ٢ : ٢٣٢ « ذهب ثعلب أيضاً في تنور الى انه تفعول من النار وهو غلط انما هو فعّول من لفظة ت ن ر وهو أصل لم يستعمل الا في هذا الحرف وبالزيادة كما ترى . ومثله ما لم يستعمل الا بالزيادة : حوشب وكوكب وشعلع وهزنبزان ومنجنون وهو باب واسع جداً . ويجوز في التنور ان يكون فعنولا . ويقال ان التنور لفظ اشترك فيه جميع اللغات من العرب وغيرهم ! وان كان كذلك فهو ظريف ، الا انه على كل حال فعّول او فعنول » اه وقال الاسكافي ص ٦٢ « التنور لفظة عربية والتاء فيه أصلية وليس من النار ولا من النور ويقال له الوطيس » وقال في ص ٣٤ « المِسْعَر والوطيس والتنور والهيلم واحد » وراجع في المزهر ١ : ١٥٨ رأي ابن جني وتخبطه في هذه اللفظة . أما الأصمعي فاعتبرها فارسية (المزهر ص ١٦٦) ومثله ابن سيدة ١٤ : ٤٣ وقد وردت بالفارسية وهي مخففة . والخفاجي ٥٢ وقال ابن عباس ان التنور مشترك بكل لسان [1] ، وأقدم ما ورد لفظ التنور في التوراة في عهد ابرهيم الخليل « واذا بتنّور يدخّن » سفر التكوين ١٥ : ١٧ وفي معجم البلدان ٧ : ٢٩٨ « قال علي بن ابي طالب ، وفي زاويته فار التنور » ويستعمل التنور أيضاً لطبخ الآجرّ : قال ابن الفوطي في الحوادث الجامعة ص ٤٠٦ « وكان يعمل مع أرباب تنانير الآجرّ وهو الذي ينقل اللبن الى التنور ثم يحطه بعد طبخه »

---

(١) وفي المصباح المنير ١ : ١٢٣ التنور الذي يخبز فيه وافقت فيه لغة العرب لغة العجم وقال ابو حاتم ليس بعربي صحيح . وفي الاتقان ١٣٩ : ذكر الجواليقي والثعالبي انه فارسي معرب .

فجمعه تنانير ، وصانعه التنّار . وصفوة هذا البحث : ان التنور اما لفظ سرياني في ما نرى واما ورد في اللغة السامية القدمى ومنها سرى تداوله الى اللغات الشرقية .

تنّوم : ܬܢܘܡܐ Tanomo نبات القنب المعروف الذي يسمى حبه الشاهدانج . حرف سرياني .

تنين : ܬܢܝܢܐ Tanino حوت ، حية عظيمة ج تنانين . وفي سفر التكوين « وخلق الله التنانين العظام » ١ : ٢١ سريانية .

توث : ܬܘܬܐ Toutho شجر وثمره معروف ، جاء في التاج : صرح ابن دريد وغيره بأنه معرب ليس من كلام العرب الأصلي ، وان اسمه بالعربية الفرصاد بالكسر . وقال صاحب المزهر في شرح أدب الكاتب انه اعجمي معرّب . وقال الأزهري كأنه فارسي والعرب تقوله بتائين ، ومنع من التاء المثلثة ابن السكّيت وجماعة « المصباح ١٢٤ » واختلف اللغويون في التاء والثاء ومنهم من قال أنهما لغتان ، والصواب أنه حرف سرياني بالثاء المثلثة .

التيمن : ܬܝܡܢܐ Tâïmno ܬܝܡܢ Taiman قال الشرتوني وذكره في حرف الياء وحقه ان يذكر في حرف التاء « التيمن الجنوب والتاء بدل من الهمزة ، وقيل سريانية » . قلنا هي سريانية وتاؤها أصلية وليست بدلاً من الهمزة من لفظ أيمن . جاء في نبوة اشعيا ٢١ : ١ « انك ستأبي من جهة التيمن من بلد بعيد (الدين والدولة ص ٨١) وفي انجيل متى ١٢ : ٤٢ « ملكة التيمن أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان » وفي كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٢٣ « وهاتان الجهتان المشرق والتيمن بخلاف ذلك » وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٩ « ولبني حام التيمن كله اي الجنوب » وفي ص ١٠٢ « وتمت نبوة دانيال حيث قال : ابنة ملكة التيمن تعطى لملك الجربياء »

* * *

حرف الثاء

ثَبْ : جلس متمكناً(١) : ܝܬܒ ytbèbe ومنه صيغة الأمر :
ثِبْ : اجلس : ܬܒ Thèbe وفي الاكليل للهمداني ص ٣٩ : « ذكروا انه وفد بعض بني دارم الى ملك اليمن في عصره ، فقصده بظفار فصادفه دونها في متصيَّد له وهو مُشفٍ على عرفة جبل . فلما واجهه علم أنه وافد . فقال له ثب على الفِناء اي اقعد على الأرض ، والأرض الفِناء . فظن انه يقول له ثب في الحيد . فوثب فتردى فمات . فقال الملك : من دخل ظفار حمّر أي لا يقصد ظفار الا من عرف لغات أهلها » وروى اللغويون هذه الحكاية في مادة ح م ر . وصاحب المزهر في النوع السادس عشر ١ : ١٥٢ وقال : وورد في الحديث : فوثبه وسادة أي افرشه اياها . وان الوثاب : الفراش في لغة حمير .
مثقال : وزن معلوم ܡܬܩܠܐ ، ܬܩܠܐ Mathcolo , Teclo

* * *

حرف الجيم

جالوت : جالية ، سي : ܓܠܘܬܐ Goloutho كلمة سريانية والفعل : ܓܠܐ ، ܓܠܝ ، ܓܠܘ جلا ، سي glo , galwi والفاعل ܓܠܘܝܐ ، ܓܠܘܝܐ galawois , golwio وجمع الجالية جوالي . قال المسعودي في التنبيه والاشراف ص ١١٣ « وكانت له (لسعيد بن يعقوب الفيومي) قصص بالعراق مع رئيس الجالوت داود بن زكي من ولد داود واعترض عليه ... وكانت وفاته بعد الثلاثين والثلثماية » وقال البيروني في الآثار الباقية ص ١٦ « رأس الجالوت وتفسيره رئيس الجالية الذين جلوا عن أوطانهم بيت المقدس هو صاحب كل يهودي في الدنيا والمتملك عليه مطاعاً في جميع الأمصار نافذ الأمر عليهم في أكثر الأحوال »

(١) أقرب الموارد .

وفي ص ٥٨ « ومنهم فرقة يسمون العنانية وهم منسوبون الى عنان رأس الجالوث كان منذ مئة وبضع سنين » وهذه الرتبة أقرتها الدولتان الارشاقية والساسانية منذ صدر المئة الثالثة للميلاد أو قبيل ذلك[١] جاء في المزهر عن ابن دريد : فأما جالوث فليس بكلام عربي . وفي شفاء الغليل ص ٦٧ « قال في الزاهر « هم أهل الذمة وانما قيل لهم جوالي لأنهم جلوا عن مواضعهم » والناس الآن يتجوزون به عن الخراج وعن الوظائف المرتبة منه وهو ليس بعربي اه وقال ابن الفوطي في تاريخه الحوادث الجامعة ص ٦٤ « ابو عبد الله محمد بن فضلان .. وولي النظر بديوان الجوالي توفي سنة ٦٣١ »[٢] ، ووجدنا في خزانتنا المرقسية السريانية بالقدس زهاء اربعين من اوراق الخراج والجوالي تحت رقم ٣٤٩ — ٣٧٠ من سنة ٩٦٧ حتى سنة ١٠٤٩ هـ (١٥٥٩ — ١٦٣٩ م) فالكلمة توافقت عليها اللغتان السريانية والعبرية .

الجبر : ܓܰܒܪܳܐ gabro الرجل كلمة سريانية جاء في التاج ٣ : ٨٣ قال ابو عمرو : الجبر الرجل وأنشد قول ابن احمر : وانعم صباحاً أيها الجبرُ ، أي أيها الرجل . ولا نعنى ما تأوله صاحب الجمهرة بقوله في ١ : ٢٠١٨ الجبر ، الملك ، ولا ما قاله صاحب أقرب الموارد بقوله فيه ، الرجل الشجاع ، وصاحب القاموس : الرجل والشجاع .

جبرائيل : جاء في التاج ٣ : ٨٦ « جبرائيل علم ملك .. اي عبد الله قال الشهاب سرياني ، وقيل عبراني ... وقد أشار بمثل هذا البحث عبد الحكيم في حاشية البيضاوي ، قلت وأحسن ما قيل فيه ان الجبر بمنزلة الرجل والرجل عبد الله وقد سمع الجبر في قول ابن احمر كما تقدمت الاشارة اليه ، كذا حققه ابن جني في المحتسب وفيه اربع عشرة لغة ... كما قدمنا من التخليط الأعجمي »

(١) لابور في كتابه « النصرانية في مملكة الفرس ص ٧ — ٨ نقلاً عن تاريخ اليهود تألف غريتز » .

(٢) راجع أيضاً المصباح ص ١٦٧ « قال ثم استعملت الجالية في كل جزية تؤخذ وان لم يكن صاحبها جلا عن وطنه فيقال استعمل فلان على الجالية والجمع الجوالي » .

قلنا يجتزأ عن هذا الشرح بان اللفظة سريانية عبرانية مركبة ܓܒܪܐܝܠ Gabrièle معناها : رجل الله ، عبد الله ، يراد بها المتعبد الفاضل وهي علم أول ما أطلق على جبرائيل الملاك وتسمى به بعضهم .

جَبَروت : ܓܒܘܪܘܬܐ gaboroutho عظمة قدرة ، والفعل ، تجبّر ܐܬܓܒܪ Ethgabar وفي نبوة ارميا ٣١ : ٢٢ « اني كاسر قوس عيلم رأس عزهم وجبروتهم » (الدين والدولة ص ١٠٧) وفي نبوة دانيال ٢ : ٢٠ « لأن له الحكمة والجبروت » والصفة :

جبّار : ܓܢܒܪܐ gaboro وهي من صفات الله جلّ ثناؤه وفي سفر التثنية ١٠ : ١٧ « الإله العظيم الجبار الرهيب » وفي القرآن في حق يحيى بن زكريا « وبرّاً بوالديه ولم يكن جباراً عصيّاً » وفيه أيضاً « قوماً جبّارين » .

وأصل الفعل بالسريانية ܓܒܪ gbare تشجع وتقوى ، واما بالعربية فورد : جبر الدين والعظم والفقير الخ ، ووزن فعلوت : في قولهم جبروت و كهنوت وملكوت وزاد بعضهم رهَبوت ، خاص بالألفاظ الأعجمية . فجَبَروت وجبّار وتجبّر معربة عن السريانية .

جدّاد : ܓܕܘܕܐ ، ܓܕܐ gdodo , guédo خيط وخيط النير واللحمة خاصة ، ذكره الجواليقي في المعرّب ص ٩٥ قال : الجُدّاد : الخيوط المعقدة وهي بالنبطية « كدّاد » قال الأعشى يصف الخمّار :

أضاء مظلته بالسّراج والليل غامر جدادها [1]

والفعل السرياني ܓܕ gad جدّ قطع ، نسج ومثله ܓܕܓܕ guadguède وفي أقرب الموارد ص ١٠٦ الجُدّاد بالضم ، كل متعقد بعضه ببعض من خيط أو غصن ، وأخطأ بقوله انه فارسي معرب ، اذ انه سرياني [2] .

(١) ان ناشر الكتاب اعترض على عجمة الكلمة بما لا طائل فيه .

(٢) قول الجواليقي ص ١٠٩ عن أبي حاتم الأصمعي ان « جدّة النهر » وهو شاطئه ، أعجمي نبطي أعرب ، هو زعم لا صحة له اذ لا أثر لهذا في السريانية .

جدّف : ܓܰܕܶܦ gadèphe كفر ، حرف سرياني بهذا المعنى ولا اصل له في العربية ، وخلا منه « اساس البلاغة » وفي سفر الخروج ٢٠ : ٢٧ « بهذا أيضاً جدّف عليّ آباؤكم » وفي نبوة صفنيا ٢ : ٥٨ « قد سمعت ... وتجاديف بني عمّون » .

الجِرْبِياء : ܓܰܪܒܝܳܐ garbio ريح بين الدّبور والشمال باردة واسم للأرض السابعة ، (الجمهرة ١ : ٢٠٩) ريح ، قالوا هي الشمال : وقال المسعودي في التنبيه والاشراف ١٧ و ٢٢ و ٨٣ الجربيّ وهو ناحية الشمال . وفي سفر اشعيا ٤٩ : ٧ وما بعدها : « بعض من جهة الجربياء » (الدين والدولة ص ٩٧) وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٩ ولبني يافث الجربيا اي الشمال و ص ١٠٣ « ابنة ملكة التيمن تعطى للملكْ الجربياء » .

جِرجير : ܓܰܪܓܝܪܳܐ garguiro بقلة تنبت في المناقع والجداول وربما تزرع ، سريانية .

جَرِيب : ܓܪܝܒܳܐ guribo مكيال قدره اربعة اقفزة ، سريانية .

جَزِير : الجزير كأمير بلغة أهل السواد ، رجل يختاره اهل القرية لما ينوبهم من نفقات من ينزل بهم من قبل السلطان كقوله :

اذا ما رأونا قلّسوا من مهابةٍ ويسعى علينا بالطعام جَزِيرُها

(ذيل أقرب الموارد ص ٩٨ عن اللسان) واللفظة سريانية ܓܙܝܪܳܐ : gziro جابي الخراج ومثلها ܓܙܝܪܳܝܳܐ gziroio .

جِصّ : بفتح الجيم وكسرها ، معروف ܓܶܨܳܐ guéço جاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٩٤ « وبنى خالد حوانيت في الكوفة وجعل سقوفها آزاجا مسقوفة بالآجرّ والجصّ » وورد في الجواليقي ص ٩٥ ، « ليس بعربي صحيح » وفي الصحاح والقاموس « معرب » وفي الجمهرة ١ : ٥٢ « ليس بعربي صحيح » وفي ٢ : ٧٥ « فارسي معرب » وفي قوله هذا الأخير نظر ، فان الثعالبي في فقه اللغة ودوفال في المجلد الثالث من معجم الحسن بن بهلول لم يعدّا هذا الحرف في الألفاظ

الفارسية الأصل · والفعل بالسريانية ܓܨܨ guacéce : جصّص ومتخذه وبياعه ܓܨܘܨܐ الجصّاص guaçoço ·

جَعقيل : ܓܥܩܘܠܐ ga°aqolo نبت يسمى خانق الكرسنّة ، وفي معجم الألفاظ الزراعية ص ٣٦٣ ، الجعقيل ، عدس الأسد من النباتات الطفيلية ·

جفْنة : ܓܦܬܐ gfèto أصلها ܓܦܢܬܐ gfènto شجرة الكرمة وجمعها الجَفن وفي سفر العدد ٦ : ٤ «من جفنة الخمر» ·

مَجلب : ܡܓܠܒܐ ، ܡܓܠܘܒܐ Maghlobo , Maghlbo سوط ، مقرعة ، ولم ترد في المصباح وأقرب الموارد[1] ·

جَلاّم : ܓܠܘܡܐ guoloumo جزّاز الصوف ، مانع ، والفعل ܓܠܡ gulam وكذا بالعربية ، ولم يرد الجَلاّم بالفتح لكن بالضم ومدلوله ، التيوس المحلوقة ·

جِليان : ܓܠܝܘܢܐ guèliono رؤيا ، سريانية مسيحية يستعملها معظم النصارى لسفر يوحنا الرسول ·

جَمّ : ܓܡ و ܐܓܡ aguème , guame شذّب ، قلّم ، كسح ، استأصل ـ لم يرد في دواوين اللغة بهذا المعنى ـ فقول ابي حاتم «وناس يجمّون العنب كل عام ولا يغرسون» يريد انهم يشذّبون جفَان الكرم ويكسحونها كما نقل الأستاذ سليم الجندي في رسالة الكرم (مجلة المجمع مج ١٠ ص ٣٠٨) أخذه من السريانية ولا يزال فلاحو حمص ولبنان وغيرهم يتداولون هذه اللفظة ·

جُمَّل : حبل السفينة ܓܡܠܐ guamlo ·

جَمَلون : بيت مقبب ومسنّم على هيئة السنام في تضايق أعلاه واتساع أسفله ، سريانية ܓܡܠܘܢܐ معناها جمل صغير ، فصيل guamlouno ·

مِجَنّ : ترس مستدير ܡܓܢܐ ، ܡܓܢܐ والكسر أفصح , Mguano

(١) الجلجَلة ، الجمجمة ، الرأس ، كلمة عبرية ومن العبرية اخذها السريان ، ولم يفصح اقرب الموارد بعجمتها ·

Mguéno وفي سفر صموئيل الثاني ١ : ٢١ «مِجن الجبابرة مِجنّ شاءول» عندنا هو حرف سرياني .

الجَنَّة : ܓܢܬܐ guantho الحديقة ذات الشجر وقيل ذات النخل ، وورد في سفر الجامعة ٢ : ٥ «عملت لنفسي جنات وفراديس» وفي الحديث «قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين» (جس ٣١٤) وقال حسان ابن ثابت :

وإنّ ثوابَ اللهِ كلَّ موحِّدٍ جِنانٌ من الفردوسِ فيها يُخلَّدُ

(التاج ٤ : ٥٦) وهذه بمعناها الديني ، الفردوس الأرضي والسموي .

المجانسة : والتجنيس : قال صاحب المزهر ١ : ١٧٨ «زعم ابن دريد ان الأصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا ويقول انه مولَّد ، وكذا في ذيل الفصيح للموفق عبد اللطيف البغدادي ، قال الأصمعي : قول الناس المجانسة والتجنيس مولد وليس من كلام العرب . ورده صاحب القاموس بان الأصمعي واضع كتاب الأجناس في اللغة ، وهو أول من جاء بهذا اللقب كذا اه يريد الحرف . ومثله قال صاحب القاموس ٢ : ٢٠٥ [1] أما مؤلف المصباح ١ : ١٧٥ فايَّد انكار الأصمعي هذا الاستعمال وقوله هو كلام المولدين وليس بعربي . وعندنا ان المادة سريانية ، الاسم ܓܢܣܐ جنس والفعل ܓܢܣ جنَّس ، وجانس ܐܬܓܢܣ Ethguanace , guanèce , guenço وورد في سفر التكوين ١ : ١١ «لتنبتن الأرض عشباً .. وشجراً مثمراً يعمل ثمراً كجنسه» وكذا في النسخة السريانية . وقال بعضهم ان أصل اللفظة يوناني génos [2] (مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء ٣ ص ٣٤٢) وعلى كل حال ان العرب عربوه من السريانية . وجاء في الآثار الباقية للبيروني ص ٥٤ «فاذا جنَّسنا هذا الدور» وفي ص ٥١ «جنّس الفضل بين سنة الروم وسنة الشمس» .

(١) ان استعمال الأصمعي هذا الحرف اذ لم يجد له في لغته مرادفا بمدلوله لا ينفي قوله انه مولد ليس بعربي ، واذا كان القرآن قد اشتمل على الفاظ اعجمية فما ظنك بالأصمعي وأضرابه ؟

(٢) وفي اللاتينية genus ومنه أخذت الفرنسية كلمة genre .

جوّ البيت : داخله ، لغة شامية (الجمهرة ١ : ٥٦) وفي التاج : الجوّ داخل البيت وبطنه ، لغة شامية ، وكذا كل شيء · وهي الجوّة كجوّانية والألف والنون زائدتان للتأكيد · وفي حديث سلمان ، ان لكل امرئ جوانيّاً وبرانيّاً فمن أصلح جوانيّه أصلح الله برّانيه · قال ابن الأثير أي باطناً وظاهراً وسراً وعلانيةً · وفي أقرب الموارد : الجوّاني الداخل منسوب الى الجوّ نسبة شاذة وهو نقيض البرّاني · قلنا المادة سريانية ܓܰܘܳܐ gawo داخل باطن و ܓܰܘܳܝܳܐ gawoyo داخلي والفعل ܓܰܘܺܝ و ܐܰܓܘܺܝ agwi , gawi ادخل ، ومنه ܓܘܳܝܳܐ gwoio جوف حشى ·

الجوذياء : ووردت أيضاً بالدال المهملة : كساء مدرعة من صوف · قال الجواليقي ص ١١١ الجودياء بالنبطية أو الفارسية الكساء · وفي فائت ذيل أقرب الموارد ص ٤٤٥ جودي سمّور أي جبّة سمّور قال ابو زيد الطائي يذكر الأسد :

حتى اذا ما رأى الأبصار قد غفلت واجتاب من ظلمة جوديّ سمّورِ

لسواد وبره (نقلاً عن اللسان في ترجمة سمر) قلنا هو حرف سرياني : ܓܽܘܕܺܝܬܳܐ ، ܓܽܘܕܝܳܐ ، ܓܽܘܕܳܝܳܐ gouditho , goudio , guodoio

جهنم : قال الشرتوني ١ : ١٤٧ دار العقاب (الأبدي) بعد الموت · قال صاحب الكليات : جهنم قيل عجمية وقيل فارسية وقيل عبرانية أصلها « كهنّام » وعن صاحب الكليات نقل السيوطي في « الاتقان » وعندنا هي لفظة ارامية قديمة ܓܺܗܰܢܳܐ guihano وفي انجيل متى ٥ : ٢٢ « يكون مستوجباً نار جهنم »[١]

جيّار : حجر الكلس ، الصاروج ܓܰܝܪܳܐ gairo والجير : الجص والفعل ܐܰܓܺܝܪ aguir كلّس ، طلى بالكلس ·

(١) يستدرك على الفيروزابادي في قوله في جهنم « ركيّة جهنّام وجهنم بعيدة القعر وبه سميت جهنم اعاذنا الله منها » انه تعريف مغلوط فيه .

جيجل ܓܝܓܠܐ guighlo كلمة سريانية معناها اللفظي : عجلة بكرة دائرة ، كُرَة ، فَلَك ، والاصطلاحي جدول حساب السنة وسماه البيروني الدَّور قال «وقد ذكرنا الحدود التي فيها يدور فصح اليهود في ما تقدم ، ولكن النصارى لم توافقهم فيها ولا في أوائل الجياجل ، والجيجل هو الدَّور معرّب من السريانية ، لأنه غيغل (كذا وصوابه كيغل بالجيم المصرية) ومعناه ومعنى المحزور واحد لكن الأليق أن نذكر عند أهل كل طبقة ما هم عليه من المواضعات» الآثار الباقية ص ٣٠٢ ثم أكثر من هذه اللفظة وقال ص ٣١٤ «فمن أراد العمل به أخذ سنيّ الاسكندر مع المنكسرة وجعلها جياجل شمسية» والدَّور والمحزور فضلاً عن الجيجل خلت منها دواوين اللغة .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

المستعربون من علماء المشرقيات

جرى الاصطلاح عند المتأخرين من كتاب العرب ان يطلقوا اسم المستشرقين على من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه ، وأطلقوا اسم (الاستشراق) على عملهم هذا .

ولما كان الاستشراق واسع المدى متشعب المقاصد قضت الحال بان يقال لمن يعنون خاصة بدراسة مدنية العرب والاسلام (المستعربون) تمييزاً لهم عن سائر من يعنون بلغات الشرق وعلومه .

نشأ الاستشراق في الغرب بعامل ديني أولاً وانقلب بعد الى عامل مدني . وكان سبق أن بعض ملوك اوربا وباباواتها اخذوا العربية عن علماء الأندلس وصقلية وتعلم امراء الصليبيين وبعض قوادهم اللغة العربية في الشام أيام غزواتهم الطويلة .

ولما قام الباباوات بانشاء الرهبنات لبثّ الدعوة الدينية في الشرق بدا لهم ان يعلموا الرهبان لغاته ولا سيما العربية وبعض اللغات السامية كالعبرية والسريانية وهذا لتفهم العهد العتيق فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ م برياسة البابا اكلمنتس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وصملنكة اي في عواصم العلم في فرنسا وايطاليا وانكلترا واسبانيا يومئذ دروس عربية وعبرانية وكلدانية وسريانية . وكانت المدرسة الطبية في مونبليه في فرنسا سبقت فأنشأت سنة ١٢٢٠ دروساً عربية ليتسنى لها تدريس الطب في كتب العرب وفي سنة ١٢٥٤ أنشئت أول مدرسة عربية في اشبيلية من أرض الأندلس .

وظل الاستشراق العربي في الغرب ضعيف الأثر الى القرن الثامن عشر وما قوي الا بقوة الاستعمار وفي غضون تلك الحقبة دخل في طور العلوم المنظمة ،

وقضت بعض الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا العظمى على عمالها في بلاد العرب أن يتعلموا اللغة العربية فكان من تعلموها من أبنائها أكثر عدداً من غيرهم من الأمم لأن من طبع الانكليزي المتانة في الصناعات وما خرج الاستعمار عن كونه صناعة أيضاً واعداد المعدات لاتقانها ما أمكن . وأنشأت النمسا سنة ١٧٥٣ مدرسة لتعليم لغات الشرق يدرس فيها القناصل والتجار وحذت فرنسا حذوها فأنشأت مدرسة اللغات الشرقية لمثل هذا الغرض سنة ١٧٩٥ وشادت ألمانيا مثلها في برلين سنة ١٨٨٧ ثم تبعتها روسيا وايطاليا وانكلترا فأسست كل منها مدرسة لمثل هذا الغرض .

وكانت جامعات المانيا تدرس العربية منذ أكثر من ثلثمائة سنة وكذلك بعض جامعات بولونيا وبريطانيا العظمى . وهكذا بدأ الاستعراب في الغرب ونبغ مئات من بنيه في العربية وآدابها كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة وخدموها أجل خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة بوضع الفهارس المنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة ومنهم تعلمنا هذه الطريقة واعتادوا ان يشرحوا غوامضها بلغة الناشر او باللغة اللاتينية لغة العلم المعتمد عليها الى عهد قريب فانتفعوا بما نشروا ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة بل بهم تجلت مدنية العرب لأول مرة لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر في ايطاليا وهولاندة كتباً عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة ويكفي أن نقول ان اوربا طبعت كتبنا بالحروف العربية قبل أن تدخل الطباعة الى القسطنطينية والقاهرة بمائتي سنة ومن تصفح معلمة الاسلام (Encyclopédie de l'Islam) التي أصدرتها أوائل هذا القرن مطبعة ليدن الهولندية بلغات العلم الثلاث (الانكليزية والألمانية والفرنسية) يتضح له مبلغ عناية الغربيين بالمشرقيات العربية وينجلي لعينيه ما وصلوا اليه ببحثهم واخصائهم في اللغات والعلوم . هذا الى

مئات من كتب أجدادنا نشروها وما قطعت اطراد صدورها الا الحرب الأخيرة ٠

ولقد أسعدني الحظ منذ نشأت أن تعرفت في مصر والشام وفي أوربا الى بعض المستعربين من أمم اوربا واختلطت بهم وخاللتهم ووقفت على أساليبهم في البحث والدرس والتأليف والنشر وعاونوني في بلادهم على درس المدنية الغربية وعلى الكشف عما في خزائنهم ومتاحفهم من كتب العرب وآثارهم فعلى من ماتوا الرحمة وعلى الأحياء منهم السلام ٠

حداني على معالجة هذا الموضوع وعلى الاشادة بمن لقيتهم من المستعربين حديث وقع لي منذ سنين مع الأستاذ حافظ عامر بك من رجال السلك السياسي المصري وطلب اليّ لما تقوض المجلس ان أكتب نبذة فيمن عرفت من المستعربين فاعتذرت بأن المواد التي لدي عنهم لا يتألف منها مبحث فقال رحمه الله يكفي أن تدون ما على خاطرك منه فطلاب الفوائد يستفيدون منه على كل حال ٠

وبعد فلا بد لي قبل ان أشرع في الكلام على من عرفت ممن يعنينا أمرهم ان أشير الى ان أكثرهم جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأممهم يخدمونها في سياستها بما تصل اليه أيديهم ويهديهم اليه اطلاعهم ، ومن خرج قليلاً عن قواعد وطنية شعبه نبذته دولته فلا يتوقعن اذاً من مستشرق ان يخدم غير أمته ولهم المعذرة في ذلك ٠ اما نحن معاشر العرب فيقنعنا منهم ان يخدموا آدابنا بامانة لا يتخذونها سلماً الى الطعن بنا وبمقدساتنا ولا ذريعة الى اغتصاب حقوقنا في الحياة على نحو ما فعل لامنس البلجيكي ومرجوليوث الانكليزي وكراتشقوفسكي الرومي وهارتمان الألماني وكايتاني الايطالي مع اختلاف بينهم في مقدار الطعن والداعي الذي ساق اليه ٠ والأب لامنس سامحه الله كان أكثرهم تعصباً علينا لأن حياته على ما يظهر كانت متوقفة على هذه المطاعن حتى لقد سماه علماء الافرنج المؤلف المتحزب (L'historien partial) ٠

أول من عرفت من هؤلاء المستشرقين المستعربين من الفرنسيين دوسو وماسينيون

وكي ومالزاك . جاء الأول الى الديار الشامية يكشف عن آثار بلاد النصيرية (العلويين) وجبل الدروز والصفا واللجاة وقد ألف بضعة كتب في لغته بآثار هذه الأقاليم الشامية وعرض لتاريخها ووصف آثارها وظل يخدم هذا العلم باخلاص ، ومقامه عظيم بين علماء الآثار وأمناء متحف اللوفر في باريز وأصدر مجلة سيريا (Syria) ملأها بتحقيقاته وكان خير صلة بين بلاده وبلادنا لأنه لم يتدخل في شيء اسمه سياسة ، صرف جل اهتمامه لعلمه ولم يخلط فيه غيره . ومن أهم ما كتب (طوبوغرافية سورية في القرون الوسطى) و (العرب قبل الاسلام) وهو فيما أعلم لم يكتب بالعربية بل أخذ من نصوصها واستعملها في تآليفه .

أما المستعرب الثاني الأستاذ ماسينيون فانه انقطع الى الأبحاث الاسلامية منذ نشأته وقال لي ان العلامة السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي رحمه الله كان له أعظم الفضل عليه بارجاعه من الالحاد الى حظيرة الدين . وأنا أقول بل زاد على ذلك وأصبح متصوفاً وأذكر اني دعوته في احدى رحلاتي الى باريز لنشهد التمثيل ونتعشى معاً فقال العشاء أمره سهل ولكن مَنْ للمتصوف أن يشهد التمثيل . وهو صادق في قوله فانه صرف جانباً عظيماً من عمره في نشر كتب التصوف فنشر تآليف الحلاج وأخباره وديوانه بالعربية كما نشر الأمثال البغدادية للطالقاني وتاريخ الاصطلاحات الفلسفية . ومعظم المقالات التي لها علاقة بالتصوف الاسلامي في معلمة الاسلام على عهدها الأخير هي من قلمه وهو لعهدنا المرجع بين المستعربين في مسائل التصوف في الغرب ، اذا عزّ على أحد المشتغلين كشف غامض وحل مسألة صوفية فليس له الا باب ماسينيون لأخذ الجواب . وهو اليوم عضو في عدة مجامع منها مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمجمع العلمي العربي والجمعية الآسياوية وهو أستاذ في كوليج دي فرانس وكتب مئات من الأبحاث والمقالات في المجلات الاسلامية والشرقية بالفرنسية ومنها المجلة الآسياوية ومجلة العلم الاسلامي ومجلة الدروس الاسلامية وهو يعاون طلاب العرب في باريز ويوجههم ويرشدهم .

أما الاستاذان كي ومالزاك فشغلا بمهام السياسة وأخذ وقتهما ما هما بسبيله من مصالح دولتهما وطافا معظم بلاد العرب والفرس في السلك القنصلي وانتفعا بمعرفة العربية والفارسية في الوظائف التي شغلاها وهيأت لهما سبيل الانتفاع في عملهما ومعرفة هذا الشرق القريب . ويليهما أستاذان متقدمان على هذين القنصلين في العمر وهما السيدان اوتافي وبيات فانهما كانا يجيدان العربية ويكتبانها كتابة سلسة صحيحة وقد توليا شؤون دولتهما السياسية والسيد اوتافي كان استاذه في العربية السيد برغش امير زنجبار وكان قضى فيها أعواماً طويلة قنصلاً لفرنسا وكلاهما كان معجباً بالمدنية الاسلامية يصرحان بذلك أمام الموافق والمخالف وهما آية في معرفة تاريخ العرب معرفة ثاقبة ويعرفان الأقطار العربية كما يعرفها أهلها ، ولا أعرف ان كان اتسع لهما الوقت فألفا في العربية أو الفرنسية أو نشرا بعض كتبهما العلمية والأدبية .

وعرفت السيد هوار مدرس العربية بمدرسة اللغات الشرقية في باريز وناشر كتاب البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر ومقامات ابن ناقيا وديوان سلامة بن جندل وغير ذلك وله تاريخ العرب بالفرنسية وعدة مقالات في معلمة الاسلام ومعلوماته مثل معلومات غودفروا ديمومبين ليست واسعة كثيراً او ليس فيها شيء جديد ولا يعد كصاحبه من اللامعين المبرزين كما كان مثلهما بل كان هذا أقل بضاعة منهما السيد شاتيليه صاحب مجلة العالم الاسلامي الفرنسية وأستاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس ، وعرفت المستعرب مرسيه ناشر كتاب حلية الفرسان وعرفت آمار ناشر مقدمة الوافي بالوفيات وله مقالات كثيرة في مجلات المشرقيات كما صحبت المسيو فران أحد مستعربيهم وناشر كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح البصري وهو من المعجبين بمدنية العرب خدمها في نطاق اختصاصه وكان يجهر بذلك في خطبه وكتاباته .

ومن المستعربين الفرنسيين الذين عرفتهم ليفي بروفنسال وقد امتاز بأبحاثه في

الأندلس ونشر عدة كتب ممتعة في تاريخها بلغته وهو الذي أعد الذخيرة لابن بسام للنشر وتنشرها الآن جامعة فؤاد الأول وهو المرجع الأول في الغرب بتاريخ الأندلس وما يتعلق به وقد تمم في معلمة الاسلام ما كان يعالجه من مقالات بلاد الاندلس ورجالها المستعرب الالماني سيبولد ·

وممن عرفتهم من أبناء هذه الأمة السيد بلاشير المتخصص في شعر المتنبي والسيد بريز العالم بالأندلسيات والصدر المتقدم في البلاغة العربية وصاحب الجولات الموفقة في آدابها وحضارتها ·

ومن أهم رجال الاستعراب من الفرنسيس السيد مارسيه وهو يكتب العربية وينكلمها كما يتكلمها أدباؤها أنفسهم ويكتبونها ويعد من مستعربي الدرجة الأولى من الأوربيين وقد نشر عدة أبحاث دلت على علو كعبه في العربية وآدابها واستفاد منه كثير من أدباء تونس ممن تخرجوا به كما استفاد طلاب الاستعراب من أبناء أمته · وعرفت استاذاً مستعرباً صرف معظم حياته في مراكش وهو السيد ميشو بللير عاش عيشة المراكشيين وتزوج فيهم وله مقالات في مجلات المستشرقين · كما نشأت لي صداقة مع السيد بوفا وقد نشر أشياء كثيرة بالعربية وأكثر من ذلك بالفرنسية مأخوذاً من المصادر العربية ولة أبحاث كثيرة لم تشتهر لأنها قليلة الجرم وان كانت عظيمة الفائدة · ويلحق بالفرنسيين السيد مونتيه السويسري أستاذ العربية في جامعة جنيف وهو الذي نقل القرآن الكريم الى الفرنسية وله أبحاث جليلة في الاسلام ومحاضرات وقد ألف كتاب (الاسلام) قلت فيه ان ما ينشره الأستاذ مونتيه الحين بعد الآخر في الاسلام يليق بعالم القرن العشرين لأنه يكتب وقد نزع منه التقاليد القديمة والتعصب الذي يتلبس به طوعاً او كرهاً من نشأوا في الغرب ولم يخالطوا أهل الاسلام ولا درسوا أصوله وقواعده وتاريخه الا دراسة متقزز متحرز ومما قاله في الرسول في هذا الكتاب : انه كثيراً ما حكمت عليه الأحكام القاسية ذلك لأنه ندر مثله في المصلحين

من عرفت حياتهم بالتفصيل وان ما قام به لاصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للانسانية . وقال ان الاسلام يسير سيراً حسناً في نشوئه خلافاً لما يدعيه بعضهم وان الواجب على المسلمين ان يحتفظوا لقيام أمرهم بما حظرته الشريعة عليهم من تعاطي المسكرات .

هؤلاء معظم من عرفت من الفرنسيس أما الانكليز والأميركان فعرفت بضعة منهم من العيار العالي فمن أوائلهم كرنيليوس فانديك وابنه ادوار فانديك فإن كرنيليوس خدم لغتنا ونشر العلم في ربوعنا بما كتب بالعربية من أصناف العلوم كالطب والطبيعة والجغرافيا وقد أخلص في خدمة العرب حتى إنه استقال من التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت لما أرادت عمدة الجامعة ان تنقل التعليم من العربية الى الانكليزية قائلاً اننا جئنا هذه الديار لنخدمها بلغتها لا بلغتنا . وتآليفه على قدمها ما زالت متداولة يستفاد منها وكذلك ابنه ادوارد ألف في علم الكتب العربية كتاباً جيداً وله غيره ودرس الانكليزية في المدارس المصرية زمناً . ومن أعظم المستعربين من الانكليز صديقي العلامة براون أستاذ العربية في جامعة كمبريدج فانه نشر كتباً بالعربية وله بالانكليزية تاريخ آداب اللغة الفارسية وهو من أمتع ما كتب في موضوعه على ما قال لي من قرأه بلغته من أحبابي ومن رأيه فيه خطاباً لمن بهرتهم الآداب الفارسية : ان قصيدة واحدة من المعلقات السبع خير مما قاله شعراء الفرس . وكان في الحقيقة المدافع عن مدنية الفرس والعرب والمحامي المتطوع في خدمة قضية العرب والفرس في الغرب ، أخذ كثيراً عن الأستاذ الامام محمد عبده وله أياد بيض على العرب وهو ممن امتازوا بمعرفة الاسلام معرفة ثاقبة ، وتعمق فيه وحنا عليه وعلى أهله مثل رصيفه صديقي العلامة ارنولد مدرس العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن وناشر كتاب المنية والأمل للمرتضى في ذكر المعتزلة وهو امام في الأبحاث الاسلامية لم تعدّ عليه هفوة واحدة في كل ما كتبه ولا سيما في معلمة الاسلام وكنا في

مصر نتكلم بالعربية وهو في سن الشباب فلما عدنا واجتمعنا في انكلترا تعذر عليه النطق بالعربية وآثر ان نتكلم بالفرنسية ومنهم الأستاذ بفن مدرس العربية في جامعة كمبريدج وناشر مناقضات جرير والفرزدق في بضعة مجلدات كبيرة وفيها من التحقيق اللغوي ما يدهش شهدت له بتبحره في أدب هذا اللسان وقوة ملكته في النقد حتى أذكر اني ذكرت له اعجابي بوستنفيلد ناشر معجم البلدان لياقوت وعشرات غيره من كتب العربية فقال لي ان التحقيق يعزّ في الكتب التي نشرها وأخرج لي جزءاً من هذا المعجم صحح فيه أماكن كثيرة في كل صفحة فاضطررت الى الاعتراف بخطأي ٠

ومن مستعربي البريطانيين الأستاذ مرجليوث أستاذ العربية في جامعة اكسفورد وكان يكتب العربية كتابة سلسة تقل فيها التراكيب التي تشعر بعجمته وقد نشر من كتب سلفنا الصالح معجم الأدباء لياقوت في بضعة مجلدات والأنساب للسمعاني ونشوار المحاضرة للتنوخي وديوان التعاويذي ورسائل المعري وغير ذلك وكان مقدماً في موضوعه ، وسبب اشتهاره بين أبناء صناعته انه تكلم في الاسلام بما لا يقره عليه العارفون فحظي عند العامة ونزلت منزلته عند الخاصة ٠ وخليفته في اكسفورد اليوم الأستاذ جيب وهو رصيفي في مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمجمع العلمي العربي يكتب العربية مثلنا وقد كتب اشياء كثيرة في الاسلام بلغته وهو يعد كتباً عربية أصلية لنشرها بلغتها التي كتبت بها ٠

ومن المستعربين الاميركان المستر وطسون رئيس الجامعة الاميركية في القاهرة وله تلاميذ كثيرون وأصدقاء غير قليلين في مصر كتب اليّ يوم ١٩ ديسمبر ١٩٢٤ وكانت الجامعة الأميركية في محنة اذ كثر التقول عليها في مصر ورموها بأنها جامعة تبشير لا جامعة علم وكنت متعاقداً معها على القاء محاضرات وأردت على ان ارجع عن تعاقدي فأبيت الا القاءها ، قال : لعل اتصالكم بزملائي اعضاء مجلس ادارة الجامعة قد أطلعكم على رغبتنا الشديدة في خدمة مصر والعالم العربي

ما وسعنا ذلك وانا لنعد معهدنا جسر صداقة بين العالم العربي والعالم الغربي يشاد على الرغبة الخالصة في أداء الخدمات المتبادلة بين العالمين فلئن كان في الغرب ما يستفيد منه الشرق فأن في الشرق ما هو خليق ان ينتفع به الغرب • ولا ريب في أنكم تبينتم من أناقة بناء قاعتنا الكبرى والصغرى مبلغ عنايتنا وتقديرنا للفن العربي الجميل وفضلاً عن هذه الخدمات بين الشرق والغرب فان مهمتنا الكبرى هي العمل على حسن التفاهم بين هذين العالمين فهنالك من الأسباب ما دعا الى الكراهية والنفور بينهما والصلة التي تجتمع عندها الشعوب والجماعات بحكم الثقافات هي المحبة والوئام •

ومن مستعربي الأميركان السيد الجليل دودج رئيس الجامعة الاميركية في بيروت فانه ووالده من قبله قد أسديا الى الأمة العربية يداً لا تنسى على مر السنين وتخرج على يديه وفي جامعته مئات من أبنائنا من المصريين والشاميين والعراقيين ولم تبق الأمور الادارية للسيد دودج وقتاً يصرفه في الأبحاث التي غلبت عليه وهو آية في فعل الخير عرف بها زمن الحرب العالمية الأولى فأنفق كل ما عنده على الفقراء ثم باع ما أمكنه بيعه ورهن أملاك جامعته وأخذ الفضل من ذلك فصرفه على اطعام الجياع وهذا عمل فريد قل ان عمل مثله رجل من رجال الدين ، فهو كوطسون قسيس راق خدم دينه وأمته وخدم الانسانية •

ويلحق بمستعربي الانكلوسكسونيين مستعرب آخر عنيت به صديقي العلامة كرينكو ولد في قرية من قرى شمالي المانيا وأتقن في المدارس الثانوية اللغات الألمانية والانكليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية ثم درس الاردية والفارسية وسكن في انكلترا وتجنس بالجنسية الانكليزية وتزوج سيدة انكليزية وكان له في الحرب الماضية معمل اصنع الأقمشة في لستر يشتغل فيه أكثر من الف عامل وعاملة فلما نزلت الأسعار عقبى الهدنة وكان فقد ابنه الوحيد في الحرب اثر ذلك في صحته وحمل الى المستشفى ولما خرج منه كان افلس من ابن المزلق

فجاءه كتاب من الهند يطلب منه بعض أصدقائه في حيدر آباد الدكن ان ينسخ لهم ما يشاء من كتب العرب المحفوظة في المتحف البريطاني مقابل ثلاثمائة جنيه في السنة ، قال فأنا الآن أعيش بفضل لغتكم · درس كرينكو العربية بدون معلم على الكبر وهو يكتبها كتابة صحيحة الا انه يجد صعوبة في التخاطب بها لقلة من لقيهم من أبناء العرب · كتب لي مرة : وأنت تعلم اني تعلمت اللغة العربية والفارسية والهندية بلا معلم لبعدي في شبيبتي عمن يعلم شيئاً من هذه اللغات فاعتمدت على الكتب فقط الى ان ورد صديقنا كاظم الدجيلي (الى بريطانيا) ومنه سمعت أول كلمة عربية ثم سألني صديقي عماد الملك وزير سمو النظام سلطان حيدر آباد أن أعاون دائرة المعارف التي أنشأها هو في عاصمة حيدر آباد لاحياء العلوم العربية في الهند مخافة خمولها فأول كتاب هذبته كان جمهرة اللغة لابن دريد في ثلاث مجلدات مع فهرسته في مجلد ضخم ···

يحسن العلامة كرينكو لغات اوربا بأسرها ويتكلم بها بسهولة ويعرف من لغات الشرق العربية والفارسية والاردية ومن لغات الشرق القديمة طرفاً من الحميرية والتركية والعبرية والارامية وهو شاعر بالألمانية لغته الأصلية · وما كان يفارق المطالعة طول حياته وما منعه معمله عن الانصراف الى التأليف أوقات الفراغ وقلت له في اكسفورد ، وانا أدهش من كتاب ضخم لابن قتيبة في الشعر أراني وقد صححه وعلق عليه حواشي مفيدة ، ومتى أنجزت كل ذلك يا سيدي وأنت رجل صناعة فقال كنت في بعض أيام الآحاد أترك امرأتي تتنزه وحدها وألزم البيت فأكتب وأصحح وأعلق واذا نجوت ساعات قليلة في اليوم من حسابات المصنع انقلبت نحو دفاتري وكتبي ·

وقد نشر السيد كرينكو عشرات من الكتب والرسائل والمقالات بالعربية والألمانية والانكليزية ما لو نشر بعضه مجمع علمي في ثلاثين سنة لعد ذلك من مفاخره فما نشر شعر ابي دهبل الجمحي وقصيدتان لمزاحم العقيلي وطبقات النحاة

لأبي بكر الزبيدي وديوان عمرو بن كلثوم التغلبي والمجتبي لأبي بكر بن دريد ابن عبد العزيز العجلي والحارث بن حلزة اليشكري وديوان طفيل الغنوي وكتاب الجمهرة (الذي تقدم ذكره) وتنقيح المناظر لكمال الدين الشيرازي وكتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير لعبد الملك بن هشام وفي ذيله ما بقي من رواية عبيد بن شريَة والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (مع الفهارس التي أبى الطابع نشرها اقتصاداً) وهو في اربع مجلدات والجماهر في معرفة الجواهر لأبي الريحان البيروني والمنتظم لابن الجوزي (اربع مجلدات) والمؤتلف والمختلف للآمدي ومعجم الشعراء للمرزباني ومعاني الشعر الكبير لابن قتيبة وأخبار النحويين البصريين للسيرافي وكتاب الأفعال لابن القطاع وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه وكتاب الجرح والتعديل لابن ابي حاتم وهو اليوم يعد كتباً للطبع من تراث العرب العظيم فله المنة علينا باحياء هذه المجموعة العظيمة من كتب أسلافنا ٠

أحب الأستاذ كرينكو العرب والاسلام محبة لا ترجى الا من العريق فيهما ، يتعصب للعرب على سائر أمم الاسلام من الفرس والترك والهند ويعتقد (كما كتب لي في ٢٣ آذار سنة ١٩٣٥) ان زوال الدولة العربية اعني خلافة بني أمية وانتقال مركز الاسلام من دمشق الى العراق وظهور الفرس على العرب كان أول سبب في الحيلولة دون انتشار الاسلام في الأمم النازلة في الشمال الغربي أي في اوربا وان الدولة العباسية قام بنيانها على دمن الدولة الأموية وان دخول الفرس في المناصب العاليه أدخل الغش والخيانة في الأعمال المالية وما كان الخلفاء الا ما ندر يفكرون في شيء من أعمال الشام ومصر (ولا أذكر ما وراءها من البلاد مثل افريقية والمغرب والأندلس) اللهم الا ما كان من نقل أموال الخراج الى العراق لشراء الجواري والجواهر واعطاء الجوائز للمغنين والشعراء ومن ماثلهم ٠ ولو تدبرت مثلاً أولاد الخلفاء لرأيت ان جميع خلفاء بني أمية سوى

مروان بن محمد آخر ملوكهم كانوا ابناء حرائر وبالعكس كان خلفاء بني العباس فان اكثرهم كانوا أولاد جوار مجلوبة من غير بلاد اسلامية · وآفة ثانية وهي جلب الغلمان الأتراك الى بغداد ليجعلوا منهم عمداً للدولة فأصبحوا أرباب الخلفاء أنفسهم في أقل من قرن · وآفة ثالثة وهي ما كان من الحروب التي نشأت بين أهل السنة والشيعة وظلت متصلة الى زماننا هذا · وقد شاهدت ما غمني في بلاد الهند وهنا في انكلترا عندما عيدنا عيد الفطر فامتنع بعض المتشيعين عن الصلاة خلف امام سني المذهب · وكل هذا مما يهين اهل الاسلام في عيون الذين لا يعتقدونه · ويضاف الى كل هذه الآفات وهو أعظمها في خمول الأمم الاسلامية استنجاد السلاطين والأمراء في حروبهم بالأمم النصرانية من مجاوريهم ، وأول من ارتكب هذا الاثم خلفاء العبيديين في مصر عند استيلاء الصليبيين على الشام · قال ولو كتبت الأسبوع كله لما أتيت على آخر براهيني · ورأى ان على أبناء العرب اليوم ان يتحدوا في منازعهم وينزلوا عن الجدال في تحصيل الحرية الشاملة ويطبعوا في قلوبهم المثل الانكليزي : ان ارحاء الله تعالى اذا طحنت ببطء فهي تطحن الجيد ·

وبعد فان من المتعذر الآن ان نلم بسيرة هذا المستعرب من عامة أطرافها فهو الى أعماله العلمية العظيمة داعية متطوع في خدمة الاسلام الصحيح والحضارة العربية · هداه البحث الى أمور نحن أبناء هذه الحضارة كنا غافلين عنها فقد رد مثلاً على من زعم أنه توجد نسخ من المصحف الشريف بخط الأئمة علي ابن ابي طالب والحسن والحسين وهي مما يكثر بين الشيعة وقال لو فرضنا انهم كتبوها فانهم لم يكتبوها بالخط الكوفي بل بالخط المكي القديم الذي هو الخط المعتاد الآن · وفي رأيه ان الخط الكوفي من اختراع مسلمة النصارى من الشاميين · وكتب لي مرة انه لا يعتمد على مؤرخي الفرس لأنهم يخلطون ويخبطون خبط عشواء · حدثني صديقي الأستاذ خليل مردم بك أنه كان يسمر

عند الأستاذ كرينكو فكان في جملة ما تحدث به في تلك الليلة أمام زوجته سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان من أمره مع النساء وما عاملهن به وما منحهن الاسلام من الحقوق مما لم تعط مثله أمة قبل العرب وبحث في علاقة رسول الله مع أزواجه ولا سيما مع عائشة ام المؤمنين . قال وما زال يتدرج في حواره حتى ذكر كيف خرجت روح الرسول الطاهرة وهو على حجر عائشة . فلما سمعت امرأته هذا الكلام شهقت بالبكاء وخرجت من الغرفة . فقال الأستاذ كرينكو اني أتعمد اسماعها مثل هذه الأخبار لأنها ليست محيطة بكل ما في الاسلام من محاسن .

والأستاذ ليس له ارتباط بجامعة ولا بجمعية وكل ما فرح به ان اختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً فأكبر هذا التنويه به وعدّه فخراً له . كما كان من أكثر من اختارهم هذا المجمع أعضاء مراسلين له فانهم أظهروا في كل فرصة تفاخرهم بانضمامهم الينا وعدونا وعددناهم كأننا أبناء اسرة واحدة .

ومن مستعربي الاستراليين الأستاذ جفري نشر كتاب المصاحف للسجستاني وهو معروف في مصر كان يدرس في الجامعة الأميركية بالقاهرة . ومن اكبر المستعربين من الطليان الأمير كايتاني فانه تفضل في سنة ١٩١٣ وقبلني في قصره في رومية أبحث في المصورات التي صورها عن المخطوطات العربية في تاريخ الاسلام ولقد قضيت في هذه المهمة ثلاثين يوماً رأيت منه عطفاً كبيراً واطلاعاً واسعاً وانقلبت من لدنه بمذكرات ثمينة استعنت بها على تأليف كتابي (خطط الشام) وهو يحسن سبع لغات ومنها العربية والفارسية وقد وضع بالايطالية كتابه تاريخ الاسلام (آنالي دا لاسلام) العظيم طبع منه بالايطالية ستة مجلدات ضخمة وكان يرجو ان يفسح الله في أجله ليكمل القرن الأول للاسلام فقط في خمسة وعشرين مجلداً وما كان يطبع من تاريخه اكثر من مئتين وخمسين نسخة وقد جعل شعاره في كتبه قول الشاعر العربي :

كفاف عيش كفاني ذلّ مسألة وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

يقول هذا وثروته قبل الحرب العالمية الأولى كانت تقدر بخمسة ملايين جنيه ايطالي ذهبي عدا ثروة الأميرة زوجته ، كان ينفق منها على العلم فقط كل سنة عشرة آلاف جنيه انكليزي ، ونشر كتاب تجارب الأمم لمسكويه وكان يعد للنشر تراجم ثلاثين الف عالم وأديب من المسلمين في الأندلس وهي جذاذات جمعها طول حياته المستشرق الاسباني ريبرا . ومن كبار مستعربيهم السنيور جويدي وهو معروف في مصر وكان أستاذاً في الجامعة القديمة وحاضر في أدب الجغرافيا والتاريخ فأجاد من وراء الغاية وله كتب عظيمة في اللغات السامية ولا سيما الحبشية والامحرية وكان يعد من مستشرقي الطبقة الأولى في العرب كتب اليّ مرة : وان كان شاعركم العربي قال :

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين

فأنا جاوزت حد الثمانين ومازلت أكتب وأؤلف وكان لما كتب هذا في الرابعة والثمانين . نشر جويدي من كتبنا شرح بانت سعاد لابن هشام وكتاب الأفعال لابن قوطية والاستدراك لأبي بكر الزبيدي وكتاب مهدي الموحدين محمد بن تومرت وديوان الحطيئة جرول بن اوس ومعاني النفس ومقالة في اسماء الله الحسنى لكاتب اسرائيلي قديم وغير ذلك عدا المقالات بالايطالية وغيرها من لغات الغرب . وابنه ميكل انجلو مستعرب مثل أبيه وكان يدرس في جامعة فؤاد الأول قبل الحرب الأخيرة . وممن عرفه العلماء والأدباء في مصر الأستاذ غريفيني ناشر فقه زيد بن علي وديوان الأخطل والطبقات لأبي بكر الزبيدي ولمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية لعثمان بن ابراهيم النابلسي الى غير ذلك من النصوص العربية ومنها قصائد لبعض شعراء الجاهلية .

ومن الايطاليين الممتازين بين المستعربين صديقي العلامة نللينو عضو مجمع فؤاد الأول والمجمع العلمي العربي ومدير المعلمة الايطالية (دائرة المعارف

والموسوعات) وصاحب المقالات الممتعة في معلمة الاسلام الى غير ذلك من التآليف ومنها تاريخ علم الفلك عند العرب القاها محاضرات على تلاميذ الجامعة القديمة بالقاهرة وقد نشر كثيراً من كتب العرب منها زيج البتاني في الفلك والبيان لابن رشد وكان يكتب ويخطب بالعربية ثم انقطع عن معاناة العربية مدة فصار يسهل عليه ان يكتب بالفرنسية وصعبت عليه الكتابة بالعربية وكان يحب الشرق وأهله وقد امتاز بمعرفة بلاد شمالي افريقية وجغرافيتها وآثارها وتاريخها ويعد من أعظم علماء المشرقيات عامة .

وعرفت من مستعربي الألمان والهولنديين والتشكيين والدانيمركيين والسويديين والاسبانيين والبولونيين والمجريين جملة صالحة فمن الألمان هرزفلد مكتشف آثار السامانيين وآثار سرّ من رأى ومنهم هوروفيتس ناشر الهاشميات للكميت درس العربية سنين طويلة في جامعة اليغار في الهند وكثير من رجال القضاء وحملة العلم من الهنود هم من تلامذته ومنهم ريتر ناشر كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للأشعري والوافي بالوفيات للصفدي ومنهم برتزل نشر طبقات القراء لابن الجزري مع برجسترازر . ونشر برتزل التيسير في القراآت العشر لأبي عمرو الداني والمقنع في رسم مصاحف الأمصار من كتاب النقط له أيضاً . ونشر الدكتور مايرهوف مقالات في العين لحنين بن اسحق . ومن أعظم من عرفتهم من مستعربي الألمان العلامة بروكلمان صاحب تاريخ آداب اللغة العربية بالألمانية وهو ناشر كتاب تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار لابن الجوزي وعيون الأخبار لابن قتيبة وديوان لبيد وكتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي .

وعرفت من الألمان هوميل وميتفوخ وهارتمان والأستاذ هوميل من أعظم المستعربين في الغرب وقد أثبت ان حمورابي صاحب القانون كان عربياً . ورأيت هوميل في مونيخ وهو في الخامسة والستين يدرس لغة الجغطاي من لغات الترك القديمة وقد توفر على درس ديوان ابن قيس الرقيات سنين بأمل أن يجد فيه

اسماء بعض الألبسة عند العرب وبعد البحث الطويل ظفر بلفظين اثنين فاغتبط بهذا الاكتشاف . ومن المجريين غولد صهير نشر فضائح الباطنية للغزالي وكتاب المعمرين للسجستاني وغير ذلك وكان يعد من أكبر رجال المشرقيات في الغرب كتب مئات من الأبحاث الاسلامية بالمجرية والألمانية والفرنسية والانكليزية والروسية والسويدية والخرواتية الصربية والعربية وكان يتكلم العربية ويكتبها جيداً درسها في الأزهر . ومن الهولنديين سنوك هرغروني واراندونك وهو تسما وهذا نشر زبدة النصرة للعماد الاصفهاني وتاريخ اليعقوبي والأضداد لابن الأنباري وغيره من كتب العرب وكان مدير تأليف معلمة الاسلام وقال لي مرة ترى أعيش وأشهد هذه المعلمة قد تمت وظهرت للناس فمتعه الله بالحياة ورآها تامة كما أحب .

ومن الاسبانيين الأب آسين بالاسيوس مدرس العربية في جامعة مجريط كتب مؤلفاً ضخماً بالاسبانية أثبت فيه ان دانتي شاعر الطليان أخذ قصة المهزلة الإلهية من رسالة الغفران للمعري . ونشر آسين بالاسيوس من كتب العرب المدخل لصناعة المنطق لابن طلموس وغيره .

ومن السويديين سترستين من جامعة اوبسالا نشر تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها لابراهيم مغلطاي وقطعة من تهذيب اللغة للأزهري ومنهم بدرسن الدانيمركي وسموغرجفسكي البولوني ومنهم موزل التشكي وقد قضى سنين مع قبيلة الرولا في بادية الشام رسم خلالها أحسن المصورات الجغرافية وكتب كتباً عظيمة عن اكتشافاته وكان يدعى الشيخ موسى الرويلي ورأيته في الحرب العالمية الأولى يتقلد رتبة جنرال ويصحب بعض أمراء ملوك النمسا في رحلة الى الشرق القريب .

هذا ما وعته الذاكرة ممن اجتمعت بهم وعرفتهم عن أمم وذلك بالاختلاط بهم وبقراءة كتبهم وأبحاثهم وربما فاتني ذكر بعضهم وليس المقصود استقصاء اسمائهم كلهم بل الغاية التنويه ببعض أعمالهم ورسم الخطط لمن يحب العلم للجري على آثارهم .

محمد كرد علي

ابن قيم الجوزية

ونواحي التجدد في اجتهاده

معلوم ان الأحكام الشرعية مبنية على أصول ومصادر ، تسمى بالأدلة الشرعية . وهذه الأدلة نوعان ، نص ورأي . فالأول ، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية ، مقدم على الثاني ، اذ لا ينظر الى تحكيم الرأي الا عند عدم النص . ويقدم في الرأي أولاً الرأي المجمع عليه عند المجتهدين في عصر من الأعصار وهو الاجماع ، ثم الرأي المبني على القياس ، وذلك ضمن شروط وحدود معينة .

واقد نشأ الخلاف بين المذاهب الاسلامية في اصول الاستدلال بهذه الأدلة . فكان الخلاف في تفسير الآيات القرآنية الكريمة ، وفي قبول الأحاديث الشريفة ، وطرق تحقيقها ، وفي شروط الاجماع والقياس . ثم ازداد الخلاف في المسائل التي لا دليل فيها من الأدلة الأربعة التي ذكرنا ، اذ أخذت بعض المذاهب بأدلة جديدة لم تقبل بها المذاهب الأخرى ، كالاستحسان عند الحنفية ، والمصالح المرسلة عند المالكية او الاستصلاح عند الغزالي ، والاستصحاب عند الشافعية . ولا مجال لدرس هذه الأدلة وتفصيلها في هذا المعرض . واذا أردنا ترتيب المذاهب السنية بالنسبة الى درجة توسعها في الرأي ، وجب وضع المذهب الحنفي في الطرف الأول ، ووضع المذهب الحنبلي في الطرف الاخير . فلذا سمي الأول بمذهب أهل الرأي ، وعدّ الثاني من مذاهب أهل الحديث ، حتى ان بعض المؤرخين المتطرفين ، كالطبري وابن النديم وابن عبد البر وابن قتيبة ، عدوا الامام ابن حنبل من فئة المحدثين ، لا من فئة المجتهدين .

ولا شك في ان الامام الأعظم ابا حنيفة النعمان كان أول وأشهر من لجأ الى تحكيم العقل واعمال الرأي ، في استنباط الأحكام الشرعية ، والاستدلال بالعلل المبنية عليها . ولا شك ايضاً في ان الامام ابن حنبل اشتهر بتحرزه في الاجتهاد ، وبمحافظته على التمسك بالنصوص ، وبنفوره من الرأي .

وعلى الرغم من هذا التباين بين مؤسسي هذين المذهبين ، فان الأمر لم يدم كذلك بين المتأخرين من أتباعهما . فمنذ اواخر الدولة العباسية ، أصيبت دراسة الفقه الاسلامي بالاضمحلال بعد الازدهار ، فأجمع الفقهاء السنيون على سد باب الاجتهاد ، وعلى الاكتفاء بالمذاهب الأربعة المعروفة . ومن ثم توقف الاجتهاد ، وعم التقليد ، ونشأت البدع ، وساد الجهل والجمود .

وكان من نتيجة هذا التقليد ان تقيد المتأخرون في المذهب الحنفي ، كما في غيره من المذاهب ، باجتهاد السلف ليس في المسائل المبنية على النصوص الشرعية فحسب ، بل وفي المسائل المستنبطة بالرأي أيضاً . وهذه المسائل الأخيرة ، لما كانت أكثر عدداً في مذهب الحنفيين ، وهم أهل الرأي ، منها في المذهب الحنبلي البعيد عن الرأي ، كان التقليد عند المتأخرين من الحنفية أوسع ميداناً وأكثر ضرراً مما هو عليه عند المتأخرين من الحنابلة . بل ان هؤلاء ، لما كانوا غير مقيدين بكثير من الاجتهاد الخارج عن النص ، كان لهم من الحرية في تجديد الاجتهاد مالم يكن للمتأخرين الحنفيين . هذا الى ان النصوص المتعلقة باحكام المعاملات قليلة بالنسبة الى النصوص المتعلقة باحكام العبادات . فنتج من ذلك ان مجال التقيد بتقليد السلف كان ضئيلاً في المذهب الحنبلي في باب المعاملات الشرعية .

ويؤيد ذلك انه عندما قامت النهضة الاصلاحية ، في نهاية القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر ، وظهر مذهب السلفية او مذهب السلف الصالح في مصر وفي غيرها من البلاد الاسلامية والعربية ، كان لتعاليم الفقهاء الحنبليين أثر ظاهر

محسوس . فالشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية ومجدد المذهب الحنبلي في الجزيرة العربية ، والسيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا وغيرهم من القائمين على الحركة الاصلاحية الشرعية في مصر ، هؤلاء جميعاً دعوا الى نبذ التقليد والرجوع الى اصل الشريعة المبنية على القرآن الكريم والسنة الصحيحة ومحاربة الجمود والخرافات والبدع . واستشهدوا بآراء أعلام الفقه الحنبلي ، أمثال موفق الدين بن قدامة (المتوفى سنة ٦٢٠ هـ) ، مصنف كتاب المغني الذي هو بلا مراء من أجل كتب الفقه الاسلامي ، وتقي الدين احمد بن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) صاحب الفتاوى والرسائل المشهورة ، وابن قيم الجوزية وغيرهم .

وبوجه خاص لا بد من التنويه بابن القيم . فهو شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن بكر بن ايوب بن سعد الزرعي ، ثم الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية . ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ هـ . وقد كان عالماً في الفقه والتفسير والكلام والأصول والنحو . وله مؤلفات وتصانيف قيمة عديدة . منها تهذيب سنن ابي داود وايضاح مشكلاته ، وسفر الهجرتين ، ومراحل السائرين ، والكلم الطيب ، وزاد المسافرين ، وزاد المعاد في هدى خير العباد ، ونقد المنقول ، وبدائع الفوائد ، والشافية الكافية ، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، وهادي الأرواح الى بلاد الأفراح ، ونزهة المشتاقين ، وكتاب الداء والدواء ومفتاح دار السعادة ، واجتماع الجيوش الاسلامية ، وعدة الصابرين ، واغاثة اللهفان ، وكتاب الروح ، وكتاب الصراط المستقيم ، والفتح القدسي ، والتحفة الملكية . وأهم كتبه الفقهية هي بلا ريب كتاب اعلام الموقعين عن رب العالمين ، وكتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، والفتاوى .

وكان ابن القيم ، كشيخه ابن تيمية وامامه ابن حنبل نفسه ، تقياً في دينه ، جريئاً في رأيه وفكره . فلذا اضطهد كابن حنبل وابن تيمية ، وسجن في قلعة

دمشق . ولا غرو من ذلك فالاضطهاد الفكري قد أصاب غيرهم من الفقهاء ، كأبي حنيفة والسرخسي ، والشافعي وصاحبه البويطي ، ومالك وغيرهم .

والمهم ان نشير الى اجتهاد ابن القيم في مسائل المعاملات الشرعية ، والى نواحي التجدد في اجتهاده . ونحن نرى انه كان من طبقة المجتهدين في المذهب الحنبلي ، ونرى انه برهن في ذلك على نظر ثاقب وتفكير صائب ، فاعتمد على روح الشريعة الحقيقية وعلى حكمتها العادلة . فقال في بعض المسائل أقوالاً جريئة ، لم يقل بها أحد قبله ولا بعده من الفقهاء المسلمين ، وتوسع في مسائل اخرى توسعاً ، يدل على مرونة الشريعة ، وعلى مسايرتها للتطور والمدنية . فوصل بالنتيجة الى تحليلات ونظريات شبيهة بالنظريات القانونية العصرية . ونحن لا نرى مجالاً لايضاح جميع نظرياته وآرائه الفقهية . بل نكتفي على سبيل المثال بتلخيص ما قاله في بعض المسائل المهمة الحساسة ، لأجل تبيين النهج العلمي الذي اتبعه ، والنحو العادل الذي انتحاه ، ولأجل اثبات ما وصل اليه هذا الفقيه المجدد في بعض المسائل ، وهو من اتباع المذهب الحنبلي الذي اشتهر بالمحافظة الشديدة ، لم يصل اليه أتباع مدرسة أهل الرأي ولا مؤسسها الامام الأعظم .

وأهم المسائل التي أرى تلخيصها في هذا المعرض هي محاربة التقليد والجمود ، واعتماد القصد في التصرفات ، وحرية التعاقد ، ومنع الحيل في الأحكام ، واحياء أعمال الفضولي المحسن ، والمحافظة على حقوق الغرماء ، والتوسع في أصول البينات . واني اعتمد في هذا التلخيص بوجه خاص على كتاب أعلام الموقعين (طبعة ادارة الطباعة المنيرية) ، وكتاب الطرق الحكمية (مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، سنة ١٣١٧ هـ) .

محاربة التقليد والجمود

ان وجوب الاجتهاد وتحريم التقليد ليس قول ابن القيم وحده ، بل هو قول جمهور الفقهاء المسلمين . ولكن ابن القيم بحث في هذه المسألة بحثاً مستفيضاً ،

لم يسبقه اليه أحد من فقهاء المذاهب جميعاً . وقد عقد لذلك في كتاب اعلام الموقعين فصلاً كبيراً (في الجزء الثاني ص ١٢٨ -- ٢٠٧) ، بعد ان تكلم قبل ذلك في القياس ، وختم كلامه بقوله : « وقد أطلنا الكلام في القياس والتقليد ، وذكرنا من مآخذهما وحجج اصحابها وما لهم وعليهم من المنقول والمعقول ، ما لا يجده الناظر في كتاب من كتب القوم من أولها الى آخرها ، ولا يظفر به في غير هذا الكتاب » (ص ٢٠٧) . ولا شك في ان ابن القيم كان صادقاً في هذا القول .

ولقد استشهد ابن القيم بالآيات الكريمة ، وبالأحاديث الشريفة ، وبأقوال الصحابة والتابعين ، وبأصحاب المذاهب الأربعة ، وغيرهم من الأئمة والفقهاء ، للدلالة على ان « الواجب طلب الحق وبذل الاجتهاد في الوصول اليه بحسب الامكان » (ص ١٦٣) . وفوق ذلك ساق ابن القيم احدى وثمانين حجة من المنقول والمعقول ، لأجل تأييد ما ذهب اليه من بطلان التقليد .

وان التقليد الذي يحرم القول فيه والافتاء به ثلاثة أنواع ، بحسب تقسيم ابن القيم . « احدها الاعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات اليه اكتفاء بتقليد الآباء . والثاني تقليد من لا يعلم المقلد انه اهل لأن يؤخذ بقوله . والثالث التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد ... وهذا القدر من التقليد هو مما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمّه وتحريمه . وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه ، فقلد فيه من هو أعلم منه ، فهذا محمود غير مذموم » (ص ١٢٨ و ١٢٩) .

وبعبارة أخرى ، فابن القيم يرى ان التقليد الأعمى باطل في الشريعة ، وان الاجتهاد واجب على كل عالم قادر عليه . ورأيه ، كما نرى ، أقرب الى روح الشريعة الحقيقية ، التي جُعلت شريعة كل زمان ومكان .

وقد عقد ابن القيم أيضاً فصلاً طويلاً في تغير الفتوى واختلافها ، بحسب

تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد (الجزء الثالث ص ١ وما بعدها) ، استهله بقوله : انه « فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة ، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ما يعلم ان الشريعة الباهرة ، التي في أعلى رتب المصالح ، لا تأتي به . فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ، ومصالح العباد في المعاش والمعاد . وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلهـا » . ثم أتبع كلامه بأمثلة عديدة نكتفي بأهمها . وهي :

أولاً — ان النبي (ﷺ) شرع لأمته ايجاب انكار المنكر ليحصل بانكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله . فاذا كان انكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه ، وأبغض الى الله ورسوله ، فانه لا يسوغ انكاره . وأعطى ابن القيم على ذلك أمثلة . منها أنه سمع شيخه ابن تيمية يقول : « مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له انما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم » . وهذا من فروع القاعدة الكلية انه « يختار أهون الشرين » .

ثانياً — ان النبي (ﷺ) نهى ان تقطع الأيدي في الغزو ، أي نهى ان يحد السارق ، خشية ان يترتب عليه ما هو ابغض الى الله من تعطيله ، وهو ان يلحق المحدود بالمشركين وبالعدو . ولهذا قال جمهور علماء الاسلام ان الحدود لا تقام في أرض العدو ، واسقط عمر بن الخطاب رضي الله عنه القطع عن السارق في عام المجاعة . وكذلك أسقط النبي (ﷺ) الحد عن المجرم بتوبته قبل القدرة عليه ، لأن هذا تاب الى الله وعاد قلبه الى الصحة ، فلم يعد من حاجه له بان يتطهر بالحد .

ثالثاً : ان النبي (ﷺ) فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر ، او صاعاً من شعير ، او صاعاً من زبيب ، او صاعاً من اقط . وهذه كانت غالب أقوات اهل المدينة . ولكن ، لما كان المقصود من ذلك سد خلة المساكين يوم العيد ، ومؤاساتهم من جنس ما يقتاته أهل بلدهم ، جاز اخراج صدقة الفطر من قوت اهل البلد او المحلة ، ولو كان ذلك من غير ما ذكر في الحديث الشريف . وكذلك نص النبي (ﷺ) في المصراة على رد صاع من تمر بدل اللبن . ومعنى المصراة بعبارة البخاري : « التي صُرّي لبنها وحقن فيه وجمع فلم يحلب اياماً » . فعند جمهور الفقهاء يجوز ، استناداً الى الحديث الشريف ، لمشتري الابل والغنم المصراة ان يفسخ البيع مع رد صاع من التمر (شرح البخاري للعيني ج ١١ ص ٢٦٩) .

وقد قال بعض الفقهاء ، ومنهم اصحاب مالك وبعض اصحاب ابن حنبل وابن القيم ، انه يجوز ان يُستبدل بصاع التمر صاعٌ من غالب قوت البلد ، لأن تعيين التمر قد ورد على انه غالب قوت المدينة .

رابعاً : اذا طلق الرجل زوجته ثلاث مرات في مجلس واحد ، كان الطلاق يعد واحداً في زمن النبي (ﷺ) وابي بكر وفي بدء خلافة عمر بن الخطاب . ولكن عمر رأى الناس استهانوا بهذا الأمر ، وكثر وقوعه جملة واحدة ، فرأى من المصلحة عقوبتهم وزجرهم عن هذه العادة . فأمر باعتبار هذا الطلاق بائناً ، اي ثلاثاً كما لفظ ، وقد وافقه الصحابة على ذلك . فهذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان والحال . ثم ان ما رآه عمر بن الخطاب حسناً في زمانه ، لم يره ابن القيم كذلك في زمانه هو ، لكثرة حوادث التحليل ، وللمفسدة التي تنتج منه . فأفتى ابن القيم بالرجوع الى السنة النبوية ، وفقاً لمبدأ تغير الفتوى بحسب الازمنة والأمكنة والأحوال والعادات .

القصد وحرية التعاقد

ان اساس الشريعة الاسلامية مبني على الحديث الشريف المتواتر : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » . وعلى هذا الأساس بنى السبكي القاعدة الكلية « الأمور بمقاصدها » (انظر شرح جمع الجوامع مع حاشية البناني ج ٢ ص ٣٧٣) ، التي نقلتها مجلة الأحكام العدلية في مادتها الثانية . ومعنى ذلك ، على الجملة ، ان حكم الفعل يرجع الى المقصود منه .

وتظهر اهمية هذه القاعدة في باب التصرفات القولية ، لا سيا في العقود . فقد جاء في المادة الثالثة من المجلة ان « العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني » . وهي قاعدة منقولة عن مجامع الحقائق (انظر شرحه منافع الدقائق ص ٣٢٥) .

وعلى الرغم من هذه القاعدة الصريحة الواضحة العادلة ، فلقد كان من الفقهاء من سها عنها ، وخالفها بتفصيلات اجتهادية ، تتعلق بالألفاظ وبشروطها وما الى ذلك من فروع . فلم يرض ابن القيم عن هذه التقييدات الجامدة ، بل رجع الى روح الشريعة وحكمتها الحقيقية .

فأصاب عندما قال : « ان الاعتبار في العقود والأفعال بحقائقها ومقاصدها ، دون ظواهر الفاظها وافعالها ... وان القصد روح العقد ومصححه ومبطله . فاعتبار القصود في العقود اولى من اعتبار الألفاظ . فان الألفاظ مقصودة لغيرها ، ومقاصد العقود هي التي تراد لنفسها ... وقد تظاهرت ادلة الشرع وقواعده على ان القصود في العقود معتبرة ، وانها تؤثر في صحة العقد وفساده وفي حله وحرمته ... وان المتعاقدين وان اظهرا خلاف ما اتفقا عليه في الباطن ، فالعبرة لما أضمراه واتفقا عليه وقصداه بالعقد ، وقد اشهدا الله على ما في قلوبهما ، فلا ينفعهما ترك التكلم به حالة العقد ، وهو مطلوبهما ومقصودهما ... » (اعلام الموقعين ج ٣ ص ٨٢ و ٨٣ و ٩٦) .

وان العقد، لما كان مبناه على القصد، فهو يتوقف على حرية المتعاقدين في اشتراط ما يشاءان . وهذا ما يسمى في اصطلاح رجال القانون اليوم بمبدأ حرية التعاقد .

وقد كان بحث الشرط في مجلة الأحكام العدلية وفي كثير من المذاهب الاسلامية، لا سيما عند المتأخرين من الحنفية، من الأمور الصعبة، لما فيه من ضوابط وتفصيلات، من ناحية بيان العقود التي يصح اقترانها بشرط التقييد، او التي يصح ربطها بشرط التعليق، ومن ناحية تعريف الشرط الفاسد، وتأثيره على تلك العقود .

ولكن ابن القيم لم يرَ في كل ذلك ما يوجب التوقف عنده، بل انطلق من هذا التقييد، وجاهر بحرية الاشتراط والتعاقد، قائلاً : ان « تعليق العقود والفسوخ والتبرعات والالتزامات وغيرها بالشروط امر قد تدعو اليه الضرورة او الحاجة او المصلحة، فلا يستغني عنه المكلف ... والمقصود ان للشروط عند الشارع شأناً ليس عند كثير من الفقهاء . فانهم يلغون شروطاً لم يلغها الشارع، ويفسدون بها العقد من غير مفسدة.... وههنا قضيتان كليتان من قضايا الشرع الذي بعث الله به رسوله : احداهما ان كل شرط خالف حكم الله، وناقض كتابه، فهو باطل، كائناً ما كان . والثانية ان كل شرط لا يخالف حكمه، ولا يناقض كتابه، وهو ما يجوز تركه وفعله بدون شرط، فهو لازم بالشرط . ولا يستثنى من هاتين القضيتين شيء . وقد دل عليها كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الصحابة . ولا تعبأ بالمسائل المذهبية والأقوال الآرائية . فانها لا تهدم قاعدة من قواعد الشرع » . (اعلام الموقعين ج ٣ ص ٣٣٧ — ٣٤٠) .

وقد استشهد ابن القيم بالآية الكريمة من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »، معلقاً عليها بان الشرط الجائز هو « بمنزلة العقد بل هو عقد وعهد » . واستشهد أيضاً بالحديث الشريف : « المسلمون على شروطهم،

الا شرطا حرم حلالاً ، او احل حراماً» (رواه الترمذي وابو داود وابن حيان والحاكم وغيرهم . وقيل انه حديث ضعيف . انظر بلوغ المرام لابن حجر ص ١٧٩ ، وسنن ابي داود ج ٣ رقم ٣٥٩٤ ، ونيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٢١٥) . واستشهد أيضاً بأقوال الصحابة وأقوال بعض الأئمة . ولقد صدق ابن القيم في تصوير هذا الأصل الشرعي العظيم ، الذي أخذ به أيضاً قانون أصول المحاكمات الحقوقية العثماني (المادة ٦٤) ، وقانون الموجبات والعقود اللبناني (المادة ١٦٦) .

منع الحيل في الأحكام

الحيل في الشرع نوعان . أولهما الحيل الشرعية المباحة في جميع المذاهب ، وهي التي يقصد بها التحيل على قلب طريقة مشروعة وضعت لأمر معين ، واستعمالها في حالة اخرى ، بقصد التوصل الى اثبات حق ، او دفع مظلمة ، او الى التيسير بسبب الحاجة .

والنوع الثاني من الحيل هو الذي يقصد منه «التحيل على قلب الأحكام الثابتة شرعاً الى أحكام أخر ، بفعل صحيح الظاهر لغو في الباطن» (موافقات الشاطبي ج ٢ ص ٣٨٠) . وقد حصل خلاف بين المذاهب في صحة هذا الضرب من الحيل . فقال الحنفية وبعض الشافعية بجوازه ، وألفوا كتباً عديدة ، اشهرها كتاب الحيل لأحمد ابي بكر الخصاف الحنفي .

ولكن الامام الشافعي والامامين مالكاً وابن حنبل واتباعهما حرموا هذا النوع من الحيل . ومن هؤلاء ابن قيم الجوزية ، اذ عقد في هذا الموضوع فصولاً طويلة (في معظم الجزء الثالث اي ص ١١٩ — ٣٥٢ ، وفي الجزء الرابع كله ، خصوصاً ص ١ — ٤٠ ، من كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين) . وقد أسهب في بيان الأدلة على بطلان هذه الحيل ، وردّ على حجج من جوزها ، ثم فرق بين الحيل المباحة والحيل المحرمة ، وضرب منها أمثلة عديدة .

ولم يكتف ابن القيم بالاستناد الى حجج من المنقول عن الكتاب والسنة واجتهاد الصحابة والأئمة ، بل اعتمد أيضاً على حجج من المعقول . قال هذا الفقيه : « لما كانت المقاصد لا يتوصل اليها الا باسباب وطرق تفضي اليها ، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها . فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب افضائها الى غاياتها وارتباطاتها بها ... فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ، وكلاهما مقصود ، لكنه مقصود قصد الغايات ، وهي مقصودة قصد الوسائل . فاذا حرم الرب تعالى شيئاً ، وله طرق ووسائل تفضي اليه ، فانه يحرمها ويمنع منها ، تحقيقاً لتحريمه ، وتثبيتاً له ، ومنعاً ان يقرب حماه . ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية اليه ، لكان ذلك نقضاً للتحريم ، واغراء للنفوس به . وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الاباء ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك . فان أحدهم اذا منع جنده او رعيته او اهل بيته من شيء ، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة اليه ، لعد متناقضاً ، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده . وكذلك الأطباء اذا ارادوا حسم الداء ، منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة اليه ، والا فسد عليهم ما يريدون اصلاحه . فما الظن بهذه الشريعة الكاملة ، التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال » ، (ج ٣ ص ١١٩ — ١٢٠) .

وخلاصة قول ابن القيم ان اباحة الحيل نقض لغاية الشارع . فلذا وجب سد الذرائع او الوسائل التي تفوت غاية الشارع ، وهي المصالح المقصودة من الأحكام الشرعية جميعاً .

ومن أمثلة الحيل الشرعية المعروفة عند الحنفية الحيل المستنبطة في الشفعة . وحق الشفعة جائز عندهم للشريك في الملك المبيع ، وللخليط في حقوق المبيع ، وللجار . وقد استنبطوا حيلاً مختلفة للتخلص من هذا الحق . ولكن هذه الحيل غير مباحة عند ابن القيم ، ومن قال قوله ، لأن الشفعة « شرعت لدفع الضرر ، فلو شرع التحيل لابطالها ، لكان عوداً على مقصود الشريعة بالابطال ، وللحق الضرر الذي قصد ابطاله » .

احياء اعمال الفضولي المحسن

من القواعد الشرعية الأساسية انه ، لا يجوز لأحد ان يتصرف في مال غيره من دون اذن او ولاية . ومن تصرف في ذلك خلافاً لهذه القاعدة ، سمّي فضولياً . مثاله لو باع زيد مال عمرو ، دون ان يكون وكيلاً عنه ، أو ولياً عليه ، اي من دون تفويض من صاحب المال او اذن من الشرع ، فهو بائع فضولي .

ولقد اختلفت المذاهب والقوانين في حكم تصرفات الفضولي . فمنهم من قال إنها باطلة ، ولو وافق عليها صاحب المال . وهذا قول الامام الشافعي في مذهبه الجديد ، وقول الامام ابن حنبل في احدى الروايتين عنه ، وقول اصحاب المذهب الظاهري وغيرهم .

ومنهم من قال ان تصرفات الفضولي موقوفة على رضى صاحب المال . فان اجازها صحت ونفذت ، باعتبار ان الاجازة اللاحقة كالوكالة السابقة . وان لم يجزها صاحب المال ، بطلت وعدت كأنها لم تكن ، الا في بعض المستثنيات المبنية على الضرورة او على الاذن الضمني . وقد أخذ بهذه النظرية من القوانين الغربية القانون الانكليزي ، ومن الفقهاء المسلمين الامام الشافعي في مذهبه القديم ، والامام ابن حنبل في الرواية الثانية عنه ، والامامان ابو حنيفة ومالك واتباعها .

أما النظرية الثالثة فتحكم بصحة تصرفات الفضولي ، ولو لم يجزها صاحب المال ، اذا كانت مفيدة له ، وجرت بقصد الرجوع عليه . وهذه النظرية عرفها الرومان ، ونقلها عنهم قانون نابوليون وغيره من القوانين الأوروبية الحديثة ، وقانون الموجبات والعقود اللبناني (المادة ١٤٨ وما بعدها) .

وعلى الرغم من ان الرأي السائد في المذاهب الاسلامية يأخذ بالنظرية الثانية ، فقد كان من الفقهاء من قال بالنظرية الثالثة . ومن هؤلاء ابن قيم الجوزية ، في كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين (الجزء الثاني ، ص ٣٢٤ — ٣٢٩) .

قال ابن القيم ، فيمن أدى عن غيره واجباً ، انه يرجع عليه به . واستند

بذلك الى الآية الكريمة من سورة الرحمن : « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » .
فاذا أدى احد عن غيره ديناً بغير اذنه فلا يعد متبرعاً ، بل له مطالبة المديون بما اداه عنه ، لأنه ليس من الجزاء الصحيح العادل لمن يحسن الى غيره باداء دينه عنه ، « ان يضيع عليه معروفه واحسانه وأن يكون جزاؤه منه باضاعة ماله ومكافأته عليه بالاساءة » .

واستند ابن القيم أيضاً الى الحديث الشريف : « من أسدى اليكم معروفاً فكافئوه » . وعلق عليه بقوله : « وأي معروف فوق معروف هذا الذي افتك أخاه من أسر الدين ؟ وأي مكافأة أقبح من اضاعة ماله عليه وذهابه ؟ واذا كانت الهدية ، التي هي تبرع محض ، قد شرعت المكافأة عليها ، وهي من أخلاق المؤمنين ، فكيف يشرع جواز ترك المكافآت على ما هو من أعظم المعروف » ؟

واستشهد ابن القيم أخيراً بما نص عليه الامام احمد بن حنبل في عدة مواضع . منها انه اذن للأجنبي ان يحصد زرع غيره في غيبته ، على انه يرجع عليه بالأجرة والنفقة . هذا ، كما قال ، من احسن الفقه ، فانه لو ترك الزرع بلا حصاد ، بسبب مرض المالك او حبسه او غيبته ، لهلك وضاع . فاذا علم من يحصده له ان عمله ونفقته يذهبان ضياعاً ، لم يقدم على الحصاد . « وفي ذلك من اضاعة المال ، والحاق الضرر بالمالك ، ما تأباه الشريعة الكاملة » .

ومما ذكر ابن القيم عن امامه أيضاً ، انه لو انكسرت سفينة رجل ، فوقع منها ماله في البحر ، فخلصه له رجل آخر ، فلهذا الفضولي على صاحبه أجرة مثله .

وتعليل ذلك على الجملة ان الناس يتآزرون في المحافظة والنصيحة والمعروف . « فلو علم المتصرف لحفظ مال أخيه ان نفقته تضيع ، وان احسانه يذهب باطلا في حكم الشرع ، لما أقدم على ذلك ، ولضاعت مصالح الناس ، ورغبوا عن حفظ اموال بعضهم بعضاً ، وتعطلت حقوق كثيرة ، وفسدت اموال عظيمة . ومعلوم ان شريعة من بهرت شريعته العقول ، وفاقت كل شريعة ، واشتملت كل مصلحة ، وعطلت كل مفسدة ، تأبى ذلك كل الاباء » .

المحافظة على حقوق الغرماء

ان الشريعة الاسلامية ومعظم الشرائع خولت الغرماء وسائل شتى ، لأجل تحصيل حقوقهم ، أو لأجل المحافظة عليها . ومن هذه الوسائل حبس المدبون ، وحبس العين ، وحجز الأموال ، وتقييد تصرفات المدبون المريض ، والحجر على المدبون المفلس ، وما الى ذلك .

ولكن الشريعة الاسلامية ، في مذهب جمهور الفقهاء ، تعتبر أن تصرفات المدبون غير المحجور عليه صحيحة ونافذة ، ولو كان القصد منها اضرار الغرماء ؛ أو المماطلة في أداء حقوقهم . وفي هذا كما نرى بعض الحرج ، وفيه كثير من الخطر على حقوق الناس .

لذا أفتى بعض المتأخرين من فقهاء الحنفية ، بان من وقف ملكه على اولاده وهربه من الدائنين ، لا يصح وقفه ولا يلزم . وقد رجح هذه الفتوى المفتي ابو السعود العثماني في معروضاته ، ورجحها أيضاً العلائي وابن عابدين وغيرهما . وبها أيضاً اخذت المشيخة الاسلامية ودائرة الفتوى ، ومجلس الشورى في الدولة العثمانية ، فصدر الأمر السامي بالعمل بها بتاريخ ١٨ ربيع الاول ١٢٩٨ هـ .

وعلى الرغم من ذلك ، فان باقي تصرفات المدبون تعتبر صحيحة عند جمهور الفقهاء ، لا سيما عند الحنفية ، حتى ولو كانت من نوع التبرع المحض . لذلك كان رأي الامام مالك وبعض الحنبلية ، كابن تيمية وصاحبه ابن القيم ، اوفق للمصلحة وأرفق بالناس . فقد قال هؤلاء الفقهاء بان المدبون اذا استغرقت امواله بالدبون ، فلا تصح عقوده التي فيها تبرع ، كالهبة والبيع بالمحاباة ، وما أشبه ، الا ما جرت العادة بفعله ، وسواء في ذلك أكان المدبون محجوراً عليه أم لم يكن . واذا تبرع على هذا الوجه ، فللدائن ان يطلب من الحاكم أبطال التصرف . (شرح الخرشي على سيدي خليل ج ٤ ص ١٧٣ ، والقواعد لابن رجب القاعدة ١١ ص ١٤ ، واعلام الموقعين ج ٤ ص ٦ — ٧) .

ولقد أوضح ذلك ابن القيم بقوله إن حق الغرماء قد تعلق بمال المديان • وان « في تمكين هذا المديان من التبرع ابطال حقوق الغرماء • والشريعة لا تأتي بمثل هذا • فانها انما جاءت بحفظ حقوق أرباب الحقوق ، بكل طريق ، وسد الطرق المفضية الى اضاعتها » •

وهذا القول من أحسن الفقه • وهو شبيه بمضمون ما هو مشهور اليوم في القوانين العصرية ، باسم الدعوى البولصية ، نسبة الى القاضي الروماني بولص ، الذي كان أول من منحها الغرماء لأجل فسخ عقود المديون التي أجراها بقصد الاضرار بهم • وقد اقتبسها قانون الموجبات والعقود اللبناني (المادة ٢٧٨) ، وأسماها بالدعوى البوليانية •

التوسع في أصول البينات

روى مسلم في صحيحه عن النبي (ﷺ) انه قال « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن اليمين على المدعى عليه » • لذا اشترط الشرع واجب الاثبات لدى القضاء ، دفعاً للادعاءات الباطلة ، واقراراً للقاعدة الكلية ان الأصل براءة الذمة •

فاذن ، للاثبات اهمية كبيرة ، لأن عليه يتوقف امر حماية الحقوق وتنفيذها • ويكون الاثبات بطرق معينة ، أهمها الحجج الشرعية الثلاث ، وهي الاقرار والبينة واليمين • ولقد درس الفقهاء هذه الحجج وما يتفرع عنها درساً مفصلاً ، لا مجال لبيانه في هذا المعرض • ومن الذين درسوه درساً علمياً دقيقاً ابن قيم الجوزية في كتابه النفيس « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » • وهذا الكتاب تطرق الى جميع وسائل الاثبات ، واسهب في الادلة الشرعية المتعلقة بها ، وفي أقضية كثير من فقهاء المسلمين وقضاة السلف • وان تلخيص هذا الكتاب يحتاج الى مجال اوسع من مجالنا الحاضر • ولكننا نكتفي ههنا بالتنويه

بمسألة واحدة منه ، وهي تقدير الشهادات وقبول شهادة الرجل الواحد ، على ان نتبع ذلك بحث مسألة عدم تجزئة الاقرار كما أوضحها ابن القيم في كتاب اعلام الموقعين .

أولاً — تقدير الشهادات وشهادة الواحد

استعملت كلمة البينة ، او البينة الشخصية في الاصطلاح بمعنى شهادة الشهود . وهي لم تقبل على اطلاقها في جميع الشرائع ، لما فيها من خطر ناتج عن نسيان الشهود او كتمانهم الشهادة او الكذب فيها ، بداعي التحزب او الاغراء او الرشوة . فلذا أوجب الفقهاء شروطاً معينة لقبول البينة ، وأوجبوا نصاباً معيناً اختلف باختلاف المذاهب والقضايا . وان بحث مراتب الشهادات خارج عن بحثنا ههنا . وعلى الجملة فالرأي السائد يشترط شهادة الرجلين او الرجل والمرأتين في قضايا الأموال ، وقد قبل المذهب الحنفي هذه الشهادة أيضاً في باقي حقوق العباد ، وهي نصاب الشهادة المنصوص عليه في مجلة الأحكام العدلية (المادة ١٦٨٥) . وفوق ذلك ، قبل الأئمة مالك والشافعي وابن حنبل شهادة الرجل الواحد ، اذا تعززت بيمين المدعي . ولكن شهادة النساء ، وشهادة الرجل الواحد بدون يمين المدعي ، لم يقبل بها جمهور الفقهاء ، الا في بعض المستثنيات المحصورة .

أما ابن قيم الجوزية فقد توسع في مسألة البينات ، فأجاز شهادة الرجل الواحد الصادق ، متبعاً في ذلك قول بعض قضاة السلف ، أمثال شريح وزرارة واياس بن معاوية ، وقول ابي داود السجستاني وابن تيمية وغيرهم .

وقد رأى ابن القيم ان الغاية من البينة الوصول الى معرفة الحق ، وان العبرة فيها لصدق الشهود وعدالتهم ، لا لعددهم . فقال : «والصواب ان كل ما بيّن الحق فهو بينة . ولم يعطل الله ولا رسوله حقاً بعد ما تبين بطريق من الطرق أصلاً . بل حكم الله ورسوله ، الذي لا حكم له سواه ، انه متى ظهر الحق ووضح بأي طريق كان ، وجب تنفيذه ونصره وحرم تعطيله وابطاله» (اعلام الموقعين ، ج ١ ص ١٩٢ — ١٩٣) .

ومن هذا الأصل الحكيم استنتج ابن القيم «انه لا يجوز للحاكم الحكم بشهادة الرجل الواحد ، اذا عرف صدقه في غير الحدود . ولم يوجب الله على الحكام ان لا يحكموا الا بشاهدين أصلاً ، وانما أمر صاحب الحق ان يحفظ حقه بشاهدين ، أو بشاهد وامرأتين . وهذا لا يدل على ان الحاكم لا يحكم بأقل من ذلك . بل قد حكم النبي (ﷺ) بالشاهد واليمين ، وبالشاهد فقط» (الطرق الحكمية ص ٦٦ ، ٦٧) . او بعبارة اخرى ، «فالطرق التي يحكم بها الحاكم أوسع من الطرق التي أرشد الله صاحب الحق الى ان يحفظ حقه بها» (اعلام الموقعين ، ج ١ ص ٨١) .

وقد استند ابن القيم الى سنة النبي (ﷺ) ، اذ أجاز شهادة الاعرابي وحده على رؤية هلال رمضان ، وأجاز شهادة الواحد في قضية سلب رواها ابو قتادة ، وقبل شهادة المرأة الواحدة اذا كانت ثقة فيما لا يطلع عليه الا النساء ، وجعل شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاري بشهادتين ، بالحديث الشريف «من شهد له خزيمة فحسبه» (رواه البخاري واحمد) .

وحديث خزيمة عده جمهور الفقهاء مخالفاً للقياس ومختصاً بخزيمة ، ورفضوا شهادة الواحد من غيره ، وفاقاً للقاعدة الكلية الواردة في الجامع وفي المجلة ، ان «ما ثبت على خلاف القياس فغيره لا يقاس عليه» (المادة ١٥) . اما ابن القيم فاعتبر ان هذا الحكم بالشاهد الواحد ليس مخصوصاً بخزيمة دون من هو خير منه أو مثله من الصحابة . فلو شهد ابو بكر وحده او عمر او عثمان او علي او أبي بن كعب ، لكان اولى بالحكم بشهادته وحده» (الطرق الحكمية ص ٧٠) . وبعبارة أخرى ، اعتبر ابن القيم ان هذا الحديث بني على علة هي صدق خزيمة ، فجوز للقاضي ان يتوسع فيه حيث وجدت علته ، ومن ثم جوّز له ان يحكم بشهادة كل من تحقق صدقه .

ثانياً — عدم تجزئة الاقرار

من الأدلة على توسع ابن القيم في مسائل البينات ، أخذه بنظرية عدم تجزئة الاقرار ، وايضاحها ايضاحاً وافياً .

فمن المعلوم ان الاقرار هو أقوى الحجج الشرعية على الاطلاق ، وان «المرء مؤاخذ باقراره» (نقلتها المادة ٧٩ من المجلة عن كتاب مجامع الحقائق) .

ولكن من الأمور المختلف فيها في القوانين مسألة الاقرار الموصوف . وهو الذي يشتمل الاقرار بالفعل الأصلي المدعى به ، والادلاء ببيان اضافي مرتبط به . مثاله ان يقر المدعي عليه بالدين المدعى به ، وان يزيد على ذلك بانه مؤجل . فهل يجب الأخذ بجميع قول المقر ؟ أم يجوز تجزئة اقراره ، بان يلزم بالدين المدعى به حالاً ، ثم يكلف باثبات التأجيل ؟

في المذهبين الحنفي والمالكي يحكم بتجزئة الاقرار . وفي هذا ، كما نرى ، تشجيع للكاذبين وعقاب للصادقين ، في بعض الأحيان . لذا نرى اليوم القوانين العصرية تأخذ بنظرية عدم تجزئة الاقرار . ومن هذه القوانين قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني (في المادتين ٢٢٦ و ٢٢٧) ، وقانون تنظيم المحاكم الشرعية اللبناني (في المادة ٤٤) .

وعلى هذه النظرية أيضاً سار الفقهاء الحنبلية ، ومنهم ابن قيم الجوزية . فقال هذا الفقيه بان الاقرار لا يقبل التبعيض ، لأنه كلام واحد لا يجوز الأخذ ببعضه دون بعض . مثاله اذا اقر المدعى عليه بالدين مؤجلاً ، لم يجبر على الدفع قبل الأجل ، لأنه بعبارة ابن القيم «انما أقر به على هذه الصفة ، فالزامه به على غير ما اقر به الزام بما لم يقر به» . (اعلام الموقعين ، ج ٣ ص ٣١٧) .

الخلاصة

نحن نستبين مما تقدم ان ابن قيم الجوزية لم يكن من الفقهاء العاديين . بل كان من النوابغ الذين نظروا الى الشريعة الاسلامية على حقيقتها ، والذين تحروا عن مقاصدها وغاياتها ، وتمسكوا بها غير مبالين بما قاله غيرهم .

وعلى هذا حارب ابن القيم التقليد الأعمى ، والجمود والخرافات الشكلية ، والتفصيلات الآرائية ، ودقق في الاجتهاد . فاعتبر المقاصد أساساً للحكم في تصرفات الناس ومعاملاتهم ، وأفتى بتحريم التحيل على الشرع ، وتوسع في أصول المحاكمات وطرق البينات .

فتوصل بذلك كله الى نظريات عصرية ، كنظرية المنفعة في أعمال الفضولي ، ومبدأ حرية التعاقد ، ومبدأ تقدير قيمة الشهادات ، وعدم تجزئة الاقرار ، وفسخ عقود المديون المضرة ، ومبدأ تغير الأحكام بتغير الأزمان والأمكنة والأحوال ، وما شابه من النظريات والمبادئ ، التي لا نراها اليوم الا في احدث الشرائع ، وذلك كله في زمن سابق لها بعدة قرون . وما هذا كله الا دليل من الأدلة الكثيرة على ان الشريعة الاسلامية تحوي من الأسس القوية ما جعلها تماشي المدنية في الماضي ، وما يجعلها اليوم قابلة لأن تساير كل تطور في الحاضر والمستقبل . واذا كان الأمر على عكس ذلك في وقت من الاوقات ، فلم يكن مرده الا الى جمود بعض المتأخرين ، والى تقصيرهم في تفهم معاني الشريعة الحقيقية ، كما يجب ان تفهم ، وكما فهمها امثال شمس الدين بن قيم الجوزية .

صبحي المحمصاني (بيروت)



المكاتب الايرانية
والمكتبة الرضوية ووصف بعض كتبها

تحتفظ ايران بثروة علمية ضخمة تضم أشتاتها المكاتب العامة والخاصة في عاصمتها طهران وأمهات مدنها الكبيرة . ومع ما انتاب ايران من الحروب المتواترة الداخلية والخارجية والتزاحم على سلطانها وسقوط دولة وقيام أخرى ، ومكروه ذلك وسيئه هو السهم المسدد لقلب العلم واجتياح كتبه ، فان البقية الباقية من ثروته في هذا البلد تفوق كل ما استبقت عليه الأيام ونكباتها من هذه الثروة في سائر البلاد الاسلامية .

فالمكاتب الايرانية اليوم ضاربة بسهم وافر من التنظيم ، منطوية على الكتب القيمة النادرة وعلى الكثير مما ألف وصنف في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية في عصور ازدهارها واتخاذها اداة العلم والفقه الاسلامي وما اليه والأدب والحكمة والطب والسياسة وحذق العلماء الايرانيين لها حذقاً منقطع النظير فكانوا بذلك بلا نكير أئمة وحججاً يرجع اليهم في فهم أسرار العلوم واسرار اللغة حتى أبناء هذه اللغة الشريفة ولم يكن اتخاذهم لغتهم الفارسية في عصور استقلالهم عن العرب لغة الدواوين والعلم والسياسة ليحد من نشاط جمهرة من علمائهم وأدبائهم في حذق اللغة العربية والاحتفاظ بكتبها سواء أكان فيما ألفه وصنفه أجدادهم أم العرب .

والمؤلفات العربية القديمة والحديثة هي أبرز ما تحويه مكاتبهم الحافلة بنوادر المخطوطات المضروب بالاسداد بينها وبين أن تمتد اليها الأيدي العاثرة . وحسبك برهاناً على مبلغ العناية بصونها من العيث فيها ان تجد الصناديق الحديدية المقفلة في مكتبة البرلمان الايراني مستودعاً أميناً لكتبها الخطية النادرة وهي المكتبة التي وصف بعض كتبها في مقاله القيم الباحث الأستاذ أسعد طلس في اجزاء

من مجلة المجمع . ولقد أتيح لي عام ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م ان اقوم برحلة الى العراق وايران استغرقت ستة أشهر فأزور البرلمان الايراني ومكتبته ومكتبة سبهسالار زيارة قصيرة لم يمكن لي قصر الوقت بمقامي بطهران وجهل اللغة الفارسية وفقد من استعين به على الترجمة ان أبلغ حاجة في النفس من الوقوف على ما فيها وفي مكتبة قصور كلستان الزاخرة بآثار اليد والفكر من النفائس . وما فاتني الانتفاع به من مكاتب طهران لم يفتني من المكتبة الرضوية في مشهد خراسان وقد أقمت فيه مدة اربعين يوماً كان لي من أخلاق قيمها الفاضلة الشاهزاده (الامير) او كتائي ومن مساعدة من يحسن اللغتين العربية والفارسية وهو الفاضل الشيخ محمد تقي الايرواني ما وقفت عليه من نوادر مخطوطات هذه المكتبة العامرة في أيام غشياني لها ومن وصفه ومن الوقوف على المهم من تاريخ المشهد الذي كان مستهدفاً لغزوات الدول المجاورة لخراسان وهو قاعدتها أما

المكتبة الرضوية

فهي في الصحن الجديد شرقي الروضة وهو الذي بناه فتح علي شاه سنة ١٢٣٣ بعد تغلب شجاع الدولة على فتح خان وزير محمود شاه الأفغاني الذي قصد الاستيلاء على شهد بجيش جرار ، تقع المكتبة في طبقة علوية تشتمل على غرفتين احداهما للنسخ والتصحيح وثانيتهما لتجليد الكتب وبينهما وبين غرفة الكتب فسحة مدت فيها المقاعد للمطالعة ومنها ينفذ الى غرفة الكتب البالغ طولها ٣٠ ذراعاً بعرض وارتفاع ستة أذرع تحتوي على ٦٢ فقسة (واجهة) مملوءة بالكتب يتجلى الذوق الايراني باتقان تجليدها وما فيها من فن حذقته الأيدي الفارسية الى تنظيم رائع بديع .

تاريخ انشاء المكتبة

أما تاريخ انشائها فغير معلوم على التحقيق ولكن المحقق انها كانت قائمة في أوائل المائة التاسعة بدليل ان ابراهيم بن سلطان بن شاهرخ بن تيمورلنك

قد وقف سوراً من القرآن الكريم على الروضة كتبها بخطه سنة سبع وعشرين وثمانمائة وأوضح في الدلالة على وجود المكتبة في هذه المائة ان كتاب روض الجنان في التفسير للشيخ ابي الفتوح قد أرخ وقفه على المكتبة سنة ٨٦١

ولما غزا المشهد عبد المؤمن خان بن عبد الله خان اوزبك وفتحها بعد حصار اربعة اشهر وأعمل في اهلها القتل والنهب استولى على كل ما كان في الروضة الرضوية من نفائس الآثار وعلى بعض الكتب والمصاحف المجموعة من أقاصي بلاد الاسلام في أزمنة متمادية ووقع بأيديهم بعض منها بخطوط بعض الأئمة وحملوا من المشهد ما يقرب من حمل الف بعير ٠

عدد كتبها

كان يبلغ عددها سنة ١٢٩٦ بعهد سدانة الميرزا سعيد خان ٢٠٦٩ ٠ وسنة ١٣١٢ بعهد سدانة مؤيد الدولة ٢٩٨٢ ٠ وسنة ١٣٤٢٠ بعهد سدانة الحاج ميرزا محمد ٣٣٤٤ وكان يبلغ عدد نسخ القرآن الكريم الفاً ٠ وسنة ١٣٤٤ بعهد سدانة آغا ميرزا محمد خان الاسدي في سلطنة المرحوم رضا شاه البهلوي وبادارة الأمير اوكتائي للمكتبة بلغ عددها خمسة عشر الف كتاب منها خمسة آلاف مصحف ووضع لها مديرها فهرساً متقناً يبلغ ثلاثة أجزاء من القطع الكامل طبع سنة ١٣٥٤

ومن المدهش ارتقاء عددها الى هذا الرقم في أزمنة قريبة جداً وهو في ازدياد مطرد بلغت هذا العدد الى سنة ١٣٥٣ ه و ١٩٣٤ م وهي التي أتيح لنا فيها زيارتها ومن ذلك يتبين مبلغ العناية بهذه المكتبة وللسلاطين الذين تعاقبوا على حكم ايران ولا سيما في العصور الأخيرة كثير من الكتب الموقوفة عليها وخاصة الملوك الصفوية ونادر شاه والقاجاريين ولكنها بلغت الذروة في عهد السلطان رضا شاه ومن العامليين الذين لهم أثر بين في وقف الكتب عليها العلامة الشيخ محمد بهاء الدين العاملي الهمداني الحارثي الجبعي والشيخ اسد الله بن خاتون العاملي العيناثي فقد وقف عليها سنة ١٠٦٧ اربعمائة كتاب في علوم مختلفة ٠

وصف بعض مخطوطاتها

أما المصاحف الشريفة التي تزدان بها المكتبة والبالغ عددها خمسة آلاف مصحف ومنها ما يرجع تاريخ كتابته الى عهد جمع القرآن الكريم وتدوينه كالمصاحف المنسوبة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والى ولده الحسن السبط والامام علي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام والى من تأخر عن عصورهم حتى المائة الثالثة عشرة للهجره فذلك مما لا مطمع في الاحاطة به ووصفه ولم يتعرض له فهرس المكتبة وجله جامع لروعة القدم ورواء زخارف الفن الفارسي في التجليد المتقن البالغ أقصى جماله وكأن التقرب الى الحضرة الرضوية وتخليد الذكر فيما يهدى اليها من النفائس سواء أكان في البناء أم في الأعلاق الثمينة أم في كتابة المصاحف هو الحافز لكثير من العظماء الى هذا التقرب فقد جاء في كتاب منتخب التواريخ للعلامة الحاج ملا هاشم الخراساني المتوفى سنة ١٣٤٩ ويوجد في مكان المصاحف الشريفة قرآنخانه قران ثلاثون جزءاً بخط تور كان زمرذملكة وقد وقفته سنة ٥٠٠ . ووقف ابراهيم بن سلطان بن شاهرخ بن تيمورلنك على الروضة سوراً من القرآن كتبها بخطه سنة ٨٣٧ .

وصف بعض المصاحف

وهذا وصف بعض المصاحف والسور القرآنية التي أتيح لنا الوقوف عليها ومما يدل على ما تحويه هذه المكتبة من الكنوز الخالدة .

الأول سور من القرآن المجيد

منسوبة الى خط علي عليه السلام فيها من أول سورة هود الى آخر سورة الكهف مكتوبة عرضياً على رق بشكل السفينة تشبه قرآناً منسوباً لهذا الامام العظيم رأيناه في الحضرة العلوية بالنجف الشريف خطها كوفي خال من النقط وتنقيطه بالمداد الأحمر متأخر عن زمن كتابته عدد أوراقها (٦٨) وفي كل

صفحة (١٥) سطراً بطول (٣٤) وعرض (٢٣) وقطر (٣) وهي مجلدة بجلد مذهب موضوعة في صندوق مذهب والواقف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ وصورة الوقفية بخط العلامة البهائي .

الثاني

جزء من القرآن منسوب الى علي عليه السلام مكتوب على رق سميك يشبه الايادي (العبادي) وعلى قدمه تراه كأنه كتب جديداً الا بعض الصفحات واذا نظرت الى بعضها تبين لك قدمها وتماسكه على تمادي القرون .

عدد صفحاته (٩٢) وفي كل صفحة سبعة أسطر وطوله (٢٧ س) بعرض (١٨) وقطر سانتيم واحد وفي الصفحة الـ (٧) جدول بين سطورها بارز الى الهامش وواقفه الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ وصورة الوقفية مكتوبة على ورقة ألحقت بأوله وهي بخط العلامة البهائي . وفي كلمات هذا الجزء نقط حمر وخضر متأخرة عن زمن كتابته . والذي استفدناه من مدير المكتبة ان النقط الحمر هي رموز الى علامات الاعراب فللكسرة نقطة تحتية وللفتحة نقطة فوقية وللتنوين نقطتان فوقيتان للمنصوب وتحتيتان للمخفوض وامام الحرف للمرفوع وللضمة نقطة امام الحرف .

وأما النقط الخضر فالظاهر أنها للتفرقة بين بعض الحروف المتشابهة بالخط الكوفي كما يدل رسمها الحرف المهمل بشكل رسم المعجم .

أما الجزء الأول فمكتوب في آخره (كتبه علي بن) بسطر (ابي طالب) بسطر ثان والجزء الثاني (كتبه علي) بسطر (بن ابي طالب) بسطر ثان باسقاط الف ابن .

الثالث

جزءان من المصحف الكريم منسوب خطهما للامام الحسن السبط عليه السلام ابتدئ الأول باول الجزء الثالث والعشرين من سورة (يس) واختتم بالآية الـ (٤٥) من سورة (فصلت) التي هي الجزء الـ (٢٤) عدد أوراقها (١٢٢)

بطول (١٦ س) وعرض (١٢) وقطر (٥) وهما مكتوبان بالخط الكوفي بشكل السفينة وفي الآخر مكتوب سطران الأول (الأول كتبه الحسن بن علي) الثاني (ابي طالب) سنة احدى واربعين من وقف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ وصورة الوقفية من خط العلامة البهائي باللغة الفارسية .

الرابع

مصحف منسوب خطه الى الامام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام موضوع في غلاف سميك مزخرف وقد كتب بالخط الكوفي على رق ووضعت له هوامش يشبه ورقها ورقه حفظاً لخطه وأثر الجدة ظاهر عليها وهي مطرزة بجداول جميلة .

سقط من أوله سورة الفاتحة الى الآية الـ (١٨٩) من سورة البقرة ومن اول الآية الـ (١٨٠) موجود الى آخر القرآن .

وواقفه غير معلوم عدد أوراقه (٣٦٩) وسطور كل صفحة (١٦) طوله (١٦ س) بعرض (١١) وقطر (٥و٦) وخطه أدق من خطوط الأجزاء القرآنية السابقة . ونقطه بالمداد الأسود للاعجام وبالأحمر للشكل والاعراب .

وفي آخره مكتوب بعد سورة (الناس) بسطر واحد (قوله الحق وله الملك ان الله لا) وبسطر ثان (يخاف الميعاد كتبه المنتظر) وبسطر ثالث (بوعده علي بن الحسين بن علي بن) وبسطر رابع (ابي طالب) .

الخامس

سور من القرآن المجيد وسورة (الحمد والناس وعم) بدون ترتيب وهي بخط ابراهيم بن سلطان بن شاهرخ بن تيمورلنك مكتوبة بقلم الثلث في كل صفحة سبعة سطور سطران في اعلاها وسطر في أسفلها مكتوبة بالمداد الأسود وخمسة الأسطر الوسطى مكتوبة بمداد الذهب على ورق سميك المسمى عند الفرس (بالدوله ابادى) عدد أوراقه (١٦) وطوله (٨٣ س) بعرض (٦٣) وقطر

(٥) وهو مجدول بجداول رائعة وفي آخره شكل مربع وفوقه وتحته دائرتان جميلتان أما الدائرة العليا فمكتوب فيها (لقد جاءكم رسول الآية) وفي الدائرة السفلية [تقرب الفائز بكتابة السفر الكريم من القرآن العظيم بوقفه على الروضة الطاهرة العلوية الموسوية الرضوية بمشهد طوس الى روحه الزكية تقبل الله منه] وفي الوسط مكتوب [كتبه اضعف عباد الله الرحمن ابراهيم بن سلطان ابن شاهرخ بن تيمور كوركان عفى الله عنه في سنة سبع وعشرين وثمانمائة هجرية . اللهم صل على نبي الرحمة وشفيع الأمة محمد وآله الطاهرين وصحبه وسلم] .

السادس

رأينا مصحفاً شريفاً مكتوباً على صفحة من الرّق موضوعة في صندوق طوله (٧٥ س) بعرض (٥٤) أما هذه الصفحة فانها تتقاطع الى ثلاثين دائرة مربعة الشكل مرسومة بمداد الذهب وحواشيها مزخرفة بالجداول الملونة الجميلة وفي كل دائرة سورة من سور القرآن الكريم والقرآن كله مكتوب في دوائر هذه الصفحة الثلاثين وكان يسمى (ميرخسرو المدني) ولم يؤرخ زمن كتابته .

السابع

مصحف شريف جلده من النوع المسمى بالفارسي (زرابي دشت) من أبدع ما رأيت من جلود المصاحف والكتب في هذه المكتبة والمدهش ان هامش كل صفحتين من صفحاته البالغة الـ (٢١٢) صفحة له نقش خاص وكله منقوش بالمداد الذهبي وفي أوله وآخره صفحات مذهبة رقيقة تشبه الأمواج الذهبية التي توجد في نواويس موتى القدماء وبين كل عدد من أوراقه ورقة بيضاء موضوعة حفظاً لرواء خطه ونقشه البديعين وفي أوله وآخره زخارف وجداول من اروع ما رسمته ريشة الرسامين وفي وسط زخارف الصفحة الأخيرة وجدولها دائرة وفي آخرها دائرة بارزتان قليلاً الى الهامش مكتوب في دائرة الوسط [الحمد لله الحميد على اتمام تنميق كلام الله المجيد بيد الراجي الى رحمة ربه المنان السيدجعفر

محمد خان ابن السيد باقر محمد خان الحسيني بحسب ارشاد عين الرشاد خان اعلى شان صاحب السيف والسنان ناشر الجود والاحسان الفياض ابن الفياض ابن الفياض خدايار محمد خان بهادُر ثابت جنك عباسي أدام الله ظلال اقباله وضاعف قدره] ·

ومكتوب في الدائرة الثانية « ووقف على حرم الرضوي في تاريخ احدى وعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان واربعين ومائة والف من هجرة النبي صلوات الله وسلامه عليه صلاة دائماً مباركاً »

وتاريخ ختم تحريره (تمام القرآن بجميل مدد السبحان) وتاريخ آخر مقتبس من كلام الله (وتمت كلمة ربه) وختامه (والحمد لله رب العالمين)

أما اوراقه فمن نوع (بالغ خان) وبين سطور صفحاته من أوله الى آخره منقوش بالمداد الذهبي بنقش واحد وخطه من نوع الخط المعروف بـ (شبه كشمير) وحروفه كبيرة طوله (٣٦) س بعرض (٢٤) س · وقطر (١١) س وجملة القول ان الفكر الفارسي الثاقب واليد الفارسية البارعة تعاونا على افراغه بهذا القالب الفذ وكم للفن الفارسي سواء أكان في الخط الرائع أم في النقش والحفر ودقة الصناعة من أثر بارز في هذه الحضرة وكأنها حلبة من حلبات مسابقة ذوي الفنون بأقصى ما تنفذ فيه قرائحهم وأيديهم أو معرض لما يعرضونه بها من الطرائف والبدائع على الطائفين بها من مختلف الأمصار الاسلامية ·

يقول العلامة الكاتب الكبير الأستاذ عبد الوهاب عزام في كتابه (رحلات) وقد زار هذه المكتبة في عام زيارتي لها : « زرت المكتبة الرضوية وهي في الصحن الجديد في الطبقة الثانية وقد اطلعت فيها على مصاحف يحار الانسان في مرآها ويعجز عن وصفها · وحدثني قيم المكتبة ان بها آلافاً من المصاحف المخطوطة »

وقد بينا ان عددها خمسة آلاف مصحف كما حدثنا قيم المكتبة وهل في وسع الزائر المحدد مكثه في هذا البلد (مشهد) بالأيام والأسابيع ان يستقصيها كلها ويبلغ من وصفها ما يستحقه وصفها ؟

وبعد فهذا وصف ستة مصاحف هو نموذج لما استأثرت به هذه الخزانة من هذا العدد العظيم من كتاب الله الكريم ولعلها أحفل المكاتب الاسلامية بهذه الكنوز وهو ما قصرت الاطلاع عليه وما سمحت لي به الفرصة السانحة وآب اللهاب من صيف هذا البلد الطيب المرهق حره ومراعاة المراسم المتعارفة من تبادل الزيارات بين رجالاته على اختلاف الطبقات وبيننا التي كانت تستغرق شطراً كبيراً من وقتي المحدود الى شؤون اخرى لم تدع لي الا الشطر القليل منه لزيارة المكتبة والاطلاع على بعض مخطوطاتها النادرة ووصفه وما هو الا غيض من فيض ووشل من بحر وها انا أدونه مأخوذاً من مفكراتي اليومية من رحلتي العراقية الايرانية ٠

(١) ديوان حافظ شاعر الفرس المتوفى سنة (٧٩٢ هـ ١٣٨٩ م) عدد صفحاته (٢٤٧) طوله ١٧ س وعرضه ١٢ س وقطره ٢ س سطور كل صفحة ١٢ س مجلد أنفس تجليد مجدول في الوسط بماء الذهب مع تقطيع سواد الجلد بنقوش في الوسط ودوائر شكله المستطيل وهو مكتوب على رق من نوع (الخان بالغ) وأول صفحة من مقدمته مجدول بنقوش بديعة بالمداد الأزرق والذهب ومثلها الصفحة الثانية ثم تنقطع هذه الزخارف ما خلا جداول الصفحات العادية الفاصلة بين الخط والهامش حتى الصفحة الحادية عشرة فترى في الصفحة الثانية عشرة صورتي فتاة وامرأة وقد جدولت حواشيها كالصفحتين الأوليين ورسم ما بينهما صور من الأزهار وغيرها وهكذا تجد مثل ذلك في سبعة مواضع سبع صور أو سبعة مجالس (في مصطلح الفرس) وما فيها من الرسوم وما حواليها من صور النبات والأزهار وجداول لحواشي الديوان وأخرى في صلب الصفحات عند الابتداء بكتابة كل قصيدة من قصائده من أبدع ما أخرجته ريشة المصور الفارسي ٠

أما الكاتب فاسمه درويش عبد المجيد درويش الأستاذ في قلم الشكستة المكتوب به هذا الديوان والنوع الجميل المعروف من الخطوط الفارسية وتاريخ كتابته سنة ١١٧٠

(٢) خواص الأدوية (او الاشجار) عدد أوراقه (٢٨٥) وعدد أشكال النباتات والأشجار (٧٤٧) وصور الانسان والحيوانات (١٤٨) طوله ٤٠ س و ٦ أعشار السانتيم وعرضه ٣٠ س

مؤلفه ديسقوريدس العين زربي[1] (٢٥٣) قبل الميلاد باللغة اليونانية ثم نقل الى السريانية ومنها نقله الى العربية في أوائل المائة السادسة الهجرية سنة ٥١٨ مهران بن منصور بن مهران . واقفه الشاه عباس سنة ١٠١٧

(٣) كتاب مفيد الخاص في علم الخواص لمؤلفه محمد بن زكريا المتوفى سنة ٣٢٠ او سنة ٣٦٤ كما في أخبار الحكماء . وفي طبقات الأطباء سنة نيف وتسعين ومائتين او ثلاثمائة وكسر عدد أوراقه ١٦٩ وعدد فصوله ٥٠ طوله ٢٨ س وعرضه ٢٠ س وقطره ٢ س

أول صفحاته مزينة بنقوش من اللون الأزرق والأصفر الذهبي ومجدولة بين الكتابه والهامش بجدول ملون بالأزرق والأصفر وفي وسط هذه الصفحة مكتوب بمداد الذهب بخط كبير الحروف ما هذا نصه : « لخزانة مولانا وسيدنا السلطان الأعظم السيد المجاهد المؤيد المثاغر المرابط المظفر المنصور الملك الصالح عماد الدين والدنيا ابي الفداء اسماعيل[2] ابن السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر ناصر الدين ابي المعالي محمد ابن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور قلاوون نصر الله دولة سلطانه وتغمد الدارجين من بيته الشريف برحمته ورضوانه » وبعد هذه الصفحة صفحة تليها تحتها شكلان مستطيلان وبقابلها صفحة على مثالها ومكتوب في الشكل الأعلى من الصفحة الأولى هكذا (الجزء الثاني من كتاب) وفي الأعلى من الصفحة الثانية المقابلة لها هكذا (المفيد الخاص في علم الخواص) وفي أسفل الصفحتين الأولى (تأليف الحكيم العالم الفاضل محمد) والثانية وهي الثالثة (ابن زكريا الرازي لملك مازندران)

---

(١) وفي أخبار الحكماء . . ذياسقوريدس العين زربي من أهل عين زربة شامي يوناني حشائشي كان بعد بقراط وفسر من كتبه شيئاً كثيراً .

(٢) المتوفى في تاريخ ابن الوردي سنة ٧٤٦ هـ ١٣٤٥ م .

وما بين هذين الشكلين المحتويين على اسم المؤلف بيان مواضيع الكتاب · غرائب الخواص وعجائبها وعلم الفراسة · والفلاحة · وسياسة الجوارح وطبها · والخيل والدواب وبيطرتها · والحيوانات وتربيتها · وغرس الرياحين والبقول والأشجار ونوادرها · وصيد السموك والأطيار الى آخر ما في الكتاب من مباحث جليلة ·

وفي الصفحة الرابعة يبتدئ بالبسملة ثم بعدها بكلمة (بخور) وفي آخر الصفحة تهرب منه الحياة والعقارب وبينهما صورة حية وبعض الهوام وصورة فتاة مرتدية ثوباً احمر اكمامه خضر وعلى رأسها شبه اكليل أصفر مذهب وتحمل بيدها مجرة ·

وفي الصفحة الخامسة المقابلة لها صور حية وهوام أخرى كالذباب والزنابير والعقارب وصورة فتاة أيضاً مرتدية ثوباً أزرق اكمامه حمر وعلى رأسها تاج أصفر مثل تاج الصورة الأولى وبيدها مجرة صفراء مثل الأولى وان هذا البخور يطردها · وفي تضاعيف صفحات الكتاب صور اشجار ونباتات وحيوانات وهوام وكل ما يتعرض لذكر خواصه في فصول الكتاب ·

أما ورق الكتاب فسميك من نوع الورق (الابادي)

(٤) مجموع الغرائب وموضوع الرغائب لمؤلفه العلامة الشيخ ابراهيم الكفعمي اللويزي العاملي[1] عدد اوراقه ١٩٢ عدد سطور كل صفحة ١٩ طوله ٢١ س وعرضه ١٥ س وقطره ٣ س

أما موضوع الكتاب فأدبي على مثال كشكول العلامة البهائي غير منتظمة در فوائده في سمط وهو من الكتب المفيدة الجامعة وقد نقص من أوله اوراق لا يعلم عددها والواقف له هو الشيخ اسد الله بن محمد مؤمن بن خاتون العاملي وهو أحد الكتب الـ(٤٠٠) التي وقفها على هذه المكتبة سنة ١٠٦٧

ورقه متين من نوع الابادي وخطه أقرب الى الرداءة وأغلاطه كثيرة وهذا ما جاء في آخره «وبعد فهذا كتاب محتو على بساتين قد سلكت أنهارها

(١) المتوفى في اواخر المائة التاسعة الهجرية ·

وأفانين قد تفتحت ازهارها وقصص هي مخضرة الأغصان وأخبار هي عطر الأردان · وأجوبة ضاحك ثغرها · والغاز فائح نشرها · الى ان قال : وهو كتاب مجموع الغرائب وموضوع الرغائب وهو اسم وافق المسمى · ولفظ طابق المعنى جمعته من كتابنا الكبير الذي ليس له نظير جمعته من الف مصنف ومؤلف ·

(٥) ليلى ومجنون

عدد أوراقه ٤٩ سطور كل صفحة ١٢ طوله ١٧ س بعرض ١٠ س وقطره ٢ س

هو قصة شعرية باللغة الفارسية ذات مجالس عشرة (فصول) في كل فصل صورة مشهد من مشاهدها ما بين صور فتيان وفتيات وصور رجال يمتطي بعضهم جواداً ويعتقل رمحاً والصور مزخرفة بأبدع الألوان وبين صور هذه المشاهد فنون من الأزهار ·

أما جلد الديوان فجميل جداً وفيه بعض النقوش وورقه سميك من نوع الورق المعروف عند الايرانيين بالكشمير لونه ضارب الى الصفرة وخطه من نوع نسخ التعليق وأول صفحة يستوعب شكل مستطيل نحو ثلثها متقاطع بخطوط حمر وصفر تملأ فراغ ما بينها نقوش ذات الوان شتى وهامش هذه الصفحة والتي تليها تزينهما الوان الذهب واللازورد والأرجوان وما بين السطور عرضاً خطوط متحينة وان كانت على سمت واحد منقوشة بماء الذهب · وخط يمتد من بدء الديوان الى الى آخر الصفحة الأولى ومن الصفحة التي تليها طولاً وهو مجموع خطوط ذات الوان وما عدا هاتين الصفحتين الى آخر الديوان فهو مطرز الهوامش بثلاثة خطوط ذهبية اللون وخط واحد عند انتهاء الهامش والفواصل بين قصائد الديوان مزينة بخط عرضي على نحو (سانتمتر) بالألوان الثلاثة الأصفر والأحمر والأزرق وفي وسط كل خط موضوع القصيدة وهو مكتوب تارة بالمداد الأحمر والأخرى بالأبيض وطوراً بالأسود · وفي الصفحة الأولى مكتوب بالمداد الأبيض ماهذا صورته باللغة الفارسية « نسخة زلوجه ازنام خدا » ·

أما ناظم الديوان فهو ملا مكتبي الشيرازي المعاصر للخواجه نصير الدين الطوسي وكاتبه هو محمد علي الاصفهاني في اصفهان سنة ١٢٣٢ .

وقد راجعت فهرست المكتبة فلم أجد به ذكراً لهذا الديوان وانما يذكر بهذا الاسم ديواناً لناظمه الشيخ نظام الدين الكنجوي ولم يرد له ذكر في كشف الظنون مع ذكره طائفة من الشعراء نظموا دواوين باللغات الثلاث .

وكأن هذا الديوان أهدي للمكتبة الرضوية بعد تنسيق فهرستها وطبعه .

(٦) مجموعة خطوط

تشتمل على اثنتين وثلاثين قطعة من الورق السميك (المقوى) مخطوطة باثنين وثلاثين خطاً ورسماً من أنواع خطوط الشكستة والنسخ والتصوير منهـا ستة بخط الميرزا احمد التبريزي واثنان وعشرون بخط الدرويش وغيره من المعروفين بجودة الخط واربع قطع منها تصوير المصور اسماعيل النقاش بتاريخ ١٢٧٧ وهذه القطع موصولة ومطوية بشكل الكتاب ملونة الهوامش بالوان مختلفة ومنها ما هو مكتوب من يمين الصفحة الى يسارها بسطور مستقيمة ومنها مكتوب على زوايا المقوى المنحرفة ومنها مكتوب على هذه الصورة متعاكساً من اليمين واليسار ومنها مكتوب بزوايا منحرفة الى آخر المقوى مع حفظ تربيع شكل الصفحة وكلها مجدولة الهوامش وكثير منهـا مزخرف بماء الذهب وكذلك فراغ ما بين السطور ومنها قطع مصبوغة بالأسود والمكتوب فيها باللون الأخضر أو الأبيض وأكثر الهوامش يختلف لون الواحد منها عن الآخر .

وبالجملة فان هذه المجموعة لمن النفائس ومما امتازت به اليد الفارسية الرشيقة التي أنزلت عليها الحكمة . وأما الصور الأربع المشتملة عليها هذه القطع الفنية فهي من أبرع ما رسمته يد المصورين .

(٧) اسطرلاب

هو دائرة مسطحة من الصفر له غطاء من الصفر متقاطع بخطوط تبين منه

بعض دوائر الاسطرلاب وخطوطه وتحت الغطاء خمسة الواح من الصفر وفي كل لوح منها خطوط الميول وهذه الألواح رقيقة توضع ضمن الدائرة التي تجمع اسماء البلدان غير الايرانية في طرازها والبلدان الايرانية في دائرة صغيرة ضمن هذه الدائرة وفي الوسط دائرة تعرف فيها عروض تلك البلدان وأطوالها في الكرة الأرضية وهي كصحيفة يبرز منها ما تضم تلك الألواح وفي الدائرة الوسطية شكل مثلث وفيه قبضة الدائرة مكتوب في وسطه (وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما)

وللاسطرلاب برغي بصورة جواد يضم أشتات الألواح بضغط عارضة نحاسية فوقه من ثقب أعلاه وأسفله ٠

أما صانع هذا الاسطرلاب فمكتوب اسمه في ضمن دائرة صغيرة بما هذا لفظه (صنعه أقل الطلاب عبد العلي)

وأما عبد العلي هذا فهو بيرجندي من مشاهير رياضيي ايران في عصره توفي سنة ٩٣٤ هـ ١٥٢٧ م ٠

وله مؤلف بموضوع هذا الاسطرلاب موجود في هذه المكتبة خطه نسخ تعليق عدد أوراقه (١٨) طول (٢٠ س) وخمسة اعشاره وعرضه (١٠ س) وستة اعشاره الفه باسم حبيب الله خان ٠ اوله (الحمد لله الذي زين سماء الدنيا بزينة الكواكب) وفي آخره (بعد مقعر هرفلك وبدرجات) ٠

(٨) أخبار البلدان ٠ عدد أوراقه ٢١٢ سطور كل صفحة (١٩) وطوله ٢٠ س وثلاثة اعشاره وعرضه ١٠ س وثمانية أعشار السانتيم ٠

اما مؤلفه فهو احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني [1] المعروف بابن الفقيه المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ٩٤٥ م ٠

---

(١) ترجم له صاحب معجم الأدباء وقال : ذكره محمد بن اسحاق في كتابه الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة قال : وله كتاب البلدان نحو الف ورقة . أخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني وكتاب ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين .

والكتاب مكتوب بقلم نسخي متوسط ثخين الورق وهو يشتمل على اسماء البلدان وخططها وما ورد فيها من مدح وذم اوله «الحمد لله رب العالمين وآخره تم الكتاب بحمد الله تعالى الى هنا تأليف احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني المعروف بابن الفقيه» أما تاريخ كتابته فمفقود لفقدان أوراق في آخره ويظهر عليه أثر القدم وقد نقلت منه عشرين صفحة ·

وواقفه الشيخ اسد الله بن محمد مؤمن الخاتوني العاملي سنة ١٠٦٧ وهو من جملة كتبه الـ (٤٠٠) الموقوفة على هذه المكتبة ·

(٩) مجموعة أشعار

عدد أوراقها (٢٦٧) طول (٣٠ س) وثلاثة اعشاره وعرض (٢٠ س) واربعة اعشاره · مرتبة على الحروف الهجائية والمفقود منها أكثرها والموجود من حرف اللام من (لو) (لو لم اهم الي وجهكم) الى (كيلا ولا عدداً لو عاش اعمارا) كما فقد قسم من حرف الياء من آخرها · وفي كل صفحة عشرة سطور وخطها من نوع النسخ وجامعها ناسخها وتاريخ نسخها كل اولئك مجهول ·

وهي مكتوبة بشكل السفينة ويسمى بالفارسي بياضان وورقها من نوع (الابادي) والشعر المختار من شعر مشاهير شعراء الاسلام وهو لا يتجاوز البيت والبيتين في موضوع الحكم والأمثال ويظهر ان مؤلفها شاعر مجيد ومن شعره :

مال يخلفه للضد صاحبه خير له من سؤال الناس والطلب

أما أبيات الشعر فمكتوبة في الوسط وفي الهوامش اسماء الشعراء وموارد مضرب الأمثال ·

والظاهر ان هذا المجموع كما يظهر من خزانه الأدب ج ١ ص ٣٩٦ هو كتاب الآداب لمؤلفه القاضي ابي القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد ابي الفضل جعفر السعدي المصري المعروف بابن سناء الملك الشاعر المعروف المتوفى سنة ٦٠٨ هـ ١٢١١ م ·

قال في الخزانة : ولا أعلم قائل هذين البيتين (وهما :

عليك باوساط الأمور فإنها طريق الى نهج الصواب قويم
ولا تك فيها مفرطاً او مفرّطاً كلا طرفي قصد الأمور ذميم)

ولا رأيتهما الا في كتاب العباب في شرح أبيات الآداب وكتاب الآداب تأليف ابن سناء الملك ابن شمس الخلافة [1] وهو من كتب الأدب . وقد اشتمل على أبيات ومصاريع كثيرة لغالب الشعراء المتقدمين والمتأخرين تنيف على الفي بيت وقد نسب كل بيت ومصراع فيه الى قائله مع تتمة الشعر حسن بن صالح العدوي اليمني وسمى تأليفه العباب في شرح أبيات الآداب .

(١٠) كنز الفوائد

عدد أوراقه (٢٥٢) سطور الصفحة (١٩) طوله (٢٠) س وعرضه (١٠) س وثلاثة اعشار السانتيم وواقفه الشيخ أسد الله بن محمد مؤمن بن خاتون العاملي العيناثي

ومؤلفه ابو الفتح محمد بن عثمان الكراجكي المتوفى ٤٤٩ ﻫ ١٠٥٧ م وهو من فقهاء الامامية ومتكلميهم معاصر للشريف المرتضى طوف في البلاد وخاصة البلاد الشامية فزار طرابلس في عصر قضاتها بني عمار وصيداء وصور ومن فلسطين (الرملة) ومصر ومنها تنيس وله مؤلفات ورسائل باسماء بعض الامراء وغيرهم في الكلام والفقه والتفسير وجواب مسائل . أما كَراجُك البلد المنسوب اليه فيقول في مراصد الاطلاع بالفتح والجيم المضمومة قرية على باب واسط .

وهذا الكتاب من كتب الأمالي يشتمل على فوائد في الكلام والتفسير والفقه والحديث والأدب واللغة والأخبار والمناظرات والأجوبة على مسائل في مختلف العلوم وهو جزآن بمجلد واحد وخطه نسخي وورقه اصفر من نوع الأبادي .

قال كاتبه في خاتمة الجزء الأول : ووافق الفراغ من تعليقه يوم السبت سابع عشر من شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وستمائة علقه وما بعده العبد

(١) وقال العلامة السيوطي في الجزء الثاني من حسن المحاضرة : السعيد ابو القاسم هبة الله ابن الرشيد جعفر بن سناء الملك المصري الشاعر المشهور وانك لترى شيئاً من الاختلاف في القاب أبيه .

الفقير الى الله تعالى جعفر بن محمد بن سويد عفا الله عنه وعن والديه وعن المؤمنين آمين رب العالمين ٠

والجزء الثاني كالأول خطاً وورقاً وحجماً وناسخه ناسخ الأول ٠

(١١) الدرة النضيدة شرح الأبحاث المفيدة عدد أوراقها (٤٩) وسطور كل صفحة (٣٠) وطولها (٢٠ س) بعرض (١٠ س) وعشر خطها نسخي والواقف الشيخ اسد الله الخاتوني العاملي العيناثي سنة ١٠٦٧

رسالة في أصول الدين ٠ الأصل للعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٧ هـ ١٣٢٦ م والشرح كما هو على ظاهر الصفحة الأولى « تصنيف الشيخ الامام الفاضل الكامل بقية السلف عين أعيان الزمان عز الملة والدين حسن بن ناصر الدين الحداد العاملي » وعلى الحاشية على ظهر هذه الصفحة صورة ما كتبه المصنف على النسخة

ابتدأت في تصنيفه ثامن عشري شعبان وفرغت في رابع عشري رمضان فكان مجموع المدة ستة وعشرين يوماً وذلك في الحلة ٠

أوله بعد البسملة « الحمد لله القادر القاهر العزيز الجبار المتكبر المتجبر الحليم الغفار » ينتهي الكتاب ببحث المعاد وقد فقد منه ٠

وفي فهرست المكتبة في الجزء الأول ينسبه للشيخ ناصر بن ابراهيم الاحسائي العاملي ويؤرخ كتابة الكتاب ووفاة مصنفه في سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م)

أما نسبته للاحساء فلبلده والجبل عامل فلإقامته فيه لطلب العلم يوم كانت الرحلة اليه من مختلف الأمصار ومدارس جبع ومشغرة والنبطية وميس وعيناثا عامرة مكتظة بطلاب العلوم وكبار المدرسين ٠

(١٢) الاشتقاق عدد اوراقه (١١) وعدد سطور كل صفحة (١٧) وطوله (٢٠ س) بعرض (١٠ س) وصثة اجزائه وخطه من نوع النسخ وورقه أصفر ولم يؤرخ زمن كتابته والواقف نادرشاه المقتول سنة ١١٦٠ هـ ١٧٤٧ م والمدفون

في (مشهد) ضمن بناية فخمة امامها بناية متخذة مركزاً للشرطة (النظمية) ووراءها الى الشمال بناية فيها مكتبة عامة تسمى بالنادرية ٠

أما موضوع الكتاب فهو اعلام منقولة للآدميين وغير الآدميين من الفاظ استعملت لغير العلمية ومؤلفه ورواته تتبين اسماؤهم من بدايته وهي :

قرأت على ابي خليفة [١] قال قرأت على ابي محمد التوزي [٢] وابي عثمان المازني [٣] وابي الفضل الرياشي [٤] قالوا : قال الأصمعي [٥] الهيصم (الخ) وينتهي بكلمة الأنادر البيادر ٠

وورد ذكر لهذا الكتاب في فهرست ابن النديم وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ولم يذكره ملا كاتب چلبي في كشف الظنون ٠

وقد استنسخته وهو لا يخلو من بعض الأغلاط ومن طموس بعض كلماته وبعد عودتي من ايران ومراجعة أمهات الكتب اللغوية علقت عليه تعليقات ربما تزيد عليه ولعلي أنشرها في مجلة المجمع مع الأصل ان ساعدني القدر ٠

(١٣) مختصر المعرب

عدد أوراقه (٢٦) وسطور كل صفحة (١٧) وطوله (٢٠ س) بعرض (١٠) وثلاثة اعشاره واقفه ملا مومى ٠

أما المعرب او المعربات فهو تأليف ابي منصور موهوب بن احمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ١٠٧٣ م وقد طبع بتحقيق العلامة احمد محمد شاكر طبعة جيدة سنة (١٣٦١ هـ) وقدم له مقدمة جيدة مفيدة البحاثة الأستاذ عبد الوهاب عزام ولم نجد ذكراً لهذا المختصر لا في مقدمة عزام ولا في مقدمة شاكر للكتاب

---

(١) المتوفى بالبصرة سنة ٣٠٥ هـ ٩١٧ م

(٢) المتوفى ٢٣٨ هـ ٨٥٢ م

(٣) المتوفى سنة ١٩ و ١٨ و ٣٠ ومائتين

(٤) قتله الزنج بالبصرة وهو قائم يصلي الضحى في مسجده سنة ٢٥٧ هـ ٨٧٠ م

(٥) المتوفى سنة ١٦ و ١٤ او ١٧ ومائتين بالبصرة

ولا في كشف الظنون وعلى ظهر هذه النسخة مكتوب (اختصار الامام الأوحد ابي علي الحسن بن علي بن ابي بكر الغوري) ·

وفي آخرها (نقلته من نسخة مكتوب آخرها علق ذلك أفقر عباد الله وأحوجهم الى رحمة الله عمر بن عبد العزيز بن عبد الله القرشي الفارقي عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين) ·

وأولها بهذا الخط (كتـاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ونطق به القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول (ﷺ) تأليف الامام العالم ابي منصور ابن احمد بن محمد بن الخضر عرف بابن الجواليقي رحمه الله تعالى) وكذا بعد البسملة والحمدلة « قال الامام ابن منصور الخ · » هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي · وهذه النسخة المنقولة منها مقروءة على حافظ الاسلام جمال الدين المزني في سبعة مجالس ويصلح فيها أشياء ومواضع وصورة التبليغ في هوامشها · بلغ قراءة وبحثاً على شيخنا ابي الحجاج المزني · وفي آخرها قرأت جميع هذا الكتاب على شيخ الاسلام الحافظ الحجة جمال الدين بن الحجاج المزني قراءة تدبر وتفهم ولله الحمد في مجالس آخرها سادس عشر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة بدار الحديث الأشرفية بدمشق المحروسة ·

وكتب محمد بن عبد القاهر بن عبد اللطيف بن عمر بن امين الدين الحنفي الحلبي غفر الله لهم وللمسلمين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ·

انتهى ما رأيته مكتوباً في آخر الأصل من النسخة وبخطه على الحاشية بازاء هذا الكتاب الظاهر انه مختصر من كتاب الجواليقي لا له فان الأصل الذي نقل منه هذا الكتاب هو بخط الحسن بن علي فان كثيراً ما يذكر فيه قال شيخنا ابن مالك وهذا الحسن وقع الى حلب سنة ١٠٠٨

هذا ما رأيته مكتوباً على النسخة نقلته بحرفه ونصه كما استنسختها وأولها الحمد لله رب العالمين على ما هدانا وآخرها ياهيا شراهيا

(١٤) ورأيت في مجموعة من مجاميع هذه المكتبة صورة كتابين من الامام الشيخ زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي المتوفى قتلاً سنة ٩٦٦ هـ ١٥٥٩ م لبعض علماء (مشهد) توصية بالعالم الشاعر الشيخ محمد الحياني العاملي نسبة الى قرية (بني حيان) من قرى جنوب جبل عامل قرب (بنت جبيل) .

ولولا هذان الكتابان لم نبين عصر هذا الشاعر الذي لم يترجم له صاحب (أمل الآمل) الذي ألفه صاحبه في (مشهد خراسان) .

وهناك طائفة من الكتب الخطية النادرة ومنها غير قليل لفريق من العلماء العامليين وغيرهم لم يتسع لنا الوقت لوصفها ولعل فيما وصفناه مما اطلعنا عليه في أنات متقطعة التدليل الكافي على ما تحويه هذه المكتبة من الكنوز العلمية وعلى حرص اخواننا الايرانيين على آثار الأجداد الخالدة جزاهم الله خيراً .

النبطية ـ جبل عاملة ـ لبنان　　　　**سليمان ظاهر**



الأونسكو
برنامجه وآماله

بقلم السيد جوليان هوكسلي (المدير العام للاونسكو)

يتميز عصرنا الحاضر بامتداد أفق التربية والتعليم ، ووصول طوائف اجتماعية جديدة اليها . وهذه ظاهرة تاريخية ذات أهمية بالغة ، ولن تعدم أن يكون لها نتائج عميقة الأثر في حقل التعاون العقلي بين الشعوب . ولقد شعر رجال الأونسكو بهذه الظاهرة أتم الشعور . وهم عازمون على الاستفادة منها أكبر استفادة ممكنة ، اذ أن هذه المنظمة تطمح الى توسيع هذا التعاون ، وتطلب مساهمة كل العناصر الاجتماعية فيه ، من غير ان نقلل من أهمية التعاون بين أفراد النخبة المفكرة . ولهذا نراها تهتم أكبر الاهتمام بوسائل نشر الفكر الحديث كلها : من صحافة الى مذياع ، الى خيالة .

ولنقل الآن كلمتين حول دورة الأونسكو العامة التي انعقدت في مكسيكو من اليوم السادس من تشرين الثاني الى اليوم الثالث من كانون الأول الماضي . واجتمع فيها زهاء خمسمائة عضو من المربين والصحافيين والفلاسفة والعلماء والشعراء والسياسيين .

كان هذا الاجتماع أول اجتماع للأونسكو في أمريكا اللاتينية . ولقد وجدنا في العالم الجديد ، ذات الروح التعاونية ، التي كنا نحملها اليه . وكان استقبالنا حافلاً ، لا من أعضاء الحكومة فحسب ، بل من الشعب كله الذي كان يرى في الأونسكو أملاً في السلام . ورمزاً للتقدم الاجتماعي والثقافي .

ولقد أتاح اجتماع مكسيكو فرصة لالتقاء رجال من نزعات عقلية وروحية مختلفة أكبر الاختلاف ، جاءوا اليه من القارات الخمس ، واجتمعوا في سبيل

الدفاع عن الثروة الفكرية الانسانية ، والعمل لاغنائها . وكانت الفرصة مناسبة لتوحيد الجهود في خدمة التعاون الدولي ، عن طريق عمل محسوس .

وليس من باب المصادفة أن تكون الثقافة محور الالتقاء ، ونقطة التفاهم في هذا العالم المغمور بالاضطراب وفقدان الثقة . ولكنّ على الاونسكو أن يغتنم هذه الفرصة ، وأن يستثمرها أحسن استثمار . ونحن عقدنا العزم على اغتنام الفرصة ، والسير بها الى النهاية . يبرهن على ذلك برنامج عملنا لعام ١٩٤٨ . ففي تشعب مراميه ، والمساهمات التي يقتضيها من جانب الأمم المختلفة ، ما يوضح عزمنا على خدمة مثلنا الأعلى الجريء ، بطريقة واضحة ، مطابقة لمقتضيات مدنيتنا الحاضرة .

ولقد أسفر اجتماع مكسيكو عن تحديد ميزانية المنظمة لعام ١٩٤٨ ، وتعيين برنامج العمل ، وقبول ثلاث دول جديدة كأعضاء ، عدا سويسرا . وهذه الدول واقعة في قلب أوروبا ، وهي ايطاليا والنمسا والمجر .

وهنالك شيء هام ، أحب أن أشير اليه ، وهو الدور الذي طلبت المنظمة من أعضائها القيام به في تنفيذ برنامجها . وذلك عن طريق لجانها الوطنية ، أو بتعبير آخر ، عن طريق شعوبها بالذات . والاونسكو متأكد من قيمة هذا الدور وأهميته . اذ لا سبيل الى تحقيق أغراض المنظمة إلا عن طريق اقناع الرأي العام ، هذا الرأي الذي لا يمكن التأثير فيه الا بجهد دائم . وعلى ذلك فان مساهمة أعضاء المنظمة (أي الدول الداخلة فيها) هي الشيء الذي يعتمد عليه الاونسكو في تحقيق برنامجه لهذا العام .

ولا أستطيع أن أشرح تفاصيل هذا البرنامج الذي يضم طائفة كبيرة من قضايا التربية والتعليم والثقافة ، في مثل هذا المجال الضيق . ولهذا أقتصر على ذكر بعض الأهداف الرئيسية ، لعلني أستطيع أن أوضح منهاج العمل ، من خلال خطوطه الكبرى .

١ — المساهمة في تثبيت دعائم السلم

وذلك بتنمية التفاهم العالمي ، والتعاون بين المربين والعلماء وممثلي الثقافة .

ويرى الأونسكو أن إعادة الحياة التربوية والعلمية والثقافية الى مجراها الطبيعي ، مهمة من أكبر مهامه . ولكن ذلك لا يعني ان منظمتنا مؤسسة إحسان ومساعدة ، أو نوع من (الاونرا) لأمور التربية . إذ لن تكفي في هذا العمل ملايين الدولارات . وعلى هذان فإن عملنا يقتصر على إحصاء الحاجات ، والدعوة الى التبرع لها ، ومدّها بما يكفيها ، من كل الطرق الحكومية والخاصة الممكنة ، وتوحيد الجهود في هذا السبيل .

ولقد آتى عملنا بعض ثماره : فقمنا بدراسة الأوضاع التربوية في بلاد اثنتي عشرة دولة ، وعرفنا حاجاتها من حسن الناحية ، ووجهت نداءات الى شعوب الولايات المتحدة برعاية الاونسكو ، لمساعدتها فاذا نحن أمام مبلغ يتجاوز المئة مليون دولار ، اذا حسبنا قيمة الأشياء التي قدمت مع الأموال . وذلك كله في عام ١٩٤٦ وهنالك جهود تبتذل وتنتظم في كندا وبريطانيا العظمى واستراليا ، في هذا السبيل . أما الأونسكو فإنه ينسق هذا التعاون العالمي ، ويراه يتسع ويتعاظم استجابة لنداءاته . واننا لننظر بعين الثقة والاطمئنان الى مساهمة سويسرا في هذا الموضوع . هذه الدولة التي عملت كثيراً في هذا المضمار .

ولقد استطعنا أن نعرف ، من ناحية أخرى ، حاجات البلاد التي أصابتها الحرب ، من وجهة الوسائل الفنية ، كالصحافة ، والمذياع ، والسينما . ولقد تقدمت لجنة خبراء ، كان ممثل سويسرا فيها السيد (رونه دوفاس René Dovas) مدير اذاعة جنيف ، باقتراح إنشاء قرض عالمي غايته مدّ البلاد التي قاست من الحرب أسوأ التخريب ، بحاجاتها من هذه الناحية .

وعندما ننتهي من هذا المشروع ، نأمل أن نحصل على مخصصات مالية ، دولية ،

تتيح للبلاد الفقيرة بالقطع النادر، أن تشتري من الخارج الأدوات الفنية والعلمية التي تحتاج اليها، مقابل بعض التسهيلات في الشئون الثقافية، كإنشاء منح دراسية، أو منح للسياحة.

وهكذا نأمل أن نرى المبادلات الثقافية العالمية، بمنجى من ظروف الضغط الاقتصادي والنقدي، التي ما زالت تشلها، منذ نهاية الحرب.

والهدف الثاني للأونسكو، هو أن يساعد، بكل الوسائل الممكنة، على إعادة وتقوية الحياة الفكرية الى سابق عهدها، بين الأمم، وذلك بتسهيل انتقال الأفكار والرجال عبر الحدود.

ويريد الأونسكو بمساعدة الدول المنضمة اليه، ان ينشئ مشروعاً واسعاً للمبادلات، بحيث لا يستفيد منه الطلاب والأساتذة فحسب، بل العمال ورجال الصناعة، وممثلو الفنون والآداب أيضاً. ولا شك أن التفاهم الدولي انما يستند، آخر الأمر، الى علاقات صداقية محسوسة تنشأ بين الأفراد. وفي تقارب الناس مدعاة الى تقارب الأفكار. وليس بالامكان أن نقدر أهمية توسع هذه المبادلات بعد هذه الحرب التي قطعت كثيراً من الاتصالات الثمينة بين ممثلي مختلف البلدان، ومختلف الثقافات.

ويجب بعد ذلك أن تحذف — بمعونة السلطات الوطنية والعالمية المختصة — كل العقبات التي تحول دون انتقال الأفكار والأخبار من بلد الى أخرى. وهذه العقبات قد نشأت عن التقنين الاقتصادي، والحواجز المكسية، والتجنيد والرقابة، او عن غير ذلك من الأسباب التي تساهم في عزل الشعوب بعضها عن بعض.

وهنا يبدو الدور الذي يمكن أن تقوم به الصحافة، والإذاعة، والسينما، في التعليق على ما تحققه كل دولة من الدول من أعمال، في قضايا التربية والعلم والثقافة، ووصفه وصفاً حسناً، وذلك عندما توضع هذه الوسائل في خدمة التعاون العالمي.

وسوف يتقدم الأونسكو بمساعدته لكل الدول التي لم تستطع بعد أن تنمي هذه الوسائل الحديثة في نشر الأفكار . ولن يهمل أي وسيلة يمكن استخدامها في الإخبار عن تطور الحياة الثقافية لكل أمة من الأمم . وسوف تنظم مبادلات لمناهج الاذاعة على مقياس واسع ، كما سيشجع انتاج الأشرطة التربوية التي توضح ما يتحقق من تقدم في أمور التربية ، ويؤمن تبادلها بين أجزاء العالم . أما في عالم الصحافة فان الأونسكو سيشجع المختصين على كتابة مقالات قيمة غايتها بيان ما قدمت كل أمة من الأمم للثقافة والفن . ولا يفوتني أن اذكر أن الاونسكو قد خلق مؤسسة دولية للصحافة ، وأن أذكر المساعدة التي يقدمها لمنظمة الأمم المتحدة في سبيل الدعوة الى اجتماع دولي ، يخصص للبحث في حرية نقل الأخبار .

والهدف الثالث للأونسكو هو تعزيز التعاون الدولي في أمور التربية

وبعني ذلك أن الأونسكو سيشجع الدول المنضمة اليه ، والتي لم تبلغ شعوبها الدرجة الثقافية المناسبة ، على بذل الجهود الكافية لتحقيق هذه الغاية . وسوف يقدم لها كل مساعدة ممكنة في سبيل انشاء نظام تعليمي ديمقراطي ، يكون حجر الزاوية فيه الحصول على التعليم الابتدائي الاجباري والمجاني معاً .

وسوف يقوم الاونسكو ، في البلاد التي تطرح فيها المشكلة التربوية بشكل جاد ، بعمل تجريبي في مضمار التربية الأولية الأساسية . ولا تقتصر هذه التربية على مكافحة الأمية فحسب ، بل إنها تشتمل على منهاج تربوي عام ذي وجهة اجتماعية من ناحية ، واقتصادية من ناحية أخرى (كالعناية بالتربية الصحية ، والتربية المهنية ، والزراعية . الخ) . والهدف من هذا المنهاج رفع مستوى المعيشة في الشعوب البدائية ، من كل الوجوه . وسوف تحقق هذه المشاريع التجريبية خلال العام ١٩٤٨ ، بالتعاون مع الدول ذات العلاقة في هائيتي ، وافريقيا البريطانية الشرقية ، والصين ، وأمريكا اللاتينية . وبفضل هذه التجارب ،

يستطيع الأونسكو أن يساهم في إنشاء طرائق تربوية مناسبة لحاجات الشعوب المختلفة، وملائمة لعقلياتها. وبذلك يستطيع باعتباره مركزاً للاطلاع والتنظيم ان يلعب دوراً هاماً في الحركة التربوية الكبيرة التي تنمو وتتسع في أرجاء هذا العالم.

وسيكمل هذا البرنامج، ببرنامج آخر، غايته دعم الوسائل التربوية التي تؤدي الى التفاهم الدولي، وبمجموعة مشاريع تهدف الى تعزيز التعاون الدولي في ميدان تعليم الكهول، والتوجيه المسلكي، والتعليم الجامعي. وسوف نبذل ما يجب من الجهود لخلق مؤسسة عالمية تضم كل الجامعات، بحيث نستطيع بالتعاون معها أن نحل المشاكل المختلفة، كمشكلة تعادل الشهادات وغيرها. وسوف نقوم ببحث خاص غايته معرفة الدور الذي تلعبه الجامعة في الحياة الحديثة.

ولقد كانت العلوم الدقيقة والعلوم الطبيعية، منذ البدء، موضع اهتمام كبير في أوساط الاونسكو. ولقد تحقق لنا من ذلك شيء ايجابي، أصبح الاونسكو بفضله مركزاً عالمياً للاتصال العلمي.

وهكذا نرى الأونسكو يمنح لجنة الاتحادات العلمية الدولية، كل معونة مادية ومعنوية. ولقد أتاحت هذه المعونة لهذه الاتحادات العلمية الدولية أن تنشط من جديد، وان تتابع عقد مؤتمراتها، وطبع مذكراتها، والعناية بأبحاثها.

ولقد أنشئت في الصين، والشرق الأدنى، وأمريكا اللاتينية، مراكز للتعاون العلمي، غايتها أن تقرب بين علماء هذه البلاد وبين مراكز الفعاليات العلمية الكبيرة، وأن تتيح لها الحصول على معلومات دقيقة في كل ما يتحقق من تقدم العلوم في البلاد الأخرى.

وسوف يُنشأ في البرازيل، بمعونة الاونسكو وطلبه، مؤسسة دولية للبحث في منطقة الأحراج الأمازونية، وتتمتع هذه المؤسسة باهتمام كبير في أمريكا اللاتينية. وسوف تكون أول مثل للتعاون العلمي، الذي ينشأ بدعوة الأونسكو وبالتعاون مع مؤسسات مختصة أخرى.

وليس المجال متسعاً للتبسط في ذكر تفاصيل منهاج عملنا ، فيما يتعلق بالفنون والآداب ، والفلسفة والعلوم الاجتماعية .

وأحب أن أذكر ، مع ذلك ، أن الاونسكو ، بعد أن وُفِق إلى إنشاء مؤسسة عالمية للمسرح ، قد دُعي الى خلق مؤسسة دولية أخرى للموسيقى . والبحث الآن جار في تفاصيل مشروع غايته ترجمة الكتب النفيسة ، من أية لغة كانت ، الى اللغات الحية الكبرى . وهذا مشروع طلبت الأمم المتحدة البحث فيه . ثم إن هناك بحثاً يهيأ في سبيل معرفة الدور الذي يمكن أن تلعبه الفنون في التربية العامة . وسوف تطبع قريباً نتائج بحث يتعلق بمعرفة وايضاح الأسس الفلسفية لحقوق الانسان . ولقد تم هذا البحث بالتعاون مع لجنة حقوق الانسان التابعة لمنظمة الأمم المتحدة .

* * *

إن هذه اللمحة السريعة ، قد أشارت إلى أهم المسائل التي يعني بها الأونسكو ويحاول تحقيقها ، كما انها أشارت إلى ما في منهاج العمل من تنوع وغنى ؛ إلا أن هذا التنوع لا ينفي وحدة الغاية ، إذ الغاية أولاً وأخيراً ضمان السلم وحمايته من الأخطار بتعزيز التعاون في حقول التربية والعلم والثقافة .

وليس من شأننا أن نتعلق بأهداب الوهم : فالأونسكو لا يستطيع أن يفعل العجائب ، أو يحدث المعجزات . إذ ان عمله عمل طويل المدى ، وهو يقتضي تعاوناً قوياً بين كل هؤلاء الذين لا يسلمون بحتمية الحرب . ويعتقدون أن في وسع الإنسان أن يتغلب على قوى البغضاء والانقسام التي تهدد العالم .

جوليان هوكسلي
المدير العام للأونسكو

المترجم : حافظ الجمالي

الورق أو الكاغد
صناعته في العصور الاسلامية

محتويات البحث :

تمهيد — مواد الكتابة قبل صنع الورق — أوراق البردي (القراطيس) — الجلود والرقوق — الورق (الكاغد) — الورق السمرقندي — انواع الورق — صناعة الورق في العراق — صناعة الورق في بلاد الشام — صناعة الورق في الديار المصرية — صناعة الورق في ديار الغرب والأندلس — صناعة الورق في بلاد فارس — مقادير قطع الورق — المؤلفات القديمة في صناعة الورق — آداب صناعة الورق — ختام البحث .

١ — تمهيد

لا مراء في انّ « الورق » من أهمّ المواد التي ساعدت البشر على السير بخطىً واسعة في مضمار العلم والحضارة . فكانت العلوم والآداب ، قبل أن يتوصّل الناس الى صنع الورق ، ضيقة النطاق ، محدودة المناحي ، محصورة في طبقة معيّنة من الناس . ذلك انّ المواد المتخذة للكتابة في تلك العصور الخوالي ، لم تكن مما يسهل استعماله وحمله ولا مما يتيسر اختزانه بالوجه الذي نراه في الورق .

٢ — مواد الكتابة قبل صُنع الورق

وقد اتخذت الأمم القديمة مواد مختلفة لتدوّن فيها ما عندها من علوم وفنون وغير ذلك مما تقتضيه الحياة اليومية .

ومن أقدم المواد التي اتخذها الأقدمون للكتابة « الطين » . فكانوا يصنعونه قوالب ، ويكتبون عليه في حال طراوته ، ثم يجففونه بالشمس أو يطبخونه بالنار .

وقد عثر المنقبون في العراق وفي غيره من بلدان الشرق الأدنى، على عشرات آلاف ألواح الطين، المكتوبة بالخطوط المسمارية، تلك الخطوط التي كُتبت بها جملة لغات قديمة بائدة، كالسومرية والأكدية والآشورية وغيرها .

ومن تلك المواد : «الحجر» . وهو مادة أقوى من الطين على البقاء، غير انها أثقل وزناً . وكلتا هاتين المادتين، أعني الطين والحجر، لا يمكن الاكثار منها، لصعوبة حملها ولضخامة حجمها .

وهنالك من المواد الأخرى، شيء كثير يتعذّر حصره . فقد وصف أبو الريحان البيروني (المتوفى سنة ٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م) ما كان يتخذه أهل الهند القدماء لكتابتهم، قال : «فالهند، أما في بلادهم الجنوبية، فلهم شجر باسق كالنخل والنارجيل، ذو ثمر يؤكل وأوراقٍ في طول ذراع وعرض ثلاث أصابع مضمومة يسمونها تاري، ويكتبون عليها، ويَضُمّ كتابَهم منها خيطٌ ينظمها من ثقبةٍ في أوساطها فينفذ في جميعها . وأما في واسطة المملكة وشمالها، فانهم يأخذون من لحاء شجرة التوز الذي يُستعمل نوعٌ منه في أغشية القسيّ ويسمونه بهوج، في طول ذراع وعرض أصابع ممدودة فما دونه، ويعملون به عملاً كالتدهين والصقل يصلبُ به ويتملس ثم يكتبون عليها، وهي متفرقة يُعرف نظامها بأرقام العدد المتوالي، ويكون جملة الكتاب ملفوفة في قطعة ثوب ومشدودة بين لوحين بقدرها، واسم هذه الكتب پوتي، ورسائلهم وجميع أسبابهم تنفذ في التوز أيضاً »[1] .

وذكر المسعودي (المتوفى سنة ٣٤٥ هـ — ٩٥٦ م) ضرباً آخر مما كان يُكتب فيه في الهند، وهو «الكاذي» . ولم يتحقق عندنا ما إذا كان الكاذي هو «التاري» الذي وصفه البيروني أعلاه . قال المسعودي : «وكان كتابه [كتاب

(١) تاريخ الهند (= تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) للبيروني (ص ٨١، طبعة سخو، ليبسك ١٩٢٥) .

ملك الهند الى ملك الفرس كسرى أنو شروان] في لحاء الشجر المعروف بالكاذي ، مكتوب بالذهب الأحمر . وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين ، وهو نوع من النبات عجيب ، ذو لون حسن وريح طيبة ، لحاؤه أرق من الورق الصيني ، يتكاتب فيه ملوك الصين والهند » [١] .

وقد اختلفت الأمم الغابرة في المواد التي اتخذتها للكتابة عليها ، وهي مواد ، مهما قيل في بقائها على مر السنين ، فانها من وجهة عملية لا يمكن اتخاذها على الدوام ، لقلتها وثقلها وكبر حجمها على ما بيناه سابقاً . فلا غرو أن يكون عمرها – مهما طال – قصيراً محدوداً . قال ابن النديم (المائة الرابعة للهجرة) : « . . . ثم كتبت الأمم بعد ذلك برهةً من الزمان في النحاس والحجارة للخلود . . .[٢] وكتبوا في الخشب وورق الشجر . . . وكتبوا في التوز الذي يعلى به القسي أيضاً للخلود . . . ثم دُبغت الجلود فكتبت الناس فيها . وكتب أهل مصر في القرطاس المصري ، ويُعمل من قصب البردي . . . والروم تكتب في الحرير الأبيض [٣] والرّق وغيره وفي الطومار [٤] المصري وفي الفلجان وهو جلود الحمير الوحشية . وكانت الفرس تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم . والعرب تكتب في أكتاف الإبل واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض وفي العسب عسب النخل والصين في الورق الصيني ويُعمل من الحشيش وهو أكثر ارتفاع البلد . والهند في النحاس والحجار وفي الحرير الأبيض » [٥] .

(١) مروج الذهب للمسعودي (٢ : ٢٠٢) طبعة باريس .

(٢) نضع نقطاً (. . .) في مواضع الحذف .

(٣) جاء في تاج العروس (٧ : ٩٥) ، ان « المُهْرَق : ثوب حرير ابيض يُسقى الصمغ ويُصقل ويُكتب فيه . وفي شرح معلّقة الحرث بن حلزّة : كانوا يكتبون فيها قبل القراطيس بالعراق » .

(٤) الطومار : الصحيفة أو الورقة . وهي لفظة دخيلة يونانية الأصل .

(٥) الفهرست لابن النديم (ص ٢١ طبعة فلوجل ليبسك = ص ٣١ – ٣٢ طبعة مصر) .

وقد أورد القلقشندي (المتوفى سنة ٨٢١ هـ — ١٤١٨ م) كلاماً شبيهاً بما أثبتناه أعلاه ، اكتفينا بالتنويه به [١] .

لقد خطا البشر خطوة واسعة في تحسين مواد الكتابة ، حين أخذوا يكتبون على أوراق البردي (Papyrus) ولنقلْ كلمة في هذا الموضوع ، نظراً الى انّ أوراق البردي كانت فتحاً جديداً في مواد الكتابه .

٣ — اوراق البردي ـ القراطيس

عُني غير واحدٍ من الباحثين المستشرقين بدراسة أوراق البردي وكيفية صنعها . قال ألفرد بتلر : « كان في مصر السفلى ، عدد عظيم من غياضٍ فسيحة تنبت البردي ، ذلك النبات الطويل الحسن . وكان الورق يُتّخذ من لبابه ، يشقّ شرائح تُجعل منها صحائف بالضغط ، ثم تُصقل بآلة من العاج . وكانت الصحائف بعد ذلك يُوصَّل بعضها ببعض ، فتكون لفائف يسهل استعمالها . وكانت مقادير عظيمة من البردي تصدر من مصر من مرمى الاسكندرية المزدحمة . ولسنا ندري متى ضعف أمر هذه التجارة ولا الأسباب التي أدّت الى القضاء على هذا النبات في مصر » [٢] .

فكانت مصر ، البلد الذي يمدّ سائر الأقطار بأوراق البردي ، منها تُنقل الى بلاد الروم [٣] والى غيرها من الجهات .

وأوراق البردي كانت تُعرف في كثير من المراجع القديمة باسم « القراطيس » ، فذكر السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ — ١٥٠٥ م) ، انّ من خصائص مصر : « القراطيس ، وهي الطوامير . وهي أحسن ما كُتب فيه . وهو من حشيش أرض مصر ، ويُعمل طوله : ثلاثون ذراعاً وأكثر في عرض شبر » [٤] .

---

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٥ — ٤٧٦) ، وضوء الصبح المسفر (١ : ٤١٢) .
(٢) فتح العرب لمصر (ص ٩٥ من الترجمة العربية لمحمد فريد أبو حديد) .
(٣) فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٠ طبعة دي غويه ، ليدن ١٨٦٦) .
(٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (٢ : ١٧٣ ، القاهرة ١٣٢٧ هـ) .

والى قراطيس مصر ، أشار بعض الشعراء :

حملت اليك عروس الثناء على هودج ماله من بعير
على هودج من قراطيس مصر يلينُ على الطيّ لين الحرير [1]

وأشار ابن حوقل الى وجود البردي في جزيرة صقلية ، وابن حوقل من أشهر البلدانيين العرب في المائة الرابعة للهجرة ، قال : « وفي خلال أراضيها بقاعٌ قد غلب عليها البربيرُ ، وهو البردي المعمول منه الطوامير ، ولا أعلم لِما بمصر من هذا البربير نظيراً على وجه الأرض ، إلا ما بصقلية منه ، وأكثره يُفتل حبالاً لمراسي المراكب ، وأقلّه يُعمل للسلطان منه طوامير القراطيس ، ولن يزيد على قلة كفايته » [2] .

ونوّه البيروني بورق البردي في قوله : « إن القرطاس معمول بمصر من لبّ البردي يُبرى في لحمه ، وعليه صدرتْ كتب الخلفاء الى قريبٍ من زماننا ، إذ ليس ينقاد للحكِ شيء منه وتغييره بل يفسد به » [3] .

و « القراطيس » ، واحدها « القرطاس » ، وقد ورد كلاهما في القرآن الكريم [4] . وعدّه بعض اللغويين من الألفاظ الدخيلة . قال الجواليقي : « والقرطاس (بضم القاف وكسرها) ، قد تكلموا به قديماً [5] . ويقال ان أصله غير عربيّ » [6] .

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (ص ٤٢١ ، القاهرة ١٩٠٨) .
(٢) صورة الأرض لابن حوقل (١ : ١٢٢ – ١٢٣ طبعة كريمزر ، ليدن ١٩٣٨) .
(٣) تاريخ الهند للبيروني (ص ٨١) .
(٤) سورة الأنعام (الآية ٦ و ٩٠) .
(٥) نقل الصولي كثيراً من الأقوال القديمة الواردة في القرطاس . (انظر : أدب الكتّاب ، ص ١٠٥ – ١٠٦ ، القاهرة ١٣٤١ هـ) .
(٦) المعرّب للجواليقي (ص ٢٧٦ بتحقيق أحمد محمد شاكر) ، وانظر : شفاء الغليل للخفاجي (ص ١٨٠ ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٨٢ هـ) .

قلنا : واللفظة من اليونانية (Chartes) ومعناه ما يكتب فيه ، ويقابله في العربية ورقة وصحيفة [١] .

اتخذ المسلمون أوراق البردي للكتابة عليها في أوائل عصور تاريخهم . ولقد عثر في المائة سنة الأخيرة ، على جملة صالحة من أوراق البردي العربية ، كشف عليها في مصر . وقد أماطت اللثام بنصوصها الثمينة عن كثير مما يتعلق بالادارة الاسلامية للقطر المصري [٢] .

وممن عني من المستشرقين بدراسة أوراق البردي العربية ، كراباسك (J. Karabacek) وبكر (C. H. Becker) وغيرهما . ولعل أعظم المتوغلين في هذا الموضوع في عصرنا ، هو العلامة جروهمان (A. Grohmann) الذي درس ونشر جملة من أوراق البردي العربية المحفوظة في ڤينّة والقاهرة [٣] وغيرهما .

* * *

ظل استعمال القراطيس قائماً في العراق مدة طويلة بعد الفتح الاسلامي . فذكر ابن عبدوس الجهشياري (المتوفى سنة ٣٣١ هـ — ٩٤٢ م) ، انّ الخليفة أبا جعفر المنصور ، باني مدينة بغداد « وقف على كثرة القراطيس في خزائنه ، فدعا بصالح ، صاحب المصلى ، فقال له : إني أمرتُ باخراج حاصل القراطيس في خزائننا ، فوجدته شيئاً كثيراً جداً ، فتولَّ بيعه ، وإن لم تُعطَ بكل طومار إلا دانقاً [٤] ، فان تحصيل ثمنه أصلح منه . قال صالح : وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم ، فانصرفتُ من حضرته على هذا . فلما كان في الغد ،

(١) انظر : Dozy, Supplément aux Dictionnaires Arabes. (Vol. 2, p. 331) وتفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية للقس طوبيا العنيسي (ص ٥٥ ، بالقاهرة ١٩٣٢) .

(٢) محاضرات عن الأوراق البردية العربية لجروهمان وتعريب توفيق اسكاروس (مطبعة دار الكتب ، ١٩٣٠) .

(٣) Grohmann, Arabic Papyri in the Egyptian Library. (3 vols., Cairo, 1934 - 38) والمجلد الأول منه ، نقله مؤلفه الى العربية ، باشتراك الدكتور حسن ابراهيم حسن (القاهرة ١٩٣٤) .

(٤) الدانق ، سدس الدرهم .

دعاني ، فدخلتُ عليه ، فقال لي : فكرتُ في كتبنا ، وانها قد جرت في القراطيس ، وليس يُؤمَن حادث بمصر ، فتنقطع القراطيس عنا بسببه ، فنحتاج الى أن نكتب فيما لم نعوّده عمالنا . فدع القراطيس استظهاراً على حالها . ولهذه العلة كانت الفرس تكتب في الجلود والرقّ ، وتقول : لا نكتب في شيء ليس من بلادنا » [1] .

وقد كان في الجانب الغربي من بغداد ، أعني في الكرخ ، درب يُعرف بدرب القراطيس ، أو درب أصحاب القراطيس ، ذكره غير واحدٍ من الكتبة الأقدمين ، كالجاحظ [2] والطبري [3] والخطيب البغدادي [4] وعمرو بن متى [5] وماري بن سليمان [6] وغيرهم . ولم يشيروا إلى هل كانت القراطيس تُصنع في هذا الدرب ، أم كانت تُباع فيه ؟

وذكر ابو سعد السمعاني (المتوفى سنة ٥٦٢ هـ - ١١٦٦م) في مادة «القراطيسي»، ان « هذه النسبة الى عمل القراطيس وبيعها » [7] . ثم ذكر غير واحدٍ ممن عُرف بهذه النسبة ، وأغلبهم من بغداد أو ممن قدم اليها . فلعل نسبتهم جاءت من سكناهم درب القراطيس ، أو من صنعهم أو بيعهم القراطيس ذاتها .

وأورد الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م) ، تراجم سبعة رجال عُرف كل منهم بـ « القراطيسي » . وأمرهم أمر مَن ذكرهم السمعاني في استبهام نسبتهم ، إذ انّ الخطيب لم يُفصح عن ذلك في تراجمهم المقتضبة [8] .

(١) الوزراء والكتّاب للجهشياري (ص ١٣٨ طبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٨) .
(٢) المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ (ص ٣٣٦ و٣٣٧ طبعة فان فلوتن ، ليدن ١٨٩٨).
(٣) تاريخ الطبري (٣ : ٩٩٩ طبعة دي غويه) .
(٤) تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي (٩ : ٨٦) .
(٥) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متى (ص ١١٩ طبعة جسمندي . رومية ١٨٩٦) .
(٦) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان (ص ٨٥ طبعة جسمندي . رومية ١٨٩٩) .
(٧) الأنساب للسمعاني (وجه الورقة ٤٤٥ طبعة مرجليوث ، ليدن ١٩١٢) .
(٨) تاريخ بغداد للخطيب (٢:٩١ ، ٤:٤٣٠ ، ١١:٢٣٣ ، ١٢:٣ و١٥١، ١٣:٤٥).

وقد انتقلت صناعة القراطيس الى مدينة سامراء في أيام المعتصم . فذكر اليعقوبي (المتوفى في أواخر المائة الثالثة للهجرة)، ان المعتصم، حين ابتنى مدينة سامراء، أقدم جماعاتٍ من أرباب المِهَن والصنائع، لتعمر بهم مدينته، ومن جملتهم انه «حمل قوماً من أرض مصر يعملون القراطيس، فعملوها، فلم يأتِ في تلك الجودة»[١] .

٤ — الجلود والرقوق[٢]

ولم تقصر مواد الكتابة على ما ذكرنا، بل اتخذ الناس من جلود الحيوان مادةً حسنة للكتابة، تعيش دهراً طويلاً قبل ان ينالها البلى .

وبعض الجلود الخفيفة، اذا خُدمت بالدباغة والصقل، كان منها الرقوق النفيسة التي يُعدّ بعضها آية في الصناعة، لجماله وخفته ولينه .

لقد كانت الرقوق مستعملةً قبل الاسلام، ثم اتخذت في صدر الاسلام، بيد ان ثمنها العالي حدّد من استعمالها وحصره في نُسخ القرآن والوثائق الرسمية والعقود وغير ذلك . قال البيروني في معرض كلامه على مواد الكتابة عند الأقدمين: «وليس للهند عادة بالكتابة على الجلود كاليونانيين في القديم . فقد قال سقراط حين سُئل عن تركه تصنيف الكتب : لستُ بناقلٍ للعلم من قلوب البشر الحية الى جلود الضأن الميتة . وكذلك كانوا في أوائل الاسلام يكتبون على الأَدَم، كعهد الخيبريين من اليهود، وككتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى، وكما كُتبت مصاحف القرآن في جلود الظباء والتوراة تكتب فيها أيضاً»[٣] .

(١) تاريخ اليعقوبي (٢ : ٥٧٧ طبعة هوتسما ، ليدن ١٨٨٣) ، والبلدان لليعقوبي (ص ٢٦٤ طبعة دي غويه ، ليدن ١٨٩٢) .

(٢) من أنفس ما قرأناه في هذا الباب ، مقال للأستاذ المحقق الكبير حبيب زيات ، عنوانه « الجلود والرقوق والطروس في الاسلام » (مجلة « الكتاب » يولية ١٩٤٧ ، ص ١٣٥٨ — ١٣٦٦) وقد أغنانا هذا البحث عن الاطالة فيه ها هنا .

(٣) تاريخ الهند للبيروني (ص ٨١) .

وما زال في كثير من خزائن الكتب في بلدان الشرق والغرب ، أسفار مختلفة مكتوبة على الرقوق ، باليونانية واللاتينية والإرمية والعبرية والعربية وغيرها من اللغات .

٥ — الوَرَق — الكاغَد

« الكاغد » ، بفتح الغين ، لفظ فارسي[1] ، و « الكاغذ » بالذال المعجمة لغة فيه ، ولعل الكلمة من أصل صيني . وقد ورد ذكر « الورق » و « الكاغد » أو « الكاغذ » ، مراراً لا تُعدّ ولا تُحصى في المراجع العربية القديمة . بيد انّ كيفية صنعه ، والمواد التي يُصنع منها ، والأقيام التي كان يقوّم بها ، كلّ ذلك أمور قلّ ان تحفل بها مؤلفات الأقدمين . وغاية ما في الأمر ، إشارات وتلميحات خاطفة ، يمكن من جمع بعضها الى بعض أن يقوم موضوع دراسة للورق في العصور الاسلامية .

وحينما توصّل الناس الى صُنع الورق ، ورأوا منه مادةً خفيفة لينة ، سهلة الحمل والنقل ، لا تتطلب حيزاً كبيراً ، أكثروا منه إكثاراً عظيماً ، جعل من الكتب أضعافاً مضاعفة .

٦ — الوَرَق السمرقنديّ

والمشهور في التاريخ ، ان أهل الصين كانوا أول مَن عرف صناعة الورق . وكان « الورق الصيني » يستورده التجار العرب الذين كانوا على اتصال تجاري قديم ببلاد الشرق الأقصى .

ولكن بدء صنع الورق في العالم الاسلامي ، كان من نتائج بعض الحروب . وأول مدينة اسلامية صُنع فيها الورق ، كانت سمرقند ، التي فتحها العرب سنة ٨٧ للهجرة (٧٠٤ م) . وسمرقند من أشهر مدن ما وراء النهر وأجلّها شأناً .

قال الثعالبي (وفاته سنة ٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م) في كلامه على ما يُضاف الى

(١) الألفاظ الفارسية المعربة لأدّى شير (ص ١٣٦ ، بيروت ١٩٠٨)

البلدان والأماكن من فنونٍ شتى ، انّ « كواغد سمرقند : هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها ، لأنها أنعم وأحسن وأرفق ، ولا تكون إلا بسمرقند والصين . وذكر صاحب المسالك والممالك ، انه وقع من الصين الى سمرقند في سبيٍ سباه زياد بن صالح ، في وقعة أطلح ، مَن يصنع الكواغيد ، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة ، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند ، فعمّ خيرها والارتفاق بها جميع البلدان في الآفاق[1] .

فهذه الواقعة ، التي جرت بين العرب بقيادة زياد بن صالح ، وبين أمراء الترك وحلفائهم الصينيين كانت على ضفاف نهر طراز سنة ١٣٤ هـ (٧٥١ م) ، وقد أشارت اليها المراجع العربية ومثلها الصينية . فهؤلاء الأسرى الصينيون الذين جيء بهم الى سمرقند لا بدّ ان يكونوا قد أُسروا في تلك الحادثة .

ونقل القزويني (المتوفى سنة ٦٨٢ هـ — ١٢٨٣ م) ما يشبه كلام الثعالبي الذي أوردناه آنفاً ، بقوله : « وبسمرقند من الأشياء الظريفة تُنقل الى سائر البلاد . منها الكاغد السمرقندي الذي لا يوجد مثله إلاّ بالصين . وحكى صاحب الممالك والمسالك ، انه دُفع من الصين الى سمرقند سبيٌ ، وكان فيهم مَن يعرف صنعة الكاغد ، فاتخذها ، ثم كثرت حتى صارت متجراً لأهل سمرقند . فمنها تُحمل الى سائر البلاد »[2] .

ولم يتعين عندنا أي كتابٍ هذا الذي نقل عنه الثعالبي والقزويني ، ووسماه بالمسالك والممالك . فبين يدينا الآن ثلاثة أسفار عناوينها من هذا القبيل :

الأول : كتاب مسالك الممالك للاصطخري .

الثاني : كتاب المسالك والممالك لابن حوقل (وطُبع ثانيةً بعنوان « صورة الأرض ») .

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص ٤٣١ — ٤٣٢) ، وانظر : لطائف المعارف للثعالبي (ص ١٢٦ طبعة دي يونغ ، ليدن ١٨٦٧) ، وتاريخ الهند للبيروني (ص ٨١) .

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص ٣٦٠ طبعة وستفلد ، غوتنجن ١٨٤٨) .

الثالث : كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه .

وهذه الكتب الثلاثة قد طُبعت ضمن مجموعة « الخزانة الجغرافية العربية » في ليدن .

ولم نجد في أيّ واحدٍ منها شيئاً من هذا الكلام المنقول . فهلاّ يكون الثعالبي والقزويني قد نقلا من كتابٍ آخر غير ما ذكرنا، لا سيما ان في المراجع القديمة [1] الباحثة في أحوال الكتب وصفاتها ، ذِكراً لمؤلفاتٍ عديدة عُرفت بالمسالك والممالك .

وقد أشار النويري الى الورق السمرقندي ، وعدّه من خصائص هذه المدينة . قال في كلامه على سمرقند : « ومن خصائصها : الكواغد التي عطلت قراطيس مصر والجلودَ التي كان الأوائل يكتبون عليها ، لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأرق . ولا تكون إلا بها وبالصين » [2] .

وممن تطرّق لذكر ورق سمرقند ، ابن الوردي (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٨م) . ففي الفصل الذي خصّه بأعاجيب البلدان ، لم يفته أن ينوّه بأعاجيب سمرقند قائلاً :«ومن خصائصها : الكواغد التي أزرت بكواغد الأرض في الطول والعرض، والجلود والرقاق التي لا توجد في الدنيا . وكان الأوائل يكتبون كتب العلوم والحكمة والتواريخ لحسنها ولينها وإقامتها » [3] .

ولقد ضُربت الأمثال بكاغد سمرقند ، نظراً الى جودته ونفاسته . ومما قرأناه في هذا الشأن ، ما ورد في رسالة لأبي بكر الخوارزمي بعث بها الى أبي الحسين علي بن داية ، وقد تأخرت عنه رسائلة : « ... أم لأنّ سمرقند بعدتْ عليه ، والكاغذ عزّ لديه ؟ فأنا أجهّز اليه قوافل تحمل من الكاغذ أوقاراً ، ويتصل مني اليه قطاراً قطاراً » [4] .

(١) الفهرست لابن النديم (في مواطن عديدة متفرّقة) ، وكشف الظنون للحاج خليفة (٢ : ١٦٦٤ – ١٦٦٥ طبعة وزارة المعارف التركية) .
(٢) نهاية الأرب للنويري (١ : ٣٥٤ طبعة دار الكتب المصرية) .
(٣) خريدة العجائب لابن الوردي (ص ٢٣١ طبعة محمد شاهين ، القاهرة ١٢٨٠ هـ) .
(٤) رسائل أبي بكر الخوارزمي (ص ٢٥ طبعة الجوائب ، الاستانة ١٢٩٧ هـ) .

وقد قطع أبو سعد السمعاني بكون الكاغذ لا يُعمل في المشرق إلا في هذه المدينة قال في مادة «الكاغذي» ، «هذه النسبة الى عمل الكاغد الذي يُكتب عليه وبيعه . ولا يُعمل في المشرق إلا بسمرقند»[1] .

ونقل ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م) ، في ترجمة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات المعروف بابن حنزابة ، المتوفى سنة ٣٩١ هـ (١٠٠٠ م) ، انه كان يستورد الورق من سمرقند لاتخاذه فيما يستنسخه له الورّاقون لخزانته ، قال : «قال محمد بن طاهر المقدمي : سمعتُ أبا اسحاق الحبال يقول : كان يُستعمل للوزير أبي الفضل ، الكاغد بسمرقند ويُحمل اليه الى مصر في كل سنة . وكان في خزانته عدّة من الورّاقين ، فاستعفى بعضهم ، فأمر بأن يحاسَب ويُصرف ، فكمل عليه مائة دينار ، فعاد الى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء . قال : وسمعتُ أبا اسحق ابراهيم بن سعيد الحبال يقول : خرج ابو نصر السجزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ ، لم يبقَ منهم غيري . وكان قد خرج له عشرين جزءاً في وقت الطلب ، وكتبها في كاغد عتيق . فسألتُ الحبال عن الكاغد ، فقال : هذا من الكاغد الذي كان يُحمل للوزير من سمرقند ، وقعت اليّ من كتبه قطعة ، فكنتُ اذا رأيتُ فيها ورقة بيضاء قطعتها ، الى أن اجتمع هذا . فكتبتُ فيه هذه الفوائد»[2]

ونقل السيوطي قول بعضهم «قراطيس سمرقند لأهل المشرق ، كقراطيس مصر لأهل المغرب»[3] . والمراد هنا بقراطيس سمرقند كاغدها .

ولما كانت سمرقند من أعمال ما وراء النهر ، سرَت شهرتها في صنع الورق الى تلك الديار . فقد أطرى بعض الكتّاب البلدانيين ما وراء النهر لاشتهارها

(١) الأنساب للسمعاني (وجه الورقة ٤٧٢) .
(٢) معجم الأدباء (٢ : ٤١٢) طبعة مرجليوث) .
(٣) حسن المحاضرة (٢ : ١٧٣) .

بالكاغد . من ذلك ما أورده ابن حوقل في أهلها « . . . ولهم الكاغد الذي لا نظير له في الجودة والكثرة »(١) .

ومثل ذلك ما ذكره الاصطخري (وهو ، كابن حوقل ، من أهل المائة الرابعة للهجرة) بقوله : « وليس في شيء من بلدان الاسلام النوشاذر والكاغد ، إلا فيما وراء النهر »(٢) .

٧ – أنواع الورق

اتخذ العرب القطن ومواد نباتية أخرى في صنع الورق . وليس من شك في ان اختلاف المواد الأولية للورق ، أدّى الى ظهور جملة أنواع من الورق ، تختلف في ثخانتها ومتانتها وصقلها ولونها ولينها . قالوا : « وأحسن الورق ، ما كان ناصع البياض غرفاً صقيلاً ، متناسب الأطراف ، صبوراً على مرور الزمان »(٣) .

وقد ذكر ابن النديم ، ستة أنواع من الورق كانت معروفة في زمانه . قال بعد أن وصف أصناف المواد التي اتخذتها الأمم القديمة للكتابة عليها : « فأما الورق الخراساني ، فيعمل من الكتان ، ويقال انه حدث في أيام بني أمية ، وقيل في الدولة العباسية ، وقيل انه قديم ، وقيل انه حديث ، وقيل انّ صنّاعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني . فأما أنواعه : السليماني ، الطلحي ، النوحي ، الفرعوني ، الجعفري ، الطاهري »(٤) .

هذا ما كان شائع الاستعمال من ضروب الورق في البلدان الاسلامية ، في أواخر المائة الرابعة للهجرة .

فالورق السليماني ، منسوب الى سليمان بن راشد ، الذي كان والياً على خراسان في أيام هرون الرشيد(٥) .

(١) صورة الأرض لابن حوقل (٢ : ٤٦٥) .
(٢) مسالك الممالك للاصطخري (ص ٢٨٨ ، طبعة دي غويه ، ليدن ١٩٢٧) .
(٣) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦) .
(٤) الفهرست لابن النديم (ص ٢١ طبعة ليبسك = ص ٣٢ مصر) .
(٥) تاريخ الطبري (٣ : ٧٤٠) .

والورق الطلحي ، ينسب الى طلحة بن طاهر ، ثاني أمراء الدولة الطاهرية في خراسان . وقد حكم من سنة ٢٠٧ الى ٢١٣ هـ (٨٢٢ — ٨٢٨ م) .

والورق النُوحي ، كأنه منسوب الى « نوح » الساماني ، أحد أمراء الدولة السامانية التي حكمت تركستان وفارس . وقد قام في هذه الدولة اثنان بهذا الاسم :

أولهما : نوح الأول الساماني ، وقد حكم من سنة ٣٣١ الى ٣٤٣ هـ (٩٤٣ — ٩٥٤ م) .

ثانيهما : نوح الثاني الساماني ، حكم من سنة ٣٦٦ الى ٣٨٧ هـ (٩٧٦ — ٩٩٧ م) .

ولم يتحقق عندنا الى أيهما نُسب هذا الصنف من الورق .

أما الورق الفرعوني ، فضربٌ آخر نافس ورق البردي حتى في عقر داره . وأقدم النصوص العربية التي عُثر عليها مدوّنةً في هذا الورق ، يرتقي تاريخها الى سنة ١٨٠ — ٢٠٠ هـ (٧٩٦ — ٨١٥ م)[1] .

ولكن استعمال هذا الورق ، لبث مئات سنين بعد هذا التاريخ . فقد ورد في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ - ١٠٣٦ م) قول تلميذٍ له : « ... وأمرني الشيخ باحضار البياض[2] وقطع أجزاء منه ، فشددتُ خمسة أجزاء ، كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني »[3] .

والورق الجعفري ، نُسب الى جعفر البرمكي الذي قُتل سنة ١٨٧ هـ (٨٠٢ م) حين نكبة البرامكة .

والورق الطاهري ، وهو يُنسب الى طاهر الثاني ، من أمراء الدولة الطاهرية في خراسان ، وكان حكمه من سنة ٢٣٠ الى ٢٤٨ هـ (٨٤٤ — ٨٦٢ م) .

وأشار ياقوت الحموي الى « الارق الجَيْهاني »[4] و « الورق المأموني »[5] .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية (مادة : كاغد) .
(٢) يريد به الورق .
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٢ : ٨)
(٤) معجم البلدان (٢ : ٩٥ طبعة ليبسيك) .
(٥) معجم الأدباء (٦ : ٢٨٥) .

فأولها يُنسب الى مدينة جَيهان إحدى مدن خراسان ، وثانيها الى الخليفة المأمون العباسي (خلافته من سنة ١٩٨ الى ٢١٨ هـ) (٨١٣ — ٨٣٣ م) .

وذكر السمعاني ضرباً آخر من الورق ، سماه « الكاغذ المنصوري » . قال : ومن عُرف بالكاغذي : « ابو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحيم الكاغذي ، من أهل سمرقند . واليه يُنسب الكاغذ المنصوري المشهور ببلاد خراسان . توفي سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣١ م) بسمرقند »[1] .

وكان لهذا الورق المنصوري شهرة بعيدة في كثير من الأقطار الاسلامية ، حتى انه صار يُصنع منه في جملة أماكن ، كالعراق ومصر ، وذلك من باب التقليد والاقتباس .

غير اننا وقفنا على ذكرٍ لورقٍ منصوري آخر ، يسبق عهده عهد الورق المنصوري الذي ألمعنا إليه . ولم يتعين عندنا الى أي منصور نُسب . فقد روى بعض المؤرخين ، ان الوزير ابا الحسن بن الفرات (المتوفى سنة ٣١٢ هـ — ٩٢٤ م) ، كان من رسمه في أيام وزارته « أن لا يخرج أحد من داره في وقت عشاء ، إلا ومعه شمعة ودرج منصوري »[2] .

والدرج المنصوري ، كان طبقةً من الورق تُلف لفاً ، وتستعمل لكتابة الرسائل وما إليها[3] .

ومن أنواع الورق الأُخرى التي لم يتحقق عندنا الى اي شيء يُنسب ، « الورق الصلحي » . وقد رأيناه مذكوراً في مخطوط في خزانتنا[4] .

ومن ضروب الورق الأُخرى ، التي لم يتعين عندنا اسمها ، ما ذكره ابو سعد السمعاني في كلامه على أبي الحسين بن ناصر الكاغدي المعروف بالدهقان ،

---

(١) الأنساب (وجه الورقة ٤٧٢) .

(٢) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابيء (ص ٦٣ طبعة امدروز ، بيروت ١٩٠٤).

(٣) معجم الأدباء (١ : ٣٤٢) .

(٤) كتاب فضل القلم والخط واعمال المداد (مخطوط في خزانتنا . وجه الورقة ٤٦)

ان « اليه ، يُنسب الكاغد الحسن الذي لم يلحقه من سبقه في جودة الصنعة ونقاء الآلة وبياضها »[١] .

وقد كان أبوعلي الكاغدي ، معاصراً للسمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ ﻫ (١١٦٦م) .

وعقد هلال بن المحسِّن الصابئ (المتوفى سنة ٤٤٨ ﻫ — ١٠٥٦ م) ، فصلاً في « الطروس التي يُكتب فيها الى الخلفاء وعنهم » ، قال فيه : « الذي جرت به العادة القديمة في الكتب السلطانية ، أن تكون في القراطيس المصرية العريضة . فلما انقطع حملها وتعذَّر وجودها ، عُدِل الى الكاغد الشيطاني العريض . هذا في كتب العهود والولايات والألقاب ، وما يُكتب به الى أصحاب الأطراف وما يكتبون به . فأما ما يجري من الخليفة مجرى التوقيع من وزيره المقيم بحضرته مجرى المطالعة ، فالمستحبّ فيه الكاغد النصفي »[٢] .

ولم تكن خزائن الكتب الواسعة ، تخلو في الزمن القديم من أنواع الورق الذي يُتخذ للنسخ ، بل كان في بعضها أصناف نفيسة منه ، كالذي حكاه ياقوت الحموي عن خزانة الكتب لبهاء الدولة البويهي بشيراز ، وذلك في ترجمة الخطاط الشهير المعروف بابن البوّاب ، المتوفى سنة ٤١٣ ﻫ (١٠٢٢ م) ، قال : « وحدّث في كتاب المفاوضة قال : حدثني أبو الحسن عليّ بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب قال : كنتُ أتصرّف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيها له وأمرها مردود إليّ . فرأيتُ يوماً في جملة أجزاء منبوذة جزءاً مجلداً بأسود ففتحته واذا هو جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن بخط ابي علي بن مقلة ، فأعجبني وأفردته ، فلم أزل أظفر بجزء بعد جزء مختلط في جملة الكتب الى ان اجتمع تسعة وعشرون جزءاً وبقي جزء واحد استغرقتُ تفتيش الخزانة في مدة طويلة فلم أظفر به ، فعلمتُ أنّ المصحف

(١) الأنساب (وجه الورقة ٤٧٢) .

(٢) رسوم دار الخلافة لهلال الصابيء (ص ١٧٨ من المخطوط . وقد حقق ميخائيل عوّاد — أخي — هذا الكتاب وأعدّه للنشر) .

ناقص . فأفردته ودخلتُ الى بهاء الدولة وقلتُ : يا مولانا ، ها هنا رجل يسأل حاجة قريبة لا كلفة فيها ، وهي مخاطبة ابي علي الموفق الوزير على معونته في منازعة بينه وبين خصم له ، ومعه هدية ظريفة تصلح لمولانا . قال : أيّ شيء هي ؟ قلت : هي مصحف بخط ابي علي بن مقلة . فقال : هاته وانا أتقدّم بما يريد . فأحضرتُ الأجزاء ، فأخذ منها واحداً وقال : أذكر وكان في الخزانة ما يُشبه هذا وقد ذهب عني . قلتُ : هذا مصحفك ، وقصصتُ عليه القصة في طلبتي له حتى جمعته ، وقلتُ : هكذا يُطرح مصحف بخط ابي علي إلا انه ينقص جزءاً فقال لي : فتممه لي . قلتُ : السمع والطاعة ، ولكن على شريطة انك اذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعةً ومائة دينار . قال : أفعل . واخذتُ المصحف من بين يديه وانصرفتُ الى داري ، ودخلتُ الخزانة أقلّب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف ، وكان فيها من انواع الكاغد السمرقندي والصيني العتيق كلّ ظريف عجيب . فأخذتُ من الكاغد ما وافقني وكتبت الجزء وذهّبته وعتّقتُ ذهبه وقلعتُ جلداً من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعتُ منه الجلد وعتقته . ونسي بهاء الدولة المصحف ، ومضى على ذلك نحو السنة . فلما كان ذات يوم ، جرى ذكر ابي علي بن مقلة ، فقال لي : ما كتبت ذلك ؟ قلتُ بلى . قال : فأعطنيه . فأحضرت المصحف كاملاً ، فلم يزل يقلبه جزءاً جزءاً ، وهو لا يقف على الجزء الذي بخطي ، ثم قال لي : أيما هو الجزء الذي بخطك ؟ قلت له لمَ لا تعرفه فيفتر في عينك ، هذا مصحف كامل بخط ابي علي بن مقلة ونكتم سرّنا . قال : افعل ، وتركه في ربعة عند رأسه ولم يُعده الى الخزانة . وأقمتُ بها مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يمطلني ويعدني . فلما كان يوماً قلتُ : يا مولانا ، في الخزانة بياض صيني وعتيق ومقطوع وصحيح ، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير . قال : مرّ خذه . فمضيتُ وأخذتُ جميع ما كان فيها من ذلك النوع ، فكتبتُ فيه سنين » [1] .

(١) معجم الأدباء (٥ : ٤٤٦ – ٤٤٨) .

٨ — صناعة الورق في العراق

عمت شهرة الورق السمرقندي الأقطار ، وظلت سمرقند تمدّ البلاد الأخرى بما تنتجه معاملها من صنوف الورق . ولكن الحال لم تدم طويلاً ، فالأخبار التاريخية التي وقفنا عليها ، تنبئ ان صناعة الورق لم تلبث ان خرجت من مكمنها وتسرّبت الى بعض البلدان الاسلامية ، وفي طليعتها مدينة « بغداد » .

وقد أشار ابن خلدون إشارةً نفيسة في هذا الموضوع بقوله في الفصل الذي وسمه بـ « صناعة الوراقة » : « كانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد لكثرة الرفه وقلة التآليف صدر الملة ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقتصروا على الكتاب في الرق تشريفاً للمكتوبات وميلاً بها الى الصحة والاتقان . ثم طما بحر التآليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرقّ عن ذلك . فأشار الفضل بن يحيي بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه ، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية ، وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت » [1] .

فالفضل بن يحيى البرمكي ، وهو من أعيان وزراء بني العباس ، كان أنشأ أول معمل لصنع الورق في بغداد . فاذا علمنا أنّ مولد الفضل كان سنة ١٤٧ هـ (٧٦٤ م) ، ووفاته سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨ م) أدركنا ان دخول صناعة الورق الى بغداد كان في نحو الربع الأخير من المائة الثانية للهجرة .

وهذه الصناعة الجديدة ، طرأ عليها تحسين كبير ، فلم تمضِ غير بضع سنين ، حتى كان اخوه جعفر بن يحيى البرمكي ، الذي أعقبه في دست الوزارة ، قد أحلّ الورق محلّ الرّق في دواوين الدولة .

وقد قال القلقشندي بصدد بدء صنع الورق في العراق انه « أجمع رأي

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٠٦ ، بولاق ١٢٧٤ هـ)

الصحابة ، رضي الله عنهم ، على كتابة القرآن في الرقّ لطول بقائه ، أو لأنه الموجود عندهم حينئذٍ . وبقي الناس على ذلك الى ان ولي الرشيد الخلافة [1] ، وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس ، أمر أن لا يكتب الناس إلاّ في الكاغد : لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير ، بخلاف الورق ، فانه متى مُحيَ منه فسد ، وان كُشط ظهر كشطه . وانتشرت الكتابة في الورق الى سائر الأقطار ، وتعاطاها من قرُب وبعد ، واستمرّ الناس على ذلك الى الآن » [2] .

وكانت صناعة الورق ببغداد في المائة الرابعة للهجرة ، زاهرة بما كان يُرى فيها من معامل تصنعه ، وحوانيت تبيعه .

ذكر الصولي انّ في ذي القعدة من سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ م) ، « وقع بالكرخ حريق عظيم ، من حدّ طاق التكك السمّاكين ، وعطف على أصحاب الكاغد وأصحاب النعال » [3] .

وأشار ياقوت الحموي الى صنع الورق ببغداد في زمنه (المائة السابعة للهجرة) . قال في كلامه على « دار القزّ » انها « محلة كبيرة ببغداد ، في طرف الصحراء ، بين البلد وبينها اليوم نحو فرسخ ، وكل ما حولها قد خرب ، ولم يبقَ إلا أربع محالّ متصلة : دار القزّ ، والعتابيين ، والنصرية ، وشهار سوك . والباقي تلول قائمة . وفيها يُعمل اليوم الكاغد » [4] .

وزاد ابن عبد الحق (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ - ١٣٣٨) ، انّ دار القزّ ، في الجانب الغربي من بغداد [5] .

ثم أشار ياقوت إشارة ثانية الى صنع الورق ببغداد في أيامه . قال في كلامه على « چهار سوج » انها « من محالّ بغداد ، في قبلة الحربية ، خرب ما حولها

(١) كانت خلافته من سنة ١٧٠ الى سنة ١٩٣ هـ (٧٨٦ - ٨٠٩ م) .

(٢) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٥ - ٤٧٦) .

(٣) أخبار الراضي بالله والمتقي لله من كتاب الأوراق للصولي (ص ٢٦٠ ، القاهرة ١٩٣٥) .

(٤) معجم البلدان (مادة : دار القزّ) .

(٥) مراصد الاطلاع (مادة : دار القزّ) .

من المحال، وبقيت هي والنصرية والعتابيون ودار القز متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد. يعمل في هذه المحال في أيامنا هذه الكاغد»[1].

وقد أطرى القلقشندي نفاسة الورق البغدادي، فقال: وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه[2] البغدادي: وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب اجزاء، وقطعه وافر جداً، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة. وربما استعمله كتّاب الانشاء في مكاتبات القانات ونحوها[3]».

وفي كلامنا على أنواع الورق، كنا نوهنا بالدرج المنصوري الذي كان يعطى لمن يخرج من دار الوزير ابي الحسن بن الفرات وقت عشاء. وقد ذكر ابن الطقطقي الخبر بوجه آخر نسوقه ها هنا لفائدته في معرفة وفرة الورق يوم ذاك في العراق، قال: «وتولى ابن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للمقتدر. قالوا: كان إذا ولي ابن الفرات، يغلو الشمع والثلج والكاغد لكثرة استعماله لذلك. لأنه ما كان يشرب احد، كائناً من كان، في داره في الفصول الثلاثة إلا الماء المثلوج، ولا كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب إلا وبين يديه شمعة كبيرة نقية، صغيراً كان أو كبيراً. وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الكاغد، كل من دخل واحتاج الى شيء من الكاغد اخذ حاجته منها»[4].

ولفظة «الكاغد» الواردة في هذا النص، جاءت بصورة «القراطيس» في نص آخر لهذا المعنى. قال هلال الصابئ: «وفي جانب الدار (دار ابن الفرات)، ادراج كثيرة لأصحاب الحوائج والمتظلمين، حتى لا يلتزم احد منهم مؤونة لما يبتاعه من ذلك، وأنصاف قراطيس وأثلاث»[5].

(١) معجم البلدان (ماده: جهار سوج). وهذه المادة ذكرها في نصٍّ سابق نقلناه اعلاه بصورة: شهار سوك.

(٢) توفي القلقشندي، في سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) وقد ذكرنا ذلك سابقاً.

(٣) صبح الأعشى (٢: ٤٧٦).

(٤) الفخري (ص ٣١٢ طبعة اهلورد، غوطا ١٨٦٠). وقد لمّح مسكويه (تجارب الأمم ١: ٢٠١ طبعة امدروز) الى غلاء هذه المواد الثلاث ببغداد أيام وزارة هذا الوزير.

(٥) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (ص ١٩٥).

ما ما كان يُنفق على الورق في الشهر ، في ايام المعتضد (١) فقد جاء في العمل الذي وجده هلال الصابئ ، في ذكر احمد بن محمد الطائي ، وما ضمنه من الأعمال وشرطه على نفسه من حمل مال الضمان مياومةً الى بيت المال ، وقد شرح فيه وجوه خرج المياومة . فمن ذلك أثمان الورق ، قال : «أرزاق أكابر الكتاب واصحاب الدواوين والخزّان والبوّابين والمديرين والأعوان وسائر من في الدواوين ، وثمن الصحف والقراطيس والكاغد ... اربعة آلاف دينار وسبع مائة في الشهر مائة وستة وخمسين ديناراً وثلثين» (٢) .

٩ — صناعة الورق في بلاد الشام

بعد ان اتسع نطاق صناعة الورق في العراق ، انتقلت منه الى بلاد الشام ، فأنشئت فيها معامل صنعت أنواعاً نفيسة من الورق . وكانت طرابلس الشام من عيون المدن التي فاقت ما سواها من البلدان في صنع الورق . وقد زارها الرحالة الشهير ناصر خسرو في سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٧ م) واطرى ورقها بقوله انّ اهل هذه المدينة «يصنعون بها الورق الجميل مثل ورق سمرقند ، بل احسن منه (٣)» .

ومثل هذا الاطراء لا يقع ما لم تكن تلك الصناعة قد تقدّمت في هذه المدينة تقدماً محسوساً ، استرعى انظار هذا السائح الفارسي .

ومن البلدان التي تميزت بصناعة الكاغد منذ المائة الرابعة للهجرة ، طبرية . وقد نوّه بذلك البشاري المقدسي (٤) .

اما «دمشق» وهي أم المدائن الشامية ، فقد اشتهرت بمعامل ورقها اشتهاراً بعيداً . وقد نوّه بورقها مؤرخو اليونان (٥) . أما المؤرخون العرب ، فقد مدحوا

(١) كانت خلافته من سنة ٢٧٩ الى ٢٨٩ هـ (٨٩٢ — ٩٠٢ م) .
(٢) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء (ص ٢٠ — ٢١) .
(٣) سفرنامه لناصر خسرو (ص ١٣ من الترجمة العربية ليحيى الخشّاب ، القاهرة ١٩٤٥) .
(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري المقدسي (ص ٨٠ طبعة دي غويه ، ليدن ١٩٠٦) .
(٥) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي بك (١ : ٢١٥) .

الورق الدمشقي وأطروا محاسنه . قال ابو البقاء البدري (وهو من أهل المائة التاسعة للهجرة) : وفيها تُعمل صناعة القرطاس بحسن صقاله ونقي أوصاله »[١] . والمراد بالقرطاس هاهنا الكاغد .

وكانت تجارة الورق الشامي رائجة رواجاً عظيماً ، فقد « كانت اوربة الشرقية تبتاع ورقها من بلاد الشرق الأدنى مباشرةً ، على ما يشهد لذلك اسم الورق الدمشقي (شارتا داماسينا) ... »[٢] .

وقد وصف العلامة محمد كرد علي بك ورق الشام بكلام يحسن بنا إيراد بعضه في هذا المقام ، قال : « وكان الورق يُصنع أشكالاً في مكابس صغيرة ، ويعمل من الخروق البالية أو الحرير ، واستبدل ورق القطن الذي منه الورق الدمشقي بالحرير في سنة ٧٠٦ م رجلٌ اسمه يوسف بن عمرو . ولا يزال في خزانة دار الكتب العربية بدمشق كتابٌ كتب سنة ٢٦٦ هـ على ورق يُظنّ انه من الورق الشامي وهو أقدم مخطوط عُرف بالشام ولا يزال على متانته »[٣] .

ثم تطرّق الى الكلام على صُنع الورق في مدينة « حلب » فقال : « وحدثني احد علماء حلب ، أن الورق كان يُصنع في الشهباء . وان حيّاً من أحيائها لا يزال اسمه الوراقة ، حيث كانت معامل الورق . والورق الحلبي الصقيل المتين مشهور الى عهدنا »[٤] .

وقد عُرف غير ما ذكرنا من بلدان الشام بصنعها للورق ، مدن اخرى كانت معامله قائمة فيها ، منها حماة ومنبج[٥] وغيرهما .

وأشار القلقشندي الى الورق الشامي ، فقال بعد كلامه على الورق البغدادي ،

(١) نزهة الأنام في محاسن الشام للبدري (ص ٣٦٣ ، القاهرة ١٣٤١ هـ) .
(٢) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي بك (١ : ٢١٥) .
(٣) خطط الشام (٤ : ٢٤٣) .
(٤) خطط الشام (٤ : ٢٤٤) .
(٥) خطط الشام (٤ : ٢٤٢) .

«ودونه في الرتبة الشامي . وهو على نوعين : نوع يُعرف بالحموي ، وهو دون قطع البغدادي . و (نوع) دونه في القدر ، وهو المعروف بالشامي ، وقطعه دون القطع الحموي» [١] .

وفي هذا النص إشارة الى ما كانت عليه حال الورق في الشام ، في أوائل المائة التاسعة للهجرة ؛ والى انّ مدينة «حماة» كانت أيضاً من جملة المدن التي اشتهرت بورقها .

١٠ — صناعة الورق في الديار المصريّة

ولم يبقَ صنع الورق مقصوراً على العراق والشام ، بل تعداهما الى ديار النيل ، فانتشرت فيها معامل الورق التي أجادت صنعه ووفّرت كمياته .

ذكر المقريزي في كلامه على خطة بني ربة بن عمرو ، بالفسطاط ، انّ «هذا الموضع اليوم [٢] وراقات ، يُعمل فيها الورق» [٣] .

وذكر في موطن آخر عن صنع الورق المنصوري بمصر ، بقوله : «والمطابخ التي يُصنع فيها الورق المنصوري ، مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة» [٤] .

وأشار الى «خط خان الوراقة» [٥] . وفي هذه التسمية دليل على كون بعض الصناع يعملون الورق في ذلك الخان .

ولم يفت القلقشندي أن يصف الورق المصري . قال بعد ان ذكر الورق العراقي والورق الشامي : «ودونها في الرتبة : الورق المصري ؛ وهو أيضاً على قطعين : القطع المنصوري ، وقطع العادة ، والمنصوري أكبر قطعاً . وقلما يُصقل

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦) .

(٢) توفي المقريزي سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) فكلامه يدلّ على ما كان في النصف الأول من المائة التاسعة للهجرة .

(٣) خطط المقريزي (= المواعظ والاعتبار) (٢ : ٧٧ مطبعة النيل ، القاهرة ١٣٢٥ هـ) .

(٤) خطط المقريزي (٢ : ١٨٩) .

(٥) خطط المقريزي (٣ : ٣٧) .

وجهاه جميعاً . أما العادة فان فيه ما يُصقل وجهاه ، ويسمى في عُرف الورّاقين المصلوح . وغيره عندهم على رتبتين : عالٍ ووسط . وفيه صنفٌ يُعرف بالفوّي صغير القطع ، خشن غليظ خفيف الغرف ، لا يُنتفع به في الكتابة ، يُتخذ للحلوى والعطر ونحو ذلك[1] » .

١١ — صناعة الورق في ديار الغرب والأندلس

انتقلت صناعة الورق من ديار الشرق ، من العراق والشام ومصر ، الى ديار الغرب . فصار يُصنع في جزيرة صقلية ومراكش والأندلس . ومن هذه البلدان انتقل الى ديار الافرنج الأخرى ، على ما هو معروف في تاريخ صناعة الورق عند الأوربيين .

لقد أنشأ العرب في جزيرة صقلية « مصانع لصنع الورق ، ومنها انتشرت صناعة الورق في ايطالية »[2] .

وكانت أشهر مدن الأندلس التي عُرفت بإجادة ابنائها صنع الورق « شاطبة » ، وهي مدينة كبيرة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة . وقد أطنب البلدانيون في مديح كاغدها . قال الشريف الادريسي : « وُيعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير »[3] . وقال ياقوت الحموي : « وُيعمل الكاغد الجيد فيها ، وُيحمل منها الى سائر بلاد الاندلس »[4] .

وقد نوّه المقّري (المتوفى سنة ١٠٤١ هـ — ١٦٣١ م) بالورق المنصوري في بلاد الأندلس[5] . وهذا الضرب من الورق ، مرّ بنا ذكره في كلامنا على « أنواع الورق » من بحثنا هذا .

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦ — ٤٧٧) .
(٢) الاسلام والحضارة العربية (١ : ٢٦٣) .
(٣) مختصر نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي (ص ١٦٨ ، طبع رومية ، سنة ١٥٩٢م) .
(٤) معجم البلدان (٣ : ٢٣٥ طبعة وستنفلد) ، وانظر : خريدة العجائب (ص ٢٨)
(٥) نفح الطيب للمقّري (١ : ٦٩٤ طبعة دوزي) .

أما ورق بلاد الغرب ، فقد ذمه القلقشندي . قال بعد وصفه ورق العراق والشام ومصر : « ودون ذلك ، ورق أهل الغرب والفرنجة . فهو رديء جداً ، سريع البلي ، قليل المكث . ولذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الأولى ، طلباً لطول البقاء »[1] .

١٢ — صناعة الورق في بلاد فارس

لم تلقَ صناعة الورق ، في هذه البلاد ، العناية اللائقة بها في صدر الاسلام . وكان منتظراً ان تنتقل صناعته من سمرقند الى هذه الديار ، قبل انتقالها الى بغداد . غير ان الأنباء التاريخية لا تروي شيئاً عن اهتمام الفرس بصنعه إلاّ في عصور متأخرة ، أعني بعد انتشاره في العراق والشام وغيرهما .

ومن أشهر بلاد فارس التي عُرفت بجودة ورقها ، بلدة « خُونَج » التي تسمى أيضاً « خونا » . يقول فيها ياقوت انها تسمى الآن (في أوائل المائة السابعة للهجرة) « كاغد كنان » أي صنّاع الكاغد[2] . وهذه البلدة على مسيرة يومين من زنجان .

١٣ — مقادير قَطْع الورق

كثيراً ما يعثر المطالع في التصانيف العربية القديمة ، على الفاظ تتصل بالورق من حيث حجمه . فان قطوع الورق عند الأقدمين ، تختلف باختلاف الغرض الذي يُتخذ له . وباختلاف البلدان التي تصنعه . قال القلقشندي في هذا الصدد ما هذا بعضه : « قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم والدواة[3] : ان الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان .

---

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٧) .

(٢) معجم البلدان (٢ : ٥٠٠ طبعة وستنفلد) .

(٣) هذا الكتاب ضائع . وفي النصّ الذي نقله عنه القلقشندي دليل على نفاسته وجلالة قدره . فكم فقدنا من هذه الأسفار المثمّنة ؟

وذاك انه يُكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار . والى الأمراء من نصف طومار . والى العمال والكتاب من ثلث . والى التجار وأشباههم من رُبعٍ . والى الحساب والمساح من سُدُس . فهذه مقادير لقطع الورق في القديم ، وهي : الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس . ثم المراد بالطومار الورقة الكاملة ، وهي المعبر عنها في زماننا بالفرخة . والظاهر انه أراد القطع البغدادي ، لأنه الذي يحتمل هذه المقادير ، بخلاف الشامي . لا سيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة . فلا يحسن أن يُقدّر بغير ورقها ، مع اشتماله على كمال المحاسن » [١] .

وقد أوضح القلقشندي عن مقادير الورق المستعمل في زمانه (المائة التاسعة للهجرة) ، فتكلم [٢] على ما كان مستعملاً منها بديوان الانشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية ، وهي تسعة مقادير :

١ قطع البغدادي الكامل : عرضُ دَرْجه عرضُ البغدادي بكماله : وهو ذراعٌ واحد بذراع القماش المصري ؛ وطول كلّ وصل من الدّرج المذكور ذراعٌ ونصفٌ بالذراع المذكور .

٢ — قطع البغدادي الناقص : عرض درجه دون عرض البغدادي الكامل بأربعة أصابع مطبوقة .

٣ - قطع الثلثين من الورق المصري : المراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري . وعرض دَرْجه ثلثا ذراع .

٤ - قطع النصف : المراد به قطع النصف من الطومار المنصوري ، وعرض درجه نصف ذراع .

٥ -- قطع الثلث : والمراد به ثلث قطع المنصوري . وعرض درجه ثلث ذراع .

٦ — القطع المعروف بالمنصوري : عَرضه تقدير ربع ذراع .

٧ — القطع الصغير : و يُقال فيه قطع العادة . وعرض درجه تقدير سدس ذراع .

---

(١) صبح الأعشى (٦ : ١٨٩) .

(٢) صبح الأعشى (٦ : ١٩٠ — ١٩٣) ، وضوء الصبح المسفر (١ : ٤١٣ - ٤١٥) .

٨ — قطع الشاميّ الكامل : عرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله ·

٩ — القطع الصغير : وهو في عرض ثلاثة أصابع مطبوقةً من الورق المعروف بورق الطير · وهو صنفٌ من الورق الشامي رقيق للغاية ، وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام ·

أما مقادير الورق المستعملة في ايام القلقشندي بدواوين الانشاء في بلاد الشام ، فلا تخرج عن اربعة مقادير ، وكلها من الورق الشامي :

١ — قطع الشاميّ الكامل : وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي الكامل في طوله ·

٢ — قطع نصف الحموي : عرض درجه عرض نصف الطومار الحموي وطوله بطول الطومار ·

٣ — قطع العادة من الشامي : وعرض درجه سدس ذراع في طول الطومار أو دونه ·

٤ — قطع ورق الطير المقدّم ذكره ·

١٤ — المؤلفات القديمة في صناعة الورق

قليلة هي المؤلفات العربية القديمة التي تصف كيفية صنع الورق ، وممَّ يصنع ؟ ولعلّ هذه القلة ناشئة عن فقدان كثير من الكتب ، وبينها ما يتناول هذا الموضوع · أو لعلّ مردّ تلك القلة الى عدم احتفال القوم بتدوين هذه الأمور ، كشأنهم في الإقلال من التأليف في أحوال كثيرٍ من الصناعات الأخرى ·

والى هذه القلة ، امكننا بطول البحث أن نقف على بعض مادُوّن في موضوع صنع الورق ·

ففي خزانتنا ، مخطوط حديث الخط ، في ٥٣ ورقة ، عنوانه « كتاب فضل القلم والخط وأعمال المداد » · ولا نعلم من أمر مؤلفه شيئاً · وقد كسره على عدة أبواب ، عنوان الحادي عشر منها ، وهو آخر ابواب الكتاب : « في عمل

الكاغد وصقله وترتيب الأقلام» . وكلامه على صنع الكاغد ملأ أربع صفحات من هذا الباب .

وفي دار الكتب المصرية ، رسالة مخطوطة عنوانها « صناعة الورق والليق والحبر »[1] ، تأليف محمود خليفة ابن سليمان بن عبد الرحمن بن مصطفى افندي ، وهي في أربع ورقات ، كُتبت سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٧ م) .

وفي الخزانة الآصفية بالهند ، مخطوطة برقم ٢٢١ ، وهي نسخة فريدة من كتاب « المخترَع في فنونٍ من الصُنَع »[2] ، كتبها محمد بن قوام بن صفي بن محمد ضياء ترك ناكوري ، المعروف بقاضي خان ، في سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) . أما المؤلف فغير معروف . ويقوم هذا الكتاب من خمسة عشر باباً ، خامسها « في عمل الكاغد البلدي على اختلاف اصنافه ووضع الأسرار في الكتب وما يحو الدفاتر والرقوق » .

١٥ – آداب صناعة الورق

ولقد أطلنا البحث والتنقير في ما انتهى الينا من كتب « الحِسْبة » أملاً في الوقوف على ما ينير السبيل في موضوع صُنع الورق وما يترتب على صناعه ، فلم نظفر بطائل . فالذين بحثوا في شؤون الحسبة لم يتطرقوا قط الى هذا الموضوع .

وقد يكون المصدرُ الوحيد الذي أفادنا كثيراً في هذا الباب ، كتاب « المدخل » لابن الحاج ، المتوفى في القاهرة سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) . فقد عقد فصلاً في نية الوراق وكيفيتها وتحسينها[3] » لا نرى بأساً من أن نقتطف منه ما يفيد بحثنا . قال وينبغي للورّاق صانع الورق : « أن يحذر من الغش فيما هو يحاوله . مثاله : أن يُعطي الدست الذي يساوي ثلاثة دراهم فيبيعه على

(١) فهرست دار الكتب المصرية (٥ : ١٥١ ، الرقم ٣٩ صناعات) .

(٢) وصف الاستاذ عبد القدوس الهاشمي هذا الكتاب وصفاً مفيداً في كتاب « المباحث العلمية من المقالات السَنية » (حيدر آباد ١٣٥٨ هـ ، ص ١٥٢ – ١٥٨) .

(٣) المدخل لابن الحاج (٤ : ٧٩ : ٨٣ ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٩٢٩) .

انه من الدست الذي يساوي أربعة ، لأن الورق في ذلك يختلف ثمنه بسبب صفته . فقد يكون زائداً في البياض وفي الصقال ، ويكون مما عُمل في الصيف ؛ وآخر عكسه ، أعني فيه سُمرة ونقص في الصقال او البياضة وعُمل في الشتاء . وما بين ذلك . وإذا كان كذلك ، فيتعين عليه أن يبين حتى يخرج ببيانه من الغش . فان لم يفعل دخل بكتمانه تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام : «من غشنا فليس منا »[١] .

ثم قال :

« وليحذر ، عند شرائه الورق من الوراقة[٢] ، ان يكون في وقت يعلم انه يكشف فيه على عورات من يعمل فيها من الصناع ، إذ أنّ اكثرهم يجعلون في أوساطهم خرقة تصف العورة لصغرها وانحصارها على العورة وابتلالها بالماء ، والفخذ عن آخره مكشوف . فان دخل والحالة هذه فهي معصية ... فيحتاج لهذا المعنى ان يتحرّى وقتاً يكونون فيه سالمين مما ذُكر »[٣] .

ثم انتهى المؤلف الى القول : « وليحذر (بائع الورق) من أن يخلط الورق الخفيف بالورق الجيد الذي يصلح للنسخ ، لأنّ ذلك تدليس على المشتري . لأنّ الخفيف لا يحمل الكشط لخفته ، بل يكون ذلك عنده بمعزل . فاذا علم انّ المشتري ممن ينسخ فيه ، أعطاه مما يوافقه منه . وإن علم انه ممن يكتب فيه الرسائل وما أشبهها مما يجوز ، أعطاه من الورق الخفيف بعد أن يبين له ذلك »[٤] .

ولم يفتهُ أن يوصي الورّاق الذي في الوراقة « أن لا يعمل شيئاً من الورق المكتوب ، إلا بعد أن يعرف ما فيه . لأنه قد يكون فيه شيء له حرمة

(١) المدخل (٤ : ٨١) .
(٢) المراد بالوراقة هنا ، معمل الورق . وقد مرّت هذه اللفظة في تضاعيف بحثنا .
(٣) المدخل (٤ : ٨١) .
(٤) المدخل (٤ : ٨١ — ٨٢) .

شرعية ، بل هو الغالب . . . فيجتنب ذلك كله لحرمته وتعظيمه في الشرع الشريف ، لأنّ الصناع يدوسون ذلك بأرجلهم وغيرها ، وهذا من أعظم ما يكون من الامتهان » [1] .

١٦ — ختام البحث

لا نتعدى وجه الصواب إذا ما قلنا ، انّ للعرب اليد الطولى والفضل الأعظم في صناعة الورق . فهم الذي عُنوا بنقله ، منذ عهدٍ بعيد ، أعني منذ المائة الثانية للهجرة ، من بلاد الصين الى ديار العراق ، فالشام ، فمصر ، فالمغرب والأندلس . وأدخلوا عليه من فنون التحسين والتجويد ، ما تشهد به عشرات ألوف الأسفار العربية المخطوطة ، المنبثة اليوم في كثير من خزائن كتب العامة والخاصة في بلدان الشرق والغرب .

لقد ازدهرت معامل الورق في كثير من بلاد الاسلام منذ المائة الثانية للهجرة . فأنتجت أصنافاً عديدة تختلف في قطعها وصقلها ولينها وغير ذلك من الصفات . ثم تسربت هذه الصناعة من بلدان الاسلام الى كثير من ديار الغرب ، فتفنن أهلها في صنعه ، وأدخلوا عليه — بفضل الآلة — من التحسينات الكثيرة ما نافسوا بهـا صناعة الورق الشرقي ، فزاحموه حتى كسدت سوقه ، وذهبت تلك المعامل في ذمة التاريخ .

(بغداد) كوركيس عواد



(١) المدخل (ص ٨٢) .

مخطوطات ومطبوعات

كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

المقدمة

عزمت جمعية «الآداب الرفيعة» في باريز على نشر نصوص من الأدب العربي برعاية محل «غليوم بوده» فقد رأت هذه الجمعية وهي تصنع تأريخ الحضارة مستندةً الى نصوص منقولة للغة الفرنسية ان تجعل مقاماً كبيراً في هذا التأريخ لفكر العرب وأدبهم ٠

وأول أثر ظهر على يدها ترجمة مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، فقد ترجم هذه المقدمة المستشرق «غودفروا دومومبين» عضو المعهد الفرنسي وعلّق عليها ٠

والذي يطالع هذه التعليقات باللغة الفرنسية يجد فيها اموراً توضّح من أدبنا بعض ما خفي منه أو بعض ما لا يزال مبعثراً في تضاعيف الكتب ، مما يحتاج الى مجهودات كثيرة ، كالكلام على هذا النزاع الذي قام بين أنصار المحدثين والقدماء في الشعر على زمن ابن قتيبة ، أو بين رجال المعتزلة وأهل السنة ٠

وقد صدّرت الترجمة بمقدمةٍ يرى فيها القارئ مباحث لا بأس بها عن شعر العرب وعن طبقات الشعراء وعن عبقرية الشعر وغير ذلك ، قد تكون مقتبسة عن ادبنا نفسه ولكن اسلوب الخوض فيها والتعليق عليها شيء طريف ربما لم نتعوده في أدبنا القديم ٠ ويهتدي القارئ في خلال هذه المقدمة والتعليقات الى آراء ناضجة مثل رأي الأستاذ «ماسينيون» في الشعر العربي فانه يقول ان هذا الشعر اذا نظر فيه ناظر ولم يتعمق في أغواره ظن انه وحيد الأشكال والصور غير متنوعها ، ولكنه اذا تغلغل الى تفاصيله وأعماقه انكشفت له فيه اختراعات دقيقة خصبة ٠

كنت أطالع هذه المقدمة في كلية الآداب فلفت ذهني الدكتور حكمة هاشم أستاذ الفلسفة والاجتماع في كليتنا الى الأمر الآتي :

يقول ابن قتيبة في كلام له على شعر بعض الشعراء : وهذا الشعر منحول ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن الأ قوله ... وقد ترجم الأستاذ « غودفروا دومبين » كلمة : منحول ، بكلمه نحيل ، وهي ترجمة فيها خطأ فقال لي الدكتور حكمة هاشم : انظر الى مقدار اعتناء رجال الغرب بالتسلسل المنطقي في الفكر ، فان الذي حمل المترجم على أن يخطئ في ترجمة كلمة المنحول انما هو ابن قتيبة نفسه ، لأن ابن قتيبة بعد ان قال : وهذا الشعر منحول ، عطف على قوله بعبارة لا تتصل بما قبلها من حيث المنطق الفكري فقال : ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن الا قوله ... مع ان المنطق كان يقضي بان يقول : ولا أعلم فيه شيئاً صحيحاً الا قوله ... حتى يتم التناسب بين الجملة الأولى وبين الجملة الثانية ، من حيث الاطراد المنطقي ، فالأستاذ المستشرق ظن ان معنى منحول في هذا المقام هزيل بدليل ان العطف جاء بعبارة تسرد شعراً غير هزيل ... وقد رأيت ان قول الدكتور حكمة هاشم في محله لأن المترجم قد مرّت عليه كلمة المنحول في مقام آخر من مقدمة ابن قتيبة فترجمها ترجمة صحيحة ، مما يدل على انه يفهم معناها .

شفيق جبري

ديوان ابي فراس الحمداني (الجزء الأول)

سامي الدهان : دكتور دولة في الآداب

ذكر الأستاذ « بلاشير » في مقدمة هذا الديوان ان أكثر الشعراء الذين أعجب العرب بشعرهم على مرّ السنين لا يزالون مجهولين : مثل بشار بن برد وأبي نواس وابن الرومي وابن الحجاج وابي فراس وغيرهم ورأى أن جهل الناس شعرهم ناشئ عن ان هذا الشعر اما ان يكون قد نشر في ديوان غير كامل اواما ان يكون قد نشر في ديوان غير كاف .

وقد أثنى الأستاذ على الدكتور سامي الدهان الذي بذل المجهودات الكبيرة في دور كتب اوروبة ومصر والشام وافريقية في التنقيب عن المخطوطات المشتملة على شعر ابي فراس ·

كان أبو فراس من بيت رفيع ، فلم يُعن بشعره أو بجمعه فأدّى هذا الاهمال الى تعدد نسخ دواوينه والى اختلاف هذه النسخ ، والاختيار في مثل هذه الحال صعب جداً ولكن الأستاذ « بلاشير » يرى ان الدكتور سامي الدهان قد اهتدى الى أصح النسخ التي يمكن ان تكون محوراً لنسخته المنشورة ·

وبعد أن أشار الأستاذ « بلاشير » هذه الاشارات وعرف للدكتور سامي الدهان فضله وقدره ومجهوده أشار الى أغراض شعر ابي فراس فذكر أن الروميات اذا نقلت الى لغة اجنبيه فانها تحتفظ برونقها وجوهرها ، وقد قابل مقابلة يسيرة بين المتنبي وبين أبي فراس ، بين قريحتين مختلفتين ، متحاسدتين ، قريحة بنت الفن والفكر والبحث وقريحة بنت الطبع والحس ·

تشتمل نسخة الدكتور سامي الدهان على فهارس ديوان ابي فراس وتشير الى الدراسات التي نشرت عنه في القديم والحديث والى صور بعض المخطوطات وكل هذا يدل دلالة واضحة على مقدار عناء الدكتور سامي الدهان في عمله الجليل فقد أهدى الى المكتبة العربية نسخة من ديوان ابي فراس سيقدرونها حق قدرها ·

ش · ج



هل العربية منطقية

أبحاث ثنائية الألسنية

تأليف الأب مرمرجي الدومنكي . طبع في مطبعة المرسلين في جونيه لبنان . سنة ١٩٤٧ م عدد صفحاته ١٦٠ صفحة متوسطة القطع

في تسمية هذا الكتاب شيء من غموض ، يريد مؤلفه ان اللغة العربية في معاجمها لم تنسق كلماتها تنسيقاً منطقياً (فلا دقة في التحديد ، ولا وضوح في

الشروح ، ولا تناسق في الألفاظ ، ولا تناسب في المشتقات ، ولا تتابع في التطورات) . ويريد (بالثنائية) أن كلمات اللغة العربية إذا أرجعت الى أصولها كانت أصولها حرفين اثنين لا ثلاثة كما هو مذهب علماء اللغة العربية كافة . ويريد بالألسنية النسبة الى الألسن . وقد عنى بهذه الألسن الألسن السامية أي اللغات السامية : فان المتأمل في هذه الألسن يجد الأدلة متوفرة على صحة دعواه (أي دعوى المؤلف) من أن أصول كلمات اللغة هي الألفاظ ذوات الحرفين لا ذوات الأحرف الثلاثة ، حتى ان ذوات الثلاثة نفسها ينبغي أن تُردّ الى اصول ثنائية الأحرف .

وكان المؤلف بسط رأيه هذا في مقال نشره في المجلد ١٤ من مجلة مجمعنا العلمي العربي ، ثم زاد الموضوع بسطاً وشرحاً في كتاب خاص : (سماه المعجمية العربية على ضوء الثُنائية والألسنية السامية) بلغ زهاء ٢٣٠ صفحة وطبعه في مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس سنه ١٩٣٧ م . ولكن في كتابه هذا لم يتسنّ له الاكثار من الأمثلة والشواهد على رأيه في ثنائية أصول كلمات اللغة العربية ولذا أعاد الكرّة على هذه الأمثلة فاستكثر منها هنا أي في كتابه الثاني الذي نقرظه وهو (هل العربية منطقية) .

وكنا لحين صدور كتابه الأول كتبنا اليه مُعجبين مُثنين على طول باعه في اللغات السامية ، واستبطان أسرارها . غير أنا اعتذرنا اليه عن الاقتناع بصحة رأيه في فكرة (الثنائية) وانما نحن نقلده فيها تقليداً ، حتى اذا تصفحنا كتابه الثاني الذي بسط فيه الأمثلة والشواهد رأينا فيها ما حملنا على كتابة ما يلي ، وحكمنا بأن في رأي صديقنا المؤلف إحالةً وتحكّماً وشيئاً من إبهام ، واللغة العربية الى غير هذا الرأي من الخدمات المتواضعة أحوج . وإلى نوعٍ آخر من الغذاء الاصلاحي أنجع وأنضج . والا فكيف نؤمن بأن مادة (س و د) التي ترجع مدلولاتها الى معنيي (السيادة) و (السوَاد) في اللغة العربية — ليست

أحرفها الثلاثة أصولاً وانما أصولها حرفان فقط ، أعني الـ (س) و الـ (د) المهملي المعنى في حال تركيبها . ثم لما جاء المؤلف الى الاستدلال على رأيه الثنائي لم يأتنا بسين ودال فقط ، بل إنما كانت حجته في ثلاثة أحرف (س) و(د) و (د) وهي اللواتي يتركب منها فعل (سدّ) الثلاثي المضاعف الذي أصله (سدَدَ) فشدّد : بدليل انه (اي المؤلف) فسره بمعناه اللغوي وهو : ردم . أغلق . سدّ القارورة الخ . وكل هذه معانٍ لسدّ الثلاثي المركب من ثلاثة أحرف سينٍ ودالين لا من حرفين فقط سين ودال واحدة : اذ لا يوجد في اللغة العربية كلمة مركبة من سين ودال واحدة (أي غير مشددة) ويكون لها معنى في اللغة العربية . ويظهر أن الحال كذلك في اللغات السامية الأخرى : فان كل الكلمات السامية التي سَرَدَها المؤلف سواء أكانت سريانية أم عبرانية هي مركبة من سين ودال وبينهما حرف صوتي ثالث لا اعرف كيف انطق به : ففي السريانية كلمة (sawwėd) اذا نطقت بها يبعد ان تنطقها (سَد) اي بسين مفتوحة ودال ساكنة ، وانما تنطقها سيناً ودالاً بينهما حرف علة صوتي ممال الى الواو أو الياء وهو الذي عُبر عنه بحرف (ww) فيكون ذلك اللفظ السرياني ثلاثياً كلفظ (سود) العربي لا ثنائياً .

ويوشك ان يقوم زميل آخر فيرى رأياً جديداً في أصول كلمات اللغة العربية غير الرأي الثنائي الذي تبنّاه المؤلف ويسمي رأيه (الرأي الأُحادي) فيزعم ان اصل كلمة (سود) العربية مثلاً هو (السين) وحدها ، او (الواو) وحدها ، او (الدال) وحدها ، ويؤيد قوله بأن الانسان الابتدائي او الانسان الأول إنما كان ينطق بصوتٍ ساذج تمكن الدلالة عليه والتعبير عنه بحرف واحد صوتي يُمَدُّ مَدّاً إذا لُفظ ، ثم تطور هذا الحرف الواحد الساذج وتكيَّف وتولدت منه سائر الكلمات في مختلف اللغات .

واحسب ان غيري من خَدَمة اللغة العربية يرون رأيي في أن الصواب هو ما قاله علماؤنا المحققون من ان اصول الكلمات (اسماء وافعالاً) لا تكون اقلّ من ثلاثة احرف يتألف منها لفظ له معنى في اللغة العربية ومنه تشتق سائر مشتقاته .

أما ان يشتق لفظ عربي من لفظ ثنائي مهمل لا معنى له في العربية — او يشتق لفظ عربي من لفظ سرياني ثنائي او ثلاثي فهذا لا قائل به ، وانما صرحوا بخلافه : ففي المزهر (قال بعض العلماء : ومحال أن يشتق العجمي من العربي او العربي من العجمي : لأن الاشتقاق نتاج وتوليد . ومحال أن تُنْتَج النوق الا حورانا [1] ، وتلد المرأة الا انسانا) . وقال ابو بكر بن السري (ومن اشتقّ الأعجمي المعرّب من العربي (كيعقوب من عقب مثلاً) كان كمن ادعى ان الطير من الحوت)

ولا يخفى ان ما قلناه إنما يصدق على اللغات بعد استقلالها وقيامها بنفسها على ألسن أهلها المتحضرين . أما هي في دور نشوئها وطور تكونها وبداءة المتكلمين بها فلا جرم ان تكون في أصلها واحدة ساذجة ثم — بطريقة يصعب تعيينها واكتناهها — تأخذ في التطور والتشعّب الى شعب وفروع طبقاً للناموس الطبيعي أو التكوين العام . على اننا معها خالفنا زميلنا الأب الفاضل في رأيه البكر المتعلق بأصل (الثنائية) فنحن موافقون له على رأيه الآخر من انه يجب تنسيق كلمات اللغة في معاجمها بحسب تطورها في الاشتقاق بحيث يسهل ردّها الى اصولها العربية ، ولا بأس في ردها او رد بعضها الى اصولها السامية أيضاً ، كما فعل المؤلف في كتابيه ، وكما يفعل المجمع اللغوي المصري في معجمه الكبير الذي يضعه اليوم : فهو يذكر المادة العربية ويذكر بجانبها ما بمعناها من موادّ اللغات السامية المختلفة . وهذا يكفي في خدمة اللغة ، وتحقيق اصول كلماتها ، وتوسيع دائرة ابحاثها ، على ضوء الألسنية (ولا نقول على ضوء الثنائية) .

---

(١) حوران جمع حُوَار ، وهو ولد الناقة الرضيع الى أن يفطم ويفصل فيكون فصيلاً

ومهما يكن فإن دعوى (الألسنية الثنائية السامية) ما زالت في بدء تكونها وما زال الباحثون فيها -- لها او عليها -- قليلين . حتى اننا لا نعلم منهم سوى صديقنا الأب مرمرجي . فلعل علماء اللغات السامية [1] ينبرون الى هذا البحث الجديد، فيتبارون فيه ، وينيرون السبيل الى غوامضه وخوافيه .

المغربي



محاضرات مختارات

في الدين والفلسفة والاجتماع

مؤلفه أيضاً الأب مرمرجي وقد طبع في جونيه في ٢٥٠ صفحة

هذا الكتاب مجموعه محاضرات وخطب للأب المحترم مؤلف الكتاب السابق : « تتناول مواضيعها أبحاثاً شتى في الدينيات والفلسفيات والاجتماعيات . وقد أنشئت بطريقة عصرية يعتمد فيها على البراهين المنطقية » : فمنها محاضرة في (نفوذ السيد المسيح في حياتنا الدينية) ، واخرى في (نفوذه في حياتنا الاجتماعيه) ، وثالثة في (نفوذه في حياتنا الأدبية) . ثم محاضرات في (الأخلاق) و (الأسرة) و (الألفة الاجتماعية) و (الملكية الفردية) و (أبطال البشرية) . فموضوعات الكتاب تتردد بين الآداب المسيحية ، والآداب الاجتماعية . ومن ثمّ كانت فائدته عظيمة للشبان والشابات لما فيه من تهذيب النفوس ، وتطهير الأرواح ، ولا غروفالمؤلف عُرف بالتقوى والاخلاص في دينه وعقيدته فحبذا المخلصون أمثاله .

المغربي



(١) (المجمع) تتمنى أن يكون الأب مرمرجي أهدى نسخة من كتابيه (المعجمية العربية) و (هل العربية منطقية) الى غبطة (مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم) بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس صاحب مقالات (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية) التي تنشر تباعاً في مجلة مجمعنا -- حتى نرى رأيه في (الثنائية على ضوء الألسنية) فانه ابن بجدتها وفارس حلبتها .

الرسالة العلمية في الشفعة

تأليف الأستاذ خليل جريج رئيس محكمة في بيروت

٢٦٠ صفحة مطبعة جان دارك ببيروت سنة ١٩٤٧

هذا الكتاب المفيد مؤلف من اربعة عشر فصلاً وملحق ، وكل فصل منها مشتمل على كثير من المسائل والأحكام ، وهي مباحث فقهية ، نظرية وعملية ، قد تضمنت التعريف بالشفعة وحكمتها وضرورتها ومصدرها الشرعي ، وحكمها القانوني ، ولمحة تاريخية عنها ، وأصحاب الحق فيها ، ومراتبها ، والعقود التي تجري فيها ، وما يترتب على الشفيع لطلبها ، وما يشترط لها من الأهلية الواجبة ، والأصول المفروضة ، والاختصاص القضائي في دعاوي الشفعة ، ونتائج الشفعة بالنسبة للطرفين وللغير ، وقاعدة عدم تجزئة حق الشفعة ، وانتقال هذا الحق ، وسقوطه ، وطبيعته ، وقيمته ، وتعديل أحكامه ، ثم ذيل كتابه بملحق حوى نصوص أحكام الشفعة في المجلة العدلية ، وفي القوانين المدنية الفرنسية ، الموضوعة للحكومات العربية في شمالي افريقيا وفي سورية ولبنان .

وطريقة المؤلف في كتابه هذا أنه يورد في كل فصل من فصوله (أولاً) ما قاله فقهاء المسلمين ، ومعظم ما ينقله عن كتب المذهب الحنفي المعتبرة ، وهو ما يسميه بالقانون القديم ، (وخير من ذلك أن يقال الكتب الفقهية او الشرعية) .

(ثانياً) قانون الملكية السوري اللبناني اي القرار (٣٣٣٩) الصادر في عهد الانتداب الفرنسي . (ثالثاً) القانون المصري (الرابع) قوانين افريقيا الشمالية (تونس والجزائر ومراكش) . وختمت هذه المباحث بالملحق المشتمل على نصوص احكام الشفعة في مجلة الأحكام العدلية ، وفي القوانين المدنية الموضوعة لهذه البلدان العربية من قبل الفرنسيين كما قدمنا .

أما مواضع النظر فيه فنذكر منها ما يأتي :

ص ١٩٤ وقد نهى الله عنها بقوله : «لا تحلّ الخديعة لمسلم» وهذه الجملة

ليست من كلام الله في القرآن، ولو تناول المؤلف بيمينه مثل كتاب « فتح الرحمن » او « المرشد الى آيات القرآن » لما وجدها ، وهو يعزو في جميع ما ينقله الى الكتب وصفحاتها ، ليؤدي أمانة العلم ، وما ندري كيف غفل عن أقدسها وأولاها بالاهتمام وهو القرآن ؟

ص ٥ : في حديث عمرو بن الشّرِيد الذي نقله عن البخاري : فقال سعد : والله لا أزيد على اربعة آلاف مجممة او مقطعة .

والرواية في البخاري : منجمة (بالنون) او مقطعة « شك من الراوي » والمراد أنها مؤجلة على أقساط معلومة .

ص ٢٠٠ فضلاً عن أن بعض الأحاديث الشريفة تؤيد رأينا كقول الحكيم .. وقول الشعبي : صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٤ » .

الحديث الشريف هو ما أضيف الى النبي ﷺ قولاً او فعلاً او تقريراً او صفة ، كما هو معلوم عند علمائه ، وهذان الخبران ، لم يسندا اليه (ﷺ) فما هما بحديثين .

ثم انا لم نفقه السر في ترجمة المؤلف لأقوال (مختصر سيدي خليل) الشهير في الفقه المالكي ، عن الفرنسية للدكتور برون Perron في سنة ١٨٥٤ وترجمة سينيات Seignette في سنة ١٨٧٨ عند ايراد الشواهد من المختصر على علم المؤلف بطبعته العربية ، واطلاعه على حاشية الخرشي ونقله عنها ، كما فعل في ص ١٣٩ وهو مطبوع طبعات أخرى مع الشروح ، وشهرة « المختصر » بالعربية عند أهله تفوق شهرته بالفرنسية بكثير .

هذا وإنا نوجه نظر القاضي الفاضل الى الفرق بين الشريعة الاسلامية التي هي القرآن ، والحديث ، وبين كتب الفقه المسماة عنده بالقانون القديم ، فإن مؤلفي هذه الكتب ليسوا مؤيدين بالعصمة ، وإنما يؤخذ من أقوالهم ما وافق الدليل ، وكان أكثر انطباقاً على عرف الزمن ، وحاجة أهله ، وكل ما ليس فيه نص صريح ، ولا قياس صحيح ، فالناس غير ملزمين به ، ولكل زمن عرف ومصالح .

على أن ما جاء في هذه الرسالة العلمية من المقارنة في الشفعة بين القديم والحديث ، دلّ على فضل الأول على الثاني ، ومن شواهده ما أورده المؤلف في تعريف الشفعة من كتاب (مرشد الحيران) مادة (٩٥) انها «حق تملك العقار المبيع كله او بعضه ولو جبراً على المشتري بما قام عليه من الثمن والمؤن» وفي مجمع الأنهر : أنها ضم بقعة مشتراة إلى ملك الشفيع بسبب الشركة او الجوار»

وفي مشروع موران Morand أي مشروع القانون الاسلامي الجزائري ، (م ٥٠٧) إن حق الشفعة هو الحق المعترف به لكل شريك في العقار عند ما يتفرغ شريك آخر عن حصته بعقد رضائي ، لأخذ هذه الحصة ، مقابل دفعه بدل الشراء » فأنت ترى أن تعريف مجمع الأنهر ومرشد الحيران ، أخصر وأجزل من تعريف موران .

وقد ذكر المؤلف الأستاذ ابن جريج في كتابه هذا أمرين عظيمين :

(الأول) لزوم الأخذ بقواعد الشريعة الاسلامية ، على شرط انسجامها مع المبادئ الأساسية في التشريع الحديث ، وقد نصر المؤلف هذا القول لأن احكام الشفعة مأخوذة من الشريعة الاسلامية (ص ٢٨) .

(الثاني) انه ظهر في الجيلين الأخيرين اهتمام العلماء الأجانب بدرس الفقه الاسلامي ، وكان من نتيجة ذلك وضع مؤلفات متعددة في اللغة الفرنسية والانكليزية والايطالية والألمانية ، وترجمة بعض الكتب الشرعية النفيسة الى هذه اللغات ، خصوصاً الى اللغة الفرنسية ، وقد ذكر في ذيل الصفحة (١٣) طائفة منها»

إن في ذلك لعظة بالغة ، وبرهاناً حسياً على أصالة الفقه الاسلامي ، واستقلاله ، فنقدم هذه الشهادة العادلة الى فقهاء عصرنا ليُعنوا بتخريج ما يتجدد من ضروب المعاملات على قواعد الشريعة السمحة ومقاصدها ، فان في أصولها ما يقوى على معالجة المسائل الاقتصادية والاجتماعية في عهد المدنية الحديثة .

هذا وقد وقع لهذا القاضي الفاضل ، وهمٌ واشتباه في بعض المسائل ، كقوله

ص ٣٩ : فقد كان الجيل الأخير عهداً خصباً في التشريع والتنظيم ، وفي الخروج على طائفة من القواعد الشرعية التي لم تعد تتلاءم مع الحالة الحاضرة »

أقول : لقد سبق علماء الشريعة إلى مثل هذا التصريح ومنهم الشهاب القرافي الذي جاء في قواعده ما نصه :

« ومن جهل المفتي جموده على النصوص في الكتب غير ملتفت إلى العرف »

وفي المادة ٣٩ من مجلة الأحكام العدلية التي استندوا اليها في أحكام الشفعة وغيرها « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » وفسرها الشراح بالأحكام المستندة على العرف والعادة ، إذ هما عرضة للتغير بتغير الناس والأحوال ، بخلاف الأصول العامة للأحكام التي وضعها الاسلام ، فهي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، ولا تتبدل بتبدل الشعوب والأقوام ، كالمساواة في الحقوق ، وإقامة القسط « ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ومن قواعده المأخوذة من نصوصه الكثيرة « اليسر ، ورفع الحرج والعسر ، وأن الأمر إذا ضاق اتسع ، وأن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن استنباط الأحكام من مآخذها وأدلتها مبني على درء المفاسد وجلب المصالح » فأية قاعدة من هذه القواعد الثابتة يجوز هدمها أو الخروج عليها ؟

وكقوله في ص ١٤٠ وهذا ما حمل المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية على ترك المذهب الشافعي واعتناق المذهب الحنفي حتى تسنى له الارتقاء إلى مركز الإفتاء » والصواب أنه كان مالكي المذهب من قبل كما ترى في مقدمة تقريره في إصلاح المحاكم الشرعية (المطبوع بمطبعة المنار سنة ١٣١٧ هـ ١٩٠٠ م) وإنما الذي كان شافعياً هو صديقه الشيخ عبد الكريم سلمان أحد قضاة المحكمة الشرعية العليا بمصر ، وفي الكتاب أغلاط مطبعية وشبه مطبعية تركناها لطول المقام .

والكتاب جميل التبويب ، كثير العناوين ، جليل النقول ، جيد التحليل والتعليل ، حري مؤلفه الفاضل بالثناء الطيب والشكر الجزيل .

محمد بهجة البيطار

تراجم أعيان دمشق

في نصف القرن الرابع عشر الهجري ١٣٠١ – ١٣٥٠
« هو ذيل لروض البشر في أعيان دمشق في القرن الرابع عشر »
للأستاذ محمد جميل الشطي
طبع بمطبعة دار اليقظة العربية بدمشق

هذا كتاب سلك فيه مؤلفه الطريقة التي سلكها في كتابه السالف «روض البشر» مع اعتدال قليل في الحكم على الرجال بيد انه ما زال حكمه يغلب فيه على المؤلف حسن الظن، فيذكر الحسنات وربما جسمها ويغضي عن السيئات جملة وبذلك تصعب معرفة صاحب الترجمة على حقيقته .

وقد وقع له ان ترجم لأناس هم في حكم العامة والأميين لم يؤهلهم للذكر الا انه كانت لهم وظائف ومراتب ما كانوا فيها ايضاً ممن تحمد سيرتهم ، والمؤلف مثلنا يعرفهم ويعرف مقاماتهم وقبيح صفاتهم لكنه رأى السكوت عنها أسلم وأخذ بجنبليته ولا يلام المرء على اجتهاده .

محمد كرد علي



قضية العرب

ألفه الأستاذ علي ناصر الدين
ونشرته : دار العلم للملايين ببيروت

هذا الكتاب كتاب ايمان ، ألفه رجل مؤمن بوطنه وقومه ، ايماناً مجرداً عن كل مطمح إلا مصلحة أمته واعلاء شأنها . واهداه (الى روح فيصل الكبير ، الزعيم ، والقائد ، والملك الخالد ، الى ارواح الذين استشهدوا في سبيل قضية العرب في كل مصر منذ ان تفتق ضمير الدهر عن هذه القضية . . . . . الى المؤمنين الذين اشتغلوا ويشتغلون لهذه القضية . . . . .)

يسرد المؤلف في مقدمة كتابه حكاية هذا الكتاب ، كيف ألفه وكيف حال بعض أصدقائه الحاكمين دون طبعه ، وينتهي من هذا الى قوله : (وبعد

فلست اعرف من بين امم الدنيا ، امة نزل بها من الكوارث والمحن ما نزل بهذه الأمة العربية في عهد من الانحطاط طال امده ، ولم تفنَ ، او تندمج في غيرها من الأمم ، او يشد عليها الشلل على الأقل ، غير هذه الأمة) .

ويجعل المؤلف كتابه حواراً : سؤالاً وجواباً فيتناول : الرسالة القومية ، والعربية والأقطار العربية ، والأمة ووحدة اللغة ، والعادات والتقاليد ، والميول والرغبات . وكلها من مقومات الأمة ومشخصاتها التي توفرت في هذه الشعوب العربية التي تقطن الأقطار العربية .

ثم يعود فيبحث في الأمة العربية وبقية الأمم ، وفي موجات الجزيرة ، والعرب بعد الرسالة ، والاقليمية الهدامة ، والوعي القومي ، وتاريخ العرب والحكومات العربية ، والقومية والدين .

وهو في ابحاثه هذه يثبت عروبة الأقطار العربية ، وعروبة الناطقين بالعربية ، ويؤيد وحدتهم ، ويدفع التهم الباطلة الموجهة اليهم ويدحض الافتراء التاريخي الذي يزعمه الشعوبيون وغيرهم من اعداء العرب .

كل هذا بعبارة بينة ، وحجة دامغة ، ونصوص تاريخية استشهد بها من اقوال العرب وغير العرب .

عارف النكدي

نظام الحكم في العراق

تأليف الدكتور مجيد خدوري

الأستاذ بدار المعلمين العالية

هذا الكتاب وضعه صاحبه رسالة باللغة الانكليزية ثم نقله الى اللغة العربية بمعاونة بعض اصدقائه . في جملة ابحاث هذا الكتاب : تأسيس الدولة العراقية ولمحة عن تاريخ العراق . والحكومة العراقية . وتجربة الانتداب . وتحرير العراق من الانتداب . ووضع الدستور العراقي ومصادر هذا الدستور والمجلس التأسيسي والجهاز الحكومي ... والتنظيمات الادارية والنظام القضائي . والادارة العامة

والوزارات العراقية والسلطة التشريعية والأحزاب السياسية والقوى المؤثرة في سير الحكم ٠

وكلها من الأبحاث القانونية التي عالجها المؤلف فوفاها حقها وكشف بها عن نواحٍ مهمة من نواحي نظام الحكم في العراق ٠

والكتاب يحتاج اليه كل عراقي ، بل كل عربي ، فنشكر للمؤلف عنايته ولمن عاونه جهودهم ٠

ع ٠ ن

التشريح الطبي الجراحي لمؤلفه الدكتور مصطفى شوقي

ان مؤلف هذا الكتاب هو شيخ المشرحين في سورية فقد رافق المعهد الطبي منذ نشأته وشغل منصب استاذ التشريح فيه منذ تأسيسه حتى إحالته على التقاعد ٠ وقد رأى معهد الطب حاجة ماسة الى علمه وعلوّ كعبه في الفرع الذي يدرسه فرجا منه ان يظلّ مشرفاً على هذه الشعبة ومثابراً على القاء محاضراته فلبى الطلب وهو لا يزال يشغل حتى اليوم منصب استاذ التشريح في الكلية ٠ والكتاب الذي اتحفنا به المؤلف وطبعه في مطبعة الجامعة السورية بدمشق في السنة ١٩٤٦ فريد في بابه فلسنا نذكر ان في خزائن الكتب العربية مؤلفاً بهذا الموضوع ٠

ان كتاباً كالتشريح ولا سيما كالتشريح الطبي الجراحي او ما كان يُسمى التشريح الناحيّ لا يُعدّ كتاباً مفيداً الا اذا زيّن برسوم ملونة تسهّل على المطالع ما يقرأه فيه وقد خلا الكتاب من هذه الرسوم ، لا عن اهمال بل عن تعذّر بلوغ هذه الغاية فان صنع الرواسم (الكليشات) في سورية لم يبلغ من الرقي درجة كافية تمكن الممتهن من صنع رواسم ملونة متقنة ، حتى ان هذه الرواسم ولو صنعت في خارج سورية لما استطيع طبعها باتقان لأن فن الطباعة عندنا لا يزال في مهده ، وترقيتهُ وابلاغهُ الى مستوى رفيع لائق بمكانة البلاد امرٌ واجب ، كيف لا والكتب العلمية اجمالاً تفقد كثيراً من قيمتها اذا لم تبرز بحلة جميلة ولم تزدن برسوم ملونة متقنة ، وان التعب الذي يعانيه المؤلف في طبع

مؤلفه يكاد يعادل الجهد الذي يبذله في وضع تأليفه . فلا عجب ، والحالة هذه ، إذا ما خلا هذا الكتاب المفيد من الرسوم الملونة لأن تزيينه بها يكاد يكون أمراً مستحيلاً .

واذا استثنينا هذا النقص في الطباعة وبعض الأخطاء اللغوية وبعضاً من المصطلحات التي لا نوافق الأستاذ الزميل عليها كان الكتاب مثالاً للكتب العلمية التي يجدر بكل طبيب اقتناؤه لما فيه من الأبحاث المفيدة ولأنه كما قلنا فريد في بابه ولا مثيل له في اللغة العربية . واننا لنؤمل ان تكون الطبعة الثانية منه أكثر اتقاناً ولائقة بما في هذا الكتاب من الفرائد .

اما ابحاث هذا المؤلف فشاملة لأرجاء الجسد كافة : القحف والوجه والعنق والصدر والبطن والأطراف وجهاز الرؤية وقد درست في كل من هذه الأقسام النواحي التي تقع فيه ففي الوجه مثلاً درست النواحي التالية : الشفوية ، والذقنية ، والخدية ، والماضغة ، والجناحية الفكية ، والحنكية ، والبلعوم ، والخلاء حرله ، والنكفية ، وقرب اللوزة ، واللسانية ، وتحت اللسان ، وفوق اللامي .

يتبين من هذا ما يشتمل عليه هذا المؤلف من الأبحاث الواسعة المفيدة . وقد وُصفت في كل ناحية الطبقات التي تتألف منها منذ السطح حتى القحف وما يمرّ فيها من الأعصاب والشرايين والأوردة وعروق اللنفا والعضلات وغير ذلك .

ان هذا الكتاب قد سدّ ثلمة كبيرة في لغة الضاد فالى زميلنا الأستاذ أصدق تهانينا بكتابه الفريد .

الدكتور مرشد خاطر



السير برسي نن : التربية ، حقائقها وأصولها الأولى

عربه الأستاذ عبد العزيز ابراهيم البسام . ونشرته لجنة الترجمة والتأليف والنشر في وزارة المعارف العراقية . طبع في مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٤٦

عدد صفحاته ٣٨٣ من القطع الوسط

مؤلف هذا الكتاب هو استاذ التربية بجامعة لندن ومن كبار العلماء المعاصرين

وأعلاهم كعباً وأبعدهم أثراً ، عرض في كتابه هذا الكثير من المباحث الجليلة كالبحث في هدف التربية ، والحياة الفردية ، وارادة الحياة ، والذاكرة ، وعلاقة الدافعة بالحافظة ، واللعب ، والحرية ، والطبع والتطبع ، والقياس العقلي ، والاحتذاء ، والغريزة ، ونمو الذات ، واداة المعرفة والعمل ، وتطور الفكر ، والمدرسة والفرد .

أما مذهبه في التربية فهو كما قال المعرب الأستاذ عبد العزيز ابراهيم البسام تأييد للنزعة الطبيعية وتجديد لها . «فهو يرى ان التربية يجب ان ترمي الى اعانة الناشئين على ان يبلغوا أسمى ما تسمح به طبائعهم من مراتب النمو والامتياز الفردي . وهو يدعو الى الحرية الفردية ، ويرى انها ميزة تتصف بها الحياة في جميع درجاتها . وليس في هذا اضعاف لواجبات الفرد الاجتماعية او انتقاص من مطالب المجتمع وحاجاته ، لأن الميل الاجتماعي كما يرى المؤلف انما هو جزء أصيل في النفس الانسانية لا تستطيع الافلات منه» .

وقد أحسن المعرب بنقل هذا الكتاب الى اللغة العربية لأنه من الكتب الأساسية التي نحتاج اليها في توجيه تربيتنا القومية واصلاح طرق التعليم في العالم العربي .

الا ان رغبة المترجم في المحافظة على الأصل قد أوقعته في الغموض والالتباس ، ولو عُني بوضوح عبارته عنايته بالمحافظة على المعنى لسهل على القراء فهم الكتاب دون الرجوع الى أصله الانكليزي .

وفي الكتاب هنات لغوية ، ينبو عنها الطبع ، لو سلم المؤلف من الوقوع فيها لجاء عمله أكمل وأدق .

جميل صليبا

Excavations at Dura - Europos . Final report IV . Part III , the lamps , by P. V. C. Baur .

حفريات دورا – اربوس ، القسم الثالث من التقرير الرابع النهائي : السرج – وضعه السيد بلور يقع في (٨٤) صفحة من القطع الكبير و(١٦) لوحاً مصوراً. طبع بنيوهافن عام ١٩٤٧

يحتوي هذا التقرير على دراسة واسعة عن السرج الخزفية والمعدنية اليونانية

والرومانية التي اكتشفتها بعثة جامعة يال الأثرية اثناء حفرياتها في صالحية الفرات (دورا ـ اربوس) • وقد وصف المؤلف هذه السرج وصفاً دقيقاً ورتبها ترتيباً علمياً بحسب أشكالها وعصورها ، وقارنها بامثالها من السرج المكتشفة في حفريات البلاد المجاورة المعاصرة لدورا ـ اربوس ، وعززها بصور واضحة زادت البحث فائدة وسهلت الانتفاع به •

وتعطينا هذه الدراسة برهاناً جديداً على مدى تبادل المصنوعات بين بلاد الشرق الأوسط منذ أقدم العصور فجعلت منها وحدة اقتصادية اضمحلت معها منافساتها الاقليمية ومنازعاتها المذهبية التي كانت تعمل على تفرقة صفوفها والقطيعة بينها •

وقد توفق المؤلف في دراسته وأتحف المشتغلين بعلم الآثار مرجعاً جديداً يستعينون به في أبحاثهم ويسهل عليهم عناء مهمتهم •

جعفر الحسني

مأساة هندسية أو النهر المجهول

للدكتور احمد سوسا في (٨٨) صفحة من القطع الصغير و (٥) مصورات
طبع في بغداد عام ١٩٤٧

استهل المؤلف كتابه بدراسة وافية عن منشأ نهر الجعفري الذي أمر بحفره الخليفة المتوكل في سامراء لايصال الماء الى المتوكلية مدينته الجديدة • وعلل في كتابه العوامل التي أدت الى فشل هذا المشروع • ونحن مع اعجابنا بدراسته الفنية لا نشاطر المؤلف فيما ذهب اليه في اسباب فشل هذا المشروع وتحامله على اصحابه ورميهم بالعجز وعدم الخبرة الفنية ، لأننا لم نجد في كل ما أورده في كتابه ما يبرر استنتاجه هذا ، بل وجدنا شواهد عديدة تدل على عظمة المشروع ومهارة أصحابه •

ان انحدار النهر بين صدره ونهايته لا يمكن الاعتراض عليه فهو يبتدئ بارتفاع (١٠٦) م . وينخفض الى (٨٧٫٥٠) م في نهايته ، ولذلك لا يعقل ان يكون اختلاف مناسيب ارتفاع النهر في قسمه الأوسط خطأ أساسياً في تخطيط النهر بل هو ناشئ عن صعوبة الحفر في بعض المناطق الصلبة وبطء العمل فيها حيث : « كانوا يحفرون حصاً وافهاراً لا تعمل فيها المعاول » وهكذا فاجأتهم الأحداث بقتل المتوكل فحالت دون انجاز المشروع وأدت الى هجره حتى بقي مهجوراً كما عرفناه اليوم .

وأما رواية ابن ابي اصيبعة عن قصة النهر التي نقلها المؤلف واستشهد بها ليدعم نظريته ، فهي قصة ملفقة ينفيها الواقع . فقد جعلت حوادث هذه القصة قبل شهرين من مقتل المتوكل ، أي في أوائل شهر شعبان الموافق لمنتصف شهر تشرين الأول ، اي في الفصل الذي تكون فيه مياه دجلة في أقصى شحها وانخفاضها ، وقبل شهرين من موسم فيضانه على أقل تقدير . فكيف لنا والحالة هذه ان نوفق بين هذه الحقيقة وقول ابن ابي اصيبعة بأنه كان وقت فيضان دجلة والماء يغمر النهر ولا يمكن لسند (؟) بن علي ان يتحرى حقيقة الاخطاء المرتكبة في حفر النهر الا بعض مضي أربعة أشهر .

كما انه لا يعقل ان يركن من يعتمدهم الخليفة في أمور خطيرة الى اقوال المنجمين في تقرير اعمالهم الرسمية حتى يبلغ بهم حد الاستخفاف بتنفيذ أوامر السلطان .

هذه ملاحظة أوردتها على هامش التاريخ كي لا يغمط حق الذين وضعوا اسس مشروع حفر هذا النهر العظيم وللدفع تهمة العجز عنهم . وكل هذا لا ينتقص من قيمة الكتاب وما فيه من دراسات فنية ممتعة تثير الاعجاب وتدل على سعة الاطلاع والعناية بالتدقيق والتحقيق .

ج . ج



آراء وأنباء

الأستاذ عبد الله مخلص

ولد في المحرم سنة ١٢٩٦ الموافق ٢٧ كانون اول سنة ١٨٧٨ في مدينة «عين تاب» من أعمال حلب



موطن آبائه وهو من أسرة جاءت عين تاب من اليمن ، واستوطنت ودرجت مع الزمن وهي تعرف بأسرة شبجي خوجه زاده . وكانت اسرة علم وثقافة وقد تقدم أفرادها ، بكثير من الأعمال والخدمات الاجتماعية بما لهم من المواهب والعلم . ووالده محمد عبد الله كان من ضباط الجيش العثماني جاء بأسرته الى حيفا وكانت سن ولده عبد الله تقرب من الرابعة ، وانتقل به والده الى جنين ، وبقي بها مدة حتى وافاه الأجل في ١٠ صفر سنة ١٣٤٢ الموافق ٢٢ ايلول سنة ١٩٢٣ .

وقد نشأ نشأة دينية صالحة على تربية علمية تقليدية ، وبدأ دراسته في مدرسة تدعى المكتب الرشدي في حيفا وكانت المدرسة جزءاً من الجامع على طريقتهم في ذلك الحين ، وقد استقى منها أول مؤهلات المعارف وكانت تعتبر مدرسة عالية وقتئذ . وكان حريصاً بالطبع على احراز أوفى ما يمكنه من العلم ، ودرس اللغات الثلاث ، العربية والتركية والفارسية دراسة خاصة ، وأتقن معرفتها ،

وجود أساليبها وفي سنة ١٨٩٩ أنهى المدرسة وعكف على التحصيل بنفسه مندفعاً بمواهبه ، سائراً بقوة من وراء الغيب ، لأن يُعِدّ هذا الاعداد العجيب ، ولأن يكون علماً من أعلام العلم والثقافة والفضل ، فعمل على الاجادة والتحصيل ، ولم يدع عالماً أو أديباً أو مؤرخاً الا اتصل به ، وأخذ عنه واستفاد منه ، وأخذ يجمع نفائس الكتب ، وأمهات المصادر ، وانقطع عليها دراسة وتحقيقاً ، وقد استظهر كثيراً منها ، وجمع بين الدراسة التاريخية وبين الأدب والدين . وقد عكف على القرآن مدة يستظهره ويفسره ولم يدع أحداً لديه أثارة من علم الا اجتمع به واستوضح منه وروى عنه . وأما في الحديث فقد أخذ إجازته عن بعض الشناقطة المحدثين . ثم أخذ يخصص نفسه بدراسة التاريخ والآثار الشرقية فجمع لها المصادر ولم يكن كتاب مطبوع في هذه المادة الا استحضره أو استنسخه أو اطلع عليه واشتمله وأفاد منه . من أجل ذلك قد اجتمع لمخلص من النبوغ والتقدم ما لم يجتمع لأولئك الذين كانوا من أعمال الجامعات الكبرى في عصرنا الحديث . فعلم مخلص كان شاملاً في مادة التاريخ التي خصص نفسه بدراستها ، وشاملاً نواحي كثيرة في اللغة وآدابها وفي الأخلاق والأصول وسائر الفروع الدينية ولم تفته نظرية من نظريات العلم الحديث سواء أكانت في الفلسفة أم في الطبيعيات والفلكيات والنشوء والارتقاء ، فكان يملأ مجالسه علماً وينشر في هذه المجالس آراءه ، بعد المقارنة والنظر والمقابلة بين آراء الأقدمين وعلمهم ونواحي تفكيرهم ، وبين علم المحدثين وما وصلوا اليه . وكان المرحوم اسعاف النشاشيبي يقول : الجاحظ اعجوبة البيان ومخلص اعجوبة الزمان ، يعني بالزمان التاريخ . وأما في فضائله فليس لمخلص نظير . كان يمثل السمو في أرقى معانيه وهو على فضيلة من دينه وعلى كل من دينه وفضله مما جعله نسيج وحده لا يدانيه كثير من ذوي المطامح الى الرجولة الكاملة . وله من مواقف الفضل ما يدل على قلبه الكبير ، ونفسه السامية ، وتفكيره الناضج ، ومن استوضح مخلصاً من خلال آثاره ومؤلفاته ، عرف ان مخلصاً كان أمة جمع في نفسه

ما تفرق من خلال الفضل في كثير من الرجال ، ونحن إذ نذكره بهذا الثناء ، نترك التاريخ يتمم ما عجزنا عنه من إيفاء الرجل حقه ، وعسى أن يمنحنا الله الاخلاص ، لنخرج له كتاباً يعرف مبلغ علمه ومقدار فضله ، ليكون مثلاً لمن أراد ان يكون معيناً في العلم لا ينضب ، ومصدراً لمكارم الأخلاق لا ينفد .

مؤلفاته

قد ترك ثروة من البحوث العلمية ، والتحقيقات التاريخية ، تقدر بقيمة كبيرة في ميزان الثقافة العربية ، وان هذه الثروة هي التي ستجعله خالداً في نفوس العلماء الذين يقدرون الانتاج العقلي ، والمواهب النابغة التي تزيد في قيمة الثقافة الشرقية العربية . فمن مؤلفاته المخطوطة (١) تاريخ المسجد الأقصى ، عرض فيه الأطوار التي مرت بهذا المسجد بطريقة فنية لم تعهد في كتابة التاريخ ، وقد حل جميع الكتابات المرسومة ، على جدران المسجد وصحح كثيراً منها مثل إسناد بناء قبة الصخرة الى المأمون (٢) تاريخ الخليل وقد صفى تاريخ هذا البلد مما عاق به من تضليل الرحالة الاميركان في معالمه (٣) تاريخ صفد استنبط من تاريخ هذا البلد ما لم يستنبطه مؤرخ قبله اذ كان في تاريخ صفد كثير من الغموض وكثير من الاهمال (٤) تاريخ بيت لحم بين فيه معاني القداسة التاريخية التي زادت في قداستها الدينية . (٥) اعلام الاسلام في مواطن الانبياء . (٦) أدوات الحرب عند العرب بين فيه تطور الأسلحة العربية ، وتفنن الدول في اعدادها ، ومبلغ نجاحهم فيه . هذا وله في اللغة ، كتب مخطوطة أيضاً . (١) أدوات الزينة عند نساء العرب ، وهو كتاب جميل في بابه يصور نظر المرأة الى تجميل نفسها من أقدم العصور (٢) ملابس العرب بين فيه الأدوات التي مرت بالملابس العربية وأثرها في تدرجهم في مضمار الحضارة وسرد ما لها من صفات ، في لغة العرب وأدبهم (٣) العاطفة عند العرب ، بين فيه فعل العواطف في العربي في مختلف أطواره ، وكيف تتحكم العاطفة فيه ، وتوجه سلوكه ، وتحمله على حفظ الذمار ، ومراعاة العهود ، والدفاع عن الجار

(٤) ابيات العادات ، بين فيه العادات العربية التي دلت عليها أشعارهم ، ونظمها أديبهم ، (٥) الثياب المنسوبة بيَّن فيه مثل « القباطى » من النسيج المنسوب الى بلدان خاصة وما قيل فيها في اللغة والأدب . وحقَّق كتاب الاشارة في من نال الوزارة وترجم عن التركية سيرة السلطان محمد الفاتح تأليف نامق كمال (٦) ما قيل في صفات البئر عند العرب وأسباب الاعتماد على أوصافها في استنباطها . هذا وله مقالات متفرقة في المجلات العلمية الكبرى وكثير من الجرائد ، مثل جريده الزمان ، واللواء ، والأسبوع ، والترقي ، وغيرها مما يصح أن يكون كتاباً جم الفوائد لو جُمع .

وظائفه

لقد تقلب في وظائف حكومية كثيرة ، وما كان تقديره خفياً في كل وظيفة أسندت إليه ، وقد أحرز رئاسات كثيرة في الأقلام والدوائر التي مرّ بها من البلديات ، والمصارف ، والادارات العامة ، وكانت له أعمال تجارية خلال سني الوظيفة ، وهذه الأعمال مما جعلته كابن خلدون ، يخبر الحياة عن كثب ، ويعلم أثر الناس في تصريف التاريخ ، وصبغ الزمن بصفتهم ، وكانت آخر وظيفة شغلها ، وظيفة مدير الأوقاف الاسلامية العامة في فلسطين . تولى ادارتها سنة ١٩٣٨ وبقي حتى سنة ١٩٤٤ وله في وظائفه عموماً ، مواقف يضيق المقام عن سردها في مجلة المجمع الغراء . ويكفي أن نعطي فكرة عن تاريخه المجيد في شخصيته العلمية ، ونرجئ كل شيء عنه الى كتاب خاص . من أجل ذلك ، نضرب صفحاً عن ذكر حياته السياسية ، وانها من هذه الناحية ، حافلة بالأحداث الجسام ، مليئة بالمواقف المجيدة ، وان رجلاً فيه إخلاص مخلص ، وقد حضر الدولة العثمانية في عهديها ، عهد القوة ، وعهد الضعف ، وكان على مظهرين ، مظهر العلم والاخلاص للوطن ، ومظهر العقيدة العجيبة ، والايمان المكين ، ان رجلاً هذه مظاهره ، لابد أن يكون ، ذا تاريخ مجيد في الحياة السياسية ، والمغامرات الوطنية ، ولقد صحّح قول ابن خلدون ، ان العلماء أبعد الناس عن السياسة

قولاً وعملاً . فقد جمع بين العلم والسياسة ، ودل على ان العلماء هم الذين يجيدون حبك النظم السياسية ، وخصوصاً بدافع الاخلاص ، والدفاع عن الحقيقة ، والاحتفاظ بالوطن ، موئل الدين ، وملاذ العروبة ، وقبلة الاسلام ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثالث من شهر صفر سنة ١٣٦٧ الموافق ١٦ كانون الأول سنة ١٩٤٧

محمد حسن مكي

المجمع العلمي العراقي

صدرت الارادة الملكية بانشاء مجمع علمي يعمل على العناية بسلامة اللغة العربية ، ونبش تاريخ علمائها وادبائها ومخطوطاتها ، وبالعلوم الحديثة وفنونها تأليفاً وترجمة ، وغير ذلك مما له صلة به من مباريات ثقافية واتصال بالجامعات والمجامع العلمية ، وعقد مؤتمرات وانشاء دار طباعة ومجلة ودار كتب .

وقد جعل اعضاؤه اربعة أصناف : عاملين ومساعدين وفخريين ومراسلين ، وحُدّد عدد أعضائه العاملين بخمسة عشر عضواً .

وللمجمع (ديوان رئاسة) يتألف من رئيس هو معالي محمد رضا الشبيبي (وزير المعارف الحالي) ونائبي رئيس هما الأستاذان : توفيق وهبي (وزير المعارف السابق) والدكتور هاشم الوتري ، ومن سكرتير هو الدكتور جواد علي (بموجب انتخاب جرى في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٧) .

فنهنئ القطر الشقيق بما وفق اليه من انشاء هذا المجمع كما نهنئ اعضاءه الأفاضل بما نالوه من هذه الثقة . ونرجو لهم النجح والتوفيق .

انتخاب عضو عامل جديد

انتخب المجمع العلمي العربي في ٢٤ أيار سنة ١٩٤٨ معالي الدكتور منير العجلاني عضواً عاملاً مكان المرحوم الأستاذ عبد القادر المبارك . وقد صدر مرسوم تعيينه في ١ حزيران سنة ١٩٤٨ رقم ١١٨٥

مسألة الوصف بفعلاء

ومسائل أخرى

كنت أهديت الى عضو مجمعنا المستشرق الكبير الأستاذ كرنكو (أو سالم الكرنكوي) نسخة من كتابي (الاشتقاق والتعريب) (طبعته الأخيرة ذات الملاحق) فجاءني منه جواب ضمنه أبحاثاً ذات شأن، وقد أحببت نشره في مجلتنا هذه ثم التعليق عليه موافاةً لرغبة الزميل المحترم وهذه هي صورة كتابه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلني منذ أكثر من اسبوع كتاب (الاشتقاق والتعريب) تأليفكم هدية فأشكركم من صميم قلبي على همتكم العالية وما كنت أجيبكم حتى قرأت تأليفكم من اوله الى آخره . فأستحسن ترتيبكم المسائل المختلفة المتعلقة في هذا التفتيش[1] فأقول أولاً انه ليس على وجه الأرض لغة اكثر مأخذاً عن اللغات الأجنبية من الانكليزية لولا الهندية المسماة (أردو) إذ الهندية أخذت من كل أوب حتى المضحكات اما الاشتقاق فكانت لغة أهل اليمن قبل الميلاد تختلف كثيراً عن اللغة التي نعرفها من القرآن الشريف واشعار شعراء الجاهلية . ثم تغيرت هذه اللغة من قرن الى قرن حتى نجد في النقوش الحجرية زمان المبعث توافق أو كادت توافق لغة العرب في شمال الجزيرة وشبيه لهذا كانت لغة موجودة في النقوش في الشمال فان النبطية في أقدم النقوش كانت آرامية ومع الدهور تغيرت حتى نجد النبطية صارت عربية تدريجاً .

ولا أشك (وهذا رأيي الخاص) انه كان في القرن الأول الاسلامي اختلاف غير يسير بين لغتي قحطان وعدنان . ومن ذلك تلفظ حرف الجيم فان القحطانيين لفظوه مثل الحميريين اليوم وبالعكس العدنانيون تكلموا مثل اهل العراق والشام اليوم والله أعلم .

---

(١) أراد بالتفتيش ما نريده بقولنا (البحث) وهما بمعنىً واحد في اللغة لكنّ استعمال (البحث) أليق وأحسن وقعاً في الآذان .

كانت العرب قبل المبعث تأخذ من الفرس اكثر من الروم إذ الوفود الى ملوك الحيرة كانت اكثر من وفودهم الى ملوك غسان في الشام واما اللغة الفارسية القديمة فقد اختلفت من اللغة التي نجدها في أشعار اقدم شعراء الفرس : مثلاً الهاء في آخر كلمات كثيرة كانت كافاً الى نحو وسط القرن الثاني للهجرة ولهذا نجد في المعربات تارة الكاف والقاف وأيضاً الجيم والسبب في هذه الجيم تغير تلفظ هذا الحرف مع الزمان .

أما تدوين الألفاظ المعربة والدخيلة (وانا اجنبي ضعيف) فرأيي ان تدوّن بلا شك كل كلمة دخلت قديماً ولكن لا تدون الفاظ مثل بوسته بيونو الخ الفاظ مأخوذة من اللغات الفرنجية الحديثة ولكن هذا عمل المجامع : المجمع العلمي العربي والمجمع المصري .

أما الأساليب الأجنبية المدخلة في المجلات والقصص فشيء آخر فكانت عندي انا الذي كنت أدرس الآداب القديمة الى وقت سقوط بغداد ــ غريبة جداً . ورأيي ان هذه الأساليب ليست من عبقرية اللغة العربية ولكن اللغات كلها تنمو وتتغير من دهر الى دهر بما تستعملها العامة وليس للعلماء القدرة ليوقفوا ما اعتقدوا انه يفسد اللغة الفصيحة وشاهد لهذا الكتب العديدة المؤلفة في خطأ العوام

لو كنت اريد ان اذكر المحاسن كلها لكتابكم لكتبت ورقات ولكن اذكر ان في ما أعلم اول من اعتنى بذكر المعرب جملة هو ابو بكر ابن دريد في الجمهرة ثم وجدت ان ابن الجواليقي في معرّبه لخص ما أورد ابن دريد وزاد حسب بحثي كلمة واحدة . ذكر ذلك أيضاً الأستاذ عبد الستار الصدّيقي أحد علماء الهند في رسالة طرحها منذ سنين لنيل درجة الدكتورية في ألمانية وقد استقصيتم في كتابكم كل ما يتعلق بهذا الأسلوب فأشكركم لعملكم الصالح رجاء ان تفيد به مؤلفي المستقبل .

تبقى لي مسألتان كنت أتفكر فيها لعلكم تتفضلون بالجواب في مجلة المجمع

العلمي . اولها اني أرى المؤلفين بلا استثناء يكتبون اللغة الفصحى مكان اللغة الفصيحة وبعد البحث لم أجد المؤنث فصحى في اللسان ولا في غيره من معاجم اللغة

والثانية استعمال المؤنث مكان الجمع وهو فاش في مصر والشام والعراق وليس في المغرب : أمثال :

محمود تيمور ما تراه العيون ص ٣٨ وهو يعدو بين المروج الخضراء ..

محمود تيمور رجب افندي ص ٢٥ بعض اشباح بيضاء

محمد طاهر لاشين حواء بلا آدم ص ٧٨ كانت القوائم سوداء ثم ابيضت

محمد امين حسونه الورد الأبيض ص ٥٦ في ملابسهم المفضضة البيضاء

عبد الرزاق الحسيني تاريخ البلدان العراقية الطبعة الثانية ص ٤٥ والمروج الخضراء

ويكثر هذا جداً ولولا اني مريض لأوردت شواهد كثيرة . ولعلكم تتفضلون بايضاح هذا الاصطلاح .

وفي الختام رأيت وهماً عجيباً في كتابكم عند إيراد بيت لأبي دؤاد الأيادي الجاهلي ص ٥٩ وانما يصف بهذا البيت فرساً فالشوهاء الفرس الواسعة الفم وقد كثر انشاد هذا البيت وله شرح في كتاب الاقتضاب طبعة بيروت ص ٣٢٦ وأيضاً في لسان العرب ٣٧٨/١٠ و ٤٠٣/١٧ و ٣١٦/١٥ وفي كتاب الخيل لأبي عبيدة وفي غير ذلك من المصادر .

وفي الختام أكرر جزيل شكري . سالم الكرنكوي

هذا هو كتاب العلامة كرنكو بنصه وأعلق عليه مجاوباً له بما يلي :

أشكر لكم ملاحظتكم على بيت ابي دؤاد :

(وهي شوهاء كالجوالق فوها مستجاف يضلّ فيه الشكيم)

وقد جاء الوهم فيه من جهة الظن أن كلمة (شوهاء) جاءت من تشويه الخلقة الذي لا يوصف به عادة الا الانسان . اما هو في الخيل فبمعنى سعة الفم ، وفي هذا المعنى ورد قول الإيادي في بيته المذكور .

وقولهم (الفُصحى) في وصف (اللغة) صحيح بمقتضى قاعدة تأنيث (أفعل) على (فُعْلى) نحو افضل وفُضلى ، وأمثل ومُثلى ، وأكبر وكُبرى ، وكذا أفصح وفُصحى ، فتكون فصحى تأنيثاً لا ُفصح لا لفصيح الذي يقال في تأنيثه فصيحة بالتاء . وانما لم تذكر المعاجم صيغة (فصحى) للعلم بأنها من متناولات القاعدة المذكورة وقد استعمل العلماء صيغة فصحى في كلامهم : ففي شرح الألفية لابن عقيل عند قول ابن مالك :

(وتلو ألْ طبقٌ وما لمعرفة أُضيفَ ذو وجهين عن ذي معرفة)

فقد فصل الشارح القولَ في حكم أفعل التفضيل المضاف الى معرفة ، وانه تجوز فيه المطابقة لما قبله وعدمها ، وان المطابقة أفصح ، ثم قال ما نصه : (ولهذا عيب على (ثعلب) صاحب الفصيح قوله : فاخترنا أفصحهن (أي أفصحَ لغات العرب) قالوا : وكان ينبغي أن يأتي بالفُصْحى فيقول فُصحاهن اه) .

فهذا نصٌ صريح في جواز استعمال وصف (الفُصحى) مؤنث الأفصح في وصف (اللغة) وقد نطق به أشهر نحوي في المتأخرين .

أما قولكم (والمسألة الثانية استعمال المؤنث مكان الجمع الخ) فتريدون أن تقولوا : (إن استعمال (فَعْلاء) المؤنث وصفاً للجمع مكان فُعْل الخ) فكتّاب مصر والشام والعراق يستعملون المفرد (فَعْلاء) مكان الجمع (فُعل) مذ يقولون مثلاً (المروج الخَضْراء) مكان (المروج الخُضْر) .

وهذه المسألة اللغوية تستحق ان تلقب بمسألة المسائل لكثرة ما تناظر فيها علماء اللغة والأدب وقد كنتم أنتم أول من نبَّه المرحوم الأب (انستاس الكرملي) الى الصواب فيها . فانتبه اليها ثم تبناها : فجعل يجادلهم ويجادلونه . ويجالدهم ويجالدونه . حتى قام الزميل الأستاذ مصطفى جواد فنقض على (الأب) دعواه بأنه أول من نبه الى هذا الغلط ورد الحق الى صاحبه .

وقد طال الجدل - كما اشرنا - بين (الأب) وبين علماء اللغة في الأقطار العربية . وتعرّض لها المجمعان مجمع دمشق ومجمع مصر في غير ما مرّة . وفي

آخر جلسات مؤتمر المجمع المصري لعام ١٩٤٨ م ألقى الأستاذ (محمد الخضر حسين) بحثاً (أو تفتيشاً على حد تعبيركم) خاصاً بهذه المسألة (مسألة جواز وصف الجمع بفعلاء وعدم جوازه) . وفي آخر الأمر صرّح الأكثرون بجواز هذا الاستعمال . وذلك لقيام الشواهد المعتبرة عليه وان كانت قليلة نادرة . وهذه القلة جعلته غير فصيح ويكون الفصيح استعمال القرآن الكريم : فهو لا يصف الجمع الا بفُعْل الجمع لا بفعلاء المفرد فقد قال تعالى غرابيب سُود ولم يقل غرابيب سوداء فمسألة الوصف بفَعْلاء إذن أصبحت في حكم المنتهية إن شاء الله .

المغربي

بين اللغة والنحو (١)

لديَّ بحثان في موضوعين لغويين نحويين يتجهان في طريقة إخراجهما اتجاهاً فيه تشابه ، وفيه تعاكس : احدهما عنوانه (توهم الأصالة) اي توهم أصالة الحرف الزائد في بعض كلماتٍ من اللغة خولف فيهـا القياس . والبحث الآخر عنوانه (توهم الزيادة) اي توهم زيادة الحرف الأصلي في بعض كلماتٍ من اللغة خولف فيها القياس أيضاً . وقد بُني على كلٍ من التوهمين حكم . أما البحث الأول أعني (توهم الأصالة) فقد نبهني اليه خبرٌ رواه صاحب الأغاني عن عُمارة بن عقيل من شعراء البادية في القرن الثالث للهجرة :

كان عمارة هذا ممن يطرأ على الحضر فتؤخذ عنه اللغة : سمعه ابو حاتم السجستاني يوماً يقول في شعرٍ له (الأرياح) بالياء في جمع ريح فقال له ابو حاتم : هذا لا يجوز انما هو الأرواح بالواو فقال عمارة معتذراً لقد جذبني اليها (اي الى أرياح) طبعي : أما تسمعهم يقولون (رياح) . فأجابه ابو حاتم نعم ! ولكن هذا شيء وذاك شيء آخر . اقول : والتفرقة بين الشيئين معروف لديكم فلا حاجة الى تفصيله .

(١) كلمة ألقاها الشيخ عبد القادر المغربي في احدى جلسات مؤتمر المجمع اللغوي المصري .

فعمارة توهم أصالة الياء في (ريح) أي ظنها أصلية لا منقلبة عن واو فقال في جمعها أرياح والقياس أرواح ·

وقد استملحت ما جاء في هذه الرواية من خبر هذا الأعرابي القح ، فرأيت ان افترصها واستنبط منها قاعدة لغوية عامة اسميها قاعدة (توهم الأصالة) أخرّج عليها ما ذكره علماء اللغة في تأويل بعض الكلمات المخالفة للقياس في صيغتها ، وأضيف الى كلماتهم التي ظفرت بها كلماتٍ أخري من بابتها كنت أهتدي اليها من وقت الى آخر · وأجعل كل ذلك مقيساً بموجب قاعدة (توهم أصالة الحرف الزائد) ·

وعلماء اللغة ـ وان كانوا أنكروا على عُمارة قوله (أرياح) ولم يَرْضَوْا منه اعتذارَه بانجذاب طبعه اليها ـ فانهم عادوا هم أنفسهم فقدّرُوا توهمه وانجذابَ طبعه قدرهما ، وجعلو يعللون ما خالف القياس من الكلمات بما اعتذر هو به : أعني بتوهم أصالة الحرف الزائد · حتى إنهم سوّغوا أرياح في جمع ريح وعلّلوه بالتوهم وقاسوا عليه (أعياد) في جمع (عيد) وان كان القياس ان يقال (أعواد) بالواو لأن اصل (عيد) عِوْد ، لكن العرب توهموا أصالة الياء فيها اي في (عيد) فجمعوها على اعياد · وهو عذر عمارة نفسه في قوله (أرياح) ·

وها كم مثالاً آخر مما خرجوه على قاعدة التوهم : قولهم (تمنطق) فعلاً مشتقاً من كلمة (مِنطقة) ومعنى تمنطق شد المنطقة على وسطه · وكان القياس أن يقال تنطّق من دون ميم ، لكنهم توهموا أصالة (الميم) الزائدة في منطقة وانجذب طبعهم الى إقحامها (اي الميم) في صيغة الفعل ، فقالوا (تمنطق) على نحو صنيع عمارة بن عقيل في توهمه وانجذاب طبعه في أرياح ·

ولا يخفى ان هذا التوهم لا يؤخذ به في تعليل كل كلمة خالفت القياس ويكون فيها حرف زائد وانما يؤخذ به في بعض الكلمات مما يكثر دورانه

على الألسنة ، بحيث يُخيّل الى الناطقين به انه اسم جامد : ككلمات ريح وعيد ومنطقة وغيرها مما ذكرته المعاجم ، عدا ما لممته أنا من هنا وهناك حتى بلغ مجموعه اكثر من خمسين كلمة ، وهو مقدار كافٍ في اعتقادي لتُبنى عليه قاعدة (توهم أصالة الحرف الزائد) .

وآخرُ تلك الكلمات ماسمعته هنا (أي في مصر) مما ينتظمه بحثي هذا ويدخل في موضوعه قولُ بعض الكتاب (تَمجْمَعَ وتمجمعوا) يريد انتُخب وانتُخبوا اعضاء للمجمع . وقول أديبة مشهورة (مُصَيْف) في تصغير من اسمه (مصطفى) ـ كل ذلك من توهمهم أصالة (الميم) في كلمتي (مجمع) و (مصطفى) وانجذاب طبعهم الى إدخالها في صيغة فعليهما على غير القياس والقياس (تجمّع) و(صُفَيّ)

وعلماء اللغة لم يأتوا في تعليل مخالفة القياس في هذه الكلمات بأكثر من قولهم (توهم أصالة الحرف) من دون ان يُشيروا الى ان هذا التوهم قاعدة يصح القياس عليها . أما أنا فقد اقتحمت العقبة وجعلتها قاعدةً مقيسة لكثرة الكلمات التي ظفرت بها كما أشرت آنفاً .

وسأفرد لهذا البحث بحث (توهم أصالة الحرف) مقالاً أسهب فيه الشرح وسرد الكلمات التي قلت إنني ظفرت بها ، وأتلوه عليكم في احدى جلسات المجمع من عام قابل ، إن كان في العمر بقية .

أما حديثي في هذه الجلسة فهو في الموضوع الآخر ، المشابه للبحث الأول من جهة ، والمعاكس له من جهة أخرى ، كما أشرت اليه في صدر المقال . وقد سميته (توهم الزيادة) أي زيادة الحرف الأصلي في الكلمة ، بحيث يسوّغ لنا هذا التوهم استعمال تلك الكلمة وان كانت مخالفة للقياس في صيغتها .

وقد نشأت لديّ الفكرة في هذا البحث (أعني بحث توهم الزيادة) من عهد قريب ، ولذا لم يعلق بكفي من شواهدها الا كلمتان وثالثة أخرى .

(الكلمة الأولى)

قول العرب (أشياء) في جمع شيء . والإشكال في هذا الجمع أنهم منعوه من الصرف مع ان صيغته وهي صيغة (أفعال) ليست من صيغ الجموع التي اعتبروها علةً مانعةً من الصرف : فالخليل وسيبويه قالا في تعليل (أشياء) من الصرف إنّ اصلها (شيئاء) وان الألف والهمزة في آخرها للتأنيث وانها (أي شيئاء) جمع لشيء كما أن قَصْبَاء الممنوع من الصرف جمع لقَصَب . لكنهم (أي العرب) قلبوا أو يقال قدّموا همزة شيئاء الأولى وقالوا أشياء فبقي أشياء على رغم هذا القلب ممنوعاً من الصرف : لا بعلة أنه جمع بل بعلة ما في آخره من ألف التأنيث الممدودة .

وقال الأخفش والفراء مثل قول الخليل وسيبويه من أن أشياء ممنوع من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة في آخره ، لكنهما خرّجا (أشياء) ـ ليصح منعهُ من الصرف ـ تخريجاً آخر فقالا : إن وزنه ليس فعْلاء كقصباء كما قال الخليل وسيبويه . وانما وزنه (أفْعِلاء) كأَنْصِباء في جمع نَصيب : فأشياء اذن أصلها أشْيِئاء حذفت همزتها الوسطى فأصبحت أشياء وبقيت ممنوعة من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة في آخرها .

وفي كلا القولين تعسّف . وفي تخريجهما إبعاد وتكلّف . وكأنّ الكسائي رحمه الله لاحظ هذا منهما فرأى رأياً في منع صرف (أشياء) فيه تقريب ، وفيه تسهيل ، وفيه مكافحة الواقع وجهاً لوجه من دون مراوغة . غير أن قوله جاء مدمجاً رأيت تبسيطه على هذه الصورة :

إنّ وزن أشياء (أفعال) لا (شيئاء) ولا (أشْيِئاء) وهو (اي أشياء) جمع لشيء كما أن أفياء جمع لفيء . وأفياء مصروف لأن همزته الأخيرة أصلية لا زائدة للتأنيث . فيكون أشياء مثله (أي مثل أفياء) مصروفاً . لكنهم منعوه من الصرف لأمرين :

(الأمر الأول) كثرة استعماله وتكرره في كلام الناس فمنعوه ابتغاء التخفيف و (الأمر الثاني) مشابهته (اي مشابهة أشياء) لحمراء .

هذا ما قاله الكسائي وقد أصاب لعمري . ولا افهم من قوله (مشابهة أشياء لحمراء) الا أن العرب أُلبِس عليهم أمر همزة أشياء الأخيرة فتوهموها زائدة كزيادة همزة حمراء ، ولا سيما أن قبلها ألفاً كألف حمراء . وحمراء ممنوعة من الصرف فتكون (أشياء) مثلها ممنوعة .

وهذا ما جعلني أقول إن منع أشياء من الصرف إنما وقع بناء على توهم الزيادة أي زيادة همزتها الأخيرة والا فهي أصلية محضة كهمزة أفياء .

وبهذه الطريقة نكون قد وقعنا على قاعده جديدة في اللغة أو في النحو فيها لين ، وفيها سهولة ، وفيها تخفيف ورحمة ، واسميها (قاعدة توهم الزيادة) بحيث يصح لنا أن نخرّج عليها بعض الألفاظ التي خولف فيها القياس .

هؤلاء علماء اللغة رضوا لأنفسهم ان يقولوا تمنطق بناء على توهم اصالة الميم في (منطقة) فلماذا لا نرضى لأنفسنا أن نقول ان منع صرف (أشياء) كان بناء على توهم زيادة الهمزة في آخرها استئناساً بقول الكسائي ، ثم نتخذ من قوله مستنداً لرأينا ؟

(الكلمة الثانية)

والكلمة الثانية المضروبة على غرار (أشياء) في كون منعها من الصرف مبنيًا على القاعدة التي سميتها (توهم الزيادة) ـ قولهم (بُرَاء) على وزن (غُراب) في جمع (بريئ) .

وبديهي ان الهمزة في آخر (بريئ) أصلية لانه وصف من البُرْء فيكون (بُراء) الذي هو احد جموع (بريئ) منوناً مصروفاً لا ممنوعاً من الصرف لعدم وجود علة المنع فيه ، لكن قوماً منعوا (بُراء) من الصرف لأنهم استبعدوا ان تكون جمعاً لبريئ ما لم يكن أصلها (بُرَءاء) بهمزتين بينهما

ألف مد : الهمزة الأولى اصلية ، والثانية لإفادة الجمعية والتأنيث . فبُرَءَاء اذن جمع مضروب على غرار فُقهاء في جمع فقيه وكُرماء في جمع كريم ونحوهما . وهذه الجموع ممنوعة من الصرف لمكان الف التأنيث فتكون (بُرَءَاء) أيضاً ممنوعة . غير انها (اي بُرَءَاء) لم تبق على حالها وانما تلاعبوا بها فحذفوا همزتها الأولى واصبحت (بُراء) على وزن غراب . وبقيت بعد هذا الحذف ممنوعةً من الصرف كأصلها الذي هو (بُرَءَاء) .

وفي هذا التخريج لمنع الصرف تعسّف صارخ كما لا يخفى . والأحجى بالقبول ان نخرّج منع (بُراء) من الصرف ـ عند من يقول به ـ على قاعدة (توهم الزيادة) اي توهم زيادة الهمزة التي في آخرها لافادة التأنيث ، وبسببها منعت من الصرف ، وان كانت الهمزة في الواقع ونفس الأمر اصلية كاصالة همزة أشياء

ومحصل القول ان علماء اللغة خرّجوا بعض الصيغ الشاذة على قاعدة (توهم الاصالة) كجمع أرياح وفعل تمنطق وانا خرجت هذين الجمعين (أشياء) و (بُرَاء) الممنوعين من الصرف على قاعدة سميتها (توهم الزيادة) محاكاةً لتسمية القاعدة الأولى .

واذ قد تقرر في علم الأصول أنه لا بد في الاجتهاد الديني من سنَد مأثور يَستند اليه المجتهد فقد جعلتُ مستندي في إثبات قاعدة (توهم الزيادة) قولَ الإمام الكسائي في تعليل منع صرف (أشياء) : (إنها أشبهت حمراء) وهذه المشابهة جرّت الى الاشتباه . والاشتباه والتوهم أخوان رضيعا لبان .

وغرضي مما عرضته ان يكون لدينا قرار من المجمع في أن منع الصرف في (أشياء) و (بُرَاء) انما جرى على توهم زيادة الهمزة فيهما فُمنعا ، وهذا القرار يؤدي بالطبع الى شيء من تيسير قواعد اللغة العربية أو تيسير (عملية) الاعراب على الأقل : فبدل ان يقول الطالب في إعراب قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياءَ) ان أشياءَ ممنوعة من الصرف لمكان الهمزة الزائدة في آخرها وهو قول كذب حنبريت ـ يقول الطالب إن (اشياء) ممنوعة من الصرف لتوهم زيادة همزتها

الأخيرة . وهذا التوهم حق لا ريب فيه : بدليل منعها (أي منع أشياء) من الصرف . ويسهل حينئذ تغيير الضابط المشهور من قولهم (موانع الصرف تسع كلما اجتمعت) إلى قولنا (موانع الصرف عشر) .

(الكلمة الثالثة)

ويمكنني أن أعد من أمثلة (قاعدة توهم الزيادة) كلمةً جرى (توهم الزيادة) فيها على نمط آخر غير ما جرى عليه في (اشياء) و (بُراء) وهي كلمة (أملاك) جمعاً لملك مراداً به واحد ملائكة السماء فان القول المشهور في تصريف (مَلَك) ان اصله (مألك) مشتقاً من (الأَلوك) بمعنى الرسالة . والفعل منه (أَلَكَه) اذا أبلغه الرسالة . فحدث في (مألك) قلب (أي تقديم وتأخير) فقيل ملأك ثم حذفوا الهمزة تخفيفاً فقيل (مَلَك) ، ويجوز إبقاء الهمزة مع تسهيلها ألفاً : فيقال (مَلاك) . وقد غلب هذا التسهيل في اللهجة النصرانية : مَلاك الرب ويا ملاكي . كما غلب حذف الهمزة في اللهجة الاسلامية وفي القرآن (إنْ هذا إلاّ مَلَك كريم) .

ثم ان مَلْأَك ومَلاك يجمعان على ملائكة وهو القياس أما مَلَك المستعملة في اللهجة الاسلامية فتجمع أيضاً على ملائكة باعتبار ان الجموع ترد الأشياء الى أصولها : إذ أن أصل مَلَك مَلْأَك كما مر . لكن العرب كما جمعوا مَلَك على ملائكة جمعوه أيضاً على (أملاك) . وجمعه على أملاك ليس قياساً لأن القياس ان تَرُدّ الجموعُ الأشياءَ الى أصولها ، واذا رُد ملك الى أصله حين إرادة جمعه قيل ملأك ويكون جمعه ملائكة لا أملاك .

فكيف جمع على أملاك اذن ؟ جُمع على أملاك بناءً على ان العرب توهموا الهمزة في ملأك زائدة لا أصلية وان ميم (ملك) ولامها وكافها هي كل حروفها . وما كان على وزن فَعَل صحيح الحروف يجمع على أفعال كفرس على أفراس ، وفلك على أفلاك . وهكذا جُمع (مَلَك) على أملاك ، بناءً على توهم زيادة

الهمزة في (مَلأَك) ولولا هذا التوهم لوجب أن يقال في جمعه ملائكة أما الآن فله (أي لَلمَلَك) جمعان جمع جاء على الأصل المقيس وهو (ملائكة) وجمع غير مقيس وقد جاء على توهم زيادة الهمزة وهو (أملاك) .

وما لي لا أقول إن جمع مَلَك على أملاك فيه عمل بالقاعدتين (قاعدة توهم الزيادة) بالنسبة الى زيادة الهمزة كما قلنا و (قاعدة توهم الاصالة) أيضاً بالنسبة الى ميم (ملك) فان الميم زائدة فيه كما مر من ان اصل المادة (ألك) ، فكان القياس ان يقال مثلاً في جمع ملك (ألائك) بحذف الميم بناء على ان الجمع يرد الأشياء الى أصولها ، لكنهم لم يقولوه وانما قالوا في جمع (ملك) املاك متوهمين ان الميم فيه أصلية فأقحموها في الجمع . وهذا أي اجتماع قاعدتي التوهم في لفظ واحد ثلاثيّ من لطائف الاتفاق .

المغربي



إنسان العيون — ابن أبي عذيبة

جواباً على تعليق الدكتور مصطفى جواد

كنت قابلت إنسان العيون بابن أبي عذيبة فتبين أنه عينه . وهذا واضح لا لبس فيه ، صريح يفهمه كلّ أحد ، وذكرت ذلك سنة ١٩٣٩ م في تاريخ العراق (ج ٣ ص ١٤١ ـ ١٤٢) كما أشرت في مقالي الأخير ، فأيّ دليل أقدّمه غير مقابلة النسخ ؟ ولم أجبر أحداً أن يقبل ذلك ، وإنما يهمني أنني ذكرت ما اعتقدت صحته ، أو أنه الصواب ، وبينت أن كلّ أحد يؤخذ من قوله ويردّ . والاشتباه له حدود ، فأبدى الدكتور مصطفى جواد شبهة ، ولا كشبهة ابن كمونة ، ولم يعين سبباً سوى ما ذكر من أنه طالب معرفة في حين أنني قد سبق أن أخبرته بذلك .

يوضح هذا أن الدكتور كان — كما قال — اتصل بإنسان العيون من سنة ١٩٣٤ م . ولما نشرت التاريخ راجعني في نصه مستوضحاً ، وكان آنئذ في باريس

في التحصيل . فبينت له أن الأستاذ الكرملي كان قد نقل النسخة المصورة الى خط آخر، وسألني عن مؤلفها فتصفحتها، وكنت آنئذ قريب العهد بمطالعة كتاب ابن أبي عذيبة، فرأيت فيه أمراً لا يهمل وهو قوله (ومن توفي في خلافته) وجهات أخرى كانت قد علقت في الذهن من مادة الكتاب، فقلت له: هذا تاريخ ابن ابي عذيبة، وطلبت أن أقابله بنسختي لأتأكد، فأعطاني الكتاب، وبعد المقابلة وجدته عينه، وأخبرته بذلك، فكان الباعث للتدوين في تاريخ العراق، وبسطت للدكتور ما جرى .

وفي هذه المرة أعاد (الشبهة) استدلالاً من أنني قابلت نحو عشرين صفحة فلم أجد إلاّ بعض الكلمات شذّت عن النظر، أو غابت عن الكاتب الناسخ، وترجمة صغيرة قد طويت وبينتُ له السبب في أن الاسم متفق في تلك الترجمة واسم الأب كذلك، فزاغ بصر الناسخ منها الى الترجمة التالية . وهكذا في مقابلتي هذه المرّة قد عينت ما فات، ودوّنته في نسختي، وذكرت الاختلاف بين النسختين، وهو لا يذكر في مقابلات الكتب مع أنه مجلد ضخم، وأن (كتاب المستجاد) قد ظهر في بعض نسخه ما لم يوجد في الأخرى، وكذا في كتب عديدة قد يضاف اليها اضافات . والزيادة والنقص مشهودان . والتحوير في الكلمات لا يحصى . في حين أنه طبعت كتب فرّت من الطابع والمصحح . فظهرت فيها أغلاط كما تشهد جداول الخطأ والصواب . (فالعينية التامة) — كما اشترط الدكتور — غير ملتزمة حتى فيما طبعه نفسه من الكتب .

والمهمّ في هذه الحالة أن كتاب إنسان العيون عين تاريخ ابن أبي عذيبة في المقابلة واطراد المباحث وتواليها يبدأ بما يقابل أواخر المجلد الرابع من ابن أبي عذيبة، وينتهي في أوائل المجلد الخامس منه حتى يتم ويستمر ابن أبي عذيبة في طريقه وباطراده الى آخر المجلد فينتهي الكتاب فهو داخل في كتاب ابن أبي عذيبة . فكيف يقال انه غيره ؟ فاذا نسي الناسخ بيتاً أو كلمة،

أو فاتته ترجمة أو اكثر في إحدى النسختين فهل يصح أن يعدّ غيره ؟ واذا كان هذا غير مستحيل فهل وجد الدكتور كتاباً منسوباً لآخر معروفاً بالاسم والصفة وقد أخذ منه ابن أبي عذيبة ليصرف الانظار اليه ؟ أو ان هناك كتاباً آخر أخذ من ابن أبي عذيبة منسوباً لمؤلف آخر معلوم ؟

لم يتحقق شيء من ذلك للدكتور الى الآن . وكيف يطعن ولا دليل لديه يدعم الغيرية ، وقد ظهرت ادلة الصحة بالمقابلة ، وان المخالفات التافهة من نتائج الاستنساخ لا تدعونا الى الاعتقاد بالمباينة وإلاّ صحّ لنا الاشتباه بكل مؤلف ، ولم نجد حينئذ ضرورة لالتماس النسخ للمقابلة ، ولا للأخذ بأكمل نسخة واصحها ، أو للانتفاع من هذه المقابلة ، لا سيما وقد قام الدليل وتبين أن إنسان العيون داخل ضمن تاريخ ابن أبي عذيبة المكتوب بخط كاتب واحد ، ولا شائبة فيه تدعو للشبهة . وكان الدكتور في بغداد موظفاً في دار الآثار ، وكان بوسعه أن يطلب مني المقابلة ، فلم يفعل مع أن النسخة المصورة نقلت من خزانة المعارف الى دار الآثار .

ومن الجهة الأخرى أن الدكتور لم يبد شيئاً عن مؤلف صاحب (إنسان العيون) ليقول بالأخذ منه مع أن صاحب كتاب (القشر في التاريخ) متأخر ، ولكنه ظن أولاً أنه مؤلف إنسان العيون كما كتب الى الأستاذ الكرملي بتاريخ ١٥ كانون الأول سنة ١٩٣٧ م [1] ، ثم عدل عن هذا الرأي في هذه المرة ، وقال إن الوصف الذي ذكره السخاوي غير متحقق ، والشرط لم يكن متعيناً .

أعدت المقابلة على نسخة الآثار فلم يظهر خلاف او اشتباه يجعل النسختين متغايرتين بل تبين أن القصيدة التي أشار اليها الدكتور مذكورة في الأجزاء كلها حتى في إنسان العيون الا أن خلافة الناصر استغرقت ذكر وفيات كثيرين

(١) أشار الأستاذ الكرملي في أول المصوّرة الى ذلك بخطه .

لطولها فلم ينتبه اليها الدكتور ، ولو كان قد طالع الكتاب حقيقة لرآها فقد جاء قسم من القصيدة في صفحة ٤٠٣ من كتاب إنسان العيون وتبدأ بقوله :

ثم أتى مصر بنو أيوبا فآلفوا عليهم القلوبا
وقام من فيها لهم بالنصر وأهلك العاضدوسط القصر

الى آخر ما هنالك . ثم ذكر أحوال بني أيوب موافقاً لما في تاريخ ابن ابي عذيبة كما انه جاء فيه التصريح باسم ابن أبي عذيبة (كذا) في الصفحة ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٣٨ من الأصل المصور لإنسان العيون .

هذا . وان تاريخ ابن أبي عذيبة استمر لما بعد إنسان العيون وذكر من القصيدة قسماً في مبحث هولاكو ، وقسماً آخر في بني تومرت ... ولم يكن من شرط المؤلف أن يكرّر اسمه ، أو تذكر مؤلفاته في كل صفحة ، أو في كل جزء من أجزاء كتابه كما ذكر الدكتور مع أن اجزاء ابن ابي عذيبة في كلّ واحد منها قد ورد اسم الكتاب واسم مؤلفه ، وأما مؤلفات ابن ابي عذيبة فانما تذكر لمناسبات عارضة يقتضيها البحث ، فلا يتعرض لها المؤلفون بلا مناسبة .

وهنا مسألة جديرة بالالتفات وهي أنه اذا كان ابن ابي عذيبة أخذ تأليف غيره عيناً وأدرجه في كتابه كما هو الشأن في بعض المؤلفين فهذا الأمر موكول اليه ، وهو المسؤول عنه والمؤاخذ من أجله . وان الدكتور لم يظفر بشيء من ذلك . فان اليقين لا يزول بالشك ، كما لا عبرة بالتوهم البين بطلانه . ولو تحقق له شيء من ذلك فحينئذ يتوجه اللوم على المؤلف . لأني رأيته موافقاً لإنسان العيون وهذا داخل فيه ، او ان يوجه الدكتور اللائمة على المتأخر منهما فيما اذا كان قد فعل هذه الفعلة ، ولكن لم يتبين للدكتور ذلك .

هذا . ولا يهمني باقي ما ذكره من مدح نفسه في أنه له إلمام بنعوت إنسان العيون ، وأنه تقدّم على غيره في المعرفة لهذا الكتاب ، في حين أن الأستاذ المرحوم احمد تيمور باشا قد عرفه قبل الكلّ ، وما تفيد الدكتور هذه المعرفة ،

او ما يفخر به من أنه يملك مجموعة كبيرة في (اصول التاريخ والأدب) ، يتكتم في ذكر نصوصها ، ويبالغ في اخفائها وفي ذكر عدد اوراقها مما يدعو للشبهة اكثر مما تدعو اليه مقابلة كتاب في حين أن الكثير منها يرجع الى اصل مطبوع ، معروف لم ينفرد به ، وليعذر الدكتور ان الصراحة اولى من هذا التكتم ، وارجو ان يكون ظاهره كباطنه كما هو المأمول . وآخر ما اقوله انني لم اسند الفعل (ذُكرتْ) إلى التاء التي هي ضمير ابداً . والله ولي الأمر .

(بغداد) **عباس العزاوي**

أخطاء مطبعيــة

ورد في مقالي (العمراني وتاريخه) المنشور في الجزء الأول من (المجلد الثالث والعشرين) بعض اخطاء مطبعية تصحح كما يلي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٩	٢١	السنحاوي	السخاوي
٥٠	١		
٥١	١١	بمجنون	بمخبون
٥٢	٧	ابن جيب	ابن حبيب
٥٣	١٧	ابو اسحن	ابو اسحق
«	٢١	بدوام	بقدوم
٥٤	١٠	للتهجم	ليهجم
٥٧	١٣	حمر	أحمر
«	«	جاء بها	جاء
٦٠	١٥	القضاء	القضاة

حول (دمية القصر) للباخرزي

يُعجَب الباحث عن المخطوطات الإسلامية بما يكتبه الدكتور السيد أسعد طلس عن مكاتب فلسطين وايران وغيرها من المكتبات التي نجهل الكثير من مقتنياتها الثمينة وكنوزها الغالية . وهو بهذا العمل الطيب يدلنا على همة شماء وعزيمة ماضية لا تعرف الكلال ولا الملل أينما حلت وحيثما كانت ، ويستحق الشكر من كل محب للمخطوطات ومشتغل بإحيائها .

ونراه اذ يحدثنا عن مخطوطة من « دمية القصر » للباخرزي في مكتبة المجلس النيابي في طهران يقول في المجلد الثاني والعشرين ص ٣١٣ من هذه المجلة « وهي نسخة حسنة كاملة لا كالتي نشرت في حلب في المطبعة العلمية سنة ١٣٤٨ » . فهو يشير الى أن المطبوعة من هذا الكتاب فيها شيء من النقص بالنظر الى النسخة التي عثر عليها .

ثم نراه يقول في حديثه عن خزانة المدرسة الاسپهسالارية بطهران في المجلد نفسه ص ٥١٤ : « طبع الشيخ راغب الطباخ قطعة صغيرة من الدمية طبعاً مشوهاً في حلب عن نسخة المكتبة الأحمدية الناقصة » . فيخرج من حد البيان والافادة الى سبيل التسميع والتشويه من غير حق ولا داعية ، مما يدل على أن هناك حزازات شخصية بينه وبين ناشر « الدمية » تغلبت عليه في بعض ما كتبه ، وهذا ما نحب أن يربأ عنه حضرة الدكتور في مثل هذه الأبحاث والكتابات المفيدة التي يطالعنا بها بين الحين والحين .

على أن الأستاذ الشيخ راغب الطباخ اعتمد في نشره هذا الكتاب على ثلاث نسخ مخطوطة : نسخة المكتبة الأحمدية ونسخة المكتبة المارونية بحلب وهي بخط الأديب البارع العلامة يوسف البديعي ، والنسخة الثالثة من مخطوطات الموصل كما ألمع الى هذا في فاتحة النشر . ويندر جداً أن تكون هذه النسخ الثلاث ناقصة أو قطعة صغيرة ــ على حد تعبير الدكتور ــ تتفق من الأول الى الآخر وفي

البدء والختام ، مع اختلافها في التاريخ والموطن . وكلام حضرة الدكتور : « قطعة صغيرة » يفيد أن المطبوعة دون النصف أو الثلث أو هي الى الربع أقرب ! ولقد راجعت « دار الكتب المصرية » فرأيت فيها نسخة مخطوطة من « الدمية » من موقوفات علامة أوانه وأصمعي زمانه الشيخ محمد محمود التلاميد التركزي الشنقيطي الكبير ، وعليها بلاغات المقابلة من أولها الى آخرها وتوافق المطبوعة تمام الموافقة كما تبين لي من المقارنة بينهما .

على أنه إن صح ما يقوله الدكتور فقد تكون النسخة التي وقعت له فيها زيادات ألحقت بأصل المصنف وليست من عمله ، كما وقع في كثير من الكتب ، وهذا لا يجعل المطبوعة ناقصة أو قطعة صغيرة كما يقول الدكتور ، بل هي تامة وكاملة .

(القاهرة) **عبد الفتاح محمد الحزومي**

اعلان عن التنويه الأدبي

« يعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أنه قد ألف لجنة لدراسة الكتب القيمة في الثقافة الأدبية العليا للتنويه الأدبي بما يراه المجمع نافعاً في بابه من هذه الكتب دالاً على جهد وابتكار على أن تكون هذه الكتب مما ألف منذ سنة ١٩٤٤ !

وستدرس اللجنة ما يقدم اليها من هذه الكتب أو ما يطلع عليه أعضاء المجمع ، ثم يعقد المجمع في النهاية جلسة علنية للتنويه بخير الكتب وبأصحابها ، وسيعلن عن موعد هذه الجلسة بعد الانتهاء الى قرار » .

غلطة مطبعية

جاء في حاشية الصفحة ٤٤٥ من هذا الجزء : غبطة بطريرك انطاكية وسائر المشرق (للروم الأرثوذكس) وصوابه (للسريان الأرثوذكس) .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والعشرين

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٤٨　　　　٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٦٧

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٣ —

حرف الحاء (١)

الحاج : ܚܓܐ ، ܚܓ̈ܐ ، ܚܓܬܐ ، hogtho , hoguè , hago
قال ابن بهلول ص ٧١٥ الحاج ، الينبوت كذا أورده ابن سروشويه بحاء وجيم وقال هو الشوك الذي يحمل الخرنوب ، وفي معجم الألفاظ الزراعية ، حاج ، شوك الجمال ، عاقول ، والينبوت هو خرنوب المعزى أو خرّوب الخنزير (ص ١٣٥ و ٥٢٠ و ٤٥) وفي أقرب الموارد ١ : ٢٤٣ الحاج : نبت من الحمض ، وضرب من الشوك . وورد في نبوة اشعيا ٥٥ : ١٣ « وعوضاً عن الشوك يطلع الاذخر (٢) وفي بعض ميامر مار يعقوب السروجي (٣) .

(١) يستدرك على أقرب الموارد في قوله « ١ : ١٥٥ الحابورة مقعد اليهود في مجامعهم » ان اللفظة عبرية وسريانية النجار اذ أورد دليل الراغبين ܚܒܪܘܬܐ ܕܝܗܘܕܝܐ habroutho dihoudhoié بمعنى جماعة اليهود وكنيستهم.

(٢) عن الترجمة السريانية البسيطة وأما في الترجمات العربية فورد السر ومكان الاذخر انظر اللباب للقس جبرائيل قرداحي مج ١ ص ٣٨٨

(٣) الميمر ٦٨ مج ٣ ص ١٣ ٤

حاشا : ܚܫܐ ، ܚܫܬܐ hoché , hocho قال ابن بهلول ص ٧٧٧ و ٦١٩ وهو النومع القزوح ، صحح حنين حاشا وسماها سرجيس ܙܡܒܘܪܐ zambouré وهو حاشا ، صقر ، وقزح وكلاهما نبت طيب الرائحة يتبّل به الطعام ، كذا في دليل الراغبين ص ١٨٨ وذكره السيد اودو في قاموسه ووردت اللفظة في كتاب طبي عتيق مكتوب سنة ١٢٢٤ م وخلت منها دواوين اللغة ومعجم الألفاظ الزراعية .

حانة : ܚܢܘ honou والنسبة اليها حاني ، خمّار ܚܢܘܝܐ honouio .

حانوت : ܚܢܘܬܐ honoutho دكان الخمار ثم أطلقت على الدكان بنوع عام . جاء في تاج العروس حانوت ، فاعول من حنت . قال ابن سيده معروف وقد غلب على دكان الخمار وهو يذكر ويؤنث قال الأعشى :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني —

والحانوت أيضاً الخمار نفسه . وفي حديث عمر ، انه احرق بيت رويشد الثقفي وكان حانوتاً يعاقر فيه الخمر ويباع ، والنسبة اليه حاني وحانوي . قال ابن سيده ، وهذا نسب شاذ البتة لا أشذ منه ، لأن حانوتا صحيح وحاني وحانوي معتل اه .

قلنا الحانوت حرف سرياني مدلوله خمارة مخدع ويستدرك على التاج انه ليس من فعل حنت ، وعلى ابن سيده انه مخطئ في تعليله لأن حاني وحانوي منسوبان الى الحانة لا الى الحانوت .

الحُبّ بضم الحاء : اناء كبير للماء يشاكل الخابية من الفخار يستعمله أهل العراق ، قال الاسكافي ص ٥٦ الحب اكبر من الجرة ولا عروة له وجمعه حِباب وحِبَبَة ، وفي المصباح جمعه حِباب وحِببة وزان عنبة . قال ابن عبيد ١٠ : ١٠ أربيت الحبّ بالقير أصلحته به ، وفي الصحاح : الحبّ الخابية فارسي معرّب وهو مولد قال اصله خنب . وفي شفاء الغليل ص ٦٨ « اناء معروف للماء قال ابو منصور مولد وهو معرب خُنْب . وهو بمعنى المحبة عربي فصيح » اهـ !

قلنا هو معرب من السريانية ܚܘܒܐ houbo ولا شأن للمحبة فيه ·

حبيس : ܚܒܝܫܝܐ ، ܚܒܝܫܐ hbishoio , hbisho الحبيس صفة الراهب الناسك الذي حبس نفسه في صومعة منفرداً للتعبد لله ، والجمع حبساء ، جاء في كتاب المعمّرين للسجستاني : يدعون الرهبان بالحبساء : والحبيس في المعاجم المحبوس في سبيل الله أي المفرز لذلك ، فيقولون حبيس الله · وفي البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ١٩٤ ورد في فرس : هو حبيس في سبيل الله ان انزلتني عنه · ولم تنوه به دواوين اللغة بمدلوله الأول الذي وضع له · وجاء في مسالك الأبصار ص ٣١٠ دير اخويشا وحويشا ، بالسريانية الحبيس وهو باسعَرْد ، وانما نقله بحسب اللهجة الشرقية التي تسمى الكلدانية ·

الحُتامة : ما فضل على الطبق الذي يؤكل عليه قاله أبو عبيد في المخصص لابن سيدة ٥ : ١٢ وقال الفيروزبادي (القاموس ٤ : ٩٣) الحتامة ما يبقى على المائدة من الطعام أو ما سقط منه اذا أكل · وتحتم : اكلها (اي أكل الحتامة) فصاغوا منها هذا الفعل · وهي كلمة سريانية ܚܘܬܡܐ houthomo ومعناها : خاتمة ، نهاية ، اخر ، من فعل ܚܬܡ htham : ختم ، اكمل وأما فعل حتم العربي فمدلوله ، قضى وأوجب ، وأحكم ·

الحَجّ : لفظة عبرية الأصل منها أخذتها السريانية ثم أعارتها عرب النصارى ، اصل معناها دائرة رقاصين ، فرح ، سوق ، ثم انتقلت الى معنى مجمع ، محفل ، عيد حافل ، فزيارة مقدس ، واختصت بهذا الأخير وتنوسيت معانيها الأولى · ܚܓܐ hago والفعل ܚܓ و ܚܓܝ hagui , hague والثاني هو المأنوس : حجّ احتشد ، عيّد ، والفاعل ܚܓܝܐ hagoio (معجم ابن بهلول ، وكنز اللغة السريانية ، والدليل وفي نبوة اشعيا ٦٠ : ٥ « وتحج اليك عساكر الأمم » (الدين والدولة ص ٩٥) وقال ياقوت عن دير نجران « فكانوا (بنو عبد المدان) يحجونه هم وطوائف من العرب · (معجم البلدان ٤ : ١٧٨) وقال ابن القلانسي

في كتابه ذيل تاريخ دمشق ص ٦٩ في بيعة القيامة «هذه بيعة ... تعظمها النصارى أفضل تعظيم وتحج اليها عند فصحهم» .

حِرذون : ويُروى بالدال المهملة حردون : قال الفيروزابادي : ذكر الضب أو دويبة اخرى . وفي شفاء الغليل ص ٦٩ دابة تشبه الحرباء ، قال الأصمعي لا أدري صحتها في العربية ، وكذا في المعرب للجواليقي ص ١١٨ وكثر اختلافهم في حقيقة وصف هذه الدويبة ، والكلمة سريانية ܚܪܕܘܢܐ hardhono . وفي معجم ابن بهلول : الحرذون نوعان : بحريّ يسمى تمساح وبرّي ويسمى سقنقور وضبّ ، ويقال له بالفارسية دوزون او روزون ، وكيف ما كان الحال فان الكلمة سريانية .

حريف : وحرّيف : حاذق ولاذع : وبالسريانية ܚܪܝܦܐ harifo وهو من توافق اللغتين ، وفي شفاء الغليل ص ٧٤ «الحريف الحاذق ليس بلغوي لكنه غير بعيد من المعنى اللغوي وهو المعامل» .

الحزّاء والحزّاي والحازي : الكاهن الناظر البصير العليم (الجمهرة ١ : ١٧) العائف والعالم بالأمور من العبرية أي الناظر والنبيّ أو مأخوذة من السريانية ܚܙܝܐ hazoio أي المتفقد والناظر والحكيم . قال الجاحظ في كتاب التربيع والتدوير ص ٢٣٥ «ولم تجدهم سموا كهان العرب سحرة ولا العرّاف ساحراً ولا الحازي» وفي تاريخ الطبري مج ٢ : ١٠١ «فلما نزل عمرو بن تبان اسعد ابي كرب اليمن ، مُنع منه النوم وسُلّط عليه السهر فيما يزعمون فجعل لا ينام ، فلما جهده ذلك جعل يسأل الأطباء والحزاة من الكهّان والعرّافين عما به» وورد (الحازي) في شعر افنون (المفضليات ص ٥٢٣) قال :

الا لست في شيء فرَوحا مُعاديا ولا المشفقات اذ تبعنَ الحوازيا

(قال) الحوازي : الكواهن . ويقال فيه أيضاً ܚܙܘܝܐ hozouio والفعل ܚܙܐ hzo رأى ، أبصر ، نظر العواقب .

حَزاز الصخر : نباتات دنيا تعيش على الصخور والحيطان وقشور الشجر والتراب lichen (معجم الشهابي ص ٣٩٨) : سريانية ܚܙܙܝܬܐ hazozitho ٠

حُسبان : قال صاحب الجمهرة ١ : ٢٢١ حسِبت الشيء أحسبه حِسباناً من قولهم حسبت كذا في معنى ظننت ٠ وفي التاج ١ : ٤ ص ٢٢٥ الُحسبان بضم ج الحساب قاله الأخفش وتبعه ابو الهيثم نقله الجوهري والزمخشري وأقره الفِهري ، فهو يستعمل تارةً مفرداً ومصدراً وتارةً جمعاً لحساب اذا كان اسماً للمحسوب او غيره لأن المصادر لا تجمع ٠ قال ابو الهيثم يجمع أيضاً على أحسِبة مثل شِهاب وأشهِبة وشهبان ٠ وقال صاحب أساس البلاغة ١ : ١٧٢ رفع العامل حسابه وحسبانه ٠ وفي القرآن « الشمس والقمر بحُسبان » اي بعلم ، او يجريان بحساب معلوم مقدّر ٠ وقال صاحب التاج : من غريب التفسير ان الحُسبان في قول القرآن : والشمس والقمر بحُسبان : اسم جامد بمعنى الفلك من حساب الرحا ٠ وهو ما أحاط بها من أطرافها المستديرة ٠ قاله الخفاجي ونقله شيخنا ، يريد الفاسي اهـ ٠ وجاء في القرآن أيضاً « أو يرسل عليهم حُسباناً من السماء » قال ابو عبيدة : عذاباً ، ولا أدري ما أقول في هذا ٠

قلنا الُحسبان كلمة سريانية ܚܘܫܒܢܐ houchbono وجمعها حسابانات ، أورده البيروني في كتابه الآثار الباقية ص ٢٠ وفي ص ٦٤ قال : فاذا لهم جداول وحسبانات يستخرجون بها شهورهم ٠ وتفيد أيضاً معنى : فكر ، رأي ، قصد ٠

حُسبانة وحُسبان : وسادة صغيرة : وبالسريانية ܚܘܫܒܢܐ، ܚܘܫܒܐ houcbobo , houchbono [1] ٠

الحاصود : جاء في ذيل أقرب الموارد ص ١٣٥ : الحاصود : حكاه ابن جني عن احمد بن يحيى ولم يفسّره ، قال ابن سيده « ولا أدري ما هو » (اللسان)

(١) حسّارين : قال البيروني في الآثار الباقية ص ٥٦ فلأجل ذلك تنوعت السنة عندهم (عند اليهود) بثلثة انواع ، الأول منها يسمى « حسّارين » وتفسيره : الناقص . قلنا هو لفظ عبري وهكذا في السريانية ܚܣܝܪܐ haciro ناقص من فعل ܚܣܪ hçar نقص ، قل ٠

وقد وجدته في كتب المولّدين بمعنى الذي يحصد الزرع كما تستعمله عامة اهل بلادنا ج حواصيد ، وهكذا في الآثار الارامية لداود الجلبي ص ٣٣ وذكر مع اللسان مستدرك التاج .

فالحرف سرياني ܚܨܘܕܐ hoçoudo تداوله وجمعه اهل الموصل وحمص ولبنان ، فلا نرى بأساً من ضمه الى العربية الفصحى .

حِلْتِيت : صمغ الانجدان ، علك قيرواني . وفي التاج الحلّيت كسكّيت ، صمغ الانجدان كالحلتيت . قال ابن سيده : الحلتيت عربي او معرّب . وقال الأزهري الذي احفظه عن البحرانيين الحلتيت بالخاء : الانجزد ٢ قال ولا أراه عربياً محضاً . قلنا هو سرياني ܚܠܬܝܬܐ haltitho (الآثار الارامية للجلبي ص ٣٣) ووقعت في الكتاب الطبي السرياني العتيق .

حَلفاء : نبت ينبت في مغايض الماء والنزور ܚܠܦܐ ، ܚܠܦܐ hilfo haflo [1] .

حَنان : ذكر صاحب الفائق عن بلال ص ٣٠٣ قال : «مرّ عليه ورقة بن نوفل وهو يُعذَّب فقال لئن قتلتموه لأتّخذنّه حَناناً . أراد لأجعلنّ قبره موضع حَنان أي مَظِنَّة من رحمة الله ، فاتمسّح به متبرّكاً كما كان يُتمسَّح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله في الأمم الماضية فيرجع ذلك عاراً عليكم وسُبّة عند الناس . وورقة هو ابن عم خديجة وهو احد من كان على دين عيسى » اهـ .

قلنا : الحَنان هنا لفظة سريانية ܚܢܢܐ hnono وهو ما يجمع من تراب فوق اضرحة القديسين يُداف بماء ويشربه بعض الناس اهل اليقين الثخين تبرّكاً ، وليس معناه الرحمة وان توافقت اللفظتان السريانية والعربية .

(١) يستدرك على الجواليقي في قوله ص ١٢٠ : الحندقوق نبطي ولا أدري كيف أعربه، الا اني اقول : « الذّرق » بضم الذال وتشديدها وفتح الراء . ثم أورد فيه عن أبي زكرياء ، أربع لغات، قلنا انه حرف فارسي ومن الفارسية أخذته السريانية ܚܢܕܩܘܩܐ handaqouqo.

الحنّان : بتشديد النون : ذو الرحمة من الأسماء الحسنى ، رؤوف : ܚܢܢܐ hanono والحنان بتخفيف النون : الرأفة الرحمة : ܚܢܢܐ hnono والفعل ܚܢ : حنّ hane وفي مزامير داود : ١١٦ : ٥ الرب حنّان وصديق . والمادة سريانية .

الحنفآء : قال المسعودي في التنبيه والاشراف ص ٩١ « وهذه كلة سريانية عرّبت وانما هي حنيفوا وقيل جيء بحرف بين الباء والفاء ، وان ليس للسريانية فاء » اه ، انه يريد حرف V .

وقال عيسى بن علي : الحنيفية الجاهلية عبدة الأوثان الصابئة : من ܚܢܦܘܬܐ hanfoutho ومدلول ܚܢܦܐ hanfo وثني صابئ .

حَوْبة : جاء في التاج ٢٣٨ الحوبة رقّة فؤاد الأم ، والهم والحزن والحاجة والحالة .... والاثم . وفي التهذيب : ربّ تقبّل توبتي واغسل حوبتي . وورد في القرآن « انه كان حُوباً كبيراً » قال السيوطي في الاتقان : حَوْب تقدم في مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس انه قال حوباً : إنما بلغة الحبشية ؟ وفي التاج الحَوب : الفن والجهد والنوع والوجع والهلاك والبلاء . وتحوّب تأثم . اه . وفي المصباح : حاب حوباً اذا اكتسب الاثم ، والحَوبة بالفتح : الخطيئة . والمادة سريانية : ܚܘܒܬܐ hawbtho مدلولها : اثم ، واجب ، فريضة . والفعل ܚܒ hobe حاب و ܚܝܒ haièbe حوّب ܐܬܚܝܒ ethhaïabe تحوّب ، واسم المصدر ܚܘܒܐ بفتح الحاء hawbo الاثم والفاعل ܚܝܒܐ haiobo حائب وخائب .

حَوْر : عقل ، بصر منظر : ܚܘܪܐ hawro .

حَوَر : شجر معروف : ܚܘܪܢܝܬܐ ، ܚܘܪܐ hewro , hawronitho .

حُوّارى : دقيق وخبز أبيض . وفي فتوح البلدان للبلاذري « لما دخلوا الابلّة وجدوا خُبز الحوارى فقالوا هذا الذي كان يقال انه يسمّن » هو

حرف سرياني ܚܶܘܳܪܬܳܐ héworotho معناه : دقيق وخبز ابيض ، قال النمر :

لهـا ما تشتهي عسل مصفى وان شاءت فحُوّارى يسمن

حَواري : والجمع حواريون : رسل السيد المسيح : وفي اقرب الموارد : الحواري الناصر ، وقيل ناصر الأنبياء ، ومن هنا قيل لرسل المسيح الحواريون . والحواريُّ : القصّار لتحويره وتبييضه والحميم والناصح . وقال البيضاوي : حواريّ الرجل ، خالصته وهو البياض الخالص . وجاء في التاج « الحواريون خلصان الأنبياء وصفوتهم ... كانوا خلصاء عيسى وانصاره . وقيل لهم الحواريون للبياض لأنهم كانوا قصارين ... وتأويل الحواريين في اللغة الذين اخلصوا من كل عيب » وفي معجم الأدباء ١٦ : ١٦٣ هذا الزبير بن العوام حواري الرسول . وأخطأ صاحب التاج ، وابن سيده في زعمه عن ابن عبيد ان الحواريين سموا بذلك لأنهم كانوا قصّارين (٩ : ١٥٩) ومثلهم الفيومي في المصباح وابن ابي حاتم الذي اخرج عن الضحاك فقال : الحواريون الغسّالون بالنبطية وأصله هوارى (كذا) (الاتقان للسيوطي ص ١٣١) .

قلنا ان مادة حوّر أي بيَّض وما تفرّع منها مما توافقت فيه السريانية والعربية ܚܰܘܰܪ hwar بيَّض ܚܶܘܳܪܳܐ héworo ابيض ، وتفسير بعضهم « الحواريين » بخلوصهم من كل عيب ونقاوة قلوبهم وطهارة أثوابهم ، هو اجتهاد في الرأي ، اما انهم كانوا قصّارين او غسّالين ، فلا صحة له أصلاً .

قا ابو القاسم الراغب الاصفهاني في كتابه « المفردات في غريب القرآن » ص ١٣١ « الحواريّون أنصار عيسى قيل كانوا قصّارين وقيل كانوا صيادين وقال بعض العلماء انما سموا حواريين لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم ... قال وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه ، وتُصوّر منه من لم يتخصص بمعرفته الحقائق ، المهنة المتداولة بين العامة . قال وانما كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس من الحيرة وقودهم الى الحقّ » .

ولفظة ܚܘܪܐ héworé بمعنى الحواريين خلا منهـا المعجم القديم ومعجما ابن بهلول والمطران توما اودو ، وأوردها صاحبا اللباب ودليل الراغبين .

على ان نولدكي العالم الألماني المتوفى عام ١٩٣٠ م ذهب الى ان الكلمة حبشية النجار (حواريا) ومدلولها الرسول ، وتابعه على رأيه كل من بحث بعده فيها [١] ، ونحن نرى في رأي الرجل اصابة وجودة .

حَوْك : باذروج ، نبت ܚܘܩܐ hawqo .

الحَوْل ، والحَيْل : القدرة على التصرف والحَيل القوة ، لغة في الحول ، سريانية ܚܝܠܐ ، ܚܝܠ hil , hailo : قوة ، قدرة ، طاقة ، امكانية ، والفعل ܚܝܠ haïèle قوّى ايّد ، قال ابو حيّان التوحيدي في كتاب الإمتاع والمؤانسة ص ١٥ « لأن الانسان صغير الحجم ضعيف الحَول » .

وأما قول الكسائي في « لا حيلَ ولا قوة الا بالله ، والمعنى ذا الكَيْد والمكر الشديد لأن اصل الحَوْل الحركة والاستطاعة » في ماذكر صاحب الفائق ص ٣١٧ ، فهو غلط صوابه : لا طاقةَ ولا قوةَ الا بالله .

حِياصة : ܚܝܨܐ ، ܚܘܝܨܐ houioço , heoço نطاق ، حزام ، وثاق ، والفعل ܚܝܨ haièce نطّق ، زنّر ، جاء في التاج : الحياصة . . . سير في الحزام وقيل سير طويل يشد به حزام السرج وفي التهذيب الدابة (حزام الدابة) قلت هذا هو الأصل وقد استعمل في كل ما يشدّ به الانسان حقوه ، شامية » اه ، فالكلمة سريانية وكان يتداول استعمالها اهل الشام ولا تزال معروفة في الموصل [٢] .

حَير : حمىً ، معقل حوله الخندق ، معسكر : وفي مسالك الابصار لابن فضل الله العمري ص ١٣٥ « وأخذ (سليمان) في بناء المسجد فلم يثبت البناء وكان عليه حَيْر بناه داود » اه ، وعلّق عليه الطابع : شبه الحظيرة والحمى . والكلمة سريانية النجار ܚܝܪܬܐ hirtho .

(١) نستثني الكرملي الذي التبس عليه وجه الصواب فبدا له رأي سقيم نفيّله وتضعّفه ، بزعمه ان الحواري لغة في « الحوالي » نسبة الى الحوالة ، ومعناها المحوّل على الجهلة ليعلمهم الآداب والدين ! (مجلة لغة العرب جزء ٩ : ٦٦٤ » (٢) راجع الآثار الآرامية للجلبي .

حرف الخاء

خابية : قال الاسكافي : الخابية أعظم من الحبّ ، وقيل فيها حُبّ ، جرة ضخمة ܚܒܝܬܐ ، ܚܒܝܬܐ habitho , hobitho والجمع خوابي ·

خَبالية : قال في الجمهرة ص ٢٣٩ واهل اليمن يقولون للرجل اذا رثوا له من عيب فيه : (خباليه من كذا وكذا) اخرجوها مخرج حنانيه وهذاذية وما اشبه ذلك ، وهي سريانية ܚܒܠܘܗܝ hbolaw أسفًا عليه ܚܒܠܝܟ hbolaiq أسفًا عليك ولا تزال جارية على ألسن أهل دمشق ·

خَبيص : حلواء من سميد وسمن وعسل ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٣٦ « فذاق الخبيص فقال ان هذا لطيب اثر ، اكلّ المهاجرين اكل منه شبعه · وفي ص ٣٤٨ أتى نهر المرأة ···· فزودته خبيصا فجعل يقول اطعمونا من دقيق المرأة · وهو بالسريانية ܚܒܝܨܐ habiço ·

خَتَن : صهر الرجل المتزوج بابنته او باخته ، قاله ابن سيدة ٣ : ١٥٢ هو حرف سرياني ܚܬܢܐ hathno والفعل ܚܬܢ hathène خاتن ، صاهر ، والمصدر ܚܬܢܘܬܐ hathnoutho مخاتنة ·

خَرَبَق كجعفر : نبت كالسمّ يغشي على آكله ولا يقتله ، وخربق دواء : ܚܘܪܒܩܢܐ hourbaqno ·

خَرَبَق : في التاج : خربق النبتُ اتصل بعضه ببعض ، وخربقَ العمل : افسده · ومثله في أقرب الموارد وبالسريانية ܚܪܒܩ harbèq : عقَل ، شبّك ، ربك ·

(١) خشل : الحليّ عامية في بلاد العراق : ووقعت في كلام كمال الدين ابن الفوطي ، في كتابه « الحوادث الجامعة في المئة السابعة ، طبعة بغداد سنة ١٩٣٢ » · « فدخل جماعة معهم ثياب وخشل » ص ١١٨ واللفظة سريانية ܚܫܠܐ hechlo وأوردها أيضاً ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ٤٤٦ « وفي سنة ٦٤١ خرّب يساور نوين ملطية وأخذ منها أموالاً عظيمة حتى خشل النساء » .

خرنوب : خرّوب شجر معروف ܚܪܽܘܒܳܐ haroubo وفي انجيل لوقا ١٥ : ١٦ « ان يملأ بطنه من الخرنوب » .

خسّ الحمار : ܚܰܣ ܚܡܳܪܳܐ Hass - hmoro .

خُصّ : بيت من قصب ، وبيت يسقّف بخشبة : ܚܽܘܨܳܐ houço وورد في معجم الأدباء ١١ : ٧٤ في ترجمة الخليل بن احمد « قال النضر بن شُمَيل : أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خصّ لا يُشعَر به » وفي معجم البلدان ٧ : ٢٩٧ قال ابن عباس كانت منازل اهل الكوفة قبل ان تُبنى اخصاصاً من قصب . والأخصاص ج خُصّ .

خَصين : قال الاسكافي ص ٨٤ « الخصين فأس ذات خَلْف واحد » سريانية : ܚܰܨܺܝܢܳܐ hacino معناها : فأس ، فأس صغيرة .

خِلاف : صنف من الصفصاف ܚܶܠܦܳܐ helfo ܚܽܘܠܳܦܳܐ houlofo .

خُناق : بضم الخاء : داء يمتنع معه نفوذ النَفَس الى الرئة والقلب . والجمع خوانيق (التاج وأقرب الموارد) وهوبالسريانية ܚܽܢܳܘܩܳܐ : honouqo : داء الخُناق .

خِنّوص : ولد الخنزير : ܚܰܢܽܘܨܳܐ hanouço .

خُوذة : المِغْفَر ، معرّب ج خُوَذ (أقرب الموارد) انه معرب من السريانية ܚܽܘܕܳܐ houdho وفي سفر صموئيل الأول ١٧ : ٥ « وعلى رأسه خوذة من نحاس »

خور اسقف : اسقف الكورة : ܟܽܘܪܐܶܦܺܣܩܽܘܦܳܐ Kourepis coufo لفظة مركبة تركيباً مزجياً من (كورا) couro السريانية (واسقف) اليونانية ، وخففت فقيل فيها خوري ، والجمع خوارنة ، وذلك بعد ان تطورت سلطة صاحبها . فليست معربة من اليونانية كما قال صاحب أقرب الموارد ، ويستدرك عليه أيضاً قوله : الخورية زوجة الخوري اذ هي لفظة عامية تجوّز باستعمالها أهل بلاد الشام . والذي ورد في معجم ابن بهلول عمود ١٥٩٤ « ان زوجة الكاهن أي الكاهنة تسمى ܦܳܦܺܝܳܐ papia وهذا لأجل كرامة الكاهن لتتميز بهذا

اللقب من باقي النساء » اه ، كذا بحروفه نقلاً عن النسختين المطبوعة والخطية ·

خَوص : ورق النخل خاصة ܚܘܨܐ houço ·

* * *

حرف الدال

الدالية : الكرمة جمعها دوالي لفظة سريانية ܕܘܠܝܬܐ dolitho قال الخفاجي في شفاء الغليل ص ٨٨ الدالية الذي يستخرج الماء من البئر بدلو ونحوه ، واستعمالها للعنب المعرّش خطأ قاله الزبيدي · وفي القاموس : الدوالي عنب اسود غير حالك ، وفي أقرب الموارد : الدالية شجرة الكرم وهذه مولَّدة · ولم ترد في الأساس والمصباح بهذا المعنى · وجاء في الفائق ص ٤٠٦ « قالت ام المنذر العدَويّة دخل عليٌّ الرسول ومعه عليّ ولنا دوالٍ معلقة نقام فأكل ··· والدوالي بُسر يعلَّق فاذا ارطب أكل وهي من التدلية » ·

دانَ : حكم ، وفي الأساس ١ : ٢٩١ : دِنته بما صنع جزيته : اللفظة سريانية ܕܢ done ·

الدِّين : والمصدر الدين : ومنه يوم الدِّين ويوم الدينونة : يوم الحشر : ܕܝܢܐ dino (١) والله الدَيّان : ܕܝܢܐ daino قال ابو العتاهية من شعر وجّه به الى الرشيد ·

الى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ

وفي حماسة البحتري لعتاهية بن سفيان الكلبي :

فاضحوا احاديثًا لغادٍ ورائحٍ بدينهمُ بالخير والشر ديّانُ

والديّان القاضي ، ومنه ، وكان عليٌّ ديّانَ هذه الأمة بعد نبيّها أي قاضيها · وقال الأعشى للرسول : يا سيّد الناس وديّان العرب (الفائق ٤٢٣) وفي الحديث : مكتوب في الانجيل « كما تدين تُدان » ·

(١) وورد الدين بمعنى القضاء في اللغة البابلية قال الأب بولس دورم الدومنكي في كتابه « الديانة الاثورية البابلية ص ٨٣ bêldîni معناها سيّد القضاء ،

دارس : مدارس قال في الاتقان : دارست معناه قارأت بلغة اليهود ، وفي أساس البلاغة ١ : ٢٦٨ اجتمعت اليهود في مدارسهم ، وهو بيت تُدرس فيه التوراة . والفعل عبريّ وسرياني : ܕܪܫ drashe وفي العُباب « المدارس الموضع الذي يقرأ فيه القرآن وكذلك مدارس اليهود » .

مِدراش : بالشين المعجمة ، وهو ترنيمة يستعملها السريان في صلواتهم واول من نظمها القديس افرام السرياني المتوفى سنة ٣٧٣ م والجمع مداريش ܡܕܪ̈ܫܐ madrosho ويجب ادخالها في المعاجم .

دبس : عسل العنب ، وفي الأساس ١ : ٢٦٢ ائتدموا بالدبس وهو عصارة الرطب ، سريانية ܕܒܫܐ debcho .

الدباسات : بتخفيف الباء ذكرها الدينوري وفسَّرها بالخلايا الأهلية (التاج) وهي معربة من السريانية ܕܒܫܬܐ ج ܕ̈ܒܫܬܐ dabochotho , dabochto .

دَبُور : زُنبور ، سريانية ܕܒܘܪܐ dobouro جنس حشرات من فصيلة الزنبوريات ورتبة غشائيات الأجنحة (معجم الشهابي ص ٢٨٧ و٣٢١) .

دُبيْرة تصغير دَبْرة قال صاحب الفائق ص ٣٨٤ « سميت بذلك لتدبّرها ونيقتها في عمل العسل » قلنا اللفظة سريانية ܕܒܘܪܬܐ و ܕܒܘܪܝܬܐ débourito , débourto .

دَجّ : افضل الطير البرّي ، من رتبة العصافير ذات المنقار المسنَّن من نوع الشحرور ، ومن أحسن طيور الصيد . سرياني : ܕܘܓܐ dougo (الآثار الارامية للحلبي ص ٣٨ و ٣٩) .

دَجّال : الدجّال : الكذّاب المموه (التاج ٣ : ٣٣٨) ولقب المسيح الدجال (اي الضلّيل الكذّاب الذي يظهر في آخر الزمان) وفي الفائق ص ٣٨٦ « ان أبابكر خطب فاطمة فقال الرسول اني وعدتها بعلي ولست بدجّال ، اي خدّاع واصل الدَّجْل ، الخلط وبه سمي مسيح الضلالة لخلطه الحق بالباطل »

وفي حديث جس ٣٦٥ لم يسلّط على الدجال الا عيسى بن مريم . وفي كتاب التربيع والتدوير للجاحظ ص ١٩٩ «من ابو جرهم ومن رهط الدجال» وفي كتاب ليس : لم يسمع جمع الدجال من احد الا من مالك بن أنس فقيه المدينة ، فانه قال هؤلاء الدجاجلة كما ورد في معجم الأدباء لياقوت ١٨ : ٨ «فقال له رجل : ان محمد بن اسحق يقول اعرضوا عليّ علم مالك بن انس فاني انا بيطاره (الخبير به) فقال مالك : انظروا الى دجّال من الدجاجلة . قال ابن ادريس : وما رأيت احداً جمع الدجال قبله» اه .

اللفظة سريانية ܕܓܳܠܳܐ dagolo من فعل ܕܓܶܠ و ܕܓܰܠ دجّل ، كذب daguèle , dgal والمصدر ܕܓܳܠܽܘܬܳܐ dagoloutho : كذب ، خداع .

دَخَس : دخس الشيء في التراب ، دسّه (أقرب الموارد) ܕܟܰܫ dcache وردت في قصة الشهيدين شمونا وكوريا[1] .

درابزون : الدرابزين والدرابزون : قوائم خشب او حديد ، اعجمية (اقرب الموارد) وعندنا انها سريانية ܪܽܘܨܒܳܘܢܳܐ rouçbono وفي سفر الملوك الأول ١٠ : ١٢ وعمل سليمان من خشب الصندل درابزيناً .

دُرّاج : طائر ملوّن الريش يشبه الحجل ܕܪܳܘܓܳܐ darogho .

دراقن : قال الجواليقي في المعرّب ص ١٤٣ «قال ابن دريد (الجمهرة ٣ : ٥٠٣ و ٣٣٤ و ٣٩٦) وعرب الشام يسمون الخوخ الدراقن وهو معرب ، سرياني او رومي» ومنه نقل صاحب شفاء الغليل ص ٨٣ . وقال السيوطي في المزهر ١ : ١٦٧ (درافن بالتخفيف : الخَوخ لغة شامية لا احسبها عربية) . قلنا هي سريانية ܕܪܽܘܩܺܝܢܳܐ drouqino .

دَرْب : طريق : قال في المصباح ٢٩٣ الدرب المدخل بين جبلين والجمع دروب وليس أصله عربياً ، والعرب تستعمله في معنى الباب فيقال لباب السكة

(١) الفها ثاوفيلس في صدر المئة الرابعة للميلاد قال ما تفسيره «وادخس كلا من اقدامكم في قفص من حديد» (مقدمة دليل الراغبين ص ٢١ ولعلها من توافق اللغات) .

درب وللمدخل الضيق درب لأنه كالباب لما يفضي اليه · أورد هذا الأستاذ سليم الجندي في رسالة الطرق (المجلة مج ١٩ : ٣٣٢) وأردف قوله : « وفي اللسان : الدرب باب السكة الواسع او الواسعة والجمع دروب » واعتمد صاحب المصباح على المعرب للجواليقي قال ص ١٥٣ « والدروب : ليس أصلها عربياً ، والعرب تستعملها في معنى الأبواب · ويقال لهذه المداخل الضيقة من بلاد الروم « دروب » لأنها كالأبواب لما تفضي اليه · وقد استعملوا ذلك قديماً · قال امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونَه وايقنَ انّا لاحقانِ بقيصرا

وانكر شارح الكتاب على الجواليقي قوله وذكر أن ابن دريد قال « الدرب : الباب عربي معروف » (الجمهرة ١ : ٢٤٣) ·

واللفظة عندنا سريانية ܕܪܒܐ : درب طريق · وفيها لغة ثانية ܕܘܪܒܐ dourbo , derbo [1] ·

دَسْكَرة : قال الجواليقي في المعرب ص ١٥٠ « بناء شبه قصر حوله بيوت تكون للملوك والجمع دساكر وهو معرب » وفي النهاية « الدسكرة بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم ، وليست بعربية محضة » ومثله في التاج ماعدا العبارة الدالة على أصله · وفي اللسان « الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي قال الأخطل :

في قباب عند دسكرةٍ حولها الزيتونُ قد ينعا

وقيل هذا البيت لأبي دهبل ، وقيل ليزيد وقيل للأحوص · (اسما منتخبة لمسميات حديثة ، للسيد احمد رضا : في المجلة مج ١٦ ص ٢١) وقال : والدسكرة اذا صح انها غير عربية ، فهي معربة في الزمن الأول) ·

(١) الدربخة : الاصغاء الى الشيء ، قال ابن دريد « وهو مما أخذوه من السريانية » اهـ المزهر ١ : ١٦٦ — قلت ليس هذا الحرف في السريانية — ومن هذا وأمثاله ترى ان ابن دريد واضرابه وان تقادم عهدهم ، لا يطبّقون مفاصل الصواب في سائر آرائهم في نجار الألفاظ .

قلنا أوردها دليل الراغبين دون بقية المعاجم ܕܣܩܪܬܐ dasqartho : مدلولها : دسكرة ، قرية عظيمة ، بناء يشبه القصر حواليه بيوت للملوك والعظماء ، صومعة كرح ، جمعها دساكر . وفي نبوة اشعيا ٣٥ : ٢ «ستعطى باحمد محاسن لبنان وكثل حسن الدساكر والرياض» (الدين والدولة ص ٨٥) .

دِفران : عَرعَر ، ابهل ، شجر له رائحة طيبة وثمره كالنسبق ، قال الشهابي صاحب معجم الألفاظ الزراعية ص ٣٠٢ «عرعر الشام genévrier الدفران ، شامية لم أجدها في كتب اللغة ولا في المفردات وهي سريانية» قلنا ܕܦܪܢܐ بفتح الدال dafrono ويسمى حب العَرعَر ܒܢܬ ܕܦܪܢܐ bnoth dafrono .

دقل : جاء في مجلة لغة العرب ٥ : ٩ ص ٣٢٤ (الدقل جاء عن كثيرين من المؤلفين بمعنى النخل والنخلة ، فالكلمة عربية وعبرية في وقت واحد» كذا . قلنا وسريانية أيضاً ܕܩܠܐ ، ܕܩܠܬܐ ، ܕܩܠܘܢܐ , deqltho , deqlo deqlouno وفي المزامير ٩٢ : ١٢ «الصدّيق كالنخلة يزهو» وفي ترجمة التوراة السريانية البسيطة وردت لفظة الدقل . فهو من توافق اللغات .

---

(١) الداشِن معرب الدَشن: جاء في اللسان والقاموس والتاج وأقرب الموارد ان مدلولها الثوب الجديد لم يُلبَس والدار الجديدة لم تُسكن ، ومنه اثبت الأخير فعل دشّن الثوب ، والمعبد . وقال فيها اللسان والتاج ان الداشن كلام عراقي وليس من كلام أهل البادية . ونُقل عن الجواليقي ص ١٤٥ عن الليث والنضر ابن شميل ان اللفظة معربة . وقال بعض المعاصرين لنا انها فارسية النجار معناها «العطاء والاحسان» ولهذا ورد في القاموس واقرب الموارد ان دشَنَ معناه أعطى ، وتدشّن أخذ .

وفسر صاحب المعجم السرياني القديم وابن بهلول لفظة ܕܘܫܢܐ doshno وجمعها ܕܘܫܢ̈ܐ doshné بالهدية ، والدشن . والدواشن والصّلات والهدايا ، أما المعاجم الجديدة فخلت من لفظتي الدشن والدواشن مما يدل على أنهما كانتا متداولتين في القرن العاشر الميلادي . ومنه فعل ܕܫܢ dashéne ومعناه أهدى ، منح ، وهب ، كفعل دَشَنَ العربي ، فقال المطران ادى شير بفارسيتها او انها من توافق اللغات ، ورجح الدكتور الجلبي آراميتها لاثبات الفعل منها بخلاف الفارسية ، وحجته استعمال عامي عراقي لها بمعنى باكورة الثمر او البقل تُهدى الى الأكابر استدراراً لعطائهم وذلك جمعاً بين معنى الهدية والجديد . (الآثار ص ٤٠) .

دكدك : دقّ مراراً ، صيّر شيئاً تراباً ورميا . تدكدكت الجبال تهدّمت ، ودكداك : ارض فيها غلظ : ܕܚܕܚܐ dahdahe ، وفي نبوة اشعيا ٤٠ : ٤ « وتصير الآكام دكداكا » (الدين والدولة ص ٨٥) .

دُلب : قال الشهابي ص ٥٠٤ « الدُّلب من اصل سامي له اشباه بالآثورية والارامية ، جنس شجر للتزيين » ܕܘܠܒܐ doulbo .

دُمية : شبه ، شكل ، صورة ، لفظة سريانية ܕܡܘܬܐ dmoutho و ܕܘܡܝܐ doumio والفعل ܕܡܐ و ܕܡܐ dami , dmo شابَه ، مثّل ، صوّر . جمعها الدمى : قال في التاج ١٠ : ١٣١ « الدمية الصورة المنقشة من الرخام (عن الليث) وفي الصحاح : الصورة من العاج ونحوه او عامٌ من كل شيء مستحسن في البياض ، او الصورة عامة ، وقال ابن الأثير : هي الصورة المصورة لأنه يتنوّق في صنعها ويُبالغ في تحسينها . قال الأعشى (التاج ٦ : ٣٤٤) وحُورٍ كأمثالِ الدُّمى ومناصفُ ، وقال الأخوص (الأغاني ٤ : ١٤٢) :

كأنّ لُبنى حبير غاديةٍ او دُميةٌ زُيّنت بها البِيَع

وقال عمرو بن أبي ربيعة (الكامل للمبرّد ص ٣٠٧)

دُميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوّروها في جانب المحرابِ

(آداب نصارى الجاهلية للأب شيخو ص ٣٥٤) وقد غلط اللغويون في توهمهم أنها عربية الأصل ، وتمحّل بعضهم تعليلاً لها مغلوطاً فيه كقول ابي العلاء الذي عنه نقل التاج « قال سمّيت دُمية لأنها كانت تصوّر بالحمرة فكأنها أُخذت من الدم » ويقرب منه قول الأساس ١ : ٢٨٤ « جارية كدُمية القصر وجوارٍ كالدُّمى وهي الصورة المنقشة وفيها حمرة كالدم » .

الدِّنح : الظهور يراد به عيد الغطاس او العماد ܕܢܚܐ denho لفظة سريانية اسم مصدر من فعل ܕܢܚ dnah شرق ، ظهر ، لاح ، طلع . وتسمى به بعض السريانيين ، ومنهم ابو زكرياء دنحا الذي جرت بين المسعودي وبينه مناظرات

كثيرة ببغداد وغيرها[1] قال البيروني ص ٢٩٣ «وفي السادس من كانون الآخر دنحا، وهو عيد الدنح نفسه، ويوم المعمودية الذي صبغ فيه يحيى بن زكريا المسيح وغمسه في ماء المعمودية» وهكذا ابو الفداء في تاريخه ١ : ٩١ قال ابن دريد ولا أحسبها عربية وقد تكلمت بها العرب (المخصص ١٣ : ١٠٢) وجاء في التاج ٢ : ١٣٨ لا أحسبها عربية صحيحة عيد للنصارى وتكلمت به العرب، ثم علق بقوله «الدنح لفظ سرياني واصل معناه الطلوع» اه، وقال الجواليقي ص ١٤٤ «ليست عربية محضة وهي معربة».

دُوغ : مخيض حامض أورده الجواليقي في المعرّب ص ١٥٥ «قال ابو زيد «الدّوق» اللبن الكثير قال ابو حاتم، لعله فارسي معرب، يريد (الدُّوغ) وفي القاموس «الدوغ بالضم : المخيض فارسي» وهو بالسريانية ܕܘܓܐ فلعلها من توافق اللغات، dowgho .

الدّير : المسكن والمنزل الذى يسكن فيه جماعة الرهبان او الرواهب يتعبدون لله جلّ ثناؤه والجمع ديارات وديرة واديار، وهو لفظ سرياني بحت ܕܝܪܐ dairo والفعل ܕܪ و ܕܝܪ ومعناه حلّ وأقام daïare , dore وهذا الثاني هو المأنوس . وساكن الدير ܕܝܪܝܐ راهب، ناسك، ديراني، ديّار dairoio ورأس الدير : ܪܝܫܕܝܪܐ richdairo والراهبة ديرانية، وقال فيها بعضهم ديرية : ܕܝܪܝܬܐ، ܕܝܪܢܝܬܐ daironᵉitho , dairoito وليس اصله الدار كما زعم الجوهري (معجم البلدان ٤ : ١١٨) قال صاحب الأساس ١ : ٢٩١ «هذا دير الراهب اي صومعته، ومررت بديراني وديّار وهو الذي يسكن الدير ويعمّره»[2] . وعن الشابشتي عن الفضل بن العباس بن المأمون، انه خرج مع المعتز للصيد . . . فسألني الديراني عن المعتز ويونس» (مسالك

---

(١) اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ٣٥٦ : ٣٥٧ عن التنبيه والاشراف ص ١٥٥ وفيه ورد اسمه مصحفاً ذنحا او دنخا . (٢) راجع أيضاً مسالك الأبصار ١ : ٣٤٠ و ٣٤١ .

الأبصار لابن فضل الله العمري ص ٢٨٣) ، وجاء فيه أيضاً ص ٢٦٩ عن اسحق الموصلي قال « ودخلت الدير اطوف فيه فرأيت ديرانية » ووردت الديرانية ، أيضاً في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٢٩ وفي معجم البكري ص ٣٧٧ وقال ابو منصور « صاحب الدير الذي يسكنه ويعمّره : ديراني وديّار » معجم البلدان ٤ : ١١٨ ، وجاءت لفظة ديرية بمعنى الراهبة في مسالك الأبصار ١ : ٢٦٠ « عشرين ديرية » ويستدرك على ياقوت في معجمه (٤ : ١١٨) قوله : « الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم انما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال (فأن كان في المصر كان كنيسة او بيعة) واصوب منه قول المقريزي (الخطط ٣ : ٤٠٩) « الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به ، والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة » وينكر على اصحاب اللسان ٥ : ٢٨٧ والتاج والقاموس وابن سيده تعريفهم الدير بانه « خان النصارى » ! وقد دفعهم الى هذا التعسف الظاهر ان معظم الديارات كانت تنزلها القوافل لوقوعها على الطريق فتجد فيها ما تحتاج اليه من مأوى وطعام وعلف ، وخصوصاً أبناء السبيل . قال الخالدي في دير الزعفران الذي هو على جبل مطلّ على نصيبين وديار ربيعة ... « ولهذا الدير بيوت للضيافة في علوّ الهيكل » (مسالك الأبصار ص ٣٠٥) راجع أيضاً فيه ص ٣٠٧ [1] .

* * *

(١) قال الجواليقي ص ١٤٩ (لا دهل) بالنبطية معناها لا تخف . وقد جاء في شعر بشّار : (فقلت له لا دهل من قمل بعدما) . قال الأزهري « وليس لأ دهل ولا قمل) من كلام العرب ، انما هو كلام النبط يسمون الجمل : قمل » قلنا ܕܚܠܐ dehlo مصدر فعل ܕܚܠ dhèle خاف وهو بالحاء لا بالهاء معناه ، لا خوف . والجمل بالسريانية ܓܡܠܐ (كملا) بالجيم المصرية gamlo ولعلهم بها كانوا يلفظون اسم الجمل . وقال أيضاً ص ١٥٥ « الديّوث عن ابي بكر ، كلمة أحسبها عبرانية أو سريانية » قلنا ليست سريانية .

حرف الذال

مَذبَح : المذبح اسم مكان من فعل ذبح الذي توافقت فيه السريانية والعبرية والعربية . جاء في المصباح : «ومذبح الكنيسة كمحراب المسجد والجمع مذابح» وغلط صاحب القاموس بقوله «المذابح المحاريب والمقاصير وبيوت كتب النصارى» قال صاحب الفائق ص ٤٢٨ عن مروان : «أُتي برجل ارتدَّ عن الاسلام فقال كعب أُدخلوه المذابحَ وضعوا التوراة وحلّفوه بالله ، قال شَمِر : المذابح : المقاصير ويقال هي المحاريب» . والمذبح في العُرف المسيحي «مائدة مستطيلة الشكل مستويته تكون في صدر البيعة يقرّب عليها القسيس القربان الإلهي ، ويطلق أيضاً على البيت الذي في صدر البيعة المشتمل على موائد التقديس ومحلّ الاكليروس في أثناء ذلك» بهذا التعريف يجب تدوينه في دواوين اللغة . واللفظة السريانية ܡܕܒܚܐ madhbho وفي سفر التكوين ٨ : ٢٠ «وبنى نوح مذبحاً للرب» وفي الرسالة الى العبرانيين ١٣ : ١٠ «لنا مذبح لا يحِل للذين يخدمون قبّة الزمان أن يأكلوا منه»

ذَقَن : وذقن : مجتمع اللحيين من اسفلهما (القاموس واقرب الموارد) وفي الشفاء ص ٩٣ (... واستعماله بمعنى اللحية من كلام المولدين كما صرحوا به) وفي ذيل أقرب الموارد ... قال الزمخشري في ربيع الأبرار : «انه اللحية في كلام النبط» عن التاج : كلمة سريانية ܕܩܢ ، ܕܩܢܐ dakno , dkane : ذقن لحية ، والفعل ܕܩܶܢ dakène التحى ، أرخى لحيته .

ذِكْران : كلمة سريانية ܕܘܟܪܢܐ doukhrono مصدر فعل ܕܟܰܪ dkhar معناه : ذِكْر بكسر الذال واسكان الكاف ، شهرة ، صيت ، مدح ، تذكار عيد . عم استعمالها المسيحيين من السريان والكلدان والروم قديماً تعريباً من السريانية ، وجمعها ذكارين وذكرانات ، اكثر البيروني من ايرادها في الآثار الباقية ، من ذلك ص ٢٨٨ «في ما يستعمله النصاري الملكائية في الشهور

السريانية : تشرين الأول في اليوم الأول منه ذِكران حنين الأسقف الشهيد تلميذ بولس (صوابه معلم بولس) ومن رسومهم في هذه الذكارين انهم يذكرون صاحبه ويدعون له ويثنون عليه ... وربما قسم الذكارين بعضهم على بعض فيقولون فلان صاحب ذكران فلان ، فاذا كان الذكران اجتمعوا عنده فأضافهم واطعمهم . وقال ص ٢٩٤ واذا كانوا صائمين (يريد الصيام الأربعيني) لم يستعملوا من الذكرانات التي نذكرها الا ما وقع منها يوم السبت فانهم يستعملونه فقط » وقال ص ٣٠٠ « وبين اسم الذِكران والعيد فرق . فان العيد اجلّ رتبة والذكران ادون » اهـ ، وقال الأب الكرملي في لغة العرب ٤ : ٨ ص ١٥٩ والكلمة ارامية معناها يوم العيد المخصص باحد اولياء الله من غير ان ينقطع الناس فيه عن الأشغال المتبعة . لأن اعياد النصارى على قسمين قسم لا يجوز فيه الأشغال المتبعة ، وقسم تجوز فيه تلك الأعمال ، وهذا القسم الأخير هو المعروف بالذكران بضم فاسكان اهـ ، ورواها بالدال المهملة ومرة بالمعجمة ، قلنا والكسر فيها أضبط من الضم . ووردت في كتاب الناموس في قوانين ابيفانيوس عد ١٠١ « القداسات التي تقدس في ذكارينهم » وفي قوانين مجمع نيقية الأول : « وكانوا يعملون له الذكارين في كل سنة » وفي كتاب المجدل لماري بن سليمان ص ١٥ « وعملوا له الذكارين لظنهم انه توفي » وقال ابو الفرج الاصبهاني في فتاة قصدت الى بعض الديارات :

ابرزها الذِكرانُ من خدرها تُعَظِّم الديرَ ورهبانَهُ

(معجم الأدباء ١٣ : ١١٤) وقال القس ابو البركات ابن كبر في « مصباح الظلمة ص ٤٨ « والذكرانات والأفراح والمآتم) .

ذَكِيّ : ܕܲܟ݂ܝܳܐ dakhio وتفسيره طاهر نقي نظيف خالص . والفعل ܕܶܟ݂ܳܐ ، ܕܟ݂ܺܝ طهر نظف dkho , dkhi : وفي العربية ذكّى الذبيحة ذبحها وكذا بالسريانية ܕܰܟܺܝ ، ܕܶܟ݂ܬܳܐ daki , dékhtho قربها . وورد عن

عن عمر بن الخطاب انه أمر العرب الذين غزوا اذربيجان قال : « انكم بارض يخالط طعام اهلها ولباسهم الميتة فلا تأكلوا الا ذكياً ولا تلبسوا الا ذكياً ، يريد الفراء » اه البلاذري ٣٣٥ . وما عنى بذكي الا ما طهر ، وتجد هذا المعنى في زكى . والزكيّ : الطاهر من الذنوب والطيب ومنها : فلينظر ايها ازكى طعاماً ، اي اطيب . وفي قوانين ابيفانيوس في كتاب الناموس المذكور آنفاً « لأن يرى به انه في أكله اللحم الذكي لا رجاء له » . وفيه أيضاً « عند التذكية وقت فراغه وتنظيفه » فالكلمة سريانية اوهي متوافقة في السريانية والعربية بل والبابلية أيضاً على ما أورد الأب دورم في كتابه المذكور آنفاً ص ٢٩٧ قال « zakû معناها نقي ، طاهر » .

* * *

حرف الراء

رَبّ : ܪܒ ، ܪܒܐ rab , rabo : ربّ ، سيد ، رئيس ، زعيم ، كبير ، عظيم ، كثير ، جليل . والفعل ܪܒ rab : ربّ ، ساد ، كَبُر ، كثر ، ذاع صيته . والمصدر ܪܒܘܬܐ raboutho : ربوبية ، عظمة ، جلالة ، قوة . ومنه ܪܒܐ ، ܪܒܢܐ rabono , rabo : إمام ، معلم ، استاذ ـ مادة سريانية ، وتوافقها العبرية ، ولا أصل لها في العربية ـ وفي التاج : الرب هو الله عزّ وجلّ وهو رب كل شيء أي مالكه . وفي القاموس ١ : ٧٠ الرب باللام لا يطلق لغير الله . والرباني : المتألّه العارف بالله ، فالرباني كقولهم الهيّ ونونه كلحياني او هو لفظة سريانية » وفي صحاح اللغة للجوهري : الرباني العالم المعلم والموصوف بعلم الربّ ، او هو لفظة سريانية او عبرانية ، قاله ابن عبيد . وفي مفردات الراغب الاصفهاني ص ١٨٣ « وقيل ربّاني لفظ في الأصل سرياني ، وأخلق بذلك فقلما يوجد في كلامهم » وفي التاج : الرباني العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلوم قبل كبارها ، وقيل هو العالم الراسخ في العلم والدين أو المتألّه العارف بالله . وفي القرآن (ولكن

كونوا ربانيين [١]) غلب في العربية على الحِبر إمام الشريعة وهو الأستاذ الفقيه . وفي تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٠ (وجبريل يخاطبه (حنين) بالتبجيل ويسميه (الربان) اي الأستاذ ܪܒܘܢܐ rabono . وكذا في طبقات الأطباء ١ : ١٨٦ « ويقول له يا ربّن حنين وتفسير ربّن يا معلم » .

وقال الجواليقي ص ١٦١ « والربانيون » قال ابو عبيد : احسب الكلمة ليست بعربية وانما هي عبرانية او سريانية . وذلك ان ابا عبيدة زعم ان العرب لا تعرف الربانيين . قال ابو عبيد وانما عرفها الفقهاء واهل العلم . قال وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول « الربانيّون » العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي » اهـ . واورد السيوطي خلاصته في « الاتقان » وزاد : وجزم القاسم بانها سريانية ص ١٣٩ واضيفت « ربّ » الى البيت والجيش وغيرهما في السريانية والعربية ، قال ابو سفيان بن حرب الحضرمي :

وتنزِل بلدةً عزّت قديمًا وتأمنُ ان ينالكَ رَبُّ جيشِ [٢]

الربّانيون : فرقة من اليهود [٣] .

---

(١) سورة آل عمران في الآية ٧٩ ومثلها في سورة المائدة ٤٤ و ٦٣

(٢) علّق ناشر الجواليقي وشارحه على هذه اللفظة شرحاً طويلاً دفعه اليه التمحل وأملته عليه العصبية ، منكراً على قدماء اللغويين رأيهم ، وليته حوى شبه حجة لغوية يؤخذ بها . وكل ما فيه انه استند الى تعليل اجوف مملّ للراغب في المفردات ص ١٨٢ ولسيبويه في نسبة الرباني وكفى بهذا التضعيف تنويهاً . وكذا تخريجه للفظة (رُبان السفينة) تعلّقاً برأي واهن لابن دريد .

(٣) الرُبّان (بضم الراء) قال الجواليقي ص ١٥٩ « الرُبّان صاحب سُكان المركب البحري لا أدري ممّ أخذ ، الا انه قد تكلم به ، عن الجمهرة ١ : ٢٧٧ » . وفي اللسان والتاج : رُبّان السفينة الذي يجريها ويُجمع ربابين ، قال ابو منصور (الأزهري) واظنه دخيلا ، وكذا في شفاء الغليل ص ٩٤ وغلط الزمخشري بقوله انه سُكان السفينة « وقعد على رُبّان السفينة وهو سكانها : ذنبها » الأساس ١ : ٣١٣ وصوابه صاحب السكان . قلنا ولا يبعد ما ذهب اليه الجلبي (الآثار ص ٤٦) ان الكلمة ܪܒ السريانية والعبرية ، فقد جاء في كنز اللغة السريانية ص ٤٧٥ ܪܒ ܡܠܚ̈ܐ rab - malohé وتفسيره رئيس الملاّحين فقالوا فيه الرُبّان .

رُبّة : الرُبّة الجماعة من الناس (القاموس) الجماعة الكثيرة او عشرة آلاف . قال ابو حاتم : قلت للاصمعي الربّة الجماعة من الناس ؟ فلم يقل شيئاً وأوهمني انه تركه لأن في القرآن : سورة آل عمران ١٤٦ (ربيون) اي جماعة منسوبة الى الربّة ، ولم يذكر الاصمعي في الأساطير شيئاً (المزهر ٢ : ٢٠٥) هي كلمة سريانية ܪܶܒܘ ، ܪܶܒܘܬܳܐ : rébou , rébouthо مدلولها : ربوة عشرة آلاف او مئة الف . وفي القرآن « وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربّيون كثير » اي الألوف والجماعة الكثيرة . وجاء في الاتقان ص ١٣٩ «وذكر ابو حاتم احمد بن حمدان اللغوي في كتاب الزينة ان ربّيون (سريانية) »[1] .

الرِجْز : الغضب ، السَخط : كلمة سريانية ܪܽܘܓܙܳܐ roughzo من فعل ܪܓܶܙ rghèse غضب ، رجز : جاء في المزامير بحسب نسخة كتاب الدين والدولة ص ٧٧ «وهو يكسر في يوم رِجْزه الملوكَ » وفي اشعيا « ودُستُ الأمم برِجزي » ص ١٠٠ . وفي صفنيا « لأصُبّ عليهم رِجْزي واليم سَخَطي » ص ١٠٤ ، وفي نبوة ارميا « وأُنزل عليهم البلاء والرِجْزَ الأليم » ص ١٠٧ . وفي القرآن « وربَّك فكبِّر وقلبك فطهِّر والرُجْزَ (بضم الراء) فاهجُر » قال السيوطي في الاتقان فسَّروه بالصنم ! والصواب ما قلناه آنفاً ، ويزيدك دليلاً قوله « كشفنا عنهم الرِجْز » اي السَخَط . وقال الراغب في المفردات ص ١٨٦ « وقوله : فالرُجز فاهجُر قيل هو صنم ، وقيل هو كناية عن الذنب فسماه بالمآل . وقوله : عذاب من رِجز أليم : فالرجز ههنا كالزلزلة » .

رَحمان : ܪܰܚܡܳܢܳܐ rahmono من صفات الله تعالى : وفي نبوة اشعيا ٤٩ « لأن رحمانهم معهم » (الدين والدولة ص ٩٧) وورد أيضاً في كتاب الشهداء الحميريين السرياني ص ١٣ و ٢٨ وفي القرآن ، وجاء في الاتقان ص ١٣٩ ذهب المبرد وثعلب الى انه عبراني واصله بالخاء المعجمة . وقال سلامة بن جندل :

---

(١) وفي كتاب دورم ص ٢٠٢ وردت rabûte بمعنى كبير في اللغة البابلية .

عجلتم علينـــا حجتين عليكم وما يشأ الرحمانُ يَعْقِد ويُطلِق

وهو لفظ سرياني ، قال الصغاني في التكملة « سئل ابو العباس عن « الرحمن الرحيم » لم جمعَ بينهما ، قال لأن الرحمن سرياني ، والرحيم عربي » .

بل ان الأب بولس دورم الدومنكي ذكر في كتابه « الديانة الاثورية البابلية » ص ١٩٦ ان اللفظة كانت مستعملة في اللغة البابلية rimênû : رحمان .

رخل : صغير الضأن ، ورخلة صغيرة الضأن . ܪܚܠܐ ، ܪܚܠܬܐ rahltho , rahlo وردت في الكلدانية القديمة ، وفي نبوة اشعيا ٦٠ : ٧ « وتسير اليك اغنام قيذار كلها وتخدمك رخالات نباوت » (الدين والدولة ٩٥) ومنها اسم راحيل .

وانكر الحريري في درة الغواص ص٥٩ رخلة ، وصوابها في الفصحى رَخِل او رِخْل بفتح الراء وكسر الخاء او بكسر الراء واسكان الخاء ، ولكن الخفاجي اجازها .

رسامة : مصدر رسم الأسقف القسيس اعني مَنحه وقلده درجه القسيسية ، كلمة سريانية والفعل ܪܫܡ بالشين المعجمة rshame ومنه الراسم والمرسوم ، وهي الفاظ مسيحية (انظر سيامة) وردت في كتاب الجوهرة لابن سباع القبطي ص ١٤٦ « يرسمه » .

رَصَد : رَقَب ܪܨܕ rsade لفظة كلدانية قديمة (الدليل ص ٧٥٢) ولعلها من توافق اللغات .

رَقّ : جلد رقيق يكتب عليه ، جمعه رقوق ، وكان له معامل تصنعه في بعض البلاد ويجوّده السريانيون ومنها مدينة ملطية ܪܩ ، ܪܩܐ raqo , raq .

رقاق : صحصاح ، ارض مستوية ليّنة التراب تحته صلابة ، أو نضبت منها المياه : ܪܩܘܩܐ rqoqo وردت في كتاب علة كل العلل .

رقان : رندج ، مِصقل النجار ، معرب من السريانية ܪܩܘܢܐ ، ܪܩܢܐ rqono , raqno . (معجم ابن بهلول ، ومقدمة دليل الراغبين ص ٢١) .

رَكَس : شدّ ، خطم البعير بالركاس ، قمع ، اذلّ : سريانية ܪܟܫ rcache وقعت في شعر الامام اسحق الانطاكي المتوفى نحو سنة ٤٩١ م

(مقدمة الدليل ص ٢٠) ولعلها مما توافقت فيه السريانية والعربية [1] .

روح القدس : تعبير سرياني ظاهر : ܪܘܚ ܩܘܕܫܐ rouh - koudcho .

روحاني : ما فيه روح ، وكذلك النسبة الى الملائكة والشياطين . والنسبة فيه سريانية ܪܘܚܢܝܐ ، ܪܘܚܢܐ rouhonoio , rouhono . ومثله في هذه النسبة : البراني والجسماني ، والنفساني ، والنوراني ، والهيولاني . وليس كذلك الفوقاني والتحتاني والشهواني .

رَشَم : ختم بيدر الحنطة بالروشم (المزهر ١ : ٣٤) وجاء في فقه اللغة للثعالبي : الرشم على الحنطة والشعير . وفي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري ص ٦٥ « فاذا بلغ الزرع ودُرس وُجمع ذرّوه وعرّموه وتركوه ، حتى اذا لم تبقَ غلّة لأحد الا وقد عُرّمت ورُشمت ، خرج صاحب السلطان » وهو الروشم [1] . مادة سريانية ، الفعل ܪܫܡ rshame والآلة ܪܫܡܐ rashmo السمة الرَّوشم . وقال فيه الاسكافي ص ٣٤ : الروسم بالسين المهملة : الرسم . ومنه :

المُرَشِّم : والمُنَقِّط من أدوات الخباز ، قاله ايليا ابن السنّي ܡܪܫܡܢܐ mrashmono وسماه الاسكافي (المرشمة) قال ص ٦٤ « والذي ينقّط به الخبز : المِنكتة والمِرشمة والمِنقطة والمِيخزة » وقال فيه صاحب الدليل : راسوم ، راشوم ، روسم [2] .

رَهْط : جِلد يشقّق سيوراً ܪܗܛܐ : rahto (الدليل ص ٧٢٦) [3] .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

---

(١) وفي الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق ص ١٥٤ الرشم مثل الوشم كما في التهذيب ، ونحوه الرسم والوسم وفي ص ١٥٨ رشم رسم والروشم الروسم .

(٢) رشمة : جاء في التاج : بالفتح ما يوضع على فم الفرس عامية هي سريانية ܪܫܡܐ rashmo رسن الدابة .

(٣) قال ابوالقاسم في قول القرآن : « واترك البحر رَهْواً » أي سهلاً دمثاً بلغة النبط ، وقال الواسطي أي ساكناً بالسريانية ، وكذا السيوطي في الاتقان . قلنا ليس هذا في السريانية ولعله من (رحب) العبرية ؟

كنوز الأجداد

- ٩ -

ابن دريد

ابو بكر محمد بن الحسن

(٣٢١)

يتصل نسبه بيعرب بن قحطان . ودُرَيْد تصغير ادرد الذي ليس في فيه سن . وهو من الأزد والازد سكنوا مأرب ولما تفرقوا نزل بعضهم لعمان ومنهم بعض أجداده . ولد ابن دريد في البصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعاش ثماني وتسعين سنة .

نشأ في عُمان والبصرة وفي هذه قرأ على ابي عثمان الأشناندانى وكفله عمه وعليه قرأ مبادئ العلم . ومن أساتذته ابو حاتم السجستاني والرياشي والتوزي والزيادي وغيرهم من أجلة العصر . كان اماماً في اللغة والنسب والشعر آية في الحفظ حفظ كثيراً من دواوين العرب وقيل انه أملى كتاب الجمهرة من حفظه وهوابن اربع وسبعين سنة . ورحل ابن دريد الى الأهواز يؤدب اسماعيل بن ميكال وكان ابوه عبد الله تولاها وبقي مع الأب والابن مدة ولاية الأب عليها وقلده عبد الله ديوان فارس فكانت تصدر كتبها عن رأيه . وسكن بغداد كما سكن عمان وطاف في ارجاء الجزيرة جزيرة ابن عمر واتصل في بغداد بالخليفة المقتدر فأحله منه أجمل محل وأجرى عليه خمسين ديناراً ، وما كان ابن دريد مقتراً عليه طول حياته وكان أهله في سعة من العيش فأفاد منهم وممن اتصل بهم من الأمراء والخلفاء . كان سخيّاً سرياً جميل العشرة غير ضنين بعلمه . والغالب

انه كان شافعي المذهب وان كان سكان عمان وما اليها في أيامه على مذهب الخوارج . وكان يرجع اليه في اللغة ويفتى بقوله ، تصدر في العلم ستين سنة وقالوا ان العلم والشعر ما ازدحما في صدر أحد ازدحامها في صدر خلف الأحمر وابن دريد . وقالوا انه كان في شعره طوراً يجزل وطوراً يرق ، وقد نظم في كثير من أغراض الشعر وأجمل ما نظمه حكمه ومنها مقصورته وفيها مثال من حكمته وتبحره في اللغة مدح بها الأمير ابا العباس اسماعيل بن ميكال رئيس نيسابور ومقدمها . وقدم له كتاب الجمهرة قال ابو العباس ان ابن دريد أملى عليه كتاب الجمهرة من أوله الى آخره حفظاً وما استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب الا في باب الهمزة والألف فانه طالع له بعض الكتب ، ومن مشهور كتبه كتاب الاشتقاق وله غير ذلك منها ما طبع ومنها ما لم يطبع . وقد « رُمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامها » وهذا مما نستبعده والذي حصل والله أعلم انه نقل ألفاظاً غير مألوفة أدمجها في شعره وعنده ظنه أنه خدم بها اللغة مثل قوله مثلاً :

أماطت لثاماً عن اقاح الدمائث بمثل اساريع الحقوف العثاعث
ونصت عن الغصن الرطيب سوالفاً يَشُب سناها لون احوى جثاجث
ولاثت ُتثنّي مِرطها دعص رملة سقاها مجاج الطلِّ عَبّ الدثائث

وبعض هذه الألفاظ مما يحتاج في فهمه ان يرجع الى مثل الأصمعي وابي زيد لأنها من عويص اللغة تورث الصدر انقباضاً لمن أراد تفهمها ، وبعض من لم يعرف يقتصر الطريق ويقول ان ابن دريد يأتي بما ليس له أصل في اللغة من الكلمات بل ان الأصمعي قال في عدة مواقع وقد عرض عليه الكلام العويص انه لم يفهم . أنشدوه مرة بيتاً لامرئ القيس :

وسنّ كسُنَّيق سناء وُسنَّما ذَعَرْت بمدلاج الهجير نهوض

قال الأصمعي : لا أدري ماالسن ولا السنيق ولا السُّنَّم .

وقوله : عصافير وذبان ودود واجرأ من مجلجلة الذباب

وزاد في تقبيح ذلك وقوعه في أبيات منها :

فقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
وكل مكارم الأخلاق سارت اليه همتي ونما اكتسابي

وقد استعمل ابن دريد الشعر في تقرير بعض المفردات وجعله سلماً الى تفسير أمور صعبة تدخل في قواعد الألفاظ مثل ما يذكر من الأعضاء ولا يؤنث وما يؤنث ولا يذكر وما يذكر ويؤنث .

ومن شعره العذب :

لو ان قلباً ذاب من كمد ما كان بين ضلوعه قلب
لو كنت صباً او تسرُّ هوىً لعلمتَ ما يتجرع الصب
يهوى اقترابك وهو قاتله فشفاؤه وسقامه القرب

ومنه :

وليلة سامرتْ عيني كواكبها نادمت فيها الصِّبا والنوم مطرودُ
تستنبط الراح ما تخفي النفوس وقد جادت بما مَنعته الكاعب الرود
والراح تفتر عن درٍّ وعن ذهب فالتبر منسبك والدر معقود
يا ليل لا تُبح الاصباح حوزتنا وليحم جانبَه أعطافك السود

وكتب الى ابي الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير :

أبا حسن ، والمرء يُخلق صورة تُخبِّر عما ضُمِّنَتْه الغرائز
اذا كنت لا تُرجى لنفع معجل وأمرك بين الشرق والغرب جائز
ولم تكُ يوم الحشر فينا مشفعاً فرأي الذي يرجوك للنفع عاجز
عليَّ بن عيسى خير يوميك ان تُرى وفضلك مأمول ووعدك ناجز
واني لأخشى بعد هذا بان تُرى وبين الذي تهوى وبينك حاجز

وقال : وما أحد من ألسن الناس سالمًا ولو انه ذاكَ النبي المطهر

فان كان مقداماً يقولون اهوج وان كان مفضالاً يقولون مُبذر
وان كان سكيتاً يقولون ابكم وان كان منطيقاً يقولون مهذر
وان كان صواماً وبالليل قائماً يقولون زرّاف يرائي ويمكر
فلا تحتفل في الناس بالذم والثنا ولا تخشَ غير الله فالله اكبر

ومن مليح شعره :

غراء لو جلت الخدور شعاعها للشمس عند طلوعها لم تشرق
غصن على دعص تأود فوقه قمرٌ تألق تحت ليل مطبق
لو قيل للحُسن احتكم لم يَعدُها او قيل خاطب غيرها لم ينطق
وكأننا من فرعها في مغرب وكأننا من وجهها في مشرق
تبدو فيهتف للعيون ضياؤها الويل حل بمقلة لم تطبق

وقال وهو مشهور متداول على الألسن :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق قبل مزاجها فلما مزجناها حكت خدَّ عاشق

وقال في أخلاق الناس :

ارى الناس قد أغروا ببغي وريبة وغيٍّ اذا ما ميز الناسَ عاقل
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم الى نحو ما عاب الخليقةَ مائل
اذا ما رأوا خيراً رموه بظنّة وان عاينوا شراً فكلٌّ مناضل
وليس امرؤ منهم بناج من الأذى ولا فيهم عن زلة متغافل
وان عاينوا حبراً أديباً مهذباً حسيباً يقولوا انه لمخاتل
وان كان ذا ذهن رموه ببدعة وسموه زنديقاً وفيه يُحاول
وان كان ذا دين يُسمّوه نعجة وليس له عقل ولا فيه طائل
وان كان ذا صمت يقولون صورةٌ ممثلة بالعيّ بل هو جاهل
وان كان ذا شر فويل لأمه لما عنه يحكي من تضمُّ المحافل

وان كان ذا أصل يقولون انما ... يفاخر بالموتى وما هو زائل
وان كان مجهولاً فذلك عندهم ... كبيض رمال ليس يعرف عامل
وان كان ذا مال يقولون ماله ... من السحت قدرابى وبئس المآكل
وان كان ذا فقر فقد ذلّ بينهم ... حقيراً مهيناً تزدريه الأراذل
وان قنع المسكين قالوا لقلة ... وشحة نفس قد حوتها الأنامل
وان هو لم يقنع يقولون انما ... يطالب من لم يعطه ويقاتل
وان يكتسب مالاً يقولوا بهيمة ... أتاها من المقدور حظ ونائل
وان جاد قالوا مسرف ومبذر ... وان لم يَجُد قالوا شحيح وباخل
وان صاحب الغلمان قالوا لريبة ... وان اجملوا في اللفظ قالوا مباذل
وان هويَ النسوان سمّوه فاجراً ... وان عفّ قالوا ذاك خنثى وباطل
وان تاب قالوا لم يتب منه عادة ... ولكن لافلاس وما ثمّ حاصل
وان حج قالوا ليس لله حجّه ... وذاك رياء أنتجته المحافل
وان كان بالشطرنج والنرد لاعباً ... ولاعبَ ذا الآداب قالوا مُداخل
وان كانَ في كل المذاهب نابزاً ... وكان خفيف الروح قالوا مثاقل
وان كان مِعزاماً يقولون أهوج ... وان كان ذا ثبت يقولون باطل
وان يعتلل يوماً يقولوا عقوبةً ... لشر الذي يأتي وما هو فاعل
وان مات قالوا لم يمت حتف انفه ... لما هو من شر المآكل آكل
وما الناس الا جاحد ومعاند ... وذو حسدٍ قد بان فيه التخاتل
فلا تتركن حقاً لخيفة قائلٍ ... فان الذي تخشى وتحذر حاصل

هذا شعر ابن دريد وهذه حكمه وقد جاء منها في مقصورته الشيء الكثير حتى كاد يكون في حكم الأمثال ولم نطلع فيما اطلعنا عليه من مؤلفاته على شيء من نثره ولا شك ان له منه طائفة خصوصاً وقد تقلد الدواوين وكان الحاكم يصدر عن آرائه فبالشعر لا تتم هذه المقاصد ، ومن العادة ان يغفل النثر ويتهالك على جمع القريض ولو كان من السقط الذي يجب ان يرذل .

الباقلاني

القاضي محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر

(٤٠٣)

الباقلاني نسبة الى الباقلا وبيعه من كبار المتكلمين الأشاعرة ومن زعماء مذهب مالك ولد في البصرة على أصح الأقوال وسكن بغداد وتولى القضاء «وكان حسن الفقه عظيم الجدل وكانت له ببغداد حلقة عظيمة» وصفوه بانه «سيف أهل السنة في زمانه وامام متكلمي اهل الحق» «كان أعرف الناس بعلم الكلام وأحسنهم فيه خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحهم عبارة» وقالوا «كل مصنف ببغداد انما ينقل من كتب الناس الا القاضي ابا بكر فان صدره يحوي علمه وعلم الناس» وقالوا «لو أوصى رجل بثلث ماله لأفصح الناس لوجب أن يدفع الى ابي بكر الأشعري» وكان من المكثرين من التأليف والمجودين فيه يكتب كل ليلة خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه «فاذا صلى الفجر دفع الى بعض أصحابه ما صنفه ليلته وأمره بقراءته عليه وأملى عليه الزيادات فيه» و «حسبت تواليف القاضي وإملاآته وقسمت على أيام عمره من مولده الى موته فوجد انه يقع لكل يوم منها عشر ورقات أو نحوها».

واشتهر القاضي بمناظراته فكان في العراق وفارس يناظر المعتزلة ولما شاع ذكره، وهو ما برح في سن الشباب، استدعاه عضد الدولة فناخسرو لمناظرة المعتزلة في شيراز وكان عضد الدولة قال في مجلس له ان هذا المجلس عامر بالعلماء الا اني لا أرى أحداً من أهل السنة والاثبات ينصر مذهبه فقال له قاضي القضاة وكان معتزلياً ان أهل السنة والاثبات عامة رعاع اصحاب تقليد وأخبار وروايات يروون الخبر وضده ويعتقدونها وواحدهما ناسخ للثاني أو متأول. فجاءوا بالباقلاني وناظر

المعتزلة فقيل انه غلبهم وحظي عند عضد الدولة البويهي وهذا من الشيعة وقد ندبه عنه في جواب رسالة الى الروم فناظر علماءهم في القسطنطينية وقالوا انه كان أبداً الظافر في مناظراته . وله أكثر من خمسين مؤلفاً ولم يطبع له منها الا اعجاز القرآن والتمهيد ، وألف هذا الكتاب لابن عضد الدولة وقد أسلمه أبوه اليه ليعلمه مذهب أهل السنة ، وهو في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة وفي حرص عضد الدولة على تعليم ابنه مذهب السنة دليل تسامحه وبعد نظره فانه رأى كثرة الأمة من أهل السنة وأكثر رعيته منهم فأحب ان يتخرج ابنه في مذهبهم حتى يكون ملكاً على رأي الأكثرية بعد أبيه .

كان الباقلاني الى الاعتدال في محاجة المخالفين معتدلاً أكثر من غيره ممن يشتمون ويهزأون ولا يستنكفون من المبادرة الى تكفير خصمهم . وقد عقد فصلاً ممتعاً في آخر كتابه التمهيد عرض فيه لامامة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ورد على من نالوا منهم وقالوا ان خلافتهم موضع نظر رداً دل على علو كعبه في التاريخ وعلى سعة استخراجه ومعرفته بنقض ما يرده العقل كتب كل ذلك من السهل الممتنع بدون سجع ولا تزيد في الألفاظ واسلوبه هذا كما ظهر من اعجاز القرآن والتمهيد لم يحد عنه ولذلك حاز القبول وما رأينا له أسجاعاً الا في مقدمة كتابيه وهي اسجاع لطيفة لا تكلف فيها .

والباقلاني كان على ما يظهر على فرط اعتداله في المناظرات ورد كلام خصومه عارفاً بسياسة العلم وسياسة الخلق ذكياً مفرط الذكاء عنده لكل ضيق مخرج . وفي سفارته عن الملك البويهي الى ملك الروم قال ان هذا أخبر بمقدمنا فأرسل الينا من يلقانا وقال لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تنزعوها الا ان تكون مناديل وحتى تنزعوا أخفافكم فقلت : لا أفعل ولا أدخل الا بما انا عليه من الزيّ واللباس فان رضيتم والا تخذوا الكتب تقرأونها وأرسلوا بجوابها وأعود بها . فأخبر الملك بذلك فقال : أريد معرفة سبب هذا وامتناعه مما مضى عليه رسمي

مع الرسل . فسئل القاضي عن ذلك فقال : انا رجل من المسلمين وما تحبونه مني ذل وصَغار والله تعالى قد رفعنا بالاسلام وأعزنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأيضاً فان من شأن الملوك اذا بعثوا رسلهم الى ملك آخر رفع أقدارهم ولا يتعمد اذلالهم سيما اذا كان الرسول من أهل العلم ووضع قدره انهدام جانبه عند الله تعالى وعند المسلمين . فرضي الملك ان يدخل ومن معه كما يشاؤون . وفي رواية ان الملك رضي أن يدخل عليه الباقلاني كما جرى رسم الرعية ان يقبل الأرض بين يدي ملوكها فرأى أن يضع سريره من وراء باب لطيف لا يمكن ان يدخل أحد منه الا راكعاً فدخل القاضي من هذا الباب وأحنى رأسه راكعاً ودخل من الباب مستقبلاً الملك بدبره حتى صار بين يديه ثمّ رفع رأسه ونصب ظهره ثم أدار وجهه الى الملك فعجب الملك من فطنته ووقعت له الهيبة في قلبه . وكانت هذه السفارة سنة ٣٧١

ولما اجتمع الى أحد الرهبان في حضرة ملك الروم سأله الباقلاني عن أهله وأولاده فتعجب الملك من سؤاله وقال انا ننزه هؤلاء عن الأهل والأولاد فأجاب : انتم لا تنزهون الله سبحانه عن الأهل والولد فكأن هؤلاء عندكم أقدس وأجل من الله تعالى ؟ ولما سأله الملك عن قصة عائشة وما قيل فيها قال هما اثنتان قيل فيهما ما قيل : زوج نبينا ومريم بنت عمران فأما زوج نبينا فلم تلد وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها وقد برأها الله مما رميت به فانقطع الملك ولم يحر جواباً .

ورُزق الباقلاني حظاً عظيماً من البديهة أعانته على التفرد بمناظراته ففيه سرعة الخاطر وفيه الحافظة ، وبديهته نفعته في مناظراته الدينية ومواقفه السياسية وقلّ ظهور أمثاله في العلماء المشهورين وكثرت تآليفه لأنه كان كابن تيمية لا يرجع الى الكتب فيما يؤلف بقدر ما يرجع الى صدره ويغترف من محفوظه .

ابن زيدون

ابو الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون

(٤٦٣)

هو من قبيلة مخزوم النازلة في الأندلس وأهله من صدورها المعروفين بالحكم والقضاء . ولد في قرطبة سنة ٣٩٤ (١٠٠٣) ومات ابوه فأسلمه أوصياؤه الى أعاظم من علماء عصره فتأدب بأدبهم وظهرت عليه أمارات النجابة وهو في سن العشرين واستفاضت شهرته في الأدب والحكمة ومعاناة السياسة ولما يبلغ الخامسة والعشرين .

ولما حاول دعاة بني أمية أن يعيدوا الملك فيهم وثار أهل قرطبة لطرد البربر عن ديارهم اضطر ابن زيدون بحكم مكانة بيته الى خوض تلك المعركة السياسية ، فكان في جملة رجال ابي الحزم بن جوهر صاحب قرطبة بعد جلاء البربر عن تلك الأصقاع .

وأحب ابن زيدون ولادة بنت المستكفي بالله فما عتم ان نازعه حبها ابن عبدوس وزير ابن جهور فهجاه ابن زيدون وهزأ به فأضمر له الحقد وما زال يشي به عند الملك حتى اتهمه بانه يدعو للدولة الأموية فاعتقله ثم رق له ابنه الوليد بن جهور فأطلقه من اعتقاله ولكن كانت ولادة قد خرجت عن حكم ابن زيدون . وتشرد في الأقطار مدة ثم رجع الى قرطبة يخدم الوليد بن جهور بعد وفاة أبيه فوضع ثقته به ، وسفر عنه الى ملوك الأطراف ثم غضب عليه ففرَّ وكان يقيم تارةً في دانية وأخرى في باجة وطوراً في اشبيلية الى ان اتصل بالمعتضد أمير اشبيلية فجعله أمين سره ثم ولاه أعظم وزارائه وظل بعد وفاة المعتضد على خدمه ابنه المعتمد فأعانه على فتح قرطبة وجعل منها عاصمة ملكه ، وكان منافسه في بلاط المعتمد الوزير ابن عمار زج بابن زيدون في فتنة نشبت بسبب اليهود فهلك فحزنت عليه عشيرته في قرطبة حزناً شديداً .

ترجم له صاحب الذخيرة بقوله : كان ابو الوليد صاحب منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مخزوم ، أحدَ من جرّ الأيام جراً ، وفات الانام طراً ، وصرّف السلطان نفعاً وضراً ، ووسع البيان نظماً ونثرا ، الى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزُهر اقترانه ، وحظ من النثر غريب المباني ، شعريّ الألفاظ والمعاني .

ووصفه صاحب القلائد بقوله : زعيم الفئة القرطبية ، ونشأة الدولة الجهورية ، الذي بهر بنظامه ، وظهر كالبدر ليلة تمامه ، فجاء من القول بسحر ، وقلده أبهى نحر ، لم يصرفه الا بين ريحان وراح ، ولم يطلعه الا في سماء مؤانسات وأفراح ، ولا تعدى به الرؤساء والملوك ، ولا تروّى منه الا حظوة كالشمس عند الدلوك ، فشرف بضائعه ، وأرهف بدائعه وروائعه ، وكلفت به تلك الدولة حتى صار ملهج لسانها ، وحلّ من عينها مكان انسانها .

أطلقوا على ابن زيدون لقب « بحتري المغرب » لسلاسة شعره وجزالة وصفه وذكر العارفون بعلو طبقة الشعر ان ابا بكر بن عمار وابا الوليد بن زيدون كانا في حسن الشعر فرسي رهان ورضيعي لبان وقال أكثر الأدباء بالأندلس انهما أشعر أهل عصرهما . والمعقول ان يذهب كل شاعر بمزية لا يشاركه فيها غيره فابن هاني لا تنحط طبقته عن طبقة ابن زيدون وهكذا اذا أردنا المقارنة بين كبراء شعراء الأندلس .

واذا أجمع أرباب المعرفة على تفرد ابن زيدون في الشعر فان منهم من أشار الى أن نثره شعر أيضاً اي انه نازل عن طبقته بين الكتاب ففي شعره كل معاني الاحسان اما نثره فتحسُّ فيه روحاً شعرياً وهذا لا يستحب كل حين . والطبيعة على ما علمنا لا تجود على كل انسان باتقان الصناعتين ولا بد ان تمتاز الملكة في الأولى عن الأخرى . كان هوي ابن زيدون بالشعر ليله ونهاره ، ونثره عارض يستخدمه عند الحاجة ويجيد ولكن لا كالشعر الذي أخذ من روحه وقلبه .

وكما كان آية فيما يكتب كان كذلك فيما يخطب ، غزير البيان ، متدفق الطبع ، فصيح اللسان ، حاضر البديهة . قال أحد وزراء اشبيلية وفيه دليل على سعة بيانه : لعهدي بابي الوليد قائماً على جنازة بعض حُرَمه ، والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع يجيب أحداً بمثل ما أجاب به غيره ، لسعة ميدانه وحضور جنانه . وذكروا ان أقلّ ما كان في تلك الجنازة وهو وزير الف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له فيحتاج في هذا المقام الى الف عبارة مضمونها الشكر ، وهذا كثير الى الغاية لا سيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت سحائب منه أعقبت بسحاب

ترى هل يدين ابن زيدون بشهرته لأدبه وشعره ، ووزاراته وسفاراته ام ان لغرامه بولادة دخلاً كبيراً فيما كان له من عظمة . قد يهيم أعظم منه بأعظم من محبوبته ولا يدري جمهرة الناس بهما ، وغرام ابن زيدون عظم في العيون لأنه كان في حسناء تقول الشعر وتعرف أدب الملوك ، فهي كانت تدرك كل الادراك ما عند عشيقها من صفات تليق ببنات الملوك ، وهو موقن انه لا يجد في بنات السوقة أمثالها بجمالها وكمالها وكان من ذلك ذاك الشعر الذي كله روح وحسن .

وصف ابن زيدون أول اتصاله بحبيبته بقوله :

كنت في أيام الشباب ، وغمرة التصاب ، هائماً بغادة ، تدعى ولادة ، فلما قدر اللقاء ، وساعد القضاء ، كتبت اليّ :

ترقب اذا جنّ الظلام زيارتي فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسرِ

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر الليل عنبره ، أقبلت بقد كالقضيب ، وردف كالكثيب ، وقد أطبقت نرجس المقل ، على ورد الخجل ، فملت الى روض مدبّج ، وظل سجسج ، وقد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل أنهاره ، ودر الطل منثور ، وجيب الراح مزرور ، فلما شببنا نارها ، وأدركت فينا ثارها ، باح كل منا بحبه ،

وشكا اليه ما بقلبه ، وبتنا بليلة نجني اقحوان الثغور ، ونقطف رمان الصدور ، فلما انفصلت عنها صباحاً ، أنشدتها ارتياحا :

ودّع الصبرَ محبٌّ ودّعكْ   ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن   زادَ في تلك الخُطى اذ شيعك
يا أخا البدر سناءً وسناً   حفظ الله زماناً أطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم   بت أشكو قصر الليل معك

ويذهب الفكر الى ان هذه العبارة ليست لابن زيدون بل صاغها غيره والمعنى له أو هكذا وقع غرام ولادة في قلب ابن زيدون وهو يعذر على ما بدا من هيامه لأنها استوفت على ما يظهر جميع صفات المعشوقات .

اشتهر في الآفاق شعره بسبب هذه الصبابة النادرة في العاشقين وما كان الغرام نفسه السبب الأكبر في شهرته بل لأنه غرام كان على غير مثال .

ومن أشهر قصائده فيها القصيدة التي اشتهرت كل الاشتهار :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت   سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا   ومورد اللهو صاف من تصافينا

ومنها : لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم   رأياً ولم نتقلد غيره دينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا   ان طال ما غير النأي المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً   منكم ولاانصرفت عنكم أمانينا
ولا استفدنا خليلاً منك يشغلنا   ولا اتخذنا بديلاً منك يسلينا الخ

وله في ولادة :

يا نازحاً وضمير القلب مثواه   أنستك دنياك عبداً أنت مولاه

ألهتك عنه فكاهات تلذُّ بها فليس يجري ببال منك ذكراه
علّ الليالي تبقيني الى أمل الدهر يعلم والأيام معناه

وله يتشوّق اليها :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله كأنما رقّ لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقا
كأن أعينه اذ عاينت أرقي بكت لما بي فجال الدمع رقراقا الخ

وله يتشوق اليها أيضاً :

غريب بأقصى الشرق يشكر للصَّبا تحمُّلها منه السلامَ الى الغرب
وما ضرّ أنفاس الصبا في احتمالها سلامٌ فتى يُهديه جسم الى قلب

ولا يبعد أن يكون ما قاله في ولادة أكثر مما روى الرواة في ديوانه امتنعوا من نقله كما امتنع صاحب الذخيرة من نقل شعر ولادة لأن فيه هجاء . وكما أجاد كل الاجادة في التغزل بولادة أجاد أيضاً في مدح ابن جهور والمعتمد والمعتضد ولا سيما فيما قدم له من النسيب من قصائد مدحهم ومدح غيرهم . فشعره في الملوك والوزراء والأصحاب شعر دنياه ومناصبه ، وشعره في الغزل والنسيب وتغزله بولادة شعر لذاته ونعيمه :

وما أحلى قوله :

سأحب أعدائي لأنك منهم يا من يُصح بمقلتيه ويسقم
أصبحت تُسخطني فأمنحك الرضا محضاً وتظلمني فلا أتظلم
يا من تألف ليله ونهاره فالحسن بينهما مضيء مظلم
قد كان في شكوى الصبابة راحة لو انني أشكو الى من يرحم

وله وقد قال صاحب الذخيرة إنه كتب بها من بطليوس أيام تكدره عليها وهي من غرر نظامه ودرر كلامه :

يادمع صبّ ما شئت ان تصوبا ويا فؤادي آن أن تذوبا
ان الرزايا أصبحت ضروبا لم أر لي في أهلها ضريبا
قد ملأ الشوق الحشا نُدوبا في الغرب ان رحت به غريبا
عليل دهر سامني تعذيبا أضنى الضنا اذ ابعد الطبيبا
ليت القبول احدثت هبوبا ريح يروح عهدها قريبا
بالأفق المهدي الينا طيبا تعطرت منه الصبا جنوبا
يبرد حرّ الكبد المشبوبا يا متبعاً إساءه التأويبا
مشرقاً قد سئم التغريبا أما سمعت المثل المضروبا
ارسل حكيماً واستشر لبيبا الخ

وقال من أخرى :

أنت معنى الضنى وسر الضلوع وسبيل الهوى وقصد الدموع
أنت والشمس ضَرّتان ولكن لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس بالمؤيسي تكلفك العتـ ـبَ دلالاً من الرضا المطبوع
انما أنت ، والحسود مُعنّى كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال :

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر الا ذكرتك ذكر العين بالأثر
ولا استطلت زمام الليل من أسف الا على ليلة مرت مع القصر
يا ليت ذاك السواد الجون متصل قد استعار سواد القلب والبصر
جمعت معنى الهوى في لحظ طرفك لي ان الحوار لمفهوم من الحور

هذه نماذج قليلة من شعره المرقص المطرب أما نثره فألطف ما وصفوه به أنه أقرب الى الشعر ولبس معني هذا الا أن فيه ما يعاب وهو على كل أحط

من شعره وفيه التكلف ماثل أحياناً . وقد ملأ بعض رسائله بمسائل تاريخية واشارات أدبية ومنازع هزلية وجدية ، شرحها الشراح ودلوا على ما فيها من لمع أدبية وغيرها .

وهذه رسالته كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس (٤٤٣) يستعطفه لما كان في اعتقاله :

يامولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن أبقاه الله ماضي حد العزم ، واري زند الأمل ، ثابت عهد النعمة .

اذا سلبتني أعزك الله لباس انعامك ، وعطلتني من حلي ايناسك ، واظمأتني الى برود اسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى الى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائي عليك ، وأحسّ الجماد باستنادي اليك ، فلا غرو فقد يغص الماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفي به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية المتمني في أمنيته ، « والحين قد يسبق جهد الحريص » .

كل المصائب قد تمرُّ على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

واني لأتجلد وأري الشامتين « اني لريب الدهر لا أتضعضع » فأقول : هل أنا الا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به اكليله ، ومشرفي الصقه بالأرض صاقله ، وسمهري عرضه على النار مثقفه ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فقَسا ليزدجروا ومن يك حازمًا فليَقْس أحياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة « سحابة صيف عن قليل تقشع » .

ولن يريبني من سيدي ان أبطأ سحابه ، أو تأخر غير ضنين غناؤه ، فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشياً احفلها ، وأنفع الحيا ما صادف جدباً ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً ، ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب . له الحمد على اهتباله ، ولا عتب عليه في اغفاله .

وان يكن الفعل الذي ساء واحداً   فأفعاله اللاتي سررن ألوف

وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذي لم يف به احتمالك . لا أخلو من أن أكون بريئاً فأين عدلك ، أو مسيئاً فأين فضلك .

الا يكن ذنب فعدلك واسع   أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

حنانيك قد بلغ السيل الزُّبى ، ونالني ما حسبي به وكفى ، وما أراني الا لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ، وقال لي نوح اركب معنا فقلت : سآوي الى جبل يعصمني من الماء ، وأمرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى ، وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فعقرت ، وشربت من النهر الذي ابتلى به جيوش طالوت ، وقدت الفيل لأبرهة ، وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأولت في بيعة العقبة ، ونفرت الى العير ببدر ، وانخذلت بثلث الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة ، وجئت بالأفك على عائشة الصديقة ، وأنفت من أمارة أسامة ، وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت فلتة ، وروّيت رمحي من كتيبة خالد ، ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه ، وضحيت بالأشمط الذي عنوان المسجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب علي بالحسام المصمم

. . . والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن بك ، ففيم عبث الجفاء بأزمتي ، وعاث العقوق في مواتي ، وتمكن الضياع من رضائلي ، ولم ضاقت منه اهبتي ، وأكدت مطالبي ، وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب ، واني غلبني المغلب ، وفخر عليّ العاجز الضعيف ، ولطمتني غير ذات سوار ، وما لك لم تمنع مني قبل ان افترس ، وتدركني ولما أمزق ، أم كيف لا تتضرم جوانح الاكفاء حسداً

لي على الخصوص بك وتنقطع أنفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك ، وقد زانني اسم خدمتك ، وزهاني رمم نعمتك ، وأبليت البلاء الجميل في سماطك ، وقمت المقام المحمود في بساطك .

والرسالة مطولة اكتفينا منها بهذا دلالة على أسلوب ابن زيدون في النثر .

وله رسالة خاطب بها أبا مروان بن حيّان مؤرخ الأندلس وقد أهداه احمالاً من الزيت والبُرّ في سنة ممحلة قال في فصل منها : والذي اسكن اليه من حسن قبولك وجميل تأويلك ، أقابل بالحقير وأواجه بالتافه اليسير ويعلم الله تعالى اني لو ناصفتك عمري ما رأيت ان ذلك كفوء بقدرك ولا وفاء ببرك فكيف ما دونه ، فلك المنزلة التي لا تسامى ، والجلالة التي لا توازى ، وما شيء وان جلّ الا محتقر لك مستصغر عند محلك . ويصل مع موصل كتابي هذا ما ثبت ذكره في المدرجة طيه وأنت بمعاليك تتفضل بقبوله وتصل أجمل صلة بالتغاضي عن رتاحته (؟) والاستجازة لنزارته ، مقتضياً بذلك شكري وحمدي ، ومستبداً منها بجميع ما عندي .

قد يسأل من تلا هذه النموذجات القليلة من نظم ابن زيدون ونثره واطلع على جانب من حياته السياسية هل كان اشتهاره بشعره النادر أم كان بما ساس من أمور الملك وتنقل بين صاحبي قرطبة واشبيلية يجالس الملوك في خلواتهم ويصيرونه في خواصهم وصحابتهم ويسفر لهم في مهاتهم ثم يغضبون عليه ويعتقلونه أو يصبح طريداً شريداً . الأرجح ان استفاضة شهرته أتت من حبه ولادة والأرجح ان غرامه بها زاد في طلاوة أدبه ومتى أدرك الكاتب والشاعر ان كلامه سيتلوه من يعجب به يتأنق فيه الى التي ليس بعدها ويمده الله بمدد لا يدرك سره .

قالوا ان عبث الأغنياء وموت الفقراء لا يحس بهما ، وعبث ابي الوليد اشتهر وذاع وملأ القلوب والأسماع فكان في ذلك سعادته بأدبه حياً وميتاً وكذلك كان شأن عمر بن أبي ربيعة ، سبحانه خص من شاء بما شاء .

لسان الدين ابن الخطيب

ابو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني

(٧١٣)

أصله من لوشة على مرحلة من غرناطة ، كان له بها سلف معروفون في وزارتها ونشأ لسان الدين بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية ، وبرز في الطب وانتحل الأدب ، وامتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الأحمر فرقّاه الى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب ببابه ، مرؤوساً بابن الجياب شيخ العُدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية . ولما هلك ابن الجياب ولى السلطان محمد بن الخطيب رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ، وسفر عن سلطانه الى ملك بني مرين بالعدوة معزياً بأبيه فجلّى في أغراض سفارته .

ثم هلك السلطان ابو الحجاج وبويع ابنه محمد بالأمر لوقته فأقر ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفاً له في أمره وتشاركا في الاستبداد معاً ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيراً الى ملك بني مرين مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذي معه من وزراء الأندلس وفقهائها استأذنه في انشاء شيء من الشعر يقدّمه بين يدي نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم أبياتاً اهتز السلطان لها فأذن له في الجلوس ، وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع اليهم الا بجميع عطائهم . ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع مطالبهم . قال القاضي ابو القاسم الشريف : لم يُسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا هذا .

وبعد ذلك اعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه الى ان شفع فيه ثم سار في ركاب السلطان الى وادي آش قادمين على السلطان ابي سالم فأرغد هذا عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استأذن السلطان في التحول الى جهات مراكش والوفود على آثار الملك بها فأذن وكتب الى العمال باتحافه فبادروا في ذلك وحصل منه على حظ . وعندما مر بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بسالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن وأنشد قصيدته على روي الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها :

ان بان منزله وشطت داره قامت مقام عيانه أخباره
قسّم زمانك عبرة أو عبرة هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان ابو سالم في ذلك الى أهل الأندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذاً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة . ثم عاد السلطان المخلوع الى ملكه بالأندلس فاستقدم ابن الخطيب من سلا ورده الى منزلته كما كان وبعد ذلك فصل من الوزارة ثم أعيد الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته . وأدركته الغيرة من عثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة فأنكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الأعياص على ملكه فحذره السلطان وأخذ في التدبير عليه حتى نكبه وأباه واخوته وأودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه وبين ندمائه وأهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحلّ والعقد، وانصرفت اليه الوجوه، وعلقت عليه الآمال ، وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صمّ السلطان عن قبولها .

وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما خُيل اليه ان السلطان مال الى قبولها وانهم قد احفظوه عليه

فأجمع التحول عن الأندلس الى المغرب فسار اليها في ثلة من فرسانه ومعه ابنه علي" الذي كان من خالصة السلطان فأجاز الى سبتة وتلقاه السلطان بأنواع التكرمة فاهتزت له الدولة واركب السلطان خاصته لتلقيه وأحلّه بمجلسه بمحل الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان الشرف والعزة ، وطلب الى صاحب الأندلس أهله وولده فجاء بهم على اكمل الحالات من الأمن والتكرمة . ثم لغط المنافسون له في شأنه ، وأغروا سلطانه بتتبع عثراته ، وشاع على السنة أعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها اليه ، ورفعت الى قاضي الحضرة فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه وبعث القاضي الى ملك العدوة في الانتقام منه وامضاء حكم الله فيه فصمّ لذلك ، وأنف لذمته ان تخفر ولجواره ان يردى ، وقال لهم : هلا انتقمتم وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه ، وأما انا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان في جواري . ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الأندلس في جملته .

فلما هلك سلطان العدوة سار هو في ركاب الوزير ابي بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل فاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ له القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى . ولما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه ُقبض على ابن الخطيب وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الأحمر فبعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ابن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة وأهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملإ ثم تلّ الى محبسه واشتوروا في قتله بموجب تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه . ودس سليمان بن داود رديف وزير السلطان لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله فطوقوا السجن ليلاً ومعهم زعانفة جاءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر

وقتلوه خنقاً في محبسه وأخرجوا شلوه من الغد فدفن ثم أصبح من الغد على شأفة قبره طريحاً وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نار فاحترق شعره واسود بشره وأعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته . هذا ما قاله ابن خلدون وأتبعه بأن الناس عجبوا من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته . وكان ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك :

بعدنا وان جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا غربن فناحت عليها البيوت
فكم جدّلت ذا الحسام الظبا وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة فتىً ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيـ ب وفات ومن الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له فقل يفرح اليوم من لا يموت

وترجم لسان الدين نفسه ووصف كيف قلده السلطان الوزارة والقيادة أي أصبح ذا الوزارتين وزير السيف والقلم واستعمله في السفارة الى الملوك واستنابه بدار ملكه ورمى الى يده بخاتمه وسيفه وائتمنه على صوان حضرته وأعلى مجلسه ، وقصر المشورة على نصحه الى ان كانت الكائنة وحمله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض عليه بعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس واستؤصلت نعمته ، ولم تكن بالأندلس من ذوات النظائر ولا ربات الأمثال ، ولما رد على السلطان ابي عبد الله ملكه عمل في القدوم عليه وجنح لسان الدين الى الانفصال لبيت الله الحرام فأراه السلطان أن مؤازرته أكبر القرب فعدل عن الحج فرمى اليه بمقاليد رأيه قال ولم أعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة

الدهماء ورعاية سخطة أرزاق السماء ، وقتلة الأنبياء ، وعبدة الأهواء ، ممن لا يجعل لله تعالى ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بأدب ·

هذا مجمل حال حسنة الاندلس مع الملوك وكانوا معجبين به لما فُطر عليه من صفات لا نظير لها في رجالهم ورجال عصرهم وهذا حاله مع الوزراء ومن والاهم وما حاكوه من دسائس ليطرحوه أرضاً ويستأثروا دونه بهذا المقام فلم يروا أقرب من اثبات الزندقة عليه وقتلوه على هذه الصورة الفاجعة فبكت العيون عظيماً تضن القرون بظهور مثله ·

واذا جئنا نعرض لأدبه وعلمه فبغصن الطيب للمقري الذي كسره على وصفه وخصه باحواله ونقل أخباره ومنظومه ومنثوره يكفينا المؤونة وهناك تآليفه وهي تبلغ الستين مصنفاً منها ذو المجلدات ومنها المجلد الصغير لم يبق منها الا ثلثها كما قال العلامة زيبولد وأهمها في نظره الاحاطة في أخبار غرناطة وقد طبع ثلثاه فقط ولم يجدوا منه نسخة تامة صحيحة · وفي هذا الكتاب تجلى لنا أسلوب لسان الدين في الترجمة للرجال وعرفنا جمال نثره وجمال شعره فما استطعنا ان نقول انه شاعر ولا انه كاتب بل حكمنا له بالملكتين الكتابة والشعر وفي كتابته نسقط على تعابير والفاظ قل ان وقع لأحد من كتاب الأندلس استعمال مثلها ولا سيما المعاني المبتكرة والتراكيب البارعة ·

أما دعوى الالحاد على لسان الدين فهي من الدعاوي التي طالما وجهت الى العظماء من العلماء ، وتاريخ المسلمين غاص بمن قتلتهم السياسة ، والزندقة حجة في قتلهم · لا جرم ان لسان الدين اعتاد الانطلاق في الفكر وهو صريح الى أبعد غايات الصراحة ولعلهم جمعوا له جملاً وقعت في بعض كلامه وأولوها على هواهم حتى صحت لهم دعوى الالحاد اليه · وفي كتابه الاحاطة نموذجات ظاهرة من هذا القبيل ·

وصف الحاكم باديس وهو من الملوك الجبابرة قائل الرأي خليع الرسن فقال: وقد أدال اعتقاد الخليقة في باديس بعد وفاته وقدم العهد بتعرف أخبار جبروته وعتوّه على الله سبحانه لما جبلهم عليه من الانقياد للأوهام والانصياع للأضاليل فعلى حفرته اليوم من الازدحام لطلاب الحوائج والشفاء من الاسقام حتى اولو الدواب الوجيعة ما ليس على قبر معروف الكرخي وابي يزيد البسطامي . ووصف جعفر بن احمد الخزاعي الغرناطي من مشايخ الطرق ورقص جماعته في الذكر فقال «وربما استدعاهم السلطان الى مصره محمضاً لطائف نعيمه باخشيشانهم مبدياً التبرك بهم» . قال والطرق الى الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق . وهذه معانٍ لا يرضاها العامة وبخاصة من استهواهم مثل هؤلاء المشايخ .

واليكم الآن جملاً قليلة جاءت في مقدمة كتابه الاحاطة في وصف غرناطة: وبردها لذلك من المنقب الشتوي شديد وتجمد بسببه الأدهان والمائعات ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين، فجسوم أهلها بصحة الهواء صلبة، وسحناتهم خشنة، وهضومهم قوية، ونفوسهم لمكان الحر الغريزي جريئة . وهي دار منعة، وكرسي ملك، ومقام حصانة . وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرموتة وقد عوّل عليها للامتساك بدعوتهم «الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا تجشمتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم» ومن أبدع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها مما هو غريب في معناه قول القاضي ابو بكر بن شبرين:

رعى الله من غرناطة متبوأً يسرُّ كئيباً او يجير طريداً
تبرم منها صاحبي عند ما رأى مسارحها بالبرد عدن جليدا
هي الثغر صان الله من أهلت به وما خير ثغر لا يكون برودا

وذكر ان جند دمشق نزلوا كورة البيرة أشرف الكور وخصها لا يشبه بشيء من بقاع الأرض طيباً ولا شرفاً الا بالغوطة غوطة دمشق . وحقيقة هي

كما قال رأيتها الا ان غوطة دمشق شجراء وغوطة غرناطة جرداء وكانت ايام حكم العرب كغوطتنا بأشجارها الملتفة ٠

ووصف أخلاق الأندلسيين وعاداتهم فقال : فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة قال وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصير اوان ادراكه بما تشتمل عليه دورهم ، والبروز الى الفحوص بأولادهم وعيالهم ، معولين في ذلك على شهامتهم واسلحتهم على أكتاد دوابهم واتصال امصارهم بحدود ارضه ، وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل من الذهب الخالص الى هذا العهد في اولي الجدة ، واللجين في كثير من آلة الرجلين فيمن عداهم ٠ والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد النفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل الدولة او أصالة معروفة موقرة ٠ وحريمهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النشر ، وخفة الحركات ، ونبل الكلام ، وحسن المحاورة ، الا ان الطول يندر فيهن ، وقد يبلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات ، والتنافس بالذهبيات والديباجيات ، والتماجن في أشكال الحليّ الى غاية نسأل الله ان يغض عنهن فيها عين الدهر ، ويكفّ كف الغدر ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ، وان يعامل جميع من بها بستره ، ولا يسلبهم خفي لطفه بعزته وقدرته ٠

هذه لمة من سيرة ذي الوزارتين لقبه بذلك السلاطين في زمنه أحط أزمان الأندلس وقد استولى العدو على معظم قواعدها مثل اشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والمرية ٠ ولقبه الناس بذي العمرين لأنه كان مبتلىً بالأرق يسهر الليل الا أقله ، ويصرف هذه الليالي في التأليف والتأمل ، فكأنه كان يعمل ليله ونهاره ٠

عبد اللطيف البغدادي

ولد في بغداد سنة (٥٥٧) وتوفي فيها سنة (٦٢٩)

هذا عالم ندر ان يتسع صدر رجل ما اتسع له صدره من ضروب العلم والآداب قال العلامة هوتسما انه كان يعرف جميع العلوم المعروفة في عصره . والسبب في تفننه في العلم نصيحة صدرت له من رجل مغربي نزل بغداد كان كما قال هو عنه يجلب القلوب بصورته ومنطقه وايهامه فملأ قلبه شوقاً الى العلوم كلها . عدّ له ابن ابي أُصيبعة زهاء مئة وخمسين كتاباً ومقالة ورسالة ومنها ما وقع في مجلدات مثل كتاب أخبار مصر الكبير وكتاب الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والالهي زهاء عشر مجلدات وكتاب القياس يدخل في اربع مجلدات والسماع الطبيعي مجلدان . ومنها ردود على بعض الفلاسفة مثل ابن سينا والرازي وابن الهيثم، ولم يطبع من جميع كتبه فيما علمنا سوى كتاب المشاهدة والاعتبار في أخبار مصر وفيه ترجمته بقلمه وفي هذا الكتاب الصغير حوادث مهمة وقعت في أيامه في مصر والشام وصفها وصف عيان . فنحن اذاً لا نعلم شيئاً من تصانيفه يسوغ لنا به اصدار حكم عادل عليه .

قال ابن ابي أصيبعة كان كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جداً بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة وكذلك أيضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء وقال وكان حسن الكلام لكثرة ما يرى في نفسه ويستنقص فضلاء زمانه وكثيراً من المتقدمين وكان يكثر الوقوع في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه .

ولما استوفى حظه من الأخذ عن علماء بغداد جاء الموصل فلم تعجبه واجتمع بكمال الدين بن يونس وكان ممن يقول بالكيمياء وعبد اللطيف يخالفه في ذلك فرحل عنها ونزل دمشق وفيها الف كتباً كثيرة .

ثم توجه الى زيارة القدس ثم قصد الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمع ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ قال : وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل فانبسط الي وأقبل علي وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتاباً الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة وقال هذا كتاب الى بلدكم وذكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب الوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها » أين جواب اذا وأين جواب لو في قوله تعالى : « ولو ان قرآناً سيرت به الجبال » وعن مسائل كثيرة ، ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لي ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت : أريد مصر فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها ، فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها ، فلما دخلت القاهرة جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخاً جليل القدر نافذ الأمر ، فأنزلني داراً قد أزيحت عللها وجاءني بدنانير وغلة ، ثم مضى الى أرباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانب وكان كل عشرة أيام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي . وكان قصدي في مصر ثلاثة أنفس ياسين السيميائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وابو القاسم الشارعي وكلهم جاءوني أما ياسين فوجدته محالياً كذاباً مشعبذاً يشهد للشافاني بالكيمياء ويشهد له الشافاني بالسيمياء ويقول عنه انه يعمل أعمالاً يعجز موسى بن عمران عنها وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وباي مقدار شاء ، وبأي سكة شاء ، وأنه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيه وأصحابه

تحتها . وكان ضعيف الحال وجاءني مومى فوجدته فاضلاً لا في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا . قال وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نير الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم وأخذت في اتمام كلامي فلما تصرم المجلس جاءني امام المسجد وقال أتعرف هذا الشيخ هذا ابو القاسم الشارعي فاعتنقته وقلت اياك أطلب فأخذته الى منزلي وأكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدته كما تشتهي الألسن وتلذ الأعين قال وكنا اذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن، ويغلبني بقوة الحجة وظهور المحجة . وانا لا تلين قناتي لغمزه، ولا أحيد عن جادة الهوى والتعصب برمزه، فصار يحضرني شيئاً بعد شيء من كتب ابي نصر والاسكندر وثامسطيوس يؤنس بذلك نفاري، ويلين عريكة شماسي، حتى عطفت عليه .

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادت الضرورة الى التوجه اليه فأخذ من كتب القدماء ما امكنه، وتوجه الى القدس قال : فرأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة، والقلوب محبة، قريباً بعيداً، سهلاً محبباً، وأصحابه يتشبهون به، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى : «ونزعنا ما في صدورهم من غل» وأول ليل حضرته وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم يتذاكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتماً في بناء سور القدس وحفر خندقه، يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه، ويتأسى به جميع الناس الفقراء والأغنياء والأقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل .

قال وكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق وأطلق اولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار ورجعت الى دمشق وأكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع . وبعد وفاة صلاح الدين

عاد المترجم به الى مصر مع ابنه الملك العزيز · وكان في تلك المدة يقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار الى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره وآخر النهار يرجع الى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون · وأقام في القاهرة الى ان ملك الملك العادل ابو بكر بن أيوب الديار المصرية وأكثر الشام والشرق وتفرقت اولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين فتوجه الى القدس وأقام بها مدة ثم عاد الى دمشق ومكث بها زمناً ينتفع الناس بعلمه ثم سافر الى حلب وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان وكان مكيناً عنده عظيم المنزلة وله منه الجامكية الوافرة والافتقادات الكثيرة ثم توجه الى ارزن الروم ورجع الى ارزنجان فكماخ فدبركي فملطية فحلب وأقام بحلب يشتغل عليه الناس وكان له من شهاب الدين طغربل الخادم أتابك حلب جار حسن ثم خطر له ان يحج ويجعل طريقه على بغداد وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله أشياء من تصانيفه ولما وصل بغداد مرض وتوفي بها بعد ان غاب عنها خمساً واربعين سنة ·

ومن كلامه : ينبغي ان تحاسب نفسك كل ليلة اذا اويت الى منامك وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها وترتب في نفسك مما تعمله في غدك من الحسنات وتسأل الله الاعانة على ذلك · وقال أوصيك ان لا تأخذ العلوم من الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم وعليك بالأستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ولو كان الأستاذ ناقصاً فخذ عنه ماعنده حتى تجد أكمل منه وعليك بتعظيمه وترحيبه وان قدرت ان تفيده من دنياك فافعل والا فبلسانك وثنائك · واذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم ان الكتاب قد عدم وانك مستغن عنه لا تحزن لفقده واذا كنت مكباً على دراسة كتاب وتفهمه فاياك ان تشتغل بآخر معه واصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره اليه ·

واياك ان تشتغل بعلمين دفعة واحدة وواظب على العلم الواحد سنة او سنتين او ما شاء الله فاذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر ولا تظن انك اذا حصلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاته لينمي ولا ينقص ومراعاته تكون بالمذاكرة والتفكر واشتغال المبتدئ بالتحفظ والتعلم ومباحثة الاقران واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف واذا تصديت لتعليم علم او للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم فان كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره فان استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه كمن يستعين بلغة في لغة أخرى اذا ضاقت عليه او جهل بعضها . قال وينبغي للانسان ان يقرأ التواريخ وان يطلع على السير وتجارب الأمم فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الأمم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف خيرهم وشرهم . قال وينبغي ان تكون سيرتك سيرة الصدر الأول فاقرأ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وتتبع افعاله واحواله واقتف آثاره وتشبه به ما أمكنك وبقدر طاقتك واذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمرضه وتطببه وتمتعه وتطيبه ومعاملته مع ربه ومع ازواجه واصحابه واعدائه وفعلت اليسير من ذلك فأنت السعيد كل السعيد .

قال وينبغي ان تكثر ايهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم ، وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل ، ومن لم يعرق جبينه الى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة ، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس ومن لم يبكتوه لم يسود ، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم ومن لم يكدح لم يفلح . واذا خلوت من التعلم والتفكر فحرك لسانك بذكر الله وبتسابيحه وخاصة عند النوم فيتشربه لبك ويتعجن في خيالك وتتكلم به في منامك واذا حدث لك فرح ومسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات ، واذا حزبك امر فاسترجع ، واذا

اعترتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك في الآخرة . واذا أردت ان تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه واعلم ان الناس عيون الله على العبد يريهم خيره وان أخفاه ، وشره وان ستره فباطنه مكشوف لله ، والله يكشفه لعباده فعليك ان تجعل باطنك خيراً من ظاهرك وسرك أصح من علانيتك ولا تتألم اذا أعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل وقلما يتعمق في العلم ذو الثروة الا ان يكون شريف الهمة جداً او ان يثري بعد تحصيل العلم . واني لا أقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها لأن همته مصروفة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا والدنيا انما تحصل بحرص وفكر في وجوهها فاذا غفل عن أسبابها لم تأته وأيضاً فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة والمكاسب الدنية وعن اصناف التجارات وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم ولبعض اخواننا بيت شعر :

من جد في طلب العلوم أفاته شرف العلوم دناءة التحصيل

وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج الى فراغ لها وحذق فيها وصرف الزمان اليها ، والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك وانما ينتظر ان تأتيه الدنيا بلا سبب وتطلبه من غير ان يطلبها طلب مثلها وهذا ظلم منه وعدوان ولكن اذا تمكن الرجل في العلم وشهر به خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون . واعلم ان للعلم عبقة وعرفاً ينادي على صاحبه ونوراً وضياء يشرق عليه ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفى مكانه ولا تجهل بضاعته وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهم ، والعالم مع هذا محبوب اينما كان وكيفما كان لا يجد الا من يميل اليه ويؤثر قربه ويأنس به ويرتاح بمداناته واعلم ن العلوم تغور ثم تفور ، تفور في زمان وتغور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه وتنتقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع .

عالم عظيم استجمع شروط العلم في ذاته ، وانقطع الا عما شغل قلبه من صغره به من الدرس والتدريس والتأليف والتصنيف ، فطم نفسه عن المظاهر التي لا تأتي المغرم بها الا من طريق الدولة والسلطان ولا يتصدر في المجالس الا بقوة الملوك وما يفضلون به عليه من المراتب . عظم موقعه من نفوس ملوك عصره وكانوا يغتبطون اذا رأى نزول ساحتهم وقبول اعطياتهم يستميلون قلبه بما يرضيه ، ليتركوا له وقته يصرفه كما يجب في بث العلم في الناس .

في العادة أن تعظم شهرة العالم بعد وفاته وهذا على ما رأينا ضؤلت شهرته عما كانت عليه في حياته . وكان الباعث على ذلك فقدان كتبه الا جزءاً صغيراً من كتاب ، وما صنفه من الأسفار غير قليل ، وما كتب له البقاء منها أقل من القليل . دثرت كتبه لأنها في موضوعات فلسفية لا يحبّها الفقهاء والمحدثون ، والحكماء في ملتنا أفراد يعدون على الأصابع في عصور بعينها يعانونها في سرّ ويكتمون عن الدهماء امرهم فسبحان من له هذا السر في خلقه .

محمد كرد علي



درعيات المعري

طور ممهد للزومياته

في شعر المعري — كما في شعر كل شاعر آخر — غوامض تحتاج الى جلاء . من تلك الغوامض مقطّعات وقصائد تعرف بالدِرْعِيَّات اثبتها المعري أو اثبتها جامعو ديوان المعري في آخر الديوان مجموعة في مكان واحد . هذه الدرعيات ، التي اكتسبت اسمها من ان الشاعر يصف فيها انواع الدروع ووجوه فائدتها ، تبلغ احدى وثلاثين في العدد ، اطولها الدرعية السادسة [1] :

صُنتُ دِرعي إذ رمى الموت صَرْعيَّ (م) بما يترك الغنيَّ فقيرا

فانها اثنان وستون بيتاً . أما أقصرهن فهي الدرعية الخامسة والعشرون :

عبِّ سِنان الرمح في مثل النَهْر

وهي خمسة أشطر من الرجز .

وبعد هذه الدرعيات في ترتيب الديوان تأتي ثماني مقطعات لا يصف فيها المعري الدرع ، ولكنه يتناول عدداً من الأغراض التي تناولها في الدرعيات . ثم ان الدرعيات والمقطعات الثمانية التي تليها — مثل سائر قصائد سقط الزند — ليست مرتبة على أحرف الروي (على القوافي) ، وان كنا حتى الآن لا نستطيع الجزم بمدى ترتيبها التاريخي .

*

لقد خطر لي — كما خطر لغيري بلا ريب — سؤال صحيح : ما الدرعيات في ديوان المعري وما سبب نظمها ؟ ولقد طارحت نفراً أجلّهم حول موضوع

(١) ديوان سقط الزند ، طبعة امين هندية ، مصر ١٩٠١ م = ١٣١٩ هـ الصفحة ٤١

الدرعيات فرأيت ان الدرعيات قد أثارت تساؤلهم ولكنها لم تستهوهم استهواء يحملهم على محاولة الجواب ·

وبما انني في هذه الأيام أعد الطبعة الثانية من كتابي «حكيم المعرة» فقد أحببت ان أرجع البصرَ في هذا الموضوع فعدت الى قراءة الدرعيات ونصب عينيَّ ذلك السؤال القديم · ولقد تبين لي ببعض القرائن ان هذه الدرعيات هي في الحقيقة دور وسط بين ديوان «سقط الزند» الذي سار المعري في اكثره على خطى المتنبي فتعرض للناس فيه بالمديح وبالرثاء وبين «اللزوميات» حيث ينصرف حكيم المعرة عن البشر مرة واحدة ليهتم بالافصاح عن رأيه هو في الحياة والناس ·

ثم تبين لي عرضاً ان المقطعات الثماني التي تلي الدرعيات في ترتيب الديوان الحالي تمثل دوراً قصيراً أراد المعري فيه ان يحل نفسه من التقيد بموضوع واحد ، هو موضوع «الدرع» ليطلق لعقله العنان في تناول جميع وجوه الانتقاد ·

*

أما الأدلة التي حملتني على هذا الاعتقاد فهي موجزة في ما يلي :

أ — يلوح لي ان المعري نظم الدرعيات في مدًى واحد من الزمن وانه نظمها بعد رجوعه من بغداد في الأغلب · نلاحظ ذلك من أشياء عدة أقلها انه اخذ يستمد شيئاً من استعاراته وتشابيهه من العراق والرحلة الى العراق :

وما رقدت عَذْسيءٍ ولكن سما لها — طروقاً ، فأعداها سنىً متناعس
كلمع الشنوف العسجديات او كما — أشارت بأخفى سورهن العرائس
جُوازك نابٌ ان ضربت به السُرى — ورحلك ليلاً فوق نابٍ تواعس
فرتك أواذيُّ الفرات صبابة — وابلستَ لما اعرضت لك بالس (١)

وكذلك نلاحظ ان المعري يذكر في الدرعيات شيبه وتهدم جسمه ، فقد قال في الدرعية الأولى (ص ١٣٥) :

---

(١) سقط الزند ١٦٢ — ١٦٣ ، راجع ١٥٨ : دجلة ودجيل ،

واخلقتُ الشباب وكان بُردي ؛ وفارقت الحُسام وكان حِنني .
أعاذل ، طالما اتلفت مالي ، ولكن الحوادث أتلفتني

ثم قال في موضعين آخرين (١٣٦ و ١٥٣) :

وإني لا يُغيّرُ لي قتيراً خِضاب كالمدام بلا مِزاج
منعت الشيب من كَتَم التراقي ولم أمنعه من خطر العجاج[1]
غدا فَوْدي كالفودَيْنِ ثقلا وأضحى الشيب بينهما عِلاوة[2]

أما الدليل الحاسم على ان الدرعيات ترجع الى ما بعد رجوع الشاعر من بغداد فذكره فيها انه « سجن نفسه ليبتعد عن الناس » ، وهذا « السَّجن » هو الميزة الكبرى لاتجاه المعري في لزومياته نفسها . قال (سقط الزند، ١٤٧، البيت الأخير) :

لذاك سجنت النفس حتى أرحتها من الإنس، ما إخلاءُ رَبْعٍ بإخلال!

وهكذا يبدو بوضوح ان المعري اراد ان يتخذ من الحوم حول وصف الدرع وسيلة الى طرق موضوعات تتعلق بتفضيل المجاهد على القاعد ، وبالتالي بتفضيل الذي ينظر الى الدنيا بعين الجد على الذي يراها لهواً بالنساء خاصة . ثم تطرق من هذا الى التأمل في أوجه كثيرة من أوجه الحياة .

ب — وبقراءة الدرعيات بانعام نظر يتبين ان المعري أراد ان يجريها من حيث القوافي مجرى لزوم ما لا يلزم ، ولكن لم يتأت له ذلك على الوجه الأكمل لقرب عهده بممارسة هذا النوع من النظم . على ان له درعية هي لزومية تامة (الدرعية الحادية عشرة ، الصفحة ١٥٢) :

ما أنا بالوغْب ولا بابْن الوغْبْ يا ثغبَ وادينا سلمت من ثغْبْ
حملته فوق بريء من تَغْبْ طِرْفٍ مُعَدٍّ للطعان والشغْبْ
فلم يبـال باللأوام واللغْبْ تسمع للثعلب فيه كالضغْبْ

(١) منعت رأسي الخضاب بالكتم (بالحناء) لاخفي شيبه ، ولكن لم امنعه من أن يعلوه غبار الحرب فيزيد في لون مشيبه . (٢) الفود : الشعر على جانب الوجه قرب الأذن . والفود أيضاً : العِدل ، الكيس الكبير .

اردى ظباء السُمْر همت بالنغْبْ ورد سَغبان السيوف بالسغْبْ
لا تَلْهُ عن جلاته ولا تغْبْ (١)

ومثل ذلك الدرعية الخامسة والعشرون (ص ١٦٣) فانها من الرجز أيضاً وقوافيها الخمس في أشطرها الخمسة ، النَهْرْ ـ القهر ـ مَهر ـ الشهر ـ الدهر .

وهنالك مقطعات لم يتم فيها للمعري التزام ما لا يلزم كالدرعية الخامسة عشرة مثلاً فانها تسعة عشر بيتاً التزم الشاعر اللام والواو والكاف في سبعة أبيات منها : هُلوك ـ ألوك ـ الصعلوك ـ ملوك ـ هلوك (وهذه الخمسة كلها متوالية في مطلع الدرعية) ـ المألوك ـ دلوك (ص ١٥٥ ـ ١٥٦) .

على ان من أغرب ما يلفت النظر في هذا الباب الدرعية الثلاثون ، فان المعري بناها على الرويّ « أى » ولكنه التزم في كل قافية حرفاً سابقاً على « أ » غير مكرر في المقطوعة كلها . ولو اننا رتبنا قوافي هذه الدرعية حسب نسق الأحرف الهجائية (لسهولة الاحاطة بها) لوجدناها كما يلي (ص ١٦٩ ـ ١٧٠) :

تَأَى ـ دَأَى ـ ذأى ـ شأى ـ صأى ـ فأى ـ لأى ـ مأى ـ وأى ـ نأى ـ نأي (٢) .

ج — وتتفق الدرعيات مع اللزوميات من حيث الغرض ان الزهد بارز فيها وان ذمه للدنيا فيها كثير (سقط ١٤٧ — ١٤٨) :

وحرّمت شرب الراح لاخوف سائط (٣) ولكنها ترمي العقولَ بعُقّال
ومن سره ثوب يعز بلبسه فلا تجر منه ام دَفْرٍ (٤) على بال
هَلوك (٥) تهني المُستهام بحبها وتلقى الرجال المبغضين بإقبال

(١) الوغب : الأحمق اللئيم . الثغب : الماء في بطن الوادي ، الذبح والطعن . التغب : الريبة. الطرف : الحصان. الضغب : صوت الذئب والأرنب . السمر : الرماح. النغب : الشرب القليل.
(٢) كذا في الأصل ، وصوابها : تأى بالتاء المثناة من فوقها بمعنى : سبق .
(٣) السائط الذي يضرب بالسوط ، يقصد خوفاً من الحد (العقاب على شرب الخمر بالضرب) .
(٤) الدنيا . (٥) المرأة المتهالكة على الرجال .

لذاك سجنت النفس حتى أرحتها | من الإنس، ما إخلاءُ ربعٍ بإخلال
اذا ما حللت الجدب فرداً بلا أذىً | فسقياً له من روضة غير مِحلال

د – الحملة على المرأة . وفي الدرعيات حملة ظاهرة على المرأة ، بل ان المقصود من الدرعيات كلها التنفير من النساء . قال المعري في الدرعية التاسعة والعشرين على لسان أُمٍّ عجوز تنصح ابناً لها بلبس الدرع للجهاد والمعالي وبالعزوف عن الزواج ولو عرضت عليه خير النساء ، فانها لن تكون الا شر الخلق (ص ١٦٧ — ١٦٩) :

عليك السابغات فإنهنَّهْ | يدافعن الصوارم والاسنَّهْ
ومن شهد الوغى وعليه درع | تلقّاهـا بنفس مطمئنه
ولم يترك أبوك سوى قناةٍ | وسيفٍ آزرٍ فرساً وجُنّه[1]
فحُنَّ الى المكارم والمعالي | ولا تثقل مَطاك بعبء حَنّه[2]
فإني قد كبرت وما كعاب | ملائمــة عجوزاً مقسئنه[3]
فلا تطع الدوالف مرسَلات | فكم أوقعن في أرض مجنّه[4]
يقلن : فلانة ابنة خير قوم | شفاء للعيون إذا شفنّه[5]
أؤلئك ما أتين بنصح خِل | ولا دِنٌّ المليك ولا يَدِنّه
ولو طاوعتهن لجئن يوماً | باخت الغُول والنَّصَف الضِفَنَّه[6]

هـ – وفي الدرعيات تبدأ شكوك المعري بالظهور ويبدأ عنده انكار المغيّبات على ما نعرف في اللزوميات تماماً ، قال (ص ١٥٩) :

والدهر إعدام ويسر وإبـ | رام ونقض ونهار ولَيْلْ
يُفني ولا يَفنى ويُبلي ولا | يَبلَى ويأتي برخاء وَوَيْلْ

وهذا بلا ريب نظير قوله في اللزوميات :

(١) آزر : أبيض . (٢) مطاك : ظهرك . حنة : زوجة . (٣) مقسئنة : كبيرة . (٤) مجنة : لعلها : فيها جن . (٥) شفن : نظر نظرة اعجاب .
(٦) النصف : المرأة التي ذهب نصف عمرها (أي أطيبه). الضفنة : الحمقاء ، الكبيرة الجسم.

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما ترى :
نهارٌ يضيء وليل يجيء ونجم يغور ونجم يُرى .

و من القطع التي ليست من الدرعيات ولكنها ملحقة بها على ما رأينا في مطلع هذا المقال من حيث الزمنُ وتشابهُ الأغراض قطعة يحن المعري فيها الى النوم الطويل (الموت) ، ويرى انه الراحة من عناء الحياة . وهذا شيء نعرفه في اللزوميات ، قال (ص ١٧٢) :

ما بعد ذَبْن سوى الحمام ، وإنني لإخالُ أن الهجر فيه طويل
وفضيلةُ النومِ الخروجُ بأهله من عالَم هو بالأذى مجبول

لاحظ هنا أيضاً قوله : من عالم هو « بالأذى مجبول » مما يطالعك كثيراً في اللزوميات .

*

وهنالك خصائص أخرى تجعل الدرعيات طوراً سابقاً على اللزوميات . ويبدو ان المعري بعد ان رجع من بغداد واعتزل الناس اراد ان يطلع على الناس بآرائه وشرط على نفسه ان يلتزم القافية والفن ، فاتخذ موضوع « الدرع » . ولو ان المعري جرى الى آخر الشوط هذا المجرى لكانت « درعياته » مملة لضيق مجال الشعر فيها . ولقد أحسن المعري حينما حل نفسه من التزام « الفن » فترك الدرعيات وطلع علينا باللزوميات التي قيد فيها نفسه بالقافية وحدها .

*

انني أعتقد انني كشفت عن ناحية كانت غامضة في سقط الزند راجياً أن أكون قد أصبت النظر وأحسنت التعبير . ولعل في الدارسين من يسددني في ما أخطأت ويستدرك علي ما غفلت عنه .

الدكتور عمر فروخ

تحقيقات معجمية

تمهيد

كل متفرغ للمعجميات ، ولا سيما للتقصّي عن أصول الألفاظ ، واشتقاقها ، وتطوّر معانيها ، كما نصنع نحن ، يتحقّق مثلنا أي جهد يقتضي بذله ، وأي عناء يلزم تكبده ، لفك مغاليق هذه المعميات التي يبقى بعضها ، أحياناً ، من الأسرار الغامضة ، الى ما شاء الله . ويا ليت جميع الأسلاف ، من لغويين ومعجميين ، بذلوا ما في وسعهم ، فتمكنوا من صنع مثل هذا الصنع ، لكانوا بذلك كفونا ، غالب الأوقات ، مؤونة الجهد في التقصّي والتنقيب ، مما يعرض لنا ، مراراً ، الرجوع عنه غير مطمئنين ، ان لم نقل خائبين .

مع ذلك كلّه يتحتم علينا ، نحن العصريين ، الاقرار بعميم افضال الأقدمين ، لما أدّوه من الخدم الجلى في سبيل اللغة الجليلة ، بسعيهم الحثيث في جمع شتات مفرداتها ، وتنسيق قواعدها . وغير خليق بنا الانحاء عليهم باللائمة ، لِما يظهر لنا من الخلل في بعض النواحي من اساليبهم وتقصياتهم . فلهم العذر في ذلك . اذ لدرس العربية ، كما لدرس جميع اللغات ، أوجه مختلفة . فقد انصبّ القدماء على البحث فيها من ناحية خاصة ، وهي منفردة ، منقطعة عن غيرها ، لعدم تضلعهم الا من معرفتها . أما اليوم فمن جملة طرائق التقصي فيها طريقة مقارنتها باخواتها السامية وسواها ، وطبقاً للوسائل العلمية التي لم تكن في زمانهم على ما وصلت اليه ، في عصرنا ، من التوافر والرقي الذي هو سنة البشرية في عامة أحوالها . اذن ليس من غرابة اذا ما اسفرت الأبحاث العصرية عن نتائج مغايرة لما سبقها قديماً ، بيد انها عائدة ، في كل حال ، بجزيل الفوائد على لساننا الوطني . وهكذا يتسنى لكل عصر خدمة اللغة بما يتهيأ له من الذرائع والطرائق الملائمة الفعالة .

غير خافٍ عنا انه ، بجانب فريق العلماء المحبذين والمقدّرين لهذه الأبحاث ، هناك فريق آخر ليس بين جمهرة المثقفين وحسب ، بل بين اللغويين اهل التخصص ذاتهم ، لا تلذ لهم هذه الدروس ولا تروق في عيونهم ، لمجرّد كون أساليبها ونظرياتها مختلفة عما ألفوه من الأساليب القديمة المأثورة . لذا ، نجاهر ، في هذه المناسبة ، باحترامنا آراء غيرنا من أهل المقامات العلمية ، وبإقرارنا بفضل وجهود أئمة اللغة في المجامع اللغوية ، وخارجاً عنها . وأما مارشقنا به من مثل هذه السهام : « انت من الخارجين على سلطة اللغويين الأقدمين والمعاصرين ؛ انت مقوّض اركان المعاجم التي ورثناها عن السلف الصالح ؛ انت قالب نظام اللغة رأساً على عقب ؛ انت اذاً عدوٌّ العربية ! ! » فما لنا ، رداً على هذا الطعن ، سوى ترك اصحابه وشأنهم ، فان فيهم يثبت المثل القائل : « ان الانسان عدو ما جهل » .

وها نحن أولاء نثابر ، دون ملل ، على السير في الطريق الشاقة التي آلينا على نفسنا السلوك فيها ، مهما كلفنا الأمر من تعب ونصب ، لأنها في نظرنا — كما في نظر اللغويين المحققين — من انجع الوسائل لخدمة لساننا ، في هذا العصر ، عصر النهضة والتقدم بمجاراة مقتضيات الحضارة الحقة ، والعلوم الحديثة الصحيحة .

ان « تجديد المعجمية العربية » طبقاً لهذه الأساليب لما يتطلب مساعي حثيثة ، وجهوداً مشتركة ، ضمن لجنة من ارباب الاختصاص في اللغويات ، واهل الاطلاع على بقية اللغات السامية ، وعلم مقارنتها ، برعاية ندوة تشرف على اعمالها وتقوم بنفقاتها .

الاّ ان هذا لا يمنعنا عن مواصلة السعي سعياً شخصياً ، حسب الظروف الملائمة ، وبما لدينا من المعارف والوسائل . عسانا بذلك نتوصل الى المؤازرة ، ولو على انفراد وعن بعد ، في تشييد هذا البناء الجديد ، بناء معجم اشتقاقيٍّ ، معنويٍّ ، منطقيٍّ ، عصريٍّ ، لائقٍ بلغةٍ جميلةٍ ، جليلةٍ ، غنيةٍ ، كلغتنا العزيزة ، التي لم نزل ، ولن ننفكّ عن خدمتها ، بلذة وانبساط ، وبغيرة ونشاط . فان مَن خدم لغته ، خدم وطنه وأمته .

* * *

ا : برّ

العربية :

برّ الرجلُ : صدق ؛ برّت يمينـه : صدقت ؛ برّ الله عبادَه : رحمهم ؛ برّ فلانٌ ربّه : اطاعه ؛ برّت سلعةُ الرجل : نفقت ؛ بر والدَه : وصله محسناً اليه واطاعه ؛ برّ في يمينه : صدق ؛ برّ حجُّه قُبِل ؛ برّ اللهُ حجّه : قبله ؛ برّ الغنمَ : ساقها ؛ بر الرجلَ : قهره بقول أو فعل ؛ برّ عملُه : صلُح ؛ برّ السائلَ : وصله . — برّره : نسبه الى البِرّ وزكّاه ؛ أبرّ يمينه : امضاها ؛ أبر على أصحابه : علاهم ؛ أبرّ الرجلُ : كثر ولدُه ؛ أبرّ القومُ : كثروا ؛ أبرّ عليهم : قهرهم وغلبهم ، أبرّ الرجلُ : اذا ركب البَرّ مسافراً فيه . بارّه : لاطفه ، وأحسن اليه . تبرّر خالقَه : اطاعَه ؛

تبرّر : عرّج ، جانب الاثم ، انفصل عنه . ابترّ : انتصب منفرداً عن اصحابه .

البَرّ : من الاسماء الحسنى ؛ البارّ : الصادق ، الكثير البِر ، الصالح ، المطيع .

البَرّ : نقيض الكِنّ ، الأرض اليابسة .

البِرّ : الخير ، الصدق ، الطاعة ، العدل ، الصلة ، الحجّ ، سوق الغنم .

البُرّ : الحنطة ، واحدته البُرّة .

البَرّي والبرّيّة : نسبة الى البرّ . المبرور من الحجّ : ما لا يخالطه شيء من المآثم ، والمبرور من المبيع : ما لا شبهة فيه ، ولا كذب ، ولا خيانة [1] .

السريانية :

Bar : بَرّ ، صدق ، سذج ، بله ، غبي ، تفِه .

Brîrâ : وديع ، ساذج ، أبله .

Barrâ : بَرّ ، قفر ، خارج [2] .

(١) التاج ٣ : ٣٦ ي ي ، القاموس ١ : ٣٧٠ ي . (٢) معجم المطران منّا (سرياني – عربي) ص ٧٨ ، معجم المطران أودو (بالسريانية) ١ – ٩٦ ي .

العبرية :

Bârar : نظَّف ، طهر ، فصل ، قسم ، اختار ، صقل ، فحص .

Baraèr : لَمَع ، أوضح ، أثبت ، اختار ، نقّى .

Bar : نظيف ، نقي ، خالص ، فارغ ، واضح ، وحش .

Bar : بُرّ ، حنطة ، قمح .

Bôr : نظافة ، نقاء ، طهارة .

Bâr : برّ ، حقل ، بريّة ، خارج [1] .

الحبشية :

Barara : كان نقيًا ، نظف ، طهر ، كان بارًا ، صادقاً .
نفذ ، خرق .

Barbîr : حُفرة ، بئر ، صهريج .

Barbara : سرق ، سلب ، نزع ، فصل .

Berûr : فضة ، نقود فضية [2] .

الاكدية :

Barâru : أضاء ، لمع ، تلألأ .

Ubtarrir : فحص ، استفهم ، لاحظ ، ترصّد .

Barru : لامعٌ ، فضة .

Barîru : ضوء ، لمعان .

Barrûru : مُضيء ، لامع .

Barârîtu : طلوع النجوم ، الهجيع الأول من الليل [3] .

---

(١) معجم Robinson (عبري - انكليزي) ص ١٤٠ ي ، معجم El - Maleh (عبري - فرنسي) ص ١٩٠ ي . (٢) معجم Dillmann (حبشي - لاتيني) ٥٠١
(٣) معجم Bezold (اكدي - ألماني) ١٩٤ .

تنسيق وتعليل

(١) الفكرة الأولية الحسية المتضمنة في الثنائي «بَرْ»، كما في مجانسه «فَرْ» هي فكرة الشق، والقطع، والفصل، والابعاد. وهي كامنة او ظاهرة في بقية المعاني على اختلافها في العربية واخواتها السامية. بيد انها متجلية كل التجلي في العبرية.

(٢) من القطع والفصل جاءت مداليل التنظيف والتطهير والتنقية. ومن جملة وسائل التنظيف الصقل؛ ومن الصقل ينجم الرواء واللمعان، ومن ثم الوضوح.

(٣) فكرة الفصل كامنة في فكرة الاختيار والانتقاء؛ لان اختيار الشيء يتطلب فصله عن غيره. وهذا جارٍ أيضاً في عمل الفحص والاستفهام والملاحظة والترصّد.

(٤) نجد الفصل في معاني الفراغ؛ لأن الفارغ هو المنفصل عنه ما كان يملؤه.

(٥) كذلك نرى فكرة الانفصال في معنى التوحش. لأن هذه الحالة متوقفة على ابتعاد المرء عن المجتمع، والتمادي في عيشه الاعتزال.

(٦) أحد معاني «بَرّ» في السريانية هو «التفاهة» اي فراغ الشيء من الملح والذوق الطيب. وكذلك «البلاهة» فهي حرمان الانسان من العقل وفي ذلك فكرة الانفصال.

(٧) في الحبشية يعني Barara الخرق والحفر، اي القطع والفصل. من ذلك Barbīr: حُفرة، بئر، صهريج. و Barbara الحبشية هذه يراد بها أيضاً النزع والسلب والسرقة. وفي النزع فكرة الانفصال. و Barru الاكذبة، و Barûr الحبشية مما يطلق على الفضة، وذلك لمعانها الناجم عن نقائها وخلوها من الدرن.

(٨) من النقاوة المادية، اي الانفصال عن الدنس، انتقلت هذه الفكرة الى النقاوة الأدبية والروحية. من ذلك تولّدت المعاني الدالة على هذا في مختلف الألسنة السامية، ولا سيما في العربية، وهي معاني البرارة وما ينجم عنها من الفضائل كالصدق، والعدل، والطاعة، والاحسان، والعبادة، والخير من باب الاطلاق.

(٩) تظهر فكرة الانفصال في العربية في المزيد : ابترّ : انتصب منفرداً ، أي منفصلاً عن أصحابه ؛ ثم في تبرّر : تحرّج : جانَبَ الشرّ ، اي انفصل عنه . وتتجلى فكرة الخير في القول : أبرّ الرجلُ : كثُرَ وُلْدُه ، وأبرّ القومُ : كثروا . والكثرة في العدد خير . ثم في أبرّ على القوم : علاهم وغلبهم وقهرهم . والتفوّق خير لصاحبه .

(١٠) يحدّد أرباب الاشتقاق «البِرّ» بان اصل معناه « السعة » . وجاء في البصائر : «مادة ب ر ر موضوعة للبحر ، وتُصوِّر منه التوسع ، فاشتق منه البِرّ ، اي التوسع في عمل الخير[1] . » بيد أنّ هذا التعليل لا ينطبق على أصل الكلمة الدال على القطع والفصل ، أولاً بالتنظيف المادي ، ثم بالتنقية الأدبية ، الناجم عنها الصلاح ، اي الانفصال عن كل شرّ ؛ وهذا هو البِرّ من باب الاطلاق . من ذلك الحج المبرور الذي لا يخالطه شيء من المآثم . وكذلك المبيع المبرور : الخالص من الكذب والخيانة .

(١١) «البَرّ» بمعنى القفر ، اي المنفصل عن الأماكن المسكونة من قرى ومدن . وهو أيضاً الأرض اليابسة الخالية من الأشجار والسكان . من ذلك يقال : أبرّ الرجلُ ، اذا ركب البَرّ مسافراً فيه . ومنه ايضاً قولهم : أفصح العرب أبرّهم ، اي أبعدهم في البَرّ والبدو داراً .

(١٢) «البُرّ» القمح او الحنطة . وتسميته بذلك ليس «لكونه أوسع ما يحتاج اليه في الغذاء» ، كما ورد في المعاجم . بل لأن فيه مفهوم الانفصال ، انفصاله عن التبن ، اي كونه حنطة مذرّاة ، خالصة ، معدّة لتُخزن في الأهراء[2] .

(١٣) «البِرّ» : سوق الغنم ، كما جاء الهِرّ دعاء لها . وهو حكاية صوت .

(١٤) في اللهجة الدثينية جاء «بَرّ» بمعنى ظهر ، لمع . وهو موافق لمدلوله في

(١) التاج ٣ — ٣٧ .

(٢) التاج ٣ : ٣٨ . معجم Gesenius (عبري . لاتيني) ١ — ٢٤٥ .

الاكدية والحبشية . من ذلك : « القمر بارّ على الدنيا » اي لامع ، مشرق ، منتشر . واللمعان نتيجة الصقل ، والصقل فعل مكمّل لعمل التنظيف والتنقية من الأوساخ

(١٥) في اللهجة المهريّة والقُطريّة وارد ايضاً الثنائي « بَرْ » بمعنى قد ، وقطّ ، وابداً . وقد زعم بعض المستشرقين المستسيمين ان اصل الحرف من كلمة « عبَر » (بقطع العين من أوله) . بيد أنّ الصواب كونه من الثنائي « بَرْ » وهو مستعمل في المهريّة ، كاستعمال « قَدْ » في الفصحى ، لتأكيد الفعل الماضي ، أي انفصاله وابتعاده عن الزمن الحاضر [١] .

ب : برأ

العربية :

برأ : خلق ؛ برِئ من العيوب والديون : تخلّص وسلم ؛ و — من المرض : نقه وتعافى . برّأه : رفع عنه الشبهة . بارأ شريكه : فارقه وفاصله . تبرّأ منه : تخلّص . تبارأا : تفاصلا وافترقا . استبرأ : طلب الابراء ، أي التخلّص من الدين والذنب . البَراءة : السلامة من الذنب والعيب . البريء : المتقصي عن القبائح ، المتنحي عن الباطل والكذب ، النقي القلب من الشرك .

البراءة : قترة الصائد التي يكمن فيها ، اي يعتزل .

برى السهم : نحته . والبُراية : النُحاتة . برى السَفَرُ الانسانَ والحيوان : هزله وأذهب لحمه . من البري اي القطع . البري : التراب ، لأنه مسحوق ومنحوت . برى له وانبرى : عرض له . وباراه : عارضه . تباريا : اذا صنع كل واحد منهما ماصنع غيره . المتباريان : المتعارضان بفعلهما ليعجّز أحدهما الآخر بصنيعه ، اي ليقطعه عن العمل . وفي كل هذه المداليل الفحوى الأصلي ، وهو القطع والفصل [٢] .

(١) المعجم الدثيني تأليف de Landberg ، ١ — ١٤٤ .

(٢) التاج ١ : ٤٤ ي ، اللسان ١ : ٢٢ ي ، معجم Lane (عربي — انكليزي) ١٧٨ و ١٩٧ .

السريانية : Brâ : برأ ، خلق ، صنع ، اخترع .

Abrî : أخرج ، أبعد ، فرز ، نزع ، جرّد ، برّر ، طهّر .

Brîtâ : خليقة ، بريّة ، مسكونة ، جنس البشر .

Bar , Brâ (ج) Bnâyâ : ابن (بنون) مثيل ، صاحب ، أهل ، ذو .

Bartâ (ج) Bnâtâ : بنت (بنات) مثيلة ، صاحبة ، ذات .

Brônâ : بنّي ، كبّس .

Abar : تبنّى ، كثّر ، أنمى [١] .

العبرية :

(بالألف) Bârâ : برأ ، أوجد ، خلق ، سمن .

Barî 'ah : خلقة ، خليقة ، تأسيس ، تصنيف .

Bârê : قطع ، جذم ، اصطلم ، حدّ ، شحذ .

Habré : قوت ، سمّن ، سلم ، ضخم .

Bari : سمين [٢] .

(بالهاء) Barah : أكل ، تخيّر ، فصل ، عزل .

Biryah , Barut : طعام ، قوت .

Berît : عهد ، ميثاق ، محالفة ، اتفاق [٣] .

الاكدية : Barù : صنع ، خلق ، أوثق ، أخذ عهداً .

Bîritu : قيد ، وثاق ـ عهد [٤] .

الفينيقية : هبرا : قاطع ، باتر ـ صناعة متطلبة القطع .

السبئية : برا : سبك ، بنى ، شيّد [٥] .

---

(١) معجم منّا ، ص ٧٩ ي ، معجم أودو ١ – ٩٧ ، معجم Payne - smith (سرياني–لاتيني) ٥٧٨ ي.

(٢) معجم Robinson ١٣٥ ، معجم El - Maleh ١٨٢.

(٣) Robinson ١٣٦ ، El - Maleh ١٨٣

(٤) معجم Bezold ٨٥ .

(٥) Robinson ١٣٥ .

تنسيق وتعليل

(١) هذا الفعل الناقص مختلف اللام في العربية واخواتها . ففي العربية برى ، برأ ، برئ . وفي السريانية ينتهي بالألف . وفي العبرية تكون لامه تارة هاء وطوراً الفاً . وفي الاكدية ، لا يوجد لا ألف ولا هاء ولا همزة . فيقوم عوض ذلك اشباع حركة العين .

(٢) على ان كل هذا مشتق من الثنائي السابق وهو « بَرْ » ودلالته الأصلية ، كما ظهر في المادة المتقدمة ، هي القطع والفصل . وهذه الفكرة قد توسعت في مشتقاتها ، في الفعل الذي يدعوه الصرفيون ناقصاً ، أو مهموز اللام .

(٣) أول توسع لهذا الأصل الثنائي لم يجرِ بزيادة حرفٍ ، لكن بمد حركة العين . فجاء من ذلك « برَى » والألف هنا ليست بالحقيقة حرفاً ، بل هي حرف علامة لاشباع الحركة السابقة ، اي الفتحة . والدليل ان الاكدية المدوّنة بالكتابة المقطعية لا وجود فيها لحرف في الآخر ، بل ان صائتة المقطع الثاني طويلة لا غير [١] . أما السريانية فالاشباع يجري فيها بالألف وحدها . وأما العبرية فيتم فيها المدّ تارة بالهاء ، وتارة بالألف . لأن هذين الحرفين يقومان بوظيفة اشباع الفتح [٢] . على ان العربية يحصل فيها نبرة الحركة الثانية فتصبح همزة . مما تولد منه مهموز اللام .

(٤) اذا تقرّر ذلك اي ان الأصل هو الثنائي « بَرْ » الدال على القطع والفصل والنحت والتشكيل ، هان علينا تبيان الاشتقاق . فبَرى ، في العربية ، يعني قطّ القلم ، ونحت السهم . وفي ذلك فكرة القطع . في « برئ » من المرض يوجد فكرة الانفصال عن السقم والعودة الى الصحة . أما « برأ » بمعنى خلق ،

---

(١) Grammaire accadienne , par G . Ryckmans , P. 82

(٢) Grammaire hébraique , par Touzard P . 78 s

فدلالته الأصلية هي الصنع بالقطع والنحت . ثم خُصص بفعل صنع الله الخلائق من العدم . ومن الصنع نشأ معنى التأسيس والتأليف . وكذا الأمر في جميع مزيدات « برأ أو برى » ، اذ في سائرها سائدة فكرة القطع والفصل الأصلية في الثنائي .

(٥) من معنى الفصل تولّد مدلول التخيُّر ، والاخراج ، والابعاد ، والنزع ، والتجريد ، والتطهير والتبرير .

(٦) في العبرية ، من معاني Bara : الأكل ، ثم الاقاتة ، ثم السمن والتضخّم . فهذه كلها سهلة الادراك ، ومتساوقة الاشتقاق . لأن الأصل هو القطع . وما عمل الأكل الا تقطيع المأكولات بالأسنان ، قبل ابتلاعها . ومن الأكل تنشأ الصحة . ومن نتائج الصحة السمن ؛ ومن فرط السمن التضخّم .

(٧) في العبرية والاكدية ، بدل فعل Bara و Barû على الميثاق والعهد ، وهو Berît و Bîritu . بيد ان هذا المدلول عينه ناجم عن القطع والفصل . لأن من عادات الأقدمين ، في حفلات عقد المحالفات ، والارتباط بالعهود ، انهم كانوا يذبحون الذبائح ويأكلون منها . فسمي العمل الاجتماعي باسم الفعل المادي ، اي نحر الأنعام التي كانت تجزر في تلك الفرص [1] . كما ان أصل « القسَم » بمعنى اليمين ، صادر عن مثل ذلك . لأنه وقت ابراز الحلفان كانت تُجزر الجزور وتقسَّم اشلاؤها على المتحالفين الذين كانوا عند « ابرازهم القسَم » يغمسون ايديهم في دمائها [2] .

(٨) هناك كلمتا « ابن وبنت » في العربية ، ثم لفظة Bar في السريانية والعبرية ؛ و Beu في العبرية . ففي هذا الصدد يقتضي ان نعرف ان الباء

(١) سفر يشوع ٩ : ٦ ي ، سفر القضاة ٣ : ٢ ، ١ سموئيل ١٨ : ٣ ، ٢٣ : ١٨ . معجم Gesenius ١ — ٢٣٨ .

(٢) اللسان ٨ : ٣٦ ، التاج ٤ — ٢٠٣ .

والنون تتعاقبان في اللغات السامية . وعليه يتفق هذا الأصلان في الدلالة . فلفظة Bar التي في السريانية ، والعبرية ، تدل على الابن ، هي من Bara و Bra بمعنى صنع ، خلق ، أولد . لأن الايلاد نوع من الصنع والخلق . وأما « ابن » العربية فهي آتية من « بنى » المبدلة من Bara ، ولها مقابل في الأكدية التي نجد فيها Banû بدلالة « بنى » العربية ، ودلالة « أولد » . لأن البناء ضرب من التكوين والانشاء والايجاد ، ومنه الايلاد [1] . والدليل على ابدال الراء من النون هو انه حتى في الارمية نشاهد ان جمع Bar بمعنى « ابن » أو مولود ، هو Bnaya حيث تظهر النون [2] . وكل هذا متضمن في الثنائي « بَرْ » (ومبدل بَنْ » الدال على الانفصال والاشتقاق عن الاصل ، أي الصدور والتولّد .

(يتبع) الأب مرمرجي الدومنكي



(١) معجم Muss - arnolt (اشوري - بابلي - انكليزي - الماني) ١ - ١٧٣ ، معجم Bezold ص ٩٠ .

(٢) منّا ، ٧٩ ي ، معجم Payne - smith ١ - ٥٧٨ .

كتاب تحفة العجايب وطرفة الغرايب

في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب كتاب بهذا العنوان ذكر في فهرس المكتبة بين كتب فن الطب والتشريح برقم ١١٨٣ . اطلعت عليه فوجدت مكتوباً في صدره : كتاب تحفة العجايب وطرفة الغرايب تأليف الشيخ الامام العلامة ابن الأثير تغمده الله برحمته بمنه وكرمه . وهناك ختم مربع مستطيل عليه اسم عثمان باشا بن عبد الرحمن باشا الديوركلي باني الجامع وواقف الكتاب .

أنقل من الكتاب ، للتعريف به ، ما يلي بحرفه :

بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر يا كريم .

المقالة الأولى في الأجسام المتولدة من المعادن وتشتمل على ثلثة أبواب وفصول .

الباب الأول في المعادن . المعادن هي أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض اذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة اللون والكيف . وهي اما قوية التركيب واما ان تكون منطرقة او لم تكن منطرقة . فهي الاجساد السبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والخارصيني والاسرب . وان كانت غير منطرقة فاما ان تكون في غاية اللين كالزئبق ، واما ان تكون في غاية الصلابة ، فاما ان تنحل بماء الرطوبات وهي الاجسام الملحية كالزاج والنوشاذر . واما ان تنحلل وهي الأجسام الدهنية كالزرنيخ والكبريت . فاما الأجسام السبعة فتتولد من أخلاط الزئبق والكبريت على اختلاف في الكم والكيف ... الخ

وقال في الباب الثاني ، وهو في النبات : قال المسعودي ان آدم عليه السلام لما هبط من الجنة خرج ومعه اربعون قضيباً مودعة أصناف الثمر . منها عشرة

لها قشر . وهي الجوز واللوز والجلوز والفستق والبلوط والشاهبلوط والصنوبر والنارنج والرمان والخشخاش . ومنها عشرة لثمرها نوى ... الخ .

الباب الثالث في أصناف الحيوانات وعجايبها . النوع الأول في حقيقة الانسان .. الخ .

يأتي بعد هذا الباب فصل في حيوانات عجيبة الأشكال . وقد قسم الفصل الى ثلاثة اقسام . جاء في القسم الثالث ذكر حيوانات غريبة الأمر ، جاء فيه قوله : منها ما أخبر بعض الفقهاء بالموصل انه شاهد في الأكراد وهم جيل يسكنون بعض بلاد الموصل انساناً طوله تسعة اذرع وهو صبي ما بلغ الحلم . وكان يأخذ بيد الرجل القوي ويرميه خلف ظهره . اراد صاحب الموصل ان يستخدمه فذكروا ان في عقله خبلاً لا يصلح لذلك .

وجاء في آخر الكتاب : ما ذكره ابو الريحان الخوارزمي ان والي سبيجاب أهدى الى نوح بن منصور الساماني فرساً له قرنان ظاهران وثعلباً له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما ، واذا بعد ألصقها بالجنب . ثم قال ربما يتعجب الناس من الثعلب الطيار ، فان الثعالب كانت طيارة في عهد الكيانيين . ومنها دجاجة برأسين ودجاجة بأربعة ارجل . والله أعلم .

الكتاب غفل من التاريخ وفيه أغلاط من النساخ لا تخفى على القارئ . وفي الصفحة الأخيرة جاءت كلمة الكيانيين مهملة . وليس في آخر الكتاب اسم الناسخ .

ان قول المؤلف في أول الكتاب : «المقالة الأولى في الأجسام المتولدة من المعادن» يتبادر منها الى الذهن ان الكتاب يتركب من جزئين او اكثر وان المجلدة الحلبية ليست الا الجزء الأول منه ، لأنه لم يرد فيها ذكر لمقالة ثانية . ويعظم هذا الوهم عند النظر في كشف الظنون فاننا نجد ان الحاج خليفة قال عن هذا الكتاب : «تحفة العجايب وطرفة الغرايب لابن اثير الجزري . جمعها من كتب عديدة . اولها الحمد لله رب الأرباب ومنشئ السحاب الخ ورتب على اربع مقالات» . من هنا حصل عندي الظن بان الكتاب الذي اطلعت

عليه في جامع العثمانية بحلب لم يكن سوى الجزء الأول من التحفة وأني لم ألاحظ ذلك وان حافظ الكتب لم ينبهني ، لضيق الوقت ، الى ان الكتاب له اجزاء اخرى . فكتبت الى صديقي المحترم الشيخ محمد راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي وبينت له الأمر ورجوت منه ان يراجع الكتاب ويكتب لي عن حقيقة الحال . فجاءني منه الجواب يقول فيه : لا يوجد في المكتبة سوى الجزء الذي رأيتَه وهو جميع الكتاب . والدليل على ذلك قول المؤلف في ورقة قبل نهايته « فصل في حيوانات عجيبة الأشكال وبه نختم الكتاب ان شاء الله تعالى » .

وعلمت بوجود نسخة من هذا الكتاب في خزانة كتب الأزهر بالقاهرة ، فرجوت من صديقي السيد برهان الدين الداغستاني ان يطلع عليه ويخبرني باسم مؤلفه . فكتب لي يقول : بعد بحث طويل شاق في فهارس قديمة غير منظمة ولا مرتبة عثرت على قطعة من الكتاب في ٦٨ ورقة مكتوبة بخط رديء جداً ناقصة من الاخر وليس عليها اسم المؤلف لا على ظهرها ولا في أولها . لكن كاتب الفهارس كتب في باب الملاحظات مقابل اسم هذه القطعة هذه العبارة « في كشف الظنون انه لابن الأثير الجزري » .

ثم اني بعد التحري علمت من الفهرس الذي نظمه دي سلان بوجود نسخة من تحفة العجايب في خزانة الكتب الأهلية بباريس تحت الرقم ٢١٧٢ في الفهرس المذكور . وفهمت من الشرح المذكور هناك ان الكتاب مرتب على اربع مقالات كما قال الحاج خليفة ، وان المقالة الأولى تبحث عن السماء والأرض ، والثانية عن عجايب الدنيا والزمان والليالي والأنهار ، والثالثة عن عجايب البحار والأنهر والعيون والجبال ، والرابعة عن المعادن والنبات والحيوان . فتكون مخطوطة حلب المقالة الرابعة من الكتاب فقط .

نأتي الآن الى البحث عن مؤلف الكتاب :

ان النسخة الحلبية لم تذكر اسم المؤلف ولا نسبته الى بلد ، بل اكتفت

بتسميته بالشيخ الامام العلامة ابن الأثير . ومخطوطة الأزهر لا شيء فيها عن المؤلف . وفي كشف الظنون ان الكتاب لابن الأثير الجزري . ومثله في نسخة باريس . وانفرد جورجي زيدان فصرح في كتابه تاريخ الآداب العربية بأنه ا ز الدين ابن الأثير .

من المعلوم ان ابناء الأثير المشهورين ثلاثة . مجد الدين ابو السعادات المبارك المحدث المتوفى سنة ٦٠٦ ، وعز الدين ابو الحسن علي المؤرخ المتوفى سنة ٦٣٠ ، وضياء الدين ابو الفتح نصر الله اللغوي الاديب ، وزير الملك الأفضل الأيوبي ، المتوفى سنة ٦٣٧ . فمن هو مؤلف الكتاب من أبناء الأثير هؤلاء ان صح ان احدهم قد ألفه ؟

توفي ابن خلكان سنة ٦٨١ عن ٧٣ سنة . فقد ولد بعد وفاة مجد الدين بسنتين فكان زمانه قريباً جداً من زمانه وعاصر اخويه عز الدين وضياء الدين . وهو الذي يقول في ترجمة ضياء الدين : « ولقد ترددت الى الموصل من اربل اكثر من عشر مرات » . وقال في ترجمة عز الدين : « لما وصلت حلب في أواخر سنة ٦٢٦ كان عز الدين المذكور مقيماً بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم .. وكان كثير الاقبال عليه ... فاجتمعت به فوجدته رجلاً مكحلاً في الفضايل .. فلازمت التردد اليه ... ثم عاد الى حلب في أثناء سنة ٦٢٨ فجريت معه على عادة الترداد والملازمة ... » فلو كانت تحفة العجايب وطرفة الغرايب لعز الدين أو لأحد اخويه لما فاته ذكرها .

نشأ ابناء الأثير الشيبانيون في جزيرة ابن عمر وانتقلوا الى الموصل وتربوا فيها وسكنوها ، فهم أدرى الناس بهذين البلدين وبما جاورهما من البلاد والاكراد . فلا ينتظر ان يأتي واحد منهم بالعبارة التي نقلناها آنفاً وهي : (منها ما اخبر بعض الفقهاء بالموصل انه شاهد في الأكراد ، وهم جيل يسكنون بعض بلاد الموصل ، انساناً طوله تسمة اذرع ... اراد صاحب الموصل ان يستخدمه . الخ) .

فهذا كلام رجل لم ير الموصل ولا عرف شيئاً عنها ولا عن الأكراد ومواطنهم ولا اسم صاحب الموصل يومذاك ولا اسم الفقيه الذي شاهد الكردي المفرط الطول ولا عيّن موطن الكردي بالتحديد .

عندي ان نسبة الحاج خليفة هذا الكتاب لابن الأثير الجزري ناشئة من شهرة أبناء الأثير الجزريين ، ونسبة جورجي زيدان اياه الى عز الدين ناشئة من اشتهار عز الدين اكثر من اخويه بكتابه الكامل في التاريخ . وكل ذلك تعسف من غير دليل .

هذا وان من عرفوا بابن الأثير كثيرون . منهم :

مجد الدين محمد بن الأثير . ورد ذكره كراراً في كتاب الحودث الجامعة لابن الفوطي في ص ٣٣٣ فما بعدها . وجاء ذكر قتله فيه في ص ٤٤٨ .

وجاء في ص ٤٩٠ في الكتاب المذكور اعلاه في حوادث سنة ٦٩٥ ذكر وفاة اثير الدين التستري (؟) مشرف العراق ، وقيل هناك انه ابن عم مجد الدين بن الأثير السالف الذكر .

وورد في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين احمد بن علي المقريزي المطبوع سنة ١٩٣٩م ذكر عدة رجال سموا بابن الأثير .

فقد جاء في حوادث سنة ٦٨٤ قوله : بعث السلطان [قلاوون] الى سنقر الأشقر بتاج الدين احمد بن سعيد بن الأثير يلومه على مكاتبة التتار والاستنجاد بهم ويدعوه الى الحضور . فوبخه تاج الدين ولامه حتى اناب ووعده بارسال ولده . (ج ١ — ص ٧٢٨) .

وجاء ذكر احمد هذا في حوادث سنة ٦٩١ أيضاً حيث قيل : اقر السلطان في ديوان الانشاء تاج الدين احمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخي الحلبي عوضاً عن ابن عبد الظاهر (١ — ٧٧٩) لاحظ قوله التنوخي الحلبي ، وانت تعلم ان أبناء الأثير الجزريين كانوا شيبانيين .

وجاء في حوادث السنة عينها : ولي ديوان الانشاء عماد الدين اسماعيل بن احمد ابن سعيد بن محمد بن الأثير بعد وفاة والده ، فان والده لم يقم في كتابة السر الا نحو شهر ومات بغزة عند عوده من دمشق (١ — ٧٨١) . اني ارجح بل لا أشك في ان عماد الدين ابن الأثير الذي جاء ذكره بين شراح قصيدة ابن زيدون هو اسماعيل بن احمد هذا . ذكره جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية فقال : هناك ابن اثير رابع اسمه عماد الدين توفي سنة ٦٩٩

وفي حوادث سنة ٦٩٩ : رحل غازان في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى وترك على دمشق نائبه قطلوشاه نازلاً بالقصر واخذ وزيره من أعيان دمشق ... وشرف الدين محمد بن شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير . (ص ٨٩٥) . وذكر شرف الدين هذا في حوادث سنة ٧٠١ حيث قيل : وفيها قدم البريد بحضور علاء الدين بن شرف الدين محمد القلانسي الى دمشق وصحبته شرف الدين ... بن الأثير في تاسع عشر جمادى الأولى من بلاد الططر ، وكانا قد اخذا لما دخل الططر الى بلاد الشام ، ففرا ولقيا مشقة زائدة في طريقها (السلوك أيضاً ٩٢٢) .

وفي حوادث سنة ٧٠١ ذكر موت شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير بدمشق وكان يكتب الانشاء بها (ص ٩٢٧) . (وهو والد شرف الدين محمد المذكور أعلاه) .

وجاء في ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي تأليف تلميذه الحافظ ابن ابي المحاسن الحسيني الدمشقي ص ٥١ قوله : ومات بمصر الواعظ شمس الدين حسن بن اسد ابن مبارك بن الأثير . سمع الحافظ المنذري والنجيب .

فمن هو مؤلف هذا الكتاب من جميع هؤلاء الذين عرف كل واحد منهم بابن الأثير ؟

اني بعد ان وجدت ابن خلكان لم يذكر هذا الكتاب في تراجم ابناء الأثير الجزريين وكان أعرف الناس بهم وبتآليفهم وفندت نسبة الكتاب لعز الدين ، أكاد أجزم بان مؤلف كتاب تحفة العجايب وطرفة الغرايب موضوع البحث هو عماد الدين اسماعيل بن احمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخي الحلبي شارح قصيدة ابن زيدون المذكور آنفاً لاشتغاله بالتأليف ولكوني لم أجد الى الآن تأليفاً لأحد من أفراد اسرته او غيرهم ممن سموا بابن الأثير . وأرى ان عدم ذكر اسمه في مخطوطة حلب سببه شهرة له كانت عظيمة يومذاك في القطر الشامي فكان يكفي ان يقال ان الكتاب لابن الأثير خاصةً بعد توليه ديوان الانشاء .

ومن المحتمل جداً ان يكون في متن الكتاب ما يستدل به على صحة ما ذهبت اليه من نسبة التأليف الى عماد الدين اسماعيل .

(الموصل) **الدكتور داود الجلبي**



كنز من كنوز الجاحظ

أربع رسائل من رسائله

- ٤ -

الرسالة الثالثة من رسائله الأربع (١)

عنوان هذه الرسالة (الجدّ والهزل) وقد مُنيت من الأغلاط والتحاريف بما لم تُمنَ به أخواتها . وبذلك فاتنا الخير الكثير من مقاصد الجاحظ ، وجمال تفاكيره ، وحسن ابتكاراته ، التي حلّى بها جيد تلك الرسالة . ولم تُصَب الثقافة العربية الأدبية ومخطوطاتها بفتنةٍ أسوأ من فتنة سوء نسخ النساخ لها ، ولا سيما آثار الجاحظ ومخطوطات كتبه . ولو وصلت الينا تلك الآثار مصححةً سالمة من الغلط والتحريف لنالنا خيرٌ كثير من العلم ، ولكانت لنا ثروة لا تثمن من فصيح الألفاظ ، وبديع الأساليب ، وجميل المعاني .

جعل الجاحظ رسالته هذه في الجِدّ والهزل ، ولكنه لم يتكلم عليهما ، ولم يشرح معناهما من حيث اللغة وعلم الأخلاق ، ولا من حيث حسن الجِدّ وقبح الهزل أدباً وشرعاً ، ولم يسرد ما ورد من النصوص وأقوال الحكماء في ذلك ، كما هو دأب المؤلفين في الادب ومكارم الأخلاق . وإنما هو يخاطب فيها صديقه (الوزير محمد بن عبد الملك الزيات) ويفتَنُّ في معاتبته ولومه على بعض ما كان منه أيّ افتنان ، مفرغاً ذلك كله في أساليب الجِدّ تارة ، ومعارض الهزل والتهكم تارة أخرى . ومهّد للكلام بمقدمة أطال فيها بما لا يظهر أن له علاقة بالجد

(١) مر الكلام على الرسالة الأولى (المعاد والمعاش) في المجلد (٢١) ص ٥٣٠ والمجلد ٢٢ ص ٨٤ كما مر الكلام على الرسالة الثانية (كتمان السر وحفظ اللسان) في المجلد ٢٢ص١٣٠ . وقلنا ثَمّ ان ناشر هذه الرسائل هو المستشرق (باول كراوس) في القاهرة سنة ١٩٤٣

ولا بالهزل ، كما هي عادته في ما يكتبه أو يترسل به . وهو في توجيهه العتاب الى صديقه (الزيات) يظن القارئ لأول وهله أنه إنما يعاتبه في أمرٍ عظيم ، أو من أجل إخلاله بالصداقة وطعنه لها في الصميم . واذا هو يعتب عليه ، وينقم منه ، حقده وموجدته وتسرعه في الانتقام ، وحب العقوبة ، — في أمرٍ تافه حقير — افتتح به الرسالة فقال : (جُعلتُ فداك : ليس من أجل اختياري النخلَ على الزرع أقصيتَني ، ولا على ميلي الى الصَدَقة دون إعطائي الخراج عاقبتَني ، ولا ابغضي دفع الإتاوة والرضا بالجزية حرمتَني ، ولستُ أدري لمَ كرهت قربي ، وهَويت بُعدي واستثقلتَ روحي ونفسي) الخ . ثم عاد بعد نحو عشر صفحات فقال : (وبعدُ : متى صار اختيار النخل على الزرع يُحقِد الاخوان ؟ ومتى صار تفضيل الحَبّ وتقريظ التمر يورث الهجران ؟ ومتى ومتى الخ ...) .

وهو في رسالته هذه يستطرد الى وصف الذنوب وأنواعها واسبابها ومصادرها ومواردها ، والعفو عنها ، والعقوبة عليها . ثم يأمر بالتغافل عنها والتماس الأعذار لاصاحبها ، ما لم تكن تلك الذنوب خبيثة مستعصيةً ، كالذنب الذي لا سبب له الا البغضة . فهذا (لو لم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم لعذَرك كثير من العقلاء ، ولصوّب رأيك عالَم من الأشراف) . وقوله (عالَم) الظاهر أنه بفتح اللام مريداً به الطائفة ، كما يُراد بكلمة (أمة) أحياناً (ولما وَرَدَ ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون) .

وقد يكون السبب في الذنب أنه طبيعة في المذنب ، وخُلُق غالب عليه : فالجاحظ ينصح فيه بقوله (اقتُله قتلَ العقارب ، وادمغه دمغ رؤوس الحيات) ومعنى دمغه شجّه حتى يبلغ دماغه ، ثم استُعمل الدمغ في معنى القهر كما استعمله الجاحظ . قال : واذا أساء اليك مسيء لالشيء (إلا اتُعطيه على الخوف ، وتمنع عرضك من جهة التقيّة ، فهذا امنعه جميل رفدك ، واحتلْ في منعه من قبل غيرك ، فانك ان أعطيتَه على هذه الشريطة فقد شاركته في سبّ نفسك ، واستدعيت الألسنة البذيئة الى عِرضك ، وكنت عوناً لهم عليك .. الخ) .

ينصح الجاحظ بأن لا يُعطى ذلك الذي يَسُبُّ الناس ويهددهم بهتك أعراضهم، ونبش أسرارهم، فان الخوفَ منهم، واسكاتهم بالعطاء، يزيدهم جرأة وتمادياً، بل يجرّئ غيرهم على مثل صنيعهم. وهذا ما يسميه الافرنج (شانتاج): أعطني والاّ فضحتك!!! وأشهر من اتّسم بهذه الخصلة الملعونة من شعراء العرب (الحُطيئة)، وعرف ذلك من دأب بعض الشعراء في العصر العباسي، عصر الجاحظ، بل قلّما يخلو عصر من وجود أمثال هؤلاء الذين كان ارتأى (الاب انستاس) أن يطلق عليهم اسم المشنّحين (بالحاء) اي المشنّعين. فيكون التشنيح في رأيه هو الـ chantage عند الافرنج. ومن أصرح ما قيل في التشنيح قول ذلك الشاعر:

(قُل للرؤوس ومن تُرجى نوافلهم ومن يؤمّل فيه الخير والعَمَلُ)
(إن تسعفونا بأعمالٍ نصيّرها شغلاً والاّ ففي أعراضكم شُغُلُ)

أما المذنب اليك إذا كان حسوداً، فقد قال الجاحظ (إن من العدل المحض، والانصاف الصحيح، أن تحطّ عنه نصفَ عقابه، وأن تقصر من العقاب على بعض مقداره، لأن ألم حسده لك قد كفاك مؤونةَ شطرِ غيظك عليه).

لا جرم أنك اذا فكّرت في ما يكابد حسودك من الألم، قلّ غيظك عليه الى النصف، فليكن عقابك له الى النصف أيضاً. كذا حَكَم الجاحظ.

ويعود الجاحظ فيستنكر أشد الاستنكار معاملة صديقه (الزيات) له بالجفوة، والعدوان عليه بالعقوبة، ويهوّل في الوصف حسب عادته فيقول: (والله لو كنتُ فعلتُ كذا وكذا ... ونقضتُ الشروط بأسرها، وأفسدتُ نتاجك، وقتلتُ كل شطرنجيٍ لك .. وكنت جُذام المُردان. وبِرسام الأولاد. ومسختُ جميع الجواري في صورة أبي رملة. ورددتُ شطاط خلقكَ الى جعودة أبي حَشّة، وكنتُ أول من سنّ بيع الرجال في النخاسين، وحوّلتُ اليك عقل أبي دينار. وأحببت صالح بن حنين، وأحوجتُك الى حاتم الريش ... لكان ما تركَبُني

به سَرَفاً ، ولكنت في هذا العقاب متعدّياً) أي إن ما ذكر من فظيع الذنوب هو الذي يستحق أن يعاقبه عليه ، لا أن يعاقبه على تفضيل النخل على الزرع مثلاً . والجاحظ في مصنفاته لا يأنف أن يتمثّل بأشخاص من عامّة زمانه ، لا قيمة لهم سوى شهرتهم بالخصال المذمومة ، فيجعلهم (أبطالا) لرواياته وأقاصيصه ، كما تمثّل هنا بأبي رملة وابي حثّة وغيرهما . وقد يقع تحريف في أسماء هؤلاء الأشخاص فيصعب الاهتداء الى معرفتهم في كتب التراجم ، هذا إن كان مؤلفوها يأبهون لهم ، أو يهتمون بذكرهم . وبعض هؤلاء المؤلفين المتزمّتين لا يرون للجاحظ نفسه قيمةً ، فضلاً عمن يحفل بهم من مثل من ذكرنا . ويفهم من السياق أن (أبا رملة) كان نهايةً في الدمامة والقبح ، كما كان (ابو حثة) غايةً في القماءة والقِصَر وتداخل الجسم . فلم يكن ذا (شَطاط في الخَلق) وهو حُسن الطول ، وامتداد القوام . وقوله (ما تركبني به) يدل السياق على انه يريد ما تعاملني به من السوء والأذى . وفي الأساس (ركبه بالمكروه وارتكبه) .

أما (صالح بن حنين) فثقيلٌ بغيض ، لا يمكن ان يحب ، ومن أحبه كان أثقل منه . ولذا تبرّأ الجاحظ منه ، ومن حبه . ولقد ظفرنا بشيء من أخبار (حاتم الريش) الذي تعوّذ الجاحظ من الاتكال عليه ، أو ان يحوج صديقه الوزير ابن الزيات اليه ، فقد جاء ذكره في الأغاني (جزء (٦) ص ١٩٤ و ١٩٥ من طبعة الساسي) في أخبار (الحسين بن الضحاك) . قال ما ملخصه : (لما جاء المعتصم بغداد سأل عن (ندماء صالح بن الرشيد) فأُدخلوا عليه ، وفيهم الحسين ، وقَنّينة ، وحاتم الريش ، وراوي الخبر كثير بن اسماعيل ، قال كثيرٌ : ولشؤمي كُتبتُ بين عينيّ هذه الجملة (سيّدي هَب لي شيئًا) فلم يستملحه المعتصم ، فدعا باصحابي من غدٍ ، ولم يدعُني . فاستشفعتُ ببيتين نظمهما لي الحسين بن الضحاك وهما :

(قل لدنيا أصبحت تلعبُ بي سلّط الله عليك الآخره)
(إن أكن أبردَ من قَنّينةٍ ومن الريش فأمي فاجره)

فضحك المعتصم ، وأمر لي بجائزة . ثم ذكر صاحب الاغاني قصةً ورد فيها ذكر (حاتم) هذا ، وأنه كان قبيحاً ، كثير الحُباق ، يحبق في المجالس ولا يستحي حتى لُقب بالحَبّاق . فقول الجاحظ للوزير ابن الزيات (واحوجتك الى حاتم الريش) غاية في استحقاقه للعقوبة ، مذ اضطر الوزير أن يلجأ في بعض حالاته الى حاتم الريش ، وهو من القبح والثقالة وسوء الأدب بحيث وصفوه ولقبوه . و (ابو دينار) ذكره الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) وعدّه في جملة الموسوسين والسخفاء ، كما عدّ (صالح بن حنين) في كتابه (البخلاء) في جملة البُغَضاء . وقد اشتهر بين الناس بذلك ، حتى لو نُسب اليه نادرةٌ حارّه لما استملحها الناس واستبردوها ، بينما تراهم إذا سمعوا النادرة الباردة عن (مُزَبّد) الفكاهي المشهور تقبّلوها واستملحوها .

ومن طريف ماذكره الجاحظ في هذه الرسالة عن سبب غيظ صديقه منه ، وعتبه عليه أنه — أي الجاحظ — مُهمِلٌ لقماطره ، غير منظّمٍ ولا مرتب لدفاتره ، وقراطيس مكتبته ، وكراريس علمه ، وقد تركها من دون ربطٍ ولا خرزٍ ولا حزمٍ (على أن الدفتر اذا انقطعت حزامته ، وانحلّ شداده ، وتخرّمت ربطه ، ولم يكن دونه وقاية ولا جُنّة ، تفرق ورقه ، واشتد[1] جمعه ، وعسر نظمه ، وامتنع تأليفه ، وربما ضاع اكثره ، والدفتان أجمع ، وضمّ الجلود لها أصون ، والحَزْم لها أصلح) .. الى آخر ما قال ، مما فيه عِظة لمديري دور الكتب وزوارها ، وارشادٌ الى أشياء لا تخطر الا ببال عبقريٍّ عجيب ، كشيخنا الجاحظ (راجعها في ص ٧٢ و ٧٣ و ٧٤) . و (شِداد) الدفتر ما يُشدّ به ، ولم أره في المعاجم ، فهو من أوضاع الجاحظ التي اعتمد فيها على القياس : مذ وجد أهل اللسان يقولون : رِباطُ الإضبارة ، وحزامها ، وسجاؤها ، فلماذا لا يصح أن يقول هو شِدادها ؟

---

(١) اشتدّ من الشِدّة أي صعُب جمعُه .

وقد استطرد الجاحظ بهذه المناسبة (في ص ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧) الى كيف يجب أن تكون قراءة الكتب ، والأضواء التي يُستعان بها على المطالعة ، وكيف يحسن أن يطالعها المطالع ؟ أيطالعها مستلقياً أم جالساً ؟ وقد فضّل الاستلقاء على الجلوس واختار ذلك لنفسه ، مذ قال : (واذا نظرتُ فيها وأنا جالس سَدِرتْ عيني ، وتقوّس ظهري ، واجتمع الدم في وجهي ، وأكرهت بصري على غير جهته ، وأجريتُ شعاع ناظري في غير مجراه ... ومن كان على مقطع جبلٍ ، أو على شُرُفات قصرٍ ، فأراد رؤية السماء على بعدها ، وجَدَ ذلك على العين سهلاً خفيفاً ، وان أراد أن يرى الأرض على قربها ، وجد ذلك على العين عِبئا ثقيلاً) . وكذلك حال مطالع الكتب وهو جالس ، فانه يشعر بتعب عينيه إذا حنا رأسه اليها وهي في حَجْره . ولكن لا ندري إذا كان أطباء العيون اليوم يجوّزون ما جوّزه الجاحظ من تفضيل مطالعة الاستلقاء : فانهم على ما نعلم يأمرون بالمطالعة جلوساً ، مع المحافظة على انتصاب القامة ، ورفع الهامة .

ثم أوغل الجاحظ في إعمال المقارنة بين المطالعة جلوساً ، والمطالعة استلقاءً ، وانتهى أخيراً الى تقبيح الجلوس ، حتى تعرّض الى ضرر الاستعانة بعبده أو أَمَته ، في مناولة كتب المطالعة ، وعدّ ذلك من شؤم الجلوس وشقائه فلا مندوحة إذن عن استلقائه . ولم ينس الجاحظ ان يعيب العبد والأمة بجهلهما قيمة الكتب ، وأنه اذا استعان بأحدهما فهو إنما يستعين (بأخرق الناس كفاً ، وأقلّهم وَفقاً ، وأكثرهم التفاتاً ، واحضرهم نعاساً) الى آخر ما نعتهم به من ارتعاش اليد والضجر والفرار من الكتب ، وان كل ذلك يحمله على ترك الاستعانة بعبده وأَمته ، وأن يتعاطى ذلك بنفسه ، على ما فيه من إرهاق وشقاء في المطالعة ، ولكن كيف يتركها ، ومن فوائدها كيت وكيت ؟ ثم ختم الكلام على بحث الكتب ومطالعتها بالرجوع الى صديقه الذي عاقبه على إضاعة كتبه ، وإهمالها ، والسرف في ترك العناية بها وإغفالها ، قائلاً : (فحسبُك الآن من شجٍ من يأسوك ،

ومن قتل من يُقتل فيك) يعني أن الجاحظ يريد حياةَ صديقه (الوزير) وصديقه يريد قتله . وعندي أن صديقه إن كان غلا في عقابه ، فقد كان هو أشد غلواً في لومه وعتابه .

وللشطرنج نصيب كبير في أدب الجاحظ وكتاباته : فقد مرّ قوله (حتى كأني قتلتُ كل شطرنجيّ لك) في صدد التعجب من صديقه المتجنّي عليه . وانه لا يستحق كل هذا العقاب ، ثم عاد الى الصدد نفسه ص ٧٦ ومثّل بالشطرنج فقال (حتى كأني علّمت عليك « شاه مات ») يريد ان يقول : تعاقبني حتى كأني غلبتُك في لعبة الشطرنج ، قائلاً الجملة التقليدية في إعلان الغلب وهي قولهم : (شاه مات) . وكما ان (شاه مات) جملة متوارثة ، كذلك قول الجاحظ (علّمت عليك) أي غلبتُك لكن عهدي بقولهم (علّم عليه) أنه لا يُستعمل اليوم بين الشطرنجيّين وانما يستعمله اللاعبون بالسيف والترس وما يشبهه من ألعاب الفروسية . وقد تمثل الجاحظ بالشطرنج أيضاً في هذه الرسالة ص ٨٢ و ٨٩ .

ومن أغرب إيغال الجاحظ في الوصف ، ومعاتبة صديقه له في التفريط بكتبه ، وأمر مطالعتها ، زعمه أن صديقه إنما يكيد له فيحمله على مطالعتها ليلاً على ضوء النار ولهبها ، فيسخن جسمه ، فيصاب بمرض المثانة ، وهو شيخ هرم ، معرّض للأمراض ، فقد قال يخاطب صديقه (وقلت اذا سَخَن بدنُه سُجِن بوله ، واذا سُجن بوله جرّح مثانته ، وأحرق كليته ، وطبخَ فضولَ غذائه ، وجفّف ما فضل عن استمرائه ، فأحاله حصا قاتلاً ، وصخراً جامداً ، وهو دقيق ... ضيّق ... فإذا حصاه يورثه الأسر ، وفي ذلك الأمر تلف النفس ، أو غاية التعذيب ، وقلتَ : فان ابتليتُ بطول عمره ، أقام فينا مشغولاً بنفسه ، وإن ذهب عنا ، فقد كفانا مؤونة الحيلة في أمره . جعلتُ فداك ! ما هذا الاستقصاء ؟ وما هذا البلاء ؟ وما هذا التغلغل ...) يلوم الجاحظ صديقه على استقصائه في الكيد له ، وإلحاق الأذى به ، ولكن أصحيح أن صديقه ابن الزيات انتهى

في الاستقصاء الى هذا الحد الذي زعمه الجاحظ ؟ وأنه حاول عن طريق مطالعة الكتب ليلاً أن يوقعه في أمراض المثانة والحصى والأسر (احتباس البول) ؟؟ حقاً ان شيخنا الجاحظ اعتاد الغلوّ والتغلغل والإيغال ، وركوب اساليب من المعاني لا تخطر لسكان عَبقَر على بال .

ومما اتهم به صديقه أن صديقه كان يود أو يحاول أن لا يكون للجاحظ ولدٌ يُحيي ذكره ، ويحوي ميراثه ، كما كان يحتال في ان لا يكون له مال (فيالها مكيدة ما أبعد غورها ، ويالها حُفرة ما أبعد قعرها ... وما إخالها إلا وتدقّ على (ابن العاص) وتغمض على (ابن هند) ، ويكلُّ عنها (أخو ثقيف) ويستسلم لها (ابن سمَيَّة) . وليس هذا فقط بل زعم الجاحظ أن صديقه كان يفجؤه بالمكايد والمساآت ، ولا يتدرج بها حتى يكون الجاحظ قد أنس بها ، واستعدّ لها ، ثم يرقّق قلبه عليه قائلاً : (فقد متُّ الآن فمع من تعيش ؟ بل قد قتلتَني فمَن الآن تعاشر ؟ أمع الشطرنجيين ؟ ! !) ولو قال هذا غيرُ الجاحظ لقلنا إنه سَرَقَه من قول أبي نواس :

(مَن ذا يكون أبا نُوا سك إن قتلتَ أبا نواسك ؟)

ومن أفانين العتاب التي وجهها الجاحظ الى صديقه أنه لا ينبغي تفضيل المركب على الصاحب ، (ويريد بالمركب الدابة التي تُركب) ، قال (ومن يعدل إمتاع بهيمة بامتاع أديب ؟ ... قالت ابنة النعمان : ولم نرَ في ما جرَّبنا من جميع الأصناف أبلغ في خيرٍ أو شر من صاحب) تريد أن الصاحب أفضل من سائر اصناف الناس من حيث مساندة صاحبه في خيره وشره ، وعسره ويسره . واراد الجاحظ ان يزيد قول ابنة النعمان — وهي الحُرقة المشهورة بعقلها — وضوحاً ، فحكى عن (عبيد الله بن زياد) أنه أصيب بيبس في معدته فأُشير عليه باستعمال الحقنة ، فتفحّشها ، وكبر عليه استعمالها ، ولما رأى انه لا بد منها تساءل عمن يزاول ذلك منه ؟ (فقال له حارثة بن بدر : ما أَجد أولى بتولي ذلك من الطبيب .

قال عبيد الله : كلاّ ! فأينَ الصاحب ؟) . وانجرّ الكلام في أسباب موجدة صاحبه عليه الى ذكر الغضب . فقال : إن الغضبان اذا اشتغل أُوار غضبه لا يَثنيه عذل ، ولا ينهنه من غلوائه رُقية ، (فلو سَعطتَه بالتوراة ، وَوَجَرتَه بالانجيل ، ولَدَدْتَه بالزبور ، وافرغت على رأسه القرآن إفراغاً ، وأتيته بآدم شفيعاً — لما قصّر دون أقصى قوته الخ) ...

ثم طغى المَرَح على قلم الجاحظ فترك الاعتدال في الجِدّ والهزل إلى ما يشبه الشَّطَط والاستهتار بحكم العقل ، فقال بمناسبة تعداد أسباب العداوات بين الخلطاء ، وانه لا سبب من هذه الأسباب كان ينبغي أن يُفسد ما بينه وبين صديقه (ابن الزيات) ، نعم كان هناك سبب واحد ، من شأنه أن يورث التحاسد ، وهو تجاورهما في (مدينة السلام) ، وتقابل دورهما فيها ، ورجوعهما في النحلة الى مذهب واحد ، والى النظر في علم واحد ، ثم قال (ولكن اشد تعجّبي منك اليوم وأنا بفرغانة !!! وانت بالأندلس !! وأنا صاحب كلام ، وانت صاحب نتاج (أي إبل وماشية ، أو انه يعني انك تنتج عَمَلاً وانا ازوّق كلاماً) وصناعتك جودة الخط ، وصناعتي جودة المحو (اي أريد ان أجيد الخطّ مثلك فيخرج كأنه ممحواً ، أو صواب المحو (الحوك) مريداً به حوك الكلام وصياغته) وانت كاتب ، وانا أميّ !! وانت خراجي ، وانا عشريّ ، وانت زرعيّ ، وانا نخليّ ، فلو كنتَ اذ كنتَ من بكرٍ كنتُ من تميم (يُضرب المثل بعداوة ما بينهما) كان لك الى العداوة سبب ، وإلى المنافسة سلّم) ثم ارتقى الجاحظ من هذا الأوج في الهزل الى أوج أعلى ، فقال (وانتَ طويل ، وانا قصير ، وانا اصلع ، وانت انزع (الصلع عيب بخلاف النزع) وانت صاحب براذين[1] وانا صاحب حمير) الخ ..

هنا يقف القارئ هنيهة ليفكّر : أحقاً ما ذكر من ان الخصال المتناقضة هي

---

(١) اي انت من الأعيان الذين يركبون البراذين وانا من الأوشاب الذين يركبون الحمير .

من اوصافه واوصاف صديقه ؟ وهب كان ما ذكره حقاً فهل من الحق ان يكون الجاحظ اقام بفرغانة من بلاد ما وراء النهر ، وان يكون ابن الزيات أقام في الأندلس ؟ ومتى كان ذلك ؟ وهل نقله احد من رواة اخبار الجاحظ وابن الزيات ؟ وهل يؤدي ركوب الهزل ، والهيام في مضايق شعابه ، والدخول اليه من أضيق أبوابه ، الى كل هذا التزيد في القول ، والى حد ان يجعل نفسه أمياً ، ومن اهل فرغانة ؟ أم ان شيخنا الجاحظ يخترع لرسائله ابطالاً وهميين أحياناً ، غير بطل الرسالة الأصلي الذي هو (الوزير الزيات) كما جاء في فاتحة الرسالة ؟ ولو صح لنا ذلك وقلنا : إن الخطاب المذكور لواحدٍ من عُرْض الناس لفوجئنا بالجاحظ يصل كلامه بما لا يصلح أن يخاطب به الا وزير : (انت تدبّر بنفسك ، وتقيم أود غيرك ، وتتسع لجميع الرعية ، وتبلغ بتدبيرك أقصى الامة وانا اعجز عن تدبير نفسي ، وعن تدبير أَمَتي وعبدي ، وانت ملك وانا سوقة) الى ان قال : (سبحان الله يسلَمُ عليك حيدر الأفشين ، ويهلك عليك عمرو الجاحظ ، ويسوء بك أبعد البعداء ، ويشقى بك أقرب القرباء ... فكُلني بخلٍ وخردل ، فو الله إنك لتأكله غثّاً غير مَرِيٍ وخبيثاً غير شَهِيٍ .

ووصف الصديق فقال (فاذا بان منك صديقك ، فقد بان منك شطرك ، واذا اعتلّ خليلك ، فقد اعتلّ نصفك ... فموتي هو موت صديقي . وحياتي هي حياة صديقي) . ثم وصف الصديق الوفيّ فقال : (ولا اعلم الكبريت الأحمر إلا أَوْجَدَ منه . وإني لأظن القناعة أكثر منه .. وقيل ليحيى البرمكي : أي شيء أقلّ ؟ قال قناعة ذي الهمة البعيدة بالعيش الدون ، وصديقٌ قليل الآفات ، كثير الإمتاع ، شكور النفس ، يصيب مواضع المرح) قوله (قليل الآفات) اي العاهات . ولعل صوابه (قليل الآهات) أي قليل التأوه والشكوى والتوجّع من سوء الحال ، وإدبار الزمان ، بدليل قوله بعد (شكور النفس) .

وعَتَبَ على صديقه في أنه يضجر من إلحاح صديقه عليه بطلب العفو ، مع انه

هو لا يضجر بتشاغله بظلم ذلك الصديق ، حتى كأنه يلذّ له (ضرب السياط ، ورضّ العظام) غير أن شَيْبة الجاحظ ، وكبرة سنه ، ورقة عظمه ، ووهن بدنه ، لا يحتمل كل هذا العذاب وانما (دندَن أحمل ، والسوط في ظهر قاسم أحسن . وأبدانهما تحت السياط أثبت . وان ارواحهما أبقى . وهي بأرواح الكلاب أشبه والى طبائع الضباب أقرب . وأرحامهما بالحمير أمسّ ، ومن يشير عليك (بانزال ذلك العذاب) فيهما اكثر ، والأجر في ضربهما أعظم ، فاستدم اللّذة بطريق اللذة . وضع الأمور في مواضعها يَطُلْ سرورك بها) . وبعد ان استطرد الى التفريق بين انواع الحيوانات في تحمّل الألم ، ولذع السياط ، عاد الى الوشاية بـ (دندن) و (قاسم) وتحريض الوزير على البطش بهما (لاختلاسهما أموال الأمة) فقال (وقد دللتك على ناسٍ يجمعون لك الخصال التي فيها دوام لذتك ، وتمام شهوتك ، فان زعمت ان الذي يثبّت روح دندن في بدنه ، وروح القاسم في جسمه ، سرورُهما بما احتجَنا من كنوز الخلافة ، واموال الرعية ، وليس ذلك من رسوخ ارواحهما في ابدانهما ، ومن شدة الاحتجان ، وقوة الاكتناز — ففرّق بينهما وبين تلك الأموال ، التي تمسك أرواحهما بالحيل اللطيفة ، والتدبير النافذ ، وبأن تمضي فيهما حكمَ الكتاب والسنة . فانه سيحل عُقدة أرواحهما عقداً عقدا . فيعظم أجرك ، ويطيب ذكرك ، ونُطيع الخليفة ، فتكون قد احسنتَ في صرف الضرب إلى اهله . وارحتَ منه غير أهله والسلام) . وهكذا ختم الجاحظ رسالته في الجد والهزل) فتندّر بهذين المسكينين (دندن) و (القاسم) ، وطلب الايقاع بهما ، وشفاء الصدور منهما .

المغربي



المدرسة الظاهرية

أرسل الأستاذ سالم الكرنكوي رسالة يقول فيها : انه شرع في تحقيق كتاب تاريخ اليونيني الذي هو ذيل على مرآة الزمان ، وانه وجد فيه نصاً يتعلق بالمدرسة الظاهرية في دمشق (مقر دار الكتب العامة) وقد أرسله راغباً نشره في مجلة المجمع العلمي العربي ووضع اشارات على بعض كلمات غامضة فيه . ولما كان اصلاح هذه الكلمات يتطلب نشر نص آخر من وقفية المدرسة المذكورة فقد أحببت جمع ما اطلعت عليه في هذا الموضوع من النصوص مع نص الأستاذ الكرنكوي وضمها جميعاً في مقالة واحدة وهذه هي المقالة :

* * *

قامت المدرسة الظاهرية على دار — من أعظم دور دمشق واكثرها شهرة — تدعى بدار العقيقي اشتهرت في العهد الفاطمي بنزول الأشراف العلويين فيها .

فأحمد بن الحسين العقيقي المتوفى سنة (٣٧٨) الذي تنسب اليه هذه الدار علوي من كبار اشراف دمشق واجوادها [١] كما انه نزلها الشريف العلوي ابو طاهر حيدرة بن ابراهيم بن ابي الجن الذي قتله الأمير السفاح بدر الجمالي سنة (٤٦٢) [٢] ثم نزلها آخر قاض لدمشق من قبل الفاطميين وهو الشريف العلوي جلال الدولة ابو الحسين احمد بن علي المتوفى سنة (٤٦٨) [٣] .

والى هذه الدار التجأ الخطيب البغدادي فاستجار بالقاضي المذكور خوفاً من بطش الأمير بدر الجمالي المذكور فأنجاه من أذاه [٤] .

---

(١) النجوم الزاهرة (٤ / ١٥٣) .
(٢) المصدر نفسه (٥/٨٠ و ٨٥) .
(٣) المصدر نفسه (٥ / ١٠٢) .
(٤) البداية والنهاية (١٢ / ١٠٢) .

وكأن هذه الدار اصبحت من الشهرة والعظمة ما يجعلها مرشحة لنزول العظماء والكبراء فيها . فمذ حلت الأسرة الأيوبية مدينة دمشق سكن هذه الدار كبير الأسرة نجم الدين ايوب والد السلطان صلاح الدين واخيه الملك العادل .

ولما دخل صلاح الدين الأيوبي دمشق فاتحاً لها سنة (٥٦٩) بعد وفاة السلطان نور الدين نزل بدار والده ايوب المعروفة بدار العقيقي[١] . كما ان الملك العادل نزلها حينما دخل دمشق سنة (٥٨٩)[٢] .

وقد يكون حبه الشديد لهذه الدار دفعه لأن يبني تجاهها — من جهة الغرب على بعد خمسة امتار منها — مدرسة وقبة لدفنه . فلما توفي سنة (٥٩٧) حفظت جثته بالقلعة حتى تم بناء مدرسته وقبة قبره فنقل اليها سنة (٦١٩)[٣] لتطل روحه على الدار التي احبها كثيراً ، وعاش فيها امداً طويلاً . كما ان السلطان صلاح الدين دفن تحت قبة لا تبعد عن هذه الدار اكثر من ثلاثين متراً ، ومثله الملك الأشرف ابن الملك العادل الذي دفن على مقربة من عمه صلاح الدين ولما مات مظفر الدين صاحب اربل زوج ربيعة خاتون اخت صلاح الدين والعادل رجعت الى دمشق وسكنت في دار العقيقي دار ابيها ايوب حتى توفيت سنة (٦٤٣) وهي صاحبة المدرسة الصاحبية بسفح قاسيون[٤] .

وبعد انقراض الدولة الأيوبية انتقلت هذه الدار الى ملك الأمير فارس الدين اقطاي المستعرب الأتابك . ومن ورثته اشتريت هذه الدار لجعلها مدرسة ومدفناً للملك الظاهر بيبرس[٥] .

---

(١) تاريخ ابي الفدا طبع مصر (٣ / ٥٦) .
(٢) النجوم الزاهرة (٦/٢٢٥) .
(٣) النجوم الزاهرة (٦/١٧١) .
(٤) القلائد الجوهرية .
(٥) تعليقات النجوم الزاهرة (٧/٢٦٣) عن ذيل مرآة الزمان ، وعيون التواريخ .

المدرسة الظاهرية

يحدثنا ابو المحاسن ابن تغري بردي بما يلي : كان [الظاهر] اوصى ان يدفن على الطريق السابلة قريباً من داريا وان يبنى عليه هناك فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل السور فابتاع دار العقيقي « بثمانية واربعين الف درهم » نقرة [١] وامر ان تغير معالمها وتبنى مدرسة للشافعية والحنفية [٢] . ويقول صاحب عيون التواريخ «بستين الف درهم»[٣] وينقل عبدالحي ابن العماد بأنها اشتريت «بسبعين الف درهم»[٤] .

وهنا يجدر بنا ان نتساءل : لِمَ لمْ يتبع الملك السعيد وصية ابيه بل دفنه داخل السور بدار العقيقي ؟

الظاهر ان ذلك العمل كان لأمر سياسي . فبيبرس وهو مملوك من مماليك الأيوبيين بعد ان استولى على الملك تتبع البقية الباقية من الأيوبيين الصالحين للملك فقتلهم . ثم قطع على هذه الأسرة طريق المطالبة بالملك فجدد الخلافة العباسية وجعل مقرها مصر . ثم جعله الخليفة العباسي نائباً عنه في ادارة البلاد فكان حكمه لها شرعياً .

فدفنُ الملك السعيد لأبيه في دار العقيقي دار الأسرة الايوبية في بقعة تحيط بها قباب اعاظم الملوك الأيوبيين كالملك العادل ، والسلطان صلاح الدين ، والملك الأشرف يرمز في ذلك الى ان الملك الظاهر هو وارث هذه الأسرة الحاكمة ، وان له من شرعية الملك وابهته مثل ما لهؤلاء الملوك .

ولقد جود ابنه السعيد في تحسين بناء مدرسته ومدفنه حتى جعلها لا تقل عن مدافن العادل وصلاح الدين والأشرف المحيطة بالظاهرية روعةً وجلالاً .

(١) فسرها القلقشندي في صبح الأعشى (٤٤٣/٣) فقال : « الدراهم النقرة » وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس . وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم في الدنانير . ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة .. والعبرة في وزنها بالدرهم وهو معتبر باربعة وعشرين قيراطاً . وقدّر بستّ عشرة حب من حب الخروب فتكون كل خروبتين ثمن درهم . وهي اربع حبات من حبة البُر المعتدل والدرهم من الدينار نصفه وخمسه . وان شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم .

(٢) النجوم الزاهرة (١٧٦/٧) . (٣) نفس المصدر « التعليقات » .

(٤) شذرات الذهب (٣٥٠/٥) .

انشاء الظاهرية

فصل لنا ابن تغري بردي بعض التفصيل عن بناء هذه المدرسة في حوادث سنة (٦٧٦) فقال :

كان الملك السعيد أمر ببناء مدرسة لدفن ابيه فيها حسب ما أوصى به والده ، فنقل تابوت الملك الظاهر بيبرس في ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمشق الى التربة المذكورة داخل باب الفرج قبالة المدرسة العادلية . والتربة المذكورة كانت دار الشريف العقيقي فاشتريت وهدمت وبني موضع بابها قبة الدفن ، وفتح لها شبابيك على الطريق . وجعل بقية الدار مدرسة على فريقين : حنفية وشافعية . وكان دفنه بها في نصف الليل ، ولم يحضره سوى الأمير عز الدين ايدمر الظاهري نائب الشام . ومن الخواص دون العشرة لا غير [١] .

ويتمم لنا اليونيني وصف هذه المدرسة من وقفيتها التي بخط عز الدين بن شداد فيقول : وقف الملك السعيد .... المدرسة المذكورة والقبة مدفناً ، وباقيها مسجداً لله تعالى برسم الصلوات وقراءة القرآن العزيز والاعتكاف . وباقي الدار مدرستين احداهما شرقي الدار هي للشافعية ، والأخرى قبلي الدار الى جانب القبة وهي للحنفية ، ودار حديث قبلي الايوان المختص بالشافعية .

وهذا النص يعطينا صورة عن هيأة المدرسة الداخلية وهي صورة قريبة من الكمال تصف لنا الجهة القبلية والشرقية من المدرسة . وقد جهلت علينا هيأة الجهة الشمالية التي نظن أنها كانت محتوية على حجرات للسكن وبيوت للطهارة .

أما الجهة الغربية التي فيها باب المدرسة فواضح من هيأة التصميم انها كانت خالية من البناء عدا الجدار الذي يفصل المدرسة عن الطريق .

---

(١) النجوم الزاهرة (٢٦٣/٧) .

النصوص المتعلقة بالمدرسة الظاهرية

حينما نتطلب القوانين الداخلية للمدارس الاسلامية لا نجد سبيلاً الى ذلك الا عن طريق الوقفيات ، ومن المؤسف ان وقفيات المدارس اختفت عن الانظار بعد ان قام نظار المدارس باختلاس اوقافها ، ولكن كثيراً ماتواتي الصدف بالاطلاع على بعض الوقفيات • كما ان بعض كتب التاريخ وكتب الفتاوى الفقهية تشير في بعض الأحيان الى جزء من نصوص الوقفيات • وهذه بعض النصوص التي اطلعنا عليها مما يتعلق بالمدرسة الظاهرية :

« النص الأول » وهو الذي ارسله الأستاذ سالم الكرنكوي

وقف الملك السعيد لتربة والده الملك الظاهر بيبرس

وفي سادس عشر ذي القعدة وقف الملك السعيد — وهو بخط عز الدين محمد ابن شداد بإذنه وتوكيله وحضوره — المدرسة المذكورة والقبة مدفناً وباقيها مسجداً لله تعالى برسم الصلوات وقراءة القرآن العزيز والاعتكاف وباقي الدار مدرستين احداهما شرقي الدار هي للشافعية والأخرى قبلي الدار الى جانب القبة وهي للحنفية ودار حديث قبلي الايوان المختص بالشافعية

ووقف على ذلك جميع قرية الضرمان [1] في شغل بانياس وجميع قرية ام نرع [2] من الحيدور [3] وبهمين [4] من بيت رامة من الغور [5] ومزرعتيها الذراعة وشويهة [6]

(١) كذا في الأصل . والصواب : الصرمان . اما مرجعنا في التصحيحات التي سنشير اليها فهي الكتابة المرقومة على أعلى باب الظاهرية وهي بخط في جميل واضح وقد نشرناها في هذا المقال تحت عنوان النص الرابع والخامس . وورد تحديد قرية الصرمان في « كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا » طبع دمشق سنة (١٣٤٣) ص (٣٩) .

(٢) كذا في الأصل.والصواب:امزرع.وردت مرسومة على اعلى باب الظاهرية هكذا «امزرع».

(٣) الصواب : الجيدور بالجيم المعجمة احدى مناطق حوران .

(٤) الصواب : وسهمين .

(٥) يراد بالغور الأراضي المنخفضة حول بحيرة طبريا .

(٦) الصواب الزراعة وسويقة .

وتسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط من قرية الأشرفية من الغوطة وبساتين ابن سلام الثلاثة وبستان السنيتة[1] وطاحونه ، والحمام على الشرف الأعلى الشمالي[2] وكرم طاعة من بلد بانياس وخان بنت جزوخان بحكر الفهادين[3]

ورتب في التربة اماماً شافعياً وجعل له في كل شهر ستين درهماً زمامين[4] من عتقاء الملك الظاهر ناظرين في مصالح التربة وحفظ ما بها من الآلات لكل واحد منهما في الشهر ستين(؟) درهماً ومؤذناً له في الشهر عشرون درهماً وستة عشر مقرئاً لكل واحد منهم خمسة وعشرون درهماً منهم نفسان يزاد كل واحد منهما عشر دراهم

ويشترى في كل شهر شمع وزيت وما يحتاج اليه التربة من الفرش والقناديل وآلات الوقيد بمبلغ ثمانين درهماً .

ويرتب في كل [من المدرستين][5] مدرساً (؟) له في الشهر مائة وخمسون درهماً ، ومعيدان لكل واحد منهما اربعون درهماً ، وثلاثين (؟) فقيهاً لأعلاهم عشرين (؟) درهماً ولأدناهم عشرة دراهم .

---

(١) المرقوم فوق باب الظاهرية السبتية بعد السين ثلاثة أسنان تحت السن الأول نقطة وفوق الثالث نقطتان والسن الثاني مهمل من النقط ولذلك يرجح ان الصواب فيه (بستان السبتية) ومعنى السبتية في دمشق ان الناس في أيام الربيع يخرجون الى البساتين للنزهة والقصف يوم السبت ولعل هذا البستان كان يقصد في ذلك اليوم خاصة وقد أشار الى السبتية في دمشق عدد من المؤرخين.

(٢) الشرف الأعلى الشمالي هو المكان الذي تقوم فيه مدرسة التجهيز الأولى في دمشق وقد أشرنا الى مكانه في مخطط الصالحية .

(٣) نص الكتابة على باب الظاهرية « وخان ببيت حنا وحانوت جوار بساتين ابن سلام وخان يعرف بالاصطبل ظاهر دمشق » والراجح ان صواب نص اليونيني أن يكون هكذا « وخان ببيت حنا وخان بحكر الفهادين » والراجح ان خان حكر الفهادين هو نفس الخان المعروف بالاصطبل ظاهر دمشق . اما حكر الفهادين فهو في الشرف الشمالي الأعلى شرقي مدرسة التجهيز فقد جاء في تاريخ ابن خلكان (١١٩/١) ان شمس الملوك دقاقا توفي سنة (٤٩٧) ودفن في مسجد بحكر الفهادين – بظاهر دمشق – الذي اعلى نهر بردا . وهذا المسجد بلا شك هو المعروف بالخانقاه الطواويسية راجع خطط الشام للأستاذ كرد علي وتنبيه الطالب ومختصره للعلموي ومخطط الصالحية فقد أوضحنا فيه موقع هذه الخانقاه .

(٤) الصواب وخادمين .

(٥) زيادة اقتبست من المقام .

ويصرف فيها [ما] تدعو الحاجة اليه من اجرة ساقي(١) واصلاح قني(٢) وغير ذلك وثمن الزيت ومسارج وقناديل وآلة الوقيد بالمدرستين في الشهر اربعون درهماً شاهداً ومشارفاً وغلاماً(٣) وجابياً وغيرهم لكل منهم ما يراه الناظر . والنظر للملك السعيد مدة حياته ثم لولده وولد ولده

وفي جمادي الآخرة سنة ٦٧٧ سير الملك السعيد برسم تتمة العمارة ومصالح الوقف اثني عشر الف دينار

وفي يوم السبت ثالث ذي القعدة سنة ٧٧ وقف عماد الدين محمد بن الشيرازي بطريق الوكالة عن الملك السعيد جميع احد عشر سهماً وربع سهم وثمن سهم من قرية الطرة من ضياع الجبيل من اقليم اذرعات من عمل دمشق الى المدرستين والتربة بعد ان انتقلت الحصة الى الملك السعيد على ثماني قرى مضامين(٤) وتقر[ر] لكل منهم خمس وعشرون ويزاد لكل مدرس رطلان خبزا مثلثا بالدمشقي ولكل خادم من الخادمين ولكل نفر بالتربة والفقهاء والمؤذنين والفراشين والبوابين في كل يوم ثلثي رطل خبزا اسوة فراشي التربة ويصرف الى مباشر الأوقاف والشاهد والمشارف لكل واحد رطلا خبز[ا] واشهد الحكام على نفوسهم وسجلوا بثبوت ذلك .

في يوم الاثنين حادي عشر ذي القعدة سنة ٧٧ شرع في عمل اعزية الملك الظاهر بالديار المصرية وتقر[ر] ان يكون احد عشر يوما في احد عشر موضعاً الخ .

(١) تقطع مياه انهر دمشق كل عام بضعة ايام لرفع ما يتراكم في مجاريها من الأوحال كما تقطع أيضاً ايام الحروب حينما تحاصر دمشق ولذلك تقوم السقاة بحمل الماء الى الدور والمساجد والمدارس ونظراً لتوخم ماء الأنهر فان سقاة خاصة يجلبون ماءً للشرب من العيون والآبار النظيفة . وهناك نوع من السقاة يكون في المساجد والمدارس يحملون وعاءً من نحاس او فخار او جلد وطاسة نحاس يمرون على الجالسين ويسقونهم ، وقد يضعون في تلك الآنية ثلجاً او نوعاً من العطور وكثيراً ما يوقف بعض محي الخير اوقافاً على مثل هذه الأعمال . وجميع ما ذكرناه بطل في عصرنا .

(٢) جمع قناه والمراد بها ما يوصل الماء الى الدور وتدعى في عصرنا « قساطل » وهي أنابيب من فخار تبنى على شكل مخصوص .

(٣) الصواب وخادما . (٤) الصواب مضافين .

« النص الثاني » منقول من فتاوى السبكي (٢/٨) طبع مكتبة القدسي ونصه :

نسخة فتوى في دار الحديث الظاهرية بدمشق

ما تقول السادة العلماء في واقف وقف وقفاً على الجهات والوجوه والمصالح التي يأتي ذكرها وتعيينها في هذا الكتاب فيبدأ من اليه النظر بعمارة الموقوف وترميمه واصلاحه وما فيها بقاء اصله وسبب النماء والمزيد . وما فضل كان جارياً على الوجوه والمصارف الآتي ذكرها . فيصرف في كل شهر ثلاثون في ثمن زيت وحصر ومصابيح وترميم . ويصرف ستون لشيخ الحديث ، وعشرون للقارئ ، ومائة للطلبة ، وعشرون للخازن ، واربعون للقيمين ، ومائة وخمسون لستة قراء يقرؤن بالتربة المجاورة لها .

وذكر مصارف الى ان قال :

ومال هذا الوقف المعين في هذا الكتاب المتقدر الصرف في مصارفه المذكورة كمال اوقاف المدرسة والتربة المذكورتين

وقد تلفظ هذا الوكيل الواقف المسمى : بوقف هذا الموقوف المعين في هذا الكتاب على الجهات المعينة والمصارف المذكورة في هذا الكتاب .

بدأ من ذلك بتقديم ما هو مقرر لمصالح القاعة المذكورة ، وما هو مقرر في هذا الكتاب من الجامكيات على ما عين اعلاه فان نقص عن ذلك قدم ما هو معين لمصالح القاعة المذكورة في هذا الكتاب على ما فضل فيه ، وما هو معين لشيخ الحديث النبوي وقارئه ومستمعيه المشار اليهم اعلاه والقيمين المذكورين اعلاه « فان فضل بعد ذلك فاضل صرف في الوجوه المبينة ، والمصارف المعينة في هذا الكتاب على الوجه المشروح فيه يجري ذلك كذلك الى يوم القيامة .

فهل اذا فضل من ريع الموقوف شيء بعد تكميل ما عين اعلاه من الجامكيات والجرايات يكون لمن عين اعلاه من ارباب الوظائف المذكورة اعلاه ام لغيرهم

من ارباب الوظائف بالمدرسة الظاهرية من الفقهاء والمتفقهين والمدرسين والمعيدين وغيرهم ام لا ؟ افتونا مأجورين رحمكم الله ٠

أجاب الشيخ الامام رضي الله عنه ومن خطه نقلت : ليس لغيرهم من ارباب الوظائف بالمدرسة المذكورة من الفقهاء والمتفقة والمدرسين والمعيدين وغيرهم شيء منه بل هو لجهة وقف دار الحديث المذكورة تختص به عن المدرسة ليس للمدرسة ولا لأهلها منه شيء ٠

والفاضل عن معاليم اهل دار الحديث المذكورة الآن بعد تكميلها دالٌ بحسب الحال الآن ان يرد عليهم على نسبة معاليمهم ٠ ويحتمل ان يقال : يحفظ لهم ولمن يتجدد مكانهم ٠٠٠

واما صرفه للمدرسة او لأحد من اهلها فممتنع قطعاً ٠

* * *

« النص الثالث » منقول من فتاوى السبكي (٤٨٨/١)

(مسألة) أوصت ام الملك السعيد ان يوقف عنها ٠ ووقف عنها وقف ثلثاه على التربة والمدرسة الظاهرية بدمشق ٠ والثلث على ستة خدام معينين ٠ ومن مات منهم نزّل الناظر مكانه خادماً من عتقاء الظاهر ولاء السعيد ٠ فمات الستة ونزل مكانهم الى ان لم يبق من عتقاء الظاهر ولاء السعيد الا خادم واحد فما الحكم في ذلك ، والشرطُ انه اذا انقرض الخدم رجع الى التربة والمدرسة ؟

(فاجبت) ان الخادم المذكور اذا نزله الناظر جاز صرف الجميع اليه ولا تستحق المدرسة والتربة شيئاً الا بعد انقراضه ٠ ومستندي في ذلك ان معناه عام ٠ والخادم الباقي يصح ان يكون عوضاً عن الستة ٠ وقوله « اذا انقرضت الخدام كان للمدرسة » يشمل الخدام الستة وجميع من كان خادماً من عتقاء الظاهر او السعيد ٠ وليس من شرط تنزيله موضع الستة ان يكون عن موتهم بل سواء اكان كذلك ام بعد مدة ٠ ولو توسط بينهم جماعة صح ان يكون هذا الآن منزلاً مكان الستة الأولين والله اعلم ٠

« النص الرابع » وهو ما كتب على باب الظاهرية من أعلاها . ولما كان بابها عظيماً . مدخله على هيأة دهليز صغير وهو مؤلف من ثلاث جدران : قبلي وبه تبتدأ الكتابة ، وشمالي وفيه تنتهي ، وشرقي ومن جهته يدخل الانسان اليها كان كل سطر من أسطر الكتابة مؤلفاً من ثلاثة أجزاء وضعنا فاصلاً بين كل جزء منها على هذه الصفة | كما أننا جعلنا لكل سطر رقماً . وهذا نص ما كتب :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . الذي وقفه على هذه التربة والمدرستين ودار | الحديث النبوي الحصة من قرية الطرة من عمل اذرعات ومبلغها احد عشر سهما وربع وثمن سهم من اصل اربعة وعشرين سهما | وقرية الصرمان بكمالها من اعمال الشعرا [1] وقرية امزرع بكمالها من عمل نوى | (٢) والحصة من قرية بيت الرامة وقرية سوية وقرية الزراعة من الغور ومبلغها سهمان من | أصل اربعة وعشرين سهما والحصة من الأشرفية من عمل المرج من بلد دمشق ومبلغها تسعة عشر سهما ونصف من اربعة وعشرين والبساتين الثلاثة المعروفة | بابن سلام ظاهر دمشق من اراضي السهم الشرقي بسفح قاسيون (٣) بستان يعرف بالسبتية ظاهر دمشق على الشرف الشمالي وطاحون السبتية الملاصقة | ة للبستان المذكور وكرم يعرف بكرم طاعة بمدينة بانياس وخان ببيت حنا وحانوت جوار بساتين ابن سلام وخان يعرف بالا | صطبل ظاهر دمشق والسفل الكامل من قيسارية الشرب وذلك في سنة ست وسبعين وستمة (كذا) .

* * *

« النص الخامس » وهو سطران تحت الأسطر الثلاثة المتقدمة وهما :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشاء هذه التربة المباركة وا | لمدرستين المعروفتين المولى السلطان الملك السعيد ابو المعالي محمد بركة قان بن السلطان الشـ | ـهيد الملك الظاهر المجاهد ركن الدين ابو الفتوح بيبرس (٢) الصالحي

(١) هي ما تدعى اليوم بقضاء القنيطرة . راجع صبح الأعشى (١٠٤/٤) .

أنشأها لدفن والده الشهيد ولحق به عن قريب I فاحتوى الضريح على ملكين عظيمين ظاهر وسعيد وامر بانهاء عمارتها السلطان الملك المنصور سيف الد I نيا والدين قلاوون الصالحي قسيم امير المؤمنين خلد الله سلطانه

* * *

« النص السادس » على باب القبة المدفون فيها الملك الظاهر وهو : (١) بسم الله الرحمن الرحيم · الذي استجد ابتياعه واوقف على الجهات المعينة في كتاب وقف ذلك الفاخورةُ بدرب (٢) الفواخير والبيوت طباقها والحصة من قرية صهيا ومبلغها ثلثي [كذا] ثمن سهم من اربعة وعشرين · الاهراء الثلثة وطباقها بالمربعة · الحصة من قرية الاصطبل [1] بالبقاع (٣) العزيزي ومبلغها عشرة اسهم وربع سهم وربع ثمن سهم من اربعة وعشرين سهما والحصة من بيت الرامة وسوية والزراعة (٤) ومبلغها سهم واحد من اربعة وعشرين سهماً وذلك تكملة الثمن من القرية المذكورة

درس للنصوص السابقة

ان من يدرس الحركة الفكرية في العصر الأيوبي لا بد له وان يراقب هذه الحركة في عصر المماليك البحرية ذلك العصر المخضرم بين العصرين : الأيوبي ، والمماليكي الشركسي ·

فعصر الظاهر بيبرس ثم قلاوون يختلف كل الاختلاف عن بقية عصر المماليك ذلك العصر الذي انحط فيه الفكر العربي الى مدى بعيد ·

فهو وان انحط عن العصر الأيوبي فان انحطاطه كان نسبياً · لأن هؤلاء المماليك اكتسبوا بعض تربية راقية من ملوك احرار مهذبين لم يمسهم الرق ، كما كان علماء عصرهم ممن درسوا في العهد الأيوبي وحصلوا النهضة العلمية الأيوبية ·

---

(١) قرية صغيرة لا تزال معروفة بالبقاع وهي قبلي قرية « بر الياس » فاذا ذهب الانسان من دمشق الى شتورا تكون قرية «برالياس» عن يمينه وقرية الاصطبل عن يساره قبيل شتورا ·

لذلك كان من المحتم علينا ان نراقب هذا العصر بدقة لننظر الانحطاط الفكري الذي ابتدأ في عهدهم حتى وصل الى الهوة السحيقة في أواخر العهد المماليكي

واذا شئنا ان نبحث ذلك فعلينا دراسة «المدرسة الظاهرية موضوع بحثنا» التي هي من أولى المعاهد العلمية في أول العصر المماليكي .

اذا رجعنا الى النصوص المتقدمة نجد ان المدرسة الظاهرية تتألف من اربعة أقسام:

«القسم الأول» القبة . وهي تختص باربعة اشياء : (١) دفن الملك الظاهر وولده السعيد (٢) اقامة الصلوات فيها بإمام شافعي (٣) قراءة القرآن (٤) الاعتكاف

أما ملاك هذا القسم مع رواتب موظفيه الشهرية فهو كما يلي :

درهم	الموظف	عدد الموظفين
٦٠	امام شافعي [١]	
٦٠	خادم	٢
٢٥	مقرئ	١٦ منهم شخصان يزاد لكل واحد منهما عشرة دراهم
٨٠	نفقات زيت وشمع وفرش وقناديل وآلات الوقيد [١]	

«القسم الثاني مدرسة للشافعية» ويتألف ملاكها من :

١٥٠	مدرس	١
٤٠	معيد	٢ لكل منهم
٢٠	فقيه	٣٠ لكل منهم لأعلاهم مرتبة
١٠	لأدناهم مرتبة	
	شاهد مشارف خادم جابي	يحدد رواتبهم الناظر ويعين غيرهم ان وجد لزوماً لذلك
٤٠	ثمن زيت ومسارج وقناديل وآلة وقيد ..	

(١) ارجع الى نص اليونيني .

« القسم الثالث مدرسة للحنفية » وملاكها كملاك الشافعية

« القسم الرابع دار الحديث النبوي » ويتألف ملاكها من :

درهم

٦٠ شيخ حديث

٣٠ قارئ حديث

٢٠ خازن

٤٠ قيمين

١٠٠ طلبة لم يعين عددهم والراجح انهم عشرة او عشرون

والظاهر ان مثل هذه المخصصات والجرايات لم تكن مما يقوم بكفاية الموظفين فقد اوقفت اوقاف أخرى ضمت للأوقاف الأولى وتقرر لكل من موظفي التربة (اي قبة الظاهر) والمدرستين خمسة وعشرون درهماً . ولكل مدرس رطلان من الخبز ، والى بقية الموظفين ثلثا رطل ، والى كل من مباشر الأوقاف والشاهد والمشارف رطلان . (راجع آخر النص الأول) .

ويفيد النص الثالث بأن ام الملك السعيد اوقفت وقفاً آخر أيضاً . ثلثاه على التربة والمدرسة الظاهرية ، والثلث على ستة خدام من عتقاء الظاهر ولاء ابنه السعيد .

ولسنا ندري ان كان هذان الوقفان الأخيران يتناولان دار الحديث النبوي أم لا . كما ان النص الثاني يفيد بان مالية دار الحديث الظاهرية مستقلة تمام الاستقلال عن المدرستين والتربة . وانه حينما يزيد شيء من مالها يصرف عليها وعلى موظفيها ولا يعطى شيء منه الى احد من اصحاب التربة او المدرستين .

اما ما يقدم من الملاحظات عن الانحطاط العلمي إثر انقراض الدولة الأيوبية فنحن نراه بادياً في تربة الملك الظاهر . فبينما نرى في ترب ومدافن الملوك الأيوبيين تخصيص شيخ اقراء من كبار العلماء يقوم بتدريس علوم القراءات

وما يتعلق بها من علوم اللغة العربية كتربة السلطان صلاح الدين والعادل والأشرف وام الصالح التي تولى فيها علم الدين السخاوي ومحمد بن مالك النحوي وابو شامة مؤلف الروضتين ومحمد بن الجزري وامثالهم ممن لهم مكانتهم في العلم والتأليف اذا بنا نرى تربة الظاهر اقتصرت على قراء فقط يقرؤون القرآن بصورة تقليدية لا أثر للدراسة فيها . وهكذا انقطعت حلقة الاقراء في ترب الملوك من هذا العهد ، واصبحت الترب تمتّ الى صور دينية شكلية لا عمل للفكر فيها .

« ثانياً » جعل مسجد المدرسة في قبة الدفن وهذا امر كرّهه بعض الفقهاء ولم يسبق لنا ان رأينا قبل هذا مدرسة خالية من مصلى مستقل لا اثر للدفن فيه .

أما وضع المحاريب في المدافن والقبب فهي امور طرازية تشير الى اتجاه القبلة ليس الا

« ثالثاً » توجيه الأنظار الى احترام القبور وتقديسها ويظهر هذا بادياً في مخصصات التنوير وما الى ذلك ففي التربة هو اكثر مما هو في مدرستي الشافعية والحنفية ، كما اننا نرى عدداً كبيراً عينوا خدماً للتربة يضاف الى ذلك المبالغ الباهظة المصروفة على الفسيفساء وزخرفة القبة .

وهذا كله يعطينا فرقاً محسوساً بين عصر الأيوبيين الذين كانوا يحملون ثقافة عالية وينظرون الى حقائق الأمور ، وبين عصر المماليك الذين كانوا يحملون عقولا ساذجة بسيطة لا تدرك إلا ظواهر الأمور . أما ما يتعلق باسماء المدرسين فيها وتراجمهم فيرجع في ذلك الى تنبيه الطالب للنعيمي ومختصره للعلموي ، واما وصفها البنائي فيحتاج الى مقال آخر .

محمد احمد دهمان

العامي والفصيح

– ١٠ –

ز ل م (١) الزَلَمَة – الزَلَمَة عند العامة الغلام الذي تجاوز حدّ الغلوميّة واستوفى رجوليته وقوّته وهو زَلَمَة من الزلم أي رجل فتي قويّ . وهذا الحمل وهذا العمل يحتاج الى زلْم تقوم به أي فتيان أقوياء .

وفي اللغة يقول صاحب التاج الزلَم «محرّكة» الغلام الشديد الخفيف جمعه أزلام قال الشاعر :

بات يقاسيها غلام كالزَلَم   ليس براعي ابل ولا غنم

وفي اللسان الزَلَم القِدْح وهو السهم الذي لا ريش عليه والجمع ازلام واستشهد له الجوهري بهذا البيت ثم قال صاحب اللسان «وزلَّم القِدْح سوّاه ولينه وزلَّم الرحى أدارها وأخذ من حروفها قال ذو الرمة :

تفضّ الحصى عن مُجمِرات وَقيعة   كأرحاء رَقْد زلَّمتها المناقر[1]

شبّه خُفّ العير بالرحى أي قد أخذت المناقر والمعاول من حروفها وسوّتها وزلَّمت الحجر اي قطعته واصلحته للرحى قال وهذا أصل قولهم هو العبد زُلْمة وقيل كل ما حذف واخذ من حروفه فقد زُلِّم ويقال قِدْح مُزَلَّم وقدح زَليم اذا طرّ وأُجيد قَدّه وصنعته وعصاً مزلَّمة ١٠ هـ .» وقالوا فرس مُزَلَّم اي مقتدر الخَلْق . والظاهر ان المادة تدور حول التشذيب والتسوية . والغلام اذا بلغ مبلغ الرجال واستوى وبلغ أشدّه فقد نفى عنه لينَ الحداثة واشتد وأصبح مقتدر الخلق فهو اذاً مُزَلَّم عند الفصحاء وزَلَمَة عند العامة .

(١) تفض تفرق وتكسر مجمرات قاذفات الجمران وهي الحصى الصغار كالتي يرمى بها في منى والوقيعة في الأصل المطرقة وعنى بها الحافر الصلب الشديد ورَقد جبل تنحت منه الارحية والمناقر الازاميل يقول انها تنفي بأخفافها وحوافرها الحصى كما تنفي الأزاميل اطراف الأرحاء في تزليمها أي تسوية أطرافها .

ز ل م (٢) الزُّلُّومة — وجاء في كلام العامة الزَّلُّومة للحمة المتدلية في حلوق المعزى معلقة كالقرط قال صاحب التاج وهي عامية وأقول هي كذلك الى اليوم أما في اللغة فقد قال الليث الزَّلَمَة تكون للمعزى في حلوقها متعلقة كالقرط ولها زلمتان واذا كانت في الأذن فهي زَنَمة بالنون

أما الزلُّومة العامية فهي مصغر زَلَمة على قاعدة العامة في تصغير الأسماء فهم يقولون في فاطمة فطُّوم وفطُّومة وفي محمد حمُّودة وحمُّود وفي علي علُّوش واذا صغروا نتفة اي الشيء القليل قالوا نتُّوفه ٠

ز م ط زمط من يدي — وقالت العامة زمط الشيء من يدي اذا انزلق بسرعة ويستعمل لمن يفرّ هارباً بعد أن قُبِض عليه أو كاد يقبض عليه وهو في اللغة بالذال المعجمة قال في اللسان «وفي نوادر الاعراب طعام ذَمط وزَرِد لين سريع الانحدار» فهو على هذا قد جاء الى العامة على سبيل المجاز ٠

ز م ق اولاد زَمْقَة — ويقولون أولاد زَمْقَة ويريدون بهم السفلة والسقاط والغوغاء وأولاد الأزقة وهو كقول العرب اولاد دَرْزة للسفلة والغوغاء من الناس قاله ابن الاعرابي وقد عناهم الشاعر الذي رثى زيدَ بن علي بن الحسين مخاطباً زيداً بقوله : «اولاد درزةَ اسلموك وطاروا»

وذلك لما انهزموا عنه بعد ان خرجوا معه لحرب هشام بن عبد الملك وبعد ان التقى الجيشان وهكذا يقول العرب ابن دَرْزَة للدعيّ او لابن الامة تجيء به من المساعاة فلا يعرف له اب ويقال له ابن تُرْنى وهم اولاد تُرْنى وهكذا يقال للفقراء بنو غبراء ٠

أما اولاد زمقة العامية فان الزَّمْق لغة في الزَّبق بمعانيه كما في اللسان ومعناه الحبس والتضييق واولاد زمقة هم اللصوص الذين يزبقون الأقفال اي يكسرونها وتعمر بهم الحبوس والسجون وهم الذين يطارَدُون ويضيق عليهم في حفظ الأمن وحكى الأصمعي زبَقَه في السجن زبْقاً اذا حبسه وفي مستدرك التاج زَبَقه زبْقاً ضيَّق عليه والزبْق كسر الأقفال قال الشاعر :

«ويزبق الأقفال والتابوتا» اي انه لصّ

ز م ن ت الزَمَنتُوت والزمنطوط — تريد العامة بالزَمَنتُوت او الزمنطوط الرجل المتفرد برأيه والمستبد بأعماله لا يذعن لنصيحة ولا يستجيب لمشورة وهي فيما أرى محرَّفة عن صَمَعتُوت وفسره صاحب اللسان بانه الحديد الرأس ومثله في التهذيب وجاء في نسخة القاموس التي بين يدي الصمعيوت بالياء مكان التاء الأولى ومثله نص النوادر كما أفاده صاحب التاج وقد صحّ عن العرب تعاقب العين والنون مثل تنكظ وتعكظ عليه الأمر اذا تعسر والتوى وهو عدُه ونده اي قرن له ·

ز ن ب ع زنبع — وقالوا زنبَع الابريق اذا امتلأ حتى اندفع الماء من بلبلته وهذه البلبلة تسمى عندهم الزنبوعة ويقال لها الزرزوبة (راجع زرب م ٢٣ : ٢٤١) وهي اما دخيلة من زنبع الارمية بمعنى فار او من زوبع العربية بمعنى ثار كالزوبعة وهذا فعل مولد من الزوبعة او من الزِانباع للرجل المندرئ بالكلام ·

ز ن ت ر تَزنتَر — ويقولون تزنتر فلان وهو مُزَنتَر اذا كان سيئ الخُلق ضيّقه يغضب لأقل سبب ويتحرق لأدنى شيء والزنترة عندهم حِدّة الحركة وحِدّة النشاط في الغلمان والولد مزنتَر اذا كان قليل الاستقرار وفي اللسان وقعوا في زَنْتَرَة من امرهم اي ضيق وعسر ولا ريب ان الضيق والعسر من أسباب سوء الخُلق ·

ز ن خ ازنخ وزَنِخ اللحم — وقالوا زَنخ اللحم وازنخ والطعام له زَنْخة وهو زَنِخٌ وذلك اذا تغيّرت رائحته لفسادٍ فيه وهي فصيحة مثل سنخ والاسم الزَنْخة والسَنْخَة ·

ز ن ط ع الزَنطُوع — الزَنطُوع عند عامتنا المُحَدَّد الرأس الناتئ عما سواه وفي اللغة الصُنتُع يقال للصلب الرأس وللحمار الناتئ الحاجبين والوجنتين ·

ز ن ق زَنِق — وقالت العامة زَنِق من أكلِ الدسم وذلك اذا بشم واتخم وانصرفت شهوته عن الطعام من غير شبع لكثرة ما فيه من الدسم وهو في الفصيح سَنِق بالسين المهملة يقال سَنِق الفصيل اذا بشم واتخم من اللبن وجاء

في اللغة صنق بالصاد المهملة اذا لم يأكل ولم يشرب من هياج لا من مرض

ز ن ك ثوب مزنّك — ويقولون للثوب الضيق على لابسه لقلة عرضه مُزَنَّك وهو في اللغة مزنّد بالدال وفسروه بالثوب القليل العرض وأصله من الضَنْك وهو الضيق والكاف والدال يتعاقبان في الفصيح يقال صدمه وصكمه وكذلك الضاد والزاي يقال ضغده وزغده اذا عصر حلقه ٠

ز ن ك ر — وقالوا زنكرت المرأة اذا حملت فعظم بطنها وزنكر الصبي اذا امتلأ من طعام أو رضاع فعظم بطنه

وفي اللغة زَكَّر وتزكَّر بطنُ الصبي اذا عظُم وصار كالزكرة وحسن حاله والزكرة عند العامة زق صغير يصفى به اللبن الرائب من مصله وكذلك هو في الفصيح ويكون للخمر ٠

ز ه ب الزهْبَة والزِهاب — الزهبة والزهاب عند العامة جهاز المسافر وما يحتاج اليه في سفره وجاء في اللغة الزُهْبَة والزِهب القطعة من المال كذا في القاموس وتعقبه صاحب التاج بقوله قال شيخنا وكثير من شيوخ اللغة يقولون انها عامية لا تثبت عن العرب وروى الأزهري عن الجعفري اعطاه زِهبًا من ماله أي قطعة ٠ وجاء عن الأئمة ازدهبه بمعنى حمله وازدأبه لغة أخرى وفي مادة زأب قالوا زأب القربة كمنع حملها ثم أقبل بها مسرعًا كازدأبها قال الشاعر :

« وازدأب القربة ثم شمَّرا »

وكلما حملته بمرة فقد زأبته والزأب والزهب والزعب كلها تدور حول معنى واحد وهو الحمل والاحتمال والزِهبة العامية هي ما يحمله المسافر في سفره لحاجته

وربما يقال ان الزهبة من الاهبة على الابدال وهي العدّة ومنه اهبة الحرب والهمزة والزاي يتعاقبان في الفصيح مثل توكأ وتوكز على عصاه ٠

ز ي ٠ الزِيْآيَة — وعامتنا تريد بالزِيْآية القطعة من الأرض اذا كانت مستدقّة في عرضها ممتدة منقادة في طولها على حاشية ارض اخرى ثم استعيرت عندهم للقطعة المستطيلة من غير عرض على حاشية الثوب ٠

وأما في اللغة فقد جاء عن ابن السكيت ان السِيساءة هي المنقادة المستدقة من الأرض . فالعاميّة على هذا محرفة عن السيساءة اذا بدلت بالسين زايا فقالت الزيزاءة ثم فرّوا من تكرار الزاي فقالوا الزيآءة ولفظوها الزيأبة بتسهيل الهمز المألوف عندهم .

ز ي ب ق الزيبق — الزيبق في العامية هو الزئبق بتسهيل همزته وفي زمن صاحب اللسان كانوا يقولون درهم مُزَبَّق وعدّه ابن منظور من المولد العامي وهو في الفصيح مُزَأبق والزئبق في أصله غير عربي وعربيته الزاووق . وجاء في المغرب انه يقال بالباء وبالهمزة واختار الميداني كونه بالهمز وقال الليث وتليّن همزته في لغة والفعل منه التزبيق . ولم يجارِ صاحبَ اللسان في انه مولد عامي بل جعله لغة وأما تليين الهمزة فقد حكى الأخفش كما في الاقتضاب للبطليوسي ان من العرب من يترك الهمز في كلّ ما يهمز الا أن تكون الهمزة مبدوءاً بها

وفي التاج ان الهمز ليس من لغة قريش . قلت : وكذلك ليس هو من لغة العامة الى اليوم وقال الائمة ان تسهيل الهمزة يكون قياسياً اذا كانت ساكنة ووقعت طَرَفاً في الفعل المزيد نحو ارجأت الأمر وارجيته وأشطأ الزرع وأشطى

زوط زَوَّطَها — وقالوا زَوَّطَها « بالزاي المفخمة » اذا تجاوز في عمله حَدَّ المألوف ويكون ذلك في القول وفي العمل . وفي اللغة زوّط اذا عظّم اللقم وفي اللسان قال ابو عمرو يقال زوّطوا وغوّطوا ودَبَّلوا اذا عظموا اللقم ومثله زهوط ولكن العامة تعمّ بزوّط اللقم وغيرها

او تكون من ذاطه يذوطه لغة في المهموز وذلك اذا خنقه حتى دلع لسانه اي بالغ في خنقه وهو جار مجرى قول العامة للمبالغ في الشيء حتى جاوز الحد « خنقت البرّاك » كما يقولون زوّطتها

او تكون من اضوط الزيّار على الفرس اي زيّره به قال في التاج قال ابو سعيد سمعت بعض مشايخنا يقول اضوط الزيار على الفرس اذا أنشبه في جحفلته نقله الصاغاني في العباب .

ز ي ط زاطت الدابة — ويقولون زاطت الدابة « بالزاي المفخمة » اذا سمنت من أكل الربيع او اذا كثر حولها فأكلت ورعت حيث شاءت

وارجح انها محرفة بالابدال من ضاط الرجل في مشيته ضيطاً وضَيَطاناً اذا حرَّك منكبيه وجسده من كثرة لحم ورخاوة فهو ضَيْطان بالفتح اي كثير اللحم رخوه نقله ابن سيده والدابة اذا سمنت في المرعى كثر لحمها وتمايلت في مشيها من السِمَن وثقل الجسم

ز و ع تزوَّع — وقالوا تزوَّع وزوَّع اذا تقيَّأ وفي القاموس وتخوَّع تقيَّأ بغدادية ولعلها مولدة يشعر بذلك قوله بغدادية ولكن البغداديين اليوم يقولون زوَّع بالزاي

وربما كانت من تهوَّع اذا تكلَّف القيء . وهاعَ قاء من غير كلفة وهوَّعته ماأكل اذا قيَّأته وفي حديث علقمة واذا تهوَّع فعليه القضاء اي اذا استقاء وتكلَّفه

زول الزَوْل — ويقولون للحَسَن الخَلق والهندام له كَسْم وزَوْل ويسمون الشاخص في الظلام لا يتبيَّن من هو وما هو الزَول والزَوالة وذلك اذا ظهر كالخيال لا يلبث ان يزول وفي اللغة الزَول الخفيف الظريف يُعْجَب من ظَرفه وجمعه ازوال وزال يزول اذا تظرَّف والانثى زولة كذا جاء في اللسان والزَوَال الخيال قال الأعشى :

هذا النهار بدا لها من همِّها ما بالُهـا بالليل زال زوالها

قال ابو بكر (الأنباري) في تفسيره زال خيالها حين تزول

وجاء في كلام العرب زال به السراب اذا ظهر شخصه فيه خيالاً وفي اللسان الزَوْل الحركة يقال رأيت شيخاً ثم زال اي تحرك .

زول (٢) الزوليَّة — الزُوليَّة في العراق هي البساط والسجادة ذات الخمَل وجمعها الزوالي وهي في اللغة الزِّلِّيَّة وفسروها بالبساط وجمعها الزلالى .

ز و م الزُوم — الزوم عند العامة المَرَق وماء الغسالة واحسب انها دخيلة .

النبطية : (جبل عاملة) احمد رضا

مخطوطات ومطبوعات

ظهر الاسلام [1]

تأليف الأستاذ احمد امين

يقع هذا الكتاب في ثلاث واربعين وثلاث مئة صفحة · من القطع الكبير · حسن الطبع والترتيب والتبويب · وهو « يبحث في الحالة الاجتماعية ومراكز الحياة العقلية من عهد المتوكل الى آخر القرن الرابع الهجري » ·

بدأ المؤلف كتابه بوصف المملكة الاسلامية في ذلك العهد ، فذكر كيف دخل العنصر التركي في هذه المملكة ، وما كان له من أثر في الحياة السياسية والاجتماعية · ثم ما كان بعد ذلك من نزاع — كان من قبل بين الفرس والعرب — فأصبح بين العرب والفرس والترك · يقول : « وكان العرب قد ضعف أمرهم في نزاعهم مع الفرس ، فجاءت قوة الترك ضغثاً على ابالة · وأخذ التاريخ الاسلامي يصطبغ بالصبغة التركية · وتحركت العصبية ضد الأتراك ، حتى ان المعتصم وهو الذي جلبهم ، اخذ — على ما قيل — ينكر أمرهم ، وجعل المحدثون يضعون الأحاديث في ذم الترك ، تعبيراً عن شعورهم وشعور الناس ·

ثم جاء المتوكل — وقد مضى على مجيء الترك اثنتا عشرة سنة ، تمكنوا فيها من الأرض ، وعرفوا الناس والبلاد ، وخدمتهم الحوادث في اعلان سلطانهم — فاذا باتياخ وهو غلام تركي كان طباخاً ، يصبح صاحب السلطان ، وبيده معظم الأمور ، واصبحت امور الدولة في يد الأتراك ، واصبحوا مصدر قلق واضطراب · فهم يكرهون الفرس والعرب ؛ وهم انفسهم ليسوا في وفاق بعضهم مع بعض · وهم لا ينقطعون عن المؤامرات والدسائس ، وتعصب كل فريق لقائد منهم ؛ وهم

(١) تأخر نقد هذا الكتاب لأسباب قاهرة .

كثيرو الطمع في الأموال لا يشبعون . وعلى الجملة فقد أصبحت دار السلام وما حولها ، ليست دار سلام »

يقول : « ورأى المتوكل ان يتخلص من الأتراك ، ويعيد الدولة سيرتها الاولى . ولكن ابنه المنتصر كان يشايعهم . فعزم المتوكل ان يفتكَ بابنه المنتصر ، ويقتل وصيفاً وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم ، وعزموا هم على الفتك به . فكان ذلك مفترق الطرق : ان نجح زالت دولة الاتراك وعادت غلبة الفرس ، ورجعت الأمور الى ما كانت عليه . ولكن شاء القدر ان ينجحوا هم ، فتقدم باغر التركي حارس المتوكل ينفّذ مؤامرة دبَّرها القواد الأتراك ، وعلى رأسهم بغا الصغير ، ومعه عشرة غلمان من الأتراك ، وهم متلثمون والسيوف في أيديهم ، وصعدوا على سرير الملك ، وضرب باغر المتوكل بالسيف فقده الى خاصرته ، ثم ثناه على جانبه الأيسر ، وفعل به مثل ذلك . وأقبل وزيره الفتح بن خاقان يمانعهم ، فبعجه واحد منهم بالسيف في بطنه ، فأخرجه من متنه .

ولم يكن قتل المتوكل اعتداء على المتوكل وحده ، بل هو قتل لسلطان كل خليفة بعده . ولم يكن قتله بيد باغر وحده ، بل بيد الأتراك . وكان في قتله حياة الأتراك وسلطانهم ، وانذار عام للبيت المالك : أن من أراد ان يلي الخلافة ، فليذعن اذعاناً تاماً للأتراك ؛ ومن حدثته نفسه — من الخليفة فمن دونه — ان يناوئهم فليوطن نفسه على القتل .

وهكذا كانت هذه الحادثة مصرع الخلافة ، ومجد الأتراك ، فكان الخليفة بعده خاتماً في اصبعهم او أقل من ذلك ، حتى قنع بالسكة والخطبة . وصار يضرب ذلك مثلاً لمن له ظاهر الأمر وليس له من باطنه شيء ... »

هذه هي الصورة البارعة من حيث التصوير ، المؤلمة من حيث الواقع ، التي استهل بها الأستاذ فصله الأول : وصف الحال التي كان عليها سكان المملكة الاسلامية في القرنين : الثالث والرابع . وقد عزّز هذه الصورة ببسط الأحداث

والخروق التي كان يحدثها هؤلاء الأتراك — ثم الديلم من بعدهم — في أطراف البلاد وفي قلبها من نهب وسلب ، وانتهاك حرمات ، وضبط أموال ، واذلال الخلفاء وتقتيلهم ؛ حتى الزنج نفسهم لم يخلص العرب وبلادهم من شرهم . هذا الى ما كان بين السنة والشيعة من جدال وقتال ، وما بين العناصر المذهبية من خلاف .

يقول الأستاذ : « هذه العناصر الجنسية من اتراك وفرس وعرب وروم وزنج وغيرهم ، وما تستلزم من عصبيات ؛ وهذه العصبيات المذهبية والطائفية من تسنن وتشيع ، ومن حنابلة وشافعية وحنفية ، ومن مسلمين ويهود ونصارى وغير ذلك ؛ كانت كلها حركات تموج بها المملكة الاسلامية ، تتعاون حيناً ، وتتقاعس حيناً ؛ وتؤثر في السياسة وفي الدين وفي العلم ؛ وتنشأ عنها المؤامرات السرية أحياناً ، والقتال الصريح احياناً . وكان لها كلها اثر واضح في كل ناحية من النواحي الاجتماعية : قد أثرت في الحالة المالية ، اما مباشرة واما عن طريق الحكم والسياسة ، فعمرت في ناحية وخربت في اخرى ، وعدلت في ناحية وظلمت في اخرى » .

ثم هو يصف ما كانت عليه الخاصة من غنى وترف ، وما كانت عليه العامة من فقر وبؤس ، وأسباب ذلك ، وما كان من نتائجه المفجعة من ثورات وخراب .

وينتقل المؤلف من وصف الحياة الاجتماعية السياسية الى وصف الحياة العقلية ، وما كان من اضعاف سلطان المعتزلة ، واعلاء شأن المحدثين ، ونصرة اهل السنة ، ثم يتحدث عما كان من حضارة وعلم وأدب ؛ ومن نبغ في الآداب والعلوم العربية من غير العرب ، كالفرس جملة ، ومن لم ينبغ كالترك الا افراداً ؛ ومراكز هذه الحياة العقلية من لغوية ونحوية وفلسفية ودينية وأدبية وعلمية ، في المشرق والمغرب العربيين . ولا يغفل ما كان من ذلك في جنوب فارس ، وفي خراسان وما وراء النهر وفي السند وأفغانستان .

وفي تضاعيف هذا الكلام ، من اخبار العلماء والأدباء والشعراء ومن الشعر

الاجتماعي والسياسي ، ما يحبب اليك متابعة هذا الكتاب والانكباب عليه ، حتى تبلغ منتهاه .

ويختم المؤلف كتابه بلمحة عن سير العلم في الأقطار الاسلامية التي فتحها العرب ، وما كان لذلك من فضل في بقاء الوحدة العلمية والفكرية ، بعد فقدان الوحدة السياسية فيقول :

« واذا فتحت بلدة فسرعان ما يذهب اليها العلماء في الفقه والأدب يعلمون أهلها الدين واللغة والأدب ، حتى تصبح بعد قليل مركزاً من مراكز الانتاج العلمي كالذي رأيناه في صقلية ، تُفتح فيرحل اليها العلماء وتدوّي فيها حركة العلم وبعد قليل نراها مركز انتاج علمي وأدبي عجيب .

والحكومات من جانبها تنشيء الطرق ، وتقيم الرباطات والمخافر لحاجتها الشديدة الى تنظيم البريد ، وتسهيل التجارة ، فكان العلماء في رحلاتهم ينتفعون بهذه المزايا ، كما ينتهزون الفرص لخروج القوافل الى الحج ، فينتظمون في سلك الحجاج ، ويرحلون الى البلدان التي يريدونها .

وكانت الرباطات كثيرة في مراحل المسافرين ، ويذكر الاصطخري انه كان في بلاد ما وراء النهر ما يزيد على عشرة آلاف رباط ، في كثير منها اذا نزل النازل قدم له طعامه ، وعلف دابته ان احتاج لذلك .

وقد زوّدت هذه الرباطات بالماء لحاجة المسافر اليه ، وعدت اقامة الرباطات وتزويدها من الأعمال الخيرية التي يقف عليها المسلمون بعض أوقافهم ... كل هذا جعل المملكة الاسلامية من مشرقها الى مغربها كأنها وحدة مهما تعدد ملوكها وحكوماتها ، فالعالم والأديب والفنان والتاجر لا يعبثون بالحدود التي ترسمها السياسة ، ويرون ان اللغة والدين تكسر حواجز السياسة .

وكان لهذا أثره الكبير في العلم والأدب ، ومن أوضح هذه الآثار ضعف الشخصية الاقليمية ، فليس علم مصر وأدبها متميزاً كثيراً عن علم العراق وأدبه ،

ولا عن علم خراسان وما وراء النهر والسند واديها ، كلها متقاربة لأن رحلة العلماء وشدة الاتصال قربت بين الفروق ، وما يظهر امتياز في ناحية الا استمدته الناحية الأخرى وحذقته واستغلته . فالفقه المالكي في المدينة ، والفقه الحنفي في العراق يؤلف بينهما أمثال محمد بن ادريس الشافعي ، واسد بن الفرات المالكي . والنحو العراقي يحمله الى مصر والى المغرب الراحلون الى العراق (لعله من العراق ؟) والمتعلمون على أساتذته ، والعائدون بعد ذلك منه . والشعراء على ابواب الملوك والأمراء يتنقلون من بلاط الى بلاط فيوحدون مناهج النظم . والوراقون وتجار الكتب يحملون كتاب الأغاني ورسائل اخوان الصفا من العراق الى الأندلس . ومكاتب مصر ، ومكاتب الأندلس ، والقيروان ، والمهدية ، وفاس ، وخراسان ، وغزنة ؛ تضم خزائنها أهم ما أنتجه العالم الاسلامي بقطع النظر عن اقليمه

بل العلماء انفسهم نرى شطراً من عمرهم قضوه في بلد وشطراً آخر في بلد آخر . شطر في مصر وشطر في الشام ، وشطر في الشام وشطر في العراق ، وشطر في العراق وشطر في فارس ، وهكذا حتى يصعب في كثير من الأحيان عد العالم مصرياً او شامياً ، وعراقياً ام فارسياً . ومؤلفو التراجم أدركوا هذا المعنى فجمع اكثرهم علماء العالم الاسلامي على اعتبار انهم نتاج مملكة واحدة كقطر واحد .

نعم توجد شخصية نتاج كل اقليم كالأدب المصري والشامي والعراقي والفارسي ؛ والطب المصري والشامي والعراقي والفارسي وهكذا ، ولكنها شخصية غامضة خفية لا ترى الا بالمنظار الدقيق والبحث الطويل . واكثر ما يظهر هذا في منبع الظاهرة العلمية الأدبية حين تظهر . فظهورها في اقليم خاضع ولا بد لمؤثرات اجتماعية في هذا الاقليم ، كظهور المقامات في اقليم فارس ، والموشحات بالأندلس ؛ والأسلوب المسجوع المحلى بالبديع في الري وما حولها ، والرسائل الشاملة لفروع الفلسفة — كرسائل اخوان الصفا — في البصرة . كل ذلك له علل اجتماعية

وتاريخية واقليمية مرتبطة بهذه الظواهر ارتباط السبب بالمسبب ، ولكن لا تلبث بعد ظهورها ان تقلد في سائر الأمصار ، ولو لم تكن العلة الأصلية موجودة ، وتقوم علة التقليد مقام علة الابتكار ، وتختفي الشخصية الأولى وراء المظهر العام للوحدة المشتركة »

من هذا الذي استشهدنا به ، يُعرف شيء من قيمة هذا الكتاب الجليل الذي أخرجه للأمة العربية الأستاذ الجليل . وليس لنا ما نأخذه على أستاذنا الا تساهله في بعض عبارات وألفاظ ، ان هي جازت لغير المؤلف ، وفي غير هذا الكتاب ؛ فما نحسبها تجوز للمؤلف وفي كتابه هذا على جلالة قدرهما . من ذلك : (وهو كلام جيد نظرياً) و (استمرت طوال هذا العصر) و (تبلور عداء الناس) و (هكذا فعلوا في الوزراء والكبراء والتجار) وإكثاره من استعمال السنية في مقابلة الشيعة و (النعلين المذهّبين) بتشديد الهاء . و (صارت المملكة الاسلامية عبارة عن دول) و (اجاد المسعودي في ملاحظته وجه الشبه) و (لم تعد المملكة الاسلامية مخشية الجانب) و (فلما تملكوا حققوا نظريتهم في احقيتهم) و (اهاج شاعريته) و (لا يهمه المال بجانب ما يهمه العلم) و (بقطع النظر عن اقليمه) و (مات حول سنة ٤٣٠) و (فرأيت شعراء ممتازين في هذا العصر) و (يرجع الفضل فيها أولاً الى شخصيتين من أقوى الشخصيات)

وكالتساهل في كتابة الهمزة : (ملئوا) بدلاً من (ملأوا) (ولا يعبئون) بدلاً من (ولا يعبأون) .

ووقف نظرنا عند هذا البيت :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما لأجل العطايا والّها تفتح اللّها

و (لأجل العطايا) نابرة هنا قلقة . لا تليق بقدر هذا البيت ولعل الرواية :

(تجيد العطايا واللُّهى تفتح اللّها)

ولسنا من رأيه في قوله : « المأمون — نصف الفارسي » فاذا كان المأمون تخرجه عن عروبته أو تسلبه نصفها ، أن امه فارسية ؛ فما القول في كثير من

ملوك أوربه كانوا ، ومنهم من لا يزالون الى اليوم ، ينتسبون الى أمم ويقومون بأمورها ، وآباؤهم — وأحياناً هم — ليسوا منها بل غرباء عنها ؟

ويقول المؤلف : (وقد استفدت من اشارات للأستاذ متز الى كثير من هذه المصادر) وقد يكون هذا قليلاً في جانب ما سبق لآدم متز ان أورده في كتابه : (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع) من نصوص وشواهد وبحوث وأشعار ونقول وحادثات أعيدت نفسها وبنصها مرة ثانية في ظهر الاسلام .

هذا ونحن نكرر شكرنا للأستاذ الجليل على هذا الكتاب المفيد الجليل .

عارف النكدي

البادية

تأليف عبد الجبار الراوي

مدير السجون العام في بغداد

ليت القارئ يفكر قليلاً في هذا العالم المديد الذي تشتمل عليه لفظة : البادية ، فمن البادية انحدرت الينا لغة وأدب وشعر امتزجت في بدء الأمر بلغة الحضر وأدبه وشعره ثم تعاقبت على هذا الامتزاج أحقاب غير قليلة فنشأت بعد هذا التعاقب روح جديدة في لغتنا وأدبنا وشعرنا ، ظهرت آثارها على شعرائنا وكتّابنا في الماضي ولا نزال نغرف من بحرها في الحاضر .

فمن الوفاء الرجوع الى البادية التي هي مادّة اوائل حسنا وفكرنا وعاطفتنا وذوقنا ومن الوفاء الكلام على مجامع نواحيها : على جغرافيتها وطرقها وآبارها وعشائرها واجتماعها ونظامها وغير ذلك ، وهذا ما توفّر عليه السيد عبد الجبار الراوي مدير السجون العام في بغداد في كتابه : البادية .

فلا يشاء القارئ أن يعرف شيئاً عن بادية العراق وبادية نجد وعن حدودهما وخصائص تربتها وحيواناتها الاّ عرفه ولا يشاء ان يعرف شيئاً عن طرق البادية وعشائرها وعاداتها واحوالها الاجتماعية ونظام حكوماتها ومعاهداتها واتفاقاتها الاّ عرفه .

شفيق جبري

بلادنا (فلسطين)

تأليف مصطفى مراد الدباغ
مفتش معارف اللواء الجنوبي – يافا –

يبحث المؤلف في هذا الجزء وهو الجزء الأول عن تأريخ فلسطين في مبدإ التأريخ حتى انقسام مملكة اليهود ، وقد تبسط في الكلام على الديار النابلسية التي هي في نظره : بلاد الرجولة الكاملة والخلق المتين ، فذكر طائفة من علمائها وأدبائها وأبطالها وأشار اشارة يسيرة الى بعض رجال العرب الذين كانت لهم علاقة تأريخية مشهورة بها .

يعترف المؤلف في المقدمة بأن البحث في بعض مواضع الكتاب يحتاج الى الاستقصاء وان نواحي منه لم يتمكن من الوصول اليها ليوفيها حقها من الشرح والتفصيل ، ولكن على الرغم من هذا الاعتراف لا يخلو الكتاب من خصائص ذات قيمة فقد أشار صاحبه فيه الى ذكر فلسطين في القرآن الكريم والحديث الشريف والى ذكرها في أقوال بعض علماء العرب ، وتكلم على موقعها الجغرافي وعلى سكان البلاد القدماء وعلى الفلسطينيين واليهود فالكتاب على وجه عام يجمع بين شيء من الفائدة واللذة .

ش . ج



التيّار

نظم الأستاذ أحمد الصافي النجفي

نشر صاحب هذا الديوان تحت اسم الديوان : التيّار هذين البيتين :

يقدّم تيّاري الى الناس نفسه وليس له الاّ الهدير معرِّف
وليس بمحتاجٍ مقدمةً له مقدمة التيّار ما سوف يجرف

فالديوان الذي لا يحتاج الى تعريف ولا الى مقدمة لا يحتاج أيضاً الى كلمة عليه في مجلة مجمعنا ، واذا احتمل الناس صدور أمثال هذه الهواجس عن شاعر

كأبي الطيب المتنبئ الذي اذا قال شعراً أصبح الدهر منشدا ... فلا يحتملون صدورها عن أي شاعرٍ كان ، فان للغلو حداً واذا جاوز الغلو مقدار هذا الحد ظُنت بصاحبه الأظانين .

لقد نقش صاحب «التيّار» قصائد في ديوانه عنوانها : اللئيم والثقيل .. وكم كنت استحسن هذه القصائد لو جرّدها من الكلام على نفسه في تضاعيفها كقوله :

يحاول أن أقابله بلؤم ويأبى المجـد والقلب السليم
أأدفع لؤمه عني بلؤمٍ اذن انا مثله جانٍ أثيم
كرهت اللؤم حيث أراه نقصاً فهل أرضاه كي تؤذى الخصوم

فلو تكلّم على اللؤم من حيث هو لؤم وترك جانباً هذا المجد وهذا القلب السليم وهذا الكره للؤم لكان لشعره وقع غير هذا الوقع .

وقال أيضاً في قصيدة ثانية عنوانها : سارق غير شاعر :

والشاعر الصافي يخال الورى تحكيه في الباطن والظاهر
وانهم أشراف نفسٍ غدت قلوبهم كقلبـه الطاهر

فلو فتش الشاعر الصافي عن قلب طاهر غير قلبه يشبه به قلوب الورى لكان كلامه أشدّ صلةً بالآذان والأذهان .

واذا شئت ان أبحث في التيّار عن شعرٍ أُسرُّ به ، خالٍ من أشباه هذه الوساوس فلا وجدته الاّ في القصائد التي يتجرّد فيها من نفسه مثل قصيدة دمرْ التي يقول فيهـا :

جلستُ حول نهر دمّر غيدٌ صرنَ والدوح حوله جنّتين
بردى ما رأيت قبلك نهراً ينبت الغانيات في الشاطئين
ليس عيناي لي بكافيتين فوق عيني ابتغي ألف عين

ليت شعر «التيّار» كان كله من هذا النمط وهذا المذهب !

ش . ج

أدب الرصافي (نقد ودراسة)

تأليف مصطفى علي

هذه فصول نشرها صاحبها في جريدة البلاد في بغداد ثم جمعها في كتاب سماه : أدب الرصافي ·

وضع المؤلف نفسه في هذه الفصول موضع المدافع عن طائفة من آراء الرصافي وأفكاره ويسير من أدبه وسيرته ومعتقده ·

انا نشاهد في بعض مواطن من الكتاب مثل هذه العبارة : ولئن أريد ان يعلو الصدأ مرآته الوضّاءة في حياته وبعد مماته وان تطمسها غشاوة من الكيد وعماية من المكر الخ ···· فنرى ان خيراً من هذا الأسلوب ونحوه الدلالة على محاسن الرصافي التي تجعل له المقام الرفيع في الأدب لأن مثل هذا الأسلوب لا يحتوي على شيء من التحليل وانما يذهب أدراج الرياح ·

على انه اذا كان المجال لا يتسع للتدقيق في الذي عابوا به الرصافي والذي ردّ به المؤلف عليهم في فصوله ، فيمكننا ان نشير الى أن ردّه كان يشتمل في كثير من الأحيان على الصواب ·

ش · ج



مصطلحات علمية

لواضعها الدكتور في الصيدلة والكيمياوي محمد صلاح الدين الكواكبي

كتيب يقع في ٨٧ صفحة جمع فيه مؤلفه ما وضعه من المصطلحات العلمية التي يعود أكثرها الى علم الكيمياء · ومتى عرفنا ان وضع المصطلحات الكيماوية يكاد يكون عقدة العقد في اللغة العربية قدرنا للأستاذ الواضع جهوده وأقررنا بفضله في شقّ هذا الطريق الوعر الذي يصعب اختراقه · ان وضع المصطلحات الطبية قد قطع شوطاً كبيراً في يومنا حتى أصبحت الكتابة بلغة الضاد سهلة

في أي موضوع يختاره الكاتب بدون ان يكون مضطراً الى استعمال الكلمات الأعجمية او تعريب بعضها . ويعود معظم هذا الفضل الى أساتذة كلية الطب بدمشق الذين ذللوا هذه العقبات كلٌّ منهم بما يعود الى الفرع الذي يدرّسه غير ان الكيمياء كانت ولا تزال العقبة الكؤود التي لم يسهل تذليلها وإننا نسرّ الآن اذ نرى أستاذاً من أبرع الأساتذة علماً في فنه ومن أوسعهم اطلاعاً على لغة الضاد وفلسفتها يسلك هذا الطريق غير عابئٍ بما سيعترضه من المصاعب .

ان المصطلحات التي وضعها المؤلف لا تزيد عن ستمائة مصطلح يعود بعض منها الى العلوم الطبية كافة ويرجع الباقي منها الى العلوم الكيميائية وهو عمل ضئيل اذا ما قيسَ بألوف المصطلحات التي يتطلبها علما الكيمياء والصيدلة غير ان هذه المصطلحات ليست كل ما وُضع في هذين العلمين بل ان سواها من المصطلحات السهلة قام بوضعه عدد من المؤلفين الذين سبقوا الأستاذ الكواكبي كما ان جمعَ شتاتها ووضعَ ما لم يسبق وضعهُ يقوم به الأستاذ الكواكبي على ما نعلم في معجم خاص معدّ للطبع سيسمّى «معجم الكواكبي في الكيمياء» .

اننا نهنئ الأستاذ المؤلف بالطريقة التي سلكها في الوضع فقد اختطّ له طريقاً اذا ثابر على سلوكه حتى النهاية سهُل عليه وعلى من جاء بعده بلوغ الغاية . نقدم على ذلك بعض الأمثلة القليلة فقد جاء في ترجمة (raffiner) رفّن من الرفأنينة وهي غضارة العيش وأجوده ومعنى اللفظة الأعجمية الحصول على أنقى المواد وأصفاها وجاء في كلمة (raffinage) الترفين فكان موفقاً كل التوفيق في هذا الوضع لما في الكلمتين العربية والأعجمية من التقارب في اللفظ والتشابه في المعنى . وجاء في ترجمة (carbonation) الفحملة او الفحمتة وهي غير التفحم او الاستفحام (carbonisation) لأنها تعني ترسيب ما في سائل من الشوائب بإمرار غاز الفحم ، بحالة فحمات كما في صناعة السكر ، واستعمل الفعل أيضاً فقال تَفَحْمَلَ أو تَفَحْمَتَ في ترجمة (se carbonater) والشواهد كثيرة على دقة وضع المؤلف وسعة تنقيبه قبل الوضع .

واننا نعتقد انه اذا لم تعنَ جماعة من الكيماويين والصيدلانيين في وضع مصطلحات العلوم العائدة الى فروع الصيدلة اجمالاً جاءت هذه المصطلحات مشدهة مغلوطة لأن الأطباء أنفسهم لا يُحسنون هذا الوضع ، كيف لا ووضع المصطلحات يتطلب شرطين اساسيين لا بدّ من توفرهما في الواضع اولهما اتقان العلم الذي يضع مصطلحاته وثانيهما اتقان اللغة التي ينقل منها واليها هذا المصطلح ولا يسهل توفر هذين الشرطين في غير علماء هذا الفن فأملنا ان يتابع الأستاذ العالم جهاده وان يتحفنا قريباً بقاموسه الفريد وفقه الله في عمله وأفاد العلم والعالم العربي بأمثاله

الدكتور مرشد خاطر

موجز في الكيمياء الحيوية لشعبة طب الأسنان

تأليف الدكتور في الصيدلة والكيمياوي محمد صلاح الدين الكواكبي

يقع هذا الكتيب في ١٤٥ صفحة من قطع الثمن وقد طبع في مطبعة الجامعة السورية بدمشق في سنة ١٩٤٦ وزين بخمسة وعشرين رسماً وهو بحث مقتضب في علم الكيمياء الحيوية وضعه المؤلف لطلبة طب الأسنان في كلية الطب بدمشق جاء فيه بزبدة هذا العلم التي لا غنى لطبيب الأسنان عن معرفتها في سياق ممارسته . وقد أحسن المؤلف كل الاحسان في اختيار الموضوعات المفيدة من هذا العلم وصوغها بقالب سهل المأخذ واهمال ما هو أقلُّ شأناً منها فجاء في الفصل الأول في بحث الهيوليات (بروتيد) ذاكراً خواصها وتفاعلاتها وتصنيفها وتطبيقاتها العمليه . وبحث في الفصل الثاني عن الدم وكواشفه وسكر الدم ومعايرته وبولة الدم ومعايرتها واملاح الكلور في الدم وعيارها وخمائر الدم وكرياته الحمر والبيض وغير ذلك من الأبحاث التي لا غنى لطبيب الأسنان عنها . وتكلم في الفصل الثالث عن الاختمار والخمائر وانواعها . وفي الفصل الرابع عن الكبد ووظائفها . وفي الفصل الخامس عن الصفراء ووظيفتها في الهضم وفي الفصل السادس عن اللعاب وعصارة المعدة وخمائر هذه العصارة وفي الفصل السابع عن عصارة المتكلة (البنكرياس)

وفي الفصل الثامن عن البول في الحالتين العادية والمرضية وطرائق كشف العناصر المرضية في البول وفي الفصل التاسع والأخير عن تركيب العظام والأسنان .

ولغة الكتاب صحيحة فصحى والمصطلحات الجديدة حسنة الوضع والأبحاث العلمية على الرغم من اقتضابها سهلة المنال ووافية .

ولواضع هذا الكتاب مؤلفات اخرى عديدة تدل على طول باعه وسعة علمه نذكر من المطبوع منها الموجز في بحث السموم ، والحبابات الدوائية ، والحموضة والقلوية ، وصناعة حمض الليمون ، والسيمياء الحديثة ، والحيونيات (الفيتامينات) والموجز في الكيمياء الحيوية الطبية العملية (٣ أجزاء) وغيرها من المؤلفات التي أعدّت للطبع وكلها تشهد بسعة علم المؤلف وتضلعه من اللغة التي يكتب بها

م . خ

J. Cantineau - Les parlers arabes du Horan

اللهجات العربية في حوران للأستاذ ج . قانطينو ، يقع في (٤٣٥) صفحة من القطع المتوسط ومعه ملحق ضمنه خرائط جغرافية لمناطق هذه اللهجات . طبع في باريز عام ١٩٤٦ .

سبق للأستاذ المؤلف ان عالج مثل هذا الموضوع في كتابه عن اللهجة العربية في تدمر ، ودراسته هذه عن اللهجات العربية في حوران فاقت ما سبقها من دراسات سعة وتدقيقاً .

ان هذه الأبحاث على وفرة الزاهدين فيها هي من الدراسات المفيدة وفيها خدمة جليلة لكل من يرغب بدراسة اللغات السامية والتعمق فيها . لقد احتفظت اللهجات العامية ببعض المصطلحات والأوزان والصيغ اللغوية القديمة التي لا نجد اصولها في اللغات الفصحى ولا نهتدي الى تعليلها من كتب اللغة . ومن المفيد ان تدون هذه اللهجات للرجوع اليها ، لاسيما وهي صائرة الى الاضمحلال بتأثير وحدة الثقافة وسرعة المواصلات وسهولة الانتقال واختلاط السكان .

نشكر المؤلف على جهده وعنايته .

جعفر الحسني

J. Sauvaget : Introduction à l'histoire be l'Orient musulman . Elements de bibliographie

في (٢٠٢) صفحة من القطع المتوسط · طبع في باريز عام ١٩٤٦

لقد سبق للأستاذ صلاح الدين المنجد ان عرّف قراء العربية بهذا الكتاب ونوه بمكانة مؤلفه العلمية حينما اقتبس منه فصليه الثاني والثالث وعربهما في كتابه (رائد التراث العربي) الذي قرظناه في أحد اعداد هذه المجلة · وما قلناه في الفرع يصح قوله في الأصل · لقد عرفت دمشق الأستاذ (سوفاجه) مؤلف هذا الكتاب مدة طويلة وعرفت فيه سعة علمه ودقة بحثه وانصافه في الحكم ، وحسن دعايته لتاريخ هذا الشرق · وقد توقع له من عرفوه وقتئذ مستقبلاً علمياً زاهراً في خدمة عالم الاستشراق · وقد حقق الاستاذ فراستهم في نشاطه العلمي وحسن اختيار أبحاثه · وكتابه هذا هو خير ما يهدى الى رواد تاريخ الشرق الاسلامي من عرب ومستشرقين ، يجدون فيه التوجيه الصحيح وحسن الاختيار وجودة الانتقاء في كل ما يرشدهم اليه من مصادر قيمة قد يغفل عنها أنبه الباحثين ·

ج · ع

خزائن الكتب القديمة في العراق

من أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة

تأليف الأستاذ كوركيس عواد

عدد صفحاته ٣٤٦ ، بأبعاد ٢٤ × ١٧ سم · ، طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م يحتوي هذا الكتاب على اربعة ابواب ، فيشتمل الباب الأول على مباحث تمهيدية ، كالوراقة والوراقين ، ووقف الكتب ، وحرقها ، وغرقها ، واغراقها ، ودفنها ، وغسلها ·

ويشتمل الباب الثاني على ذكر خزائن كتب العراق قبل الميلاد ، فذكر مؤلفه

خزائن نفر ، دريهم ، نينوى ، مدينة أدب ، سبار ، الجمجمة ، كبش ، تلو ، الوركاء ، تل قره قل ، آشور ، نوزي ، والمدائن .

وذكر المؤلف في الباب الثالث ، خزائن كتب العراق بعد الميلاد ، فأورد خزانة مرقد النبي حزقيال ، وكتب الديارات .

واما الباب الرابع وهو اوسعها ، فقد ذكر فيه خزائن كتب العراق في العصر الاسلامي ، وقسم هذا الباب الى خمسة أقسام ، فذكر في القسم الأول خزائن كتب الخلفاء ببغداد ، فبدأ بخزانة المنصور ، وانتهى بخزانة المستعصم بالله .

وعدد في القسم الثاني خزائن كتب الملوك والسلاطين ، فذكر خزائن عضد الدولة البويهي ، الملك العادل نور الدين ارسلان شاه بالموصل ، وبدر الدين لؤلؤ بالموصل

وأورد في القسم الثالث خزائن الكتب العامة القديمة في العراق ، فذكر خزائن المساجد ، المدارس ، الربط ، دور العلم ، وغيرها

وذكر في القسم الرابع خزائن كتب الوزراء في العراق ، فبدأ بخزانة يحيى البرمكي ، وانتهى بخزانة علاء الدين عطا الجويني

وختم الباب الرابع بذكر خزائن الكتب الخاصة ، منذ صدر الاسلام حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة

وأتبع هذه الأبواب بملاحظات ، واستدراكات ، وثمانية فهارس : لأعلام الناس ، الأقوام والملل والجماعات ، الأمكنة والمواضع ، خزائن الكتت ، اسماء الكتب والرسائل والمقالات والمجلات باللغات الشرقية ، المراجع الأجنبية ، الألفاظ الدخيلة والمصطلحات ، ومحتويات الكتاب .

وبالختام فالكتاب يشهد للمؤلف ببذل الجهد والصبر ، في التنقيب والبحث ، في بطون الكتب القديمة والحديثة ، الشرقية والغربية ، فاستحق شكر الباحثين ، وثناء المطالعين .

عمر رضا كحالة

آراء وأنباء

الأب أنستاس ماري الكرملي

(١٨٦٦ — ١٩٤٧)

١ — موجز تاريخ حياته



كان اسمه قبل أن يترهّب، «بطرس بن ميخائيل جبرائيل عواد». وقد وُلد ببغداد في ٥ أغسطس ١٨٦٦، من أب لبناني وأم بغدادية. وتلقّى العلم في مدارس بغداد، ثم عند الآباء اليسوعيين ببيروت، وأخيراً في بعض بلاد الغرب، ولا سيما في دير الكرمليين في شفرمون ببلجيكا. وقُسّ هناك سنة ١٨٩٤، فاتخذ له اسماً عُرف به، وهو «الأب أنستاس ماري الكرملي». ثم آبَ الى وطنه بعد أن زار في طريقه بلاد الأندلس.

وكان الأب أنستاس، خلال دراساته وتتبعاته، قد أتقن العربية والفرنسية. كما انه درس اللاتينية واليونانية. وتوغّل في فلسفة اللغة العربية توغلاً عظيماً، وأمعن في تحليل مفرداتها، ومعرفة أصولها واشتقاقاتها، وعُنيَ عنايةً فائقة بمقابلة ألفاظها بألفاظ غيرها من اللغات. فكان له في كلّ هذه الميادين القدح المعلّى، وتوصّل الى نتائج خطيرة الشأن.

وقد دفعت به هذه المواضيع ، الى الأخذ بأطراف جملةٍ من لغات الشرق الأدنى ، كالسريانية والعبرية والحبشية والمندائية والفارسية والتركية . كما حملته على ان يلمّ بغير ما ذكرنا من لغات الغرب ، كالانكليزية ، وقوّته في الفرنسية جعلته يفهم الايطالية والاسبانية .

حظي الأب أنستاس بمكانةٍ رفيعة بين العلماء والباحثين من مختلف الأقطار . فراسله جماعة كبيرة من علماء الشرق والمستشرقين . وكان ، رحمه الله ، قد تفضّل فأهدى الينا مجموع هذه الرسائل التي تواردت اليه منهم خلال خمسين عاماً ، اعني منذ سنة ١٨٩٦ حتى ١٩٤٦ . وفي هذه الرسائل من الفوائد التاريخية واللغوية وغير ذلك شيء كثير (١) .

ان علم الأب أنستاس وفضله ، حملا الهيئات العلمية على تقديره . فانتخب عضواً في « المجمع العلمي العربي » بدمشق ، وفي « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » بالقاهرة ، وفي « لجنة التأليف والترجمة والنشر العراقية » ببغداد .

٣ — خصومات أدبية

كان حرص الأب على العربية وتعلّقه بها ، يتعدّيان حدود الوصف . فهو طوال حياته سيفٌ مصلت على رؤوس مَن يناوئ هذه اللغة أو يحطّ من قدرها أو يستصغر شأنها . وله في ذلك مواقف جليلة خطيرة ، تجعله في طليعة الأبناء البررة لهذه اللغة .

وقد كان في كثيرٍ من ردوده ومناظراته ، لا سيما إذا كانت حجته قوية بيّنة ، لا يعرف الهوادة ولا اللين . فكان ينشر نقداته في المجلات ، فيحمي

(١) نشر كاتب هذه السطور ، كوركيس عواد ، وأخوه ميخائيل عواد ، « رسائل أحمد تيمور الى الأب أنستاس الكرملي » (بغداد ١٩٤٧) . وقد اعدّا للنشر ثلاث مجاميع أخرى من تلك الرسائل ، وهي التي كتبها « السيد محمود شكري الآلوسي » و« أحمد زكي باشا » و « الأمير شكيب أرسلان » .

وطيس الأخذ والردّ بينه وبينهم ، وقد يشتطّ الطرفان في المخاشنة ، وقد يبلغ بهما الأمر أحياناً الى الاسفاف في الكلام ..!

وسيسجّل تاريخ الأدب العربي في بعض صفحاته ، هاتيك الخصومات الأدبية ، بين الأب انستاس وبين غير واحدٍ من الكتّاب . وإن ننس لا ننس ما دار من مناظرات بينه وبين أمين ظاهر خير الله ، والأب لويس شيخو ، وأسعد خليل داغر ، وجبر ضومط ، والدكتور أمين المعلوف ، ووحيد الأيوبي ، وغيرهم ممن لا يسعنا ذكرهم .

٣ — مؤلفاته

زاول الأب أنستاس الكتابة ، وهو في مقتبل العمر . فقد نشر أولى مقالاته في جريدة « البشير » البيروتية منذ سنة ١٨٨٢ . وظلّ يبحث ويؤلف حتى آخر عمره . ولقد قرأنا له مقالاً في إحدى المجلات ، قبل وفاته بأيام معدودات ! فيكون قد أفنى من عمره في البحث والتأليف أربعاً وستين سنة ، كتب في خلالها نيفاً وألف مقالة ، وطبع جملة كتب ، ونشر جريدة ومجلتين ، وصنف مصنفات أخرى عديدة ، ما زالت مخطوطة .

ويدور أغلب مؤلفاته على مباحث شرقية ، في اللغة والتاريخ والتراجم والبلدان والأقوام والمِلَل ووصف الكتب ، والحيوان والنبات والأحجار ، والنُميّات والآثار والخطط ، وغير ذلك مما يتعذّر حصره حصراً تاماً .

كانت « مقالاته » متعددة المناحي ، وقد أكثر منها إكثاراً عظيماً ، حتى قلما نجد مجلةً عربية ذات شأن ، إلا واسم الأب أنستاس يتوج مقالات فيها . والذي أحصيناه من تلك المجلات جاوز خمسين مجلة ، تصدر في بلدان مختلفة ، كبغداد ودمشق وبيروت والقاهرة .

انّ تلك المقالات ، قد اهتمّ بها العلماء والباحثون أيما اهتمام ، ونُقل بعضها الى أشهر لغات الغرب ، كالألمانية والفرنسية والانكليزية والروسية .

وعندنا، ان مقالاته لو جُمعت كلها في كتب ، لقام منها عشرة مجلدات ضخام على أقل تقدير .

أما « الكتب » التي طبعها ، فهي على نوعين :

الأول : كتب ورسائل في الدين والمواعظ ، طُبعت في بغداد وبيروت . وهذه التآليف لا شأن لنا بها في هذا المقام .

الثاني : مباحث تاريخية ولغوية متنوعة ، بعضها من تأليفه ، وبعضها مما عُني بنشره . وسنذكرها هاهنا بحسب تواريخ نشرها :

١ — نخبة من كتاب العروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال : كُتب في صدره انه لأبي الخير فهر بن جابر المتكال بن عائذ بن جاهل بن فاتك ابن عدي بن عمار الطائي ، المتوفى سنة ٢٢٦ هـ . (بيروت ١٩٠٨) .

٢ — الفوز بالمراد في تاريخ بغداد . (بغداد ١٩١١) .

٣ — بحث في اليزيدية بالفرنسية ، نشره في المجلد السادس من مجلة Anthropos الصادرة في ڤيِنَّة بالنمسة ، سنة ١٩١١ ، ثم طُبع على حدة . وهذا عنوانه :

La découverte récente des deux livres sacrés des Yézidis . (Wien , 1911) .

٤ — كتاب العين : للخليل بن أحمد ، المتوفى سنة ١٧٤ هـ . (طُبع منه ببغداد سنة ١٩١٤ ، نحو ١٤٤ صفحة . ثم جاءت الحرب الكبرى الأولى ، فحالت دون إكمال طبعه) .

٥ — خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه الى يومنا هذا . (البصرة ١٩١٩) .

٦ — ترجمة حياة الأب مارية يوسف ، رئيس الرسالة الكرملية في بغداد من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٩٨ . (نقله الى العربية ، وطبعه ببغداد سنة ١٩٢٩) .

٧ — الإكليل : للهمداني، المتوفى سنة ٣٣٤ هـ . (الجزء الثامن . بغداد ١٩٣١) .

٨ — أغلاط اللغويين الأقدمين . (بغداد ١٩٣٢) .

٩ — تذكرة الشعراء ، أو شعراء بغداد وكتّابها في أيام وزارة المرحوم

داود باشا والي بغداد في حدود سنة ١٢٠٠ الى سنة ١٢٢٦ للهجرة : تأليف عبد القادر الخطيبي الشهرابي . (بغداد ١٩٣٦) .

١٠ — رسالة في الكتابة العربية المنقحة . (بغداد ١٩٣٦) .

١١ — نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها . (القاهرة ١٩٣٨) .

١٢ — نخب الذخائر في أحوال الجواهر : لابن الأكفاني السنجاري ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (القاهرة ١٩٣٩) .

١٣ — النقود العربية وعلم النُمّيّات . (القاهرة ١٩٣٩) .

١٤ — بلوغ المرام في شرح مسك الختام في مَن تولى مُلك اليمن من مَلِك وإمام : للقاضي حسين العرشي ، المتوفى بعد سنة ١٣٣٠ هـ . (القاهرة ١٩٣٩) .

كما انه أنفق على طبع المجلد التاسع من « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السيَر » لابن الساعي المؤرخ البغدادي ، المتوفى سنة ٦٧٤ هـ . وقد حقق هذا المجلد الدكتور مصطفى جواد . (بغداد ١٩٣٤) .

والذي ينبغي علينا ذكره في صدد هذه الكتب ، انه عزّز أكثرها بالحواشي والتعليقات المفيدة ، وذيّلها بالفهارس الكاملة المتنوعة . وفي هذا خدمة جليلة للقراء والباحثين .

وأما « الصحف » التي أصدرها ، فهي :

١ — لغة العرب : أصدر منها تسعة مجلدات كاملة ، ظهرت خلال السنوات ١٩١١ — ١٩١٤ و ١٩٢٧ — ١٩٣١ . وهي من أنفس المجلات العربية وأغزرها مادة .

٢ — دار السلام : وهي مجلة أسبوعية تبحث في التاريخ والآداب وتلخص أهم الأخبار السياسية . صدر منها نحو أربعة مجلدات خلال ١٩١٨ — ١٩٢٢ .

٣ — العرب : وهي جريدة سياسية ، أصدرتها الحكومة المحتلة ، وأشرف على تحريرها سنةً ونيفاً . ظهر عددها الأول في ٤ تموز ١٩١٧ . ولم يكن اسم الأب يُذكر فيها .

أما مؤلفاته الخطية ، فعديدة بعضها كامل وبعضها لم يكمل . وقد فُقِد جانب منها . والذي وقفنا عليه منها : تراجم عراقيين عصريين وغيرهم من مشاهير العرب . مزارات بغداد . أغاني بغدادية عامية . ديوان التفتاف (والتفتاف ، لاقط الحكايات من أفواه النساء . جمعها على لغتها العامية الاسلامية البغدادية) . أرض النهرين [1] . الأنباء التاريخية . كشكول المحققين من المؤرخين واللغويين . اللُّمع التاريخية والعلمية (مجلدان) . المراسلات المارينية . ثَبَت الكتب الخطية المحفوظة في خزانة مبعث الكرمليين في بغداد (٣ مجلدات) . متفرقات تاريخية . خواطر علمية وسوانح دينية ومنشورات أدبية ولغوية وتاريخية . مختارات المفيد . المجموعة الذهبية . أسرار الموازين والجموع (لم يكمل) . العجائب اللغوية (لم يكمل) . أديان العرب (لم يكمل) . تاريخ الكرد . الغُرَر النواضر والدُّرَر الزواهر . النغم الشجي في أغلاط الشيخ ابراهيم اليازجي . كتاب حشو اللوزينج . الشوارد اللغوية في الأشعار البدوية . أمثال بغداد والموصل العامية النصرانية مع حكايات عامية أيضاً . فوائد الشرائد أو الشوارد (لم يكمل) . بدوات الخاطر (لم يكمل) . السحائب (لم يكمل) . جمهرة اللغات (لم يكمل) . الرغائب (لم يكمل) . الغرائب (لم يكمل) . معين المحقق ومعين المدقق (مجلدان . الأول مفقود) . مجموعة في الأغاني العامية العراقية . اليزيدية [2] . العرب قبل الاسلام . معجم في موافقة اللغة العربية للغات الشرقية والغربية .

على ان أجلَّ مؤلفاته الخطية وأعظمها قدراً ، هو معجمه الكبير الموسوم بـ « المساعد » . فقد صرف شطراً كبيراً من حياته في تأليفه . بل قلْ انه بدأ به منذ سنة ١٨٨٣ . وسبيله في تصنيف هذا المعجم ، انه اشترى في تلك السنة « محيط المحيط » لبطرس البستاني ، ووضع ورقة بيضاء بعد كلّ ورقة مطبوعة ،

---

(١) هو ترجمة كتاب : Edwin Bevan, The Lands of the Two Rivers. (London, 1918).

(٢) هذا الكتاب في ١١٠ صفحات من قطع الثمن الكبير . وقد أدرج كثيراً منه في مجلة « المشرق » في سنيها الأولى .

فضاعف حجم الكتاب حالاً . وأخذ يقيد في تلك الأوراق البيض ما وسعه أن يقيد حتى امتلأت او كادت تمتلئ ، ثم أضاف اليها مجلداً آخر .

ويظهر ان الأب أنستاس كان قد وسم معجمه أولاً بـ « ذيل لسان العرب »[1] . ثم عدل عن هذه التسمية الى « المساعد » .

وعندنا انه لو أعيد النظر في مسوداته ونُظمت مفرداته بحيث يسهل طبعها ، لسد فراغاً بيناً في الخزانة العربية ، ولاستخرج منه الكتاب والباحثون أجزل الفوائد . وهذا المعجم وقفنا عليه ورجعنا اليه غير مرة في حياة مؤلفه . نرجو أن تُعنى هيئة علمية بتمحيصه وطبعه ، فتسدي الى لغة الضاد خدمة جليلة .

٤ — تواقيعه المستعارة

وقد يدهش القارئ إذا قلتُ ، إن أكثر من نصف مقالات الأب أنستاس ، المنشورة في المجلات ، لم تكن تقترن باسمه « الصريح » بل نُشرت بتواقيع «مستعارة» .

وأرى مفيداً في هذا المقام ، أن أعدد أشهر هذه التواقيع التي ذيل بها مقالاته ، فان كثيراً من القراء قد لا يعلمون ان تلك المباحث من قلمه . والذي أحصيناه من تلك الأسماء جاوز خمسة وعشرين ، هذه أهمها مع ذكر المجلات التي وردت فيها .

١ — أحد القراء : له بهذا التوقيع ، مقالات في « المقتبس » و « المقتطف » .

٢ — أمكح : (وهو مقتطع من الحروف الأولى لاسم « الأب أنستاس ماري الكرملي الحافي » . وتُطلق لفظة « الحُفاة » على الرهبان الكرمليين ، لأن من رسمهم ان لا يلبسوا جوارب ولا أحذية ، بل ينتعلوا خفاً بسيطاً) . له بهذا التوقيع مقالات في « المقتطف » .

٣ — باحث : له بهذا التوقيع مقالات في مجلة « المباحث » .

٤ — بعيث الخضري[2] : « المشرق » و « المسرة » و « صوت الحق » .

---

(١) راجع : لغة العرب (٧ [١٩٢٩] ص ٨٣٣ — ٨٤٣) .
(٢) تعريب اسم « أنستاس » .

٥ — سائسنا[١] : « المقتبس » و « الزهور » و « المسرة » و « المقتطف » .

٦ — فهر الجابري : « الزهراء » و « المقتطف » و « الهلال » .

٧ — كلدة : « المقتطف » و « مجلة المعلمين » ببغداد .

٨ — مبتدئ : « مجلة المرأة الجديدة » و « المباحث » .

٩ — متطفل : « مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق » .

١٠ — محقق : « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » .

١١ — معتدل : « الاعتدال » النجفية .



١٢ — مستفيد : « المقتطف » .

١٣ — مستهل : « الهلال » .

على ان المقالات والنبذ المختلفة ، التي نشرها في مجلتيه « لغة العرب » و « دار السلام » ، كانت غفلاً من اسمه الصريح ومن توقيعه المستعار . فكل شيء في هاتين المجلتين لا ينسب الى كاتب بعينه ، فهو من قلم الأب أنستاس .

وكان يصدّر تعليقاته على بعض مقالات « لغة العرب » أو إجاباته فيها على ما يرده من أسئلة ، بحرفي (ل . ع .) . وهما الحرفان الأولان من اسم تلك المجلة .

٥ — خزانة كتبه

ولعلّ من مفاخر العلم ، هذه الخزانة الجليلة الحافلة بأمهات الكتب وأعيان المؤلفات المطبوعة والمخطوطة . وقد أنشأ هذه الخزانة ببغداد ، في سنة ١٨٩٤ . وهي اليوم من أوسع خزائن الكتب القائمة في العراق وأنفسها . بلغ عدد كتبها الى آخر عمره ، زهاء خمسة عشر الف مجلداً . منها نحو ١٥٠٠ مخطوط ، وبين هذه المخطوطات الفريد والنادر .

وكان أصاب هذه الخزانة محنة قاسية جداً ، حين نهبت كتبها في ٧ آذار

(١) مقلوب اسم « أنستاس » .

١٩١٧ . فكانت الخسارة بنهبها عظيمة . وقد وفق الأب أنستاس ، فيما بعد ، لاستعادة جملة من تلك المنهوبات . كما انه شمّر عن ساعد الجدّ وبذل الغالي والرخيص في اقتناء المطبوعات والمخطوطات ، حتى أضحت من أحفل خزائن العراق بالكتب النفيسة .

صنف الأب أنستاس ، ثبتاً موجزاً في وصف مخطوطات هذه الخزانة ، لم يُطبع .

والكتب المطبوعة في هذه الخزانة لا يمكن حصر نفائسها في هذه العجالة . ففيها مجاميع كبيرة للمعاجم العربية وغير العربية ، والكثير من التآليف العربية التي طبعها المستشرقون في ديار الغرب . وفيها جملة صالحة من تصانيف الافرنج الباحثة في شؤون الشرق ، ولا سيما العراق . هذا الى طائفة حسنة من الأسفار الموضوعة بالفارسية والتركية والسريانية .

أما مخطوطات هذه الخزانة ، فالكلام عليها يطول . والذي يحسن ذكره منها في هذه العجالة :

كتاب الزهرة : لأبي داود الاصفهاني (النصف الثاني [1] . وهو نسخة قديمة جداً) . العين للخليل بن احمد . كتاب السموم لشاناق الهندي . ديوان الأدب للفارابي . الخصائص لابن جني . سرّ الصناعة له . الحماسة لأبي تمام (تاريخها ٥٠٤ هـ) . المستقصى في أمثال العرب (٦٠٧ هـ) . الشفاء لابن سينا (الجزء الثاني ٧٣٤ هـ) . المختار في الطب (٦١٠ هـ) . الصحاح للجوهري (٦٠٣ هـ) .

وكان الأب أنستاس ، قد وقف هذه الخزانة الشرقية ، على « دير الآباء الكرمليين » ، ببغداد ، وهي محفوظة اليوم في هذا الدير .

(بغداد) كوركيس عواد



(١) النصف الأول من هذا الكتاب ، طبعة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ، سنة ١٩٣٢ .

تمويه الحقائق

قرأت في مجلة لاروس البارزية — وهي دائرة معارف تصدر كل اربعة اشهر — فصلاً عنون له كاتبه «العالم العربي» جاء فيه حقائق، وتمويهات لا يكاد يسلم منها كاتب يمت الى السياسة الاستعمارية بصلة. وصف العالم العربي وصفاً مختصراً، ورأى انه عبارة عن مصر والشام والعراق والحجاز واليمن ونجد، تبلغ مساحته السطحية ثلاثة ملايين كيلو متر مربع سكانها اربعون مليوناً، وبذلك أخرج من المجموعة العربية سكان الامارات العربية المنبثة على شواطئ المحيط الهندي والخليج الفارسي وسكانها بضعة ملايين من الأنفس كما أخرج خمسة أقطار عربية في شمالي افريقية (برقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش) وسكانها خمسة وعشرون مليوناً وهنالك بضعة ملايين من السودانيين في افريقية اصولهم عربية ويتكلمون بالعربية اي ان السياسة أوحت الى كاتب المقالة أن يخرج من العرب أكثر من أربعين مليوناً فقط. فانظر كيف يكتبون اهم كتبهم واندب حظ العربي فيها اذا دعت فيها مناسبة للكلام عنه وعن ماضيه وحاضره.

ومن أغرب التمويه الذي وقع لهذا الكاتب ان نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوا النهضة العربية ثم تولت مصر كبرها وهي نغمة طالما رددها بعض جهلة اللبنانيين فزعموا ان لبنان سبق مصر الى التمدن وانه هو الذي علمها ومدنها مع ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين. والدليل ان مدارس الطب واللغات والترجمة والادارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل انشاء الجامعتين الأميركية واليسوعية في بيروت بأكثر من خمسين سنة وما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين قبل أن تنهض مصر من يقيم للعلوم المادية وزناً. وبينما كانت كتب الطب والزراعة والحيوان والنبات والكيمياء والفنون الحربية والتاريخ والجغرافيا وغيرها تتناقلها الأيدي في العالم العربي، وهي من تعريب المصريين الذين تعلموا في أوربا على عهد حكومة محمد علي الكبير — كان ابن لبنان لم يصل الى أكثر من السواعية.

ومن أشنع السخافات دعوى أحد أساتذة السوربون مؤخراً في جريدة لنوفيل ليتزير ان البربر هم أصحاب المدنية في شمالي افريقية والأندلس وما العرب الفاتحون الا شراذم من السلبة المشردين تعلموا في طريقهم الى فتح الغرب بعض ما عند أهله كما تعلم أبناء جنسهم في فتح فارس من الفرس أشياء أعانتهم على تأسيس مملكتهم الجديدة فقامت اذاً المدنية الأندلسية والمدنية الافريقية في تونس والجزائر ومراكش بفضل البربر فقط . ومن العجيب ان من يدعون لهم هذا الفضل في التمدين لم تعهد لهم مدنية قبل الاسلام في شمالي افريقية ولا شيء من بقايا حضارة بعد سقوط دولة العرب في الاندلس وسقوط دول الغرب الأقصى والأدنى في افريقية .

كذب مفضوح قاله الأستاذ السوربوني ولا يليق صدور مثله ممن يحمل اسم استاذ من أعظم جامعات العالم ولذلك نرى من واجبنا ان يشك كل عربي وكل مسلم في أكثر ما يصدر من الأحكام عن الفرنسيين على الاسلام والمسلمين ذلك لأنه ثبت ان من الفرنسيين من لا ينظرون الى كل أمر إلا بمنظار الاستعمار .

محمد كرد علي

نظرات في ذيل الروضتين

لأبي شامة المقدسي

اطلعتُ في هذه الأيام على كتاب « ذيل الروضتين » لأبي شامة المقدسي ، وقد نشره الأستاذ السيد عزّة العطار الحسيني ، وقام على نشره الاستاذ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، والظاهر أن حرف الزاي في أواخر تعليقات الكتاب القليلة رمز الى اسمه ونشر الكتاب على هذه الصورة خير من بقائه بين المخطوطات الصعب الحصول عليها .

وقد جاء في آخر الكتاب « ص ٢٨٦ » أنّ نسخته المطبوعه هذه معتمد فيها

على نسخة دار الكتب المصرية ونسخة الخزانة التيمورية ، وكان الناشر حرياً أن يطلع على النسخة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس .

طالعتُ هذا الذيل وأكثر حوادثه مأخوذة من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي — كما يعلمه القائم على طبعه وكل قارئ لمرآة الزمان — وأنا بعيد عن المراجع التاريخية والأصول التحقيقية ، فوجدتُ فيه هنوات يمكنني أن اعتمد في إصلاحها على حافظتي ، أما الامور التي تحتاج الى فضل تحقيق وزيادة تدقيق فقد أرجأت الكلام عليها الى وقت آخر .

١ — ورد في ص ٦ س ١٣ « فأقام في دار درب الديوان » يعني ابن الجوزي حين نُفي الى واسط ، والصواب « في درب الديوان » أو « بدرب الديوان » لأن درب الديوان من الدروب المشهورة المعروفة في خطط واسط ، ولم تنسب اليه دار قط ، بله أن ذلك مخالف لمصطلح القدم في تسمية الدور والقصور .

٢ — وجاء في الصفحة المذكورة س ٣٢ « أولهم طغريل أعاد الغنائم الى بغداد » يعني بني سلجوق ، والصحيح « القائم » أي الخليفة العباسي القائم بأمر الله فانه هو الذي أعاده السلطان طغرلبك الى مقر خلافته لبغداد ، فالغنائم تصحيف القائم .

٣ — وجاء في ص ٩ س ١٧ « من دار الوزارة التي تقابل باب المتولي » والصواب « باب النُوبي » بضمّ النون وإسكان الواو وكسر الباء ، وهو من أبواب دار الخلافة العباسية في الجانب الشرقي من بغداد ، معروف في خطط بغداد ، مذكور في معجم البلدان وغيره من المعاجيم [1] .

٤ — وورد في ص ١١ س ٧ « وكان قد رآه عند الخريبة رجل كواز » والصحيح « الحربية » نسبة الى من اسمه « حرب » وهي من محال بغداد الغربية ، معروفة مشهورة مذكورة في خطط بغداد .

(١) المراجعة في خطط بغداد يحسن بالمراجع أن يتصفح تاريخ الخطيب البغدادي « ج ١ » ومعجم البلدان لياقوت الحموي ومراصد الاطلاع لابن عبد الحق الحنبلي ومختصر مناقب بغداد و « بغداد على عهد الخلافة العباسية » لكاي لسترنج الانكليزي .

٥ — وفيها س ٢٢ « وفيها توفي أحمد بن عيسى الهاشمي والد الواثق بالله ويعرف بابن الغريق » والصواب « ولد الواثق بالله » أو « من ولد الواثق بالله » وهو شاعر عباسي واثقي مشهور ، وقد أعيد ذكره في الكتاب نفسه ص ٣٤ س ١٨ بصورة « أبي جعفر الواثقي » وله ترجمة في تواريخ بغداد منها تاريخ ابن الدبيثي .

٦ — وفي ص ١٢ س ١٢ « ودفن في الحلة » يعني الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي ، والصحيح « في الحلبة » بفتح الحاء واسكان اللام ، وهي الحلبة التي كان المأمون يجريها أيام اقامته وخلافته ببغداد ، وهي محلة معروفة جداً في خطط بغداد وفي الأخبار الأدبية والتواريخ .

٧ - وفيها س ١٤ « أبو المظفر عبد الله بن يونس بن أحمد الجيلي » والصحيح « عبيد الله ..... الحنبلي » وقد صحح الاسم في الفهرست « ص ٢٧٨ » الا أن النسب بقي على الخطأ ، فانه كان مشهوراً بالحنبلي ولم يكن جيلياً قط ، وترجمته مستفيضة في كتب التراجم .

٨ — وورد في ص ١٣ س ١٤ « الشيخ أبو علي الحسن بن مسلم الزاهد القادسي ، من قرية بنهر عيسى يقال لها القادسية » والصواب « الفارسي » بالفاء والألف والراء ، و « الفارسية » منسوبة الى الفارس ، وهي قرية معروفة لا شكّ في اسمها ولا في نسبة الشيخ المذكور اليها ، أما القادسية التي كانت داخل العراق فهي قادسية سامرا « سرّ من رأى » كانت جنوبي سامرا ولا تزال آثارها قائمة ، وقد ورد ذكرها في هذا الكتاب نفسه « ص ١٤٣ س ٢٣ » ففي هذه الصفحة « احمد بن محمد بن علي القادسي الضرير الحنبلي والد صاحب الذيل ... » .

٩ — وفيها أيضاً س ٣٠ « ابو الحسن علي بن جابر زهير قاضي البطائح » والصواب « جابر بن زهير » .

١٠ — وفيها ص ٣٢ « وعاد الى البطائح فولي القضاء بالعراق » والصواب « بالغرّاف » بغين وراء مشدّدة ، مبالغة من الغارف ، وهو نهر مشهور متفرع من دجلة تحت واسط وفيه يقول شاعر القرن السادس :

كلٌّ من ولت سعادته فالى الغرّاف ينحدر

وكان اسمه يطلق على البلاد التي كان يسقيها ، فهذا معنى قوله « فولي القضاء بالغرّاف » . وقد ورد اسم الغراف في الكتاب نفسه ، ص ٥٤ س ٣١ ففي هذه الصفحة «عيسى بن يوسف بن أحمد الغرافي ، ولد بالغرّاف من أرض العراق » .

١٠ ب — وورد في ص ١٤ س ٢٠ «ابو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن زيادة الواسطيّ » والصحيح « ابن زبادة » بالزاي المفتوحة والباء وهي القطعة من « الزباد » نوع من الطيب يتخذ من دابة كالسنور يقال لها « قطّ الزباد » ، وقد ضبط اسمه ابن خلكان في الوفيات بما لا يحتاج الى بيان ، وترجمته مستفيضة في كتب التواريخ إلا أن الذي حاز فضل ضبط اسمه هو مؤلف الوفيات ـ رحمه الله ـ .

١١ — وورد في ص ١٨ س ١٣ « ومدرسة ابن النجيب » والصواب « مدرسة أبي النجيب » وهو أبو النجيب عبد القاهر السهروردي الصوفي المشهور ومدرسته معروفة في خطط بغداد ولا يزال قبره ظاهراً في بغداد بإزاء دار الضباط التي على دجلة ، بالقرب من المجلس النيابي الحالي .

١٢ — وجاء في ص ١٩ س ١٠ « محمد بن عبد المنعم بن أبي الفضائل الصوفي المهي شيخ رباط البسطامي » والصحيح « الميهني » نسبة الى ميهنة من بلاد العجم وهو رجل مشهور وعائلته معروفة عند مؤرخي بغداد قدمائهم ومحدثيهم .

١٣ — وورد في ص ٢٥ س ٢١ « شيخنا ضياء الدين ابن الجبير » والصحيح « ابن الحبير » تصغير الحبر وهو من فقهاء الشافعية ومدرسيهم المشهورين ببغداد ، وله ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وأخبار في تواريخ بغداد .

١٤ — وفيها س ٢٥ « في خندق الظاهرية » والصواب « الطاهرية » بالطاء نسبة الى طاهر بن الحسين وهذا الخندق هو الذي كان يحدُّ الحريم الطاهري من جنوبيه ويفصله عن مدينة المنصور بالجانب الغربي من بغداد ، وهو مذكور في معجم البلدان ومراصد الاطلاع وغيرهما .

١٥ — وجاء في ص ٢٦ س ١٢ — ١٣ « فيقال إنّ بني السهروردي حسدوه » والصحيح « ان بني الشهرزوري » لأن الحادثة جرت في الموصل وبيت الشهرزوري مشهورون في الموصل ، في الوجاهة والقضاء والسلطة ، ولم يكن لبني السهروردي أحد في الموصل ، حتى يقال ذلك فيهم وعليهم .

١٦ (أ) — وفي ص ٢٧ س١٣ — ٤ « العماد الكاتب الاصطفهاني » وهو الاصفهاني ولعل ذلك من غلط الطبع الصناعي .

١٦ ب — وجاء في ص ٢٨ س ١٠ ما هذا نصه وصورة طبعه :

« وفيها توفي أبو منصور بن نقطة المزكلش ، كان يقول :

كان . وكان . لا يعرف الخط وهو أخو عبد الغني بن نقطة الزاهد ... » .

وفصل الطابع الكلام بعد « يقول » يدلّ على القول المألوف ، يؤيد ذلك وضع النقطتين المتراكبتين المفسرتين باصطلاح الغربيين ، وليس ذلك بالوجه فان مراد المؤلف هو أن أبا منصور بن نقطة المذكور كان ينظم الشعر المعروف بـ « كان وكان » وهو من الشعر العامي البغدادي المعروف كقول أحدهم :

يا قاسي القلب مالك تسمع ولا عندك خبر

وعلى ذلك كان يجب الوصل بين السطرين والفعلين كان وكان ، ومنهم من يدخل على هذا الاسم « أل » ويقول « الكان وكان » .

١٧ — وورد في ص ٣٣ س ١٠ « في صحن السلم » وهو صحن السلام من صحون دار الخلافة ، وربما كانت كتابته في الأصل على هذه الصورة أعني « صحن السلم » ولكن الرسم العصري يقتضي أن تكتب « صحن السلام » لئلا يظن ظان يجهل خطط بغداد أنّ صحناً من صحون دورها العظيمة مضاف الى السلم .

١٨ — وفي ص ٣٦ س ٢٤ « وفيها توفي أبو البركات محمد بن احمد بن سعيد البكري ويعرف بالمؤيّد » . والصحيح « التكريتي » نسبة الى « تكريت » على دجلة فوق سامرا ولا تزال البلدة قائمة ، وهذا الرجل مشهور مترجم في عدة

تواريخ منها تاريخ بغداد لابن الدبيثي ، وبذكر اسمه في الغالب مع أبياته المحتوية على التوجيه في هجو الوجيه .

١٩ — وفي ص ٥٢ س ٥ « وكان يزور جدّي بالنظامية ويسمع معنا الحديث » هذا قول سبط ابن الجوزي وجدُّه أبو الفرج بن الجوزي ، وكان أبو الفرج حنبلياً وكانت النظامية مدرسة شافعية ولم يرد في سيرة أبي الفرج مايصح معه أن يقال إنه حدّث بالنظامية ولو ساعة بالحديث النبوي الشريف[1] ، فاللفظ مصحَّف لا شك في تصحيفه ، ولو كانت المراجع في متناولي لذكرتُ الصحيح ، إلا أني أرى الأصل مستحيلاً .

٢٠ — وفيها أيضاً س ١٦ — ٧ « قلتُ هي الدار التي جعلها البازرائي رسول الخليفة مدرسةً للشافعية » والصواب « البادرائي » نسبة الى بادرايا من القرى الكبيرة التي في شرقي العراق الأوسط ، ولا تزال عامرة تعرف بـ « بَدْرة » والمدرسة البادرائية مشهورة جداً ، ثم إنّ ترجمة البادرائي هذا واردة في ص ١٩٨ من الكتاب نفسه فقد وردت في حوادث سنة ٦٥٦ وأولها « وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة عمل صلاة الغائب عن الشيخ نجم الدين البادرائي هو ابومحمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد ... وبنى بدمشق المدرسة المذكورة ، وهي مدرسة حسنة للفقهاء الشافعية ووقف عليها وقوفاً حسنة وجعل بها خزانة كتب جيدة ... » .

٢١ — وجاء في ص ٥٣ س ٤ « وخرج فلم يظهر خبره إلا من فراغه بعد مدّة وعاد الى بغداد » وفي أول الخبر « وفيها هرب أبو جعفر محمد بن حديدة الوزير الأنصاري » . والصحيح أنه « سعيد » لا محمد وأنّ خبره ظهر من بلدة « مَراغة » باذربيجان لا من فراغة ، وقد ورد في ص ٨٥ من هذا الكتاب صحيح اسمه واسم

(١) ومن نوع هذا الغلط ما ورد في مجلة العرفان ج ٤ شباط ١٩٤٨ ص ٥٢٢ للأستاذ البحاثة المحقق عيسى اسكندر المعلوف من أن سعدي الشيرازي درس على الامام أبي الفرج بن الجوزي في المدرسة النظامية ببغداد ، فهذا لا يصح أبداً لأن ابن الجوزي لم يدرس بالنظامية — كما ذكرنا — .

البلدة قال « وفيها توفي ابن حديدة الوزير واسمه سعيد بن علي بن أحمد ابو المعالي ولقبه معزّ الدين » الى أن قال في هربه « وخرج في زي النساء الى مَرَاغة وأقام فيها حتى عزل ابن مهدي وعاد الى بغداد ... » وترجمة الرجل مشهورة ذكره ابن الدبيثي في السُعَداء من رجال بغداد والصفدي في السعدي والسُعَداء من الوافي بالوفيات ، وذكره ابن الطقطقي في الفخري مع وزراء الامام الناصر لدين الله ، وكان من كبار الحنابلة وأشراف الناس .

٢٢ — وفيها س ١٧ « وفيها توفي طاشتكين بن عبد الله المقتفوي أمير الحاج ولقبه فخر الدين حجّ بالناس ستاً وعشرين سنة » . والصحيح أنّ لقبه « مجير الدين » وهو الأمير الذي ذكره ابن جُبَيْر في رحلته عند الكلام على حجّة سنة ٥٧٨ هـ وله ترجمة في عدة تواريخ ، منها فوات الوفيات وكامل ابن الأثير وقد أحسن ابن جبير الثناء عليه ، ومن الحق أنه كان من أكابر الأمراء وأماثلهم وصلحائهم .

٢٣ — وفيها س ٢٠ « وكانت الحلة الشيعية إقطاعه » والصواب « السيفية » نسبة الى سيف الدولة صدقة الأسديّ المزيديّ ، وقد ورد ذكرها على هذه الصورة في ص ٩ من الكتاب ففيها « وكانت وفاته بالحلة السيفية » على أن كون الحلة سيفية من الأمور المتعالمة المشهورة ، والغريب في هذا الأمر أن تكون شيعية أيضاً ، ولكنها لا تذكر في التواريخ بالشيعية أبداً .

٢٤ — وفيها س ٢٦ « وقام يوماً الى الوضوء فحلّ خياصته وتركها موضعه » . والصواب « الحياصة » بالحاء المهملة وهي في الأصل حزام الدابة ثم استعملت مكان المنطقة المزخرفة العريضة ، وقد وردت في شعر كمال الدين ابن النبيه :

يجذّب أطرافه وحياصته فلأياً شدّ تحت هميانه

٢٥ — وفي ص ٥٤ س ٢٠ « قلتُ : يعني بالقبة التي في المدرسة المعروفة بالمعظمية » ولم يكن للقبة ذكر قبل هذا الكلام ، فلذلك يجب الحاق هذه الجملة بآخر الخبر أي بعد قوله « ودفنت بالجبل وفي تلك القبة معها أبناء المعظم

عيسى ... » وبذلك يصح قول المؤلف « يعني بالقبة » لأنه نقل الخبر من خط العز بن محمد تاج الأمناء .

٢٦ — وجاء في ص ٥٨ س ٩ « وفيها توفي اسماعيل بن علي أبو محمد الخطيري من خطيرة الاجيل » والصواب « الحظيري » بالظاء المعجمة و « حظيرة الدجيل » على أن الصحيح في ضبط هذا الاسم « دجيل » بلا تعريف ولكن المؤلف تساهل فيه كمن فعل قبله .

٢٧ — وفي ص ٥٨ س ٣٠ ورد اسم والد ابي الحرم مكي الماكسيني بصورة « ربان » بالباء الموحدة ، ونقل المصحح في الحاشية من ص ٥٩ من وفيات الأعيان أنه بالمثناة التحتية ، ثم قال « ولعل الصواب هو ما هنا » . وليس من الصواب الأخذ بقول أبي شامة وترك قول ابن خلكان في ضبط الاسماء التاريخية ، فان ابن خلكان كان متحرياً فيها مدققاً للنظر ، وكأنه اعتاد ذلك من أستاذه زكي الدين عبد العظيم المنذري ـ رحمه الله ـ فقد كان آية في الضبط الصحيح ومعرفة المؤتلف والمختلف .

٢٨ . وورد في ص ٦٦ س ٢ — ٣ « قبالة تربة الصيفي بن العائص » والذي أحفظه هو « الصفي بن القابض » أي صفي الدين ابن القابض ، وهو من مشاهير رجال دمشق وتجارها الكبار[1] .

٢٩ — وفيها س١٧ « وقرأ على ابن الخشاب وابن القصار » والصحيح « ابن العصار » وهو عبد الرحيم الأديب الراوية المشهور ، وكذلك ورد في غير هذا الموضع من الكتاب[2] ، وله ترجمة في الوفيات وتاريخ ابن الدبيثي والوافي بالوفيات وغيرها .

٣٠ — وفي ص ٦٧ س ٢ — ٣ « قاضيها صدر الدين عبد الملك بن درياس الكردي » والصواب « درباس » بالباء ، وترجمته مشهورة في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ورفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني وغيرهما وقد ترجم ابن خلكان أخاه عثمان وكانا من الاكراد المارانية .

(١) كذا . والذي في مرآة الزمان ٨/٥/٣٦٥ ان الصفي بن القابض كان وزير الصلاح الدين (المجمع)

(٢) راجع ص ٧٩ س ٦ ففيها « وقرأ اللغة على أبي الحسن بن العصار » .

٣١ — وفي ص ٧٠ س ١٩ « فألبسه اياها بقطعنا » وجاء في ص ٨٨ س ٢٨ « ودفن برباطه بقطعنا » والصحيح « بقطُفتا » بفتح القاف وضم الطاء واسكان الفاء وفتح التاء يليها ألف ، وهي القرى التي كانت عامرةً قبل بناء مدينة المنصور فلما بنيت هذه المدينة صارت من المحال المحادّة للكرخ من الجنوب الشرقي ، وتعرف اليوم بمحلة الفلاحات والحصّانة قرب تربة الشيخ معروف الكرخي . ذكرها ياقوت في معجم البلدان وابن عبد الحق في المراصد ولها ذكر كثير في التواريخ

٣٢ — وفيها س ٢٠ — ٢١ « ودفن عند باب جامع القصر الى جانب رباط الزوزني » . والصواب « جامع المنصور » لأنّ رباط الزوزني كان قرب باب جامع المنصور في الجانب الغربي من بغداد ، أما جامع القصر فقد كان في الجانب الشرقي ويفصل بين الجانبين نهر دجلة بله تباعد الموضعين أحدهما عن الآخر تباعداً ظاهراً .

٣٣ — وفيها س ٢٤ « وزاهر بن طاهر السحامي » والصواب « الشحامي » نسبة الى الشحّام ، وهو محدث مشهور ترجمه الصفدي وغيره من المؤرخين وجامعي وفيات المحدثين .

وجاء في ص ٧١ س ٢ « وجدت بخط الحافظ عبد العظيم المنذري أنّ الشيخ أبا عمر المذكور توفي ... » وهذا التعليق ملحق بترجمة « أبي حفص عمر بن محمد بن يحيى المعروف بابن طبرزد الدارقزي » . والصحيح الحاقه بترجمة الذي بعده وهو الشيخ أبو عمر شيخ الصالحية واسمه محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة » فهو المكنى بابي عمر وهو الميت في التاريخ المذكور في الأصل المدفون في الموضع المشار اليه في الكتاب أعني جبل قاسيون .

ثم إن هذا التعليق يجب أن يكون في الحاشية ، لأنه ليس لأبي شامة وانما هو لأحد المعلقين ، وكذلك الأمر في التعليق الوارد في ص ١١٩ س ١٢ وأوله « ذكر الحافظ زكي الدين أنها توفيت في سادس عشر ذي القعدة من السنة وزاد غيره ... » وكذلك التعليق الوارد في ص ١٢٤ س ٢٢ ومنه قول المعلق

« قلت : ذكر الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري — رح - في كتاب الوفيات أن صاحب آمد المذكور توفي سنة تسع عشرة وستمائة وهو الصحيح وقد تصحف على صاحب هذا التاريخ سبع عشرة من تسع عشرة والله أعلم لقد رأيت بخط الشيخ زكي الدين أيضاً ... » وقد عنى بصاحب هذا التاريخ أبا شامة فهو إذن غير المؤلف .

٣٤ — وفي ص ٧٧ س ٢٢ « وجلست بباجرى » والصواب « بباجسرا » وهي من قرى النهروان المشهورة في طريق خراسان للخارج من بغداد الى حلوان فبلاد العجم ، ولها ذكر في معاجم البلدان وكتب المسالك والممالك والتواريخ واليها نسب جماعة .

٣٥ — وفي ص ٧٨ س ١٠ — ١١ « وقدمت خاتون بنت جلال الدين » والصواب « أم جلال الدين » كما في كامل ابن الأثير وسيرة جلال الدين خوارزمشاه لمحمد المنشي النسوي وغيرهما من الكتب ، وكذلك ورد الاسم في الصفحة نفسها س ١٩ و س ٢٥ و س ٣٠ .

٣٦ — وفي ص ٧٩ س ٥ « توفي أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن ويلقب بتاج الدين بن حمدون مصنف كتاب التذكرة » والصواب « ابن مصنف كتاب التذكرة » . فان والده محمداً هو الذي صنفها كما في وفيات الأعيان وحبس من أجلها حتى مات ، ولتاج الدين هذا ترجمة مفصلة في معجم الأدباء لياقوت وتاريخ ابن الدبيثي ، وله مؤلفات في الأدب والتاريخ .

٣٧ — وفيها س ٢١ « ثم بعثه في رسالة الى جزيرة ليس (؟) ومعه جماعة من الصوفية » . والصواب « جزيرة كيس » وهي من جزائر خليج العجم ، وتعرف أيضاً بقيس ، ولها ذكر في كتب البلدان والتواريخ .

٣٨ — وفي ص ٨٥ س ٢٤ « فالتجأ الى التربة الاخلاطية فلم ينفعه » والصواب « الى تربة الاخلاطية أو الخلاطية » وهي سلجوقي خاتون بنت قليج أرسلان

ملك بلاد الروم السلجوقي وتعرف بالاخلاطية والخلاطية ، ولها ترجمة في الوافي بالوفيات وتاريخ الاسلام للذهبي ، وكامل ابن الأثير في وفيات ٥٨٤ وكذلك وردت في هذا الكتاب نفسه ص ١٢ س ٩ « ولاه الخليفة المظالم وتربة الخلاطية » واليها نسب الرباط الوارد ذكره في ص ١٠٣ س ٢٠ — ١ « قد سلم الى بهاء الدين رباط الخلاطية وأوقافها ... » .

٣٩ — وفيها ص ٨٨ س ١٦ « توفي ابو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك البزّار المعروف بابن الأخضر » والصواب « البزّاز » بزايين ، وهو رجل مشهور ، كان بزازاً معروف الحرفة ، ويؤيد ذلك ما ورد في ترجمته « وكانت له دكان بزقاق الريحانيين بخان الحسبة » ، ترجمه ابن الدبيثي والصفدي وابن العماد الحنبلي وغيرهم وكان من أماثل الحنابلة ومؤلفيهم وكبار محدثيهم ، ثقةً مأموناً .

٤٠ — وفي ص ١٠٩ س ٣ « ودفن بالوزيرية عند ابن فضلان » . والصواب « الوردية » نسبة الى من اسمه ورد وهي من مقابر بغداد الشرقية ، دفن فيها كثير من العظماء والفقهاء والصوفية ، ومنهم شهاب الدين عمر السهروردي المشهور ولا يزال قبره ظاهراً معموراً ، ولها ذكر كثير في خطط بغداد ووفياتها ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد في هذا الكتاب نفسه « ص ١٥ » ففيها س ٢٧ « وحمل الفقهاء جنازته الى الوردية » يعني ابن فضلان الذي أشار اليه المؤلف وهو أبو القاسم يحيى بن علي ابن الفضل ، وقد ذكر عبد اللطيف البغدادي في ترجمة نفسه أنّ ابن فضلان هذا كان من أساتذته وله ترجمة في عدّة كتب .

٤١ — وجاء فيها أيضاً س ٢٢ « وكوسات ثكلى مشقّقة » والصواب « منكلي » وهو مملوك الملك أزبك الوارد ذكره في أول الخبر بهذه الصورة « دخل يوم الجمعة رأس منكلي مملوك السلطان ازبك ... » . والرجل مشهور والنقد واضح فلا ثكلى في الخبر ولا أيم .

٤٢ — وفي ص ١٠٣ س ٢٦ « فولى الخليفة القاضي الريحاني أمر الرباط »

والصحيح «الزنجاني» نسبة الى زنجان ببلاد العجم وهو محمود الزنجاني الذي صار قاضي القضاة بعدئذ وهو جدّ القضاة الزنجانيين بالعراق، له ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى وأخبار في تاريخ ابن الدبيثي الا أن الجزء الذي فيه ترجمته مفقود، وله أخبار في الحوادث الجامعة ومجمع الألقاب لابن الفوطي.

٤٣ - وورد في ص ١١٣ س ٢٠ — ٢١ «وجاءت الفرنج فنزلوا على سمر ساح فأخلى لهم المسلمون الخيام ...». والصواب «شرمساح» وهي بلدة مصرية قرب دمياط [1]، لها ذكر في أخبار دمياط أيام حروب الفرنج المعروفين باوربة بالصليبيين، وقد جاء في ص ١٨٤ س ١١ من الكتاب نفسه «كانوا اختفوا في منية عبد الله من ناحية شرمساح فأخذوا برقابهم». واليها نسب القاضي الشرمساحي مدرس المدرسة المستنصرية ببغداد للطائفة المالكية.

٤٤ — وجاء في ص ١١٩ س ٧ «الشيخ أبو البركات داود احمد بن محمد ابن ملاعب البغدادي الملقب بالزّبيب» والصحيح «الزين» بالزاي والنون يعني «زين الدين»، وقد مضى في الكلام على التكريتي أنه يعرف بالمؤيّد، يعني «مؤيد الدين» هذا هو اصطلاحهم، ومن الغريب أنّ المؤلف لضعف ذاكرته كرّر الترجمة في كتابه ص ١٢١ س ١٢ قال «توفي زين الدين أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب البغدادي» ولكن القائم على طبع الكتاب نسي أيضاً فلم يستند من التكرار فائدة.

٤٥ — وفي ص ١٢١ س ١٣ «المدبر لمجالس الحكام بدمشق». والصواب «المُدير» من الادارة وهو الذي يطوف بمحاضر القضاة على الشهود ويديرها عليهم — كما في أنساب السمعاني — في مادة «م د ي ر».

٤٦ — وفي ص ١٢٢ س ١٦ «فكاتب العلقمي — يعني وزير بغداد — عساكره ووعدهم بالبلاد فاتفقوا على قتله وبعث العلقمي اليهم». والصواب «القُمّي» نسبة

(١) وقد صحح المشرف على هذا الكتاب، هذا الاسم بـ «سرمساح» في ص ٢٥٠.

الى بلدة قم وهو الوزير الخطير المشهور ، وله ترجمة في الفخري وتاريخ ابن الدبيثي وأخبار حسان في الحوادث الجامعة ومجمع الألقاب وغيرها ، وقد ورد ذكره في الكتاب نفسه قبل هذا « ص ٥٠ س ٢٦ » وأنشأ محمد بن محمد القمي الذي ناب في الوزارة » . ولم يكن العلقمي وزيراً للامام الناصر لدين الله ولا لابنه الظاهر ولا لابن ابنه المستنصر وانما صار وزيراً للمستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين .

٤٧ — وفي ص ١٢٤ س ٨ « الوزير ناصر الدين بن مهدي الذي ... » . والصحيح « نصير الدين » هذا لقبه واسمه « ناصر » فاذا جمع بينهما قيل « نصير الدين ناصر بن مهدي » . وأخباره في الفخري وكامل ابن الأثير والجزء التاسع من الجامع المختصر لابن الساعي وغيرها .

٤٨ — وورد في ص ١٣١ س ١٧ « فسمع أبا الفتح بن الميداني » . والصواب « المنداني » ويقال له أيضاً « الماندائي » نسبة الى طائفة الماندائية وهم الحرنانية الذين ذكرهم ابن النديم في الفهرست ، ويعرفون أيضاً بالصابئة ، ومنهم صابئة العراق الحاليين ، وأبو الفتح المنداني من بيت أسلموا بعد مندائيتهم ، استطرد الى ذكرهم ابن خلكان وترجم جماعة منهم ابن الدبيثي ، وهذا المحدث مشهور منهم .

٤٩ — وجاء في ص ١٤٤ س ١٣ — ١٤ « فما لنا بالكرج طاقة وبعد اما تفوت » . والصواب « وبغداد ما تفوت » لأنّ غير هذا القائل حرّضه على أخذ بغداد ، فطلب ذلك منه أن ينصره أولاً على الكرج ويبقي بغداد لأنها سهلة الاستيلاء .

٥٠ — وجاء في ص ١٥٢ س ١ « وحج بالناس من العراق شمس فيزار (?) مملوك الخليفة » . والصحيح « شمس الدين قيران » وهو أمير معروف له أخبار في الحوادث الجامعة وغيرها .

٥١ — وجاء في ص ١٦٢ س ١٢ « وفيها توفي الزين بن قفرجل (?) » ، ولا حاجة الى الاستفهام بالخط فان ابن قفرجل من عائلة محدثة مشهورة ، والاسم « قفرجل » صحيح .

٥٢ — وجاء في ص ١٦٣ س ٢٠ « التقي بن ماسويه واسمه أبو الحسن علي بن أبي الفتح ... » والصحيح « ابن باسويه » بالباء في أوله لا الميم ، وهو من كبار المحدثين وقد ضبط اسمه هكذا زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتابه « التكملة لوفيات النقلة » .

٥٣ — وجاء في ص ١٧٠ س ٢٤ « وذكره الزبني في تاريخه » والصحيح « الدبيثي » كما هو ظاهر وله ذكر كثير في هذا التاريخ لأنه من مراجعه ومراجع مرآة الزمان .

٥٤ — وفي ص ١٧٩ س ١١ « والجمال بن البلان (?) » ولا حاجة الى الاستفهام فان البلاّن هو المدلك للناس في الحمامات وعلى ذلك يصح أن يقال « ابن البلان » كما يقال « ابن القصاب وابن الحايك وابن الحمامي » .

٥٥ — وجاء في ص ١٨٧ س ١١ — ١٢ « وكان أولاً معيداً لشهاب الدين الطوسي بمنازل ودرس ... » والذي أحفظه « منازل العزّ » وهي من مدارس الشافعية المشهورة بالقاهرة ، ولعل الواقف على طبع الكتاب يدحض ما علق بذهني .

٥٦ — وفي ص ١٨٨ — ٩ مزّقت ترجمة الأديب المحدث المشهور أبي العرب اسماعيل بن حامد القوصي الملقب بشهاب الدين ، فقد ألحق شعره في ص ١٨٨ س ٢٢ بترجمة الفقيه ضياء الدين سقر (كذا واعله سنقر) ابن يحيى بن سقر ، وفي ص ١٨٩ س ١ جاءت تتمة أخبار معجمه ، وبعد خمسة أسطر منها ورد خبر وفاته ، وهذا ترتيب ترجمته « توفي الشهاب القوصي ... ومن شعره ... وله معجم ... قال طالعته ... » .

٥٧ — وجاء في ص ١٩٥ س ١٦ — ١٧ « الأمير بدر الدين بن الحسن (كذا) المعزي الميروقي » . وهو من أقارب الميروقي الملك المشهور يبلاد المغرب » والصواب « المغربي » نسبة الى المغرب و « الميورقي » نسبة الى جزيرة ميورقة في شرقي اسبانية ، والميورقي الملك مشهور في التاريخ وحارب الموحّدين وحاربوه .

يتبع : مصطفى جواد

المؤتمر الحادي والعشرون للمستشرقين

انعقد مؤتمر المستشرقين الحادي والعشرون في بناء المعهد الوطني للعلوم السياسية بباريس وإلى القراء البرنامج الموجز لجلساته :

الجمعة في ٢٣ تموز ١٩٤٨ :

الصبـاح : استقبال أعضاء المؤتمر في مركز المعهد . ثم اجتماع حرّ بينهم .

بعد الظهر : الحفلة الافتتاحية .

انتخاب أعضاء اللجنة الاستشارية للمؤتمر .

اعلان المواضيع التي يدرسها المؤتمر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

السبت في ٢٤ تموز

الصبـاح : جلسة لجان المؤتمر

بعد الظهر : استقبال بلدية باريس في بناء البلدية لأعضاء مؤتمر اللغويين وأعضاء مؤتمر المستشرقين .

الأحد في ٢٥ تموز

بعد الظهر : اجتماع عام في متحف «غيمه» Guimet .

الاحتفال بذكرى مرور خمسين عاماً على المدرسة الفرنسية في الشرق الأوسط .

أعمال اللجنة الفرنسية للحفريات في بلاد الأفغان .

زيارة المتحف .

الاثنين في ٢٦ تموز

الصبـاح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة متحف الخطوط والكتب في الشرق والغرب في بناء المكتبة الوطنية .

زيارة معرض المجموعات الشرقية في قسم المداليات .

الثلاثاء في ٢٧ تموز

الصبـاح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة متحف اللوفر .

اجتماع عام — محاضرة للسيد « دورم » قراءة الخطوط الهيروغليفية الجديدة في جبيل .

محاضرة الدكتور « بهادر الكيم » الحفريات في [كاراته پ] .

اكتشاف مفتاح قراءة الهيروغليفي الحثي .

محاضرة [بوسه ر] : المشاكل التاريخية من خلال نصوص [كاراته پ] .

الأربعاء في ٢٨ تموز

الصبـاح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة متحف [صارنوشی] ، معرض لايران (آخر ما دخل معرض طهران) .

الخميس في ٢٩ تموز

الصبـاح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة الوثائق الوطنية ، ومعارض المطبعة الوطنية ، ومعرض فرنسا في الصين للقرنين السابع عشر والثامن عشر ومعرض مؤتمر الدراسات البيزنطية .

الجمعة في ٣٠ تموز

الصبـاح : اجتماع لجان المؤتمر .

السبت في ٣١ تموز

الصبــاح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : اختتام المؤتمر .

عرض المقررات والمطالب (كمشروع اتحاد المستشرقين ، واختيار مركز للمؤتمر الثاني والعشرين للمستشرقين وغيرهما) والتصويت عليها .

بيان بالكتب التي ستترجم

بإشراف جامعة الدول العربيــة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

Brockelmann.	Geschichte der arabischen Litteratur.
Creswell.	Islamic architecture.
Diorand.	Story of civilisation.
Keen.	The agricultural development of the Middle East. London , 1946 , 126 p. , 8 gr . , pl .
Le Strange.	The lands of the Eastern Califate . Cambridge , 1905 , 536 p . , 10 pl .
Musil.	Northern Hejaz.
Migeon.	Histoire des arts Musulmans.
Nielsen.	Die Altarabische Kultur. 1927 , 240 p.
Palencia (A. Conzalez) .	Historia de la Literatura Arabigo Espanola . Barcelona , 1928 , 356 p .
Sarton.	Introduction of the histosy of science .
Worthington.	A Middle East Science. London , 1946 , 239 p. pl. Gravres
Zanbaur.	Manuel de Généalogie.
	Twentieth century Sociology edited by Georges Gurwitch and Wilbert Man (the Philosophical Library) . New York.

تنويه أدبي

قررت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية أن تنوه بخير الكتب المؤلفة سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ في الأدب من شعر، وقصص، وبحوث، ودراسات أدبية ولغوية على ألا يكون من بينها كتب مترجمة اللهم الا اذا كان الكتاب المترجم من أمهات الكتب التي تعود على الأدب العربي بفائدة وتضم اليه ثروة محققة .

والمرجو من الهيئات العلمية ودور النشر والمكتبات موافاة اللجنة بهذه الكتب أو افادتها باسمائها ونبذ عنها .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هدية الى دار الكتب الظاهرية

سلمت اسرة المرحوم العقيد المتقاعد السيد أحمد صدقي الكيلاني بوصية منه، الى دار الكتب الظاهرية، مكتبته البالغة ٧٧٨ مجلداً بين كتاب ومجلة، رحمه الله وجزاه عن العلم والأدب خير جزاء .



الفهرس العام لمواد المجلد الثالث والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس الأعلام

لكتّاب مقالات المجلد الثالث والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والعشرين

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء